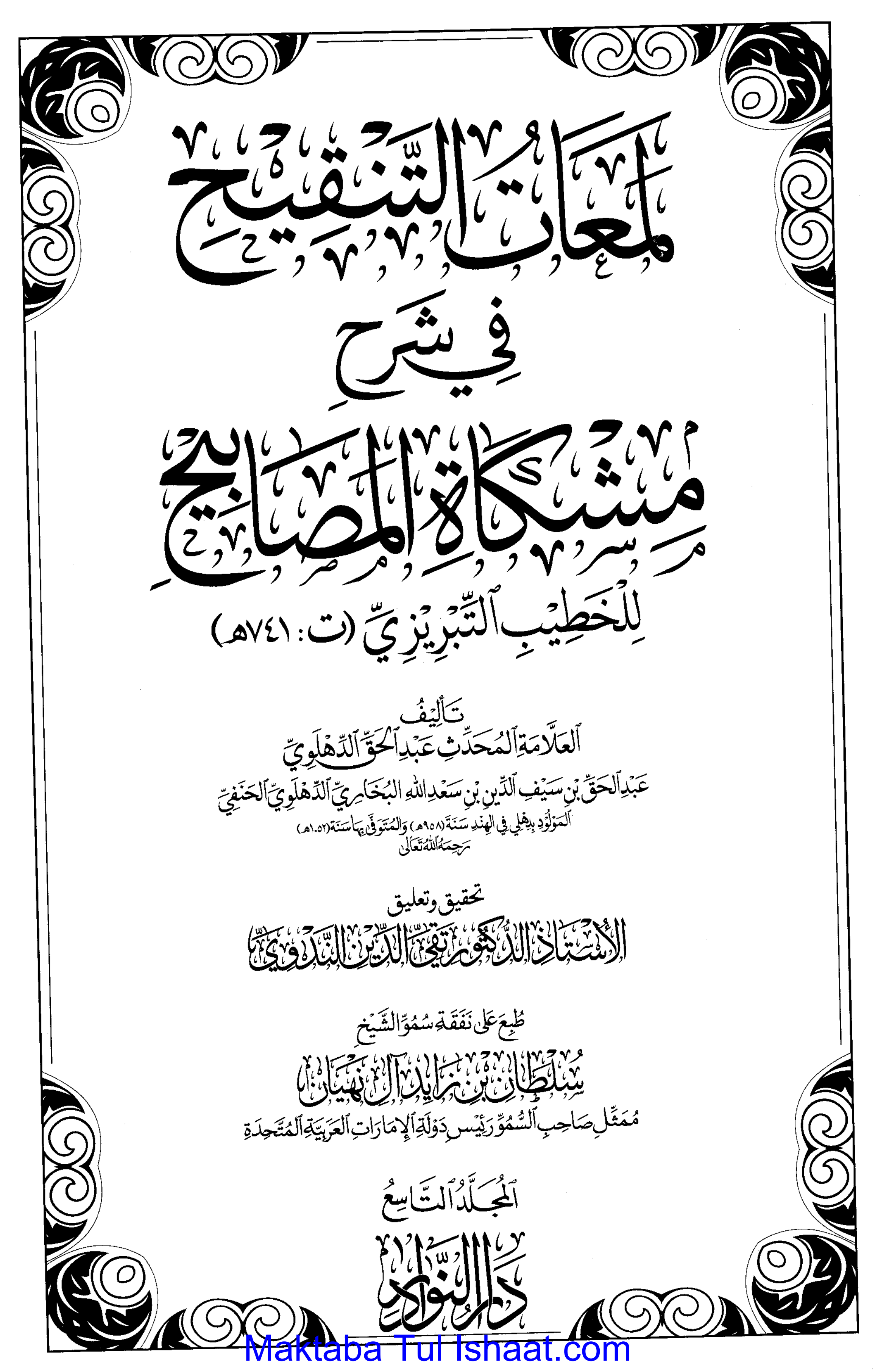


لمعات التنقيح

في شرح

مشكاة المصابيح

للخطيب التبريزي (ت: ٧٤١هـ)

تأليف

العلامة المحدث عبد الحق الدهلوي

عبد الحق بن سيف الدين بن سعد الله البخاري الدهلوي الحنفي

المولود بدهلي في الهند سنة (٩٥٨هـ) والمتوفى بها سنة (١٠٥٢هـ)

رحمه الله تعالى

تحقيق وتعليق

الأستاذ الدكتور تقي الدين الندوي

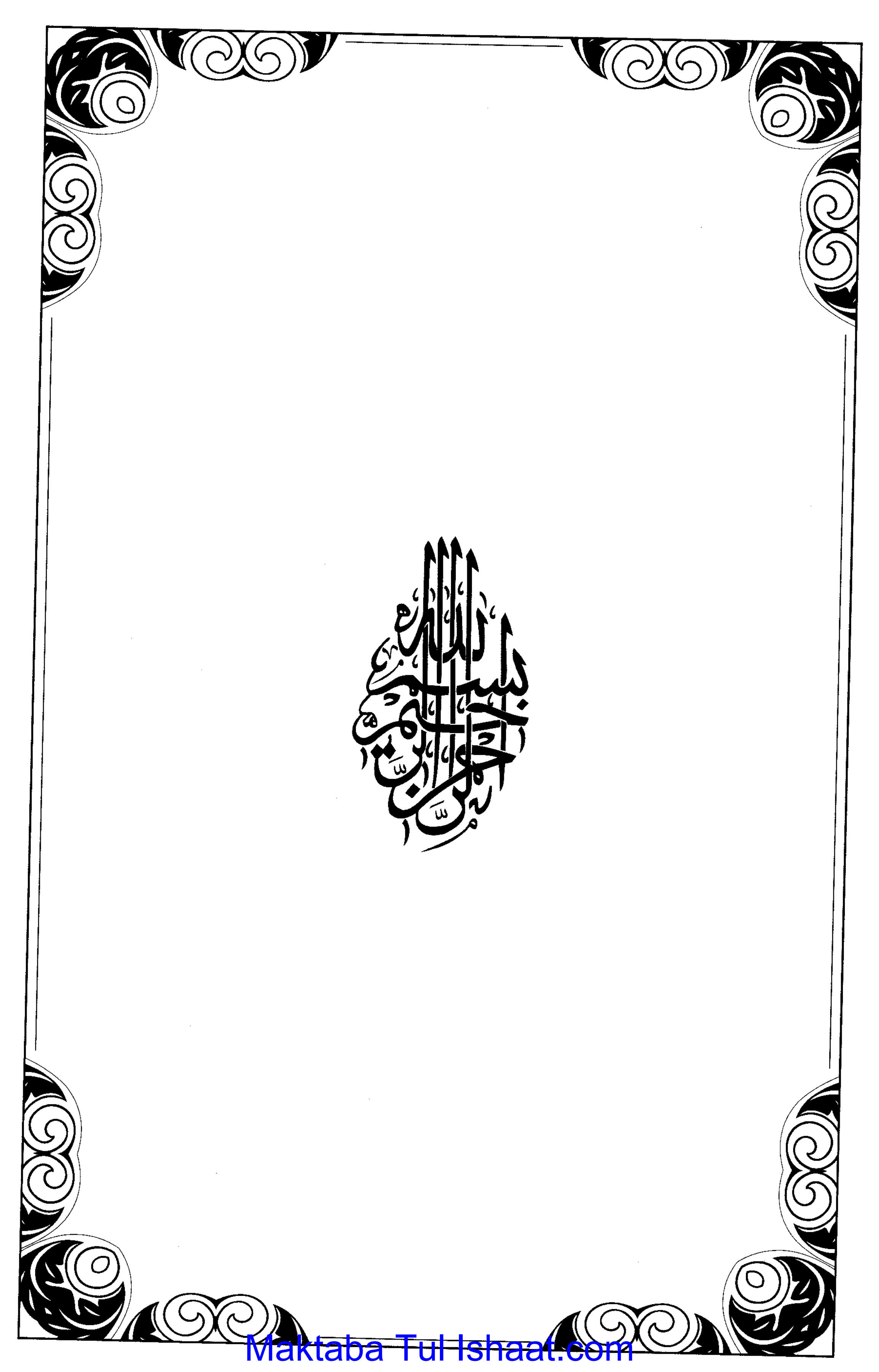
طبع على نفقة سمو الشيخ

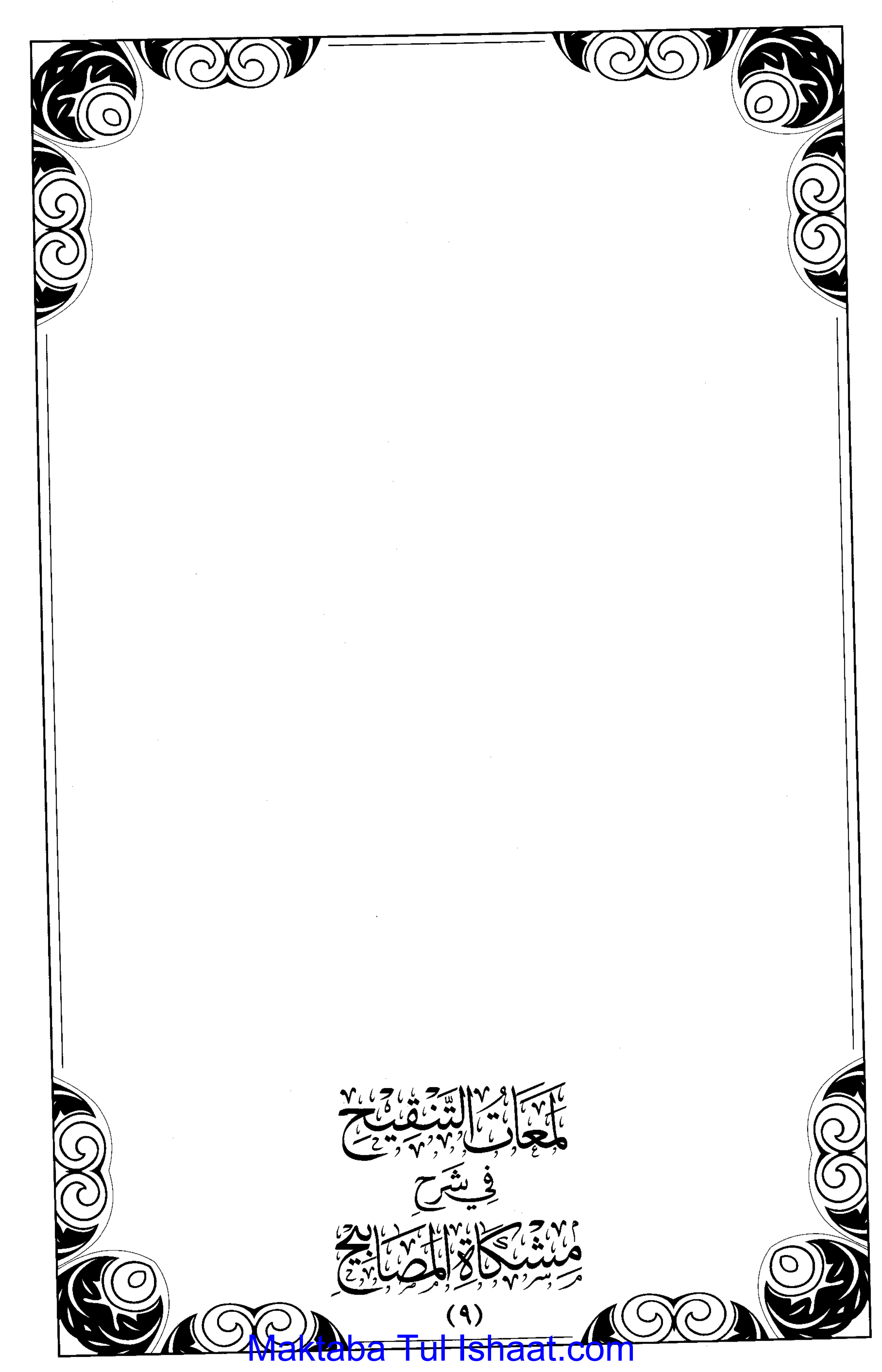
سلطان بن زايد آل نهيان

ممثل صاحب السمو رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة

المجلد التاسع

دار النوادر


بسم الله الرحمن الرحيم



لمعات التنقيح
في شرح
مشكاة المصابيح
(٩)



دار النوادر

المؤسس والمالك

نور الدين طالب

مؤسسة ثقافية علمية تُعنى بالتراث العربي والإسلامي والدراسات الأكاديمية والجامعية المتخصصة بالعلوم الشرعية واللغوية والإنسانية

تأسست في دمشق سنة 1422هـ - 2002م، وأُشهرت سنة 1426هـ - 2006م.

سوريا - دمشق - الحلبوني:

ص. ب: 34306

00963112227001

00963112227011

00963933093783

00963933093784

00963933093785

dar.alnawader

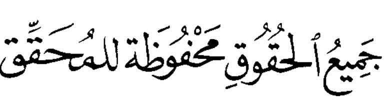
t.daralnawader.com

f.daralnawader.com

y.daralnawader.com

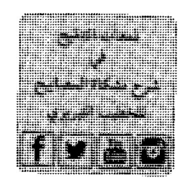
i.daralnawader.com

L.daralnawader.com



الطَّبعَةُ الأُولَى

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م





ISBN 978-9933-527-15-0

E-mail: info@daralnawader.com

Website: www.daralnawader.com

شركات شقيقة

دار النوادر اللبنانية - لبنان - بيروت - ص. ب: 4462/14 - هاتف: 652528 - فاكس: (009611) 652529

دار النوادر الكويتية - الكويت - ص. ب: 1008 - هاتف: 22453232 - فاكس: (00965) 22453323

دار النوادر التونسية - تونس - ص. ب: 106 (أريانة) - هاتف: 70725546 - فاكس: (00216) 70725547

مركز الشيخ أبي الحسن الندوي للبحوث والدراسات الإسلامية

مظفرفور - أعظم جراه - يوبي - الهند

SHEIKH ABUL HASAN NADWI CENTER

For Research & Islamic Studies

MOZAFFAR PUR, AZAMGARH, U.P.(INDIA).

الهاتف: 0091-5462270104

متحرك: 0091-9450876465

الفاكس: 0091-5462270786

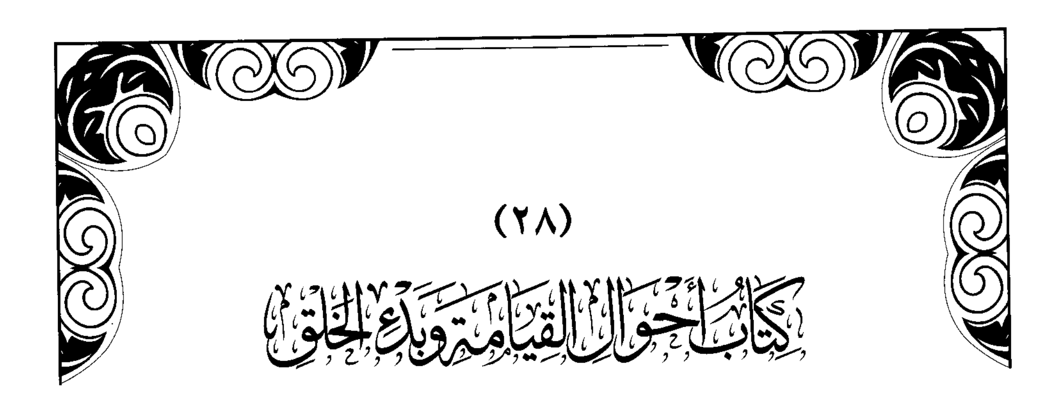
البريد الإلكتروني: drnadwi@gmail.com





(٢٨)

كتاب أحوال القيامة وبدء الخلق



(٢٨)
كتاب أحوال القيامة وبدء الخلق

١ ـ باب النفخ في الصور

١ ـ باب النفخ في الصور

في (القاموس)[١]: نفخ بفمه: أخرج منه الريح، والصور بالضم: القرن ينفخ فيه، والمراد القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل، وهما نفختان، الأولى: يصعق به من في السماوات والأرض إلا من شاء، والثاني: يخرج به الموتى من القبور ويبعثون، وقد قيل بثلاث نفخات، الأولى: نفخة الفزع المشار إليها بقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾[النمل: ٨٧]، والثانية: نفخة الصعق لقوله ﷻ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾[الزمر: ٦٨]، والثالثة: نفخة البعث كقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾[يس: ٥١]، وقوله سبحانه: ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾[الزمر: ٦٨].

والمشهور هنا نفختان، وكأنه جعلت نفخة الفزع والصعق واحدة، والصعق من تتمة الفزع، أو الفزع توطئة للصعق، وقول الطيبي[٢] في تفسير الصور: هو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل عند بعث الموتى إلى المحشر، لا يعقل فيه التخصيص بالبعث.

---

(١) «القاموس المحيط» (٢٥٢ ـ ٣٩٨).

(٢) «شرح الطيبي» (١٠/ ١٤٨).

* الْفَصْلُ الأَوَّلُ:

٥٥٢١ ـ [١] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ» قَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ! أَرْبَعُونَ يَوْماً؟ قَالَ: أَبَيْتُ. قَالُوا: أَرْبَعُونَ شَهْراً؟ قَالَ: أَبَيْتُ. قَالُوا: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَبَيْتُ. «ثُمَّ يُنْزِلُ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ» قَالَ: «وَلَيْسَ مِنَ الإِنْسَانِ شَيْءٌ لاَ يَبْلَى إِلاَّ . . .

وفي (الصراح)[١]: صور بالضم: شاخ وآنچه إسرافيل دروى دمد بجهت ميرانيدن وزنده كردن خلق، وقد يفسر الصور في الآيات الكريمة بجمع الصور، يريد صور الموتى تنفخ فيها الأرواح، وقد قرأ الحسن: (يوم ينفخ في الصُّوَر) بالتحريك، والصحيح هو الأول، فإن الأحاديث متظاهرة فيه، وقول البيضاوي: وقيل: إنه تمثيل لانبعاث الموتى بانبعاث الجيش إذا نفخ في البوق. أبعد وأبعد، ولعل القائل بذلك المتفلسفة من أهل الإسلام، والمراد بمن استثني بقوله: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل، وقيل: الحور والخزنة وحملة العرش، وقيل: الشهداء، وقيل: موسى عليه السلام؛ لأنه صعق مرة، ولعل المراد ما يعم ذلك، كذا في (تفسير البيضاوي)[٢].

الفصل الأول

٥٥٢١ ـ [١] (أبو هريرة) قوله: (**أبيت**) أي: عن أن أجزم بأنه أربعون يوماً، أو امتنعت عن الجواب فإني لا أعلم.

وقوله (**وليس من الإنسان شيء لا يبلى**) بلفظ المعلوم من سمع يسمع، (**إلا**

---

(١) «الصراح» (ص: ١٩١).

(٢) «تفسير البيضاوي» (٤/ ١٦٨).

عَظْماً وَاحِداً وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ، وَمِنْـهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَـةِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ قَالَ: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأْكُلُهُ التُّرَابُ إِلاَّ عَجْبَ الذَّنَبِ، مِنْهُ خُلِقَ، وَفِيهِ يُرَكَّبُ». [خ: ٤٨١٤، م: ٢٩٥٥].

عظماً) نصبه إما على تأويل الكلام السابق بالموجب، أي: يبلى كل شيء إلا عظماً، وقد جاء في بعض الروايات: (كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب)، وكما تؤيده الرواية الآخرى، أو يجعل (لا يبلى) صفة (شيء) و(إلا عظماً) خبره، والاستثناء مفـرغ، أي: ليس شيء هـو لا يبلى شيئا إلا عظماً واحداً، وهو عجب الذنب بفتح العين وسكون الجيم وفتح الذال والنون، وهو العظم في أسفل الصلب عند العجزتين الأليتين، وهو مكان الذنب من الحيوانات، قالوا: وأمر العجب عجب فإنه أول ما يخلق وآخر ما يبلى، ويقال بالميم مكان الباء، في (القاموس)[١]: العجم: أصل الذنب، وحكى بعضهم بتثليث العين مع الباء، ففيه ست لغات.

ثم قال الطيبي[٢] نقلاً عن المظهر: المراد طول بقائه؛ لأنه لا يبلى أصلاً؛ لأنه خلاف المحسوس، انتهى، يفهم أنـه أنّا قد نحسّ بلاه بعد طول الزمان، ويتجه عليه أنـه لا بد من بقائـه إلى يـوم البعث ليركب منـه الخلق يـوم القيامة، والبلى بعده غير معقول، وإذا أبلي قبله فكيف يركب منه، ولو أريد بالبلاء كونه مفتوتاً لا تراباً فلا يظهر معنى: (كل شيء يبلى إلا عجب الذنب)، نعم ما ورد مـن: أنه (أول ما يخلق وآخر ما يبلى) يدل على بلاه آخراً، ولكنه لا يخلو عن شيء، ويختلج في صدري أن المراد بكونه (آخر ما يبلى) كونـه مما لا يبلى، وكنايـة عنـه، والله أعلم فتدبر، ثم اعلم أنـه

(١) «القاموس المحيط» (١٠٤٧).

(٢) «شرح الطيبي» (١٠/ ١٤٩).

٥٥٢٢ ـ [٢] وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَقْبِضُ اللهُ الأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ؟». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٤٨١٢، م: ٢٧٨٧].

٥٥٢٣ ـ [٣] وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَطْوِي اللهُ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ ـ وَفِي رِوَايَةٍ: يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الأُخْرَى ـ ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أينَ الجبَّارونَ؟ أينَ المتكبِّرُونَ؟». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٧٨٨].

ينبغي أنه قد يخص من هذا العموم الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين فإنهم أحياء بأجسادهم.

٥٥٢٢ ـ [٢] (وعنه) قوله: (يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه) قال البيضاوي[١] في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾[الزمر: ٦٧]: هذا تنبيه على عظمته تعالى وحقارة الأفعال العظيمة التي تتحير فيها الأوهام بالإضافة إلى قدرته ودلالته على أن تخريب العالم أهون شيء عليه على طريقة التمثيل والتخييل من غير اعتبار القبضة واليمين لا حقيقة ولا مجازاً كقولهم: شابت لمته.

٥٥٢٣ ـ [٣] (عبدالله بن عمر) قوله: (يطوي الله السماوات . . . إلخ)، هذا أيضاً كما قال البيضاوي: تمثيل وتخييل لعظمته، وكذلك قول الحق سبحانه وتعالى:

---

(١) «تفسير البيضاوي» (٥/ ٤٨).

٥٥٢٤ ـ [٤] وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الْيَهُودِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أُصْبُعٍ، وَالأَرَضِينَ عَلَى أُصْبُعٍ، وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى أُصْبُعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى أُصْبُعٍ، وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَى أُصْبُعٍ، ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَنَا اللهُ. فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ تَعَجُّباً مِمَّا قَالَ الْحَبْرُ تَصْدِيقاً لَهُ. ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧]. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٤٨١١، م: ٢٧٨٦].

(أنا الملك . . . إلخ)، ويحتمل الحقيقة أيضاً.

٥٥٢٤ ـ [٤] (عبدالله بن مسعود) قوله: (حبر من اليهود) الحبر بالفتح والكسر: العالم، والجمع أحبار، وشاع ذكره في علماء أهل الكتاب، وقال في (القاموس)[١]: الحبر بالكسر: العالم أو الصالح، ويفتح، والجمع أحبار وحبور. و(الثرى) في (القاموس)[٢]: الثرى: الندى، والتراب النديّ، أو الذي إذا بُلَّ لم يصر طيناً لازباً، كالثَّرْياءِ ممدودة.

وقوله: (﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾) أي: ما قدروا عظمته في أنفسهم حق تعظيمه حيث جعلوا له شريكاً ووصفوه بما لا يليق، وقيل: ما عظموا الله حق عظمته، وقيل: ما عبدوه حق عبادته، وقيل: ما عرفوه حق معرفته.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٢٤٦).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ١١٦٥).

٥٥٢٥ ـ [٥] وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾[إبراهيم: ٤٨] فَأَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: ....

٥٥٢٥ ـ [٥] (عائشة) قوله: (﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾) التبديل قد يكون في الذات كقولك: بدلت الدراهم بالدنانير، وفي الصفة كقولك: بدلت الحلقة خاتماً: إذا أذبتها وغيرت شكلها، والآية تحتملهما، والآثار غالبة في الثاني، قال ابن عباس: هي تلك الأرض وإنما تغير صفاتها وأنشد:

وما الناس بالناس الذين عهدتم وما الدار بالدار التي كنت تعلم

وروي عن أبي هريرة قال: ﴿تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾[إبراهيم: ٤٨] فتبسط وتمد مدّ الأديم، لا ترى فيه عوجاً ولا أمتاً، ويحتمل أن الله تعالى يخلق أرضاً وسماوات أخر، وقد ذهب إليه بعض، كما روي عن علي ﷺ: تبدل أرضاً من فضة وسماوات من ذهب، وهو نص في تبديل الذات، وما روي عن ابن مسعود وأنس: (يحشر الناس على أرض بيضاء لم يخطئ عليها أحد خطيئة)[1] ظاهر فيه.

وقال الطيبي[2]: الظاهر من الحديث وسؤال عائشة ﷺ وجواب النبي ﷺ تغير الذات، انتهى. وقد كتب في الحواشي[3]: التبديل: تنزيل الشيء عن حاله، والإبدال: جعل شيء مكان شيء آخر، والظاهر منه أن التبديل تغيير في الصفة والإبدال في الذات، ولكن الظاهر من كتب اللغة ومن استعمالاتهم أنهما بمعنى واحد، فتدبر.

---

(١) انظر: «تفسير البيضاوي» (٣/ ٢٠٣).

(٢) «شرح الطيبي» (١٠/ ١٥٢).

(٣) «حاشية جمال الدين» (ص: ٣٢٣).

«عَلَى الصِّرَاطِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٧٩١].

٥٥٢٦ ـ [٦] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مُكَوَّرَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٣٢٠٠].

* الْفَصْلُ الثَّانِي:

٥٥٢٧ ـ [٧] عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الصُّورِ قَدِ الْتَقَمَهُ، وَأَصْغَى سَمْعَهُ، وَحَنَى جَبْهَتَهُ، يَنْتَظِرُ مَتَى يُؤْمَرُ بِالنَّفْخِ». فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! ....

وقوله: (على الصراط) الظاهر أن المراد الصراط المعهود، والله أعلم.

٥٥٢٦ ـ [٦] (أبو هريرة) قوله: (الشمس والقمر مكوران يوم القيامة) قال القاضي[١] في تفسير قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾[التكوير: ١]: لُفَّتْ، من كورت العمامة: إذا لففتها بمعنى رفعت؛ لأن الثوب إذا أريد رفعه لف، يعني أن بين اللف والرفع لزوماً في الجملة، وفي بعض المواضع كما في الثوب، فاللف على هذا التقدير مجاز بمعنى الرفع، أو لف ضوؤها فذهب انبساطه من الآفاق وزال أثره، فاللف على هذا التقدير مجاز عن الإعدام، لأن الضوء لكونه من الأعراض لا يتصور فيه اللف، أو ألقيت عن فلكها، من طعنه فكوره: إذا ألقاه مجتمعاً، يعني لا تتفرق الأجزاء لما في التركيب من معنى الجمع.

الفصل الثاني

٥٥٢٧ ـ [٧] (أبو سعيد الخدري) قوله: (أصغى سمعه) أي: أمال أذنه ليستمع

---

(١) «تفسير البيضاوي» (٥/ ٢٨٩).

وَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «قُولُوا: حَسْبُنَا اللهُ ونِعمَ الْوَكِيلُ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢٤٣١].

٥٥٢٨ - [٨] وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عَمْرٍو عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الصُّورُ قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ وَالدَّارِمِيُّ. [ت: ٢٤٣٠، د: ٤٧٤٢، دي: ٢٨٤٠].

* الْفَصْلُ الثَّالِثُ:

٥٥٢٩ - [٩] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾ [المدثر: ٨]: الصُّوْرُ، ....

أمر الله وإذنه بالنفخ.

وقوله: (وما تأمرنا؟) أي: ما نفعل وبأي شيء نشتغل، وأين نفر إذا كان الأمر كذلك.

(قال: قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل) أي: التجئوا إلى الله تعالى، وفوضوا أموركم إليه، وخافوا من عذابه، وارجوا فضله ومغفرته مع عملكم بما أمر من الطاعات والعبادات غير متكلين عليها ومعجبين بها.

٥٥٢٨ - [٨] (عبدالله بن عمرو) قوله: (الصور قرن) أي: مثل قرن في الشكل.

الفصل الثالث

٥٥٢٩ - [٩] (ابن عباس) قوله: (﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾) أي: نفخ في الصور، والناقور فاعول من النقر بمعنى التصويت، وأصله القرع الذي هو سبب الصوت،

قَالَ: ﴿ٱلرَّاجِفَةُ﴾: النَّفْخَةُ الأُولَى، وَ﴿ٱلرَّادِفَةُ﴾: الثَّانِيَـةُ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي تَرْجَمَةِ بَابٍ.

٥٥٣٠ ـ [١٠] وَعَنْ أَبِـي سَعِيـدٍ قَالَ: ذَكَـرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ صَاحِـبَ الصُّوْرِ وَقَالَ: «عَنْ يَمِينِهِ جِبْرِيلُ وَعَنْ يَسَارِهِ مِيكَائِيلُ».

٥٥٣١ ـ [١١] وَعَنْ أَبِـي رَزِينٍ الْعُقَيْلِيِّ قَالَ: قُلْتُ: يَـا رَسُولَ اللهِ! كَيْفَ يُعِيـدُ اللهُ الْخَلْقَ؟ وَمَا آيَـةُ ذَلِكَ فِي خَلْقِـهِ؟ قَالَ: «أَمَـا مَرَرْتَ بِوَادِي قَوْمِكَ جَدْباً. . . . .

قاله البيضاوي[1].

وقوله: (الراجفة: النفخة الأولى) لأنها ترجف، أي: تتحرك الأجرام الساكنة مثل الأرض والجبال عندها، فالراجفة إما صيغة النسبة أو مشتق من رجف المتعدي، قال في (القاموس)[2]: رجف: حرك وتحرك، وقال الطيبي[3]: وصفت بما يحدث بحدوثها، و(الرادفة): النفخة الثانية بما أنها تردف الأولى وتتبعها.

٥٥٣٠ ـ [١٠] (أبـو سعيد) قولـه: (صاحب الصور) يعني: إسرافيل، وكون جبريل عـن يمينـه وميكائيل عن يساره، إما في وقت النفخ أو في حضرة في المرتبة، والله أعلم.

٥٥٣١ ـ [١١] (أبـو رزين العقيلي) قولـه: (جدباً) بفتح الجيم وسكون الدال بمعنى المحل والقحط، وبكسر الدال بمعنى ذي الجدب بقرينة مقابلة.

---

(١) «تفسير البيضاوي» (٥/ ٢٨٢).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٧٤٩).

(٣) «شرح الطيبي» (١٠/ ١٥٤).

ثُمَّ مَرَرْتَ بِـهِ يَهْتَزُّ خَضِـراً؟» قُلْـتُ: نَعَمْ. قَالَ: «فَتِلْكَ آيَـةُ اللهِ فِي خَلْقِـهِ ﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾[البقرة: ٧٣]». رَوَاهُمَا رَزِينٌ. [حم: ٢٦/ ١١٢].



٢ ـ باب الحشر

* الْفَصْلُ الأَوَّلُ:

٥٥٣٢ ـ [١] عَنْ سَهْـلِ بْنِ سَعْـدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ، ....

قوله: (خضراً) بفتح الخاء وكسر الضاد.

٢ ـ باب الحشر

وهـو في اللغـة: الجمع، وفي الشرع: جمـع الموتى بعد البعث إلى المحشر بالكسر وقد يفتح وهو موضعه، وقـد يطلق ويراد بـه البعث، والحشر يكون قبل يوم القيامة من أشراط الساعة، ويكون بعده وهو المراد هنا، وقد تحمل بعض الأحاديث الواردة فيه على الأول، وسيأتي بيانه.

الفصل الأول

٥٥٣٢ ـ [١] (سـهـل بـن سعـد) قـولـه: (علـى أرض بيضـاء عـفـراء) فـي (القاموس)(١): الأعفر: الأبيض، ليس بالشديد البياض، وهي عفراء، عفر كفرح، والاسم العفرة بالضم، وأيضاً قال: العفـراء: البيضاء، وأرض بيضاء لم توطأ، وفي

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٤١٢).

كَقُرْصَةِ النَّقِيِّ لَيْسَ فِيهَا عَلَمٌ لأَحَدٍ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٦٥٢١، م: ٢٧٩٠].

٥٥٣٣ ـ [٢] وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَكُونُ الأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً، يَتَكَفَّؤُهَا الْجَبَّارُ بِيَدِهِ، كَمَا يَتَكَفَّأُ أَحَدُكُمْ خُبْزَتَهُ فِي السَّفَرِ نُزُلاً لأَهْلِ الْجَنَّةِ». فَأَتَى رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ. فَقَالَ: بَارَكَ الرَّحْمَنُ عَلَيْكَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ! أَلاَ أُخْبِرُكَ بِنُزُلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «بَلَى». قَالَ: تَكُونُ الأَرْضُ خُبْزَةً وَاحِدَةً. . . . .

الحواشي[1]: الأعفر: الأبيض الذي لا يخلص بياضه ولا يشتد بل يضرب إلى الحمرة.

و(**النقي**) بفتح النون: الدقيق المنخول، والتشبيه في اللون والاستدارة.

وقوله: (**ليس فيها علم لأحد**) من بناء وغيره، بل تكون مستوية وقاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً، أو من ملك وتصرف، بل تكون خالية من تصرف الناس، لا يكون الملك إلا لله.

٥٥٣٣ ـ [٢] (أبو سعيد الخدري) قوله: (**تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها**) أي: يقلبها من يد إلى يد ليسويها كما يفعل بالعجينة، إذا أريد خبزها مرققاً مستوياً، وفي رواية مسلم: (يكفأ) بسكون الكاف، كفأه كمنعه: صرفه وقلبه، وأكفأ: أمال وقلب.

وقوله: (**في السفر**) بفتحتين: ضد الحضر، أي: يستعجل في خبزها، فيكفأها ويلقيها على الرماد الحار، وصحح بضم السين فيكون جمع سفرة بمعنى ما يوضع عليه الطعام، أي: يخبزها ويضعها على السفرة. و(**النزل**) بضم النون والزاي وسكونها:

---

(١) «حاشية جمال الدين» (ص: ٣٢٣).

كَمَا قَالَ النَّبِـيُّ ﷺ فَنَظَرَ النَّبِـيُّ ﷺ إِلَيْنَا ثُمَّ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَلاَ أُخْبِـرُكَ بِإِدَامِهِمْ؟ . . . .

ما يعجل للضيف قبل الطعام.

والحديث قد حمله بعضهم على ظاهره، وهو أن جرم الأرض يجعلها الله تعالى يومئذ خبزة مأكولة نزلاً لأهل الجنة، والله تعالى قادر على كل شيء، ولا يستبعد ذلك من قدرتـه سبحانـه، واستشكلـه بعضهم لا لاستبعاد قدرة الله تعالى وعجائب صنعـه سبحانه، بل لعدم ورود دليل على ذلك، بل لورود خلافه، حيث ورد: أن هذه الأرض برها وبحرها يمتلئ ناراً وينضم إلى جهنم، فالمعنى على تشبيه الأرض في الاستدارة والبياض بالخبزة التي يخلقها الجبار تعالى نزلاً لأهل الجنة، ويتضمن ذلك بيان عظم ما هيئ لأهل الجنة من الأخباز تكون الأرض بمنزلـة واحدة منها، أو أراد أن الأرض وما فيها بالنسبة إلى ما هيئ لهم من نعيم الجنة كخبزة يستعجل بها الضيف والمسافر، فيكون حرف التشبيه محذوفاً.

وقوله: (**ثم ضحك**) لما وجد مـن موافقـة ما يوحى إليـه لما رواه اليهودي من التوراة فسر لحصول مزيد إيقان الصحابة وقـوة إيمانهم كما مر في خبر الدجال الذي رواه تميم الداري.

وقولـه: (**حتى بدت نواجذه**) النواجذ: أقصى الأضراس وهي أربعة، ويسمى ضرس الحلم؛ لأنـه ينبت بعد البلوغ وكمال العقل، وقال في (القاموس)[1]: أو هي الأنياب، أو التي تلي الأنياب، أو هي الأضراس كلها، انتهى. ولا شبهة في أن إرادة هذه المعاني في الحديث أولى وأنسب لما أن في ظهور أقصى الأضراس في الضحك

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٣١٩).

بَالاَمٌ وَالنُّونُ. قَالُوا: وَمَا هَذَا؟ قَالَ: ثَوْرٌ وَنُونٌ، يَأْكُلُ مِنْ زَائِدَةِ كَبِدِهِمَا سَبْعُونَ أَلْفاً. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٦٥٢٠، م: ٢٧٩٢].

٥٥٣٤ ـ [٣] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى ثَلاَثِ طَرَائِقَ: رَاغِبِينَ رَاهِبِينَ، . . . .

بعداً لا يخفى، ولا يبعد أن يقال: هذه العبارة كناية عن المبالغة في الضحك من غير ملاحظة معاني مفرداتها وإرادتها، كما قالوا في أمثالها، والله تعالى أعلم.

وقوله: **(بالام والنون)** أرادوا بالنون الحوت، ووقع معرفاً باللام، وأما بالام فمنكر بالباء الموحدة واللام، وقالوا في تفسيره: إنه لفظة عبرانية معناه الثور، وإلا لعرفه الصحابة من غير استفسار من اليهودي، وفي (مجمع البحار) من (النهاية): قال الخطابي[1] لعل اليهودي أراد التعمية [فقطع الهجاء]، فقدم أحد الحرفين [على الآخر] وهي لام ألفٍ وياءٌ، يريد لأي بوزن لَعْي، وهو الثور الوحشي، فصحف الراوي الياء بالباء، انتهى فافهم.

وقوله: **(يأكل من زائدة كبدهما)** قال الكرماني[2]: زيادة الكبد: هي القطعة المتفردة المتعلقة بالكبد وهي أهنؤها وأطيبها، والمراد بـ **(سبعون ألفاً)** هم الذين يدخلون الجنة بغير حساب، وقيل: المراد به الكثرة.

٥٥٣٤ ـ [٣] (أبو هريرة) قوله: **(يحشر الناس على ثلاث طرائق: راغبين، راهبين)** الحديث، سيجيء في (الفصل الثاني) من حديث أبي هريرة: (يحشر الناس ثلاثة أصناف: صنفاً مشاةً، وصنفاً ركباناً، وصنفاً على وجوههم) والأصناف الثلاثة

---

(١) انظر: «مجمع بحار الأنوار» (١/ ١٣٤)، و«النهاية» (١/ ٩١).

(٢) «شرح الكرماني» (٢٣/ ٣٣).

وَاثْنَانِ عَلَى بَعِيرٍ، وَثَلَاثَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَأَرْبَعَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَعَشَرَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَتَحْشُرُ بَقِيَّتَهُمُ النَّارُ، تَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا، وَتَبِيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوْا، وَتُصْبِحُ مَعَهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا، وَتُمْسِي مَعَهُمْ حَيْثُ أَمْسَوْا». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

[خ: ٦٥٢٢، م: ٢٨٦١].

مضمون ذكرهم في هذا الحديث أيضاً، فالراغبون في الجنة وفضل ربهم، الراهبون من النار وعدله تعالى، المطيعون الذين يدعون ربهم خوفاً وطمعاً هم الراكبون على تفاوت درجاتهم، منهم اثنان على بعير، ومنهم أربعة إلى عشرة على بعير، إما اجتماعاً أو مناوبة، فمن كان أعلى مرتبة كان أقلّ شركةً وأشدّ سرعةً وأكثر سبّاقاً، ولم يذكر ما بين الأربعة والعشرة قياساً على ما ذكر، وإنما لم يذكر الواحد؛ لأنه درجة أسبق السابقين هم الأنبياء والمرسلون، والمراد بيان أحوال الأمم.

والصنفان الآخران وهم المشاة على أرجلهم، والمشاة على وجوههم مذكوران في بقيتهم الذين تحشرهم النار وتلازمهم وهم العصاة والكفار، ولو جعل الراغبون المطيعون هم الركبان، والراهبون العاصون هم المشاة، وبقيتهم الكافرون هم الماشين على وجوههم لكان له وجه، بل هذا أوجه لما دل الحديث الآتي عن أنس: أن المشي على الوجه مخصوص بالكافر، ولكنه لا يساعده ظاهر لفظ الحديث، فنقول: إن الراكبين هم المطيعون، والماشين بأرجلهم أضمر ذكرهم، والمشاؤون على وجوههم البقية المذكورون بقوله: (بقيتهم تحشرهم النار) فليتأمل، هذا توجيه الحديث على وجه يكفي، وأما الكلام في أن المراد بالحشر الحشر إلى المحشر وهو أرض الشام أو يوم القيامة بعد البعث من القبور فطويل، نقله الطيبي[1] من التُّورِبِشْتِي، ولعل

---

(١) انظر: «شرح الطيبي» (١٠/ ١٥٩)، و«كتاب الميسر» (٤/ ١١٨٩).

٥٥٣٥ ـ [٤] وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً» ثُمَّ قَرَأَ: «﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]**، وَأَوَّلُ مَنْ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ،** . . . .

الصواب هو الثاني فطالعه ثمة.

٥٥٣٥ ـ [٤] (ابن عباس) قوله: **(إنكم محشورون حفاة)** الظاهر العموم، وقد علم الركوب أيضاً، فلعل أحدهما بعد البعث من القبر، والآخر بعد السوق إلى المحشر.

وقوله: **(غرلا)** جمع أغرل وهو الأقلف، أي: الذي لم يختن، أي: يحشرون كما خُلِقوا، لا يفقد منهم شيء، ولا يدرى أن بعد ذلك تغير خلقهم على هيئة الختان أو يبقون كذلك، والأمر محتمل، والله أعلم.

وما ذكر الإمام فخر الدين الرازي لشرعية الختان نكتة معقولة، وهي أن الحشفة لما كانت مستورةً بالقلفة كانت لينة وقويت لذته عند المباشرة، وإذا قطع جلد القلفة اشتد وصلب وضعفت اللذة، وبالجملة الإحساس واللمس بالسطح المستور أتم وأكمل من السطح المكشوف كما يظهر من حال الشفتين واللسان، واللائق بهذه الشريعة المعتدلة والمتوسطة بين جانبي الإفراط والتفريط التقليل.

وقوله: **(وأول من يكسى يوم القيامة إبراهيم)** قيل: لأنّه أول من عري وجرد في سبيل الله من النبيين حين ألقي في النار، لا لأنه أفضل من نبينا، أو لكونه أباه، فتقدمه لعزة أبوته له ﷺ، على أنه قيل: إن نبينا ﷺ يخرج باللباس من قبره في ثيابه التي دفن فيها، كذا في الحواشي[1].

---

(١) «حاشية جمال الدين» (ص: ٣٢٢).

وَإِنَّ نَاساً مِنْ أَصْحَابِـي يُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ فَأَقُولُ: أُصَيْحَابِـي أُصَيْحَابِـي، فَيَقُولُ: إِنَّهُمْ لَنْ يَزَالُوْا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِـهِمْ مذْ فَارَقْتَهُمْ. فَأَقُوْلُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: . . . .

وقوله: (**أصيحابي أصيحابي**) مكرراً على صيغة التصغير لقلتهم، وقد يروى مكبراً، والأصحاب صيغة جمع قلة، والأول أوفق بقوله: (إن ناساً من أصحابي).

قال الكرماني[١]: لم يرد به خواص أصحابه ولا بالردة الرجوع عن الدين، وإنما هو التأخر عن بعض الحقوق، ولم يرتد بحمد الله أحد من أصحابه، وإنما ارتد قوم من جفاة العرب من المؤلفة، انتهى.

وقال الخطابي[٢]: لم يرتد أحد من الصحابة، وإنما ارتد قوم من جفاة الأعراب ممن لا بصيرة له في الدين، وذلك لا يقدح في الصحابة المشهورين، وليس المراد الارتداد عن الإسلام، بل الخروج عن حد الاستقامة، وإساءة السريرة، والرجوع عما كانوا عليه من محض الإخلاص وصدق النية، والإعراض عن الدنيا، فإنه ﷺ كان يخشى عليهم من فتنة الدنيا، وقيل: يجوز استعمال الأصحاب في كل من تبعه أو أدرك حضرته، أو وفد عليه ولو مرة.

وبالجملة حمل بعضهم الردة على الحقيقة، والصحابة على المجاز من جفاة العرب من أصحاب مسيلمة والأسود، وبعضهم الردة على التقصير في بعض الحقوق، والصحابة على غير الخواص من الصحابة، والله أعلم.

وقوله: (**كما قال العبد الصالح**) وهو عيسى بن مريم.

---

(١) «شرح الكرماني» (٢٣/ ٣٦).

(٢) انظر: «فتح الباري» (١١/ ٣٨٥).

﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾» [المائدة: ١١٧ ـ ١١٨]. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٣٤٩، م: ٢٧٦٠].

٥٥٣٦ ـ [٥] وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ جَمِيعاً يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ؟ فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ! الأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٦٥٢٧، م: ٢٨٥٩].

٥٥٣٧ ـ [٦] وَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ! كَيْفَ يُحْشَرُ الْكَافِرُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَى الرِّجْلَيْنِ فِي الدُّنْيَا قَادِراً عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٣٥٠، م: ٢٨٠٦].

٥٥٣٨ ـ [٧] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ....

٥٥٣٦ ـ [٥] (عائشة) قوله: (ينظر بعضهم إلى بعض) أي: الرجال إلى الرجال والنساء وكذلك النساء، فافهم.

٥٥٣٧ ـ [٦] (أنس) قوله: (قادر) بالرفع على أن في (ليس) ضمير الشأن.

٥٥٣٨ ـ [٧] (أبو هريرة) قوله: (أباه آزر) ظاهر العبارة أنه عطف بيان لـ (أباه)، والتحقيق أن آزر عم إبراهيم سمي أباً مجازاً متعارفاً، واسم أبيه تارخ، قاله بعض المحققين من العلماء الذين نفوا الكفر عن آباء نبينا ﷺ إلى آدم عليه السلام، فعلى هذا ذكر آزر لبيان أن ليس المراد من الأب والده، ولعله كان اختلاط إبراهيم وألفته مع عمه هذا أكثر وأغلب من والده، وكان هو رئيس المشركين، ووقع مناظرته معه، فافهم.

وَعَلَى وَجْهِ آزَرَ قَتَرَةٌ وَغَبَرَةٌ، فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ: لاَ تَعْصِنِي؟ فَيَقُولُ لَهُ أَبُوهُ: فَالْيَوْمَ لاَ أَعْصِيكَ. فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: يَا ربِّ إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَلاَّ تُخْزِيَنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَى مِنْ أَبِـي الأَبْعَدِ، فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: إِنِّي حَرَّمْتُ الْجَنَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ، ثُمَّ يُقَالُ لإِبْرَاهِيمَ: مَا تَحْتَ رِجْلَيْكَ؟ فَيَنْظُرُ فَإِذَا هُوَ بِذِيخٍ مُتَلَطِّخٍ فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ» . . . .

وقولـه: (**وعلى وجـه آزر**) أتى بالمظهر موضع المضمر لئلا يتوهم أن الضمير لإبراهيم ﷺ وأن على وجهه قترة وغبرة لأجل الهم والحزن من جهة والده، وإن كان عند من يعلم أن ذلك للكفرة الفجرة دليل على خلافه، و(قترة) و(غبرة) كلاهما بفتحات، في (القاموس)[1]: القتر والقترة: الغبار، وقيل: القترة: الغبرة التي معها سواد، وقيل في قوله تعالى: ﴿غَبَرَةٌ ۝٤٠ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾[عبس: ٤٠ ـ ٤١]، أي: غبار يعلوها سواد كالدخان ولا أوحش من اجتماعهما، وقال البيضاوي[2]: غبار وكدورة يَغشاها سواد وظلمـة، وهذا مبنـي على ما قيـل: إن الغبرة: الغبار من التراب، والقترة: السواد الكائـن عن الكآبة.

وقوله: (**من أبي الأبعد**) أي: من خزي أبي، (الأبعد) من البعد بمعنى الهلاك، و(الأبعد): الخائن أيضاً، كـذا في (مجمع البحار)[3]، والمراد: الأبعـد من رحمـة الله.

وقولـه: (**فإذا هو بذيخ**) الذيخ بكسر الذال وسكـون الياء التحتانية آخرها خاء

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٤٢٧).

(٢) «تفسير البيضاوي» (٥/ ٢٨٨).

(٣) «مجمع بحار الأنوار» (١/ ١٩٨).

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٣٣٥٠].

٥٥٣٩ ـ [٨] وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَعْرَقُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَذْهَبَ عَرَقُهُمْ فِي الأَرْضِ سَبْعِينَ ذِرَاعاً وَيُلْجِمُهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ آذَانَهُمْ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٦٥٣٢، م: ٢٨٦٣].

٥٥٤٠ ـ [٩] وَعَنِ الْمِقْدَادِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ.........

معجمة: ذكر الضباع الكثير الشعر، والأنثى بالهاء، والجمع ذيوخ وأذباخ. وفي نسخة بموحدة ساكنة وحاء مهملة بمعنى ما يذبح، والحكمة فيه أنه لما رآه مسخاً يخرج من قلبه محبته، ولئلا يحزنه أن لو رآه قد ألقي في النار على صورته، فإن قلت: قد كان تبرّأ إبراهيم من أبيه في الدنيا فما باله سأل له ربَّه في الآخرة؟ قيل: لما رآه يوم القيامة أدركته الرأفة فسأل، فلما رآه مسخ أيس منه وتبرأ تبرأً أبديًا، وقيل: إن إبراهيم عليه السلام لم يتيقن بموته على الكفر لجواز أن يكون آمن في نفسه ولم يطلع إبراهيم عليه، وكان تبرئته في الظاهر، فإذا سأل يوم القيامة ولم يقبل تيقن بذلك، ومعنى (متلطخ) بالطين أو برجيعه، كذا في (مشارق الأنوار)(١).

٥٥٣٩ ـ [٨] (وعنه) قوله: (يعرق) بفتح الراء من سمع يسمع.

وقوله: (ويلجمهم) أي: يصل العرق إلى أفواههم ليصير لهم كاللجام يمنعهم عن الكلام.

٥٥٤٠ ـ [٩] (المقداد) قوله: (كمقدار ميل) الظاهر أن المراد ميل الفرسخ، وكفى

---

(١) «مشارق الأنوار» (١/ ٢٧٢).

فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُمُ الْعَرَقُ إِلْجَاماً»، وَأَشَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٨٦٤].

٥٥٤١ - [١٠] وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: يَا آدَمُ! فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ. قَالَ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ. قَالَ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِئَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، فَعِنْدَهُ يَشِيبُ الصَّغِيرُ، ....

ذلك في تعذيبهم وإيذائهم، وأما احتمال إرادة ميل المكحلة فبعيد، وقد قيل به.

وقوله: (**إلى حقويه**) الحقو بفتح الحاء المهملة وسكون القاف: موضع شد الإزار.

٥٥٤١ - [١٠] (**أبو سعيد الخدري**) قوله: (**وما بعث النار؟**) أي: ما مقدار بعث النار، والبعث: الجيش الذي يبعث.

وقوله: (**من كل ألف تسع مئة وتسعة وتسعين**) هكذا في نسخ (المشكاة) و(المصابيح)، وتقديره: أخرج من كل ألف هذا العدد، وفي (الدر المنثور)[1] للسيوطي لفظ الحديث: (تسع مئة وتسعة وتسعون) بالرفع، وهو ظاهر في جواب (وما بعث النار) أي: بعث النار هذا، ثم هذا يخالف ما جاء في حديث أبي هريرة: (من كل مئة تسعة وتسعون)، وأجاب الكرماني[2]: بأن مفهوم العدد لا اعتبار له، والمقصود من

---

(١) «الدر المنثور» (٦/ ٤).

(٢) «شرح الكرماني» (٢٣/ ٣٨).

﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾[الحج: ٢]، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! وَأَيُّنَا ذَلِكَ الْوَاحِدُ؟ قَالَ: «أَبْشِرُوا فَإِنَّ مِنْكُمْ رَجُلاً وَمِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفٌ»، . . . .

العددين تقليل عدد المؤمنين وتكثير عدد الكافرين، ويمكن حمل حديث أبي سعيد على جميع ذرية آدم، ويحمل حديث أبي هريرة على من عدا يأجوج ومأجوج.

ويستأنس لهذا التأويل بأن يأجوج ومأجوج ذكروا في حديث أبي سعيد دون حديث أبي هريرة، ويحتمل أن يكون الأول يتعلق بالخلق أجمعين، والثاني مخصوص بهذه الأمة المرحومة، وأن يكون المراد بـ (بعث النار): الكفار ومن يدخل النار من العصاة، فيكون من كل ألف تسع مئة وتسعين كافراً، ومن مئة تسعة وتسعين عاصياً، كذا قال الشيخ ابن حجر[1].

وقوله: (﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾) قال المفسرون: إنه في معنى الشرط أي: إن وجدت ذات حمل، وأول بعضهم بأن ذلك قبل قيام الساعة، أي: عند أشراطها، لكن صدر الحديث لا يلائمه، نعم وقد وقع في التنزيل وضع الأحمال في زلزلة الساعة وذلك في أشراطها، وقيل: يحتمل أن يبعث من يكون حاملاً، انتهى.

أقول: وهكذا ينبغي أن يؤول في الصغار بأنهم يبعثون صغاراً فيشيبون، ثم يجعلون في الجنة شباباً، والظاهر أن هذا كناية عن شدة المحنة والهم والحزن من غير نظر إلى خصوص معاني المفردات، والله أعلم.

وقوله: (**وأينا ذلك الواحد؟**) لما سمعوا أن أهل الجنة واحد من ألف استعظموا ذلك واستشعروا الخوف منه، بأنه لما كان الأمر كذلك كان أهل الجنة أقل قليل، فمن

---

(١) «فتح الباري» (١١/ ٣٩٠).

ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ» فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: «أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ» فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ[١]: «أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ» فَكَبَّرْنَا، قَالَ: «مَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَبْيَضَ، أَوْ كَشَعْرَةٍ بَيْضَاءَ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَسْوَدَ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٣٤٨، م: ٢٢٢].

٥٥٤٢ ـ [١١] وَعَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «يَكْشِفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ فَيَسْجُدُ[٢] لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيَا رِيَاءً وَسُمْعَةً، ....

يكون منا أهلاً لها؟ فلا همّ بأن هؤلاء الأكثرين الذين هم بعث النار يأجوج ومأجوج، فإنهم في الكثرة على حد لو كان واحد من ألف من الناس من أهل الجنة لكانوا أكثرين.

ثم أشار إلى أن الأمم السالفة ما عدا يأجوج ومأجوج أيضاً في غاية الكثرة بحيث يفوقون الحصر حتى لو كنتم نصف أهل الجنة لكنتم واحداً من ألف من مجموع الناس غيركم لكونكم في غاية القلة بالنسبة إليهم، وإليه أشار بقوله: **(ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض أو كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود)**.

وقوله: **(فكبرنا)** قالوا: ذلك استبشار وتعظيم بهذه النعمة.

٥٥٤٢ ـ [١١] (وعنه) قوله: **(يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن. . . إلخ)**، قيل: هذا من المتشابهات فلا يتعرض له، وقيل: يأول بشدة

---

(١) في نسخة: «قال».

(٢) وفي نسخة: «ويسجد».

فَيَذْهَبُ لِيَسْجُدَ فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقاً وَاحِداً». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٤٩١٩، م: ١٨٣].

٥٥٤٣ ـ [١٢] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لاَ يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ». وَقَالَ: «اقْرَؤُوا: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥]». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٤٧٢٩، م: ٢٧٨٥].

الأمر وعظمته يعني أنه تعالى يأخذهم بالشدائد كمن يكشف عن ساقه بالتشمير في أمر، فالإضافة إلى الرب إيذان بأن الساق هي الشدة التي لا يجليها لوقتها إلا هو، وقد وقع منكراً في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢]، والإضافة في الحديث لمعنى ذكرنا، وقد سبق ذكره في آخر (باب لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس).

وقوله: (**فيعود ظهره طبقاً**) في (القاموس)[1]: الطبق: عظم رقيق يفصل بين كل فَقَارين، والمراد أنه يصير ظهره عظماً واحداً ليس بين فقراته مفاصل يتيسر الرفع والخفض في السجود.

٥٥٤٣ ـ [١٢] (أبو هريرة) قوله: (**اقرؤوا: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾**) أول الآية: ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ﴾ الآية [الكهف: ١٠٤ ـ ١٠٥] وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ الآية [المنافقون: ٤].

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٨٣١).

* الْفَصْلُ الثَّانِي:

٥٥٤٤ ـ [١٣] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾[الزلزلة: ٤]، قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا أَخْبَارُهَا؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «فَإِنَّ أَخْبَارَهَا أَنْ تَشْهَدَ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ وَأَمَةٍ بِمَا عَمِلَ عَلَى ظَهْرِهَا أَنْ تَقُولَ: عَمِلَ عَلَيَّ كَذَا وَكَذَا يومَ كَذَا وَكَذَا». قَالَ: «فَهَذِهِ أَخْبَارُهَا». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ.

[حم: ٢/ ٣٧٤، ت: ٢٤٢٩].

٥٥٤٥ ـ [١٤] وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَمُوتُ إِلاَّ نَدِمَ». قَالُوا: وَمَا نَدَامَتُهُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «إِنْ كَانَ مُحْسِناً نَدِمَ أَنْ لاَ يَكُونَ ازْدَادَ، وَإِنْ كَانَ مُسِيئاً نَدِمَ أَنْ لاَ يَكُونَ نَزَعَ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢٤٠٣].

٥٥٤٦ ـ [١٥] وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلاَثَةَ أَصْنَافٍ: صِنْفاً مُشَاةً، وَصِنْفاً رُكْبَاناً، . . . .

الفصل الثاني

٥٥٤٤ ـ [١٣] (أبو هريرة) قوله: (على كل عبد وأمة) أي: كل ذكر وأنثى، فإن الذكور عباد الله والإناث إماؤه.

٥٥٤٥ ـ [١٤] (وعنه) وقوله: (ازداد) أي: إحساناً، فإن كان ازداد لازماً كما هو الأكثر فالمحذوف تمييز، وإن كان متعدياً فهو مفعول به.

وقوله: (نزع) أي: نفسه عن الإساءة.

٥٥٤٦ ـ [١٥] (وعنه) قوله: (صنفاً مشاةً، وصنفاً ركباناً) وهذان الصنفان هم

وَصِنْفاً عَلَى وُجُوهِهِمْ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ! وَكَيْفَ يَمْشُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ؟ قَالَ: «إِنَّ الَّذِي أَمْشَاهُمْ عَلَى أَقْدَامِهِمْ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُمْ عَلَى وُجُوهِهِمْ، أَمَا إِنَّهُمْ يَتَّقُونَ بِوُجُوهِهِمْ كُلَّ حَدَبٍ وَشَوْكٍ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣١٤٢].

٥٥٤٧ ـ [١٦] وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأْيُ عَيْنٍ فَلْيَقْرَأْ: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾[التكوير: ١]، و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾[الانفطار: ١]، و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾[الانشقاق: ١]». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ. [حم: ٢/ ٢٧، ت: ٣٣٣٣].

* الْفَصْلُ الثَّالِثُ:

٥٥٤٨ ـ [١٧] عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: إِنَّ الصَّادِقَ الْمَصْدُوقَ ﷺ حَدَّثَنِي: «أَنَّ النَّاسَ يُحْشَرُونَ ثَلَاثَةَ أَفْوَاجٍ: ....

أهل الإيمان عوامهم وخواصهم.

وقوله: (يتقون بوجوههم كل حدب وشوك) الحدب بفتحتين: الغليظ المرتفع من الأرض، أي: يجعلون وجوههم مكان الأيدي والأرجل في التوقي عن مؤذيات الطرق والمشي إلى المقصد، وقد غلت أيديهم وأرجلهم، وذلك لما لم يجعلوها ساجدة لخالقها، والمقصود بيان ثبوت المشي المتعارف لهم لا إثبات التوقي قصداً، فافهم.

٥٥٤٧ ـ [١٦] (ابن عمر) قوله: (من سره أن ينظر) كان السرور من جهة حصول مزيد الإيمان والإيقان.

الفصل الثالث

٥٥٤٨ ـ [١٧] (أبو ذر) قوله: (يحشرون) فيه من الاختلاف ما سبق في حديث

فَوْجاً رَاكِبِينَ طَاعِمِينَ كَاسِينَ، وَفَوْجاً تَسْحَبُهُمُ الْمَلاَئِكَةُ عَلَى وُجُوهِهِمْ وَتَحْشُرُهُمُ النَّارُ، وَفَوْجاً يَمْشُونَ وَيَسْعَوْنَ وَيُلْقِي اللهُ الآفَةَ عَلَى الظَّهْرِ، فَلاَ يَبْقَى حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَتَكُونُ لَهُ الْحَدِيقَةُ يُعْطِيهَا بِذَاتِ الْقَتَبِ لاَ يَقْدِرُ عَلَيْهَا». رَوَاهُ النَّسَائِيُّ. [ن: ٢٠٨٦].

❖ ❖ ❖

٣ ـ باب الحساب والقصاص والميزان

أبي هريرة في (الفصل الأول) من أن هذا الحشر قبل يوم القيامة من أشراطها أو بعده حين يبعث الموتى من القبور، وسباق الحديث وسياقه ينظر إلى الأول، فتأمل.

وقوله: (**تسحبهم الملائكة**) أي: تجرهم، سحبه: جرّه على وجه الأرض فانسحب.

وقوله: (**وتحشرهم النار**) بالرفع كما تدل عليه الأحاديث الأخر كقوله: (ستخرج نار من [نحو] بحر حضرموت تحشر الناس)[1]، وقد ينصب، أي: تحشر الملائكة لهم النار، وتلزمهم إياها حتى لا تفارقهم، وفي بعض النسخ: (تحشرهم إلى النار).

وقوله: (**على الظهر**) أي: المركوب، والمراد (**بذات القتب**) الإبل؛ لأن القتب محركة للجمل كالإكاف لغيره.

٣ ـ باب الحساب والقصاص والميزان

الحساب مصدر حسبه حسباً وحسباناً بالضم، وحسباناً وحساباً وحسبة بكسرهن:

---

(١) أخرجه الترمذي في «سننه» (٢٢١٧).

* الْفَصْلُ الأَوَّلُ:

٥٥٤٩ ـ [١] عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلاَّ هَلَكَ». قُلْتُ: أَوَ لَيْسَ يَقُولُ اللهُ: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٨] فَقَالَ: «إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرْضُ، وَلَكِنْ مَنْ نُوقِشَ فِي الْحِسَابِ يَهْلِكُ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ١٠٣، م: ٢٨٧٦].

٥٥٥٠ ـ [٢] وَعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْكُم مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ...............

عَدَّهُ، والمعدود: محسوبٌ، والقصاص: أن يفعل بالشخص مثل ما فعله من قتل أو قطع أو ضرب أو جرح، وهو في الأصل بمعنى المساواة، والميزان: عبارة عما تعلم به مقادير الأعمال، والجمهور على أنه ميزان حقيقة لـه لسان وكفتان توزن به صحائف الأعمال، وقيل: توزن الأشخاص، وقيل: تصور الحسنات بالصور الحسنة، والسيئات بالسيئة، وأوّلَ البعض الوزن بمقابلة الأعمال بالجزاء، والميزان تمثيل وتصوير لإرصاد الحساب، وقد جاء: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ﴾[الأنبياء: ٤٧]، والجمع باعتبار أنواع الأعمال، أو يكون لكل أحد من المكلفين ميزانٌ، والله أعلم.

الفصل الأول

٥٥٤٩ ـ [١] (عائشة) قوله: (إنما ذلك العرض) أي: الحساب اليسير عرض الأعمال على العبد من غير مناقشة واستقصاء، وإنما المراد بقولنا: (من حوسب): من نوقش في الحساب، والمناقشة: الاستقصاء في الحساب، كذا في (القاموس)[١].

٥٥٥٠ ـ [٢] (عدي بن حاتم) قوله: (ترجمان) هو بفتح مثناة وقد تضم وضم

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٥٦٢).

وَلاَ حِجَابٌ يَحْجُبُهُ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلاَ يَرَى إِلاَّ مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلاَ يَرَى إِلاَّ مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلاَ يَرَى إِلاَّ النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٦٥٣٩، م: ١٠١٦].

٥٥٥١ ـ [٣] وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: . . . .

جيم وقد يفتحان، كذا قال الكرماني[1]، وهو المفسر للسان بلسان، وقد ترجمه عنه، والفعل يدل على أصالة التاء.

وقوله: (**فينظر أيمن**) وكذا قوله: (**وينظر أشأم منه**) النصب في (أيمن) و(أشأم) على الظرفية، والمراد جانب اليمين والشمال، وفي (القاموس)[2]: الشأمة والمشأمة: ضد اليمنة والميمنة، واليد الشؤمى: ضد اليمنى، انتهى. وفي (مجمع البحار)[3] في صفة الإبل: ولا يأتي خيرها إلا من جانبها الأشأم يعني الشمال، ومنه لليد الشمال: الشؤمى، تأنيث الأشأم، يريد بخيرها لبنها؛ لأنها إنما تحلب وتركب من الجانب الأيسر، ومنه حديث: (فينظر أيمن منه وأشأم منه).

وقوله: (**ولو بشق تمرة**) له معنيان؛ أحدهما: فاتقوا النار ولا تظلموا أحداً ولو بشق تمرة، وثانيهما: اتقوها ولو بتصدق شق تمرة، وقد أورد هذا الحديث في (باب الصدقة)، وقد أشار بذكره في الموضعين إلى صحة إرادة المعنيين، والثاني أظهر، والله أعلم.

٥٥٥١ ـ [٣] (ابن عمر) قوله: . . . .

---

(١) «شرح الكرماني» (٢٣/ ٤٤).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ١٠٣٧).

(٣) «مجمع بحار الأنوار» (٣/ ١٧٠).

«إِنَّ اللهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُول: نَعَمْ أَيْ رَبِّ، حَتَّى قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ قَدْ هَلَكَ. قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ فَيُنَادَى بِهِمْ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[هود: ١٨]». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٢٤٤١، م: ٢٧٦٨].

٥٥٥٢ ـ [٤] وَعَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ دَفَعَ اللهُ إِلَى كُلِّ مُسْلِمٍ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا، فَيَقُولُ: هَذَا فَكَاكُكَ مِنَ النَّارِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٧٦٧].

(كنفه) يقال: أنت في كنف الله تعالى محركة، أي: في حرزه وستره، وهو الجانب، والظل، والناحية، ومن الطائر: جناحه، كذا في (القاموس)[1]، وذلك لئلا يفتضح عند أهل المحشر ويخزى.

٥٥٥٢ ـ [٤] (أبو موسى) قوله: (هذا فكاكك من النار) فك الرهن فكًّا وفكوكاً: خلّصه، كافْتكّه، وفك الأسير فكًّا وفكاكاً: خلّصه، وفكاك الرهن بفتح الفاء ويكسر: ما يفك به، ولما كان لكل مكلف مقعد في الجنة ومقعد من النار فلما دخل المؤمن الجنة صار الكافر كالفكاك للمؤمنين خلص به عن النار، ولم يرد به تعذيب الكتابي بما اجترحه المسلم من الذنوب؛ لأنه لا يعذب أحد بذنوب أحد، وتخصيص اليهود والنصارى بالذكر لاشتهارهم لمضارة المسلمين، ومعرفة الحكم في غيرهم بطريق الأولى.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٧٨٥).

٥٥٥٣ ـ [٥] وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُجَاءُ بِنُوحٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ يَا رَبِّ! فَتُسْأَلُ أُمَّتُهُ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا جَاءَنَا مِنْ نَذِيرٍ. فَيُقَالُ: مَنْ شُهُودُكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ». فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَيُجَاءُ بِكُمْ فَتَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ»، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[البقرة: ١٤٣]. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٣٣٣٩].

٥٥٥٤ ـ [٦] وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَضَحِكَ فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مِمَّا أَضْحَكُ؟». قَالَ: قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ يَقُولُ: يَا رَبِّ! أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟». . . . .

٥٥٥٣ ـ [٥] (أبو سعيد) قوله: (محمد وأمته) لما كان محمد ﷺ مزكياً لهم وهو معنى قوله: ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[البقرة: ١٤٣]، وكان ﷺ بتزكيته مقرراً لشهادتهم ومثبتاً كان كأنه معهم في الشهادة، فلهذا قال: (محمد وأمته).

وقوله: (أمة وسطاً) والوسط محركة من كل شيء: أعدله، أي: عدولاً وخياراً.

قوله: (فقال رسول الله ﷺ: فيجاء بكم) الخطاب للصحابة، ويحتمل أن يكون للحاضرين من الأمة والغائبين على سبيل التغليب.

٥٥٥٤ ـ [٦] (أنس) وقوله: (ألم تجرني من الظلم؟) أجاره: أنقذه؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[الكهف: ٤٩]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾[النساء: ٤٠] وغيرهما من الآيات.

قَالَ: «يَقُولُ: بَلَى»، قَالَ: «فَيَقُـولُ: فَإِنِّي لاَ أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلاَّ شَاهِـداً مِنِّي». قَالَ: «فَيَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيداً وَبِـالْكِرَامِ الْكَاتِبِـينَ شُهُـوداً». قَالَ: «فَيُخْتَمُ عَلَى فِيـهِ فَيُقَالُ لأَرْكَانِـهِ: انْطِقِي». قَالَ: «فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلاَمِ». قَالَ: «فَيَقُولُ: بُعْـداً لَكُنَّ وَسُحْقـاً، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِـلُ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٩٦٩].

وقوله: (**فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهداً مني**) طلب العبد شاهداً من نفسه زاعماً أنه لا شاهد عليـه من نفسه؛ لأنـه لا يشهد أحد على نفسه، فهذا موضع غلطه ووقوعه فيما هرب عنه، وهذا الذي أضحك رسول الله ﷺ.

وقوله: (**وبالكرام الكاتبين**) هذا زيادة على المراد الأصلي وتأكيد له، وقد يدل مراده وملتمسه، فافهم.

وقوله: (**فيقال لأركانه: انطقي**) إفراد الضمير باعتبار جماعة الأركان.

وقولـه: (**ثم يخلى بينـه**) أي: بيـن العبـد (**وبين الكلام**) مع أركانه، (**فيقول**) العبد لأركانه، وهذا أيضاً محل الضحك. و(**السحق**) بالضم وضمتين: البعد، فيكون تأكيداً لقوله: (**بعداً**)، وله معان تناسب المراد وهـو السهك والدق، وسحقت الريح الأرض: عفت آثارها، وسحق الشيء الشديد: لينه، والثوب: أبلاه، والقملة: قتلها، وبالجملة فيه معنى الهلاك والفناء ونحوهما.

وقوله: (**كنت أناضل**) أي: أخاصم وأدافع، ناضل عنه: دافع، ونضلته: سبقته، وناضله مناضلة ونضالاً: باراه في الرمي، أي: عنكن كنت أخاصم الخصماء وأدافعهم عنكـن، وكنـت معيناً ناصراً لَكُنّ فـي الأمـور، ثـم شهدتـن عليّ، وفضحتموني فيّ وخذلتموني، وجاء هذا البلاء والفضح على هذا العبد لمخاطبة الرب تعالى واحتجاجه

٥٥٥٥ ـ [٧] وَعَن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «فَهَل تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي الظَّهِيرَةِ لَيْسَتْ فِي سَحَابَةٍ؟» قَالُوا: لاَ، قَالَ: «فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ فِي سَحَابَةٍ؟» قَالُوا: لاَ، قَالَ: ....

له تعالى منافياً لما تقتضيه العبودية والمسكنة، بخلاف العبد الأول الذي وضع عليه كنفه وستره وحفظه عن الفضح.

٥٥٥٥ ـ [٧] (أبو هريرة) قوله: (هل تضارون) روي بوجوه:

أحدها: بضم التاء وتشديد الراء من الضرر من باب المفاعلة كضره وضاره، ويحتمل أن يكون مبنيًّا للفاعل أو للمفعول، أي: لا تضارون بالمجادلة والمنازعة في صحة النظر إلى الشمس والقمر لوضوحهما وظهورهما، فلا يخالف بعضكم بعضاً ولا ينكره، بل كنتم متفقين على رؤيتهما.

وثانيهما: بفتح التاء وتشديد الراء من التفاعل أيضاً من الضرر، أصله تتضارون حذفت إحدى التائين مبنيًّا للفاعل، والمعنى ما ذكر.

ونقل في (مجمع البحار)[1] عن الجوهري: أضرني: إذا دنا مني دنوًّا شديداً، فيكون المراد بالمضارة الاجتماع والازدهام عند النظر، وقال القاضي عياض[2]: معناه لا تضايقون، والمضارة والمضايقة بمعنى قوله في الرواية الأخرى: تضامون، والمضايقة إنما تكون في الشيء يرى في حين واحد، وجهة مخصوصة، وقدر مقدور، والله تعالى متعال عن الأقدار والأحواز. وقيل: معناه لا يحجب بعضكم عن رؤيته فيضره بذلك،

---

(١) «مجمع بحار الأنوار» (٣/ ٣٩٩).

(٢) «مشارق الأنوار» (٢/ ٥٧).

«فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَـةِ رَبِّكُمْ إِلاَّ كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا». قَالَ: «فَيَلْقَى الْعَبْدَ فَيَقُولُ: أَيْ فُلْ! ....

وقيل: لا تضارون: لا يمنعكم منه مانع.

وثالثها: بضم التاء وتخفيف الراء من الضير بمعنى الضر على صيغة المجهول.

ورابعها: بفتح التاء وتخفيف الراء على لفظ المعلوم، والأصل تضيرون فأبدلت الياء ألفاً.

وخامسها: لا تضامون بضم التاء وتشديد الميم من الضم من المفاعلة مبنيا للفاعل أو للمفعول.

وسادسها: بفتح التاء من التفاعل.

وسابعها: بضم التاء وتخفيف الميم من الضم على صيغة المجهول.

وثامنها: تضامون بالفتح والتخفيف.

ومآل المعنى في الجميع واحد، والاعتماد على الرواية، هذا والمشهور هو بضم التاء تشديداً وتخفيفاً، وبالراء والميم، ورواية فتح التاء أيضاً ثابتة، فتدبر.

وقوله: (**إلا كما تضارون في رؤيـة أحدهما**) هـو من قبيل: لا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن سلول، و(أنا أفصح العرب بيد أني من قريش).

وقوله: (**فيلقى العبد**) الضمير لله فاعله، و(العبد) مفعوله، أي: عبداً من عباده.

وقوله: (**أي فل**) الرواية المشهورة بسكون اللام مبنيًّا عليه، ولذا قالوا: إنه اسم برأسه بمعنى فلان، وليس ترخيماً له، وإلا لكان مفتوح اللام أو مضمومه على المذهبين في الترخيم، ونقل عن سيبويه أنـه صيغـة مرتجلـة في بـاب النداء، وعند بعضهم في غير النداء أيضاً، وأيضاً لا يجوز حذف الألف والنـون معاً في مثلـه لعدم بقـاء ثلاثـة

أَلَمْ أُكْرِمْكَ وَأُسَوِّدْكَ وَأُزَوِّجْكَ وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالإِبِلَ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ فَيقُولُ: بَلَى»، قَالَ: «فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلاقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لاَ، فَيَقُولُ: فَإِنِّي قَدْ أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي، ثُمَّ يَلْقَى الثَّانِيَ فَذَكَرَ مِثْلَهُ، ثُمَّ يَلْقَى الثَّالِثَ فَيَقُولُ لَهُ مثل ذَلِك، فيَقُول: يَا رَبِّ! آمَنْتُ بِكَ وَبِكِتَابِكَ وَبِرُسُلِكَ، وَصَلَّيْتُ وَصُمْتُ وَتَصَدَّقْتُ، ....

أحرف كمروان، وقيل: ترخيم، والرواية بالفتح والضم ثابتة، وحذف النون للترخيم والألف بسكونها، وفيه ما فيه.

وقوله: **(وأسودك)** أي: أجعلك سيداً، و**(أذرك)** أي: أدعك، **(ترأس)** تصير رئيس القوم، **(وتربع)** أي: تأخذ الربع، وكان رئيس القوم في الجاهلية يأخذ ربع الغنيمة.

وقوله: **(ملاقي)** بالتشديد بإدغام الياء المحذوفة العائدة بحذف التنوين في ياء المتكلم.

وقوله: **(فإني قد أنساك)** في الجزاء **(كما نسيتني)** في الشكر، ونسبة النسيان إلى الله سبحانه إما على المجاز عن الترك أو بطريق المشاكلة، وفي نسبة النسيان إلى العبد تغليب؛ لأنه قد يكون بطريق التعمد والتكبر أيضاً، فافهم.

وقوله: **(فذكر مثله)** أي: ذكر رسول الله ﷺ مثل ما ذكر في الأول من سؤال الله وجواب العبد، ويحتمل أن المعنى فذكر الله تعالى، أي: سأله مثل ما سأل الأول، وجواب العبد مطوي الذكر، لكن الوجه هو الأول، والظاهر على الثاني: فيذكر أو فيقول، كما ذكر من قوله: **(فيقول له)** أي: الله للعبد **(مثل ذلك)** أي: السؤال، غير أن جواب العبد هنا على خلاف الأولين، فهنا ادعى العبد الشكر فكذب ورد عليه، وفيهما

وَيُثْنِي بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَ، فَيَقُولُ: هَاهُنَا إِذاً، ثُمَّ يُقَالُ: الآنَ نَبْعَثُ شَاهِداً عَلَيْكَ، وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ: مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ؟ فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، وَيُقَالُ لِفَخِذِهِ: انْطِقِي، فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ، وَذَلِكَ لِيُعْذِرَ مِنْ نَفْسِهِ، وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ، وَذَلِكَ الَّذِي سخطَهُ اللهُ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٩٦٨]. وذُكِرَ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ: «يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي الْجَنَّةَ» فِي «بَابِ التَّوَكُّلِ» بِرِوَايَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

* الْفَصْلُ الثَّانِي:

٥٥٥٦ ـ [٨] عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: . . .

اعترف بحقيقة الحال.

وقوله: (فيثني) أي: العبد على نفسه (بخير) كثير (فيقول) أي: الله تعالى (هاهنا إذا) أي: إذا أثنيت على نفسك بما أثنيت فاثبت وقِفْ هناك نريك أعمالك بإقامة الشاهد عليها، (فيختم) على صيغة المضارع المجهول، ويجوز أن يكون بلفظ المعلوم. (ويقال لفخذه: انطقي) لعل تخصيص الفخذ إشارة إلى الشنيعة الفاحشة، أعني: الزنا، وكذا اللحم والعظام، والمذكور في القرآن شهادة الأيدي والأرجل والألسن والجلود، فافهم.

وقوله: (وذلك) أي: المذكور من السؤال والجواب ونطق الفخذ وغيرها، (ليعذر) الرواية ببناء الفاعل من الإعذار، أي: يزيل عذره من قبل نفسه فالهمزة للإزالة، وقيل: يصيّره الله ذا عذر في تعذيبه من قبل نفس العبد.

الفصل الثاني

٥٥٥٦ ـ [٨] (أبو أمامة) قوله: . . . .

«وَعَدَنِي رَبِّي أَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفاً لاَ حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلاَ عَذَابَ، مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفاً وَثَلاَثُ حَثَيَاتٍ مِنْ حَثَيَاتِ رَبِّي». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ. [حم: ٥/ ٢٦٨، ت: ٢٤٣٧، جه: ٤٢٨٦].

٥٥٥٧ ـ [٩] وَعَنِ الْحَسَنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُعْرَضُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلاَثَ عَرَضَاتٍ: فَأَمَّا عَرْضَتَانِ فَجِدَالٌ وَمَعَاذِيرُ، وَأَمَّا الْعَرْضَةُ الثَّالِثَةُ فَعِنْدَ ذَلِكَ تَطِيرُ الصُّحُفُ فِي الأَيْدِي فَآخِذٌ بِيَمِينِهِ وَآخِذٌ بِشِمَالِهِ». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ، ....

(سبعين ألفاً . . . إلخ)، كناية عن الكثرة والمبالغة فيها.

وقوله: (ثلاث) بالرفع عطف على (سبعون)، وهذا أشدّ مبالغة من نصبه عطفاً على (سبعين)، إذ يفيد كون ثلاث حثيات مع كل ألف من سبعين ألفاً، وعلى تقدير النصب يفيد كونها مع سبعين ألفاً، والحثية ما يعطي المعطي بكفيه دفعة واحدة.

٥٥٥٧، ٥٥٥٨ ـ [٩، ١٠] (الحسن) قوله: (فجدال ومعاذير) المراد بالجدال: دفع الذنوب بإنكار إبلاغ الرسل، وبعدم ثبوت صدقهم عندهم، والمعاذير: عبارة عن اعتراف العبد بالذنوب، والاعتذار بالسهو والنسيان، وكونهم مضطرين مجبورين، وأما في العرضة الثالثة فيثبت الحجة عليهم ويحق الحق بثبوت صدق الأنبياء بشهادة الملائكة ومحمد ﷺ وأمته على ذلك.

وقوله: (فآخذ بيمينه وآخذ بشماله) بلفظ اسم الفاعل، أي: فمنهم من يأخذ الصحيفة بيمينه، ومنهم من يأخذها بشماله، فتتم القضية ويرتفع الجدال والمعاذير.

وَقَالَ: لاَ يَصِحُّ هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ قِبَلِ أَنَّ الْحَسَنَ لَمْ يَسْمَعْ مِنْ أَبِي هُرَيْرَةَ. [ت: ٢٤٢٥].

٥٥٥٨ ـ [١٠] وَقَدْ رَوَاهُ بَعْضُهُمْ عَنِ الْحَسَنِ عَنْ أَبِي مُوسَى.

وقوله: **(من قبل أن الحسن لم يسمع من أبي هريرة)** وُلِد الحسن البصري لسنتين بقيتا من خلافة عمر ﷺ، وتوفي في مستهل رجب من سنة عشر ومئة، وكان عمره ثمان وثمانين سنة، وتوفي أبو هريرة سنة سبع، وقيل: ثمان، وقيل: تسع وخمسين سنة، وهو ابن ثمان وسبعين، فلا شك أن صحبته معه وسماعه منه ممكن، ولكن ثبوت السماع شيء آخر، فلعله لم يثبت عند أهل الأخبار، كما أنهم لم يثبتوا سماع الحسن عن علي ﷺ مع وجود إمكانه[1]، وكما أن إمكان صحبة أبي حنيفة مع الصحابة ممكن لوجود عدة نفر منهم في زمانه مع أن الشافعية يقولون: لم يثبت ذلك عند أهل العلم بالأخبار، وذلك ليس ببعيد، والله أعلم.

وروي أن الحسن البصري كان يقول: حدثنا أبو هريرة، ويأول أهل المدينة كما كان يقول: خطبنا ابن عباس بالبصرة، ويريد: أهلها، مع أنه لم يسمع منها[2]، هذا وقد قال الشيخ الجزري في (تصحيح المصابيح): إن البخاري أخرج في (صحيحه) للحسن عن أبي هريرة ثلاثة أحاديث وبيّنها، وقال: وأما مسلم فلم يخرج للحسن عن أبي هريرة ﷺ شيئاً، كذا قال بعض شارحي (المشكاة)[3].

---

(١) وفي «جامع الأصول» (١٢/ ٣٠٨): قيل: إن الحسن البصري لقي [عليًّا] بالمدينة، وأما بالبصرة فإن رؤيته إياه لم تصح، لأنه كان في وادي القرى متوجهاً نحو البصرة حين قدم علي بن أبي طالب [البصرة].

(٢) وتوفي ابن عباس سنة ثمان وستين بالطائف.

(٣) وهو ميرك شاه رحمة الله عليه. وانظر: «مرقاة المفاتيح» (٨/ ٣٥٣٠).

٥٥٥٩ ـ [١١] وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الْخَلاَئِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلاًّ، كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئاً؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُوْنَ؟ فَيَقُولُ: لاَ، يَا رَبِّ! فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ قَالَ: لاَ، يَا رَبِّ! فَيَقُولُ: بَلَى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، وَإِنَّهُ لاَ ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتُخْرَجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: أُحْضُرْ وَزْنَكَ. فَيَقُولُ: يَا رَبِّ! مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلاَّتِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّكَ لاَ تُظْلَمُ، قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلاَّتُ فِي كِفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلاَّتُ وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ، ....

٥٥٥٩ ـ [١١] **(عبدالله بن عمرو)** قوله: **(سجلاً)** السجل بكسرتين وتشديد اللام: الكتاب الكبير، و**(البطاقة)** على وزن الكتابة: الرقعة الصغيرة المنوطة بالثوب التي فيها رقم ثمنه، سميت بها لأنها تشد بطاقة من [هدب] الثوب، كذا في (القاموس)[1]. قال الطيبي[2]: فتكون الباء حينئذ زائدة، انتهى. وكأنه أبقيت الباء الجارة التي هي صلة الفعل وهي لغة أهل مصر، وليس مادة (بطق)، ومشتقاته مذكورة في الكتب.

وقوله: **(فيقول: إنك لا تظلم)** أي: هذه البطاقة وإن كانت حقيرة خفيفة في نظرك لكنها عظيمة ثقيلة في نفس الأمر، فلو تركناه لزم الظلم، أو المراد لا نترك من عملك شيئاً جليلاً كان أو حقيراً؛ لئلا يلزم الظلم عليك فلا بد من وزنها.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٨٠١).

(٢) «شرح الطيبي» (١٠/ ١٨٢).

فَلاَ يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ. [ت: ٢٦٣٩، جه: ٤٣٠٠].

٥٥٦٠ - [١٢] وَعَنْ عَائِشَةَ: أَنَّهَا ذَكَرَتِ النَّارَ فَبَكَتْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا يُبْكِيكِ؟». قَالَتْ: ذَكَرْتُ النَّارَ فَبَكَيْتُ، فَهَلْ تَذْكُرُونَ أَهْلِيكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَمَّا فِي ثَلاَثَةِ مَوَاطِنَ فَلاَ يَذْكُرُ أَحَدٌ أَحَداً: عِنْدَ الْمِيزَانِ حَتَّى يَعْلَمَ أَيَخِفُّ مِيزَانُهُ أَمْ يَثْقُلُ؟ وَعِنْدَ الْكِتَابِ حِينَ يُقَالُ: ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩] حَتَّى يَعْلَمَ أَيْنَ يَقَعُ كِتَابُهُ أَفِي يَمِينِهِ أم فِي شِمَاله؟ أم مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ؟ وَعِنْدَ الصِّرَاطِ إِذَا وُضِعَ بينَ ظَهْرِي جَهَنَّم». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٤٧٥٥].

وقوله: (فلا يثقل مع اسم الله شيء) أي: ذكر الله يترجح عن جميع المعاصي ويمحها.

٥٥٦٠ - [١٢] (عائشة) قوله: (أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحداً) قد يأتي من حديث أنس في (الفصل الثاني) من (باب الحوض والشفاعة) ما يدل على أنه ﷺ يشفع في هذه المواطن كيف لا؟

هو الحبيب الذي ترجى شفاعته ... في كل هول من الأهوال مقتحم

ووجه التوفيق أنه إنما قال هذا لعائشة مبالغة في أن هذه المواطن ليست مما يتيسر فيها أن يذكر فيها أحد أحداً؛ لئلا تتكل على أنها حرم رسول الله ﷺ، وقال لأنس ذلك لئلا ييأس.

وقوله: (أم من وراء ظهره) هكذا في (سنن أبي داود)، وفي بعض نسخ

* الْفَصْلُ الثَّالِثُ:

٥٥٦١ ـ [١٣] عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: جَاءَ رَجُلٌ فَقَعَدَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ لِي مَمْلُوكِينَ يَكْذِبُونَنِي، وَيَخُونُونَنِي، وَيَعْصُونَنِي، وَأَشْتِمُهُمْ وَأَضْرِبُهُمْ، فَكَيْفَ أَنَا مِنْهُمْ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يُحْسَبُ مَا خَانُوكَ وَعَصَوْكَ وَكَذَّبُوكَ، وَعِقَابُكَ إِيَّاهُمْ، فَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ بِقَدْرِ ذُنُوبِهِمْ كَانَ كَفَافاً لاَ لَكَ وَلاَ عَلَيْكَ، وَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ دُونَ ذَنْبِهِمْ كَانَ فَضْلاً لَكَ، وَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ فَوْقَ ذُنُوبِهِمْ. . .

(المصابيح): (أو من وراء ظهره)، والأول أوفق للجمع بين الآيتين، كذا قال الطيبي[1]. وقال البيضاوي[2] في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾[الانشقاق: ١٠] أي: يؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره، قيل: تغل يمناه إلى عنقه وتجعل يسراه وراء ظهره، انتهى.

الفصل الثالث

٥٥٦١ ـ [١٣] (عائشة) قوله: (يكذبونني) بالتخفيف من الكذب، أي: يقولون كذباً.

وقوله: (فكيف أنا منهم؟) أي: من أجلهم وضربهم وشتمهم هل أعاقب على ذلك؟

وقوله: (كان فضلاً لك) الظاهر أنه يقتص له منهم كما قال في القسم الأخير: (اقتص لهم منك الفضل)، وكأنه إنما لم يذكر هاهنا الاقتصاص تشديداً عليه واهتماماً

---

(١) «شرح الطيبي» (١٠/ ١٨٣).

(٢) «تفسير البيضاوي» (٥/ ٢٩٧).

أُقْتُصَّ لَهُمْ مِنْكَ الْفَضْلُ، فَتَنَحَّى الرَّجُلُ وَجَعَلَ يَهْتِفُ وَيَبْكِي، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَمَا تَقْرَأُ قَوْلَ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾» [الأنبياء: ٤٧]، فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَا أَجِدُ لِي وَلِهَؤُلاَءِ شَيْئاً خَيْراً مِنْ مُفَارَقَتِهِمْ، أُشْهِدُكَ أَنَّهُمْ كُلَّهُمْ أَحْرَارٌ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣١٦٥].

٥٥٦٢ ـ [١٤] وَعَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ فِي بَعْضِ صَلاَتِهِ: «اللهُمَّ حَاسِبْنِي حِسَاباً يَسِيراً». قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ! مَا الْحِسَابُ الْيَسِيرُ؟ قَالَ: «أَنْ يَنْظُرَ فِي كِتَابِهِ فَيُتَجَاوَزَ عَنْهُ، إِنَّهُ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَوْمَئِذٍ يَا عَائِشَةُ! هَلَكَ». رَوَاهُ أَحْمَدُ. [٦/ ٤٨].

٥٥٦٣ ـ [١٥] وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ: أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: أَخْبِرْنِي مَنْ يَقْوَى عَلَى الْقِيَامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِي قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؟ [المطففين: ٦]، فَقَالَ: «يُخَفَّفُ عَلَى الْمُؤْمِنِ حَتَّى يَكُونَ عَلَيْهِ كَالصَّلاَةِ الْمَكْتُوبَةِ».

بذكر الاقتصاص لهم منه كما يشعر به سياق الحديث من قوله: (فتنحى الرجل وجعل . . . إلخ).

٥٥٦٢ ـ [١٤] (وعنها) قوله: (أن ينظر) أي: العبد، كذا قال الطيبي[1]: ولو جعل الضمير لله لكان أيضاً جائزاً.

٥٥٦٣ ـ [١٥] (أبو سعيد الخدري) قوله: (كالصلاة المكتوبة) أقلها ركعتان،

---

(١) «شرح الطيبي» (١٠/ ١٨٤).

٥٥٦٤ ـ [١٦] وَعَنْهُ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ ﴿يَوۡمٍ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٍ﴾ مَا طُولُ هَذَا الْيَوْمِ؟ فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُ لَيُخَفَّفُ عَلَى الْمُؤْمِنِ حَتَّى يَكُونَ أَهْوَنَ عَلَيْهِ مِنَ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ يُصَلِّيهَا فِي الدُّنْيَا». رَوَاهُمَا الْبَيْهَقِيُّ فِي كِتَابِ «الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ».

٥٥٦٥ ـ [١٧] وَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «يُحْشَرُ النَّاسُ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُنَادِي مُنَادٍ فَيَقُولُ: أَيْنَ الَّذِينَ كَانَتْ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ؟ فَيَقُومُونَ وَهُمْ قَلِيلٌ، ....

وخص المكتوبة لأن أداءها أهون لإسقاط الذمة وامتثال الأمر.

٥٥٦٤ ـ [١٦] (وعنه) قوله: (ما طول هذا اليوم) استفهام على سبيل التعجب والاستغراب.

٥٥٦٥ ـ [١٧] (أسماء بنت يزيد) قوله: (يحشر الناس في صعيد واحد) في (القاموس)[١]: الصعيد: التراب، أو وجه الأرض، وفسره شارحو الحديث بأرض واسعة مستوية كما جاء في حديث آخر: (أصبح صعيداً بيضاء يزلق عليها لملاستها)، وتفسيره في قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ﴾[إبراهيم: ٤٨]، وقد مرّ.

وقوله: (فينادي) النداء بالكسر: الصوت، وقد يضم النون مثل الدعاء، وكذا في (الصحاح)[٢].

وقوله: (الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع) فسروه بقيام الليل، وقيل: كان من الصحابة يصلون من المغرب إلى العشاء فنزلت فيهم.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٢٧٩).

(٢) «الصحاح» (٦/ ٢٥٠٥).

فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، ثُمَّ يُؤمَرُ لِسَائِـرِ النَّاسِ إِلَى الْحِسَابِ». رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ». [شعب: ٢٩٧٤].



٤ ـ باب الحوض والشفاعة

٤ ـ باب الحوض والشفاعة

في (القاموس)[1]: الحوض معروف من حاض الماء: جمعه، ومنه حاضت المرأة: سال دمها، والمراد هنا الحوض الذي يكون للنبي ﷺ يوم القيامة كما يجيء صفاته في الأحاديث، وورد: (أن لكل نبي حوضاً في القيامة يرده أمته).

والشفاعة من الشفع وهو في الأصل بمعنى الضم، ومنه الشفع بمعنى خلاف الوتر، وهو الزوج مقابل الفرد، والشفعة لأن الشفيع يضم المبيع إلى ملكه فيشفعه بعد أن كان وتراً، ومنه الشفاعة لأنها ضم الشافع نفسه إلى المجرم للسؤال عن التجاوز عن جريمته، شفع فهو شافع، والمشفع من يقبلها، والمشفع من يقبل شفاعته.

واعلم أن الشفاعات الأخروية أنواع، وكلها ثابتة لسيد المرسلين ﷺ، بعضها على الخصوص، وبعضها بالمشاركة، ويكون هو المتقدم فيها، وهو الذي يفتح باب الشفاعة أولاً ﷺ، فالشفاعات كلها راجعة إلى شفاعته، وهو صاحب الشفاعات بالإطلاق:

الأولى: وهي العظمى العامة للخلائق الخاصة بنبينا ﷺ من بين سائر النبيين والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين، وهي لفصل القضاء والإراحة من طول الوقوف

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٥٩٢).

* الْفَصْلُ الأَوَّلُ:

٥٥٦٦ ـ [١] عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بَيْنَا أَنَا أَسِيرُ فِي الجنَّةِ إِذَا أَنَا بِنَهْرٍ حَافَتَاهُ قِبَابُ الدُّرِّ الْمُجَوَّفِ، . . . .

وتعجيل الحساب لا يدنو إليها غيره كما يأتي من الأحاديث.

الثانية: لإدخال قوم الجنة بغير حساب، وهذه أيضاً وردت لنبينا ﷺ، ومال بعضهم إلى أنها أيضاً مختصة به، وقال ابن دقيق العيد: ولا أعلم الاختصاص فيها ولا عدم الاختصاص.

الثالثة: في أقوام قد تساوت حسناتهم وسيآتهم، فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة.

الرابعة: في أقوام من أمته استوجبوا النار فيشفع فيهم، فيدخلون الجنة.

الخامسة: في رفع الدرجات وزيادتها.

السادسة: فيمن دخل النار من المذنبين، وهذه الشفاعة يشاركه فيها الأنبياء والأولياء والملائكة والعلماء.

السابعة: في استفتاح الجنة.

الثامنة: في تخفيف العذاب عمن يستحقه.

التاسعة: لأهل المدينة.

والعاشرة: لزائري قبره الشريف ﷺ على وجه الاختصاص والامتياز، والله أعلم.

الفصل الأول

٥٥٦٦ ـ [١] (أنس) قوله: **(حافتاه قباب الدر)** في (القاموس)[١]: حافتا الوادي

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١٢٦ ـ ٧٣٨).

قُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ، فَإِذَا طِينُهُ مِسْكٌ أَذْفَرُ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٦٥٨١].

٥٥٦٧ - [٢] وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: . . . .

وغيره: جانباه، والجمع: حافات، والقباب بالكسر: جمع قبة، وهو البناء المدور، يقال له: الجنبذ معرب گنبد، وقد يفسر بالخيمة.

وقوله: (**هذا الكوثر الذي أعطاك ربك**) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾[الكوثر: ١]، ويفسر بالخير الكثير المفرط من العلم والعمل وشرف الدارين، والنهر المذكور من جزئياته، وفي (القاموس)[1]: الكوثر: الكثير من كل شيء، انتهى، ونهر في الجنة يتفجر منه جميع أنهارها، وقيل: هو أولاده وأتباعه وعلماء أمته، وهو أيضاً من أفراده، وقد جاء الكوثر بمعنى الرجل الخير العطاء والسيد، وله تفسيرات ذكرت في موضعها، والكل راجع إلى المعنى الأول الذي ذكرنا، حكي أن أعرابياً فقد ابناً له فجاء بعد دهر بخير كثير فقيل له: كيف جاء ابنك؟ فقال: جاء بالكوثر.

وقوله: (**مسك أذفر**) أذفر بالذال المعجمة محركة: شدة ذكاء الريح كالذفرة، أو يخصان برائحة الإبط المنتن، وفي (الصراح)[2]: ذفر: بوئى تيز خوش وناخوش، مسك أذفر: مشك تيز بوئى. وفي (القاموس)[3]: ومسك أذفر وذفر: جيد إلى الغاية.

٥٥٦٧ - [٢] (عبد الله بن عمرو) قوله: . . . .

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٤٣٦)

(٢) «الصراح» (ص: ١٧٩).

(٣) «القاموس المحيط» (ص: ٣٧٠).

«حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ يَشْرَبُ مِنْهَا فَلاَ يَظْمَأُ أَبَداً». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٦٥٧٩، م: ٢٢٩٢].

٥٥٦٨ ـ [٣] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ حَوْضِي أَبْعَدُ مِنْ أَيْلَةَ مِنْ عَدَنٍ لَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضاً مِنَ الثَّلْجِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ بِاللَّبَنِ، وَلآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ النُّجُومِ، ....

(وزواياه سواء) فسره الطيبي بأنه مربع لا يزيد طوله على عرضه.

وقوله: **(أبيض من اللبن)** ينتقض به حكم النحويين بأن اسم التفضيل لا يبنى من لون ولا عيب، وكذلك قيل في قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾[الإسراء: ٧٢]: إن (أعمى) الثاني اسم تفضيل إلا أن يقال: إن القاعدة أكثرية، ويقدر اسم تفضيل آخر مثل أكثر وأشد، وهو تكلف مستغنى عنه.

وقوله: **(كنجوم السماء)** الظاهر أن التشبيه في الكثرة كما صرح به في الحديث الثاني، فيجوز أن يكون على الحقيقة، أو كناية عن غاية الكثرة، ولو اعتبر في البريق والإشراق فلا خفاء.

وقوله: **(من يشرب)** وكذا قوله: **(فلا يظمأ)** بالرفع والجزم كلاهما رواية.

٥٥٦٨ ـ [٣] (أبو هريرة) قوله: **(أبعد من أيلة من عدن)** أي: بعد ما بين طرفيه أزيد من بعد أيلة من عدن، وأيلة بفتح الهمزة وسكون التحتانية من بلاد الشام، وعدن من بلاد اليمن، واعلم أنه قد وقع التحديد بمواضع أخر متفاوتة في الأبعاد كما يأتي من الأحاديث فعرف كل قوم بما يعرفونه، والغرض تمثيل وتخمين فلا إشكال.

وقوله: **(وأحلى من العسل باللبن)** لا يخفى أن حلاوة العسل لا تزيد بخلطه

وَإِنِّي لأَصُدُّ النَّاسَ عَنْهُ كَمَا يَصُدُّ الرَّجُلُ إِبِلَ النَّاسِ عَنْ حَوْضِهِ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! أَتَعْرِفُنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ لَكُمْ سِيمَاءُ لَيْسَتْ لأَحَدٍ مِنَ الأُمَمِ، تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٤٧].

٥٥٦٩ ـ [٤] وَفِي رِوَايَةٍ لَـهُ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: «تُرَى فِيهِ أَبَارِيقَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ». [م: ٢٣٠٣].

٥٥٧٠ ـ [٥] وَفِي أُخْرَى لَهُ عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: سُئِلَ عَنْ شَرَابِهِ. فَقَالَ: «أَشَدُّ بَيَاضاً مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ يَغُتُّ فِيهِ مِيزَابَانِ يَمُدَّانِهِ مِنَ الْجَنَّةِ؛ أَحَدُهُمَا مِنْ ذَهَبٍ، وَالآخَرُ مِنْ وَرِقٍ». [م: ٢٣٠١].

باللبن، فالمراد (بأحلى): ألذ أو أحلى وألذ.

وقوله: (**لأصد الناس**) أي: ممن عدا أمتي.

وقوله: (**سيماء**) السيماء بالكسر: العلامة من سامه: إذا أعلمه، يجيء ممدوداً ومقصوراً، والقصر أكثر.

وقوله: (**غراً محجلين**) مرّ معناهما في (فضل الوضوء) من (كتاب الطهارة).

٥٥٦٩ ـ [٤] (**أنس**) قوله: (**والأباريق**) جمع إبريق معرب آبريز.

٥٥٧٠ ـ [٥] (**ثوبان**) قوله: (**يغت فيه ميزابان**) بضم معجمة وكسرها من نصر وضرب، فمثناة مشددة، أي: يدفقان دفقاً متتابعاً دائماً، غت في الماء: غمسه، والغت يجيء بمعنى الغمس، يقال: غت في الماء غمسه، ومنه حديث: (**يغتهم الله في العذاب**) أي: يغمسهم فيه غمساً متتابعاً، وبمعنى الغلبة والقهر، ومنه حديث: (يا من لا يغته دعاء الداعين) أي: يغلبه ويقهره، وغت فلاناً، أي: غمّه وخَنَقَهُ، وغت الضحك:

٥٥٧١ ـ [٦] وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، مَنْ مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَداً، لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونَنِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَأَقُولُ: إِنَّهُمْ مِنِّي. فَيُقَالُ: إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ؟ فَأَقُولُ: سُحْقاً سُحْقاً لِمَنْ غَيَّرَ بَعْدِيْ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٦٥٨٣، م: ٢٢٩٠].

أخفاه، وغت الماء: شربه جَرعاً بعد جَرع من غير إبانة الإناء من فيه، وغت الشيء الشيء: أتبع بعضه بعضاً، والكل يتضمن معنى الضغط والغلبة والتتابع.

ويروى (يعب) بمهملة مضمومة وموحدة من عب الماء عباً، أي: شربه جرعاً متتابعاً، ومنه العباب لمعظم السيل وارتفاعه وكثرته، وعند ابن ماهان (يثعب) بمثلثة ومهملة، أي: يتفجر. وفي (القاموس)[1]: ثعب الماء والدم كمنع: فَجَرَهُ فَانْثَعَبَ، وماء ثَعْبٌ: سائل، والثعب: مسيل الوادي، والميزاب بكسر الميم، وقيل بالفتح أيضاً، وفي (القاموس)[2]: وزب الماء يزب: سال، ومنه: الميزاب، أو هو فارسي ومعناه: بُلِ الماءَ، فعرّبوه بالهمز، ولهذا جمعوه بالمآزيب.

٥٥٧١ ـ [٦] (سهل بن سعد) قوله: (إني فرطكم) فرط فروطاً بالضم: سبق، وتقدم في الأمر، وفرط القوم: سبق وتقدمهم ليرتاد لهم الماء ويهيء لهم الدلاء والأرشية، أي: أنا سابقكم إلى الحوض كالمهيء له لأجلكم.

وقوله: (ليردن عليّ أقوام) قيل: لعل هؤلاء هم الذين قال فيهم: (أصيحابي)، وقد سبق شرحه في الفصل الأول من (باب الحشر).

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٧٢).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ١٤٣).

٥٥٧٢ ـ [٧] وَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يُحْبَسُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُهَمُّوا بِذَلِكَ فَيَقُولُونَ: لَوِ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا فَيُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ آدَمُ أَبُو النَّاسِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَأَسْكَنَكَ جَنَّتَهُ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ، اشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، . . . .

٥٥٧٢ ـ [٧] (أنس) قوله: (**حتى يهموا بذلك**) هو من الهم بمعنى القصد والحزن، معلوماً ومجهولاً، في (الصراح)[١]: هم: أندوه، وگداختن بيماري تن را، يقال: همني المرض، وقصد، يقال: هممته بالشيء، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا﴾[يوسف: ٢٤]، وفي بعض الروايات من الوهم، وفي (مسلم): (حتى يهتموا) أي: يعتنوا بسؤال الشفاعة، كذا قال الكرماني[٢]، وقال الطيبي[٣]: هو على بناء المجهول من أهمه: إذا أحزنه، أي: يحزنون، من أهمني: إذا أقلقك وأحزنك.

وقوله: (**لو استشفعنا**) (لو) للتمني، (**فيريحنا**) من الإراحة منصوب بتقدير (أن)، من أراح الله العبد: أدخله في الراحة، ومنه: (أرحنا يا بلال)، أو من أراح الشيء: دحرجه وأزاله من مكانه، وهذا المعنى أنسب بقوله: (من مكاننا).

وقوله: (**أنت آدم**) هو من باب: أنا أبو النجم.

وقوله: (**لست هناكم**) أي: لست بالمكان الذي تظنوني فيه من الشفاعة، و(هنا) إذا لحق به كاف الخطاب يكون للبعيد من المكان المشار إليه، أي: أنا بعيد من مكان

---

(١) «الصراح» (ص: ٤٩٨).

(٢) «شرح الكرماني» (٢٥/ ١٥١).

(٣) «شرح الطيبي» (١٠/ ١٨٩).

وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ؛ أَكْلَهُ مِنَ الشَّجَرَةِ وَقَدْ نُهِيَ عَنْهَا، وَلَكِنِ ائْتُوا نُوحاً أَوَّلَ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ، فَيَأْتُونَ نُوحاً فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ؛ . . . .

الشفاعة ومقامها.

وقوله: (**خطيئته التي أصاب**) أي: أصابها، و(**أكله**) منصوب بدل من (خطيئته)، وكذا الحال في أخواته، وقال الطيبي[1]: يجوز أن يكون بياناً للضمير المبهم المحذوف نحو قوله تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾[فصلت: ١٢]، انتهى، ولا يخفى بعده بعد الحذف بخلاف المذكور.

وقوله: (**ائتوا نوحاً أول نبي بعثه الله إلى أهل الأرض**) استشكل هذه الأولية بآدم وشيث وإدريس عليهم الصلاة والسلام، وأجيب بأن المراد نبي مرسل، والثلاثة كانوا أنبياء ولم يكونوا رسلاً، وفيه خلاف للعلماء، فقد دل بعض الأحاديث على أن آدم وإدريس كانا رسولين، ودلت أيضاً على إنزال الصحف على شيث وهو دليل الإرسال، وقد يجاب أيضاً بأن المراد النبي المبعوث إلى الكفار، وآدم إنما أرسل إلى بنيه ولم يكونوا كفاراً بل أمر بتعليمهم الإيمان وطاعة الله تعالى، وكذلك خلفه شيث وخلفه إدريس، ورسالة نوح كانت إلى كفار أهل الأرض.

وقد يقال: إن العموم لم يكن في أصل بعثة نوح، وإنما اتفق باعتبار الخلف في الموجودين بعد هلاك سائر الناس، هذا ما قالوا، ويمكن أن يقال: إن الأولية المذكورة إضافية بالنسبة إلى المذكورين بعده من إبراهيم وموسى الذين كانوا أكثر أمة وأشهر أمراً وأعظم شأناً، والله أعلم.

---

(١) «شرح الطيبي» (١٠/ ١٩٠).

سُؤَالَـهُ رَبَّـهُ بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَلَكِنِ ائْتُوا إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ». قَالَ: «فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُـولُ: إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُـرُ ثَلَاثَ كَذِبَـاتٍ كَذَبَهُنَّ، وَلَكِنِ ائْتُوا مُوسَى عَبْداً آتَاهُ اللهُ التَّوْرَاةَ وَكَلَّمَهُ وَقَرَّبَهُ نَجِيًّا». قَالَ: «فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُ: إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ؛ قَتْلَهُ النَّفْسَ، وَلَكِنِ ائْتُوا عِيسَى عَبْدَاللهِ وَرَسُولَهُ وَرُوحَ اللهِ وَكَلِمَتَهُ»، قَالَ: «فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَلَكِنِ ائْتُوا مُحَمَّداً.........................

وقوله: **(سؤاله ربه)** (ربه) منصوب على أنه مفعول (سؤاله) والمراد به: سؤاله أن ابني من أهلي لإنجائه من الغرق.

وقوله: **(ثلاث كذبات)** وهي قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾، و﴿فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾، وسارة أختي، ولم تكـن كذبات إلا باعتبـار الظاهـر، ولكن شأن المقربين أعلى وأخطر[1]، يؤخذون على ما لا يؤخذ عليه غيرهم.

وقوله: **(قتله النفس)** وذلك قتله القبطي بالوكز المذكور في قوله تعالى: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾[القصص: ١٥].

وقوله: **(فيقول: لست هناكم ولكن ائتوا محمداً)** لم يذكر خطيئته عليه السلام، قالوا: لعله لاستحيائه من افتراء النصارى في حقه وحق أمه، وقد ورد ذلك في بعض الروايات، ويحتمل أنه عليه السلام مع قطع النظر من ذلك لم يره مستحقاً للقيام في هذا المقام، أعني: فتح باب الشفاعة ابتداء لعامة الخلائق والمبادرة إليها، فإنه صعب جداً لا يتيسر ولا يتصور حصوله إلا لمن كان مخصوصاً بغايـة القـرب والعـزة في حضرة الله تعالى، محموداً محبوباً عنده قولاً وفعلاً، وما هو إلا سيد المرسلين وإمام النبيين ﷺ، ولهذا تأخر عن

---

(١) كذا في (ك) و(ب) و(ع)، وفي (ر): أخص.

عَبْداً غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ» قَالَ: «فَيَأْتُونِّي، . . . .

الإقدام عليه والدخول فيه النبيون المذكورون غاية أنهم ذكروا في الظاهر عذراً لهم، ويدل عليه الحديث الآتي من قول كل واحد: (لست لها)، فافهم، والله أعلم، وليس ذلك تواضعاً منهم وإكباراً لما يسئلونه، كما قاله الطيبي[١].

وقوله: (**غفر الله له ما تقدم وما تأخر**) للناس في هذا أقوال، وأحسن الأقوال ما نقل السيوطي عن السبكي أنه قال في تفسيره[٢]: وقد تأملت هذا الكلام مع ما قبله وما بعده فوجدته تشريفاً للنبي ﷺ من الله سبحانه وتعالى من غير أن يكون هناك ذنب، ولكن أراد أن يستوعب في الآية جميع أنواع النعم الأخروية والدنيوية، والنعم الأخروية شيئان؛ سلبية، وهي غفران الذنوب، وثبوتية وهي لا يتناهى، أشار إليها بقوله: ﴿وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾[الفتح: ٢]، والنعم الدنيوية شيئان؛ دينية أشار إليها بقوله: ﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾[الفتح: ٢]، ودنيوية وهي قوله: ﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾[الفتح: ٣]، فانتظم بذلك قدر النبي ﷺ بأنواع نعم الله تعالى عليه المتفرقة في غيره، ولهذا جعل ذلك غاية للفتح المبين الذي عظمه ومجده بإسناده إليه هو في العظيمة، وجعله خاصاً بالنبي ﷺ.

وقال بعض المحققين: المغفرة هنا كناية عن العصمة، فالمعنى ليعصمك الله فيما تقدم من عمرك وفيما تأخر منه، وقد يكنى عن التخفيفات بلفظ المغفرة والعفو والتوبة، كقوله تعالى عند نسخ قيام الليل: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾[المزمل: ٢٠]، وعند نسخ تقديم الصدقة بين يدي النجوى: ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾[المجادلة: ١٣]، وعند نسخ تحريم الجماع ليلة الصيام: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ﴾[البقرة: ١٨٧].

---

(١) «شرح الطيبي» (١٠/ ١٩٠).

(٢) انظر: «سبل الهدى والرشاد» (٣/ ١٤٠).

. . . .

وقال في (الشفا)[1]: قيل: إن النبي ﷺ لما أمر أن يقول: ﴿وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ﴾[الأحقاف: ٩] سر بذلك الكفار، فأنزل الله تعالى: ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[الفتح: ٢] أي: إنك مغفور لك غير مؤاخذ بذلك إن لو كان، أخرجه ابن المنذر في تفسيره عن ابن عباس، وأخرجه أحمد والترمذي والحاكم عن أنس.

وقال بعضهم: المغفرة هنا تبرئته من العيوب، وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: فضل الله نبينا ﷺ على سائر الأنبياء بوجوه: منها أن الله تعالى أخبره أنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ولم ينقل أنه تعالى أخبر أحداً من الأنبياء عليهم السلام بمثل ذلك، بل الظاهر أنه لم يخبرهم؛ لأن كل واحد إذا طلب منه الشفاعة في الموقف ذكر خطيئته، وإذا استشفعت الخلائق نبينا ﷺ في ذلك المقام قال: (أنا لها).

وفي هذه أقوال مقبولة في هذه الآية، وأما غيرها فمنها مردودة، ومنها ضعيفة، فالمردودة أن المراد بـ ﴿مَا تَقَدَّمَ﴾: ما كان قبل النبوة، وبـ ﴿مَا تَأَخَّرَ﴾: عصمته عنها وهو مردود بأنه لم يقع منه ﷺ ذنب كبير ولا صغير أبداً، وهو الحق الذي لا محيد عنه، وكذا ما قيل: إن المراد ما وقع في صغره من خروجه مع الغلمان يلعب، وذلك لا يليق بمقامه، ولم يثبت أن لعبه مع الغلمان كان لعب لهو، بل هذه اللفظة إن يثبت في حديث وجب تأويلها على ما يليق به.

وقد روي أنه ﷺ كان يعدل وهو رضيع، وكان مرضعته حليمة تعطيه ثديها فيشرب منه، فإذا أعطته الثدي الآخر امتنع لعلمه بأن له شريكاً في الرضاعة، فهذه أجل من ترك اللعب وهو فوق ذلك السن.

---

(١) «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» (٢/ ٣٥٧).

فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ، فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِداً، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدَعَنِي فَيَقُولُ: اِرْفَعْ مُحَمَّدُ، وَقُلْ تُسْمَعْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ». قَالَ: «فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأُثْنِي عَلَى رَبِّي بِثَنَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ، ثُمَّ أَشْفَعُ، فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، . . . .

وأما الأقوال الضعيفة فما قيل: ﴿مَاتَقَدَّمَ﴾: من ذنب أبويك آدم وحواء عليهما السلام، ﴿وَمَاتَأَخَّرَ﴾: من ذنوب أمتك، وهو ضعيف؛ لأن آدم عليه السلام نبي معصوم وما ينسب إليه ذنب فهو يحتاج إلى تأويل، وأيضاً ذنب الغير لا يضاف إلى غير من صدر عنه بكاف الخطاب، وذنوب الأمة لم تغفر بل منهم من لا يغفر له، وقيل: المراد أنك بحال لو كان لك ذنوب ماضية ومستقبلة يغفرها لك جميعها، وقيل: المراد ما كان عن سهو وغفلة وتأويل، حكاه الطبري، واختاره القشيري، وقال مكي: مخاطبة النبي ﷺ هنا هي مخاطبة لأمته، والله أعلم.

وقوله: (**فأستأذن على ربي في داره**) أي: في الدخول في دار ربي، والإضافة للتشريف، والمراد المقام الخاص الذي لا يدخله أحد غيره، ويرفع فيه الحجاب، وقيل: ذلك تحت عرشه تعالى كما يأتي في حديث أبي هريرة.

وقوله: (**وسل تعطه**) يحتمل أن يكون هاء السكت وأن يرجع إلى المفعول المحذوف.

وقوله: (**فيحد لي حدًّا**) أي: يحد الله تعالى حدًّا، ولا يجوز أن يكون على صيغة المجهول فيكون مسنداً إلى المصدر، أي: يوقع الحد، و(حدًّا) منصوب مفعول مطلق، ومعنى التحديد أن تعين طائفة من العصاة بالاستشفاع فيهم، مثل تاركي الصلاة، أو مرتكبي الزنا، أو شاربي الخمر مثلاً.

فَأَخْرُجُ فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ الثَّانِيَةَ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ، فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِداً، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدَعَنِي ثُمَّ يَقُولُ: ارْفَعْ مُحَمَّدُ، وَقُلْ تُسْمَعْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ». قَالَ: «فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأُثْنِي عَلَى رَبِّي بِثَنَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، فَأَخْرُجُ فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، . . . .

(فأخرج) على صيغة المتكلم من الخروج، أي: أخرج من دار ربي، **(فأخرجهم من النار)** استشكل بأن أول الحديث كان في الاستشفاع للإراحة من الموقف، وآخره على أنه لإخراجهم من النار، وتوجيهه أن يقال: لعل المؤمنين كانوا فريقين: فريق يشار به إلى النار من غير توقف، وفريق حُبِسوا في المحشر، فذكر أولاً شفاعتهم ثم بين شفاعة الآخرين، والشفاعة أقسام كما ذكرنا في أول الباب، فذكر منها القسمان وتركت الأقسام الأخر، ففي الكلام اختصار القول، هكذا ذكروا.

ويمكن أن يقال: إن المراد إخراجهم من النار التي استحقوا دخولها، فإن آخر أمر العصاة أن يدخلوا النار، فأزال عنهم هذه البلية بالشفاعة لهم في أول الأمر، فلم يدخلوا، وهو المراد بإخراجهم من النار، لا الإخراج منها بعد دخولها بالفعل، وهذا كما يقال: أخرجه من هذه الورطة بأن فعل به ما لم يوجب دخوله فيها، وأما القول بأنّ المراد بالنار: شدة الحر من دنو الشمس، وبالإخراج الخلاص منها فبعيد، **(قال)** أي: النبي ﷺ، ففي قوله: **(نبيكم)** وضع المظهر موضع المضمر، أو قال الراوي فهو على ظاهره.

وقوله: **(بثناء وتحميد يعلمنيه)** يحتمل أن يكون هذا التحميد هو التحميد السابق أو غيره، ويؤيده قوله في الحديث الآخر: و(يلهمني محامد فأحمد بتلك المحامد)، والله أعلم.

ثُمَّ أَعُودُ الثَّالِثَةَ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ، فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِداً، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدَعَنِي ثُمَّ يَقُولُ: ارْفَعْ مُحَمَّدُ، وَقُلْ تُسْمَعْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ». قَالَ: «فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأُثْنِي عَلَى رَبِّي بِثَنَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، فَأَخْرُجُ فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، حَتَّى مَا يَبْقَى فِي النَّارِ إِلاَّ مَنْ قَدْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ» أَيْ: وَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ، ثُمَّ تَلاَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا﴾[الإسراء: ٧٩] قَالَ: «وَهَذَا الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ الَّذِي وَعَدَهُ نَبِيَّكُمْ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٦٥٦٥، م: ١٩٣].

٥٥٧٣ ـ [٨] وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: اِشْفَعْ إِلَى رَبِّكَ فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ فَإِنَّهُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى فَإِنَّهُ كَلِيمُ اللهِ، فَيَأْتُونَ مُوسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى فَإِنَّهُ رُوحُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ، فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ، فَيَأْتُونِّي فَأَقُولُ: أَنَا لَهَا، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنُ لِي، وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أَحْمَدُهُ بِهَا، لاَ تَحْضُرُنِي الآنَ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، وَأَخِرُّ لَهُ سَاجِداً فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ! ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ تُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، ....

٥٥٧٣ ـ [٨] (وعنه) قوله: (ولكن عليكم بإبراهيم) ليس فيه ذكر نوح[1].

---

(١) قال العيني (١٦/ ٦٨٩): فإنه سبق في الروايات الأخر، وذهل عنه الراوي هنا، انتهى. =

فَأَقُولُ: يَا رَبِّ! أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِداً، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ! ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ تُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَارَبِّ! أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ: انطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ أَوْ خَرْدَلَةٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَأَنْطَلِقُ، فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِداً، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ! ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ تُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ!، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِثْقَالِ حَبَّةِ خَرْدَلَةٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ فَأَنطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثمَّ أَعُودُ الرَّابِعَةَ فأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِد ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِداً، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ! ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ تُسْمَعْ: وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، قَالَ: لَيْسَ ذَلِكَ لَكَ، وَلَكِنْ وَعِزَّتِي وَجَلاَلِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي لأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ: لاَ إِلَه إِلاَّ الله». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٧٥١٠، م: ١٩٣].

وقوله: (**فأقول: يا رب! أمتي أمتي**) المفهوم من ظاهر الحديث السابق أن القضية المذكورة كانت في الناس كلهم، وهذا يدل على تخصيص هذه الأمة، فإما أن يكون قضيتين، وإما أن يكون الابتداء بالأمة والانتهاء إليهم، والله أعلم.

وقوله: (**مثقال شعيرة من إيمان**) أي: من ثمراته من القوة والازدياد، أو العمل والطاعة، وكذا في أخواته، وأما قوله: (**فيمن قال: لا إله إلا الله**) فالمراد نفس الإيمان من غير اعتبار قوته وازدياده، ولذا قال: (**من قال: لا إله إلا الله**)، أي: لم يزد على

= وقال الحافظ (١١/ ٤٣٤): والعمدة على من حفظ.

٥٥٧٤ ـ [٩] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ خَالِصاً مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٩٩].

٥٥٧٥ ـ [١٠] وَعَنْهُ قَالَ: أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِلَحْمٍ، فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ، فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً ثُمَّ قَالَ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسُ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لاَ يُطِيقُونَ، فَيَقُولُ النَّاسُ: أَلاَ تَنْظُرُونَ مَنْ يَّشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَأْتُونَ آدَمَ». وَذَكَرَ حَدِيثَ الشَّفَاعَةِ وَقَالَ: «فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَقَعُ سَاجِداً لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئاً لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! اِرْفَعْ رَأْسَكَ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ! أُمَّتِي يَا رَبِّ! أُمَّتِي يَا رَبِّ! فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ! ....

ذلك شيئاً.

٥٥٧٤ ـ [٩] (أبو هريرة) قوله: (أسعد الناس بشفاعتي) أي: أفوزهم لكونهم أحوج الناس، وأما الذي له أعمال حسنة زائدة على الناس فهم أيضاً فائزون بشفاعتي ومستسعدون بها، أما هؤلاء فهم أحوج وأسعد.

وقوله: (من قلبه أو نفسه) من شك الراوي.

٥٥٧٥ ـ [١٠] (وعنه) قوله: (فنهس منها نهسة) الرواية المشهورة بالسين المهملة، وقد يروى بالمعجمة، والأول الأخذ بأطراف الأسنان، والثاني بالأضراس.

وقوله: (لم يفتحه على أحد قبلي) بل عليّ أيضاً قبل هذا المقام.

أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لاَ حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ» ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرَ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٤٧١٢، م: ١٩٤].

٥٥٧٦ ـ [١١] وَعَنْ حُذَيْفَةَ فِي حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «وَتُرْسَلُ الأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ فَتَقُومَانِ جَنْبَتَيِ الصِّرَاطِ يَمِيناً وَشِمَالاً». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ١٩٥].

وقوله: **(إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة)** المصراعان: قطعتان من باب واحد تغلقان على منفذ واحد، يكون الداخل في وسطهما، كمصراعي البيت من الشعر شبها بهما، وأصله من الصرع بمعنى الدفع والإلقاء، وقال في (مشارق الأنوار)[1]: أي من أبوابها، والمصراع: الباب، ولا يقال مصراع حتى يكونا اثنين، انتهى، فيكون المقصود بيان سعة الباب، وقال الطيبي[2]: المصراعان: البابان المغلقان على منفذ واحد.

(وهجر) اسم لموضعين، أحدهما من قرى المدينة وهو المراد في حديث: (إذا بلغ الماء قلتين من قلال هجر لم يحمل الخبث)[3]، وقيل: من قرى البحرين، قيل: والصحيح أن المراد هنا الأخير.

٥٥٧٦ ـ [١١] (حذيفة) قوله: **(فتقومان جنبتي الصراط)** بفتح النون بمعنى

---

(١) «مشارق الأنوار» (٢/ ٤٢).

(٢) «شرح الطيبي» (١٠/ ١٩٨).

(٣) أخرجه أبو داود في «سننه» (٦٣).

٥٥٧٧ ـ [١٢] وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَلاَ قَوْلَ اللهِ تَعَالَى فِي إِبْرَاهِيمَ: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾ [إبراهيم: ٣٦]، وَقَالَ عِيسَى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ [المائدة: ١١٨] فَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: «اللهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي» وَبَكَى، فَقَالَ اللهُ تَعَالَى: يَا جِبْرِيلُ! اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ ـ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ ـ فَسَلْهُ مَا يُبْكِيهِ؟. فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَا قَالَ، فَقَالَ اللهُ لِجِبْرِيلَ: اِذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقُلْ: . . . . .

الجنب بسكونها، والْجَنْبُ والجانب والجَنَبَة: شِقُّ الإنسان وغيره، كذا في (القاموس)[1]، أي: ناحيته للمحاجة للأمين والواصل، وعلى الخائن والقاطع، وذلك بأن يُمثلا على صورتين، أو هو كناية عن عظم شأنهما وفخامة ما يلزم العباد من رعاية حقهما.

٥٥٧٧ ـ [١٢] (عبدالله بن عمرو) قوله: **(وقال عيسى)** (قال) هنا بمعنى القول مصدراً عطفاً على قول الله.

وقوله: (﴿إِنَّهُنَّ﴾) أي: الأصنام (﴿أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾) آخر الآية: ﴿وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، وآخر قوله: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾، ومعنى الشفاعة إنما يفهم من آخر الآيتين، والحاصل أنه ﷺ ذكر شفاعة هذين النبيين المكرمين لأمتهما، فذكر أمته ورقّ وشفع لهم، وشتان ما بين الشفاعتين، فإن شفاعتهما بصيغة الشرط والتردد، وشفاعته بالجزم والقطع، وذلك لغاية جاهه وعزته ومكانته عند ربه ﷻ، ولا يخفى ما في جوابه تعالى له من التقرير والتأكيد، وما في

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٧٧).

إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلاَ نَسُوؤُكَ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٠٢].

٥٥٧٨ - [١٣] وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ أُنَاساً قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «نَعَمْ، هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ صَحْواً لَيْسَ مَعَهَا سَحَابٌ؟ وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ صَحْواً لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ؟» قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ: «مَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلاَّ كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا، إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ: لِيَتَّبِعْ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، فَلاَ يَبْقَى أَحَدٌ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللهِ مِنَ الأَصْنَامِ وَالأَنْصَابِ إِلاَّ يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، ....

الحديث من غاية لطفه تعالى بهذا الرسول الكريم، وعظم منزلته ولطفه، وما فيه من البشارة لهذه الأمة المرحومة الملطوفة، اللهم إنا نسألك بجاه محمد ﷺ أن تغفر لنا، وترحمنا في الدنيا والآخرة، آمين، وشفاعته بدعوته.

وقوله: (**ولا نسوؤك**) أي: لا نحزنك.

٥٥٧٨ - [١٣] (**أبو سعيد الخدري**) قوله: (**هل تضارون**) قد سبق شرحه وبيان ما فيه من الروايات في (باب الحساب) في حديث أبي هريرة فلا نعيده، و(**الصحو**) ذهاب الغم، أصحت السماء: إذا خلت عن الغيم، (**ليس معها**) أي: مع الشمس.

وقوله في ذكر القمر: (**ليس فيها**) أي: في ليلة البدر.

وقوله: (**ليتبع**) بصيغة الأمر مع اللام. و(**الأنصاب**) جمع نصب وهو بضم النون والصاد وسكونها، وجاء بفتح النون والصاد: حجر كانوا ينصبونه في الجاهلية ويتخذونه صنماً فيعبدونه، وجمعه أنصاب، وقيل: هو حجر كانوا ينصبونه ويذبحون عليه فيحمرّ

حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلاَّ مَنْ كَانَ يَعْبُدُاللهَ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ أَتَاهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ: ....

بالدم، وفي حديث إسلام أبي ذر: (كأني نصب أحمر) يريد: أنهم ضربوه حتى أدموه، فصار كالنصب المحمر بدم الذبائح، وقد عطف على الأصنام، فإن كان النصب أحجاراً فالعطف ظاهر، وإن كان معبوداً فتفسيري، وفي (شرح جامع الأصول)[١]: الأنصاب: أحجار، وقيل: أصنام، وفي (القاموس)[٢]: هو بضمتين: ما عُبِدَ من دون الله، وقول الطيبي[٣]: هي حجارة كانت تنصب وتعبد من دون الله، ويذبحون عليها تقرباً إلى آلهتهم، جمع بين المعنيين، وإشارة إلى أن نصبهم الحجارة والذبح عليها ليس إلا لاعتقاد معبوديتها.

وقوله: **(أتاهم رب العالمين)** أي: أمره، أو تجلى وتقرب، أو أتاه ملك من ملائكته، وقالوا: إن الرؤية التي هي ثواب المؤمنين في الجنة غير هذه الرؤية المذكورة، وهذه امتحان من الله تعالى، فيقع بها التمييز بين من عبدالله وبين من عبد الطواغيت، ليتبع كل من الفريقين معبوده، والآخرة وإن كانت دار جزاء فقد يقع فيها الامتحان، كما أن الدنيا دار امتحان وقد يقع فيها الجزاء، قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠] بدليل أن القبر هو أول منزل من منازل الآخرة يجري فيه الابتلاء، ولقد أشبع الطيبي[٤] الكلام في هذا المقام بما لا مزيد عليه نقلاً عن بعض شراح الحديث فلينظر ثمة.

---

(١) «جامع الأصول» (٢/ ٤١٣).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ١٤٠).

(٣) «شرح الطيبي» (١٠/ ٢٠١).

(٤) «شرح الطيبي» (١٠/ ٢٠٢).

فَمَاذَا تَنْظُرُونَ؟ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّـةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ. قَالُوا: يَا رَبَّنَا فَارَقْنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا أَفْقَرَ مَا كُنَّا إِلَيْهِم وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ».

٥٥٧٩ ـ [١٤] وَفِي رِوَايَةِ أَبِـي هُرَيْرَةَ: «فَيَقُولُونَ: هَذَا مَكَانُنَـا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَـا، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَـاهُ». وَفِي رِوَايَـةِ أَبِـي سَعِيدٍ: «فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ تَعْرِفُونَهُ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ، فَلاَ يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلاَّ أَذِنَ اللهُ لَـهُ بِالسُّجُودِ، وَلاَ يَبْقَى مَنْ كَـانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءً وَرِيَاءً إِلاَّ جَعَلَ اللهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً، . . . .

وقوله: (فماذا تنظرون؟) أي: أيّ شيء تنظرون لِمَ لا تتبعوهم (قالوا: يا ربنـا فارقنا الناس في الدنيا) أي: ما اتبعناهم.

وقوله: (أفقر) حال من ضمير (فارقنا)، و(ما) مصدرية حينيـة، أي: عند أفقر أوقات كوننا محتاجين إليهم فكيف نتبعهم الآن وهم مع ما يعبدون حصب جهنم.

٥٥٧٩ ـ [١٤] (أبو هريرة) قوله: (فيكشف عن ساق) هذا مما يجب فيه التوقف عند السلف أو يأول بالكشف عن أمر فظيع، وقد مـر تأويله في (باب لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس)، وقيل: المراد النور العظيم، وقيل: جماعة من الملائكة، وروي (يكشف عن ساقه) معروفاً ومجهولاً.

وقولـه: (مـن تلقاء نفسه) أي: مـن جانبها وجهتها، أي: بالإخلاص من غير ملاحظة الخلق وما سواه تعالى، وخوف واتقاء من الناس أو السيف لمقابلة قوله: (اتقاء ورياء).

وقوله: (طبقة واحدة) أي: من غير فاصل بين فقراته، وهذا ما قال الله سبحانه:

كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَى قَفَاهُ، ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ، وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَقُولُونَ: اللهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرَفِ الْعَيْنِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرِّيحِ، وَكَالطَّيْرِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ، وَالرِّكَابِ؛ فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ، وَمَكْدُوشٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، . . . .

﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾[القلم: ٤٢]، قد يستدل به على جواز تكليف ما لا يطاق، وأقول: الخلاف فيه إنما بالتكليف في دار الدنيا التي يطلب فيها الفعل، وأما هاهنا فالمقصود هو التميز والتفرقة بين المخلصين والمنافقين، فهو في حكم جزاء الأعمال.

و(**تحل**) بكسر الحاء وضمها، أي: تقع الشفاعة ويؤذن فيها.

وقوله: (**ويقولون**) أي: الأنبياء، وقد صرح به في حديث أبي هريرة من قوله: (وكلام الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم)، والظاهر أنهم يطلبون ذلك لأممهم، أي: سلمهم من تعب الصراط، وضرره وسقوطهم في النار. و(**أجاويد**) جمع أجواد وهو الفرس السابق الجيد. و(**الركاب**) بكسر الراء: الإبل، واحدتها راحلة، ولا واحد لها من لفظها.

وقوله: (**ومخدوش**) خدشه: خمشه، وخدش الجلد: مزقه، قلّ أو كثر، أو قشره بعود ونحوه، والخدش اسم لذلك الأثر أيضاً.

وقوله: (**مرسل**) أي: متروك مطلق مخلص، والإرسال: الإطلاق والإهمال، و(**مكدوش**) في (القاموس)[1] كدشه: خدشه، وضربه بسيف أو رمح، ودفعه دفعاً عنيفاً، وقطعه وساقه وطرده.

---

(١) «القاموس المحيط» (٥٥٨).

حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ. . . . .

وقال القاضي عياض في (المشارق)[1]: (مكدوش) بالشين المعجمة للعذري، ولغيره في «الصحيحين» بالمهملة، فـ (مكدوس) مثل: (مخدوش) في الحديث الآخر، ومثل (مخردل) في الآخر، قال ابن دريد: كدشه: إذا قطعه بأسنانه قطعاً، كما يقطع القثاء وما أشبهه، وقد يكون أيضاً مرمياً مطروحاً فيها، وقال صاحب (العين): الكدش: السوق، ويكون هذا معنى مكدوس بالمهملة في الرواية الأخرى، أي: مطروح على غيره، والتكديس: طرح الشيء بعضه على بعض، ويروى: ومنهم المكردس بالراء والدال المهملة وبالسين المهملة، أي: الموثق الملقى في النار، وقد يكون بمعنى المكدوس المتقدم، أي: يلقى على غيره بعضهم على بعض، من قولهم لكتائب الخيل: كراديس لاجتماعها، والتكردس: التجمع، انتهى. ويقال: كردس القائد خيله: إذا جعلها كتيبة، وفي (القاموس)[2]: الكردوسة بالضم: قطعة عظيمة من الخيل، والكردسة: الوثاق، ومشي في تقارب خَطْوٍ كالمقيد والسَّوْق العنيف، وكُرِدسَ بالضم: جمعت يداه ورجلاه، وتكردس: انقبض واجتمع.

وقوله: (**حتى إذا خلص المؤمنون من النار**) أي: خرج المؤمنون المكدوسون الذين سقطوا في النار، أي: بعضهم بعد رؤية العذاب بقدر ذنوبهم، وفيه دليل على أن المؤمنين لا يخلدون في العذاب.

وقوله: (**فوالذي نفسي بيده . . . إلخ**)، جواب (إذا) يعني أنهم إذا خرجوا من النار شفعوا وناشدوا لإخوانهم الذين ألقوا في النار ولم يخرجوا بعد لكثرة معاصيهم.

---

(١) «مشارق الأنوار» (١/ ٥٤٥ ـ ٥٤٦).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٥٢٧).

مَا مِنْ أَحَدٍ مِنْكُمْ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً فِي الْحَقِّ ـ قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ ـ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا، وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: ....

وقوله: (**يقولون: ربنا**) بيان للمناشدة.

وقوله: (**ما من أحد منكم بأشد مناشدة في الحق ـ قد تبين لكم ـ من المؤمنين يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار**) لا بد من بيان إعراب هذا التركيب، فقوله: (بأشد) خبر (ما)، و(مناشدة) أي: مطالبة ومساءلة تمييز، (وفي الحق) ظرف للمناشدة، و(قد تبين) صفة لـ (الحق) لكونه في المعنى كالنكرة، أي: حق تبين وظهر لكم ثبوته على خصمكم، أو حال وإنما قيد بهذا؛ لأنه تكون المناشدة والمطالبة فيه أكثر وأشد، و(من المؤمنين) متعلق (بأشد) تعلق (من) التفضيلية باسم التفضيل، وهو من قبيل وضع المظهر موضع المضمر والظاهر منكم، كذا قال الطيبي[1]، ولو أريد بالمخاطبين في (منكم): الحاضرون في الدنيا، وبـ (المؤمنين) في (من المؤمنين): المؤمنون المناشدون لله تعالى الشافعون في الآخرة لم يكن من وضع المظهر، بل هذا أوضح وأظهر في المعنى.

نعم الظاهر (منهم) برجوع الضمير إلى (المؤمنين) المذكورين قبل، فلو قيل: إنه من وضع المظهر موضع المضمر بهذا الاعتبار لكان له وجه، فافهم، والمعنى أن المؤمنين الذين خرجوا من النار أشد مناشدة لله تعالى وأكثر مطالبة وسؤالاً منه لإخراج المؤمنين الذين بقوا في النار بمعاصيهم من القوم الذين يناشدون في الحق الصريح الذي تبين ثبوته على خصمائهم، فإن هؤلاء يناشدون ويطالبون الحق غاية جهدهم،

(١) «شرح الطيبي» (١٠/ ٢٠٦).

أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقاً كَثِيراً، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ. فَيَقُولُ: اِرْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُم فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقاً كَثِيراً، ثُمَّ يَقُولُ: اِرْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقاً كَثِيراً، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقاً كَثِيراً، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيِّراً، فَيَقُولُ اللهُ: شُفِّعَتِ الْمَلائِكَةُ، وَشُفِّعَ النَّبِيُّونَ، وَشُفِّعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، . . . .

والمؤمنون أشد مناشدة لله ومطالبة منهم.

وقوله: **(فتحرم)** بالتشديد **(صورهم)** أي: وجوههم **(على النار)** ليعرفوا. وقيل: الضمير للداخلين.

وقوله: **(ممن أمرتنا به)** أي: بإخراجه والمأمور به إخراج من عرفتم، ولعل المراد ممن عرفتم أنه من أهل الخير والصلاح، وهو الظاهر من سياق الحديث، فالمراد بالخير ما هو زائد على أصل الإيمان سواء كان من أعمال الجوارح أو القلب.

وقوله: **(لم نذر فيها خيراً)** أي: لم ندع في النار أحداً ممن كان فيه خير زائد على أصل الإيمان.

وقوله: **(شفعت الملائكة وشفع النبيون)** لم يقع في هذا الحديث ذكر لشفاعة الملائكة والنبيين وكأنه سبق منهم شفاعة ثم شفع بعدهم المؤمنون، ولكنه لم يذكر واقتصر على ذكر شفاعة المؤمنين لغرابتها ووقوعها على أشد الوجوه وأوكدها.

فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْماً لَمْ يَعْمَلُوا خَيْراً قَطُّ، قَدْ عَادُوا حُمَماً فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهْرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ: نَهْرُ الْحَيَاةِ..........................

وقوله: **(قد عادوا)** أي: صاروا، و**(الحمم)** جمع حمة بمعنى الفحمة، ولعل المراد: صاروا كالحمم وسودًّا، محرقين.

وقوله: **(في أفواه الجنة)** يتراءى في الظاهر أنه جمع فوه الذي بمعنى فم، ولكنهم جعلوه جمع فوّهة بضم الفاء وتشديد الواو المفتوحة هي من الطريق والوادي: فمه، كذا في (القاموس)[1]، وفي (الصراح)[2]: فوهة بالضم والتشديد: دهانه كوى، ودهانه جوى، أفواه جماعة، وفي (المشارق)[3]: يقال: فوهة النهر والطريق، مضموم الفاء مشدد الواو، أي: فمه وأوله، كأنه يريد مفتتحات مسالك قصور الجنة ومنازلها.

وفي (النهاية)[4]: يقال لأول الزقاق والنهر: فوهته، بضم الفاء وتشديد الواو، وقال النووي: أفواه السكك، أي: أبواب الطرق، وقال الطيبي[5]: الأفواه جمع فوهة، بضم الفاء وتشديد الواو، وهو جمع سمع من العرب على غير القياس، وأفواه الأزقة والأنهار: أوائلها، انتهى. ولا يذهب عليك أن ذلك باعتبار التشبيه بالضم، ولكنه قد جاء (فوهة) بهذا المعنى فجعلوا الأفواه جمعاً لها، فتدبر.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١٠٦٧).

(٢) «الصراح» (ص: ٥٣٧).

(٣) «مشارق الأنوار» (٢/ ٢٧٧).

(٤) «النهاية» (٣/ ٤٨١).

(٥) «شرح الطيبي» (١٠/ ٢٠٨).

فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، . . . .

وقوله: (**فيخرجون**) أي: من ذلك النهر (**كما تخرج الحبة**) قال في (المشارق)[1]: هي بكسر الحاء وتشديد الباء، قال الفراء: بذر البقل، وقال الكسائي: هو حب الرياحين بالفتح، وقال أبو عمرو: هو نبت ينبت في الحشيش الصغار، وقال النضر بن شميل: الحبة بكسر الحاء: اسم جامع لحبوب البقل التي تنتشر إذا هاجت الريح، فإذا أمطرت السماء من قابل نبتت، والحبة من العنب حبة بالفتح، وحب الحبة الذي داخلها، وقال الحربي: ما كان من النبت له حب، فاسم ذلك الحب الحبة، وقال غيره: فأما الحنطة ونحوها فهو الحب لا غير، وقالوا: الحبة فيما هو حبوب مختلفة.

وقال ابن دريد: وهو جميع ما تحمله البقول من ثمرة، وجمعه حبب، وتشبيهه نباتهم بنبات الحبة لوجهين؛ أحدهما: بياضها كما ذكر في الحديث فيهم وفيها، والثاني: سرعة نباتها؛ لأنها تنبت في يوم أو ليلة، انتهى. والأولى كما قال الطيبي: إنه إنما شبهه سرعة نباته وحسنه وطراوته؛ لأن وجود البياض في المشبه به محل خفاء كما في المشبه، كيف وقد يأتي في الحديث الآتي: (أنها تخرج صفراء)، وأما ما ذكر القاضي من ذكره في الحديث، فكأنه أراد قوله ﷺ: (كاللؤلؤ)، جاء في حديث آخر، والله أعلم.

وقوله: (**في حميل السيل**) في (المشارق)[2]: هو ما حمله السيل من طين وغثاء، والحميل بمعنى المحمول كقتيل بمعنى المقتول، وقال الحربي: فيه وجه آخر: أن الحميل ما لم يصبك مطره ومر عليك سيله، كالحميل من الناس من حمل إليك ممن

(١) «مشارق الأنوار» (١/ ٢٧٢).

(٢) «مشارق الأنوار» (١/ ٣١٥).

فَيَخْرُجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِمُ، فَيَقُولُ أَهْلُ الْجَنَّةِ: هَؤُلاَءِ عُتَقَاءُ الرَّحْمَنِ أَدْخَلَهُمُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، وَلاَ خَيْرٍ قَدَّمُوهُ، فَيُقَالُ لَهُمْ: لَكُمْ مَا رَأَيْتُمْ وَمِثْلُهُ مَعَهُ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٨٠٦، م: ١٨٢].

٥٥٨٠ ـ [١٥] وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرَجُونَ قَدِ امْتُحِشُوا وَعَادُوا حُمَماً، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهْرِ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، أَلَمْ تَرَوْا أَنَّهَا تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٦٥٦٠، م: ١٨٤].

لم يولد بأرضك، وكذلك من نزل بقوم منهم يقال له: حميل.

وقوله: (**في رقابهم الخواتم**) المراد به العلامات ليمتازوا عن الخارجين من النار بالعمل الصالح.

وقوله: (**لكم ما رأيتم ومثله معه**) قال الطيبي[1]: فيه حذف، أي: ينظرون في الجنة إلى أشياء، فيقال: لكم ما رأيتم ومثله معه، انتهى. ويمكن أن يكون (ما رأيتم) عبارة عما فضل الله تعالى عليهم من إخراجهم من النار وإدخالهم الجنة، أي: لكم ما شاء من العناية والكرم ومثله معه من نعيم الجنة وأنواع العطايا فيها.

٥٥٨٠ ـ [١٥] (**وعنه**) قوله: (**قد امتحشوا**) في (القاموس)[2]: المحش: قشر الجلد من اللحم، وفي (النهاية)[3]: المحش: احتراق الجلد وظهور العظم. قال

---

(١) «شرح الطيبي» (١٠/ ٢٠٨).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٥٥٩).

(٣) «النهاية» (٤/ ٣٠٢).

٥٥٨١ ـ [١٦] وَعَن أَبِي هُرَيْرَة أَنَّ النَّاسَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَذَكَرَ مَعْنَى حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ، غَيْرَ كَشْفِ السَّاقِ وَقَالَ: «يُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنَ الرُّسُلِ بِأُمَّتِهِ، وَلاَ يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إلاَّ الرُّسُلُ، وَكَلاَمُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ. وَفِي جَهَنَّمَ كَلاَلِيْبُ. . . . .

القاضي عياض[1]: امتحشوا وامتحشت، ضبطه أكثرهم: بضم التاء وكسر الحاء على ما لم يسم فاعله، وضبطناه على أبي بحر بفتح التاء والحاء في الأول، وضبط الأصيلي في الآخر بفتحهما أيضاً، يقال: محشته النار: أحرقته، وقال ابن قتيبة: محش النار وامتحش، وحكى يعقوب أمحشه الحر: أحرقه، وقال غيره: ولا يقال: محشته في هذا بمعنى أحرقته، وحكى صاحب (الأفعال) الوجهين بمعنى أحرقته، قال: ومحشت لغة، وأمحشت المعروف، ويقال: امتحش فلان غضباً، أي: احترق، وقال الداودي: انقبضوا واسودوا.

٥٥٨١ ـ [١٦] (أبو هريرة) قوله: (فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته) ظاهره أنه ﷺ يجوز ويمر على الصراط مع أمته تحلة للقسم في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾[مريم: ٧١]، وقد اختلف في ذلك، وخص ﷺ من هذا العموم، ويجوز أن تجعل الباء للتعدية بمعنى: يجيز أمته واقفاً عليه حاضراً عنده، والله أعلم.

وقوله: **(في جهنم كلاليب)** جمع كلوب بفتح كاف وتشديد لام مضمومة: حديدة لها شعب يعلق به اللحم، وفي (النهاية)[2]: هو بالتشديد: حديدة مُعْوَجَّة

---

(١) «مشارق الأنوار» (١/ ٦١٠).

(٢) «النهاية» (٤/ ١٩٥).

مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ لاَ يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إِلاَّ اللهُ، تَخْطِفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُوبَقُ وَمِنْهُمْ مَنْ يُخَرْدَلُ، ثُمَّ يَنْجُو حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ مِنَ النَّارِ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخْرِجَهُ مِمَّنْ كَانَ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، ....

الرأس، وقد سبق في (باب الرؤيا).

(والسعدان) بفتح السين وسكون العين والمهملة: نبت من أفضل مراعي الإبل، ومنه (مرعى ولا كالسعدان) وله شوك يشبه حلمةَ الثدي، وفي (الصحاح)[١]: ولهذا النبت شوك يقال له: حسك السعدان، وفي (مجمع البحار)[٢] عن النووي: هو بفتح سينه وسكون عينه: نبت له شوك عظيم مثل الحسك من كل الجوانب.

وقوله: **(تخطف)** في (القاموس)[٣]: خطف الشيء كسمع وضرب، أو هذه قليلة أو رديئة: استلبه، انتهى. وقد قرئ في قوله تعالى: ﴿يَخْطَفُ﴾[البقرة: ٢٠] بالكسر أيضاً.

وقوله: **(من يوبق بعمله)** في (القاموس)[٤]: وبق كوعد، ووجِل، ووَرِث، وُبُوقاً ومَوبِقاً: هلك، وأوبقه: حبسه أو أهلكه، **(ومنهم من يخردل)** أي: يقطع، وهو كالمخدوش والمكدوش كما مر، يعني أن الكافر يهلك ولا ينجو، والمؤمن الفاسق يقطع ويخدش ثم ينجو.

---

(١) «الصحاح» (٢/ ٤٨٨).

(٢) «مجمع بحار الأنوار» (٣/ ٧٣).

(٣) «القاموس المحيط» (ص: ٧٤٣).

(٤) «القاموس المحيط» (ص: ٨٥٤).

أَمَرَ الْمَلاَئِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مَنْ يَعْبُدُاللهَ، فَيُخْرِجُونَهُمْ وَيَعْرِفُونَهُمْ بِآثَارِ السُّجُودِ، وَحَرَّمَ اللهُ تَعَالَى عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَـرَ السُّجُودِ، فَكُلُّ ابْنِ آدَمَ تَأْكُلُـهُ النَّارُ إِلاَّ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيُخْرَجُونَ مِنَ النَّارِ قَدِ امْتُحِشُوا، فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّـةُ فِي حَمِيلِ السَّيْـلِ، وَيَبْقَى رَجُلٌ بَيْنَ الجنَّـةِ والنارِ وَهُوَ آخرُ أَهْلِ النَّارِ دُخُولاً الْجَنَّةَ، مُقْبِـلٌ بِوَجْهِهِ قِبَلَ النَّارِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ! اِصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّار قَد قَشَبَنِي رِيحُهَا، وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا........

وقوله: (**أمر الملائكة**) إما بعد شفاعتهم، أو شفاعة الأنبياء والرسل، أو شفاعة المؤمنين.

وقوله: (**إلا أثر السجود**) أي: موضع أثـر السجود، والمراد الجنس، فيشمل جميع أعضاء السجود، والتخصيص بالجبهة لا وجه له إلا باعتبار المواجهة أو شرفه.

وقوله: (**فيصب عليهم ماء الحياة**) لا منافاة بينـه وبين ما ورد: (أنهم يدخلون في نهر الحياة)، فيجوز أن يكون الصب بإلقائهم في نهرها.

وقولـه: (**وقـد قشبني**) القشب: الخلط، وسقـي السم، والإصابـة بالمكـروه المستقذر، وقشبني ريحـه: آذاني، وقـال فـي (المشارق)[1]: معناه سَمَّنَـي وآذاني، والقشب: السم، ويقال: قشبه الدخان: إذا ملأ خياشيمه.

وقوله: (**وأحرقني ذكاؤها**) في (المشارق)[2]: أي شدة حرها والتهابها، كذا هو بفتح الدال ممدوداً عند الرواة، والمعروف في شدة حر النار القصر، إلا أن أبا حنيفة

---

(١) «مشارق الأنوار» (٢/ ٣٢٦).

(٢) «مشارق الأنوار» (١/ ٤٢٨).

فَيَقُولُ: هَلْ عَسَيْتَ إِنْ أَفْعَلْ ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَ ذَلِكَ؟ فَيَقُول: لاَ وَعِزَّتِكَ، فَيُعْطِي اللهَ مَا شاءَ اللهُ مِنْ عَهْدٍ وَمِيثَاقٍ، فَيَصْرِفُ اللهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ، فإذا أَقْبَلَ بِهِ عَلَى الْجَنَّةِ وَرَأى بَهْجَتَهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ قَالَ: يَا رَبِّ! قَدِّمْنِي عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَلَيْسَ أَعْطَيْتَ الْعُهُودَ وَالْمِيثَاقَ أَنْ لاَ تَسْأَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنْتَ سَأَلْتَ. فَيَقُولُ: يَا رَبِّ! لاَ أَكُونُ أَشْقَى خَلْقِكَ. فَيَقُولُ: فَمَا عَسَيْتَ إِنْ أُعْطِيتَ ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ. . . . .

ذكر فيه المد، وخطأه فيه علي بن حمزة في ردوده، يقال منه: ذكت النار تذكو ذكاً وذكواً، ومنه: ذكا الطيب: انتشار ريحه، وأما الذكاء ممدوداً فتمام السن وذكاء القلب، انتهى. وفي (القاموس)[1]: ذكت النار ذُكُوًّا [ذكاً] وذكاءً بالمد عن الزمخشري، واستذكت: اشتد لهبها.

وقوله: **(هل عسيت)** معنى الرجاء راجع إلى المخاطب كالترجي في: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[البقرة: ٧٣].

وقوله: **(فيعطي الله)** فاعله ضمير الرجل، **(فإذا أقبل به على الجنة)** لعل الباء للتعدية، أي: أقبله الله تعالى.

وقوله: **(لا أكون أشقى خلقك)** بأن أكون خارج الجنة، والمؤمنون فيها، فلا أقل من أن أكون عند بابها، والشقا: الشدة والعُسْر، ويمد، كذا في (القاموس)[2].

وقوله: **(فما عسيت)** (ما) استفهامية، و**(أعطيت)** بلفظ المجهول.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١١٨١).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ١١٩٥).

فَيَقُولُ: لاَ وَعِزَّتِكَ لاَ أَسْأَلُكَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَيُعْطِي رَبَّهُ مَا شَاءَ مِنْ عَهْدٍ وَمِيثَاقٍ، فَيُقَدِّمُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَإِذَا بَلَغَ بَابَهَا، فَرَأَى زَهْرَتَهَا وَمَا فِيهَا مِنَ النَّضْرَةِ وَالسُّرُورِ، فَسَكَتَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَسْكُتَ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ! أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ. فَيَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ! مَا أَغْدَرَكَ، أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ الْعُهُودَ وَالْمِيثَاقَ أَنْ لاَ تَسْأَلَ غَيْرَ الَّذِي أُعْطِيتَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ! لاَ تَجْعَلْنِي أَشْقَى خَلْقِكَ، فَلاَ يَزَالُ يَدْعُو حَتَّى يَضْحَكَ اللهُ مِنْهُ، فَإِذَا ضَحِكَ أَذِنَ لَهُ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ. فَيَقُولُ: تَمَنَّ فَيَتَمَنَّى حَتَّى إِذَا انْقَطَعَتْ أُمْنِيَّتُهُ قَالَ اللهُ تَعَالَى[١]: تَمَنَّ مِنْ كَذَا وَكَذَا، أَقْبَلَ يُذَكِّرُهُ رَبُّهُ حَتَّى إِذَا انْتَهَتْ بِهِ الأَمَانِيُّ قَالَ اللهُ: لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ» وَفِي رِوَايَةِ أَبِي سَعِيدٍ: «قَالَ اللهُ: لَكَ ذَلِكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٨٠٦، م: ١٨٢].

وقوله: (فيقول: لا وعزتك) فإن قلت: كيف لم يعاتبه الله تعالى على نقض العهد والحنث في اليمين؟ قلت: حاله حال الولهان والمجانين فيعذروا، وأيضاً ليست تلك دار التكليف فلا مؤاخذة.

وقوله: (يا رب! لا تجعلني أشقى خلقك) ذكر في هذه المرة بصيغة الدعاء تضرعاً وإلحاحاً لكثرة النقض والعذر، ولذلك لا يزال يدعو حتى يضحك الله تعالى أي: يرضى منه غاية الرضاء.

وقوله: (أقبل يذكره ربه) من باب تنازع الفعلين في الفاعل.

وقوله: (يذكره) من التذكير، و(ربه) تنازع فيه الفعلان، ويحتمل المذهبين.

---

(١) «تعالى» سقط في نسخة.

٥٥٨٢ ـ [١٧] وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ فَهُوَ يَمْشِي مَرَّةً، وَيَكْبُو مَرَّةً وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً، فَإِذَا جَاوَزَهَا الْتَفَتَ إِلَيْهَا فَقَالَ: تَبَارَكَ الَّذِي نَجَّانِي مِنْكِ، لَقَدْ أَعْطَانِي اللهُ شَيْئاً مَا أَعْطَاهُ أَحَداً مِنَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، فَتُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ، فَلأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، فَيَقُولُ اللهُ: يَا ابْنَ آدَمَ! لَعَلِّي إِنْ أَعْطَيْتُكَهَا سَأَلْتَنِي غَيْرَهَا؟ فَيَقُولُ: لاَ يَا رَبِّ! . . . .

٥٥٨٢ ـ [١٧] **(ابن مسعود)** قوله: **(ويكبو مرة)** في (القاموس)[1]: كبا يكبو كَبْواً وكُبُواً: انكبّ على وجهه.

وقوله: **(وتسفعه النار)** في (القاموس)[2]: سفع الشيء كمنعه: أعلمه، ووَسَمَه، والمعنى تعلمه النار، وتسميه علامة ووسمة منها بأن تلفحه لفحاً يسيراً فيتغير لون بشرته، ويظهر فيه أثر منها من احتراق بعض أعضائه واسوداد من لفحها، وأصل السفع: سواد في الوجه، قال الأصمعي: هو حمرة يعلوها سواد.

وقوله: **(ما أعطاه أحداً من الأولين والآخرين)** كلام وقع من غاية الفرح والسرور، وليس المراد حقيقته، بل المراد: أعطاني شيئاً كثيراً عظيماً.

وقوله: **(فترفع له شجرة)** أي: تظهر رفيعاً.

وقوله: **(فلأستظل)** أحد الحرفين الفاء واللام زائدة زيدت للتأكيد واللام مكسورة مقدرة بعدها (أن) ناصبة.

وقوله: **(وأشرب من مائها)** ظن من غلبة الظمأ أنه يكون تحتها ماء أو لجريان

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١٢١٨).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٦٧٢).

وَيُعَاهِدُهُ أَنْ لاَ يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّـهُ يُعْذِرُهُ؛ لِأَنَّـهُ يَرَى مَا لاَ صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيـهِ مِنْهَا فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَـا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَـا، ثُمَّ تُرْفَـعُ لَـهُ شَجَرَةٌ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الأُولَى، فَيَقُـولُ: أَيْ رَبِّ أَدْنِنِـي مِنْ هَـذِهِ الشَّجَرَةِ لِأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا وَأَسْتَظِـلَّ بِظِلِّهَا لاَ أَسْأَلُكَ غَيْرَهَـا. فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ! أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لاَ تَسْأَلَنِي غَيْرَهَـا؟ فَيَقُـولُ: لَعَلِّـي إِنْ أَدْنَيْتُـكَ مِنْهَـا تَسْأَلُنِـي غَيْرَهَـا؟ فَيُعَاهِدُهُ أَنْ لاَ يَسْأَلَـهُ غَيْرَهَـا، وَرَبُّـهُ يُعْذِرُهُ لِأَنَّـهُ يَرَى مَا لاَ صَبْرَ لَـهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيـهِ مِنْهَا، فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ تُرْفَـعُ لَـهُ شَجَرَةٌ عِنْدَ بَابِ الْجَنَّـةِ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الأُولَيَيْنِ، فَيَقُـولُ: أَيْ رَبِّ! أَدْنِنِـي مِنْ هَـذِهِ، فَلأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَـا، لاَ أَسْأَلُكَ غَيْرَهَـا. فَيَقُـولُ: يَـا ابْنَ آدَمَ! أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لاَ تَسْأَلَنِي غَيْرَهَـا؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ! هَذِهِ لاَ أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، وَرَبُّـهُ يُعْذِرُهُ لِأَنَّـهُ يَرَى مَا لاَ صَبْرَ لَـهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَإِذَا أَدْنَاهُ مِنْهَا سَمِـعَ أَصْوَاتَ أَهْـلِ الْجَنَّـةِ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ! أَدْخِلْنِيهَا فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ! ....

العادة، أو على الاحتمال.

وقوله: (وربه يعذره) أي: يجعله معذوراً، وأصل الإعذار: إزالة العذر، وقد يكون بمعنى العذر، يقال: عذرته فيما صنع عذراً من باب ضرب: رفعت عنه اللوم، فهو معذور، أي: غير ملوم، وأعذرته بالألف لغة، واعتذر، أي: طلب قبول معذرته، واعتذر عن فعله، أي: أظهر عذره، كذا في بعض الشروح.

وقوله: (يا رب! هذه) أي: هذه أسألك ولا أسأل غيرها.

مَا يَصْرِيْنِي مِنْكَ؟ أَيُرْضِيكَ أَنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا. قَالَ: أَيْ رَبِّ! أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟» فَضَحِكَ ابْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ: أَلَا تَسْأَلُونِيّ مِمَّ أَضْحَكُ؟ فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ؟ فَقَالَ: هَكَذَا ضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ. فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «مِنْ ضِحْكِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؟ حِيْنَ قَالَ: أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، فَيَقُولُ: إِنِّي لاَ أَسْتَهْزِئُ مِنْكَ، وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَدِيْرٌ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ١٨٧].

٥٥٨٣ ـ [١٨] وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ نَحْوَهُ إِلاَّ أَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ: «فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ! مَا يَصْرِينِي مِنْكَ؟» إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ وَزَادَ فِيهِ: . . . .

وقوله: (ما يصريني منك؟) في (المشارق)[1]: بفتح الياء وسكون الصاد، وكذا الرواية، أي: من يقطعني، والصري: القطع، وقال الحربي: إنما هو (يصريك عني) أي: يقطعك عن مسألتي، انتهى، وقد تحمل الرواية الأولى على القلب؛ لأن الرواية صحيحة فلا بد من تأويلها، وفي (القاموس)[2]: صراه يصريه: قطعه، ودفعه، ومنعه، وحفظه، وكفاه، ووقاه، وكل هذه المعاني تؤيد الرواية الثانية، والله أعلم.

وقوله: (أتستهزئ مني) كلام وقع من غاية الفرح والسرور، فنزل لشأنه من شدة الفرح، كما أخطأ في القول من ضلت راحلته بأرض فلاة عليها طعامه وشرابه، فأيس منها ثم بعد أن وجدها قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك.

وقوله: (ولكني على ما أشاء قدير) أي: نعم لستَ أهلاً لذلك، ولكني . . . إلخ.

٥٥٨٣ ـ [١٨] (أبو سعيد) قوله: . . . .

---

(١) «مشارق الأنوار» (٢/ ٤٣).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ١١٩٧).

«وَيُذَكِّرُهُ اللهُ: سَلْ كَذَا وَكَذَا، حَتَّى إِذَا انْقَطَعَتْ بِهِ الأَمَانِيُّ قَالَ اللهُ: هُوَ لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ»، قَالَ: «ثُمَّ يَدْخُلُ بَيْتَهُ فَتَدْخُلُ عَلَيْهِ زَوْجَتَاهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ فَتَقُولاَنِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَاكَ لَنَا وَأَحْيَانَا لَكَ». قَالَ: «فَيَقُولُ: مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مثلَ مَا أُعْطِيتُ». [م: ١٨٨].

٥٥٨٤ ـ [١٩] وَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَيُصِيبَنَّ أَقْوَاماً سَفْعٌ مِنَ النَّارِ بِذُنُوبٍ أَصَابُوهَا عُقُوبَةً، ثُمَّ يُدْخِلُهُمُ اللهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ فَيُقَالُ لَهُمُ: الْجَهَنَّمِيُّونَ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٦٥٥٩].

٥٥٨٥ ـ [٢٠] وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُسَمَّوْنَ الْجَهَنَّمِيِّينَ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٦٥٦٦].

وَفِي رِوَايَةٍ: «يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَتِي يُسَمَّوْنَ الْجَهَنَّمِيِّينَ».

٥٥٨٦ ـ [٢١] وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي لأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجاً مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولاً، ....

(أحياك لنا وأحيانا لك) أي: خلقك لنا وخلقنا لك بالحياة الأبدية لا تموت بعدها.

٥٥٨٤ ـ [١٩] (أنس) قوله: (الجهنميون) لإصابة شيء من آثار جهنم وعلاماته إياهم.

٥٥٨٥ ـ [٢٠] (عمران بن حصين) وقوله: (قوم) وفي بعض النسخ: (أقوام).

٥٥٨٦ ـ [٢١] (عبدالله بن مسعود) قوله: ....

رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ حَبْواً. فَيَقُولُ اللهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلأَى، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ! وَجَدْتُهَا مَلأَى، فَيَقُولُ اللهُ: اِذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا. فَيَقُولُ: أَتَسْخَرُ مِنِّي ـ أَوْ تَضْحَكُ مِنِّي ـ وَأَنْتَ الْمَلِكُ؟»، وَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، وَكَانَ يُقَالُ: ذَلِكَ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٦٥٧١، م: ١٨٦].

٥٥٨٧ ـ [٢٢] وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي لأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولاً الْجَنَّةَ، وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجاً مِنْهَا، رَجُلٌ يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُقَالُ: اعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ، وَارْفَعُوا عَنْهُ كِبَارَهَا، فَتُعْرَضُ عَلَيْهِ صِغَارُ ذنُوبِهِ فَيُقَالَ: عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، كَذَا وَكَذَا، وَعَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِ ذُنُوبِهِ أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ. فَيُقَالُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً. . . . .

(حبواً) حبا الرجل: مشى على يديه وبطنه، والصبي: مشى على استه، وأشرف بصدره، كذا في (القاموس)[1].

وقوله: (أدنى أهل الجنة منزلة) في (الصراح)[2]: جائى فرود آمدن وسرائى، ومنزلت مثله ومرتبت أيضاً.

٥٥٨٧ ـ [٢٢] (أبو ذر) قوله: . . . .

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١١٧٠).

(٢) «الصراح» (ص: ٤٥٢).

فَيَقُولُ: رَبِّ، قَدْ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لاَ أَرَاهَا هَاهُنَا» وَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ١٩٠].

٥٥٨٨ ـ [٢٣] وَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ أَرْبَعَةٌ، فَيُعْرَضُونَ عَلَى اللهِ، ثُمَّ يُؤْمَرُ بِهِمْ إِلَى النَّارِ، فَيَلْتَفِتُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ؟ لَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو إِذ أَخْرَجْتَنِي مِنْهَا أَنْ لاَ تُعِيدَنِي فِيهَا»، قَالَ: «فَيُنْجِيهِ اللهُ مِنْهَا». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ١٩٢].

٥٥٨٩ ـ [٢٤] وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقْتَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ مَظَالِمُ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لأَحَدُهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ لَهُ فِي الدُّنْيَا». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٢٤٤٠].

(حتى بدت نواجذه) قد مر شرحه فيما سبق.

٥٥٨٨ ـ [٢٣] **(أنس)** قوله: **(ثم يؤمر بهم إلى النار)** لعل ذلك لإظهار الامتنان والامتحان وذكر حال أحدهم، وترك أحوال الآخرين مقايسة، والظاهر أن ذكر الأربعة على سبيل التمثيل والتقدير، والمراد الجماعة.

٥٥٨٩ ـ [٢٤] **(أبو سعيد)** قوله: **(يخلص المؤمنون من النار . . . إلخ)**، يعلم منه أنهم يدخلون النار بذنوبهم من غير اقتصاص بالمظالم ثم يقتص.

وقوله: **(أهدى بمنزله)** أي: أعرف وألصق.

٥٥٩٠ ـ [٢٥] وَعَنْ أَبِي هُرَيْـرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لاَ يَدْخُلُ أَحَدٌ الْجَنَّةَ إِلاَّ أُرِيَ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ لَـوْ أَسَاءَ لِيَزْدَادَ شُكْراً، وَلاَ يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ إِلاَّ أُرِيَ مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ لَوْ أَحْسَنَ لِيَكُونُ عَلَيْهِ حَسْرَةً». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٦٥٦٩].

٥٥٩١ ـ [٢٦] وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّارِ، جِيءَ بِالْمَوْتِ حَتَّى يُجْعَلَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يُذْبَحَ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ! لاَ مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ! لاَ مَوْتَ. فَيَزْدَادُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَرَحاً إِلَى فَرَحِهِمْ، وَيَزْدَادُ أَهْلُ النَّارِ حُزْناً إِلَى حُزْنِهِمْ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٦٥٤٨، م: ٢٨٥٠].

* الْفَصْلُ الثَّانِي:

٥٥٩٢ ـ [٢٧] عَن ثَوْبَانَ عَنِ النَّبِـيِّ ﷺ قَالَ: «حَوْضِـي مِنْ عَدَنٍ. .

٥٥٩٠ ـ [٢٥] (أبـو هريرة) قولـه: (إلا أري) بلفظ المجهول وفيـه ضمير هو مفعوله الأول، و(مقعده) منصوب مفعول ثان.

٥٥٩١ ـ [٢٦] (ابن عمر) قوله: (جيء بالموت) وقد جاء في رواية: (يؤتى على صورة كبش)، قيل: لكل شيء حقيقة ومثال في ذلك العالم، ومثال الموت الكبش، ومثال العلم اللبن، ومثال الإيمان الظلة، وأمثال ذلك، ومع قطع النظر عن ذلك يمثله الله تعالى بذلك ليريهم عدمه وزواله بذبح الكبش، والله أعلم.

الفصل الثاني

٥٥٩٢ ـ [٢٧] (ثوبان) قوله: (من عدن) بلدة مشهورة من اليمن، جاء منصرفاً

إِلَى عَمَّانَ الْبَلْقَاءِ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضاً مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَكْوَابُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَداً، أَوَّلُ النَّاسِ وُروداً فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ، الشُّعْثُ رُؤُوساً، الدُّنسُ ثِيَاباً، . . . .

وغير منصرف، (**إلى عمان**) في (القاموس)[1]: عمان كشداد: بلدة بالشام، وكغراب: بلدة باليمن، انتهى، وقال الطيبي[2] موافقاً لما في (النهاية): موضع بالبحرين، والذي صحح في النسخ هو الأول، وعبارة الطيبي ظاهر في جواز الوجهين، وإضافته إلى البلقاء بفتح الموحدة وسكون اللام وبالقاف والمد، الذي هو بلدة بالشام يعين الأول. و(**الأكواب**) جمع كوب بالضم: كوز لا عروة له أو لا خرطوم له، كذا في (القاموس)[3].

وقوله: (**عدد**) بالرفع، أي: عددها عدد (**نجوم السماء**)، أو النصب بنزع الخافض. و(**الشعث**) بضم المثلثة وسكون العين: جمع شعث بفتح شين وكسر عين أو أشعث، يقال: رجل شعث، وشعر شعث، وأشعث فيهما، وامرأة شعثاء وشعثة، وهو متلبد الشعر المغبر، والشعث بفتحتين: انتشار الأمر، ومصدر الأشعث لمغبر الرأس، وفي الحديث: (أسألك رحمة تلم بها شعثي)[4]، أي: يجمع ويصلح بها ما تفرق من أمري. و(**الدنس**) صحح في باب النسخ بضمتين، وقيل: جمع دنس بفتحتين وهو الوسخ، وفي بعضها بسكون العين، وهو الأظهر، ويكون جمع دنس بكسر النون

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١١٢٢).

(٢) «شرح الطيبي» (١٠/ ٢٢١).

(٣) «القاموس المحيط» (ص: ١٣٦).

(٤) أخرجه الترمذي (٣٤١٩).

الَّذِينَ لاَ يُنْكَحُونَ الْمُتَنَعِّمَاتِ، وَلاَ يُفْتَحُ لَهُمُ السُّدَدُ». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ.

وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. [حم: ٢٢٣٦٧، ت: ٢٤٤٤، جه: ٤٣٠٣].

٥٥٩٣ ـ [١٨] وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَنَزَلْنَا مَنْزِلاً فَقَالَ: «مَا أَنْتُمْ جُزْءٌ مِنْ مِئَةِ أَلْفِ جُزْءٍ مِمَّنْ يَرِدُ عَلَيَّ الْحَوْضِ». قِيلَ: كَمْ كُنْتُمْ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: سَبْعُ مِئَةٍ أَوْ ثَمَانُ مِئَةٍ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٤٧٤٦].

٥٥٩٤ ـ [٢٩] وَعَنْ سَمُرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضاً، ....

كالشعث جمع شعث.

و(لا ينكحون) على صيغة المجهول أي: لو خطبوا المتنعمات من النساء لم يجابوا. و(لا يفتح لهم السدد) جمع سدة بالضم، وهو باب الدار، أي: لو دقّوا الأبواب واستأذنوا للدخول لم يفتح لهم ولم يؤذن.

٥٥٩٣ ـ [٢٨] (زيد بن أرقم) قوله: (ما أنتم جزء) بالنصب والرفع على لغة الحجاز وبني تميم، قيل: أي لزيد بن أرقم، وليس المراد التحديد بل التكثير ولعلهم يكونون أقل من ذلك.

٥٥٩٤ ـ [٢٩] (سمرة) قوله: (إن لكل نبي حوضاً) قال الطيبي[1]: يجوز أن يحمل على ظاهره، وأن يحمل على المجاز ويراد به العلم والهدى، ولا خفاء في أن

---

(١) «شرح الطيبي» (١٠/ ٢٢١).

وَإِنَّهُمْ لَيَتَبَاهَوْنَ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ وَارِدَةً، وَإِنِّي لأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ وَارِدَةً». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. [ت: ٢٤٤٣].

٥٥٩٥ ـ [٣٠] وَعَن أَنَسٍ قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يَشْفَعَ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقَالَ: «أَنَا فَاعِلٌ». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! فَأَيْنَ أَطْلُبُكَ؟ قَالَ: «اطْلُبْنِي أَوَّلَ مَا تَطْلُبُنِي عَلَى الصِّرَاطِ». قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عَلَى الصِّرَاطِ؟ قَالَ: «فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الْمِيزَانِ» قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عِنْدَ الْمِيزَانِ؟..........

النصوص محمولة على ظاهرها ما لم يصرف عنه صارف، ولا ندري أي صارف هنا يصرف عن حمله على ظاهره ويدعو إلى التأويل بالعلم والهدى، كما جوزه الطيبي، ومجرد الاحتمال غير كاف، والله أعلم.

وقوله: (أكثرهم واردة) المراد بها الأمة التي ترد على الحوض.

٥٥٩٥ ـ [٣٠] (أنس) قوله: (فقال: أنا فاعل) أي: والقبول من الله، وقد وعدني بالقبول أوكد وعد وأشده.

وقوله: (فأين أطلبك) أي: في أيِّ موضع أطلبك للشفاعة فيه، فقال ﷺ: هذه مواضع الشفاعة فاطلبني فيها، فافهم.

وقوله: (فاطلبني عند الميزان) قيل: المشهور أن الميزان قبل الصراط، ونظم هذا الحديث يدل على أن الصراط مقدم على الميزان، وأجيب بأن الطلب في المظان المرتبة يجوز أن يبدأ من كل طرف أراد الطالب، سواء كان من الطرف المتقدم أو المتأخر، وكذا ذكر المواقف المرتبة يجوز أن يبدأ من كل طرف، فإن الترتيب بحسب الذكر لا يدل على الترتيب بحسب الزمان، ولا بالطبع، ولا بحسب الذات، وأجيب أيضاً بأنه يجوز أن يكون ﷺ في وقت واحد تارة على الصراط، وتارة على الميزان، ويتكرر الوقوف

قَالَ: «فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الْحَوْضِ فَإِنِّي لاَ أُخْطِيءُ هَذِهِ الثَّلاَثَ الْمَوَاطِنَ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. [ت: ٢٤٣٣].

٥٥٩٦ ـ [٣١] وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: قِيْلَ لَهُ: مَا الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ؟ قَالَ: «ذَلِكَ يَوْمَ يَنْزِلُ اللهُ تَعَالَى عَلَى كُرْسِيِّهِ فَيَئِطُّ كَمَا يَئِطُّ الرَّحْلُ الْجَدِيدُ مِن تَضَايُقِهِ، وَهُوَ كَسَعَةِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، وَيُجَاءُ بِكُمْ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً، ....

على كل واحد منهما، وبعض الناس يكونون مجتازين من الصراط، وبعضهم يوزن أعمالهم في وقت واحد، فتأمل.

وقوله: (**هذه الثلاث**) بلا تاء بتأويل البقاع، وقد يروى بالتاء وهو ظاهر.

٥٥٩٦ ـ [٣١] (ابن مسعود) قوله: (**وذلك يوم ينزل الله تعالى على كرسيه**) ويحكم بين العباد، هذا توطئة للجواب، والجواب في قوله: (ثم أقوم عن يمين الله . . . **إلخ**)، والحديث من المتشابهات، وهو تشبيه وتمثيل وخلاصة وزبدة بيان عظمة الله تعالى وكبريائه، ومعاني المفردات غير ملحوظة، وقد يقال: (كرسيه) مأخوذ من كرسي العالم أو الملك، وقد ورد: (ما السماوات السبع والأرضون السبع مع الكرسي إلا كحلقة [ملقاة] في [أرض] فلاة)، وقيل: [فضل] العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة، ويظهر من هذا أن قوله: (**وهو كسعة ما بين السماء والأرض**) تصوير لعظمته بحسب العرف لا بحسب المقدار، والمقصود من ذكره دفع توهم ضيقه لتشبيهه بالرحل وأطيطه لتضايقه كما ورد في سعة الجنة: عرضها السماوات والأرض، والرحل للإبل كالسرج للفرس، والجمع رحال، والأطيط: صوت الرحل والسرج، يقال: أط الرحل يئط أطيطاً: صوت، وقد يطلق على أنين الإبل تعباً أو حنيناً أو زرمة، و(**الغرل**)

فَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُكْسَى إِبْرَاهِيمُ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: اكْسُوا خَلِيلِي بِرَيْطَتَيْنِ بَيْضَاوَيْنِ مِنْ رِيَاطِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ أُكْسَى عَلَى أَثَرِهِ، ثُمَّ أَقُومُ عَنْ يَمِينِ اللهِ مَقَاماً يَغْبِطُنِي الأَوَّلُونَ وَالآخِرُونَ». رَوَاهُ الدَّارِمِيُّ. [دي: ٢/ ٤١٩].

٥٥٩٧ ـ [٣٢] وَعَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: . . .

جمع الأغرل، وهو من لم يختتن، وقد مر.

و(**الريطه**): كل ملاءة غير ذات لِفْقَين، كلها نسج واحد، وقطعة واحدة، أو كل ثوب لين رقيق، كالرائطة، كذا في (القاموس)[1]. وفي (مجمع البحار)[2]: ريط بفتح الراء وسكون ياء: كل ملاءة ليست بنفيس، وقيل: كل ثوب رقيق لين من كتان ولم يكن قطعتين متضامتين بل واحدة.

وقوله: (**ثم أكسى على أثره**) قد مر الكلام في تقديم إبراهيم في الكسوة في (الفصل الأول) من (باب الحشر)، وأنه لا يدل على تفضيله على محمد ﷺ، وأن تقديمه لأجل أبوته ﷺ، وأما ما قيل: إنه ﷺ يبعث كاسياً فينافيه ظاهر قوله: (ثم أكسى على أثره)، اللهم إلا أن يقال: يبعث كاسياً ثم يكسى أيضاً مع الأنبياء مكرراً لكمال شرفه وفضله، والتقديم في الكسوة شيء جزئي، ولكن الفضل كل الفضل قيامه مقاماً يغبطه فيه الأولون والآخرون، وفيه فضله على الملائكة والثقلين، عليه من الصلاة أفضلها ومن التحيات أتمها وأكملها.

٥٥٩٧ ـ [٣٢] (المغيرة بن شعبة) قوله: . . . .

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٦١٥).

(٢) «مجمع بحار الأنوار» (٢/ ٤١٢).

«شِعَارُ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى الصِّرَاطِ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. [ت: ٢٤٣٢].

٥٥٩٨ ـ [٣٣] وَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ. [ت: ٢٤٣٥، د: ٤٧٣٩].

٥٥٩٩ ـ [٣٤] وَرَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ عَنْ جَابِرٍ. [جه: ٤٣١٠].

٥٦٠٠ ـ [٣٥] وَعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَتَانِي آتٍ مِنْ عِنْدِ رَبِّي، فَخَيَّرَنِي بَيْنَ أَنْ يُدْخِلَ نِصْفَ أُمَّتِي الْجَنَّةَ وَبَيْنَ الشَّفَاعَةِ، فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ، وَهِيَ لِمَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئاً». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ. [ت: ٢٤٤١، جه: ٤٣١٧].

٥٦٠١ ـ [٣٦] وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ أَبِي الْجَدْعَاءِ قَالَ: . . . .

(شعار المؤمنين) في (القاموس)[1]: الشعار ككتاب: العلامة في الحرب والسفر، وهذه الكلمة علامة للمؤمنين به يعرفون أنهم مؤمنون.

٥٥٩٨، ٥٥٩٩ ـ [٣٣، ٣٤] (أنس، وجابر) قوله: (شفاعتي لأهل الكبائر) أي: لوضع السيئات، وأما الشفاعة لرفع الدرجات فلكل من الأتقياء والأولياء، وذلك متفق عليه بين أهل الملة.

٥٦٠٠ ـ [٣٥] (عوف بن مالك) قوله: (فاخترت الشفاعة) لأنها قد تعم الكل كما سبقت من الأحاديث.

٥٦٠١ ـ [٣٦] (عبدالله بن أبي الجدعاء) قوله: (أبي الجدعاء) بفتح الجيم

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٣٨٨).

سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَكْثَرُ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالدَّارِمِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ. [ت: ٢٤٣٨، دي: ٢/ ٤٣٢، جه: ٤٣١٦].

٥٦٠٢ ـ [٣٧] وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَشْفَعُ لِلْفِئَامِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْفَعُ لِلْقَبِيلَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْفَعُ لِلْعُصْبَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْفَعُ لِلرَّجُلِ حَتَّى يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢٤٤٠].

٥٦٠٣ ـ [٣٨] وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ ﷻ وعَدَني أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي أَرْبَعَ مِئَةِ أَلْفٍ بِلاَ حِسَابٍ». فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: زِدْنَا يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ: وَهَكَذَا، فَحَثَا بِكَفَّيْهِ وَجَمَعَهُمَا، . . . .

وسكون الذال المعجمة، الكناني. وفي (جامع الأصول)(١): الجدعاء بفتح الجيم وسكون الدال المهملة، ويقال: الكناني.

٥٦٠٢ ـ [٣٧] **(أبو سعيد)** قوله: **(للفئام)** بالكسر: الجماعة من الناس لا واحد له من لفظه، وقد سبق، والقبيلة: بنو أب واحد، كذا في (القاموس)(٢)، و**(العصبة)** بالضم من الرجال والخيل والطير: ما بين العشرة إلى الأربعين كالعصابة.

وقوله: **(حتى يدخلوا الجنة)** أي: المشفعون، وقال الطيبي(٣): الضمير لجميع الأمة، أي: تنتهي شفاعتهم إلى أن يدخل جميعهم الجنة.

٥٦٠٣ ـ [٣٨] **(أنس)** قوله: **(فقال أبو بكر: زدنا يا رسول الله)** أي: زدنا في

---

(١) «جامع الأصول» (١٢/ ٥٦٧).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٩٦٤).

(٣) «شرح الطيبي» (١٠/ ٢٢٧).

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: زِدْنَا يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ: وَهَكَذَا، فَقَالَ عُمَرُ: دَعْنَا يَا أَبَا بَكْرٍ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَمَا عَلَيْكَ أَنْ يُدْخِلَنَا اللهُ كُلَّنَا الْجَنَّةَ؟ فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِنْ شَاءَ أَنْ يُدْخِلَ خَلْقَهُ الْجَنَّةَ بِكَفٍّ وَاحِدٍ فَعَلَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «صَدَقَ عُمَرُ». رَوَاهُ فِي «شَرْحِ السُّنَّةِ». [شرح السنة: ٤٣٣٥].

٥٦٠٤ ـ [٣٩] وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُصَفُّ أَهْلُ النَّارِ، فَيَمُرُّ بِهِمُ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ الرَّجُلُ مِنْهُمْ: يَا فُلَانُ! أَمَا تَعْرِفُنِي؟ أَنَا الَّذِي سَقَيْتُكَ شَرْبَةً. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَنَا الَّذِي وَهَبْتُ لَكَ وَضُوءاً، فَيَشْفَعُ لَهُ فَيُدْخِلُهُ الْجَنَّةَ». رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ. [جه: ٣٦٨٥].

الإخبار عما وعدك ربك من إدخال أمتك الجنة بشفاعتك؛ لأنه وعده أكثر من ذلك، كما مرّ من حديث أبي أمامة في (باب الحساب): (سبعين ألفاً مع كل ألف سبعون ألفاً وثلاث حثيات)، أو زدنا بالسؤال عن ربك، وقول عمر رضي الله عنه: **(دعنا يا أبا بكر)** أي: دعنا نخاف العذاب، ونعمل ولا نتكل.

وقوله: **(بكف واحد)** أي: بعطاء واحد، أي: لو أراد أن يدخل خلقه كله بفضله ورحمته فعل، فإن رحمته أوسع من ذلك، قيل: ما ذهب إليه أبو بكر هو من باب الجوار والمسكنة، وما ذهب إليه عمر هو من باب الرضاء والتسليم، وقيل: إنما لم يجب ﷺ أبا بكر أولاً بما قال عمر، وصدقه ثانياً؛ لأن للبشارات مدخلاً عظيماً في التوجه والعمل، وكلام عمر رضي الله عنه أيضاً بشارة بل أعظم، فالمآل واحد، فافهم.

٥٦٠٤ ـ [٣٩] (وعنه) قوله: **(يصف)** من باب نصر، وروي مجهولاً ومعلوماً.

وقوله: **(فيقول الرجل منهم)** أي: من أهل النار.

وقوله: **(أنا الذي سقيتك شربة)** فيه تحريض على الإحسان للصالحين.

٥٦٠٥ ـ [٤٠] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ رَجُلَيْنِ مِمَّنْ دَخَلَ النَّارَ اشْتَدَّ صِيَاحُهُمَا، فَقَالَ الرَّبُّ تَعَالَى: أَخْرِجُوهُمَا. فَقَالَ لَهُمَا: لأَيِّ شَيْءٍ اشْتَدَّ صِيَاحُكُمَا؟ قَالاَ: فَعَلْنَا ذَلِكَ لِتَرْحَمَنَا. قَالَ: فَإِنَّ رَحْمَتِي لَكُمَا أَنْ تَنْطَلِقَا فَتُلْقِيَا أَنْفُسَكُمَا حَيْثُ كُنْتُمَا مِنَ النَّارِ، فَيُلْقِي أَحَدُهُمَا نَفْسَهُ، فَيَجْعَلُهَا اللهُ عَلَيْهِ بَرْداً وَسَلاَماً، وَيَقُومُ الآخَرُ فَلاَ يُلْقِي نَفْسَهُ، فَيَقُولُ لَهُ الرَّبُّ تَعَالَى: مَا مَنَعَكَ أَنْ تُلْقِيَ نَفْسَكَ كَمَا أَلْقَى صَاحِبُكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّ! إِنِّي لأَرْجُو أَنْ لاَ تُعِيدَنِي فِيهَا بَعْدَمَا أَخْرَجْتَنِي مِنْهَا. فَيَقُولُ لَهُ الرَّبُّ تَعَالَى: لَكَ رَجَاؤُكَ. فَيُدْخَلاَنِ جَمِيعاً الْجَنَّةَ بِرَحْمَةِ اللهِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

[ت: ٢٥٩٩].

٥٦٠٦ ـ [٤١] وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَرِدُ النَّاسُ النَّارَ، ثُمَّ يَصْدُرُونَ مِنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ، فَأَوَّلُهُمْ كَلَمْحِ الْبَرْقِ، ثُمَّ كَالرِّيحِ، ثُمَّ كَحُضْرِ الْفَرَسِ، ....

٥٦٠٥ ـ [٤٠] **(أبو هريرة)** قوله: **(فيلقي أحدهما نفسه فيجعلها الله برداً وسلاماً . . . إلخ)**، في الحديث فضل الرضاء والتسليم والدعاء والسؤال معاً.

٥٦٠٦ ـ [٤١] **(ابن مسعود)** قوله: **(يرد الناس النار)** وذلك عند الجواز عن الصراط، ويفهم منه أن الصراط على النار، وعليه الأكثرون، وذلك قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾[مريم: ٧١]، والمراد بالصدور النجاة منها، واعتبار التراخي في الأول الذي هو كلمح البرق من جهة أن الورود على النار والمرور عليها وإن كان لمحةً يسيرة فكأنه ممتد، فافهم. و**(الحضر)** بالضم: ارتفاع الفرس في عدوه، كالإحضار أعني: العدو الشديد.

ثُمَّ كَالرَّاكِبِ فِي رَحْلِهِ، ثُمَّ كَشَدِّ الرَّجُلِ، ثُمَّ كَمَشْيِهِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالدَّارِمِيُّ. [ت: ٣١٥٩، دي: ٢٨٥٢].

* الْفَصْلُ الثَّالِثُ:

٥٦٠٧ - [٤٢] عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَمَامَكُمْ حَوْضِي مَا بَيْنَ جَنْبَيْهِ كَمَا بَيْنَ جَرْبَاءَ وَأَذْرُحَ». قَالَ بَعْضُ الرُّوَاةِ: هُمَا قَرْيَتَانِ بِالشَّامِ، بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ ثَلَاثِ لَيَالٍ. وَفِي رِوَايَةٍ: «فِيهِ أَبَارِيقُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ وَرَدَهُ فَشَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَداً». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٦٥٧٧، م: ٢٢٩٩].

وقوله: (ثم كالراكب في رحله) أي: على راحلته و(الشد): العدو.

الفصل الثالث

٥٦٠٧ - [٤٢] (ابن عمر) قوله: (ما بين جنبيه) الجنب بسكون النون: الجانب والناحية، وإذا كان بالتاء فيفتح النون.

وقوله: (وكما بين جرباء وأذرح) (جرباء) بالجيم والباء الموحدة ممدود ومقصور، و(أذرح) بفتح همزة وسكون ذال وضم راء وحاء مهملة: وهما قريتان بالشام بينهما مسيرة ثلاث ليال، هكذا ذكره السيوطي في (مختصر النهاية)[1] إلا أنه سكت عن قوله: (بينهما مسيرة ثلاث ليال).

وقال في (القاموس)[2]: الجرباء: قرية بجنب أذرح، وغلط من قال: بينهما ثلاثة

---

(١) «الدر النثير» (١/ ١٥٧).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٧٥).

٥٦٠٨، ٥٦٠٩ ـ [٤٣، ٤٤] وَعَنْ حُذَيْفَةَ وَأَبِي هُرَيْرَةَ قَالاَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَجْمَعُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى النَّاسَ، فَيَقُومُ الْمُؤْمِنُونَ حَتَّى تُزْلَفَ لَهُمُ الْجَنَّةُ، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: يَا أَبَانَا اسْتَفْتِحْ لَنَا الْجَنَّةَ. فَيَقُولُ: وَهَلْ أَخْرَجَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلاَّ خَطِيئَةُ أَبِيكُمْ، لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، اذْهَبُوا إِلَى ابْنِي إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللهِ» قَالَ: «فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، ....

أيام، وقال في باب الحاء المهملة وفصل الذال المعجمة: أذرح بضم الراء: موضع بجنب جرباء، وغلط من قال: بينهما ثلاثة أيام، انتهى. أقول: وهكذا ينبغي أن يكون، لأن مسيرة ثلاثة أيام أقل مسافة مما ورد في الأحاديث الأخر من بيانها كما في أيلة وعدن وعمان، والظاهر أن تكون المسافات متقاربة بينهما وإن وقعت مختلفة بحسب ما تعارف كل جماعة كما لا يخفى.

قال الكرماني[١]: اعلم أنه مما استشكله القوم قالوا: هما موضعان قرب بيت المقدس بينهما مسيرة ساعة، فأجابوا بأن الحديث مختصر تقديره كما بين المدينة وجرباء وأذرح، وهما في حكم موضع واحد، ولهذا يستعملان متقاربين كماه وجور، والقدس والخليل، وروى الدارقطني ذلك صريحاً حيث قال: (ما بين ناحيتي حوضي كما بين المدينة وجرباء وأذرح)، انتهى. وقد وجهه بتوجيهات بعيدة فارجع إليه.

٥٦٠٨، ٥٦٠٩ ـ [٤٣، ٤٤] (حذيفة وأبو هريرة) قوله: (اذهبوا إلى ابني إبراهيم) لم يجئ في هذا الحديث ذكر نوح عليه السلام.

(١) «شرح الكرماني» (٢٣/ ٦٤/ ٦٥).

إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلاً مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ، اعْمَدُوا إِلَى مُوسَى الَّذِي كَلَّمَهُ اللهُ تَكْلِيماً، فَيَأْتُـونَ مُوسَى ﷺ[١] فَيَقُولُ: لَسْتُ بِصَاحِـبِ ذَلِكَ، اذْهَبُـوا إِلَـى عِيسَى كَلِمَةِ اللهِ وَرُوحِهِ، فَيَقُولُ عِيسَى: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، فَيَأْتُونَ مُحَمَّداً ﷺ، فَيَقُومُ فَيُؤْذَنُ لَهُ، وَتُرْسَلُ الأَمَانَـةُ وَالرَّحِمُ فَيَقُومَانِ[٢] جَنَبَتَي الصِّرَاطِ يَمِيناً وَشِمَالاً، فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْقِ». قَالَ: قُلْتُ: بِأَبِـي أَنْـتَ وَأُمِّي، أَيُّ شَيْءٍ كَمَرِّ الْبَرْقِ؟ قَالَ: «أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ، ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ، وَشَدِّ الرِّجَالِ، ....

وقوله: **(إنما كنت خليلاً من وراء وراء)** قال في (المشارق)[٣]: أي من غير تقريب ولا إدلال بخواص الخلة، ثم إن هذين اللفظين رويا بالفتح فيهما وبالضم، أما الضم فظاهر للقطع عن الإضافة؛ لأن التقدير وراء ذلك، ولكن الفتح هو المشهور، ووجهوه بأن الكلمـة كأنهـا مركبـة فبنيا على الفتح، وقيل: معناه إني أعطيت المكانـة بوساطة جبرئيل ﷺ، فأنا وراء موسى الذي حصل لـه السماع بغير واسطة، وهو وراء محمد الذي حصل له السماع بلا واسطة، والرؤية أيضاً، فأنا وراء وراء.

وقوله: **(فيأتون محمداً)** الظاهر أن يقول: فيأتوني ووضع المظهر موضع المضمر وقع في غايـة موقعـه، فإنـه يدل على أنهم يأتون عظيماً ينجح به مقصودهم، وكريماً يظفرون من حضرته مطلوبهم، ومن هو في غاية القربة والعظمة، مع ما في مفهوم هذا الاسم الشريف باعتبار أصل الوضع من كونـه محمداً في الظاهر والباطن، وقائماً في

---

(١) «عليه السلام» سقط في نسخة.

(٢) في نسخة: «فتقومان».

(٣) «مشارق الأنوار» (٢/ ٢٨٤).

تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ، وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ: يَا رَبِّ! سَلِّمْ سَلِّمْ. حَتَّى تَعْجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلاَ يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلاَّ زَحْفاً». وَقَالَ: «وَفِي حَافَتَيِ الصِّرَاطِ كَلاَلِيبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ، تَأْخُذُ مَنْ أُمِرَتْ بِهِ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ، وَمُكَرْدَسٌ[1] فِي النَّارِ». وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ إِنَّ قَعْرَ جَهَنَّمَ لَسَبْعِينَ خَرِيفاً. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ١٩٥].

٥٦١٠ ـ [٤٥] وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ قَوْمٌ بِالشَّفَاعَةِ كَأَنَّهُمُ الثَّعَارِيرُ». قُلْنَا: مَا الثَّعَارِيرُ؟ قَالَ: . . . .

المقام المحمود.

وقوله: (تجري بهم أعمالهم) الظاهر أن الباء للتعدية، أي: يجعلهم جائزين، وأما جعلها للملابسة فبعيد.

وقوله: (إلا زحفاً) زحف الصبي: إذا دب على استه، ومنه الجيش الكبير الذي يرى لكثرته كأنه يزحف.

وقوله: (مكردس) وفي بعض النسخ: (ومكدوس)، وقد مر شرحها.

وقوله: (إن قعر جهنم لسبعين خريفاً) تقديره: أن مسافة قعر جهنم مسيرة سبعين خريفاً، وفي رواية (لسبعون)، وهو الأظهر؛ لأن الأكثر في حذف المضاف اكتساب المضاف إليه إعرابه، ويمكن أن يكون هذا الإطلاق على سبيل المجاز دون الحذف.

٥٦١٠ ـ [٤٥] (جابر) قوله: (كأنهم الثعارير) بالثاء المثلثة والعين المهملة:

---

(١) في نسخة: «مكدوش».

«إِنَّهُ الضَّغَابِيسُ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٦٥٥٨، م: ١٩١].

٥٦١١ ـ [٤٦] وَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَشْفَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ: الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْعُلَمَاءُ، ثمَّ الشُّهَدَاءُ». رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ. [جه: ٣٢٦٨].

❖ ❖ ❖

٥ ـ باب صفة الجنة وأهلها

جمع ثعرور وهو القثاء الصغير، و(الضغابيس) جمع ضغبوس بضاد وغين معجمتين وموحدة: قثّاء صغير، كذا في (القاموس)[1]، وفي (الحواشي)[2]: نبت في أصول الثمام كالقطن ينبت بالرمل يبسط عليه ويطول.

٥٦١١ ـ [٤٦] (عثمان بن عفان) قوله: **(يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء)** تخصيص بالعظماء من أهل الشفاعة، وليست الشفاعة منحصرة في هؤلاء، بل كل أهل الخير من الرسل والأنبياء والأولياء والأخيار والعلماء والشهداء يرجى منهم الشفاعة لأهل الكبائر، ويجب الإيمان به، واشتهرت أحاديثه، وأنكره الخوارج وبعض المعتزلة، وأوّلوا الأحاديث الواردة فيها بكونها مختصةً برفع الدرجات، وهو باطل لكون الأحاديث نصًّا في كونها لرفع العذاب.

٥ ـ باب صفة الجنة وأهلها

الجنة: الحديقة ذات النخل والشجر، كذا في (القاموس)[3]، قال

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٥١٢).

(٢) «حاشية جمال الدين» (ص: ٢٢٧).

(٣) «القاموس المحيط» (ص: ١٠٩٤).

* الْفَصْلُ الأَوَّلُ:

٥٦١٢ ـ [١] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ. واقْرَؤُوْا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾» [السجدة: ١٧]. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٢٤٤، م: ٢٨٢٤].

البيضاوي[1]: الجنة: المرة من الجن، وهو مصدر جنه: إذا ستره، ومدار التركيب على الستر، سمي به الشجر المظلل لالتفاف أغصانه للمبالغة، كأنه يستر ما تحته سترة واحدة، ثم البستان لما فيه من الأشجار المتكاثفة المظللة، ثم دار الثواب لما فيها من الجنان.

الفصل الأول

٥٦١٢ ـ [١] (أبو هريرة) قوله: **(ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر)** أي: لم يبصر ذاته عين، ولا سمعت وصفه أذن، ولا خطر ماهيته على قلب، ويحتمل أن يكون المراد بالأولى الصور الحسنة، وبالثانية الأصوات الطيبة، وبالثالثة الخواطر المفرحة.

وقوله: **(من قرة عين)** قرة العين كناية عن الفرح والسرور، والفوز بالبغية، إما من القر بفتح القاف بمعنى القرار والثبات؛ لأن العين بالنظر إلى المحبوب تقر وتطمئن، ولا تلتفت إلى جانب آخر، وكذلك في حال الفرح والسرور تسكن في مكانها، وبالنظر إلى غير المحبوب تتفرق وتلتفت إلى الجوانب، وكذلك في حال الحزن والخوف تتحرك

---

(١) «تفسير البيضاوي» (١/ ٦٠).

٥٦١٣ ـ [٢] وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَوْضِعُ سَوْطٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[١].

٥٦١٤ ـ [٣] وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «غَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ رَوْحَةٌ.......................................

وتضطرب كقوله تعالى: ﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾[الأحزاب: ١٩]، وإما من القر بالضم أخذاً من قوله تعالى: ﴿هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾[الفرقان: ٧٤]، بمعنى البرد، وبرد العين ولذتها في مشاهدة المحبوب والفوز بالبغية، وحرها واحتراقها في رؤية الأعداء وحال الاستشراف والانتظار، ولهذا يقال: قرة العين للولد، وقيل: إما من القر بمعنى البرد فهو كناية عن السرور، وحقيقته: أقر الله دمعتك فإن دمعة الفرح باردة، أو من القرار فكناية عن الفوز بالبغية؛ فإن من فاز بها قرّ نفسه، فافهم، وبالوجهين فسر قوله ﷺ: (وجعلت قرة عيني في الصلاة).

٥٦١٣ ـ [٢] (وعنه) قوله: (موضع سوط في الجنة) أي: أدنى مكان وأقله، وقد جرت العادة بإلقاء الراكب سوطه في موضع يريد النزول، ويجعله علامة اتخاذه منزلاً.

٥٦١٤ ـ [٣] (أنس) قوله: (غدوة في سبيل الله أو روحة) الغدوة بالفتح: المرة من الغدو وهو السير أول النهار من غدا يغدو غدواً، أو بالضم: البكرة، أو ما بين

---

(١) قال القاري (٩/ ٣٥٧٦): وفي «الجامع»: رواه البخاري (٣٢٩٥)، والترمذي (١٦٤٨)، وابن ماجه (٤٣٣٠) عن سهل بن سعد، والترمذي (٣٠١٣) عن أبي هريرة، فقول المؤلف: «متفق عليه» محل توقف من وجهين. وفي «الجامع»: «القيد سوط أحدكم من الجنة خير مما بين السماء والأرض»، رواه أحمد عن أبي هريرة.

خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى الأَرْضِ لأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا، وَلَمَلأَتْ مَا بَيْنَهُمَا رِيحاً، وَلَنَصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٢٧٩٦].

صلاة الغداة وطلوع الشمس، وكذلك الروحة: المرة من الرواح، وهو العشي أو من الزوال إلى الليل، رحنا رواحا وتروحنا: سرنا فيه أو عملنا، والتخصيص بالغدوة والروحة على سبيل العادة، والمراد وقت وساعة مطلقاً لا مقيداً بالغدوة والرواح، و(في سبيل الله) أعم من الجهاد، ويشمل كل ما يبتغى لوجه الله تعالى كالحج، وطلب العلم، والرزق الحلال للعيال.

وقوله: (**خير من الدنيا**) أي: إنفاقها في سبيل الله لو ملكها أو من نفسها لو ملكها وتصور تعميرها لأنه زائل لا محالة.

وقوله: (**ولو أن امرأة . . . إلخ**)، لما كان لثواب الغدوة والروحة في سبيل الله الجنة ذكر من نعيمها شيئاً.

وقوله: (**لأضاءت ما بينهما**) أي: بين الأرض والجنة أو بين المشرق والمغرب، والظاهر أن (أضاءت) هنا استعمل متعدياً، والضمير لـ (**امرأة**) كما في قوله: (**ولملأت ما بينهما ريحاً**)، ويحتمل أن يكون لازماً، و(**ما بينهما**) فاعل، والتأنيث باعتبار أن (ما) عبارة عن الأمكنة كما ذكر في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ﴾[البقرة: ١٧].

وقوله: (**ولنصيفها على رأسها**) في (القاموس)[1]: النصيف كأمير: الخمار والعمامة، وكل ما غطى الرأس، ومن البُرْد: ما له لونان.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٧٩٠).

٥٦١٥ ـ [٤] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِئَةَ عَامٍ لاَ يَقْطَعُهَا، وَلَقَابُ قَوْسِ أَحَدِكُمْ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ. . . . .

٥٦١٥ ـ [٤] (أبو هريرة) قوله: **(يسير الراكب في ظلها)** أي: في كنفها، في (القاموس)[١]: هو في ظله، أي: كنفه، وإلا فالظل في العرف: ما يبقى من حر الشمس وليس في الجنة، وبالجملة المقصود السير تحتها كظل العرس. وقال الشيخ ابن حجر[٢]: قال ابن الجوزي: ويقال لهذه الشجرة: طوبى، قلت[٣]: وشاهد ذلك عند أحمد والطبراني وابن حبان، انتهى.

(ولقاب قوس أحدكم في الجنة) وفي (القاموس)[٤]: القاب: المقدار كالقيب، كالقاد والقيب، انتهى. وفي (الصراح)[٥]: يقال: قاب قوس أي: قدر قوس، وفي (المشارق)[٦]: قوله: (قاب قوس أحدكم من الجنة) أي: قدر طولها، ويحتمل قدر رميتها، يقال: هو قاب رمح، وقاد رمح، وقدى رمح، وقد رمح، وقدة رمح، كله بمعنى، وقيل في قوله تعالى: ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾[النجم: ٩]: القاب: ما بين المقبض والسِّية، وهو موضع رأس الوتر، ولكل قوس قابان، ولذا قيل: فيه قلب، أي: قابي قوس، وقيل: القوس هنا الذراع بلغة أزد شنوءة، قيل: قدر قوسين، وقيل: القاب: ظفر

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٩٤٦).
(٢) انظر: «فتح الباري» (٦/ ٣٢٦).
(٣) أي: الحافظ ابن حجر.
(٤) «القاموس المحيط» (ص: ١٣١).
(٥) «الصراح» (ص: ٥٠).
(٦) «مشارق الأنوار» (٢/ ١٩٣).

أَوْ تَغْرُبُ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٢٥٢، م: ٢٨٢٦].

٥٦١٦ ـ [٥] وَعَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ، عَرْضُهَا ـ وَفِي رِوَايَةٍ: طُولُهَا ـ سِتُّونَ مِيلاً، فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا أَهْلٌ مَا يَرَوْنَ الآخَرِينَ، يَطُوفُ عَلَيْهِم الْمُؤْمِنُونَ، وَجَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلاَّ رِدَاءُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٢٤٣، م: ٢٨٣٨].

القوس وهو ما وراء معقد الوتر إلى طرفها، وهذا كقوله في الحديث السابق: (موضع سوط في الجنة)، فإن الرجل يلقي قوسه لتعيين المنزل كالراكب سوطه.

وقوله: **(أو تغرب)** بكلمة (أو) للتعميم.

٥٦١٦ ـ [٥] (أبو موسى) قوله: **(يطوف عليهم المؤمنون)** وفي بعض الروايات: (المؤمن)، والمراد الجنس.

وقوله: **(وجنتان)** الظاهر أن التقدير: وللمؤمن أو للمؤمنين جنتان، كما في قوله سبحانه: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦].

وقوله: **(إلا رداء الكبرياء)** أي: لم تبق الحجب المكدرة الجسمانية بل ارتفعت كلها إلا سبحات الجلال والكبرياء، فإذا ارتفعت تلك أيضاً أحياناً رأوه جهاراً، و**(العدن)** بمعنى الإقامة، والمراد هنا: الخلود، وفي (القاموس)[1]: عدن بالبلد يعدن: أقام بها، ومنه ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ [التوبة: ٧٢].

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١١٢٠).

٥٦١٧ ـ [٦] وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فِي الْجَنَّةِ مِئَةُ دَرَجَةٍ مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، وَالْفِرْدَوْسُ أَعْلاَهَا دَرَجَةً، مِنْهَا تُفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ الأَرْبَعَةُ، وَمِنْ فَوْقِهَا يَكُونُ الْعَرْشُ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَلَمْ أَجِدْهُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» وَلاَ فِي كِتَابِ الْحُمَيْدِيِّ. [ت: ٢٥٣١].

٥٦١٨ ـ [٧] وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسُوقاً يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ، فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمَالِ فَتَحْثُو فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ، فَيَزْدَادُوْنَ حُسْناً وَجَمَالاً، ....

٥٦١٧ ـ [٦] **(عبادة بن الصامت)** قوله: **(مئة درجة)** حسية أو معنوية.

وقوله: **(والفردوس أعلاها)** في (القاموس)[١]: الفردوس: البستان يجمع كُلَّ ما يكون في البساتين، تكون فيه الكروم، وقد تؤنث، عربية، أو رومية، أو سريانية، و**(أنهار الجنة)** هي أنهار اللبن والماء والخمر والعسل.

وقوله: **(ولم أجده في الصحيحين)** وقد قيل: إنه موجود في (صحيح البخاري) في موضعين؛ الأول: في (كتاب الجهاد) عن أبي هريرة[٢] رضي الله عنه، وفيه تفاوت يسير، والثاني: في باب: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾، وكذا في (صحيح مسلم) في (باب فضل الجهاد في سبيل الله).

٥٧١٨ ـ [٧] **(أنس)** قوله: **(فتهب ريح الشمال)** هو بالفتح: ضد الجنوب،

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٥٢٠).

(٢) «صحيح البخاري» (٢٧٩٠، ٤٦٨٤).

فَيَرْجِعُوْنَ إِلى أَهْلِيْهِمْ وَقَدِ ازْدَادُوا حُسْناً وَجَمَالاً، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ: وَاللهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْناً وَجَمَالاً، فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ وَاللهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ حُسْناً وَجَمَالاً». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٨٣٣].

٥٦١٩ ـ [٨] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ. . . . .

وفي (القاموس): هو بالفتح وتكسر: الريح التي تهب من قبل الحِجْر، أو ما استقبلك عن يمينك وأنت مستقبل، والصحيح أن ما مهبُّهُ بين مطلع الشمس، وبنات النعش، أو من مطلع الشمس إلى مسقط النسر الطائر، ويكون اسماً وصفة، ولا تكاد تهب[1] إلا ليلاً، انتهى. وكان المراد هنا ريح تكون كريح الشمال.

وقوله: (أنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً) يعني أن الحسن والجمال يشملهم وأهاليهم يصل إليهن في بيوتهن، أو يصل من أنوارهم وأضوائهم إليهن بعلامة المصاحبة والمباشرة والمخالطة، أو أن الله تعالى لما جعل في أبصارهم وبصائرهم من نور المعرفة والشهود يرون كل من وراءهم حسناً وجميلاً، ويشاهدون أنوار صفات الله وذاته في كل شيء، والله أعلم.

وقوله: (فتحثو) أي: تنتشر المسك وأنواع الطيب.

٥٦١٩ ـ [٨] (أبو هريرة) قوله: (على صورة القمر ليلة البدر) في الحسن والنورانية والهيئة.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٩٣٨)، وفيه: «ولا تكاد تهب ليلاً».

كَأَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، لاَ اخْتِلاَفَ بَيْنَهُمْ وَلاَ تَبَاغُضَ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، يُرَى مُخُّ سُوقِهِنَّ مِنْ وَرَاءِ الْعَظْمِ وَاللَّحْمِ مِنَ الْحُسْنِ، يُسَبِّحُونَ اللهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا، لاَ يَسْقَمُونَ، وَلاَ يَبُولُونَ، وَلاَ يَتَغَوَّطُونَ، وَلاَ يَتْفُلُونَ، وَلاَ يَمْتَخِطُونَ، آنِيَتُهُمُ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ، ....

وقوله: **(كأشد كوكب دري)** أي: في الضوء كما بينه بقوله: (إضاءة)، و(كوكب دري): مضيء، ويثلَّثُ، والدرة: اللؤلؤة العظيمة، والجمع: دُرَرٌ ودُرَّاتٌ، كذا في (القاموس)[١]، وفي (النهاية)[٢]: الكوكب الدري: الشديد الإنارة، وكأنه نسب إلى الدر تشبيهاً به لصفاته الغراء، هو عند العرب العظيم المقدار، وقيل: هو أحد الكواكب الخمسة السيارة، وقال البيضاوي[٣]: هو منسوب إلى الدرء، وفعيل من الدرء، فإنه يدفع الظلام بضوئه، أو بعض ضوئه بعضاً من لمعانه إلا أنه قلبت همزته ياء، ويدل عليه قراءة حمزة وأبي بكر على الأصل.

وقوله: **(زوجتان من الحور العين)** الحور: جمع حوراء، وهي الشديد بياض العين، شديد سوادها، و(العين) بكسر العين جمع عيناء، وهي الواسعة العين، والإضافة من إضافة الموصوف إلى الصفة، يدل عليه وقوع حور عين في القرآن بالوصف، والمراد لكل امرئ زوجتان بهذه الصفة، ولا ينافي ذلك أن يكون له زوجات أخر، نعم لو ثبت أن لكل واحد من أهل الجنة أو لبعضهم زوجات كثيرة من الحور العين لأشكل ولكنه

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٣٦٥).

(٢) «النهاية» (٢/ ١١٣).

(٣) «تفسير البيضاوي» (٢/ ١٢٤).

وَأَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَوَقُودُ مَجَامِرِهِمُ الأَلُوَّةُ، . . . .

لم يثبت، فافهم، والله أعلم. وقيل: المراد من التشبيه التكرير.

وقوله: (**وأمشاطهم الذهب**) الأمشاط لا يلزم أن يكون لتلبد الشعور ووسخها، بل فيه تزيين ورفاهية، وكذا التبخر لا يلزم أن يكون لدفع النتن وخبث الرائحة، بل يكون لزيادة التطيب والتنعم، فلا يرد أنه لا حاجة لأهل الجنة إلى الامتشاط والتبخر لعدم تلبد شعورهم ولا وسخ فيها، وريحهم أطيب من المسك.

وقوله: (**ووقود مجامرهم الألوة**) الوقود بالضم بمعنى المصدر كالوقد بمعنى إيقاد النار، وبالفتح اسم ما يوقد به النار، وقد جاء المصدر بالفتح والاسم بالضم، ذكره البيضاوي[1]، ففي الحديث بالفتح كذا الرواية والمصحح في النسخ المعتمدة، وقد صحح في بعض النسخ بالضم، ولو اعتمد عليه كان مبنياً على ما ذكره البيضاوي من مجيء استعمال الاسم بالضم، وفي (المشارق)[2]: (وقود مجامرهم) بفتح الواو معناه ما يوقد به، أي: حطبها، قال الله تعالى: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾[البقرة: ٢٤]، وبضم الواو: اسم للفعل من وقدت ومصدره، والمجامر: جمع مجمر، وهو كمنبر: الذي يوضع فيه الجمر بالدخنة ويؤنث كالمجمرة، والعود نفسه كالمجمر بالضم فيهما، كذا في (القاموس)[3]، وقيل: المجمر بالفتح: ما يوضع فيه الجمر، وبكسرها: الآلة، وعلى كل تقدير المراد هنا موضع وضع النار، لا ما يتبخر على ما ذكر في بعض الشروح، ولعله سهو من قائله.

---

(١) «تفسير البيضاوي» (١/ ٥٨).

(٢) «مشارق الأنوار» (٢/ ٢٩٣).

(٣) «القاموس المحيط» (ص: ٣٤٤).

وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ، عَلَى خُلُقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ سِتُّونَ ذِرَاعاً فِي السَّمَاءِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٢٤٥، م: ٢٨٣٤].

و(الألوة) بفتح الهمزة وضمها وضم اللام وتشديد الواو: عود يتبخر به، وهذا بخلاف مجامر الدنيا فإن وقودها قطع الحطب، ومجامر الجنة وقودها العود الذي يتبخر به، وقد جاء في بعض الأحاديث: (ومجامرهم الألوة) بحذف وقود، وأريد بالمجمر: هو اسم للآلة التي يتبخر بها البخور الذي هو العود، كذا في (المشارق)[1].

و(**الرشح**) العرق، رشح كمنع: عرق، والمراد أن عرقهم كالمسك في طيب الرائحة، أو المراد أن عرقهم المسك المذاب، والمصحح في النسخ وهو المعلوم من كتب اللغة أنها بفتح الراء وسكون الشين، وفي (مجمع البحار)[2] عن الكرماني: هو بفتحتين، وكذا في حديث: (بلغ الرشح آذانهم). وقال في (المشارق)[3]: في حديث: (يقوم أحدهم في رشحه) أي: عرقه، وبكسرها للأصيلي وهو الاسم، والفتح هنا أوجه، انتهى.

وقوله: (**على خلق رجل واحد**) قال في (المشارق)[4]: كذا هو بفتح الخاء وسكون اللام لجماعتهم عن البخاري، وفي رواية النسفي: (على خلق) بضمهما، وقد ذكر مسلم الروايتين بالضم عن ابن أبي شيبة، وبالسكون عن أبي كريب، وكلاهما صحيح، لكن الرواية بضم اللام [أصح] لقوله قبلها: (أخلاقهم) أي: أنهم على خلق

---

(١) «مشارق الأنوار» (١/ ١٥٢).

(٢) «مجمع بحار الأنوار» (٢/ ٣٣١).

(٣) «مشارق الأنوار» (١/ ٣٠٠).

(٤) «مشارق الأنوار» (١/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠).

٥٦٢٠ ـ [٩] وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلاَ يَتْفُلُونَ وَلاَيَبُولُونَ وَلاَ يَتَغَوَّطُونَ وَلاَ يَمتَخِطُونَ». قَالُوا: فَمَا بَالُ الطَّعَامِ؟ قَالَ: «جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمِسْكِ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ كَمَا تُلْهَمُونَ النَّفَسَ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٨٣٥].

٥٦٢١ ـ [١٠] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ، وَلاَ يَبْأَسُ، وَلاَ يَبْلَى ثِيَابُهُ، ....

رجل واحد من التودد وحسن الخلق والموافقة ليس في أحد منهم خلق مذموم كما قال في الحديث الآخر: (لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم قلب واحد)، ويكون قوله بعد: (على صورة أبيهم آدم) ابتداء كلام آخر، انتهى.

قال العبد الضعيف ـ عفا الله عنه ـ: الأرجح الفتح؛ رواية لكونه رواية الجماعة، ودراية لكونه شاملاً للخلق الظاهر والباطن، فإن الخلق بالفتح: الإبداع والتقدير الذي معناه آفريدن أي آفريده شده، ويشمل القبيلين وإنما يفرق بينه وبين الضم إذا قوبل به، نعم الخلق بالضم يختص بالصفات الباطنة، فهو كالفذلكة للمجموع على ما قال الطيبي[1]، والله أعلم.

٥٦٢٠ ـ [٩] (جابر) قوله: **(فما بال الطعام)** أي: فما بال فضل الطعام. و**(الجشاء)** بضم الجيم: تنفس المعدة من الامتلاء، ويقال بالفارسية: آروغ.

وقوله: **(كما تلهمون النفس)** مشاكلة.

٥٦٢١ ـ [١٠] **(أبو هريرة)** قوله: **(ينعم ولا يبأس . . . إلخ)**، يعني ليس في الجنة

---

(١) «شرح الطيبي» (١٠/ ٢٤٠).

وَلاَ يفْنىَ شَبَابُهُ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٨٣٦].

٥٦٢٢، ٥٦٢٣ ـ [١١، ١٢] وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلاَ تَسْقَمُوا أَبَداً، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلاَ تَمُوتُوا أَبَداً، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلاَ تَهْرَمُوا أَبَداً، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلاَ تَبْأَسُوا أَبَداً». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٨٣٧].

٥٦٢٤ ـ [١٣] وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الْغَابِرَ فِي الأُفُقِ................................

بؤس ومشقة وشدة وتغير وفساد.

٥٦٢٢، ٥٦٢٣ ـ [١١، ١٢] **(أبو سعيد، وأبو هريرة)** قوله: **(أن تصحوا فلا تسقموا . . . إلخ)**، سقم كفرح وكرم، **(شب)** كضرب، و**(هرم)** يهرم كسمع.

٥٦٢٤ ـ [١٣] **(أبو سعيد الخدري)** قوله: **(يتراءون)** تراءَوا: رأى بعضهم بعضاً، و**(الغرف)** بضم الغين وفتح الراء: جمع غرفة بالضم والسكون، وهو القصر الرفيع، قيل: الجنة طبقات أعاليها للسابقين، وأوساطها للمقتصدين، وأسافلها للمخلطين.

و**(الغابر)** من غبر: مكث وذهب، ضد، غبر الشيء بالضم: بقيته، والمعنى الكوكب الدري الذاهب الماضي المستبقي والباقي في الأفق في جانب الشرق أو الغرب، فإنه يرى فيه مضيئاً جداً مع البعد والرفعة، ويروى: (الغائر) من الغور، والمراد المستشرف على الغور: الداخل في الغروب، ومع ذلك لا يصح في المشرق إلا أن يراد بالغور الانحطاط والتسفل، والحق أنه تصحيف، وكذا الحال في رواية: (الغارب) بتقديم الراء على الباء، وروي: (العازب) بالعين المهملة والزاي بمعنى البعيد الذاهب،

مِنَ الْمَشْرِقِ أَوِ الْمَغْرِبِ، لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! تِلْكَ مَنَازِلُ الأَنْبِيَاءِ، لاَ يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ. قَالَ: «بَلَى، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا بِاللهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٢٥٦، م: ٢٨٣١].

٥٦٢٥ ـ [١٤] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَقْوَامٌ أَفْئِدَتُهُمْ مِثْلُ أَفْئِدَةِ الطَّيْرِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٨٤٠].

والرواية المشهورة هي (الغابر) بالمعجمة قبل الموحدة، والله أعلم.

وقوله: (**من المشرق أو المغرب**) بـ (أو) في أكثر الروايات، وفي بعضها بالواو وهو الموجود في نسخ (المصابيح).

وقوله: (**قال: بلى**) أي: بلى يبلغها غيرهم لمتابعتهم ومحبتهم؛ لأن المرء مع من أحب، ولكن التفاوت في القرب المعنوي بالباطن باق.

٥٦٢٥ ـ [١٤] (**أبو هريرة**) قوله: (**أفئدتهم**) جمع فؤاد وهو القلب، وفي (المشارق)[١]: قيل: الفؤاد عبارة عن باطن القلب، وقيل: الفؤاد عين القلب، وفي (القاموس)[٢]: التفؤد: التحرق، والتوقد، ومنه الفؤاد للقلب، والجمع أفئدة، قال الطيبي[٣]: والقريحة إذا أريد وصفها بشدة الإدراك وصفت بالوقود، انتهى، ومنه شعلة الإدراك، ويقال لمن مات متوقداً متيقظاً، ومات شابًّا: مات بشعلة الإدراك.

وقوله: (**مثل أفئدة الطير**) يريد في الرقة واللين، كذا في (المشارق)[٤]، وقيل:

---

(١) «مشارق الأنوار» (٢/ ١٤٤).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٢٩٠).

(٣) «شرح الطيبي» (١٠/ ٢٤٤).

(٤) «مشارق الأنوار» (٢/ ١٤٤).

٥٦٢٦ ـ [١٥] وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهلَ الْجَنَّةِ فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لاَ نَرْضَى يَا رَبِّ! وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ؟ فَيَقُولُ: أَلاَ أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ! وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَداً». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٦٥٤٩، م: ٢٨٢٩].

في الخوف من الله تعالى، فإن الطير أكثر الحيوانات خوفاً، وقيل: الخروج إلى طلب الرزق متوكلاً على الله تعالى كما ورد: (تغدو خماصاً وتروح بطاناً)، ومما ذكرنا ظهر أن وجه ذكر الأفئدة دون القلوب كونها أعلاها وأتم، وقال في (المشارق) أيضاً: إنه قيل: القلب أخص من الفؤاد، وقيل: الفؤاد غشاء القلب، والقلب جثته، وعلى هذا فالظاهر أنه ذكر الفؤاد هنا لكونه أدنى وأنقص، يعني أنهم بأدنى مرتبتهم يستأهلون دخول الجنة فكيف بأعلاها، والله أعلم.

٥٦٢٦ ـ [١٥] (أبو سعيد) قوله: (أحل عليكم رضواني) أي: أنزله وأورده عليكم كالوافد ينزل على الملك العظيم ويأتيه بأنواع من الهدايا والتحف والأخبار من ملك آخر لما سأل عن رضاهم عنه وأخبروه بوجوده أتم وأكمل ما يكون أخبرهم برضاه عنهم؛ تنبيهاً على أن رضا المولى تعالى علامته ودليله رضا العبد عنه، كما روي أن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين كانوا يبحثون عما يعرف رضا الله عن العبد فيجمعون على أنه إذا رضي عنه تعالى فليعلم أنه تعالى راض عنه، فذلك دليل هذا، ثم بشرهم بأن رضاه عنهم دائم باق لا يفنى ولا يتبدل بالسخط أبداً، وهذا غاية المطالب

٥٦٢٧ ـ [١٦] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَدْنَى مَقْعَدِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ أَنْ يَقُولَ لَهُ: تَمَنَّ، فَيَتَمَنَّى وَيَتَمَنَّى، فَيَقُولُ لَهُ: هَلْ تَمَنَّيْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ مَا تَمَنَّيْتَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ١٨٢].

٥٦٢٨ ـ [١٧] وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «سَيْحَانُ وَجَيْحَانُ وَالْفُرَاتُ وَالنِّيلُ كُلٌّ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٨٣٩].

وأعظم الرغائب، وبه يتم الفوز بالمقصود، كيف ورضوان قليل منه أكبر من الجنان وما فيها، فكيف بالدائم الأبدي، ورؤيته سبحانه وتعالى من أثره ونتيجته، فافهم.

٥٦٢٧ ـ [١٦] (أبو هريرة) قوله: (إن أدنى مقعد أحدكم . . . إلخ)، أي: أدنى منزل أحدكم في الجنة أن ينال أمانيه كلها مع زيادة ومضاعفة.

٥٦٢٨ ـ [١٧] (وعنه) قوله: (سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة): قد اختلف كلماتهم في تعيين سيحان وجيحان، قال الطيبي[١]: سيحان وجيحان نهران بالعواصم عند المصيصة وطرطوس، هذا هو الصواب، انتهى، وقيل: سيحان نهر بالشام، وجيحان نهر بلخ، وقيل غير ذلك، وسيحان وجيحان غير سيحون نهر الترك، وجيحون نهر بلخ، وقيل: جيحون نهر خراسان، وسيحون نهر بالسند، والفرات نهر الكوفة، والنيل نهر مصر، وفي (القاموس)[٢]: سيحان: نهر بالشام، وآخر بالبصرة، ويقال فيها: ساحين، وسيحون: نهر بما وراء النهر، ونهر بالهند، وقال: جيحون: نهر خوارزم، وجيحان: نهر بين الشام والروم، وإنما خص الأربعة لعذوبة مائها وكثرته

---

(١) «شرح الطيبي» (١٠/ ٢٤٦).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٢١٩، ١٠٩٢).

٥٦٢٩ ـ [١٨] وَعَنْ عُتْبَةَ بْنِ غَزْوَانَ قَالَ: ذُكِرَ لَنَا أَنَّ الْحَجَرَ يُلْقَى مِنْ شَفَةِ جَهَنَّمَ، فَيَهْوِي فِيهَا سَبْعِينَ خَرِيفاً، لاَ يُدْرِكُ لَهَا قَعْراً، وَاللهِ لَتُمْلأَنَّ، وَلَقَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ مَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهَا يَوْمٌ وَهُوَ كَظِيظٌ مِنَ الزِّحَامِ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٩٦٧].

كأنها من أنهار الجنة، وقيل: سمي أنهار الجنة بأسامي أنهار الدنيا إشارة إلى أن ما في الدنيا من المنافع أنموذجات لما في الآخرة، وقيل: معنى كونها من أنهار الجنة أن الإيمان يعم بلادها وأن شاربيها صائرة إليها، والأصح أنه على ظاهرها وأن لها مادة من الجنة، فقد ذكر مسلم أن الفرات والنيل يجريان من الجنة، وفي (صحيح البخاري) من أصل سدرة المنتهى، وفي (معالم التنزيل): إن الله تعالى أبرز هذه الأربعة من الجنة استودعها الجبال وأجراها في الأرض كذا ذكر الطيبي[1]، والله أعلم بحقيقة الحال.

٥٦٢٩ ـ [١٨] (عتبة بن غزوان) قوله: **(وعن عتبة)** بالتاء **(ابن غزوان)** بفتح الغين المعجمة وسكون الزاي.

وقوله: **(من شفة جهنم)** شفة الراكي: حافة البئر.

وقوله: **(فيهوي)** أي: يسقط، هوى يهوي بمعنى السقوط من ضرب يضرب، وبمعنى المحبة من سمع يسمع.

وقوله: **(وهو كظيظ)** أي: ممتلئ، وكظ الطعام: ملأه حتى لا يطيق النفسَ، فاكتظ، لازم ومتعد.

---

(١) «شرح الطيبي» (١٠/ ٢٤٦ ـ ٢٤٧).

* الْفَصْلُ الثَّانِي:

٥٦٣٠ ـ [١٩] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! مِمَّ خُلِقَ الْخَلْقُ؟ قَالَ: «مِنَ الْمَاءِ» قُلْنَا[1]: الْجَنَّةُ مَا بِنَاؤُهَا؟ قَالَ: «لَبِنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ وَلَبِنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ، وَمِلَاطُهَا الْمِسْكُ الْأَذْفَرُ، ....

الفصل الثاني

٥٦٣٠ ـ [١٩] (أبو هريرة) قوله: (قال: من الماء) قد اختلف العقلاء في أول ما خلق من الأجسام، فالأكثرون على أنه الماء؛ لأنه قابل لكل الصور، ثم جعل الأرض منه بالتكثيف والانجماد، والنار والهواء بالتلطيف، فإن الماء إذا لطف صار هواء، وتكونت النار من صفوة الماء، والسماء تكونت من دخان النار، وهذا الحديث يصلح دليلاً عليه، وقيل: جاء في السفر الأول من التوراة: أن الله تعالى خلق جوهراً، فنظر إليه نظر الهيبة، فذابت أجزاؤه فصارت ماء، ثم ارتفع منها بخار كدخان فخلق منه السماوات، فظهر على وجه الماء زبد فخلق منه الأرض، ثم أرساها الجبال، وأما ما ذكر في الحواشي أن المراد بالماء النطفة، فيقتضي أن يراد بالخلق: كل شيء حي، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[الأنبياء: ٣٠]، والله أعلم.

وقوله: (لبنة من ذهب) اللبنة بفتح اللام وكسر باء واحدة اللبن، وهي ما يبنى بها الجدار، ويقال: بكسر اللام وسكون باء.

وقوله: (والملاط) بكسر الميم: طين يوضع بين اللبنات، وفي (القاموس)[2]: الملاط ككتاب: الطين الذي يجعل بين ساقي البناء، ويملط به الحائط، وملط

(١) في نسخة: «قلت».

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٦٣٤).

وَحَصْبَاؤُهَا اللُّؤْلُؤُ وَالْيَاقُوتُ، وَتُرْبَتُهَا الزَّعْفَرَانُ، مَنْ يَدْخُلُهَا يَنْعَمُ وَلاَ يَبْأَسُ، وَيَخْلُدُ وَلاَ يَمُوتُ، وَلاَ يَبْلَى ثِيَابُهُمْ، وَلاَ يَفْنَى شَبَابُهُمْ». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالدَّارِمِيُّ. [حم: ٢/ ٣٠٥، ت: ٢٥٢٦، دي: ٢/ ٣٣٣].

٥٦٣١ ـ [٢٠] وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةٌ إِلاَّ وَسَاقُهَا مِنْ ذَهَبٍ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢٥٢٥].

٥٦٣٢ ـ [٢١] وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِئَةَ دَرَجَةٍ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ مِئَةُ عَامٍ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ. [ت: ٢٥٢٩].

٥٦٣٣ ـ [٢٢] وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِئَةَ دَرَجَةٍ، لَوْ أَنَّ الْعَالَمِينَ اجْتَمَعُوا فِي إِحْدَاهُنَّ لَوَسِعَتْهُمْ». . . . . .

الحائط: طلاه.

وقوله: (وحصباؤها) أي: الحصى الذي في الأنهار أو في غيرها.

٥٦٣١ ـ [٢٠] (وعنه) قوله: (إلا وساقها) ساق الشجر: جذعها، والجذع ما بين العرق والغصن.

٥٦٣٢ ـ [٢١] (وعنه) قوله: (إن في الجنة مئة درجة) الحديث، قد سبق في (الفصل الأول) من حديث عبادة: (ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض)، الجنات المتعددة تتفاوت درجاتها، أو المراد المبالغة في التكثير كما قيل في ﴿عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾[آل عمران: ١٣٣]، والله أعلم.

٥٦٣٣ ـ [٢٢] (أبو سعيد) قوله: (لو أن العالمين اجتمعوا في إحداهن لوسعتهم)

رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. [ت: ٢٥٣٢].

٥٦٣٤ ـ [٢٣] وَعَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٤]، قَالَ: «ارْتِفَاعُهَا لَكَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِئَةِ سَنَةٍ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. [ت: ٢٥٤٠].

٥٦٣٥ ـ [٢٤] وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ضَوْءُ وُجُوهِهِمْ عَلَى مِثْلِ ضَوْءِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَالزُّمْرَةُ الثَّانِيَةُ عَلَى مِثْلِ أَحْسَنِ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ، لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ، عَلَى كُلِّ زَوْجَةٍ سَبْعُونَ حُلَّةً، يُرَى مُخُّ سَاقِهَا من وَرَائِهَا». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢٥٣٥].

٥٦٣٦ ـ [٢٥] وَعَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يُعْطَى الْمُؤْمِنُ فِي الْجَنَّةِ قُوَّةَ كَذَا وَكَذَا مِنَ الْجِمَاعِ». قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَوَيُطِيقُ ذَلِكَ؟...

المقصد من هذا التقدير أيضاً المبالغة، فلا مخالفة بين الأحاديث.

٥٦٣٤ ـ [٢٣] (وعنه) قوله: (وفرش مرفوعة) أي: منضودة بعضها على بعض، أو مبسوطة على الأسرة، والمراد رفيعة في القيمة والنفاسة، وقيل: المراد بالفرش: نساء أهل الجنة رفعن بالجمال على نساء أهل الدنيا، وكل فاضل رفيع، وظاهر سياق الحديث في الوجه الأول.

٥٦٣٥ ـ [٢٤] (وعنه) قوله: (أحسن كوكب) قد مرّ شرحه في (الفصل الأول) من حديث أبي هريرة.

٥٦٣٦ ـ [٢٥] (أنس) قوله: (يعطى قوة كذا وكذا من الجماع) أي: يعطى قوة جماع كذا وكذا من النساء، (فكذا وكذا) كناية عن عدد النساء كعشرين

قَالَ: «يُعْطَى قُوَّةَ مِئَةٍ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢٥٣٦].

٥٦٣٧ ـ [٢٦] وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَوْ أَنَّ مَا يُقِلُّ ظُفُرٌ مِمَّا فِي الْجَنَّةِ بَدَا لَتَزَخْرَفَتْ لَهُ مَا بَيْنَ خَوَافِقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَوْ أَنَّ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اطَّلَعَ فَبَدَا أَسَاوِرُهُ لَطَمَسَ ضَوْؤُهُ ضَوْءَ الشَّمْسِ كَمَا تَطْمِسُ الشَّمْسُ ضَوْءَ النُّجُومِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. [ت: ٢٥٣٨].

٥٦٣٨ ـ [٢٧] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَهْلُ الْجَنَّةِ جُرْدٌ مُرْدٌ كَحْلَى لاَ يَفْنَى شَبَابُهُمْ، ....

وثلاثين، فافهم.

٥٦٣٧ ـ [٢٦] **(سعد بن أبي وقاص)** قوله: **(لو أن ما يقل)** بضم الياء وكسر القاف من الإقلال، وفي (القاموس)[1]: أقلّه: حمله، ورفعه، كقله واستقله، أي: لو أن مقدار ما يحمله **(ظفر مما في الجنة)** من أسباب الزينة وآلاتها **(بدا)** في الدنيا **(لتزخرفت له)** أي: تزينت **(ما بين)** أي: أماكن، **(بين خوافق السماوات الأرض)** أي: جوانبهما، والخافقان: المشرق والمغرب أو أفقاهما؛ لأن الليل والنهار يختفقان فيهما، من خفقت الراية: اضطربت وتحركت، وكذا السراب، أو طرفا السماء والأرض أو منتهاهما، وخوافق السماء: التي تخرج منها الرياح الأربع، كل ذلك في (القاموس)[2].

٥٦٣٨ ـ [٢٧] **(أبو هريرة)** قوله: **(جرد مرد كحلى)** رجل أجرد: لا شعر عليه،

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٩٦٨).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٨١١).

وَلاَ يَبْلَى ثِيَابُهمْ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالدَّارِمِيُّ. [ت: ٢٥٣٩، دي: ٢/ ٣٣٥].

٥٦٣٩ ـ [٢٨] وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ جُرْداً مُرْداً مُكَحَّلِينَ أَبْنَاءَ ثَلاَثِينَ ـ أَوْ ثلاثٍ وَثَلاَثِينَ ـ سَنَةً». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢٥٤٥].

٥٦٤٠ ـ [٢٩] وَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَذُكِرَ لَهُ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى قَالَ: ....

وفرس أجرد: قصير الشعر رقيقه، والمادة للسلب والإزالة، والجرد محركة: فضاء لا نبات به، مكان جَرْدٌ وأجردُ وجَرِدٌ كفَرِحٍ، وأرض جَرْدَاءُ وجَرِدَةٌ كفَرِحَةٍ، وجرده: قشره، والجلد: نزع شعره، وزَيداً من ثوبه: عرّاه فتجرد، وانجرد، والقطن: حلجه، وخمر جرداء: صافية، والأمرد: غلام لا شعر على ذقنه، وشجرة مرداء: تساقط ورقها. وفي (القاموس)[1]: الأمرد: الشاب طَرّ شاربه ولم تنبت لحيتُه. وكحلى جمع كحيل بمعنى الأكحل، والكحل محركة: أن يعلو منابت الأشفار سواد خلقة، أو أن يسود مواضع الكحل، وفي المثل: ليس التكحل كالكحل.

٥٦٣٩ ـ [٢٨] (معاذ بن جبل) قوله: (أو ثلاث وثلاثين) يعني كما يكون أهل الدنيا في هذا السن؛ إذ فيه كمال قوة الإنسان وأشده، وكلمة (أو) تحتمل أن يكون شك الراوي، أو للترديد، وسيجيء في آخر الفصل: (يردون بني ثلاثين) من غير شك وترديد.

٥٦٤٠ ـ [٢٩] (أسماء بنت أبي بكر) قوله: (وذكر له سدرة المنتهى) وهي شجرة

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٣٠٢).

«يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِـلِّ الْفَنَنِ مِنْهَا مِئَـةَ سَنَـةٍ، أَوْ يَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا مِئَـةُ رَاكِبٍ ـ شَكَّ الرَّاوِي ـ فِيهَـا فَرَاشُ الذَّهَبِ كَـأَنَّ ثَمَرَهَـا الْقِلاَلُ». رَوَاهُ التِّرْمِـذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. [ت: ٢٥٤١].

٥٦٤١ ـ [٣٠] وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَا الْكَوْثَرُ؟ قَالَ: «ذَاكَ نَهْرٌ أَعْطَانِيهِ اللهُ ـ يَعْنِي فِي الْجَنَّةِ ـ أَشَـدُّ بَيَاضاً مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، فِيهِ طَيْرٌ أَعْنَاقُهَا كَأَعْنَاقِ الْجُزُرِ». . . . .

في أقصى الجنـة، إليها ينتهي علم الأولين والآخرين، ولا يتعداها ولم يجاوزها أحد سوى رسول الله ﷺ، وهي في السمـاء السادسة، وفي روايـة أخـرى: في السابعـة، وجمع بأن أصلها في السادسة، ومعظمها في السابعة، وقيل: هي في السابعة عن يمين العرش، و(المنتهى): موضع الانتهاء كأنه في منتهى الجنة، إليها ينتهي علم المخلوقين، ولا يعلم أحد ما وراءها، ويقال: إنـه مقام جبرئيل عليه السلام ولا يمكن لـه الصعود منـه، و(الفنن) بفتحتين: الغصن، والجمع أفنان، وجمع الجمع: أفانين.

وقوله: (فيها فراش الذهب) الفراش بفتح الفاء وخفة الراء: جمع فراشة، وهي التي تطيـر وتتهافت في السراج، وهـو تفسيـر لقولـه تعالـى: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ [النجم: ١٦]، لعله أراد ملائكة تتلألأ أجنحتها تلألُؤَ أجنحة الفراش كأنها مذهبة، وقيل: ولعله مَثَّلَ ما يغشى من أنوار تنبعث منها بفراش من ذهب لصفائها، وقال البيضاوي[١]: يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله تعالى عندها.

وقوله: (ثمرها القلال) بالكسر: جمع قلة بالضم وهي الجرة الكبيرة.

٥٦٤١ ـ [٣٠] (أنـس) قولـه: (كأعنـاق الجزر) جمـع جزور، وهـو البعيـر

---

(١) «تفسير البيضاوي» (٥/ ١٥٨).

قَالَ عُمَرُ: إِنَّ هَذِهِ لَنَاعِمَـةٌ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَكَلَتُهَا أَنْعَمُ مِنْهَا». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢٥٤٢].

٥٦٤٢ ـ [٣١] وَعَن بُرِيدةَ أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! هَلْ فِي الْجَنَّةِ مِنْ خَيْلٍ؟ قَالَ: «إِنِ اللهُ أَدْخَلَكَ الْجَنَّـةَ فَلاَ تَشَاءُ أَنْ تُحْمَلَ فِيهَا عَلَى فَرَسٍ مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ يَطِيرُ بِكَ فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْتَ إِلاَّ فَعَلْتَ»، وَسَأَلَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! هَل فِي الْجَنَّةِ مِنْ إِبِلٍ؟ قَالَ: فَلَمْ يَقُلْ لَهُ مَا قَالَ لِصَاحِبِـهِ. فَقَالَ: «إِنْ يُدْخِلْكَ اللهُ الْجَنَّةَ يَكُنْ لَكَ فِيهَا مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ........

عُدّ للنحر.

وقوله: (إن هذه لناعمة) أي: هذه الطير التي فيـه، أي: طيبة لينـة سمان، أو متنعمة مترفهة.

٥٦٤٢ ـ [٣١] (بريدة) قوله: (إن الله أدخلك) (إن) شرطية دخلت على اسم، والفعل مقدر، أي: إن أدخلك الله، على وطيرة قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ﴾[التوبة: ٦] وجوابه: (فلا تشاء).

وقوله: (على فرس من ياقوتـه حمراء) قيل: أراد الجنس المعهود مخلوقاً من أنفس الجواهر، وقيل: جنساً آخر يغنيه عن المعهود، وعلى الثاني هـو من الأسلوب الحكيم سأل عن المتعارف وأجاب بما استغني عنه.

وقوله: (إلا فعلت) يروى بتاء الخطاب مجهولاً ومعروفاً، والمعنى على الأول، أي: لا تكون بمطلوبك إلا مسعفاً، وعلى الثاني: لا تكون بمطلوبك إلا فائزاً، ويروى بتاء التانيث مجهولاً والضمير لـ (فرس)، والحاصل ما من شيء تشتهيـه النفوس في الجنة إلا وجدته على وفق مشتهاها.

وَلَذَّتْ عَيْنُكَ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢٥٤٣].

٥٦٤٣ ـ [٣٢] وَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنِّي أُحِبُّ الْخَيْلَ أَفِي الْجَنَّةِ خَيْلٌ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنْ أُدْخِلْتَ الْجَنَّةَ أُتِيتَ بِفَرَسٍ مِنْ يَاقُوتَةٍ لَهُ جَنَاحَانِ، فَحُمِلْتَ عَلَيْهِ، ثُمَّ طَارَ بِكَ حَيْثُ شِئْتَ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ لَيْسَ إِسْنَادُهُ بِالْقَوِيِّ، وَأَبُو سَوْرَةَ الرَّاوِي يُضَعَّفُ فِي الْحَدِيثِ، وَسَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ يَقُولُ: أَبُو سَوْرَةَ هَذَا مُنْكَرُ الْحَدِيثِ، يَرْوِي مَنَاكِيرَ. [ت: ٢٥٤٤].

٥٦٤٤ ـ [٣٣] وَعَنْ بُرَيْدَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَهْلُ الْجَنَّةِ عِشْرُونَ وَمِئَةُ صَفٍّ، ثَمَانُونَ مِنْهَا مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَأَرْبَعُونَ مِنْ سَائِرِ الأُمَمِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالدَّارِمِيُّ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «كِتَابِ الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ». [ت: ٢٥٤٦، دي: ٣/ ١٨٧٣].

وقوله: (ولذت عينك) لذذته: وجدته لذيذاً، والتذذت به وتلذذت بمعنى.

٥٦٤٣ ـ [٣٢] (أبو أيوب) قوله: (وأبو سورة) بفتح السين المهملة وسكون الواو بعدها راء، الأنصاري، ابن أخي أيوب، ضعيف من الثالثة كذا في (التقريب)[1].

٥٦٤٤ ـ [٣٣] (بريدة) قوله: **(ثمانون منها من هذه الأمة، وأربعون من سائر الأمم)** لا ينافي هذا قوله ﷺ: (أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة) لأنه يحتمل أن يكون رجاه ﷺ ذلك، ثم زيد وبشر من عند الله تعالى بالزيادة بعد ذلك، وأما قول

---

(١) «تقريب التهذيب» (ص: ٦٤٧، رقم ترجمة: ٨١٥٤).

٥٦٤٥ ـ [٣٤] وَعَنْ سَالِمٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بَابُ أُمَّتِي الَّذِينَ[١] يَدْخُلُونَ مِنْهُ الْجَنَّةَ عَرْضُهُ مَسِيرَةُ الرَّاكِبِ الْمُجَوِّدِ ثَلَاثاً، ثُمَّ إِنَّهُمْ لَيُضْغَطُونَ عَلَيْهِ حَتَّى تَكَادُ مَنَاكِبُهُمْ تَزُولُ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ ضَعِيفٌ، وَسَأَلْتُ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ. . . . . . .

الطيبي[٢]: يحتمل أن يكون الثمانون صفًّا مساوياً في العدد للأربعين صفًّا فبعيد؛ لأن الظاهر من قوله ﷺ: (أهل الجنة عشرون ومئة صف) أن تكون الصفوف متساوية، والله أعلم.

٥٦٤٥ ـ [٣٤] (سالم) قوله: **(باب أمتي الذين يدخلون منه الجنة)** وفي بعض النسخ (الذي)، هو وإن كان أظهر في المعنى ولكن الموجود في النسخ المصححة هو (الذين) بلفظ الجمع.

وقوله: **(الراكب المجود)** يحتمل أن يكون تركيبا توصيفياً أو إضافياً، فعلى الأول المعنى: الراكب الذي يجود ركض الفرس، وعلى الثاني: الفرس الذي يجود في عَدْوِهِ، يقال: أجاد الشيء وجوّده، أي: حسنه.

وقوله: **(ثلاثاً)** أي: ثلاث ساعات، أو ليال، أو أشهر، أو سنين، بتأويل الجماعة، والثاني هو الأظهر، وإن كان المبالغة في الأخير، والله أعلم.

وقوله: **(ليضغطون)** أي: يزدحمون على الباب عند دخولهم، يقال: ضغطه: عصره وزحمه، وغمزه إلى شيء، ومنه: ضغطة القبر، كذا في (القاموس)[٣]، وفي

---

(١) في نسخة: «الذي».

(٢) انظر: «شرح الطيبي» (١٠/ ٢٥٤).

(٣) «القاموس المحيط» (ص: ٦٢٣).

فَلَمْ يَعْرِفْهُ وَقَالَ: يَخْلُدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ يَرْوِي الْمَنَاكِيرَ. [ت: ٢٥٤٨].

٥٦٤٦ ـ [٣٥] وَعَنْ عَلِيٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسُوقاً مَا فِيهَا شِرًى وَلاَ بَيْعٌ إِلاَّ الصُّوَرَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، فَإِذَا اشْتَهَى الرَّجُلُ صُورَةً دَخَلَ فِيهَا». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. [ت: ٢٥٥].

(الصراح)[١]: ضغطه: فشادن برديوار وجزآن.

وقوله: (**يخلد بن أبي بكر**) في الحاشية: بعلامة حم صوابه (خالد)، و(يخلد) سهو من صاحب (المشكاة)، إذ في الترمذي خالد بن أبي بكر، وكذا في كتب أسماء الرجال، انتهى. وفي (التقريب)[٢]: خالد بن أبي بكر بن عبيدالله بن عبدالله بن عمر بن الخطاب العدوي المدني، فيه لين، مات سنة مئة واثنتين وستين، انتهى.

٥٦٤٦ ـ [٣٥] (**علي**) قوله: (**ما فيها**) أي: في السوق، وهو يذكر ويؤنث، والتأنيث أكثر.

وقوله: (**إلا الصور**) استثناء منقطع أو متصل بأن يجعل تبديل الهيئات والأشكال من جنس البيع والشراء مجازاً.

وقوله: (**دخل فيها**) أي: تصورها وتشكل بها، أي: كل صورة حسنة وشكل مطبوع اشتهى الإنسان أن يكون عليه بدّل الله صورتها مع بقاء الذات.

---

(١) «الصراح» (ص: ٢٩٤).

(٢) «تقريب التهذيب» (ص: ١٨٧، رقم: ١٦١٨).

٥٦٤٧ ـ [٣٦] وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ أَنَّهُ لَقِيَ أَبَا هُرَيْرَةَ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ فِي سُوقِ الْجَنَّةِ. فَقَالَ سَعِيدٌ: أَفِيهَا سُوقٌ؟ قَالَ: نعَمْ، أَخْبَرَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ إِذَا دَخَلُوهَا نَزَلُوا فِيهَا بِفَضْلِ أَعْمَالِهِمْ، ثُمَّ يُؤْذَنُ لَهُمْ فِي مِقْدَارِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا، فَيَزُورُونَ رَبَّهُمْ وَيُبْرِزُ لَهُمْ عَرْشَهُ، وَيَتَبَدَّى لَهُم فِي رَوْضَةٍ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، فَيُوضَعُ لَهُم مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ، وَمَنَابِرُ مِنْ لُؤْلُؤٍ، وَمَنَابِرُ مِنْ يَاقُوتٍ، وَمَنَابِرُ مِنْ زَبَرْجَدٍ، وَمَنَابِرُ مِنْ ذَهَبٍ، وَمَنَابِرُ مِنْ فِضَّةٍ، وَيَجْلِسُ أَدْنَاهُم ـ وَمَا فِيهِمْ دَنِيٌّ ـ عَلَى كُثْبَانِ الْمِسْكِ وَالْكَافُورِ، ....

٥٦٤٧ ـ [٣٦] **(سعيد بن المسيب)** قوله: **(إن أهل الجنة)** بفتح الهمزة وبكسرها على الحكاية، وفي أكثر النسخ المصححة بفتحها.

وقوله: **(بفضل أعمالهم)** أي: بقدرها.

وقوله: **(في مقدار يوم الجمعة)** في الحواشي: أي في مقدار أسبوع، والظاهر أن المراد يوم الجمعة، فإنه وردت الأحاديث في فضائل يوم الجمعة؛ أنه يكون في الجنة يوم جمعة كما كان في الدنيا، ويحضرون فيه ربهم إلى آخر معنى هذا الحديث.

وقوله: **(أدناهم)** أي: أقلهم منزلة ودرجة في الجنة بالنسبة إلى بعض من عداه، و**(ما فيهم دني)** أي: خسيس، لدفع توهم الدناءة من (أدناهم)، و**(الكثبان)** جمع كثيب وهو التلّ من الرمل، ويجمع على كُثُب، وأكثبة، وكثبان، والكثب: الجمع، والاجتماع، والصب، كذا في (القاموس)[١].

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١٣٢).

مَا يَرَوْنَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَرَاسِيِّ بِأَفْضَلَ مِنْهُمْ مَجْلِساً». قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! وَهَلْ نَرَى رَبَّنَا؟ قَالَ: «نَعَمْ، هَلْ تَتَمَارَوْنَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟» قُلْنَا: لاَ. قَالَ: «كَذَلِكَ لاَ تَتَمَارَوْنَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ، وَلاَ يَبْقَى فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ رَجُلٌ إِلاَّ حَاضَرَهُ اللهُ مُحَاضَرَةً حَتَّى يَقُولَ لِلرَّجُلِ مِنْهُمْ: يَا فُلاَنُ ابْنَ فُلاَنٍ! أَتَذْكُرُ يَوْمَ قُلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ فَيُذَكِّرُهُ بِبَعْضِ غَدَرَاتِهِ فِي الدُّنْيَا. فَيَقُولُ: يَا رَبِّ! أَفَلَمْ تَغْفِرْ لِي؟ فَيَقُولُ: بَلَى، فَبِسَعَةِ مَغْفِرَتِي بَلَغْتَ مَنْزِلَتَكَ هَذِهِ. فَبَيْنَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ غَشِيَتْهُمْ سَحَابَةٌ مِنْ فَوْقِهِمْ، فَأَمْطَرَتْ عَلَيْهِمْ طِيباً لَمْ يَجِدُوا مِثْلَ رِيحِهِ شَيْئاً قَطُّ، وَيَقُولُ رَبُّنَا: قُومُوا إِلَى مَا أَعْدَدْتُ لَكُمْ مِنَ الْكَرَامَةِ، فَخُذُوا مَا اشْتَهَيْتُمْ. فَنَأْتِي سُوقاً قَدْ حَفَّتْ بِهِ الْمَلاَئِكَةُ، فِيهَا مَا لَمْ تَنْظُرِ الْعُيُونُ إِلَى مِثْلِهِ، ....

وقوله: (ما يرون) بضم الياء أي: ما يظنون ذلك حتى يحزنوا.

وقوله: (إلا حاضره الله محاضرة) وهو الكلام مشافهة، والمراد هنا: كشف الحجاب والمقاولة بلا واسطة وترجمان كما كان لموسى عليه السلام. و(الغدرات) بفتحات جمع غدرة، وهو ترك الوفاء، والمراد بها ارتكاب المعاصي الذي فيه نقض عهد الربوبية، وترك الوفاء بحقوقها.

وقوله: (فيقول: بلى) أي: بلى أغفر لك، بل قد غفرت، ولو لم أغفره ما بلغت هذه المنزلة فبسعة مغفرتي بلغتها لا بعملك.

وقوله: (ما لم تنظر) بدل من (ما) أو من الضمير المنصوب المحذوف في (أعددت) العائد إليه، أو مرفوع خبر مبتدأ محذوف، أو مبتدأ محذوف الخبر، أي: فيه ما لك تنظر العيون.

وَلَمْ تَسْمَعِ الآذَانُ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى الْقُلُوبِ، فَيُحْمَلُ لَنَا مَا اشْتَهَيْنَا، لَيْسَ يُبَاعُ فِيهَا، وَلاَ يُشْتَرَى، وَفِي ذَلِكَ السُّوقِ يَلْقَى أَهْلُ الْجَنَّةِ بَعْضُهُمْ بَعْضاً». قَالَ: «فَيُقْبِلُ الرَّجُلُ ذُو الْمَنْزِلَةِ الْمُرْتَفِعَةِ فَيَلْقَى مَنْ هُوَ دُونَهُ - وَمَا فِيهِم دَنِيٌّ -، فَيَرُوعُهُ مَا يَرَى عَلَيْهِ مِنَ اللِّبَاسِ، فَمَا يَنْقَضِي آخِرُ حَدِيثِهِ حَتَّى يُتَخَيَّلَ عَلَيْهِ مَا هُوَ أَحْسَنُ مِنْهُ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لاَ يَنْبَغِي لأَحَدٍ أَنْ يَحْزَنَ فِيهَا، . . . .

وقوله: **(فيروعه ما يَرى عليه)** في (القاموس)[1]: راع: أفزع كروع متعد، وراع فلاناً: أعجبه، وعلى المعنيين الفاعل (ما)، والضمير المنصوب في (يروعه) للرجل، والمجرور في (عليه) لمن على المعنى الأول، أي: يفزع الرجل ذا المنزلة ما يرى على من هو دونه من اللباس الفاخر، أي: يكرهه، ويطرق إليه حزن فما ينقضي آخر حديث الرجل، وهو حديث نفسه، أي: خاطره الذي خطر في نفسه، **(حتى يتخيل)** أي: يظهر من تخيلت السماء: تهيأت للمطر، **(عليه)** أي: على الرجل، **(ما هو أحسن منه)** دفعاً لحزنه؛ لأنه لا ينبغي لأحد أن يحزن في الجنة، ويجوز أن يكون الضمير المنصوب لـ (من) والمجرور للرجل، و(يروعه) بمعنى يعجبه، والضمير في (حديثه) وفي (يتخيل عليه) يكون لـ (من)، والضمير في (منه) للباس، فعلى المعنى الأول: للباس الذي على من دونه، وعلى الثاني: للباس الذي على الرجل، وهو ظاهر.

وقوله: **(أن يحزن)** بفتح الزاي: من حزن كفرح لازم، بمعنى تحزن واحتزن، وأما يحزن بالضم من حزن كنصر متعد، بمعنى حزنه الأمر، وأحزنه: جعله حزيناً.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٦٦٧).

ثُمَّ نَنْصَرِفُ إِلَى مَنَازِلِنَا فَيَتَلَقَّانَا أَزْوَاجُنَا فَيَقُلْنَ: مَرْحَباً وَأَهْلاً، لَقَدْ جِئْتَ، وَإِنَّ بِكَ مِنَ الْجَمَالِ أَفْضَلَ مِمَّا فَارَقْتَنَا عَلَيْهِ، فَيَقُولُ: إِنَّا جَالَسْنَا الْيَوْمَ رَبَّنَا الْجَبَّارَ وَيَحِقُّنَا أَنْ نَنْقَلِبَ بِمِثْلِ مَا انْقَلَبْنَا». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. [ت: ٢٥٤٩، جه: ٤٣٣٦].

٥٦٤٨ ـ [٣٨] وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ الَّذِي لَهُ ثَمَانُونَ أَلْفَ خَادِمٍ، وَاثْنَتَانِ[1] وَسَبْعُونَ زَوْجَةً، وَتُنْصَبُ لَهُ قُبَّةٌ مِنْ لُؤْلُؤٍ وَزَبَرْجَدٍ وَيَاقُوتٍ كَمَا بَيْنَ الْجَابِيَةِ إِلَى صَنْعَاءَ». وَبِهَذَا الإِسْنَادِ قَالَ: «وَمَنْ مَاتَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ، يُرَدُّونَ بَنِي ثَلاَثِينَ فِي الْجَنَّةِ لاَ يَزِيدُونَ عَلَيْهَا أَبَداً، وَكَذَلِكَ أَهْلُ النَّارِ».

وَبِهَذَا الإِسْنَاد قَالَ: «إِنَّ عَلَيْهِمُ التِّيجَانَ أَدْنَى لُؤْلُؤَةٍ مِنْهَا لَتُضِيءُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ».

وقوله: (**ثم ننصرف**) عطف على قوله: (فنأتي سوقاً)، (**فيقلن**) أي: الأزواج كل واحدة منهن لزوجها: (**لقد جئت**).

٥٦٤٨ ـ [٣٧] (**أبو سعيد**) قوله: (**من لؤلؤ وزبرجد وياقوت**) معمولة منها أو مكللة بها.

وقوله: (**كما بين الجابية إلى صنعاء**) أي: بعد ما بين طرفي القبة كالبعد الذي بين هذين الموضعين، الأول بالشام، والثاني باليمن.

وقوله: (**يردون**) أي: يصيرون، فلا يرد أن الرد لا يناسب الصغر.

---

(١) في نسخة: «واثنان».

وَبِهَذَا الإِسْنَادِ قَالَ: «الْمُؤْمِنُ إِذَا اشْتَهَى الْوَلَدَ فِي الْجَنَّةِ كَانَ حَمْلُهُ وَوَضْعُهُ وَسِنُّهُ فِي سَاعَةٍ كَمَا يَشْتَهِي». وَقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: «إِذَا اشْتَهَى الْمُؤْمِنُ فِي الْجَنَّةِ الْوَلَدَ كَانَ فِي سَاعَةٍ، وَلَكِن لاَ يَشْتَهِي»، رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. وَرَوَى ابْنُ مَاجَهْ الرَّابِعَةَ وَالدَّارِمِيُّ الأَخِيرَةَ. [ت: ٢٥٦٢، جه: ٤٣٣٨، دي: ٢/ ٣٣٧].

٥٦٤٩ ـ [٣٨] وَعَنْ عَلِيٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَمُجْتَمَعاً لِلْحُورِ الْعِينِ، يَرْفَعْنَ بِأَصْوَاتٍ لَمْ تَسْمَعِ الْخَلاَئِقُ مِثْلَهَا، يَقُلْنَ: نَحْنُ الْخَالِدَاتُ فَلاَ نَبِيدُ، وَنَحْنُ النَّاعِمَاتُ فَلاَ نَبْأَسُ، وَنَحْنُ الرَّاضِيَاتُ فَلاَ نَسْخَطُ، طُوبَى لِمَنْ كانَ لنا وَكُنَّا لَهُ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢٥٦٤].

٥٦٥٠ ـ [٣٩] وَعَنْ حَكِيمِ بْنِ مُعَاوِيَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَحْرَ الْمَاءِ، وَبَحْرَ الْعَسَلِ، وَبَحْرَ اللَّبَنِ، وَبَحْرَ الْخَمْرِ، ثُمَّ تُشَقَّقُ الأَنْهَارُ بَعْدُ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢٥٧١].

٥٦٥١ ـ [٤٠] وَرَوَاهُ الدَّارِمِيُّ عَن مُعَاوِيَةَ. [دي: ٢/ ٣٣٧].

٥٦٤٩ ـ [٣٨] (علي) قوله: (ونحن الناعمات) أي: المتنعمات (فلا نبأس) أي: لا نفتقر ونحتاج، أو اللينات الحسنة، فلا نصير شديدة سيئة، أو مسرورات فلا نحزن، والنعمة: المسرة، كذا في (القاموس)[1].

٥٦٥٠، ٥٦٥١ ـ [٣٩، ٤٠] (حكيم بن معاوية، ومعاوية) قوله: (ثم تشقق الأنهار) أي: تشقق من الأبحر الأربعة بعد دخول أهل الجنة الجنة أنهار فيجري إلى

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١٠٧٢).

* الْفَصْلُ الثَّالِثُ:

٥٦٥٢ ـ [٤١] عَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ فِي الْجَنَّةِ لَيَتَّكِئُ فِي الْجَنَّةِ سَبْعِينَ مَسْنَداً قَبْلَ أَنْ يَتَحَوَّلَ، ثُمَّ تَأْتِيهِ امْرَأَةٌ فَتَضْرِبُ عَلَى مَنْكِبِهِ[1]، فَيَنْظُرُ وَجْهَهُ فِي خَدِّهَا أَصْفَى مِنَ الْمِرْآةِ، وَإِنَّ أَدْنَى لُؤْلُؤَةٍ عَلَيْهَا تُضِيءُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، فَتُسَلِّمُ عَلَيْهِ، فَيَرُدُّ السَّلَامَ وَيَسْأَلُهَا: مَنْ أَنْتِ؟ فَتَقُولُ: أَنَا مِنَ الْمَزِيدِ، وَإِنَّهُ لَيَكُونُ عَلَيْهَا سَبْعُونَ ثَوْباً، فَيَنْفُذُهَا بَصَرُهُ حَتَّى يَرَى مُخَّ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ، وإِنَّ عَلَيْهَا مِنَ التِّيجَانِ، إِنَّ أَدْنَى لُؤْلُؤَةٍ مِنْهَا لَتُضِيءُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ». رَوَاهُ أَحْمَدُ. [حم: ٣/ ٧٥].

مكان كل واحد منهم نهر.

الفصل الثالث

٥٦٥٢ ـ [٤١] (أبو سعيد) قوله: (قبل أن يتحول) أي: يكون متكئاً على سبعين مسند قبل أن يتحول، (ثم تأتيه) بعد أن يتحول (امرأة)، ولعل هذا مراد الطيبي[2] من قوله: (قبل أن يتحول) ظرف (ثم تأتيه)، فافهم.

وقوله: (أصفى) حال من (خدها).

وقوله: (أنا من المزيد) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥].

---

(١) في نسخة: «مَنْكِبَيْهِ».

(٢) «شرح الطيبي» (١٠/ ٢٦٠).

٥٦٥٣ ـ [٤٢] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَتَحَدَّثُ ـ وَعِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ ـ: «إِنَّ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اِسْتَأْذَنَ رَبَّهُ فِي الزَّرْعِ. فَقَالَ لَهُ: أَلَسْتَ فِيمَا شِئْتَ؟ قَالَ: بَلَى، وَلَكِنْ أُحِبُّ أَنْ أَزْرَعَ، فَبَذَرَ فَبَادَرَ الطَّرْفَ نَبَاتُهُ وَاسْتِوَاؤُهُ وَاسْتِحْصَادُهُ، فَكَانَ أَمْثَالَ الْجِبَالِ، فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: دُونَكَ يَا ابْنُ آدَمَ! فَإِنَّهُ لاَ يُشْبِعُكَ شَيْءٌ». فَقَالَ الأَعْرَابِيُّ: وَاللهِ لاَ تَجِدُهُ إِلاَّ قُرَشِيًّا أَوْ أَنْصَارِيًّا فَإِنَّهُمْ أَصْحَابُ زَرْعٍ، وَأَمَّا نَحْنُ فَلَسْنَا بِأَصْحَابِ زَرْعٍ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٢٣٧٨].

٥٦٥٤ ـ [٤٣] وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ: سَأَلَ رَجُلٌ رَسُولَ اللهِ ﷺ: أَيَنَامُ أَهْلُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: «النَّوْمُ أَخُو الْمَوْتِ، وَلاَ يَمُوتُ أَهْلُ الْجَنَّةِ»...........

٥٦٥٣ ـ [٤٢] (أبو هريرة) قوله: (إن رجلاً) بفتح الهمزة وبكسرها على الحكاية.

وقوله: (فبادر الطرف نباته) الطرف: العين، وطرف بصره طرفة: إذا طبق أحد جفنيه على الآخر، والطرف بالنصب، و(نباته) بالرفع، أي: نبت قبل طرفة عين، (واستواؤه واستحصاده) عطف على نباته، و(دونك) بمعنى خذ، وفيه دليل على أن طبيعة الإنسان على عدم القناعة، وهذه الصفة لا تزول عنه إلى الأبد.

وقوله: (فإنهم أصحاب زرع) صحبة الزرع حصلت للقرشيين بعد قدومهم بالمدينة في صحبة الأنصار وإلا لم يكونوا كذلك بمكة.

٥٦٥٤ ـ [٤٣] (جابر) قوله: (ولا يموت أهل الجنة) لأن النوم إنما يستجلبه الكسل والفتور والامتلاء، وكل ذلك مما لا يكون في الجنة.

رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ». [شعب: ٤٤١٦].



٦ ـ باب رؤية الله تعالى

٦ ـ باب رؤية الله تعالى

اعلم أن رؤية الحق تعالى جائزة عقلاً عند أهل الحق، وهم أهل السنة والجماعة، والجسمية والجهة والمقابلة والقرب والبعد ليس بشرط عندهم في الرؤية، وليس علة الرؤية عندهم إلا الوجود، فكل ما هو موجود فهو ممكن الرؤية عندهم جسمانيًّا كان أو غيره، في جهة كان أو لا، ومدخلية الأمور المذكورة فيها إنما هو بجريان العادة، ولو خلق الله تعالى الرؤية بدونها لجاز، وهو تعالى قادر أن يضع قوة البصيرة التي في القلب في العين، فكما نعلم في الدنيا بالبصيرة نراه في الآخرة بالبصر إنه على كل شيء قدير.

وأجمعوا على وقوعه في الآخرة للمؤمنين، والدلائل من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة ومن بعدهم قبل حدوث أهل البدع والأهواء متظاهرة على ذلك، فيجب القول به، ثم رؤيته تعالى في الدنيا أيضاً جائزة على القول المختار، ولكنه غير واقع بالاتفاق إلا لسيد المرسلين ﷺ مع اختلافٍ فيه على ما سنبين في شرح الأحاديث، ولم ينقل ذلك أحد من السلف والأولياء.

وقال الشيخ أبو بكر الكلاباذي في (كتاب التعرف)[1]: لا نعلم أحداً من المشايخ ادعاها، ولا ورد ذلك في الحكايات عن أحد منهم إلا شرذمة قليلة لم يعرفوا بأعيانهم،

(١) انظر: «التعرف لمذهب أهل التصوف» (ص: ٤٤).

. . . .

والمشايخ أطبقوا على تضليل مدعيها وتكذيبه، وصنفوا في ذلك كتباً ورسائل وقالوا: إن من ادعى ذلك لم يعرف الله، وأقره الشيخ علاء الدين القونوي في شرحه على ذلك، وقال في (تفسير الكواشي): إن معتقد رؤية الله تعالى هنا بالعين لغير محمد ﷺ غير مسلم.

وقال الأردبيلي في (كتاب الأنوار): ولو قال: أنا أرى الله تعالى عياناً في الدنيا ويكلمني شفاهاً كَفَرَ، وقالوا: تخصيص المؤمنين برؤية الله تعالى إنما هو في ما كان في الجنة، وأما في الموقف فيراه المؤمنون والكافرون، ثم يحجب الكافرون لتبقى لهم حسرة على القول المختار، والصحيح حصول الرؤية للنساء أخذاً من عمومات النصوص الواردة في الرؤية، وقيل: ليس لهن رؤية، وقيل: إنهن يرين في مثل أيام الأعياد والجمع في الدنيا.

وفي (آكام المرجان)[1] نقلاً عن قواعد الشيخ عز الدين عبد السلام ما يقتضي: أن الرؤية خاصة بمؤمني البشر، وأن الملائكة والجن لا يرونه تعالى، ونحوه ذكر عز ابن جماعة، والمنقول عن الشيخ الأشعري أن الملائكة يرونه، وتابعه على ذلك البيهقي وابن القيم والبلقيني، قال السيوطي: وهو الأرجح بلا شك، ومقتضى كلام ابن القيم الميل إلى حصول الرؤية لمؤمني الجن أيضاً، وهو الأصوب بعموم النصوص لجميع المؤمنين، ورؤية الله تعالى في المنام أيضاً جائزة، ونقل عن بعض السلف، وفي الحقيقة هو رؤية قلبية بالمثال.

---

(١) «آكام المرجان في أحكام الجان» (١/ ٩٧).

* الْفَصْلُ الأَوَّلُ:

٥٦٥٥ ـ [١] عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِاللهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عِيَاناً». وَفِي رِوَايَةٍ: قَالَ: كُنَّا جُلُوساً عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، فَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لاَ تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لاَ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠]. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٥٥٤، م: ٢١١].

الفصل الأول

٥٦٥٥ ـ [١] (جرير بن عبدالله) قوله: (لا تضامون) بضم التاء وتخفيف الميم من الضيم بمعنى الظلم، أي: لا تظلمون في رؤيته بأن يراه بعض دون بعض، وبفتح التاء وتشديد الميم من الضم أي: لا تزاحمون فيها، وقد سبق تحقيقه وبيان الروايات فيه في (باب الشفاعة).

وقوله: (فإن استطعتم أن لا تغلبوا) على صيغة المجهول، أي: لا تصيروا مغلوبين، أي: لا يغلبكم الكسل والدعة فتركوها، والتخصيص بهذين الصلاتين لفضلهما وإلا فحكم سائر الصلوات كذلك، والسر في ذلك أنه يحصل من الصلاة ملكة رؤية الذات كما يشير إليه الحديث: (أن تعبد ربك كأنك تراه)، ولما لم تكن الدنيا محل رؤية الذات بالبصر بل فيها مشاهدة الذات بالقلب لحُجُبٍ كانت مانعة منها قال: (كأنك تراه)، ولما سقطت الحجب في موطن الآخرة صار: (أنك تراه)، وقد ورد أن الرؤية في الآخرة تحصل غدوة وعشية، أي: أول النهار وآخره، وبهذا يحصل توجيه تخصيص صلاة الفجر والعصر، والله أعلم.

٥٦٥٦ ـ [٢] وَعَنْ صُهَيْبٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئاً أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟»، قَالَ: «فَيُرْفَعُ الْحِجَابُ، فَيَنْظُرُونَ إِلَى وَجْهِ اللهِ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئاً أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ»، ثُمَّ تَلاَ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ١٨١].

* الْفَصْلُ الثَّانِي

٥٦٥٧ ـ [٣] عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً لَمَنْ يَنْظُرُ إِلَى جِنَانِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَنَعِيمِهِ وَخَدَمِهِ وَسُرُرِهِ مَسِيرَةَ أَلْفِ سَنَةٍ، وَأَكْرَمَهُمْ عَلَى اللهِ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى وَجْهِهِ غُدْوَةً وَعَشِيَّةً». ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣]. رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ. [حم: ٢/ ٦٤، ت: ٢٥٥٣].

٥٦٥٨ ـ [٤] وَعَنْ أَبِي رَزِينٍ الْعُقَيْلِيِّ قَالَ: . . . .

٥٦٥٦ ـ [٢] (صهيب) قوله: (ثم تلا: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾)، فالمراد بالحسنى: الجنة، وبالزيادة: رؤيته سبحانه.

الفصل الثاني

٥٦٥٧ ـ [٣] (ابن عمر) قوله: (إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جنانه . . . إلخ)، فيه أن علو الهمة أن لا ينظر إلى ما سوى الله وإن كان من نعيم الجنة.

٥٦٥٨ ـ [٤] (أبو رزين العقيلي) قوله: (وعن أبي رزين) الراء قبل الزاي، (العقيلي) بضم العين وفتح القاف.

قُلْتُ[1]: يَا رَسُولَ اللهِ! أَكُلُّنَا يَرَى رَبَّهُ مُخْلِياً بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَـةِ؟ قَالَ: «بَلَى». قُلْتُ: وَمَا آيَـةُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «يَا أَبَا رَزِينٍ! أَلَيْسَ كُلُّكُمْ يَرَى الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ مُخْلِياً بِـهِ؟». قَالَ: بَلَى. قَالَ: «فَإِنَّمَـا هُـوَ خَلْقٌ مِنْ خَلْـقِ اللهِ وَاللهُ أَجَـلُّ وَأَعْظَمُ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٤٧٣١].

* الْفَصْلُ الثَّالِثُ:

٥٦٥٩ ـ [٥] عَنْ أَبِـي ذَرٍّ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ١٧٨].

وقوله: (مخلياً به) يروى على وجهين: بفتح الميم وسكون الخاء وتشديد الياء من خلا يخلو، من خلوت به، وبضم الميم وتخفيف الياء من أخليت به: إذا انفردت به، وأخلى جاء لازماً ومتعدياً، والمعنى يراه الكل منفرداً بنفسه بحيث لا يزاحم شيء في الرؤية.

الفصل الثالث

٥٦٥٩ ـ [٥] (أبو ذر) قوله: (نور أنى أراه) (أنى) بفتح الهمزة والنون المشددة بمعنى كيف، قال الطيبي[2]: هكذا رواه جميع الرواة في جميع الأصول ومعناه: حجابه النور فإن كمال النور يمنع الإدراك، وقد يروى: (نوراني) بالنسبـة إلى النور، انتهى. وهذا أيضاً يحتمل أن يكون لإنكار الرؤية على طريق الاستفهام بحذف أداته، أو يكون لإثباتها، وجاء في حديث آخر: (رأيت نوراً)، وهذا أيضاً يحتمل المعنيين، أي: رأيت نوراً فحسب دون الذات، ومنعني النـور عـن رؤيتهـا، أو رأيت ذاتاً منوراً، وقد جاء

---

(١) وفي نسخة: «قال».

(٢) «شرح الطيبي» (١٠/ ٢٦٨).

٥٦٦٠ ـ [٦] وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾[النجم: ١١]، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾[النجم: ١٣]، قَالَ: رَآهُ بِفُؤَادِهِ مَرَّتَيْنِ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

إطلاق النور عليه تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[النور: ٣٥].

٥٦٦٠ ـ [٦] (ابن عباس) قوله: **(رآه بفؤاده مرتين)** بأن جعل بصره في فؤاده أو فؤاده في بصره، وعلى هذا الوجه سواء قيل: رآه بعين فؤاده أو رآه بعين رأسه يتحد المعنى، وإنما قلنا هذا؛ لأن مذهب ابن عباس أنه رآه ببصره، وأما الرؤية بالقلب فمذهب آخر مخالف لمذهبه.

وحاصل المقام أن ابن عباس ومن وافقه من الصحابة والتابعين حملوا الرواية المذكورة في قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾[النجم: ١١]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾[النجم: ١٣]، وكذلك الدنو والتدلي، وكونه: ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾[النجم: ٩] كلها بيان لقربه ﷺ عنه تعالى وتقدس.

وأما ابن مسعود وعائشة رضي الله عنهما ومن تبعهما حملوها على رؤيته ﷺ جبرئيل، والآيات المذكورة عندهم لبيان قربه واتصاله بجبرئيل، والمفسرون فسروها بالوجهين، فلذلك اختلفت الصحابة ومن بعدهم من السلف والخلف في رؤيته ﷺ الرب تعالى ليلة المعراج، فبعضهم ينفونها وبعضهم يثبوتها وبعضهم يتوقفون فيها لعدم الدلائل الواضحة على أحد الجانبين، والحق أن المذكور في سورة (والنجم) من الدنو والتدلي، وقرب قاب قوسين من جبرئيل لدلالة سياق الآية على ذلك، وهو غير ما كان من الرب تعالى المذكور في الأحاديث، كذا في (المواهب اللدنية)[١].

وقال الشيخ محيي الدين النووي[٢]: الراجح المختار عند أكثر العلماء أنه رآه

---

(١) «المواهب اللدنية» (٢/ ٤٨٥).

(٢) «شرح النووي على صحيح مسلم» (٣/ ٥).

وَفِي رِوَايَةِ التِّرْمِذِي قَالَ: رَأَى مُحَمَّدٌ رَبَّهُ. قَالَ عِكْرِمَةُ: قُلْتُ: أَلَيْسَ اللهُ يَقُولُ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾[الأنعام: ١٠٣]؟.......

ببصره، وقال: إن عائشة لم ترو في إنكاره حديثاً وسماعاً منه ﷺ، وإنما هو اجتهاد واستنباط منها ﵂ برأيها، وتمسكها في ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾[الشورى: ٥١]، وقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾[الأنعام: ١٠٣]، والجواب أن المنفي في الآية الأولى الكلام في حال الرؤية لا الرؤية نفسها، ولعل الرؤية تكون ثابتة بدون الكلام، وإن الإدراك هو الإحاطة بجوانب الشيء وحدودها، والرؤية أعم منه، وقد خالف غيرها من الصحابة، والصحابي إذا قال قولاً وخالفه غيره منهم لم يكن ذلك القول حجة بالاتفاق، انتهى كلام النووي.

لكن قال الحافظ ابن حجر[1]: جزم النووي بأنّ عائشة لم تنف الرؤية بحديث مرفوع، وتبع فيه ابن خزيمة، وهو عجيب، فقد ثبت في (صحيح مسلم) عن مسروق قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هذا، فقلت يا رسول الله! هل رأيت ربك؟ فقال: (لا، إنما رأيت جبرئيل منهبطاً)، والله أعلم.

وقال بعض العلماء: الاعتماد في هذا الباب على قول ابن عباس فإن من المتعين أنه ما قال مثل هذا القول العظيم إلا بسماع من النبي ﷺ لا بظن واجتهاد، وقال بعضهم حين ذكر اختلاف عائشة وابن عباس ﵄: ما عائشة عندنا بأعلم من ابن عباس، والله أعلم، وسيأتي الكلام فيه في (باب المعراج) إن شاء الله تعالى، وأما تفسير الآيات المذكورة وتحقيق ألفاظها مفردة ومركبة فليطلب من التفاسير.

وقوله: (**قلت: أليس الله يقول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾**) إشكاله عليه لكون المراد بقوله: (رآه بفؤاده) أنه رآه بعينه بمساعدة قلبه كما ذكرنا، أو على قوله:

---

(١) انظر: «فتح الباري» (٨/ ٦٠٧).

قَالَ: وَيْحَكَ ذَاكَ إِذَا تَجَلَّى بِنُورِهِ الَّذِي هُوَ نُورُهُ، وَقَدْ رَأَى رَبَّهُ مَرَّتَيْنِ. [م: ١٧٦، ت: ٣٢٧٩].

٥٦٦١ ـ [٧] وَعَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: لَقِيَ ابْنُ عَبَّاسٍ كَعْباً بِعَرَفَةَ، فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، فَكَبَّرَ حَتَّى جَاوَبَتْهُ الْجِبَالُ. فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّا بَنُو هَاشِمٍ. فَقَالَ كَعْبٌ: إِنَّ اللهَ قَسَمَ رُؤْيَتَهُ وَكَلَامَهُ بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَمُوسَى، فَكَلَّمَ مُوسَى مَرَّتَيْنِ، وَرَآهُ مُحَمَّدٌ مَرَّتَيْنِ. قَالَ مَسْرُوقٌ: فَدَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ فَقُلْتُ: هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ رَبَّهُ؟ فَقَالَتْ: لَقَدْ تَكَلَّمْتَ بِشَيْءٍ قَفَّ لَهُ شَعْرِي، قُلْتُ: رُوَيْداً، ثُمَّ قَرَأْتُ: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٨]، فَقَالَتْ: ....

(رأى محمد ربه) كما في رواية الترمذي.

وقوله: **(بنوره الذي هو نوره)** أي: النور الخاص الذاتي الذي لا يطيقه البشر، وأما إذا تجلى بنوره الذي يعني بإدراكه القوة البشرية من غير تمنع وتعذر منه سبحانه وتعالى فلا مانع من إدراكه، والرؤية حاصلة على التقديرين.

٥٦٦١ ـ [٧] **(الشعبي)** قوله: **(حتى جاوبته الجبال)** كناية عن صداها.

وقوله: **(أنا بنو هاشم)** أي: المعروفون بالعلم والفضل فلا تسأل عما يستحيل ويتعذر فاسكن وتأمل في الجواب، فلما تأمل أجاب بما أجاب، والظاهر أنه نقل ذلك من التورية.

وقوله: **(فكلم موسى مرتين)** الأولى: في الواد الأيمن، والثانية: على الطور.

وقوله: **(قف له شعري)** أي: قام فزعاً.

وقوله: **(رويداً)** أي: أمهلي وارفقي واسكني.

وقوله: **(ثم قرأت: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾)** [النجم: ١٨] لا يخفى أن هذه

أَيْنَ تَذْهَبُ بِكَ؟ إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ. مَنْ أَخْبَرَكَ أَنَّ مُحَمَّداً رَأَى رَبَّهُ، أَوْ كَتَمَ شَيْئاً مِمَّا أُمِرَ بِهِ، أَوْ يَعْلَمُ الْخَمْسَ الَّتِي قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾[لقمان: ٣٤]، فَقَدْ أَعْظَمَ الْفِرْيَةَ، وَلَكِنَّهُ رَأَى جِبْرِيلَ، لَمْ يَرَهُ فِي صُورَتِهِ إِلاَّ مَرَّتَيْنِ: مَرَّةً عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَمَرَّةً فِي أَجْيَادٍ، لَهُ سِتُّ مِئَةِ جَنَاحٍ قَدْ سَدَّ الأُفُقَ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

وَرَوَى الشَّيْخَانِ مَعَ زِيَادَةٍ وَاخْتِلاَفٍ، وَفِي رِوَايَتِهِمَا: قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ: فَأَيْنَ قَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾[النجم: ٨ ـ ٩]؟ قَالَتْ: ذَاكَ جِبْرِيلُ عليه السلام كَانَ يَأْتِيهِ فِي صُورَةِ الرَّجُلِ، وَإِنَّهُ أَتَاهُ هَذِهِ الْمَرَّةَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي هِيَ صُورَتُهُ فَسَدَّ الأُفُقَ. [ت: ٣٢٧٤، خ: ٤٨٠٥، م: ١٧٧].

٥٦٦٢ ـ [٨] وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾[النجم: ٩]، وَفِي قَوْلِهِ: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾[النجم: ١١]، وَفِي قَوْلِهِ: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾[النجم: ١٨]، قَالَ فِيهَا كُلِّهَا: . . . .

الآيـة ليست مناسبة لمقصوده في إثبات الرؤيـة، ولكن المراد قرأت الآيات التي هذه الآية خاتمتها وهو قوله: ﴿دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾[النجم: ٨] كما في الرواية الأخرى.

وقوله: (في أجياد) بفتح الهمزة: موضع معروف بأسفل مكـة، أو جبل بهـا، ويسمى باب الحرم الذي في جانبه: باب الأجياد، وسمي بذلك لكونه موضع خيل تبع، كذا في (القاموس)[1].

٥٦٦٢ ـ [٨] (ابن مسعود) قوله: . . . .

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٢٦٣).

رَأَى جِبْرِيلَ عليه السلام لَهُ سِتُّ مِئَةِ جَنَاحٍ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَفِي رِوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ قَالَ: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾[النجم: ١١]، قَالَ: رَأَى رَسُولُ اللهِ ﷺ جِبْرِيلَ فِي حُلَّةٍ مِنْ رَفْرَفٍ قَدْ مَلأَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، وَلَهُ وَلِلْبُخَارِيِّ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾[النجم: ١٨]، قَالَ: رَأَى رَفْرَفاً أَخْضَرَ سَدَّ أُفُقَ السَّمَاءِ. [خ: ٤٨٥٦، م: ١٧٤، ت: ٣٢٨٣].

٥٦٦٣ ـ [٩] وَسُئِلَ مَالِكُ بْنُ أَنسٍ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣]، فَقِيلَ: قَوْمٌ يَقُولُونَ: إِلَى ثَوَابِهِ. . . . .

(في حلة) في (القاموس)[1]: الحلة بالضم: إزار ورداء، برد أو غيره، قد عرف تحقيقه في موضعه.

وقوله: **(من رفرف)** بفتح الراءين بينهما فاء ساكنة لـه معان متعددة، قال الطيبي[2]: أي بساط، وقيل: فراش، وقيل: الرفرف في الأصل ما كان من الديباج وغيره رقيقاً حسن الصنعة ثم اتسع فيه، وقال: والمراد في حديث المعراج البساط أو يراد أجنحة جبرئيل بسطها كما يبسط الثياب، ويقال: رفرف الطائر بجناحيه: إذا بسطها للسقوط على شيء يحوم عليه ليقع فوقه، قال البيضاوي[3] في قوله تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ﴾[الرحمن: ٧٦]: وسائد أو نمارق جمع رفرفة، وقيل: الرفرف: ضرب من البسط، أو ذيل الخيمة، وقد يقال لكل ثوب عريض خضر.

٥٦٦٣ ـ [٩] **(مالك بن أنس)** قوله: **(يقولون إلى ثوابه)** وقيل: (إلى) هنا بمعنى

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٩٠٧).

(٢) «شرح الطيبي» (١٠/ ٢٧٦).

(٣) «تفسير البيضاوي» (٥/ ١٧٥).

فَقَالَ مَالِكٌ: كَذَبُوا فَأَيْنَ هُمْ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]؟ قَالَ مَالِكٌ: النَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَى اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَعْيُنِهِمْ، وَقَالَ: لَوْ لَمْ يَرَ الْمُؤْمِنُونَ رَبَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَمْ يُعَيِّرِ اللهُ الْكُفَّارَ بِالْحِجَابِ فَقَالَ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]. رَوَاهُ فِي «شَرْحِ السُّنَّةِ».
[شرح السنة: ١٥/ ٢٣٠].

٥٦٦٤ ـ [١٠] وَعَنْ جَابِرٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «بَيْنَا أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي نَعِيمِهِمْ، إِذْ سَطَعَ لَهُمْ نورٌ، فَرَفَعُوا رُؤُوْسَهُمْ، فَإِذَا الرَّبُّ قَدْ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، قَالَ: وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨]، قَالَ: فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، فَلَا يَلْتَفِتُونَ إِلَى شَيْءٍ مِنَ النَّعِيمِ مَا دَامُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، حَتَّى يَحْتَجِبَ عَنْهُمْ، وَيَبْقَى نُورُهُ». رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ. [جه: ١٨٤].

❖ ❖ ❖

النعمة مفعول (ناظرة) قدم عليه، أي: منتظرة نعمة ربها، وتعقب بأن الانتظار عذاب فلا يكون في الجنة، فتدبر.

٥٦٦٤ ـ [١٠] (جابر) قوله: (ويبقى نوره) نعيم الجنة لا يكون حجاباً عن الله تعالى كنعيم الدنيا ولكنها مظاهر أنوار الصفات، والصفة حجاب الذات لكنه نوراني، فتارة يشهدون نور الحق فيها، وإذا شاهدوا نور الذات نسوا ما سواه وإن كانت صفاته، والحكمة في اشتغالهم بالنعيم أن لا يضمحلوا مطلقاً في سبحات الذات، ويبقوا ويستريحوا ويستعدوا لتجلي الذات، فافهم وبالله التوفيق.

٧ ـ باب صفة النار وأهلها

* الْفَصْلُ الأَوَّلُ:

٥٦٦٥ ـ [١] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «نَارُكُمْ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءاً مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ». قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً. قَالَ: «فُضِّلَتْ عَلَيْهِنَّ بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءاً كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَاللَّفْظُ لِلْبُخَارِيِّ. وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ: «نَارُكُمُ الَّتِي يُوقِدُ ابْنُ آدَمَ»............

---

٧ ـ باب صفة النار وأهلها

اشتقاق النار والنور من مادة واحدة، قال بعضهم: النار إذا خرج دخانها وصفت عنه بقي نوراً، وجمعه أنوار ونيران ونيرة كقردة، ونور ونيار وأنيار، وغلب في لسان الشرع على نار جهنم نعوذ بالله منها، والنار مؤنث، وقد يذكر.

الفصل الأول

٥٦٦٥ ـ [١] **(أبو هريرة)** قوله: **(جزء من سبعين جزءاً)** الظاهر أن المراد بعدد السبعين الكثرة والمبالغة فيها، لا العدد المخصوص، وقد تعارفت إرادة هذا المعنى من هذا العدد كثيراً.

وقوله: **(وإن كانت)** أي: هذه النار **(لكافية)** في التعذيب.

وقوله: **(فضلت عليهن بتسعة وستين جزءاً)** هذا المعنى هو معنى كونه جزءاً من سبعين جزءاً ذكره للتأكيد، وحقيقة المقصود أن مقتضى الحكمة أن تكون نار جهنم فاضلة وزائدة على نار الدنيا، وينبغي أن تكون كذلك حتى يتميز عذاب الله من عذاب الخلق، ولا تكرار.

وَفِيهَا: «عَلَيْهَا» وَ«كُلَّهَا» بَدَلَ «عَلَيْهِنَّ» وَ«كُلُّهُنَّ». [خ: ٣٢٦٥، م: ٢٨٤٣].

٥٦٦٦ ـ [٢] وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ، لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٨٤٢].

٥٦٦٧ ـ [٣] وَعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً مَنْ لَهُ نَعْلَانِ وَشِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ، يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ كَمَا يَغْلِي الْمِرْجَلُ، مَا يُرَى أَنَّ أَحَداً أَشَدُّ مِنْهُ عَذَاباً وَإِنَّهُ لَأَهْوَنُهُمْ عَذَاباً». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٦٥٦١، م: ٢١٣].

٥٦٦٨ ـ [٤] وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً أَبُو طَالِبٍ، ....

وقوله: (وفيها) أي: في هذه الرواية لمسلم.

٥٦٦٦ ـ [٢] (ابن مسعود) قوله: (سبعون ألف زمام) في (القاموس)[1]: زمه فانزمّ: شده، وككتاب: ما يزم به البعير، وفي (الصراح)[2]: زمام بالكسر: مهار، ولعل جهنم يؤتى بها في الموقف ليراها الناس ترهيباً لهم، والله أعلم.

٥٦٦٧ ـ [٣] (النعمان بن بشير) قوله: (ما يرى) بضم الياء، أي: ما يظن، و(المرجل) كمنبر: القدر من الحجارة أو النحاس.

٥٦٦٨ ـ [٤] (ابن عباس) قوله: (أهون أهل النار عذاباً) الهوان إضافي بالنسبة

---

(١) «القاموس» (ص: ١٠٣١).

(٢) «الصراح» (ص: ٤٧٥).

وَهُوَ مُنْتَعِلٌ بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ[١].

٥٦٦٩ ـ [٥] وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ! هَلْ رَأَيْتَ خَيْراً قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لاَ وَاللهِ يَا رَبِّ! وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْساً فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ! هَلْ رَأَيْتَ بُؤْساً قَطُّ؟ وَهَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لاَ وَاللهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلاَ رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٨٠٧].

إلى ما فوقه من العذاب، ويشترك فيه أبو طالب وغيره كما هو ظاهر الحديث السابق، ويحتمل أن يكون هوان عذابه بالنسبة إلى كل من عداه، وهذا على ما هو مذهب أهل السنة والجماعة، وقد يروى حديث في خلافه، وهو ضعيف، والله أعلم.

٥٦٦٩ ـ [٥] (أنس) قوله: **(فيقول: لا والله يا رب! ما مرّ بي بؤس قط، ولا رأيت شدة قط)** فإن قلت: ما النكتة في نفي مرور البؤس ورؤية الشدة، وذكرهما صريحاً من أهل الجنة لا من أهل النار، بل اكتفى بقولهم: (لا والله يا رب)؟ قلت: لعل النكتة في ذلك أن أهل الجنة لحصول غاية الراحة والسرور لهم نسوا البؤس والشدة مطلقاً، فصرحوا بنفيها وبالغوا فيه بخلاف أهل النار فإنهم إن فرض تذكرهم للخير والسرور في الدنيا كان ذلك غاية في عذابهم وحسرتهم، فافهم.

---

(١) لم نجده في البخاري، وقد أخرجه مسلم في «صحيحه» في كتاب الإيمان، باب أهون أهل النار عذاباً، (رقم: ٢١٢).

٥٦٧٠ ـ [٦] وَعَنْـهُ عَنِ النَّبِـيِّ ﷺ قَالَ: «يَقُولُ اللهُ لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ: لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. فَيَقُولُ: أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ، أَنْ لاَ تُشْرِكَ بِي شَيْئاً، فَأَبَيْتَ إِلاَّ أَنْ تُشْرِكَ بِي». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٣٣٤، م: ٢٩٠٥].

٥٦٧١ ـ [٧] وَعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْـدُبٍ أَنَّ النَّبِـيَّ ﷺ قَالَ: «مِنْهُـمْ مَنْ تَأْخُـذُهُ النَّارُ إِلَى كَعْبَيْـهِ، وَمِنْهُـمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى رُكْبَتَيْـهِ، وَمِنْهُـمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى حُجْزَتِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى تَرْقُوَتِهِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٨٤٥].

٥٦٧٠ ـ [٦] (وعنه) قوله: (أردت منك) المراد بالإرادة هنا الأمر والنهي، فإنه قد يقال في العرف فيمن أمر ونهى أحداً: إنه أراد منه ذلك، وقد جاء في روايات لمسلم: (وقد سألت)، والسؤال والطلب هو الأمر، والمراد بكونه في صلب آدم أخذ الميثاق في يوم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾؛ فإن بني آدم أخرجوا يومئذ من صلبه، ثم أدخلوا فيه، والأمر والنهي متفرع على ذلك.

وقوله: (إلا أن تشرك بي) أي: نقضت العهد.

٥٦٧١ ـ [٧] (سمرة بن جندب) قوله: (إلى حجزته) الحجزة بضم الحاء المهملة وسكون الجيم وبالزاي: معقد الإزار، ومن السراويل: موضع التِّكَّةِ.

وقوله: (إلى ترقوته) الترقوة: بفتح التاء وضم القاف: العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق، وفي (الصراح)[1]: ترقوة: چنبر گردن.

---

(١) «الصراح» (ص: ٣٦٩).

٥٦٧٢ - [٨] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا بَيْنَ مَنْكِبَيِ الْكَافِرِ فِي النَّارِ مَسِيرَةَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ لِلرَّاكِبِ الْمُسْرِعِ». وَفِي رِوَايَةٍ: «ضِرْسُ الْكَافِرِ مِثْلُ أُحُدٍ، وَغِلَظُ جِلْدِهِ مَسِيرَةُ ثَلَاثٍ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَذُكِرَ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ: «إِذَا اشْتَكَتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا». فِي «بَابِ تَعْجِيلِ الصَّلَوَاتِ». [م: ٢٨٥٢].

* الْفَصْلُ الثَّانِي:

٥٦٧٣ - [٩] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أُوقِدَ عَلَى النَّارِ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى احْمَرَّتْ، ثُمَّ أُوقِدَ عَلَيْهَا أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى ابْيَضَّتْ، ثُمَّ أُوقِدَ عَلَيْهَا أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى اسْوَدَّتْ، فَهِيَ سَوْدَاءُ مُظْلِمَةٌ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢٥٩١].

٥٦٧٤ - [١٠] وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ضِرْسُ الْكَافِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِثْلُ أُحُدٍ، ....

٥٦٧٢ - [٨] (أبو هريرة) قوله: (وغلظ جلده) في غلظ الأعضاء تعذيب وتقبيح، وإدراك العذاب أشد وأكثر.

وقوله: (مسيرة ثلاث) أي: ثلاث ليال.

الفصل الثاني

٥٦٧٣ - [٩] (أبو هريرة) قوله: (فهي سوداء مظلمة) وهذا أشد وأدخل في الوحشة والعذاب.

٥٦٧٤ - [١٠] (أبو هريرة) قوله: (مثل أحد) وهو جبل مشهور على مسيرة

وَفَخِذُهُ مِثْلُ الْبَيْضَاءِ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ مسيرَةُ ثَلَاثٍ مِثْلُ الرَّبَذَةِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢٥٧٨].

٥٦٧٥ ـ [١١] وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ غِلَظَ جِلْدِ الْكَافِرِ اثْنَانِ وَأَرْبَعُونَ ذِرَاعاً، وَإِنَّ ضِرْسَهُ مِثْلُ أُحُدٍ، وَإِنَّ مَجْلِسَهُ مِنْ جَهَنَّمَ مَا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢٥٧٧].

٥٦٧٦ ـ [١٢] وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الْكَافِرَ لَيَسْحَبُ لِسَانَهُ الْفَرْسَخَ وَالْفَرْسَخَيْنِ يَتَوَطَّؤُهُ النَّاسُ». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. [حم: ٢/ ٩٢، ت: ٢٥٨٠].

ثلاثة أميال من المدينة المطهرة، عند مشهد سيد الشهداء حمزة وغيره، وغزوته مشهورة، وإنما سمي أحداً لكونه منفرداً غير ملتصق بجبال أخر.

وقوله: (**مثل البيضاء**) وهي عقبة التنعيم موضع مشهور قريب بمكة يحرم منه للعمرة، و(**الربذة**) بفتح الراء والباء والذال المعجمة: موضع قرب المدينة، مدفن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه.

٥٦٧٥ ـ [١١] (وعنه) قوله: (**إن غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعاً**) قد سبق أنه مسيرة ثلاث، ولعل الحال يتفاوت بتفاوت أصناف الكافرين، وكذا الكلام على قوله: (مقعده من النار مسيرة ثلاث).

وقوله: (**وإن مجلسه من جهنم ما بين مكة والمدينة**) وهي مسيرة عشرة أيام، أو أكثر على ما هو المعتاد.

٥٦٧٦ ـ [١٢] (ابن عمر) قوله: (**ليسحب**) بلفظ المعلوم، سحبه: جره على وجه الأرض.

٥٦٧٧ ـ [١٣] وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «الصَّعُودُ جَبَلٌ مِنْ نَارٍ يُتَصَعَّدُ فِيهِ سَبْعِينَ خَرِيفاً، وَيُهْوَى بِهِ كَذَلِكَ فِيهِ أَبَداً». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢٥٧٦].

٥٦٧٨ ـ [١٤] وَعَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ فِي قَوْلِهِ: ﴿كَٱلْمُهْلِ﴾ أَيْ: كَعَكَرِ الزَّيْتِ، فَإِذَا قُرِّبَ إِلَى وَجْهِهِ سَقَطَتْ فَرْوَةُ وَجْهِهِ فِيهِ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢٥٨١].

٥٦٧٧ ـ [١٣] (أبو سعيد) قوله: (الصعود جبل من نار) وذلك ما وقع في قوله تعالى: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾[المدثر: ١٧]، وقال البيضاوي[١]: سأغشيه عقبة شاقة المصعد، وهو مثل لما يلقى من الشدائد، في (القاموس)[٢]: الصعود: العقبة الشاقة، وجبل في جهنم، وتصعد في الشيء وتصاعدني: شق عليّ.

٥٦٧٨ ـ [١٤] (أبو سعيد) قوله: (كالمهل) في (القاموس)[٣]: هو بضم الميم وسكون الهاء: اسم يجمع معدنيات الجواهر كالفضة والحديد، وما ذاب من صُفر أو حديدٍ، والزيت أو دُرْدِيُّهُ، وهو العكر محركة، وجاء تفسير (المهل) بالرصاص المذاب، وبالصديد السائل من أجساد الكفار.

وقوله: (وفروة وجهه) الفروة: بفتح الفاء وسكون الراء ليس معروفاً، يقال له: پوستين، وجلدة الرأس، والمراد هنا الجلدة.

---

(١) «تفسير البيضاوي» (٥/ ٢٦٠).

(٢) «القاموس» (ص: ٢٧٩).

(٣) «القاموس» (ص: ٩٧٧).

٥٦٧٩ ـ [١٥] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْحَمِيمَ لَيُصَبُّ عَلَى رُؤُوسِهِمْ، فَيَنْفُذُ الْحَمِيمُ حَتَّى يَخْلُصَ إِلَى جَوْفِهِ، فَيَسْلُتُ مَا فِي جَوْفِهِ، حَتَّى يَمْرُقَ مِنْ قَدَمَيْهِ وَهُوَ الصَّهْرُ، ثُمَّ يُعَادُ كَمَا كَانَ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢٥٨٢].

٥٦٨٠ ـ [١٦] وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ۝١٦ يَتَجَرَّعُهُۥ﴾[إبراهيم: ١٦ ـ ١٧]، قَالَ: «يُقَرَّبُ إِلَى فِيهِ فَيَكْرَهُهُ، فَإِذَا أُدْنِيَ مِنْهُ شَوَى وَجْهَهُ، وَوَقَعَتْ فَرْوَةُ رَأْسِهِ، فَإِذَا شَرِبَهُ قَطَّعَ أَمْعَاءَهُ، حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ دُبُرِهِ. يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥]. وَيَقُولُ: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ﴾[الكهف: ٢٩]»[1]. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢٥٨٣].

٥٦٨١ ـ [١٧] وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لِسُرَادِقِ النَّارِ أَرْبَعَةُ جُدُرٍ، كِثَفُ كُلِّ جِدَارٍ مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ سَنَةً». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢٥٨٤].

٥٦٧٩ ـ [١٥] (أبو هريرة) قوله: (وهو الصهر) بفتح الصاد.

٥٦٨٠ ـ [١٦] (أبو أمامة) قوله: (فقطع أمعاءه) يؤيد حمل السلت في الحديث السابق على معنى القطع.

٥٦٨١ ـ [١٧] (أبو سعيد الخدري) قوله: (لسرادق النار) يروى بفتح اللام، ورفع (سرادق) وبكسرها، وجر (سرادق)، وهو ما أحاط بشيء من حائط أو غيره

---

(١) ﴿ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ﴾ سقط في نسخة.

٥٦٨٢ ـ [١٨] وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَوْ أَنَّ دلْواً مِنْ غَسَّاقٍ يُهْرَاقُ فِي الدُّنْيَا لأَنتَنَ أَهْلُ الدُّنيَا». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٤/ ٧٠٦].

٥٦٨٣ ـ [١٩] وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَرأَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[آل عمران: ١٠٢]، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنَ الزَّقُّوْمِ قَطَرَتْ فِي دَارِ الدُّنْيَا لأَفْسَدَتْ عَلَى أَهْلِ الأَرْضِ مَعَايِشَهُمْ، فَكَيْفَ بِمَنْ يَكُونُ طَعَامَهُ؟». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. [ت: ٢٥٨٥].

معرب سرا پرده.

٥٦٨٢ ـ [١٨] **(أبو سعيد الخدري)** قوله: **(لو أن دلواً من غساق)** هو بتشديد السين وتخفيفها: ما يغسق، أي: يسيل من صديدهم أو من دموعهم، وقد يفسر في قوله تعالى: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۝ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾[النبأ: ٢٤ ـ ٢٥] بالزمهرير أيضاً، ويستثنى من البرد، ويوافق ذلك ما ذكر في (القاموس)[١] حيث قال: الغساق كسحاب وشداد: البارد المنتن إلا أنه أخر ليوافق رؤوس الآي.

٥٦٨٣ ـ [١٩] **(ابن عباس)** قوله: **(لو أن قطرة . . . إلخ)**، لما جرى ذكر التقوى الذي هو سبب النجاة من عذاب النار ذكر شيئاً من عذابها، منه الزقوم شجرة تخرج من أصل الجحيم، في (القاموس)[٢]: الزقم هو اللقم، أزقمه فازدقمه: أبلعه فابتلعه، والزقوم كتنور: الزبد بالتمر، وشجرة بجهنم، وفي (الصحاح)[٣]: قال ابن عباس:

---

(١) «القاموس» (ص: ٨٤٣).

(٢) «القاموس» (ص: ١٠٣٠).

(٣) «الصحاح» (٥/ ١٩٤٣).

٥٦٨٤ ـ [٢٠] وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ﴿وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾[المؤمنون: ١٠٤]، قَالَ: «تَشْوِيهِ النَّارُ فَتَقَلَّصُ شَفَتُهُ الْعُلْيَا حَتَّى تَبْلُغَ وَسْطَ رَأْسِهِ، وَتَسْتَرْخِي شَفَتُهُ السُّفْلَى حَتَّى تَضْرِبَ سُرَّتَهُ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢٥٨٧].

٥٦٨٥ ـ [٢١] وَعَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ! ابْكُوا فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوا فَتَبَاكَوْا، فَإِنَّ أَهْلَ النَّارِ يَبْكُونَ فِي النَّارِ حَتَّى تَسِيلَ دُمُوعُهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ كَأَنَّهَا جَدَاوِلُ، حَتَّى تَنْقَطِعَ الدُّمُوعُ، . . . .

لما نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝٤٣ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾[الدخان: ٤٣ ـ ٤٤]، قال أبو جهل: التمر بالزبد، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ﴾ الآية [الصافات: ٦٤].

٥٦٨٤ ـ [٢٠] (أبو سعيد) قوله: (كالحون) أي: عابسون حين تحرق وجوههم، وفي (الصراح)(١): كلوح: روئى ترش كردن، كلاح بالضم كذلك، فقال: ما أقبح كَلَحَتَهُ محركة يراد به الفم وما حواليه.

وقوله: (فتقلص شفته) أي: تتقلص، يقال: قلصت شفته: انزوت وشمّرت، والظل عني: انقبض، والثوب بعد الغسل: انكمش.

٥٦٨٥ ـ [٢١] (أنس) قوله: (ابكوا) أمر من بكى يبكي (فإن لم تستطيعوا فتباكوا) بفتح الكاف أيضاً أمر من التباكي، والمراد اخشوا واتقوا حتى تنجوا من عذاب النار يوم الآخرة المفضي إلى البكاء أشد البكاء.

---

(١) «الصراح» (ص: ١٠٨).

فَتَسِيلَ الدِّمَاءُ، فَتَقَرَّحُ الْعُيُونُ، فَلَوْ أَنَّ سُفُناً أُزْجِيَتْ فِيهَا لجَرَتْ». رَوَاهُ فِي «شَرْحِ السُّنَّةِ». [شرح السنة: ٤٤١٨].

٥٦٨٦ ـ [٢٢] وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُلْقَى عَلَى أَهْلِ النَّارِ الْجُوعُ، فَيَعْدِلُ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ، فَيَسْتَغِيثُونَ فَيُغَاثُونَ بِطَعَامٍ ﴿مِن ضَرِيعٍ ۞ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾[الغاشية: ٦ ـ ٧]، فَيَسْتَغِيثُونَ بِالطَّعَامِ، فَيُغَاثُونَ بِطَعَامٍ ذِي غُصَّةٍ، فَيَذْكُرُونَ أَنَّهُمْ كَانُوا يُجِيزُونَ الْغُصَصَ فِي الدُّنْيَا بِالشَّرَابِ، فَيَسْتَغِيثُونَ بِالشَّرَابِ فَيُرْفَعُ إِلَيْهِمُ الْحَمِيمُ.........

وقوله: (أزجيت) في (القاموس)[1]: زجاه: ساقه ودفعه، كأزجاه.

٥٦٨٦ ـ [٢٢] (أبو الدرداء) قوله: (فيعدل) أي: يماثل ويساوي ألم الجوع وعذاب النار الذي فيه.

وقوله: (من ضريع) في (القاموس)[2]: الضريع كأمير: الشبرق، أو رطبه يسمى شبرقاً، ويابسه ضريعاً، لا تقربه دابة لخبثه، أو شيء في جهنم أمرّ من الصبر وأنتن من الجيفة، وأحر من النار. وقال البيضاوي[3]: وهي يبيس الشبرق، وهو شوك ترعاه الإبل ما دام رطباً. وقال صاحب (الكشاف)[4]: إذا يبس تحامته [الإبل]، وفي الحواشي: فهو سم قاتل للإبل.

وقوله: (بطعام ذي غصة) ولعله أيضاً من هذا الجنس من الأطعمة، ولهذا قال

---

(١) «القاموس» (ص: ١١٨٧).

(٢) «القاموس» (ص: ٦٨٤).

(٣) «تفسير البيضاوي» (٥/ ٣٠٧).

(٤) «تفسير البيضاوي» (٤/ ٧٤٢).

بِكَلاَلِيبِ الْحَدِيدِ، فَإِذَا دَنَتْ مِنْ وُجُوهِهِمْ شَوَتْ وُجُوهَهُمْ، فَإِذَا دَخَلَتْ بُطُونَهُمْ قَطَعَتْ مَا فِي بُطُونِهِمْ، فَيَقُولُوْنَ: ادْعُوا خَزَنَةَ جَهَنَّمَ فَيَقُولُونَ: ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۚ قَالُواْ فَٱدْعُواْ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾[غافر: ٥٠]» قَالَ: «فَيَقُوْلُوْنَ: ادْعُوا مَالِكاً فَيَقُولُوْنَ: ﴿يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ﴾[الزخرف: ٨٨]» قَالَ: «فَيُجِيبُهُم: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾[الزخرف: ٧٧]». قَالَ الأَعْمَشُ: نُبِّئْتُ أَنَّ بَيْنَ دُعَائِهِمْ وَإِجَابَةِ مَالِكٍ إِيَّاهُمْ. . . . .

البيضاوي[١] في تفسير قوله: ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾[المزمل: ١٣]: طعاماً ينشب في الحلق كالضريع والزقوم.

وقوله: (**بكلاليب الحديد**) جمع كلوب بالتشديد: حديدة معوجة الرأس، كذا في (شرح الشفا)، وفي (مجمع البحار)[٢] نقلاً عن الكرماني: هو بفتح كاف وتشديد اللام مضمومة: حديدة له شعب يعلق بها اللحم، وفي (الصراح)[٣]: بالفتح والضم: أرّه، كلاليب جماعت.

وقوله: (**ادعوا خزنة جهنم**) أي: ادعوا الله فينا يا خزنة جهنم! (فخزنة جهنم) منادى بحذف حرف النداء، كذا قالوا، ويمكن أن يكون (ادعوا) خطاباً لمن معهم، و(خزنة جهنم) مفعوله، والتقدير: فدعوهم فيقول الخزنة: ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ﴾ الآية [غافر: ٥٠].

وقوله: (**إلا في ضلال**) أي: في ضياع وخسار وباطل؛ لأنهم إن دعوا الله لم

---

(١) «تفسير البيضاوي» (٥/ ٣٥٦).

(٢) «مجمع بحار الأنوار» (٤/ ٤٣٦).

(٣) «الصراح» (ص: ٥٢).

أَلْفَ عَامٍ. قَالَ: «فَيَقُولُونَ: ادْعُوا رَبَّكُمْ، فَلاَ أَحَدَ خَيْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ، فَيَقُولُونَ: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾[المؤمنون: ١٠٦ ـ ١٠٧]» قَالَ: «فَيُجِيبُهُم: اخْسَؤُوا فِيهَا وَلاَ تُكَلِّمُونِ» قَالَ: «فَعِنْدَ ذَلِكَ يَئِسُوا مِنْ كُلِّ خَيْرٍ، وَعِنْدَ ذَلِكَ يَأْخُذُونَ فِي الزَّفِيرِ وَالْحَسْرَةِ وَالْوَيْلِ». قَالَ عَبْدُاللهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: وَالنَّاسُ لاَ يَرْفَعُونَ هَذَا الْحَدِيْثَ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢٥٨٦].

٥٦٨٧ ـ [٢٣] وَعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «أَنْذَرْتُكُمُ النَّارَ، أَنْذَرْتُكُمُ النَّارَ» فَمَا زَالَ يَقُولُهَا حَتَّى لَوْ كَانَ فِي مَقَامِي هَذَا سَمِعَهُ أَهْلُ السُّوقِ، وَحَتَّى سَقَطَتْ خَمِيصَةٌ كَانَتْ عَلَيْهِ. . . . .

يجبهم، وإن دعوا الآلهة لم تستطع إجابتهم، كذا في (الكشاف)[1].

وقوله: (**اخسؤوا فيها**) خسأ الكلب: طرده.

وقوله: (**في الزفير**) وهو أول صوت الحمار، والشهيق آخره، وقد ورد الشهيق أيضاً في قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾[هود: ١٠٦]، (**والويل**) حلول الشر والهلاك والتفجع، واسم واد بجهنم.

وقوله: (**الناس لا يرفعون هذا الحديث**) بل يجعلونه موقوفاً على أبي الدرداء، ولا يخفى أنه إن كان موقوفاً فهو في حكم المرفوع؛ لأنه لا يعلم إلا بإخبار من الرسول ﷺ.

٥٦٨٧ ـ [٢٣] (**النعمان بن بشير**) قوله: (**خميصة كانت عليه**) وهي كساء أسود

---

(١) «الكشاف» (٢/ ٥٢١).

عِنْدَ رِجْلَيْهِ. رَوَاهُ الدَّارِمِيُّ. [دي: ٢٨٥٤].

٥٦٨٨ ـ [٢٤] وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَوْ أَنَّ رَصَاصَةً مِثْلَ هَذِهِ ـ وَأَشَارَ إِلَى مِثْلِ الْجُمْجُمَةِ ـ أُرْسِلَتْ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ وَهِيَ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِئَةِ سَنَةٍ لَبَلَغَتِ الأَرْضَ قَبْلَ اللَّيْلِ، وَلَوْ أَنَّهَا أُرْسِلَتْ مِنْ رَأْسِ السِّلْسِلَةِ لَسَارَتْ أَرْبَعِينَ خَرِيفاً اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ قَبْلَ أَنْ تَبْلُغَ أَصْلَهَا أَوْ قَعْرَهَا». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢٥٨٨].

مربع في طرفيه علم.

٥٦٨٨ ـ [٢٤] (عبدالله بن عمرو) قوله: (لو أن رصاصة) أي: قطعة من الرصاص، وهي معنى الوحدة، و(**الجمجمة**) بضم الجيمين: القِحْفُ أو العظم فيه الدماغ، وقد يجيء بمعنى القدح من خشب، وهذه هي الرواية الصحيحة المشهورة، وقد يروى بالخائين المعجمتين، وقال في (مجمع البحار)[1]: هي حبة صغيرة.

وقوله: (**لبلغت الأرض قبل الليل**) لعل المراد به مدة قليلة، لا التعيين والتحديد.

وقوله: (**من رأس السلسلة**) قال الطيبي[2]: هي السلسلة المذكورة في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾[الحاقة: ٣٢]، والمراد بالعدد الكثرة، انتهى. وأشار بهذا إلى دفع توهم أنه لما كان ذرع السلسلة سبعين ذراعاً كيف يبلغ مسيره أربعين خريفاً يعني أن المراد بالعدد الكثرة فيصح رجع الضمير في أصلها إلى

---

(١) «مجمع بحار الأنوار» (٢/ ١١٧).

(٢) «شرح الطيبي» (١٠/ ٢٨٧).

٥٦٨٩ ـ [٢٥] وَعَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ[١] النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ فِي جَهَنَّمَ لَوَادِياً يُقَالُ لَهُ: هَبْهَبُ يَسْكُنُهُ كُلُّ جَبَّارٍ». رَوَاهُ الدَّارِمِيُّ. [دي: ٢٨٥٨].

* الْفَصْلُ الثَّالِثُ:

٥٦٩٠ ـ [٢٦] عَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَعْظُمُ أَهْلُ النَّارِ فِي النَّارِ حَتَّى إِنَّ بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِ أَحَدِهِمْ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةَ سَبْعِ مِئَةِ عَامٍ، وَإِنَّ غِلَظَ جِلْدِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعاً، وَإِنَّ ضِرْسَهُ مِثْلُ أُحُدٍ».

السلسلة، ويحتمل أن يكون الضمير لجهنم؛ لأن الكافرين الذين هم في السلسلة في جهنم بل هذا أولى وأظهر في المعنى. ويقال: إن ذرع ذلك العالم لا يقاس على ذرع الدنيا، كما ورد: أن القيراط مثل أحد، وأيضاً إذا كان عظم جثة الجهنميين كما ورد في الأحاديث، فالسلسلة التي تكون في أعناقهم وفي أرجلهم تكون على حسب ذلك.

٥٦٨٩ ـ [٢٥] (أبو بردة) قوله: (يقال له: هبهب) في (القاموس)[٢]: الهبهبة: السعرة، وترقرق السراب، ولعله سمي به لسرعة وقوع المجرمين فيه للعذاب، أو لسرعة التهاب النار فيه.

الفصل الثالث

٥٦٩٠ ـ [٢٦] (ابن عمر) قوله: (مسيرة سبع مئة عام) هذا أبلغ من الأحاديث السابقة في بيان عظم جسد أهل النار، ويعلم من هذا المبالغة بتفاوت حال الكافرين، كما ذكرنا.

---

(١) في نسخة: «عن».

(٢) «القاموس» (ص: ١٤٥).

٥٦٩١ ـ [٢٧] وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ جَزْءٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ فِي النَّارِ حَيَّاتٍ كَأَمْثَالِ الْبُخْتِ، تَلْسَعُ إِحْدَاهُنَّ اللَّسْعَةَ فَيَجِدُ حَمْوَتَهَا أَرْبَعِينَ خَرِيفاً، وَإِنَّ فِي النَّارِ عَقَارِبَ كَأَمْثَالِ الْبِغَالِ الْمُؤْكَفَةِ، تَلْسَعُ إِحْدَاهُنَّ اللَّسْعَةَ فَيَجِدُ حَمْوَتَهَا أَرْبَعِينَ خَرِيفاً». رَوَاهُمَا أَحْمَدُ. [حم: ٢/ ٢٦، ٤/ ١٩١].

٥٦٩٢ ـ [٢٨] وَعَنِ الْحَسَنِ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ثَوْرَانِ مُكَوَّرَانِ فِي النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». فَقَالَ الْحَسَنُ: وَمَا ذَنْبُهُمَا؟ . . . .

٥٦٩١ ـ [٢٧] (عبدالله بن الحارث) قوله: (ابن جزء) بفتح الجيم وسكون الزاي آخره همزة.

وقوله: (كأمثال البخت) في (القاموس)[١]: البخت بالضم: الإبل الخراسانية.

وقوله: (فيجد حموتها) بفتح الحاء المهملة وسكون الميم، أي: شدة ألمها، في (الصراح)[٢]: الحموة: سختي وتيزي درد.

وقوله: (البغال المؤكفة) الإكاف للحمار كالسرج للفرس.

٥٦٩٢ ـ [٢٨] (الحسن) قوله: (ثوران) الثور: قطعة من الجبن.

وقولـه: (مكوران) في (القاموس)[٣]: كوّرَ الرجل: طعنه، فألقاه مجتمعاً،

---

(١) «القاموس» (ص: ١٤٩).

(٢) «الصراح» (ص: ٥٥٣).

(٣) «القاموس» (ص: ٤٤٠).

فَقَالَ: أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ! فَسَكَتَ الْحَسَنُ. رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «كِتَابِ الْبَعْثِ وَالنُّشُوْرِ».

٥٦٩٣ ـ [٢٩] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لاَ يَدْخُلُ النَّارَ إِلاَّ شَقِيٌّ». قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ! وَمَنِ الشَّقِيُّ؟ قَالَ: «مَنْ لَمْ يَعْمَلْ لِلَّهِ بِطَاعَةٍ وَلَمْ يَتْرُكْ لَهُ بِمَعْصِيَةٍ». رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ. [جه: ٤٢٩٨].



٨ ـ باب خلق الجنة والنار

أي: ملقيان في النار.

وقوله: (**أحدثك عن رسول الله ﷺ**) وأنت تقول هذا؟ فكأنه صدر السؤال عن الحسن بطريق الاستغراب والاستبعاد.

٥٦٩٣ ـ [٢٩] (أبو هريرة) قوله: (**من لم يعمل لله**) أي: لوجه الله وخالصاً له.

٨ ـ باب خلق الجنة والنار

أي: بيان أنهما مخلوقتان الآن، لا أنهما سيخلقان يوم الجزاء، كما ذهب إليه بعض المبتدعة، وقالوا: إنهما يخلقان يوم الجزاء، وهذا باطل بالكتاب والسنة، وأقوى حجة عليه قصة آدم وحواء، قالوا: تلك كانت بستاناً في بعض أعالي الأرض، ويبطله ما وقع في تلك القصة من صفات الجنة التي هي دار الخلد، فتدبر.

* الْفَصْلُ الأَوَّلُ:

٥٦٩٤ ـ [١] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: فَمَا لِي لاَ يَدْخُلُنِي إِلاَّ ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ وَغِرَّتُهُمْ. . . . . . .

الفصل الأول

٥٦٩٤ ـ [١] (أبو هريرة) قوله: (تحاجت الجنة والنار) أي: تكلمتا فيما بينهما كشفاً عن حالهما مع إظهار نوع شكاية منهما، وليس المراد محاجتهما بمعنى مغالبتهما بالحجة، كما في (حج آدم موسى عليهما السلام)، كذا قال الطيبي[١]، فتدبر[٢].

وقوله: (إلا ضعفاء الناس وسقطهم) أي: أراذلهم وأدوانهم، كذا في (مجمع البحار)[٣] عن (النهاية)، وقال الكرماني[٤]: (وسقطهم) هو بفتحتين، أي: الساقطون عن أعين الناس.

وقوله: (وغرتهم) الغر بالكسر: الغافل لا تجربة له كما في قوله: (المؤمن غر كريم)، والتاء على وصف الجماعة، والغرة أيضاً اسم من اغتر فيكون من قبيل الوصف بالمصدر؛ فإن قيل: يدخل فيها من الأنبياء والملوك العادلة والعلماء المشهورين؟ قلت: يريد أن أكثرهم الفقراء والبله، وأما غيرهم من الأكابر فهم قليلون، وهم

(١) «شرح الطيبي» (١٠/ ٢٩٠).

(٢) زاد في (ك) بعد هذا: ويجوز أن يكون المقصود المباهاة والمفاخرة، فإن الجاهلين يتباهون بوجود صحبة المتكبرين والمتجبرين جهلاً منهم، وزعماً بعزتهم وعظمتهم عندهم.

(٣) «مجمع بحار الأنوار» (٣/ ٨٧)، و«النهاية» (٢/ ٣٧٨).

(٤) «شرح الكرماني» (١٨/ ٤).

قَالَ اللهُ لِلْجَنَّـةِ: إِنَّمَا أَنْـتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَـاءُ مِنْ عِبَـادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَـا أَنْـتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَـاءُ مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلٍّ وَاحِـدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا، فَأَمَّا النَّارُ فَلاَ تَمْتَلِىءُ حَتَّى يَضَعَ اللهُ رِجْلَهُ تَقُولُ: قَطْ قَطْ قَطْ، فَهُنَالِكَ[1] تَمْتَلِىءُ وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، فَلاَ يَظْلِمُ اللهُ مِنْ خَلْقِهِ أَحَداً، وَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللهَ يُنْشِىءُ لَهَا خَلْقاً» . . . .

أصحـاب الدرجـات العلـى، وقيـل: معنى الضعيف: الخاضع لله المـذل نفسه لـه، المتواضع للخلق.

وقولـه: (**إنما أنت رحمتي**) بلفظ خطاب المؤنث، أي: محلها ومكانها، وقد سميت الجنـة رحمـة في قولـه تعالى: ﴿فَفِي رَحْمَةِ ٱللَّهِ﴾[آل عمران: ١٠٧]، وهذا إفحام وإسكات لهما بأن ذلك من مشيئتي وفي اختياري أفعل ما أشاء، جعلت إحداكما رحمة للضعفاء والمساكين، والأخـرى عذاباً للجبابرة والمتكبرين، أفعل ما أشاء، ولا علة لفعلي.

وقوله: (**حتى يضع الله رجله**) هذا من المتشابهات كاليد والأصبع والعين والوجه، وقد علم حكمها إما الوقف وإما التأويل.

وقوله: (**قط قط قط**) مكرر ثلاثاً، وهو بسكون الطاء بمعنى حسب، وقد يلحقها نون الوقاية، وقد تكسر الطاء منونـة وغير منونـة، وقد يدخلها الفاء، وأما بضم الطاء مشددة، فهو الذي يكون للنفي في الماضي.

وقوله: (**ويزوى**) على صيغة المجهول، أي: يضم ويجمع فتضيق.

وقولـه: (**ينشىء لها خلقاً**) أي: لم يعملوا عملاً، وهذا فضل من الله لا يدخل

---

(١) في نسخة: «فهناك».

مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٤٨٥٠، م: ٢٨٤٦].

٥٦٩٥ ـ [٢] وَعَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لاَ تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ حَتَّى يَضَعَ رَبُّ العِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ فَيَنْزَوِيْ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ، بِعِزَّتِكَ وَكَرَمِكَ، وَلاَ يَزَالُ فِي الْجَنَّةِ فَضْلٌ حَتَّى يُنْشِئَ اللهُ لَهَا خَلْقاً فَيُسْكِنُهُمْ فَضْلَ الْجَنَّةِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٤٨٤٨، م: ٢٨٤٨].

وَذُكِرَ حَدِيثُ أَنَسٍ: «حُفَّتِ الجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ» فِي «كِتَابِ الرِّقَاقِ».

* الْفَصْلُ الثَّانِي:

٥٦٩٦ ـ [٣] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْجَنَّةَ قَالَ لِجِبْرِيلَ: اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَّ اللهُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ! وَعِزَّتِكَ لاَ يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلاَّ دَخَلَهَا، . . .

النار بغير معصية، ويدخل الجنة بلا طاعة، ولو شاء أدخل النار بالطاعة، ولكنه لا يفعل فضلاً ولا ظلم، لأن الكل ملكه، والمالك يتصرف في ملكه كيف يشاء، لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة، وقد حقق في علم الكلام.

٥٦٩٥ ـ [٢] (أنس) قوله: (قط قط) مكرر ثنتين.

الفصل الثاني

٥٦٩٦ ـ [٣] (أبو هريرة) قوله: (لا يسمع بها أحد إلا دخلها) أي: طمع في دخولها ولا يهتم إلا بشأنها.

ثُمَّ حَفَّهَا بِالْمَكَارِهِ ثُمَّ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ! اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، قَالَ: فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ! وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لاَ يَدْخُلَهَا أَحَدٌ». قَالَ: «فَلَمَّا خَلَقَ اللهُ النَّارَ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ! اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا فَقَالَ: أَيْ رَبِّ! وَعِزَّتِكَ لاَ يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلُهَا، فَحَفَّهَا بِالشَّهَوَاتِ، ثُمَّ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، قَالَ: فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا فَقَالَ: أَيْ رَبِّ! وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لاَ يَبْقَى أَحَدٌ إِلاَّ دَخَلَهَا». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ. [ت: ٢٥٦٠، د: ٤٧٤٤، ن: ٣٧٦٣].

* الْفَصْلُ الثَّالِثُ:

٥٦٩٧ ـ [٤] عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ صَلَّى لَنَا يَوْماً الصَّلاَةَ، ثُمَّ رَقِيَ الْمِنْبَرَ فَأَشَارَ بِيَدِهِ قِبَلَ قِبْلَةِ الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: «قَدْ أُرِيتُ الآنَ مُذْ صَلَّيْتُ لَكُمُ الصَّلاَةَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ مُمَثَّلَتَيْنِ فِي قِبَلِ هَذَا الْجِدَارِ، فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ....

وقوله: (ثم حفها بالمكاره) أي: جعل المكاره محيطاً بها.

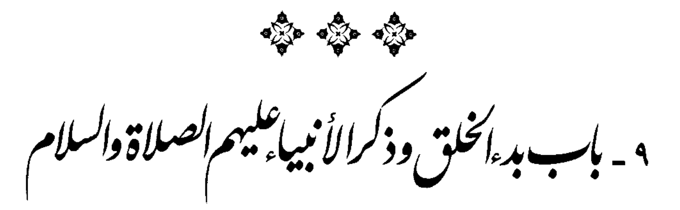
الفصل الثالث

٥٦٩٧ ـ [٤] (أنس) قوله: (رقي) من الرقي بضم الراء وكسر القاف وتشديد الياء على وزن سمع يسمع، ومن الرقية على ضرب يضرب.

وقوله: (في قبل هذا الجدار) (قبل) بضمتين وبكسر القاف، وقد يسكن: ما يستقبلك من شيء.

وقوله: (فلم أر) أي: مرئياً، (كاليوم) فالجنة خير المرئيات، والنار شرها، وقد جاء في بعض الروايات: (رأيت الجنة والنار في عرض هذا الحائط)، ثم إنهم يوردون

فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٧٤٩].



هنا إشكالاً، وهو أن الجنة والنار كيف يمثلان في الجدار، ويجيبون كما أن البستان والدار الوسيع يمثل في المرآة، فمثال الشيء لا يجب أن يكون مثله في المقدار، وقد يجاب بأن قوله: (في قبل) أو (في عرض) ليس حالاً من المفعول بل من الفاعل، أي: رأيتهما وأنا في ذلك المكان، انتهى. وأقول: إنه لا يلزم من الحديث كونهما ممثلين في نفس الجدار، بل في جانبه وناحيته، فيكون رؤية المثال في تلك الناحية، ووجود المثال في مكان آخر وعالم آخر، والله أعلم بحقيقة الحال.

٩ ـ باب بدء الخلق وذكر الأنبياء

البدء بفتح الباء وسكون الدال مهموز: الابتداء، في (القاموس)[1]: بَدَأَ بِهِ كمنع: ابتدأ، والشيء: فعله ابتداء، كأبدأه ابتدأه، وجمع معه ذكر الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لتقدمهم وابتداء أمر الدين والأحكام، وانتظام العالم وصلاحه بهم، وقد ابتدأ خلق نوع الإنسان بآدم عليه السلام.

ثم اعلم أن أهل الملل كلهم بل المجوس أيضاً أطبقوا على أن العالم حادث بمعنى أنه لم يكن شيئاً، فأوجده الله سبحانه، والعمدة في ذلك خبر: (كان الله ولم يكن معه شيء)، فخلق اللوح والقلم، وقد كتب كتاباً قبل أن يخلق الخلق، ثم خلق

(١) «القاموس» (ص: ٤٥).

* الْفَصْلُ الأَوَّلُ:

٥٦٩٨ ـ [١] عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: إِنِّي كُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ جَاءَهُ قومٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ فقَالَ: «اقْبَلُوا الْبُشْرَى يَا بَنِي تَمِيمٍ!». . . . .

العرش والكرسي والسموات والأرضين والملائكة والجن والإنس، كما نطقت به الأحاديث.

واتفقوا على أن الأجسام محدثة ذواتها وصفاتها، فقال بعضهم: أول ما خلق من الأجسام الماء؛ لأنه قابل لكل الصور، فإن الماء إذا لطف صار هواء، وتكونت النار من صفوة الماء، والسماء تكونت من دخان النار، وينسب هذا القول إلى بعض الحكماء، يقال له: تالس الملطي[1]، لكنهم قالوا: إنه أخذه من مشكاة النبوة، إذ جاء في السفر الأول من (التوراة): إن الله خلق جوهراً فنظر إليه نظر الهيبة فذابت أجزاؤه، فصارت ماء، ثم ارتفع منه بخار كدخان، فخلق منه السموات، فظهر على وجه الماء زبد فخلق منه الأرض، ثم أرساها الجبال، وقد اختلفت في ذلك أقوال عن الناس، وهذه الأمور مما لا يدرى بالعقل والقياس إلا بالوحي السماوي والاستنباط مما ورد به الوحي، والله أعلم بحقائق الأمور.

الفصل الأول

٥٦٩٨ ـ [١] (عمران بن حصين) قوله: (قوم من بني تميم) وفي رواية: (نفر)، وفي أخرى: (ناس من بني تميم).

وقوله: (اقبلوا البشرى) أي: ما يوجب بشارتكم بالجنة، والفوز بسعادة الدين

---

(١) من حكماء اليونان المشهورين. وفي «المنجد»: طاليس (ت نحو ٥٤٨ ق.م) فيلسوف رياضي، ولد في ميليتس من عائلة فينيقية.

قَالُوا: بَشَّرْتَنَا فَأَعْطِنَا، فَدَخَلَ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ فَقَالَ: «اقْبَلُوا الْبُشْرَى يَا أَهْلَ الْيَمَنِ! إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَا بَنُو تَمِيمٍ». قَالُوا: قَبِلْنَا، جِئْنَاكَ لِنَتَفَقَّهَ فِي الدِّينِ، وَلِنَسْأَلَكَ عَنْ أَوَّلِ هَذَا الأَمْرِ مَا كَانَ؟ قَالَ: «كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، ....

من تعلم الشرائع وعقائد الدين، ولما كان أكبر همهم الدنيا لم يهتموا بالسؤال والاستكشاف عن ذلك واستعجلوا الاعطاء من عرض الدنيا، فكأنهم لم يقبلوا البشرى.

وقوله: (**فجاء ناس من اليمن**) وهم الأشعريون، أبو موسى الأشعري وقومه، فإنه ﷺ هاجر من اليمن مع أخويه في بضع وخمسين من قومه، وإليه ينتهي نسب أبي الحسن الأشعري رئيس أهل السنة والجماعة، قال البيهقي في رسالة عملها في مناقبه: إن الكلام في أصول الدين وحدوث العالم ميراث لأبي الحسن الأشعري عن أجداده الذين قدموا على رسول الله ﷺ، والمراد بهذا (**الأمر**) الخلق، و(ما) في (**ما كان**) استفهامية.

وقوله: (**ولم يكن شيء قبله**) يعني بل بعده.

وقوله: (**وكان عرشه على الماء**) جملة مستقلة معطوفة على الأولى، لا حالية، حتى يتوهم المعية في الكونين، والمقصود حصول الجملتين في الوجود، أو الواو بمعنى (ثم)، فـ (كان) لما مضى من الزمان سواء كان أزلياً أو غيره في الأزل، أو فيما لا يزال، ودل الحديث على أن العرش والماء كانا مخلوقين قبل السموات والأرض، قالوا: وذلك بمعنى أنه لم يكن حائل بينهما لا أنه كان موضوعاً على متن الماء، وقال

ثُمَّ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ»، ثُمَّ أَتَانِي رَجُلٌ فَقَالَ: يَا عِمْرَانُ! أَدْرِكْ نَاقَتَكَ فَقَدْ ذَهَبَتْ، فَانْطَلَقْتُ أَطْلُبُهَا، وَايْمُ اللهِ لَوَدِدْتُ أَنَّهَا قَدْ ذَهَبَتْ وَلَمْ أَقُمْ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٣١٩٠].

٥٦٩٩ ـ [٢] وَعَنْ عُمَرَ قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَقَاماً، فَأَخْبَرَنَا عَنْ بَدْءِ الْخَلْقِ حَتَّى دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنَازِلَهُمْ، وَأَهْلُ النَّارِ مَنَازِلَهُمْ، حَفِظَ ذَلِكَ مَنْ حَفِظَهُ، وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٣١٩٢].

الشيخ ابن حجر[1]: ليس المراد بالماء ماء البحر، بل هو ماء تحت العرش كما شاء الله تعالى، هذا وقد سبق ذكره في أول الكتاب في (باب الإيمان بالقدر).

وقوله: **(وكتب في الذكر)** أي: في اللوح المحفوظ، والظاهر أن هذا قبل خلق العرش وما ذكر، فهذا أيضاً جملة مستقلة من غير رعاية الترتيب مع أن المذكور فيها الواو ولا ترتيب فيها، ووقع في بعض روايات البخاري هذه الجملة بين قوله: (كان عرشه على الماء).

وقوله: **(وخلق السماوات والأرض)**، وبناؤه على عدم الترتيب.

وقوله: **(ثم أتاني رجل فقال: يا عمران! أدرك ناقتك)** فإنه ﷺ كان عقل ناقته بالباب، ثم دخل عليه ﷺ ففلتت ناقته، فجاء رجل يخبره به فخرج بطلبها، فكان ﷺ يندم على خروجه من مجلسه الشريف على فوات سماعه كلام رسول الله ﷺ مع أهل اليمن.

٥٦٩٩ ـ [٢] (عمر) قوله: **(حتى دخل)** أي: أخبرنا في مجلس واحد بجميع أحوال المخلوقات من المبدأ إلى المعاد.

---

(١) انظر: «فتح الباري» (١٣/ ٤١٠).

٥٧٠٠ ـ [٣] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى كَتَبَ كِتَاباً قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي، فَهُوَ مَكْتُوبٌ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣١٩٤، م: ٢٧٥١].

٥٧٠١ ـ [٤] وَعَنْ عَائِشَةَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٩٩٦].

٥٧٠٠ ـ [٣] (أبو هريرة) قوله: (إن الله تعالى كتب كتاباً) قال التُّورِبِشْتِي[١]: يحتمل أن يكون المراد به اللوح المحفوظ أو القضاء، ومعنى سبق الرحمة كثرة ظهور آثارها، وشيوعها وشمولها المخلوقات كلها بالنسبة إلى الغضب كما يرى، كما قال سبحانه: ﴿عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ﴾[الأعراف: ١٥٦].

٥٧٠١ ـ [٤] (عائشة) قوله: (خلقت الملائكة من نور) في (القاموس)[٢]: النور: الضوء أو شعاعه، أو المراد في الحديث جوهر مضيء، وتحقيق معنى النور يطلب مما ذكروا في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾[النور: ٣٥]، وذكره الغزالي، ونحن ترجمنا كلامه في تفسيرها.

وقوله: **(وخلق الجان من مارج من النار)** الجان: الجن، وقيل: أبو الجن، كآدم للبشر، والمارج: الصاف من الدخان، و(من نار) بيان لـ (مارج)؛ فإنه في الأصل للمضطرب، من مرج: إذا اضطرب، كذا قال البيضاوي[٣]، ويوافقه ما قال في

---

(١) «كتاب الميسر» (٤/ ١٢٣١).

(٢) «القاموس» (ص: ٤٥٤).

(٣) «تفسير البيضاوي» (٥/ ١٧١).

٥٧٠٢ ـ [٥] وَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَمَّا صَوَّرَ اللهُ آدَمَ فِي الْجَنَّةِ تَرَكَهُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَتْرُكَهُ، . . . .

(القاموس)[١]: مارج من نار؛ أي: نار بلا دخان، وقال في (النهاية)[٢]: مارج النار: لهبها المختلط بسوادها، وهذا أيضاً يناسب ما في معنى المرج من الاختلاط، وقال البيضاوي[٣]: المراد بالنور الجوهر المضيء والنار كذلك، غير أن ضوءها مكدر مغمور بالدخان محذور عنه بسبب ما يصحبه من فرط الحرارة والإحراق، فإذا صارت مهذبة مصفاة كانت محض نور، ومتى نكصت عادت الحالة الأولى جذعة ولا تتزال تتزايد حتى ينطفئ نورها، ويبقى الدخان الصرف.

٥٧٠٢ ـ [٥] (أنس) قوله: **(لما صور الله آدم في الجنة)** استشكل هذا الحديث، فإن الأخبار متظاهرة في أن آدم خلق في الأرض، وكان ملقى بين مكة والطائف، ثم أدخل الجنة وأمر بالسكون فيها؟ وأجيب بأنه يمكن أنه خمّر تراب من وجه الأرض حتى صار طيناً، ثم ترك حتى صار صلصالاً، وكان ملقى بين مكة والطائف حتى مضت أطوارها، واستعدت لقبول الصورة الإنسانية فحملت إلى الجنة فصورت، ونفخ فيها الروح، ولا يحسم هذا مادة الإشكال، فإن ظاهر الأخبار تدل صريحاً على أنه أدخل الجنة، وهو بشر حي كما يدل عليه قوله: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥]، ويقال: المراد بـ (اسكن): استقر على السكون بقرينة (وزوجك)، فإنها خلقت في الجنة، فالمراد بأمرها بالسكون: أمرها بالاستقرار عليه قطعاً، وقال

---

(١) «القاموس» (ص: ٢٠٠).

(٢) «النهاية» (٤/ ٣١٥).

(٣) «تفسير البيضاوي» (١/ ٧١).

فَجَعَلَ إِبْلِيسُ يُطِيفُ بِـهِ يَنْظُرُ مَا هُوَ، فَلَمَّا رَآهُ أَجْوَفَ عَرَفَ أَنَّـهُ خُلِقَ خَلْقاً لاَ يَتَمَالَكُ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٦١١].

٥٧٠٣ ـ [٦] وَعَنْ أَبِـي هُرَيْـرَةَ قَـالَ: قَـالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اخْتَتَـنَ إِبْرَاهِيمُ النَّبِـيُّ وَهُـوَ ابْنُ ثَمَانِينَ سَنَةً بِالْقَدُومِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٣٥٦، م: ٢٣٧٠].

التُّوربِشْتِي[١]: لا أرى الوجه في هذا الحديث إلاّ احتمال أن تكون هذه الكلمة أعني: (في الجنـة) سهواً من بعض الرواة أخطأ سمعه، والله أعلم.

وقولـه: (**يطيف به**) بضم الياء: طاف بالشيء يطوف، وأطاف به يطيف بمعنى استدار حوله، وفي (القاموس)[٢]: أطاف به: ألمّ به وقاربه، وفي (الصراح)[٣]: أطافه: فرود آمدن بچيزي، ونزديك شدن.

وقوله: (**لا يتمالك**) أي: لا يملك نفسه عن الشهوات.

٥٧٠٣ ـ [٦] (**أبو هريرة**) قوله: (**ابن ثمانين**) وفي (شرح الأكمل) عن (الموطأ): ابن مئة وعشرين، قيل: والأول هو الصحيح.

وقوله: (**بالقدوم**) في (القاموس)[٤]: القدوم: آلة للنجر مؤنثة، وموضع اختتن به إبراهيم عليه السلام، وقد يشدد، وفي (مختصر النهاية)[٥]: مشدد ومخفف، اسم موضع،

---

(١) «كتاب الميسر» (٤/ ١٢٣٢).

(٢) «القاموس» (ص: ٧٩٩).

(٣) «الصراح» (ص: ٣٥٦).

(٤) «القاموس» (ص: ١٠٥٨).

(٥) «الدر النثير» ٢/ ٨٢٦).

٥٧٠٤ ـ [٧] وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ إِلاَّ ثَلاَثَ كَذَبَاتٍ: ثِنْتَيْنِ مِنْهُنَّ فِي ذَاتِ اللهِ قَوْلُهُ: . . . .

ومنه: (اختتن إبراهيم بالقدوم): قرية بالشام، وقيل: القدوم بالتشديد والتخفيف: قدوم النجار، انتهى. وقيل: هو في آلة النجار بالتخفيف، وفي اسم الموضع بهما، فبالتخفيف يحتملهما، وبالتشديد يتعين المكان، والأكثرون على التخفيف، وقال التُّورِبِشْتِي[1]: القدوم بتخفيف الدال: موضع بالشام، ومن المحدثين من يشدّد وهو خطأ، ومن الناس من يظنّ أنه اختتن بالقدوم الذي ينحت به، وهو غلط، وبالمدينة جبل يقال له: القدوم، وأكثر ظني أن هذا بالتشديد.

٥٧٠٤ ـ [٧] (وعنه) قوله: (**إلا ثلاث كذبات**) في (المشارق)[2]: هي بفتح الكاف والذال جمع كذبة بفتح الكاف، الواحد الكذب، وفي (مجمع البحار)[3]: (كذبات) بفتح ذال جمع كذبة بسكونها، وفي بعض الحواشي: قال أبو البقاء: الجيد أن يقال: بفتح الذال في الجمع لأنه جمع كذبة، وهو اسم لا صفة، لأنك تقول: كذب كذبة، كما يقول: ركع ركعة، وإن كان صفة يسكن في الجمع، وتسميتها كذبات باعتبار الظاهر، وإنها لصدق باعتبار ما هو المقصود منها.

وقوله: (**ثنتين منهن في ذات الله**) قيل: أي لأجل الله وأمره وطلب رضاه، ويتوجه عليه أن الثالثة أيضاً كذلك لما فيها [من] دفع كافر ظالم عن التعرض بما لا يرضى الله تعالى، وقد جاء في رواية: (كلهن في الله)، وأجيب نعم، لكن كان فيها جر نفع

---

(١) «الميسر» (٤/ ١٢٣٢).

(٢) «مشارق الأنوار» (١/ ٣٣٨).

(٣) «مجمع بحار الأنوار» (٤/ ٣٩٢).

﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾[الصافات: ٨٩]، وقولُه: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾[الأنبياء: ٦٣] وَقَالَ: «بَيْنَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ وَسَارَةُ، إِذْ أَتَى عَلَى جَبَّارٍ مِنَ الْجَبَابِـرَةِ، . . . . .

إلى نفسه. وقيل: المراد بكونهما في ذات الله، أي: فيما يتعلق بتنزيه ذاته عن الشرك، ودفـع الشريك فلا يشمل الثالثـة، وقد يقال: المراد بكونهما في ذات الله ذكرهما في القرآن، عبر به عنه لما لا ينفك الكلام عن المتكلم كما هو رأي الأشعري، ولا يخفى ما فيه من البعد والتكلف.

وتأويل قوله: (إني سقيم) إني متصف بالسقم، في الجملة في زمان من الأزمنة، فأوهم بلفظ ظاهر في ثبوته في الحال، وقيل: أوهمهم بأنه استدل بأمارة علم النجوم على أنـه سيسقم ليتركـوه كما يدل عليـه قولـه تعالى: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾[الصافات: ٨٩]، قيل: أراد إني سقيـم القلب بكفركم، وأقـول: قد فسر الصحة بسلامة جميع القوى، وصـدور أفعالها سليمـة، والسقم بعدمها بمعنى رفع الإيجاب الكلي، فلا يخلو أحد عن سقم إلا من اعتدل مزاجه من كل الوجوه، وهو نادر الوجود، نعم لو فسر بالسلب الكلي يثبت الواسطة، فافهم. وكان غرضه عليه الصلاة والسلام أن يتركوه فيكسر أصنامهم ويفعل ما أراد.

وقوله: (بل فعله كبيرهم) باعتبار السببية، والمقصود التعريض بأن من لم يقدر على دفع المضرة عن نفسه كيف يليق بأن يعبد، كما أشار إليه بقوله: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ [الصافات: ٩٥]، وقد يوقف على قولـه: ﴿بَلْ فَعَلَهُ﴾، والضمير لأحد ممن يصلح أن يكون فاعلاً، وإن كان لإبراهيم، فليس فيه تصريح مثل ما في: بل فعلته، فافهم.

وقولـه: (وقال) أي: رسول الله ﷺ: (بينا هـو) أي: إبراهيم، بيان للثالثة من الكذبات، و(سارة) زوجة إبراهيم بنت عمه عليه السلام، لما أهلك الله تعالى عدوه نمرود،

فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ هَاهُنَا رَجُلاً مَعَهُ امْرَأَةٌ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ، فَسَأَلَهُ عَنْهَا: مَنْ هَذِهِ؟ قَالَ: أُخْتِي، فَأَتَى سَارَةَ فَقَالَ لَهَا: إِنَّ هَذَا الْجَبَّارَ إِنْ يَعْلَمْ أَنَّكِ امْرَأَتِي يَغْلِبُنِي عَلَيْكِ، فَإِنْ سَأَلَكِ فَأَخْبِرِيهِ أَنَّكِ أُخْتِي، فَإِنَّكِ أُخْتِي فِي الإِسْلَامِ، لَيْسَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ مُؤْمِنٌ غَيْرِي وَغَيْرُكِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا، فَأُتِيَ بِهَا، . . . .

عزم على الخروج منها، وهاجر إلى الشام، وكونها بنت عمه أيضاً توجيه لكون قوله هذا: (أختي) صدقاً، ولكن الحديث نص على أن الإخبار به باعتبار أخوة الإسلام، ولعله اقتصر عليها لشرفها وأصالتها.

وقوله: **(قال: أختي)** إنما عدل عن: هي زوجتي مع أن الظاهر أن ذات الزوج لا يتعرض [لها]، وأيضاً الظالم لا يبالي أختاً أو زوجة، لأنه كان من عادة ذلك الجبار أن لا يتعرض إلا لذات الزوج، وقيل: لأن ذلك الجبار كان مجوسياً، وعندهم أن الأخت إذا كانت زوجة كان أخوها أحق بها من غيره، فأراد إبراهيم أن يعتصم بدين ذلك الجبار، فإذا هو لا يراعي دينه، واعترض على هذا القول بأن دين مجوس جاء بـ: زرادشت، وهو متأخر عن إبراهيم، وأجيب بأنه كان قديماً، إنما زاد عليه زرادشت خرافات أخر، ومعنى **(يغلبني عليك)** يأخذك مني، وقيل: معناه يكرهني على الطلاق.

وقوله: **(ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك)** تأكيد وتقرير وبيان للواقع.

وقوله: **(فأرسل)** أي: ذلك الجبار **(إليها)** أي: إلى سارة يطلبها، وليس هذا تكرار؛ لأن الإرسال في الأول كان إلى إبراهيم للسؤال عنه من هذه، والثاني إلى سارة لطلبها.

قَامَ إِبْرَاهِيمُ يُصَلِّي، فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ، ذَهَبَ يَتَنَاوَلُهَا بِيَدِهِ. فَأُخِذَ - وَيُرْوَى فَغُطَّ - حَتَّى رَكَضَ بِرِجْلِهِ فَقَالَ: ادْعِي اللهَ لِي وَلاَ أَضُرُّكِ، فَدَعَتِ اللهَ فَأُطْلِقَ، ثُمَّ تَنَاوَلَهَا الثَّانِيَةَ، فَأُخِذَ مِثْلَهَا أَوْ أَشَدَّ، فَقَالَ: ادْعِي اللهَ لِي وَلاَ أَضُرُّكِ، فَدَعَتِ اللهَ فَأُطْلِقَ، فَدَعَا بَعْضَ حَجَبَتِهِ فَقَالَ: إِنَّكَ لَمْ تَأْتِنِي بِإِنْسَانٍ، إِنَّمَا أَتَيْتَنِي بِشَيْطَانٍ، ....

وقوله: (**قام إبراهيم**) استئناف.

وقوله: (**ذهب**) أي: أراد، وجاء وذهب يجيئان بمعنى الأفعال الناقصة.

وقوله: (**فأخذ**) بلفظ المجهول، أي: حبس عن إمساكها أو عوقب بذنبه أو أغمي عليه، وروي ببناء المجهول من التأخيذ، وهو استجلاب قلب شخص برقية أو سحر، بحيث يحصل له هيمان وجنون، ويجيء بمعنى أخذ السواحر أزواجهن عن غيرهن من النساء، والأخذة بالضم: رقية الساحر، والمراد هنا ما حصل له من الضغطة والخنق.

وقوله: (**فغطّ**) أيضاً بلفظ المجهول، أي: اختنق وأخذ بمجاري نفسه حتى سمع له غطيط، وهو صوت يخرج مع نفس النائم، (**حتى ركض برجله**) أي: ضرب، والركض تحريك الرجل، ومنه: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ [ص: ٤٢].

وقوله: (**مثلها**) أي: مثل الأخذة الأولى.

وقوله: (**ادعي الله لي**) زاد هنا (لي) زيادة في التأكيد على ما في أكثر النسخ.

وقوله: (**إنما أتيتني بشيطان**) في (القاموس)[1]: الشيطان: كل عاتٍ متمرد من

---

(١) «القاموس» (ص: ١١١٥).

فَأَخْدَمَهَا هَاجَرَ فَأَتَتْهُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَأَوْمأَ بِيَدِهِ؛ مَهْيَمْ؟ قَالَتْ: رَدَّ اللهُ كَيْدَ الْكَافِرِ فِي نَحْرِهِ، وَأَخْدَمَ هَاجَرَ». قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: تِلْكَ أُمُّكُمْ يَا بَنِي مَاءِ السَّمَاءِ!. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٣٥٨، م: ٢٣٧١].

إنس وجن، وقال الطيبي[١]: أراد به المتمرد من الجن، وكانوا يهابون الجن ويعظمون أمرهم.

وقوله: (**فأخدمها هاجر**) أي: جعل ذلك الجبار هاجر خادمة لسارة، وهاجر بفتح الجيم: اسم أم إسماعيل عليه السلام، ويقال لها: آجَرُ، كذا في (القاموس)[٢].

و(**مهيم؟**) بفتح الميم وسكون الهاء وفتح التحتانية كلمة استفهام، أي: ما حالك، وما شأنك، أو ما وراءك، أو أَحَدَثَ لك شيء، كذا في (القاموس)[٣]، والمناسب هنا المعنى الأول.

وقوله: (**رد الله تعالى كيد الكافر في نحره**) كناية عن نزول مكره على نفسه، وإصابة جزائه إياه، و(النحر): أعلى الصدر أو موضع القلادة.

وقوله: (**تلك**) أي: هاجر (**أمكم يا بني ماء السماء!**) أراد بني إسماعيل لطهارة نسبهم، وقيل: أشار به إلى إنباع الله تعالى لإسماعيل زمزم، وهي ماء السماء، وقيل: أراد بهم الأنصار؛ لأنهم أولاد عامر بن حارثة الأزدي، كان ملقباً بماء السماء، لأنه كان يستمطر به، وفيه أن الأنصار ليسوا من أولاد هاجر، فكيف يصح قوله: (تلك أمكم)؟ والجواب أنها أمهم بسبب أنها أم النبي ﷺ، فكانت أم الأمة كلهم كما يسمى

---

(١) «شرح الطيبي» (١٠/ ٣٠٣).

(٢) «القاموس» (ص: ٤٦١).

(٣) «القاموس» (ص ١٠٧٠).

٥٧٠٥ ـ [٨] وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾[البقرة: ٢٦٠]...........

إبراهيم [أبا] الأنبياء، وقيل: أراد العرب كلهم سموا بذلك؛ لأنهم يبتغون المطر، ويعيشون به، وتعقب بأن العرب ليسوا بأجمعهم من بطن هاجر؟ وأجيب بأنه غلب أولاد إسماعيل على غيرهم لشرفهم، ويمكن أن يقال: بأن هذا مبني على ما اشتهر من أن العرب من ولد إسماعيل، فتدبر.

٥٧٠٥ ـ [٨] (وعنه) قوله: **(نحن أحق بالشك من إبراهيم)** قيل: لما نزل قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ الآية [البقرة: ٢٦٠]، قالت طائفة من الأصحاب: شك إبراهيم ولم يشك نبينا، فقال ﷺ: (نحن أحق بالشك من إبراهيم)، وظاهره إثبات الشك لإبراهيم ولنفسه الشريفة، وكلا الأمرين محال، لكن المقصود نفي الشك عن نفسه وعن إبراهيم، فمعناه لو كان الشك متطرقاً إلى إبراهيم لكنت أحق به، وقد علمتم أني لا أشك فاعلموا أنه كذلك.

وفيه ترجيح إبراهيم على نفسه، وجوابه أنه قال ذلك تواضعاً، أو قبل أن يوحى إليه أنه سيد ولد آدم، وهذا هو الجواب في كل ما ورد من الأحاديث مما يوهم عدم تفضيله ﷺ على بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فسؤال إبراهيم عليه السلام كان لطلب الترقي من علم اليقين إلى عين اليقين، أو لأنه لما احتج على المشركين بأن ربه ﷻ يحيي ويميت، طلب ذلك، ليظهر دليله عياناً، والأول أظهر وأنسب بمساق الآية، وقيل: أراد رسول الله ﷺ أن ما صدر من إبراهيم عليه السلام لم يكن شكًّا بل طلب لمزيد العلم، وأنا أحق به؛ لأني مأمور بذلك، كما قال الله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[طه: ١١٤]، فافهم.

وَيَرْحَمُ اللهُ لُوطاً، لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ، وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ طُولَ مَا لَبِثَ يُوسُفُ لأَجَبْتُ الدَّاعِيَ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٣٧٢، م: ١٥١].

وقوله: (**ويرحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد**) بيانه أن قوم لوط لما قصدوا أضيافه قال: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾، أي: لو قويت بنفسي على دفعكم ﴿أَوْ ءَاوِيَ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾[هود: ٨] أي: ألتجئ إلى قوي أتمنع بـه عنكم، فيحميني منكم، شبه بركـن الجبـل ونحـوه في الشدة، والجـزاء محذوف، أي: لمنعتكم عـن أضيافـي، فاستغرب ﷺ هذا القول من لوط عليه السلام واستعظمه، وأشار إلى تقصيره فيه، فإن التمسك بعصمة الله وحفظه هو الركن الشديد، وأشد الأركان كلها.

وقوله: (**ويرحم الله**) كلمة تذكر في مقام إثبات التقصير، وما لا ينبغي أن يفعل، وقدم على وتيرة قولـه تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾[التوبة: ٤٣]، فإن قلت: لما كان هذا من باب التقصير فلم قرن بقـول إبراهيم، ولا تقصير فيه؟ قلنا: لأن قول إبراهيم وقع في صورة التقصير وغفلة عن قدرة الله تعالى، والله أعلم.

وقوله: (**ولو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي**) أي: داعي الملك الذي أتى إليه ليخرجه عن السجن، وهذا القـول من رسول الله ﷺ في يوسف قد يحمل على ثنائه عليه بالصبر وترك الاستعجال بالخروج عن السجن مع امتداد مدة الحبس، ليـزول عـن قلب الملك ما كان متهماً من الفاحشة، وهذا الوجـه أنسب بما يتبادر من قوله: (ولو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف)، وقيل: بل هو إشارة إلى تقصير يوسف في عدم الاستعجال؛ لأنه كان سبباً في هدايتهم بل قيل: إنه كان رسولاً إليهم، ولذا دعا أهل السجن بقولـه: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ﴾ الآيات [يوسف: ٣٩]، ولم يكن له طريق إلى دعوة عزيز مصر، فلما وجد إليه سبيلاً قدم براءة نفسه مما نسب إليه

٥٧٠٦ ـ [٩] وَعَنْـهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ مُوسَى كَانَ رَجُلاً حَيِـيًّا سِتِّيراً، لاَ يُرَى مِنْ جِلْدِهِ شَيْءٌ اسْتِحْيَاءً، فَآذَاهُ مَنْ آذَاهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالُوا: مَا تَسَتَّرَ هَذَا التَّسَتُّرَ إِلاَّ مِنْ عَيْبٍ بِجِلْدِهِ؛ إِمَّا بَرَصٌ أَوْ أُدْرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ أَرَادَ أَنْ يُبَرِّئَهُ، . . . .

على حق الله تعالى، وهو دعوة الملك، كذا قالوا، وفيه نظر لأن تقديم براءة نفسه أدخل في أمر الدعوة والإبلاغ كما لا يخفى، فما هو إلا الله.

وذكر الشيخ التُّورِبِشْتِي[1] فيه وجهاً آخر: حاصله أن يوسف عليه السلام ترك الاسترسال مع فعل الله تعالى، ودبر في نفسه لدفع التهمة عنها، وكان لبثه في السجن بضع سنين أيضاً لابتغاء الفرج عما هو فيه بالتدبير، وكان الأولى بحاله أن لا يشكو ضُرّه إلا إلى مولاه، ولا يتلقى الفرج قبل مجيئه بل ينظره بالصبر، ولا تعارض ما ظهر منه عند الله تعالى بأمر من عنده وتدبير من نفسه، فأشار ﷺ إلى أنه لو كان هو مكانه لتلقى الدعوة بالإجابة، وقال: هذا تأويل سلكت فيه مسلك علمائنا من الصوفية قدس الله تعالى أرواحهم.

٥٧٠٦ ـ [٩] (وعنه) قوله: **(حييًّا)** بفتح الحاء وكسر الياء الأولى مخففة، وتشديد الثانية، فعيل من الحياء، و**(ستيراً)** بفتح السين وكسر التاء مخففة، وقد يروى بكسر السين وتشديد التاء كسكيت من الستر، في (الصحاح)[2]: رَجُلٌ سَتِيرٌ، أي: عَفيف، والجارية سَتيرَةٌ: عفيفة، و**(الأدرة)** بضم الهمزة وسكون الدال ويحرك، والآدر والمأدور: من يصيبه فتق في إحدي خصييه، أَدِرَ كفرح، والاسم: الأدرة، وخصية أَدْرَاءُ: عظيمة

---

(١) «كتاب الميسر» (١/ ١٢٣٥).

(٢) «الصحاح» (٢/ ٦٧٧).

فَخَلاَ يَوْماً وَحْدَهُ لِيَغْتَسِلَ فَوَضَعَ ثَوْبَهُ عَلَى حَجَرٍ، فَفَرَّ الْحَجَرُ بِثَوْبِهِ، فَجَمَحَ مُوسَى فِي إِثْرِهِ يَقُولُ: ثَوْبِي يَا حَجَرُ! ثَوْبِي يَا حَجَرُ! حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَلأٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَرَأَوْهُ عُرْيَاناً أَحْسَنَ مَا خَلَقَ اللهُ، وَقَالُوا: وَاللهِ مَا بِمُوسَى مِنْ بَأْسٍ، وَأَخَذَ ثَوْبَهُ وَطَفِقَ بِالْحَجَرِ ضَرْباً، فَوَاللهِ إِنَّ بِالْحَجَرِ لَنَدَباً مِنْ أَثَرِ ضَرْبِهِ ثَلاَثاً أَوْ أَرْبعاً أَوْ خَمْساً». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٤٠٤، م: ٣٣٩].

بلا فتق، وفي (النهاية)[1]: الأدرة بالضم: نفخة في الخصية.

وقوله: **(فوضع ثوبه على حجر)** فيه جواز الغسل عرياناً في الخلوة، وكان في غسل موسى عليه السلام عرياناً حكمة كان عاقبتها تبرئة ساحته عن الاتهام من النقص.

وقوله: **(فجمح)** أي: أسرع إسراعاً لا يرده شيء، وفي (القاموس)[2]: جمح الرجل: يركب هواه فلا يمكن رده، و**(إثره)** بكسر الهمزة وسكون المثلثة وبفتحهما، **(والندب)** بفتحتين جمع الندبة، وكذا أنداب وندوب، هو أثر الجرح الباقي على الجلد، ندب الجرح كفرح: صلبت ندبته، كأندب، كذا في (القاموس)[3]، وذلك معجزة لموسى عليه السلام.

وقوله: **(ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً)** شك من الراوي متعلق بالضرب أو الندب، كذا في (الحواشي)، ويحتمل أن يكون ترديداً منه ﷺ من جهة أنه لم يوح إليه متعيناً.

---

(١) «النهاية» (١/ ٣١).

(٢) «القاموس» (ص: ٢١٠).

(٣) «القاموس» (ص: ٣٢١، ١٣٩).

٥٧٠٧ ـ [١٠] وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بَيْنَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَاناً، فَخَرَّ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ أَيُّوبُ يَحْثِي فِي ثَوْبِهِ، فَنَادَاهُ رَبُّهُ: يَا أَيُّوبُ! أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَى؟ قَالَ: بَلَى وَعِزَّتِكَ، وَلَكِن لاَ غِنَى بِي عَنْ بَرْكَتِكَ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٢٧٩].

٥٧٠٨ ـ [١١] وَعَنْهُ قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَرَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ. فَقَالَ الْمُسْلِمُ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُحَمَّداً عَلَى الْعَالَمِينَ. فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى الْعَالَمِينَ. فَرَفَعَ الْمُسْلِمُ يَدَهُ عِنْدَ ذَلِكَ فَلَطَمَ وَجْهَ الْيَهُودِيِّ، فَذَهَبَ الْيَهُودِيُّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ وَأَمْرِ الْمُسْلِمِ، فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ الْمُسْلِمَ فَسَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لاَ تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَصْعَقُ مَعَهُمْ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ بِجَانِبِ الْعَرْشِ، فَلاَ أَدْرِي كَانَ فِيمَنْ صَعِقَ فَأَفَاقَ قَبْلِي، ....

٥٧٠٧ ـ [١٠] (وعنه) قوله: (لا غنى بي عن بركتك) وفي رواية: من رحمتك، أو من فضلك، يعني أن ذلك ليس من حرصي على المال والدنيا بل من فرحي بفضلك ورحمتك، وقالوا: فيه جواز الحرص على الاستكثار من الحلال في حق من وثق من نفسه بالشكر وأدائه في الحق، ومن هذه الجهة سمي المال بركة.

٥٧٠٨ ـ [١١] (وعنه) قوله: (لا تخيروني على موسى) أي: لا تفضلوني عليه، وهذا تواضع منه ﷺ، أو قال ذلك قبل أن يوحى إليه أفضليته، ثم عمم الحكم في آخر الحديث، وقال: (لا تفضلوا بين الأنبياء)، والمراد: لا تفضلوا بأهوائكم وآرائكم على وجه يؤدي إلى الازدراء والنقيصة ببعض، أو يفضي إلى خصومة وعصبية، أو

أَوْ كَانَ فِيمَنِ اسْتَثْنَى اللهُ». وَفِي رِوَايَةٍ: «فَلاَ أَدْرِي أَحُوسِبَ بِصَعْقَةِ يَوْمِ الطُّورِ أَوْ بُعِثَ قَبْلِي؟ وَلاَ أَقُولُ: إنَّ أَحَداً أَفْضَلُ مِنْ يُونُسَ بنِ مَتَّى».

التفضل من جميع الوجوه، أو في أصل النبوة والرسالة، ثم ذكر لموسى فضلاً جزئياً يوجب فضله وامتيازه من هذه الجهة، بقوله: (فإن الناس يصعقون . . . إلخ)، وأصل الصعق: أن يغشى على الرجل من صوت شديد يسمعه، وربما يموت منه، يقال: صعق الرجل: إذا أصابه فزع فأغمي عليه، ثم استعمل في الموت كثيراً، والصعقة: المرة منه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾[الزمر: ٦٨].

والمراد بالصعقة في هذا الحديث: صعقة فزع يكون بعد البعث يصعق به الناس، ويسقط الكل، ولا يسقط موسى اكتفاء بصعقته في الطور لذكر الإفاقة بعده؛ لأن الإفاقة إنما تستعمل في الغشي والبعث في الموت، وليس للصعقة التي يكون بعده البعث إفاقة؛ لأنه ﷺ يبعث قبل الكل بلا خلاف في ذلك فكيف يقول: لا أدري؟ وقيل: يحتمل أنه قال قبل أن يعلم أنه أول من ينشق، أو أراد أنه من زمرة هم أوّلهم، وهم زمرة الأنبياء، فيكون المراد بالبعث في رواية: (أو بعث قبلي): الإفاقة؛ جمعاً بين الروايتين.

وقوله: (**أو كان فيما استثنى الله**) بقوله: ﴿فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾[الزمر: ٦٨]، الظاهر من كلام المفسرين أن الاستثناء في الصعقة التي تكون قبل البعث، ويفهم من هذا الحديث أنه يكون في هذه الصعقة أيضاً، والله أعلم. و(**صعقة يوم الطور**) هو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وقوله: (**ولا أقول: إن أحداً أفضل من يونس بن متى**) متى هي اسم أم يونس،

٥٧٠٩ ـ [١٢] وَفِي رِوَايَـةِ أَبِـي سَعِيدٍ قَالَ: «لاَ تُخَيِّـرُوا بَيْنَ الأَنْبِـيَاءِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَفِي رِوَايَةِ أَبِـي هُرَيْرَة: «لاَ تُفَضِّـلُوا بَيْنَ أَنْبِـيَاءِ اللهِ». [خ: ٢٤١١، ٢٤١٢].

٥٧١٠ ـ [١٣] وَعَنْ أَبِـي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُـولَ: إِنِّي خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى». مُتَّفَقٌ عَلَيْـهِ. [خ: ٣٤١٦، م: ٢٣٧٦].

وَفِي رِوَايَـةِ البُخَارِيِّ قَالَ: «من قَالَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى فَقَدْ كَذَبَ». [خ: ٤٦٠٤].

كذا في (شرح ابن الملك)[١] نقلاً عن (جامع الأصول)، وقال في (القاموس)[٢]: متى كحتى: أبو يونس النبي عليه السلام.

٥٧٠٩ ـ [١٢] (أبـو سعيد) قولـه: (لا تفضلوا) يروى: بصـاد مهملـة، أي: لا تفرقوا، كما قال: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وبمعجمة.

٥٧١٠ ـ [١٣] (أبو هريرة) قولـه: (إني خير) و(أنا خير) ضمير المتكلم عبارة عـن رسول الله ﷺ، وهو الموافق لباقي الأحاديث، وقيل: عبارة عن كل قائـل يقول ذلك، أي: لا يفضل أحد نفسه على يونس من جهة أنه لم يصبر على أذى الأمة، فإن الولي لا يبلغ درجة النبي، وإن لم يكن من أولي العزم.

وقوله: (فقد كذب) قيل: المراد كفـر، فإنهم اتفقوا على كفر من يفضل نفسه

---

(١) «شرح مصابيح السنة» (٦/ ١٦١).

(٢) «القاموس» (ص: ١٦٠).

٥٧١١ ـ [١٤] وَعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الْغُلَامَ الَّذِي قَتَلَهُ الْخَضِرُ طُبِعَ كَافِراً، وَلَوْ عَاشَ لَأَرْهَقَ أَبَوَيْهِ طُغْيَاناً وَكُفْراً». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٤٠١، م: ٢٦٦١].

على الأنبياء.

٥٧١١ ـ [١٤] (أبي بن كعب) قوله: **(طبع كافراً)** أي: خلق على الكفر، وكان في التقدير الإلهي أن يكون خاتمته على الكفر، وهذا لا ينافي حديث: (كل مولود يولد على الفطرة)، إذ المراد بالفطرة كونه قابلاً ومستعداً لقبول الإسلام، وهو لا ينافي كونه شقيًّا في جبلته، وبالجملة الفطرة غير السابقة، وقد سبق تحقيقه في أول الكتاب في (باب الإيمان بالقدر).

وقوله: **(ولو عاش لأرهق أبويه)** أي: أغشاهما وأعجلهما، رهقه بالكسر: غشيه، وأرهقه: أغشاه، وأرهقني إثماً حتى رهقته: حملني إثماً حتى حملته، في (القاموس)[1]: رهقه كفرح: غشيه ولحقه، والرَّهَقُ محركة: السَّفَهُ، والنَّوكُ، وركوب الشر والظلم، واسم من الإرهاق، وهو أن تَحْمِلَ الإنسان على ما لا يطيقه، والكذب، والعجلة.

وقوله: **(طغياناً)** عليهما، **(وكفراً)** لنعمتهما بعقوقه فيلحقهما شرًّا، أو المعنى حملهما أن يتبعاه في الطغيان، وكان الخضر مأموراً بالعمل بالحقيقة كلاًّ أو بعضاً، وهذا من جملة أوحى الله إليه، أو ألهمه بأن الغلام كافر في المآل فاقتله، بخلاف موسى عليه السلام فإنه كان مأموراً بالعمل بالظاهر، وقد كان نبينا ﷺ مأموراً بالعمل بالحقيقة في بعض المواضع كما أمر بقتل بعض من كان مسلماً في الظاهر، وعلم منه أنه يموت

(١) «القاموس» (ص: ٨١٩).

٥٧١٢ ـ [١٥] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّمَا سُمِّيَ الْخَضِرُ لِأَنَّهُ جَلَسَ عَلَى فَرْوَةٍ بَيْضَاءَ...........................

على الكفر، كما ذكر في خصائصه ﷺ.

٥٧١٢ ـ [١٥] (أبو هريرة) قوله: **(إنما سمي الخضر)** الخضر بفتح الخاء وكسرها وسكون الضاد وكسرها، كذا قال الكرماني[١]، وقال القسطلاني[٢]: الخضر بفتح الخاء وكسر الضاد، وقد تسكن الضاد مع كسر الخاء وفتحها، اسمه بَلِيَّا بن ملكان، وقيل: إنه ابن فرعون صاحب موسى عليه السلام، وهو غريب جداً، وقيل: ابن مالك، وهو أخو إلياس، وقيل: ابن آدم لصلبه، والصحيح أنه نبي معمر محجوب عن الأبصار، وأنه باق إلى يوم القيامة لشربه من ماء الحياة، وعليه الجماهير واتفاق الصوفية، وكثير من الصالحين، وأنكر جماعة حياته منهم البخاري وابن المبارك والخرقي وابن الجوزي، كذا نقل في (شرح القصيدة الأمالية) تمسكاً بإخباره بقوله ﷺ: (أنه لا يعيش أحد على وجه الأرض بعد مئة سنة)، والحق خلاف ما قال المنكرون، والحديث مؤول وكذا حديث: (لو كان الخضر حيًّا لزارني)[٣]، كما بين في موضعه، وكنيته أبو العباس، قيل: كان في زمان إبراهيم الخليل، وقيل: هو من ولد نوح بسبع وسائط، وكان أبوه من الملوك، كذا في (مجمع البحار)[٤]، والله أعلم.

وقوله: **(على فروة بيضاء)** الفروة بفتح الفاء: الأرض اليابسة ليس بها نبات،

---

(١) «شرح الكرماني» (١٤/ ٥٤).

(٢) «شرح البخاري» للقسطلا ني (١/ ١٧٣).

(٣) انظر: «كشف الخفاء» (١/ ٤٨٨، رقم: ١٣٧٠).

(٤) «مجمع بحار الأنوار» (٢/ ٥٨).

فَإِذَا هِيَ تَهْتَزُّ مِنْ خَلْفِهِ خَضْرَاءَ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٣٤٠٢].

٥٧١٣ ـ [١٦] وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «جَاءَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ فَقَالَ لَهُ: أَجِبْ رَبَّكَ». قَالَ: «فَلَطَمَ مُوسَى عَيْنَ مَلَكِ الْمَوْتِ فَفَقَأَهَا» قَالَ: «فَرَجَعَ الْمَلَكُ إِلَى اللهِ فَقَالَ: إِنَّكَ أَرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَكَ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ وَقَدْ فَقَأَ عَيْنِي». قَالَ: «فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ عَيْنَهُ وَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى عَبْدِي فَقُلْ: الْحَيَاةَ تُرِيدُ؟..........................

وقيل: الحشيش اليابس.

وقوله: (خضراء) على وزن فعلاء، أي: أرضاً خضراء، وعند أكثر الرواة: (خضراً) أي: نباتاً أخضر غضاً، قال عياض[1]: كلاهما صحيح، وأقول: الأول أنسب بتفسير (الفروة) بالأرض، والثاني بتفسيره بالحشيش.

٥٧١٣ ـ [١٦] (أبو هريرة) قوله: (فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها) أي: كسرها وقلعها، يقال: فقأ العين والبثرة: كسرها أو قلعها، قد يستبعد هذا بأنه كيف كان فقأ عين الملك؟ فيقال: إنه متشابه فيفوض علمه إلى الله، وأن موسى لم يعرف أنه ملك الموت، وظن أنه رجل قصد نفسه، وكأن الملك تمثَّل بصورة البشر فدفعه عنها، فأدت مدافعته إلى فقأ عينه، واستبعد هذا الجواب بأن الرجل الداخل لم يقصد المحاربة حتى يدفعه، بل دعاه للموت، ولمجرد هذا القول لا يصدر عن مؤمن صالح مثل هذا الفعل فما ظنك بموسى عليه السلام، وقيل: إن موسى عليه السلام كان في طبعه حدة، حتى روي: أنه عليه السلام إذا غضب اشتعلت قلنسوته، فإذا هجم عليه رجل فدعاه إلى الهلاك عرف أنه لا يكون إلا بالحرب فدفعه.

---

(١) «مشارق الأنوار» (١/ ٢٤٤).

فَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْحَيَاةَ فَضَعْ يَدَكَ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ، فَمَا تَوَارَتْ يَدُكَ مِنْ شَعْرَةٍ فَإِنَّكَ تَعِيشُ بِهَا سَنَةً، قَالَ: ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ: ثُمَّ تَمُوتُ. قَالَ: فَالآنَ مِنْ قَرِيبٍ، . . . .

ويحتمل أن يكون ذلك جائزاً في شرعه، أو لأن موسى عليه السلام زعم أنه كاذب حين ادعى قبض روحه لزعمه أن بشراً لا يقبض الروح فغضب عليه فلطمه، وكان هذا الغضب لله في الله، فلم يكن مذموماً، ولهذا لم يعاتبه الله على ذلك، وبالجملة إذا صح الحديث وجب الإيمان به، فما أدرك من محامله يحمل عليه، ومالا يدرك وجب التفويض، والله أعلم(١).

وقوله: **(على متن ثور)** أي: ظهره، والمتن في الأصل: الأرض الصلبة من المتانة بمعنى القوة والصلابة، وسمي الظهر متناً لاكتنافه وصلابته بالصلب.

وقوله: **(فما توارت)** هكذا في (صحيح مسلم)، وقال التُّورِبِشْتِي(٢): الصواب: (ما وارت)، و(توارت) غلط وقع عن بعض الرواة في (كتاب مسلم)، ويؤيده ما في (كتاب البخاري): (فله بما غطت يده بكل شعرة سنة)(٣)، وقيل: يحتمل أن يكون **(يدك)** منصوباً بنزع الخافض، أي: بيدك، وفي (توارت) ضمير راجع إلى (ما)، وإنما أنثه لكون (ما) عبارة عن الشعرة، وهذا تكلف لا يخفى إن صحت الرواية بالنصب، والمشهور الرفع.

وقوله: **(مه)** الهاء للسكت، و(ما) للاستفهام.

وقوله: **(فالآن من قريب)** أي: أختار الموت الآن، أو مُر الملك أن يقبض روحي

---

(١) انظر: «الكنز المتواري» (٧/ ٢٣٩).

(٢) «الميسر» (٤/ ١٢٣٧).

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٣٤٠٧).

رَبِّ أَدْنِنِي مِنَ الأَرْضِ الْمُقَـدَّسَةِ رَمْيَـةً بِحَجَرٍ». قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَاللهِ لَوْ أَنِّي عِنْدَهُ لأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَنْبِ الطَّرِيقِ عِنْـدَ الْكَثِيبِ الأَحْمَرِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ١٣٣٩، م: ٢٣٧٢].

٥٧١٤ ـ [١٧] وَعَنْ جَابِـرٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «عُرِضَ عَلَيَّ الأَنْبِـيَاءُ فَإِذَا مُوسَى ضَرْبٌ مِنَ الرِّجَالِ، . . . .

الآن، وإنما سأل الإدناء من الأرض المقدسة لشرفها وفضلها على سائر البقاع في ذلك الزمان، وبفضل من فيها من المدفونين من الأنبياء والمرسلين، وفي هذا استحباب الدفن في المواضع الفاضلة والقرب من مدافن الصالحين.

وقوله: (**رمية بحجر**) أي: مقدار ذلك، قيل: إنما لم يسأل نفس بيت المقدس، لأنه خاف أن يكون قبره مشهوراً فيفتتن بـه الكفار، ويجـوز أن يكون معناه: ولو كان مقدار رمية بحجر ولم يكن في نفسه، فتدبر، والله أعلم.

وقوله: (**عنده**) أي: عند بيت المقدس، و(**الكثيب**) التل من الرمل.

٥٧١٤ ـ [١٧] (**جابر**) قوله: (**عرض علي الأنبياء**) قيل: مثلت أرواحهم متشكلة بما كانوا عليـه في الدنيا من الأشكال، وقيل: كوشفت لـه صـور أبدانهم في نـوم أو يقظة، والله أعلم.

وقوله: (**ضرب من الرجال**) الضرب: الصنف من الشيء، والخفيف اللحم، كذا في (القاموس)[1]، وقال في (المشارق)[2]: في موسى ضرب من الرجال بسكون الراء، وهو ذو الجسم بين الجسمين لا بالناحل ولا بالمطهم، وقال الخليل: الضرب القليل

---

(١) «القاموس» (ص ١١٣).

(٢) «مشارق الأنوار» (٢/ ٩٨).

كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ، ورأيتُ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ فَإِذَا أَقْرَبُ مَن رأيتُ بِهِ شَبَهاً عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ، وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهاً صَاحِبُكُمْ - يَعْنِي نَفْسَهُ -، وَرَأَيْتُ جِبْرِيلَ فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهاً دِحْيَةُ بْنُ خَلِيفَةَ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ١٦٧].

٥٧١٥ - [١٨] وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي مُوسَى رَجُلاً آدَمَ طُوَالاً جَعْداً كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ، وَرَأَيْتُ عِيسَى رَجُلاً مَرْبُوعَ الْخَلْقِ.................................

اللحم، ووقع عند الأصيلي بكسر الراء وسكونها معاً، ولا وجه للكسر، انتهى.

وقوله: (شنوءة) بفتح شين معجمة ثم نون ثم واو ثم همزة: قبيلة معروفة، ومنه أزد شنوءة، وهم حي من اليمن.

٥٧١٥ - [١٨] (ابن عباس) قوله: (ليلة أسري بي) بفتح (ليلة) مبنياً مضافة إلى الجملة، وهو جائز البناء، وهنا توافق حركة بنائه وإعرابه، وأما تنوينه بالوصف وحذف الرابطة فمما يرى جوازه في طبائع الإعجام، وليس بكلام عربي، كذا في (شرح الشيخ) في موضع آخر.

و(الآدم) الشديد السمرة. و(طوال) بضم الطاء وفتح الواو بمعنى طويل، وهي طوالة وجمعه طوال وطيال بكسرهما، وبتشديد الواو: المفرط الطول. وأما (الجعودة) فالأكثر أنه يكون صفة للشعر، وقيل: أراد هنا جعودة الجسم، وهي اجتماعه واكتنازه، لا ضد سبوط الشعر؛ لأنه روي أنه رجل الشعر، وكذا المراد فيما وقع من الحديث في وصف عيسى، ويحتمل جعودة الشعر بين القطط والسبط، وفي وصف الدجال بمعنى القصير المتردد الخلق، وبمعنى البخيل. و(مربوع الخلق) بمعنى معتدل القامة.

إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ، سَبْطَ الرَّأْسِ، وَرَأَيْتُ مَالِكاً خَازِنَ النَّارِ، وَالدَّجَّالَ فِي آيَاتٍ أَرَاهُنَّ اللهُ إِيَّاهُ، فَلاَ تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٢٣٩، م: ١٦٥].

٥٧١٦ ـ [١٩] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي لَقِيتُ مُوسَى ـ فَنَعَتَهُ ـ: فَإِذَا رَجُلٌ مُضْطَرِبٌ..................

وقوله: (إلى الحمرة) أي: مائلاً إلى الحمرة والبياض. و(السبط) المنبسط المترسل، وفي وصفه ﷺ: (ليس بالسبط ولا بالجعد القطط)، فالقطط: الشديد الجعودة، وقال النووي[1]: (السبط) بكسر السين وفتحها مع سكون باء وكسرها وفتحها، ويجيء إن شاء الله تعالى هذه الألفاظ بالتفصيل في شمائله ﷺ، وهو موضعه.

وقوله: (في آيات أراهن الله إياه) قيل: هو من كلام النبي ﷺ، أي: رأيت المذكور في جملة آيات أراهن الله إياه، وفي (إياه) التفات بوضعه موضع (إياي).

وقوله: (فلا تكن في مرية من لقائه) متعلق بقصة موسى ورؤيته، وذكر عيسى وما يتبعه من الآيات استطراد إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾[السجدة: ٢٣]، فالخطاب للرسول ﷺ، ولا يخفى ما في هذا التوجيه من التكلف، وإن كان ذهب إليه جمهور العلماء الذين تكلموا في هذا الحديث، وقال بعض الشارحين: إن قوله: (في آيات... إلخ)، من كلام الراوي ألحقه بالحديث، والخطاب عام، أي: لا تكن أيها المخاطب في مرية من لقاء النبي ﷺ الأنبياء والخازن والدجال، وهذا أظهر في العبارة، والله أعلم.

٥٧١٦ ـ [١٩] (أبو هريرة) قوله: (فإذا رجل مضطرب) قد جاء في وصفه عليه السلام:

---

(١) «شرح النووي على صحيح مسلم» (٢/ ٢٢٧).

رَجِلُ الشَّعْرِ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ، وَلَقِيتُ عِيسَى رَبْعَةً أَحْمَرَ. . . . .

(ضرب من الرجال) بمعنى ضعيف اللحم، فحمل بعضهم المضطرب على أنه افتعال من الضرب بالمعنى المذكور، لكن التُّورِبِشْتِي[١] قال: إن المضطرب بمعنى الضرب مما لم نجده ولم نعلم له مساغاً في السنة من القياس؛ لأن الأصل في اضطرب افتعل أبدلت التاء طاء، ولم يذكر من الضرب الذي هو خفة اللحم، فالوجه أن يكون عبارة عن الحدة التي كان قد جُبِل عليها، فإن من شأن الحاد أن يكون متحركاً قلقاً، انتهى.

ونقل الطيبي[٢]: أن المراد أنه كان مستقيم القد حاداً، وقال عياض[٣]: المضطرب هو الطويل غير الشديد، وقيل: معناه أنه كان مضطرباً من خشية الله تعالى، وقد جاء أن موسى عليه السلام كان يصلي مضطرباً متحركاً.

قال في (العوارف): ما حاصله أن كان من تموج بحار الأنس، والحضور في باطنه، أو كما قال. و(**رجل الشعر**) بفتح الراء وكسر الجيم، أي: بين الجعودة والسبوطة، والمراد شديدهما، و(**الربع**) بفتح الراء وسكون الباء هو المربوع بمعنى معتدل القامة، ويقال: للمرأة: ربعة، والتأنيث بتأويل النفس، كذا قال الشارحون.

ويفهم من (القاموس)[٤] أن الربع والربعة كليهما يطلقان على الرجل حيث قال: الربع: الرجل بين الطول والقصر، كالمربوع والربعة، ويحرك، وقال: وهي ربعة،

---

(١) «كتاب الميسر» (٤/ ١٢٣٨).

(٢) «شرح الطيبي» (١٠/ ٣١٧).

(٣) «مشارق الأنوار» (٢/ ٥٦).

(٤) «القاموس المحيط» (ص: ٦٦٢).

كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيمَاسٍ ـ يَعْنِي الْحَمَّامَ ـ، وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ وَأَنَا أَشْبَهُ وَلَدِهِ بِهِ» قَالَ: «فَأُتِيتُ بِإِنَاءَيْنِ» أَحَدُهُمَا لَبَنٌ وَالآخَرُ فِيهِ خَمْرٌ. فَقِيلَ لِي: خُذْ أَيَّهُمَا شِئْتَ. فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ فَشَرِبْتُهُ، فَقِيلَ لِي: هُدِيتَ الْفِطْرَةَ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَخَذْتَ الْخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٣٩٤، م: ١٦٨].

انتهى. فالربعة يطلق على الرجل والمرأة. وقال في (المشارق)[١]: بسكون الباء وفتحها، وفتح الراء، وهو الرجل بين الرجلين في قده وقامته، والمؤنث والمذكر والواحد والجمع فيه سواء.

و(**الديماس**) بكسر الدال وسكون التحتانية، فسره في الحديث بالحمام، وفي (القاموس)[٢]: الديماس ويكسر: الكِنُّ والسرب، والحَمَّام، وقال الشيخ[٣]: هذا تفسير عبد الرزاق، والمراد وصفه بصفاء اللون ونضارة الجسم وكثرة ماء الوجه.

وقوله: (**أحدهما لبن والآخر فيه خمر**) بحذف (فيه) في الأول، وذكره في الثاني تفنناً، وقيل: إرادة لتكثير اللبن وتقليل الخمر.

وقوله: (**هديت**) بلفظ المجهول من الهداية، والمراد بالفطرة وهو الدين والإسلام، وهي التي فطر الناس عليها، فإن اللبن لما كان ذا خلوص وبياض، وأول ما يحصل به تربية المولود صيغ منه في العالم القدسي مثال الهداية والفطرة التي بها تتم القوة الروحانية، والعالم القدسي يصاغ فيه الصور من العالم الحسي، وهو عالم

---

(١) «مشارق الأنوار» (١/ ٢٧٩).

(٢) «القاموس» (ص: ٥٠٦).

(٣) «فتح الباري» (٦/ ٤٨٤).

٥٧١٧ ـ [٢٠] وَعَنِ ابْنِ عبَّاسٍ قَالَ: سِرْنَـا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَمَرَرْنَا بِوَادٍ، فَقَـالَ: «أَيُّ وَادٍ هَذَا؟». فَقَالُـوا: وَادِي الأَزْرَقِ، قَالَ: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مُوسَى»، فَذَكَرَ مِنْ لَوْنِهِ وَشَعْرِهِ شَيْئاً: «وَاضِـعاً أُصْبُعَيْهِ فِي أُذُنَيْهِ، لَهُ جُؤَارٌ إِلَى اللهِ بِالتَّلْبِـيَةِ مَارًّا بِهَذَا الْوَادِي». قَالَ: ثُمَّ سِرْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى ثَنِيَّةٍ. فَقَالَ: «أَيُّ ثَنِيَّةٍ هَذِهِ؟» قَالُوا: هَرْشَى. . . . .

الناموس[1] لتدرك بها المعاني، وقد ورد أن من رأى اللبن في المنام يشربه يكون تعبيره الدين والعلم والهداية بخلاف الخمر، فإنها لكونها ذات مفسدة وشر ومضرة في الدنيا والدين صيغ منها الغواية وما يُفسد القوةَ الروحانيةَ.

٥٧١٧ ـ [٢٠] (ابن عباس) قوله: (وادي الأزرق) هو موضع بين الحرمين سمي به لزرقته، وقيل: منسوب إلى رجل بعينه زرقة.

وقوله: (فذكر من لونه وشعره شيئاً) كما ذكر في الحديث: (آدم رجل الشعر).

وقولـه: (واضعاً) حال من (موسى)، ولعل ذلك لقصد رفع الصوت ـ كما في الأذان ـ في التلبية، وكان في شرعه، وأما أنـه هل يجـوز لنا ذلك؟ فصحيح على من يقول بشرع من قبلنا ما لم ينسخ.

و(الجؤار) بضم الجيم وبالهمزة، أي: صوت وتضرع، يقال: جأر كمنع جأراً وجؤاراً: رفع صوته بالدعاء وتضرع واستغاث، والبقرة والثور: صاحا، و(مارًّا) حال ثانية من (موسى) متداخلـة أو مترادفـة، والثاني أظهر. و(الثنيـة) الطريق في الجبل. و(هرشى) بفتح هاء فراء ساكنة وشين معجمة مقصوراً كسكرى: جبل في طريق المدينة

---

(١) «وهو عالم الناموس» سقط في (ك)، و(ع)، و(ر).

ـ أَوْ لِفْتٌ ـ. فَقَالَ: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى يُونُسَ عَلَى نَاقَةٍ حَمْرَاءَ، عَلَيْهِ جُبَّةُ صُوفٍ، خِطَامُ نَاقَتِهِ خُلْبَةٌ، مَارًّا بِهَذَا الْوَادِي مُلَبِّياً». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ١٦٦].

٥٧١٨ ـ [٢١] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «خُفِّفَ عَلَى دَاوُدَ الْقُرْآنُ، ....

قريب الجحفة بضم الجيم وسكون الحاء المهملة. و(اللفت) بالكسر: ثنية جبل قديد بين الحرمين، ويفتح، كذا في (القاموس)[1]، وقيل: يجوز على تقدير الفتح كسر الفاء وفتحها أيضاً.

وقوله: (**خطام ناقته**) الخطم من الدابة: مقدم أنفها وفمها، المخطم كمجلس ومنبر، والخطام بالكسر: حبل يجعل على مخطم البعير ليقتاد به. و(**الخلب**) بخاء المعجمة بضم أو بضمتين: الليف والحبل منه.

ثم اعلم أن رؤيته ﷺ قيل: كناية عن اليقين، يعني: أن لي علماً بأحوالهم وأفعالهم التي كانت لهم [في] حياتهم يقيناً كأني أرى ذلك، وقيل: رؤية منام، وقيل: تمثل وكوشف له وأدخل في حسه المشترك، وأعلى من ذلك أنه رأى ذلك في الوقت الذي كانوا عليها في حياتهم، وذلك في عالم ليس فيه ماض ومستقبل، وتحقيق هذا المعنى يطلب من كلام بعض الصوفية حيثما تكلموا في حقيقة الزمان والمكان، وعلى التقادير كلها ليس هذا عملاً في الدار الآخرة التي هي دار الجزاء دون العمل، أما على الوجوه الثلاثة الأول فظاهر، وأما على الرابع فهو عين العمل الذين كانوا يعملون في الدنيا في حياتهم، فافهم.

٥٧١٨ ـ [٢١] (**أبو هريرة**) قوله: (**خفف على داود القرآن**) أي: قراءة القرآن،

---

(١) «القاموس» (ص: ٥٦٤، ١٦٠).

فَكَانَ يَأْمُرُ بِدَوَابِّهِ فَتُسْرَجُ، فَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ قَبْلَ أَنْ تُسْرَجَ دَوَابُّهُ، وَلاَ يَأْكُلُ إِلاَّ مِنْ عَمَلِ يَدَيهِ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٣٤١٧].

٥٧١٩ ـ [٢٢] وَعَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كَانَتِ امْرَأَتَانِ مَعَهُمَا ابْنَاهُمَا، جَاءَ الذِّئْبُ فَذَهَبَ بِابْنِ إِحْدَاهُمَا، فَقَالَتْ صَاحِبَتُهَا: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ، وَقَالَتِ الأُخْرَى: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ فَتَحَاكَمَتَا إِلَى دَاوُدَ، فَقَضَى بِهِ لِلْكُبْرَى، فَخَرَجَتَا عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ فَأَخْبَرَتَاهُ فَقَالَ: ائْتُونِي بِالسِّكِّينِ أَشُقُّهُ بَيْنَكُمَا. فَقَالَتِ الصُّغْرَى: لاَ تَفْعَلْ، يَرْحَمُكَ اللهُ، هُوَ ابْنُهَا، فَقَضَى بِهِ لِلصُّغْرَى». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٤٢٧، م: ١٧٢٠].

وقيل: هو بمعنى المصدر كالغفران بمعنى القراءة، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٨]، أي: قراءته.

وقوله: (فكان يأمر بدوابه فتسرج) لا يعرف كم كانت دوابه، وكم يمضي فيه من الزمان، وعلى كل تقدير لم يكن ما يعتاد من الزمان في إتمام قراءة الزبور خصوصاً التوراة مع كثرته وطوله حتى كان حفظه معجزة للأنبياء، وهذا من قبيل طي الزمان وهو أمر مقرر عند العارفين.

٥٧١٩ ـ [٢٢] (وعنه) قوله: (فقضى به للكبرى) لعله بشبه رآه فيها، أو لكونه في يدها، أو بدليل آخر سنح له في ذلك باجتهاده، ولم يكن هذا الحكم من داود عليه السلام بالوحي وإلا لم يخالفه سليمان، ثم قيل: إن إرادة سليمان شقه بينهما كان لاختبار شفقتهما ليتميز الأم[1]، وهذه حيلة لطيفة إلى معرفة باطن القضية، وأما حكمه للصغرى

---

(١) كذا في الأصل، والظاهر «ليتميز له الأمر». كما في «المرقاة» (٩/ ٣٦٥٥) نقلاً عن النووي.

٥٧٢٠ ـ [٢٣] وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قَالَ سُلَيْمَانُ: لأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى تِسْعِينَ امْرَأَةً ـ وَفِي رِوَايَةٍ: بِمِئَةِ امْرَأَةٍ ـ كُلُّهُنَّ تَأْتِي بِفَارِسٍ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ. فَقَالَ لَـهُ الْمَلَكُ: قُـلْ إِنْ شَاءَ اللهُ. فَلَمْ يَقُلْ وَنَسِيَ، فَطَافَ عَلَيْهِنَّ، فَلَمْ تَحْمِلْ مِنْهُنَّ إِلاَّ امْرَأَةٌ وَاحِدَةٌ. . . . .

فكان بإقرار الكبرى بعد ذلك، وقد نقل مثل ذلك عن سيدنا علي رضي الله عنه.

وأما نقض سليمان حكم داود، وحكم النبي لا يرد ولا ينقض وإن كان باجتهاد؟ فقيل: إنه لم يكن حكماً من داود ولم يجزم به، وهذا ينافي ظاهر لفظ الحديث، والإقرار بعد الحكم جائـز كما اعترف المحكوم لـه بعد الحكم أن الحق لخصمـه، فقضى بـه للكبرى إلا أن يراد هَمَّ بأن يحكم وأراده، قيل: لعل نسخ الحكم المجتهد فيه كان جائزاً في شرعهم، والله أعلم.

٥٧٢٠ ـ [٢٣] **(وعنه)** قوله: **(على تسعين امرأة)** وفي رواية: (بمئة امرأة)، كأن هاتين الروايتين أصح الروايات وأقواها، وقد جاءت فيه روايات: (ستون)، و(سبعون)، و(تسعون)، و(تسع وتسعون)، و(مئة)، والجمع أن الستين كن حرائـر، وما زاد كنّ سراري، أو بالعكس، وأما السبعون فللمبالغة، وأما التسعون والمئة وفوق التسعين، فمن قال: تسعين ألغى الكسر، ومن قال: مئة جَبَره، كذا قال الشيخ[1]، والله أعلم.

وقوله: **(كلهن)** أي: كل واحدة منهن، ويعلم من هذا أن (كلاًّ) مضافاً إلى المعرفة أيضاً قد يكون إفرادياً.

وقوله: **(فلم يقل ونسي)** أي: لم يقل حين قال لـه الملك ولا بعـده للنسيان، والاستثناء على المختار إنّما أن يصح ويعمل متصل، وعلى تقدير صحة المنفصل نسي،

---

(١) «فتح الباري» (٦/ ٤٦٠).

جَاءَتْ بِشِقِّ رَجُلٍ، وَأَيْمُ الَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ قَالَ: إِنْ شَاءَ اللهُ لَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فُرْسَاناً أَجْمَعُونَ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٤٢٤، م: ١٦٥٤].

٥٧٢١ ـ [٢٤] وَعَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «كَانَ زَكَرِيَّاءُ نَجَّاراً». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٣٧٩].

٥٧٢٢ ـ [٢٥] وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ، الأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ مِنْ عَلاَّتٍ وَأُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ، وَلَيْسَ بَيْنَنَا نَبِيٌّ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٤٤٢، م: ٢٣٦٥].

ولم يتيسر له القول، فافهم.

وقوله: (بشق رجل) أي: جسده من غير رأس، والشق: قطعة من الشيء.

٥٧٢١ ـ [٢٤] (أبو هريرة) قوله: (كان زكرياء) ممدود ومقصور.

٥٧٢٢ ـ [٢٥] (أبو هريرة) قوله: (أنا أولى الناس بعيسى) أي: أقربهم إليه، لأنه ليس بينهما نبي، ولأن عيسى كان مبشراً لقدومه وممهداً لقواعد دينه، وسيكون في آخر الزمان نائبه وخليفته.

وقوله: (إخوة من علات) شبه ما هو المقصود من بعثة جملة الأنبياء، وهو إرشاد الخلق بالأب، وشبه شرائعهم المتفاوتة في الصور المتقاربة في العرض بالأمهات، كذا قالوا.

وقوله: (ودينهم واحد) يعني: أن الشرائع وإن كانت متعددة مختلفة لكن أصل دينهم وهو التوحيد والطاعة واحد، فكلهم أقارب لي، ولكن عيسى أقرب، ولا ينافي

٥٧٢٣ ـ [٢٣] وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كُلُّ بَنِي آدَمَ يَطْعَنُ الشَّيْطَانُ فِي جَنْبَيْهِ بِإِصْبُعَيْهِ حِينَ يُوَلَدُ، غَيْرَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَهَبَ يَطْعَنُ فَطَعَنَ فِي الْحِجَابِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٢٣٨٦، م: ٢٣٦٦].

٥٧٢٤ ـ [٢٧] وَعَنْ أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، ....

هذا قوله: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ﴾[آل عمران: ٦٨]، لأنه أولى الناس بإبراهيم من جهة الاقتداء، وأولاهم بعيسى من جهة قرب العهد.

٥٧٢٣ ـ [٢٦] (وعنه) قوله: (يطعن الشيطان في جنبيه) الظاهر أنه هو المراد من المس في حديث: (ما من مولود إلا يمسه الشيطان) على ما مر في (باب الوسوسة)، وأرادوا (بإصبعيه)السبابة والوسطى، والمراد (بالحجاب) المشيمة، يعني: لم يصل طعنه إلى جسده.

٥٧٢٤ ـ [٢٧] (أبو موسى) قوله: (إلا مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون) استدل بهذا الحصر على أنهما نبيتان؛ لأن أكمل الإنسان الأنبياء، ثم الصديقون والشهداء والصالحون، فلو كانتا غير نبيتين للزم أن لا يكون في النساء ولية ولا صديقة ولا شهيدة ولا صالحة غيرهما، قال الكرماني[١]: لا يلزم من لفظ الكمال ثبوت نبوتهما؛ لأنه يطلق لتمام الشيء وتناهيه في بابه، والمراد بلوغهما إلى النهاية في جميع الفضائل التي للنساء، انتهى.

---

(١) «شرح الكرماني» (١٤/ ٦٠).

وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٤١١، م: ٢٤٣١].

وَذُكِرَ حَدِيثُ أَنَسٍ: «يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ»..........................

ولا يخفى عليك بأن بلوغ مريم وآسية نهاية الكمال المستلزم لأفضليتهما من فاطمة وخديجة وعائشة محل نظر، ذكر السيوطي[1]: أن أفضل النساء مريم وفاطمة، وقال: وفي حديث: (فاطمة سيدة نساء أهل الجنة)، دلالة على تفضيلها على مريم، وهما متساويتان ليست بواحدة منهما أفضل من الأخرى.

وفي (التيسير) للنسفي: إن خديجة وعائشة وفاطمة أفضل من مريم، ثم الأصح أن مريم ليست نبية، وادعى بعضهم الإجماع على عدم نبوة النساء، وتعقب بأن دعوى الإجماع غير مسلم، فإن الخلاف في نبوة نسوة موجود خصوصاً مريم، فإن القول بنبوتها شهير، بل مال الشيخ تقي الدين السبكي في (الجليات) إلى ترجيحه، وقال: إن ذكرها مع الأنبياء قرينة قوية لذلك، قيل: العجب من هذا الشيخ أنه استشعر بهذه القرينة، ولم ينظر إلى نص قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا﴾ [يوسف: ١٠٩]، فإنه نص في نفي النبوة عن النساء، ونقل عن الأشعري نبوة حواء، وسارة، وأم موسى، وهاجر، وآسية، ومريم، والآية المذكورة ترده، اللهم إلا أن يقال: المنفي في الآية الرسالة لا النبوة، وهي أعم من الرسالة، وهذا محمل لطيف لقول هؤلاء الأكابر، والله أعلم.

وقوله: (**وفضل عائشة على النساء... إلخ**)، المقصود عطف الصديقة على

---

(١) «الخصائص الكبرى» للسيوطي (٢/ ٣٤٨).

وَحَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ: «أَيُّ النَّاسِ أَكْرَمُ»، وَحَدِيثُ ابْنِ عُمَرَ: «الْكَرِيْمُ بْنُ الْكَرِيمِ» فِي (بَابِ الْمُفَاخَرَةِ وَالْعَصَبِيَّةِ).

مريم وآسية، لكن أبرز الكلام في صورة جملة مستقلة دلالة على ثبوت فضل خاص وامتياز مخصوص لها من بينها، ثم ظاهر الحديث المذكور يفيد فضلهما يعني مريم وآسية على سائر النساء حتى فاطمة وخديجة وعائشة وسائر أزواجه وبناته ﷺ، وقيل: كان هذا الإخبار قبل أن يوحى إليه بفضل هذه المطهرات، أو استثنى من العموم بقرينة الأحاديث الأخر.

وبالجملة وقعت أخبار متعددة مختلفة في فضائل النساء، فإما أن يفيد بجهات مخصوصة أو تخصيص العمومات، وفي (الخصائص) للخيضري[1]: سكت الأصحاب عن ذكر زينب بنت جحش، وينبغي إلحاقها بخديجة وعائشة لتولي الله تعالى بتزويجها، وفي (الخصائص)[2] للسيوطي: زوجاته وبناته ﷺ أفضل نساء العالمين، وأصحابه أفضل العالمين إلا النبيين، وقد نقلنا في (شرح العقائد)[3] الفارسية لنا الأقوال فيهما، فتدبر.

---

(١) هو قطب الدين محمد بن محمد بن عبدالله بن خيضر الخيضري الشافعي المتوفى سنة أربع وتسعين وثمان مئة، وسمى كتابه «اللفظ المكرم بخصائص النبي المحترم» وهو مطبوع. انظر: «كشف الظنون» (٢/ ١٥٥٩)، و«الرسالة المستطرفة» (ص: ١٢٥).

(٢) «الخصائص الكبرى» للسيوطي (٢/ ٣٤٨ ـ ٣٥٠).

(٣) اسمه «تكميل الإيمان وتقوية الإيقان» شرح فيه الشيخ عقائد الإسلام، يحتوي الكتاب على ثمانين صفحة، طبع عدة مرات، توجد نسخه الخطية في حيدر آباد ومكتب الهند، والجمعية الآسيوية.

* الْفَصْلُ الثَّانِي:

٥٧٢٥ ـ [٢٨] عَنْ أَبِي رَزِينٍ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَيْنَ كَانَ رَبُّنَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ خَلْقَهُ؟ قَالَ: «كَانَ فِي عَمَاءٍ، مَا تَحْتَهُ هَوَاءٌ، وَمَا فَوْقَهُ هَوَاءٌ، وَخَلَقَ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: قَالَ يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ: الْعَمَاءُ: أَيْ لَيْسَ مَعَه شَيْءٌ. [ت: ٣١٠٩].

الفصل الثاني

٥٧٢٥ ـ [٢٨] **(أبو رزين)** قوله: **(أين كان ربنا)** قال التُّورِبِشْتِي[١]: ذهب بعض أهل العلم فيه إلى أن التقدير: أين كان عرش ربنا، قال: ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾[هود: ٧]، وفسروا **(العماء)** ممدوداً بسحاب رقيق أو كثيف مطبق، وروي (عمى) بالقصر، ومعناه ليس له معه شيء، وقيل: هو كل أمر لا تدركه عقول بني آدم ولا يبلغ كنهه الوصف.

وقوله: **(ما تحته هواء، وما فوقه هواء)** كناية عن أنه ليس معه شيء، وقيل: هو تتميم لدفع توهم المكان، فإن الغمام المتعارف يستحيل وجوده بدون مكان، وقال الأزهري: نحن نؤمن به ولا نكيفه بشيء.

وقوله: **(العماء: أي ليس معه شيء)** أي قوله: (كان في عماء) كناية عن أنه ليس معه شيء، فهو معنى (كان الله ولم يكن معه شيء)، وقال بعضهم: سئل عن المكان وأجاب عن أن لا مكان، يعني إن كان هذا مكاناً فهو في غير مكان، ويدل عليه أن السؤال كان عما قبل أن يخلق خلقه، فلو كان العماء أمراً موجوداً لكان مخلوقاً،

---

(١) «كتاب الميسر» (٤/ ١٢٤١).

٥٧٢٦ ـ [٢٩] وَعَنِ العَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ: زَعَمَ أَنَّـهُ كَانَ جَالِساً فِي الْبَطْحَاءِ فِي عِصَابَةٍ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِسٌ فِيهِمْ، فَمَرَّتْ سَحَابَةٌ، فَنَظَرُوا إِلَيْهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا تُسَمُّونَ هَـذِهِ؟». قَالُـوا: السَّحَابَ. قَالَ: «وَالْمُزْنَ؟» قَالُوا: وَالْمُزْنَ. قَالَ: «وَالْعَنَانَ؟» قَالُوا: وَالْعَنَانَ. قَالَ: «هَـلْ تَدْرُونَ مَا بُعْدُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ؟» قَالُوا: لاَ نَدْرِي، . . . .

فلم يكن الجواب مطابقاً للسؤال، هذا ما ذكروه في هذا المقام، وفي كلام بعض الصوفية له بيان آخر مذكور في كتبهم، والله أعلم.

٥٧٢٦ ـ [٢٩] **(العباس بن عبد المطلب)** قوله: **(زعم)** قال الطيبي[١]: نسبة الزعم إلى العباس رمز إلى أنه لم يكن حينئذ مسلماً ولا تلك العصابة كانـوا مسلمين، يدل عليه قوله: **(في البطحاء)**، انتهى. لعل الدلالة لأجل أن هذا لسان أهل الجاهلية، ولسان أهل الإسلام أن يقولوا: بمكة، أو في الحرم ونحو ذلك، وأقول: ومما يدل على ذلك أيضاً قولهم: **(لا ندري)**، وعادة الصحابة استمرت على أن يقولوا: الله ورسوله أعلم، وجاء في بعض الروايات عن العباس بن عبد المطلب: كنا عند النبي ﷺ، الحديث.

وقوله: **(السحاب)** روي بالنصب والرفع.

وقوله: **(قال: والمزن؟)** بالنصب أي: وتسمون المزن.

وقوله: **(قالوا: والمزن)** أي: ونسمي المزن، والمزن بالضم: السحاب أو أبيضه، كذا في (القاموس)[٢]، ومثله في (النهاية)[٣]، و**(العنان)** كسحاب زِنـةً ومعنًى، وفي

---

(١) «شرح الطيبي» (١٠/ ٣٢٧).

(٢) «القاموس» (ص: ١١٣٧).

(٣) «النهاية» (٤/ ٣٢٥).

قَالَ: «إِنَّ بُعْدَ مَا بَيْنَهُمَا إِمَّا وَاحِدَةٌ وَإِمَّا اثْنَتَانِ أَوْ ثَلاَثٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً، وَالسَّمَاءُ الَّتِي فَوْقَهَا كَذَلِكَ» حَتَّى عَدَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ. ثُمَّ «فَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ بَحْرٌ بَيْنَ أَعْلاَهُ وَأَسْفَلِهِ كَمَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ، ثُمَّ فَوْقَ ذَلِكَ ثَمَانِيَةُ أَوْعَالٍ، بَيْنَ أَظْلاَفِهِنَّ وَوُرُكِهِنَّ مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ، ثُمَّ عَلَى ظُهُورِهِنَّ الْعَرْشُ، بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلاَهُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ، ثُمَّ اللهُ فَوْقَ ذَلِكَ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ. [ت: ٣٣٢٠، د: ٧٢٣].

(القاموس)[1]: السحاب، أو التي تمسك الماء، واحدته بهاء.

وقوله: **(إما واحدة)** أي: واحدة وسبعون، وإما اثنتان وسبعون، وإما ثلاث وسبعون، ولعل الترديد من شك الراوي، وقد جاء في الأخبار: أن بُعْدَ ما بين السماء والأرض خمس مئة عام، وكذلك بين السموات السبع، وكذلك بين كل سماء، وقال الطيبي[2]: المراد بالسبعين في الحديث التكثير لهذه الأخبار، ولكن يختلج أنه لا فائدة على تقدير إرادة التكثير في زيادة واحدة أو اثنتان أو ثلاث على السبعين، والله أعلم.

وقوله: **(ثمانية أوعال)** جمع وعل بالفتح وككتف ودئل، وهذا نادر: تيس الجبل، والمراد الملائكة على صورة الأوعال، و**(الأظلاف)** جمع ظلف بالكسر هو للبقر والغنم، كالحافر للفرس والبغل، والخف للبعير. و**(الورك)** بالفتح والكسر وككتف: ما فوق الفخذ، وما ذكر رسول الله ﷺ تصوير لعظمة الله سبحانه وفوقيته على العرش بالعلو والعظمة والحكم، لا الحلول والمكان.

---

(١) «القاموس» (ص: ١١٢٢).

(٢) «شرح الطيبي» (١٠/ ٣٢٨).

٥٧٢٧ ـ [٣٠] وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ: أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: جُهِدَتِ الأَنْفُسُ، وَجَاعَ الْعِيَالُ، وَنُهِكَتِ الأَمْوَالُ، وَهَلَكَتِ الأَنْعَامُ فَاسْتَسْقِ اللهَ لَنَا، فَإِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِكَ عَلَى اللهِ، وَنَسْتَشْفِعُ بِاللهِ عَلَيْكَ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «سُبْحَانَ اللهِ، سُبْحَانَ اللهِ». فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حَتَّى عُرِفَ ذَلِك فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَيْحَكَ إِنَّهُ لاَ يُسْتَشْفَعُ بِاللهِ عَلَى أَحَدٍ، شَأْنُ اللهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، وَيْحَكَ أَتَدْرِي مَا اللهُ؟ إِنَّ عَرْشَهُ عَلَى سَمَاوَاتِهِ لَهَكَذَا» وَقَالَ بِأَصَابِعِهِ مِثْلَ الْقُبَّةِ عَلَيْهِ، «وَإِنَّهُ لَيَئِطُّ بِهِ أَطِيطَ الرَّحْلِ بِالرَّاكِبِ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٤٧٢٦].

٥٧٢٧ ـ [٣٠] (جبير بن مطعم) قوله: (جهدت) بلفظ المجهول، أي: أوقعت في المشقة.

وقوله: (ونهكت الأموال) أيضاً بلفظ المجهول، أي: نقصت، نهك الضرع: استوفى جميع ما فيه، ونهكته الحمى: أضنته وهزلته وجهدته.

وقوله: (فإنا نستشفع بك على الله، ونستشفع بالله عليك) استشفعت بفلان على فلان: ذهبت إليه واستعنت ليشفع لـه إليه، فالاستشفاع به على الله تعالى جائز، وأما الاستشفاع بالله عليه فكلا، ولهذا سبح ﷺ ونـزه الله عن ذلك، وكرر ذلك وغضب، حتى تغير وجهه الشريف، وعرف أثر ذلك التغير في وجوه أصحابه أيضاً.

وقوله: (أتدري ما الله؟) أي: ما عظمة الله وكبرياؤه؟ (وقال) أي: أشار، و(مثل القبة) نصب على الحالية.

وقوله: (عليه) أي: على الكف، (وإنه) أي: العرش مع ما وصف من عظمته وسعته (ليئط) بفتح الياء وكسر الهمزة من الأطيط، أي: يصوت من أطّ الرحل يئط

٥٧٢٨ ـ [٣١] وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِاللهِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلاَئِكَةِ اللهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، أَنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنَيْهِ إِلَى عَاتِقَيْهِ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِئَةِ عَامٍ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٤٧٢٧].

٥٧٢٩ ـ [٣٢] وَعَن زُرَارَةَ بْنِ أَوْفَى أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لِجِبْرِيلَ: «هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ فَانْتُفَضَ جِبْرِيلُ وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ سَبْعِينَ حِجَاباً مِنْ نُورٍ، لَوْ دَنَوْتُ مِنْ بَعْضِهَا لاَحْتَرَقْتُ». هَكَذَا فِي «الْمَصَابِيحِ».

٥٧٣٠ ـ [٣٣] وَرَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي «الْحِلْيَةِ» عَنْ أَنَسٍ إِلاَّ أَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ: «فَانْتُفَضَ جِبْرِيلُ». [حلية الأولياء: ٤/ ٨٠].

أطيطاً: صوت، والأطيط: صوت الرحل والإبل من ثقلها، وصوت الظهر والجوف من الجوع، والمراد أنه يعجز العرش من عظمته وحمل أحكامه كعجز الرحل عن احتمال الراكب، وهذا تصوير وتفهيم لعظمة الله تعالى للأعرابي على قدر فهمه وحاله.

٥٧٢٨ ـ [٣١] (جابر بن عبدالله) قوله: (إلى عاتقيه) العاتق: المنكب، وقيل: هو ما بين المنكب والعنق موضع الرداء.

٥٧٢٩، ٥٧٣٠ ـ [٣٢، ٣٣] (زرارة بن أوفى) قوله: (وعن زرارة) بضم الراء (ابن أوفى)، وفي نسخة: (ابن أبي أوفى)، وكذلك في (التقريب)[1].

وقوله: (فانتفض) بالضاد المعجمة، أي: ارتعد من عظمة ذلك السؤال، نفض الثوب: حركه لينتفض.

وقوله: (سبعين حجاباً من نور) وهي الصفات الملكية في جبرئيل أو صفات

---

(١) «تقريب التهذيب» (ص: ٢١٥، رقم: ٢٠٩٩).

٥٧٣١ ـ [٣٤] وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ خَلَقَ إِسْرَافِيلَ مُنْذُ يَوْمَ خَلَقَهُ صَافًّا قَدَمَيْهِ لاَ يَرْفَعُ بَصَرَهُ، بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَبْعُونَ نُوراً، مَا مِنْهَا مِنْ نُورٍ يَدْنُو مِنْهُ إِلاَّ احْتَرَقَ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ(١).

٥٧٣٢ ـ [٣٥] وَعَنْ جَابِرٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ آدَمَ وَذُرِّيَّتَهُ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ: يَا رَبِّ! خَلَقْتَهُمْ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ وَيَنْكِحُونَ وَيَرْكَبُونَ، فَاجْعَلْ لَهُمُ الدُّنْيَا وَلَنَا الآخِرَةَ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: لاَ أَجْعَلُ مَنْ خَلَقْتُهُ بِيَدَيَّ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي كَمَنْ قُلْتُ لَهُ: كُنْ، فَكَانَ». رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ». [شعب: ١٤٧].

الله تعالى، والعلم بتعيين العدد موكول إلى الشارع، والله أعلم.

وفي الحديث دليل حجة رؤية الله تعالى لسؤاله ﷺ عنها، ولو كانت ممتنعة لما سأل، ويفهم من جواب جبرئيل أيضاً، لقوله: (بيني وبينه ... إلخ)، يعني عدم رؤيته تعالى ليس لامتناعها بل لتمنعه بحجاب العزة والكبرياء، وقد ترتفع الحجب، وأيضاً أخبر عن رؤيته لقوله: (بيني وبينه)، ولعل الحجب لم تكن بين غيره وبين الله كما كان لسيد المرسلين ﷺ.

٥٧٣١ ـ [٣٤] (ابن عباس) قوله: (صافًّا قدميه لا يرفع بصره) أي: عن الصور، وذلك عبارة عن تهيئه وانتظاره لأمر الله بالنفخ حتى ينفخ.

٥٧٣٢ ـ [٣٥] (جابر) قوله: (لا أجعل من خلقته بيدي) الحديث، دليل على

---

(١) لم أجده في «سنن الترمذي»، وأخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٥٥).

* **الْفَصْلُ الثَّالِثُ:**

٥٧٣٣ ـ [٣٦] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ أَكْرَمُ عَلَى اللهِ مِنْ بَعْضِ مَلَائِكَتِهِ». رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ. [جه: ٣٩٤٧].

٥٧٣٤ ـ [٣٧] وَعَنْهُ قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدَيَّ فَقَالَ: «خَلَقَ اللهُ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ، وَخَلَقَ فِيهَا الْجِبَالَ يَوْمَ الأَحَدِ، وَخَلَقَ الشَّجَرَ يَوْمَ الاِثْنَيْنِ، وَخَلَقَ الْمَكْرُوهَ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ، ....

أفضلية البشر من الملائكة، والمسألة مذكورة في كتب الكلام.

الفصل الثالث

٥٧٣٣ ـ [٣٦] (أبو هريرة) قوله: (المؤمن أكرم على الله من بعض ملائكته) يراد بالمؤمن عوامهم، وببعض الملائكة أيضاً عوامهم، كذا قال الطيبي[1]، الحكم بأفضلية المؤمنين على الملائكة ليس كليًّا، بل بعض المؤمنين أفضل من بعض الملائكة، وتفصيله أن عوام البشر خير من عوام الملائكة، وخواص البشر من عوام الملائكة وخواصهم، وخواص الملائكة من عوام البشر، وعلى التقديرين يصح أن بعض المؤمنين أكرم على الله تعالى من بعض ملائكته، فافهم.

٥٧٣٤ ـ [٣٧] (وعنه) قوله: (بيدي) بلفظ التثنية. والترب والتراب والتربة: الأرض.

وقوله: **(يوم السبت... إلخ)**، دل هذا الحديث على أن ابتداء الخلق يوم السبت، والمشهور أنه يوم الأحد، وقالوا: إنما سمي سبتاً لأن الله تعالى فرغ من الخلق

---

(١) «شرح الطيبي» (١٠/ ٣٣١).

وَخَلَقَ النُّورَ يَوْمَ الأَرْبِعَاءِ، وَبَثَّ فِيهَا الدَّوَابَّ يَوْمَ الْخَمِيسِ، وَخَلَقَ آدَمَ بَعْدَ الْعَصْرِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فِي آخِرِ الْخَلْقِ وَآخِرِ سَاعَةٍ مِنَ النَّهَارِ فِيمَا بَيْنَ الْعَصْرِ إِلَى اللَّيْلِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٧٨٩].

٥٧٣٥ ـ [٣٨] وَعَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا نَبِيُّ اللهِ ﷺ جَالِسٌ وَأَصْحَابُهُ إِذْ أَتَى عَلَيْهِمْ سَحَابٌ، فَقَالَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ: «هَلْ تَدْرُونَ مَا هَذَا؟». قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «هَذِهِ الْعَنَانُ هَذِهِ رَوَايَا الأَرْضِ يَسُوقُهَا اللهُ إِلَى قَوْمٍ لاَ يَشْكُرُونَهُ وَلاَ يَدعُونَهُ»، ثمَّ قَالَ: «هَل تَدْرُونَ مَا فَوْقَكُمْ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: ....

فيه واستراح، إلا أن يقال: هذا معتقد أهل الكتاب، ثم إنه قد نص في القرآن المجيد أن الخلق كله في ستة أيام، ويظهر من هذا الحديث أنه في السبعة، ثم إنه لم يذكر في هذا الحديث خلق السموات لعله كان مقدماً على خلق الأرض وما فيها أو مؤخراً عنه.

وقوله: (**وخلق النور**) بالراء كما لمسلم، ولغيره بالنون، وهو الحوت، ويجوز خلقهما في يوم الأربعاء، كذا نقل عن الأكمل.

وقوله: (**بعد العصر من يوم الجمعة**) ولهذا سميت جمعة لاجتماع الخلق فيه، وفضلت آخر ساعة منه.

٥٧٣٥ ـ [٣٨] (**وعنه**) قوله: (**سحاب**) وفي بعض النسخ: (سحابة).

وقوله: (**هذه روايا الأرض**) جمع راوية، وهي البعير والبغل والحمار يستقى عليه، ويسمى بها المزادة التي فيها الماء أيضاً، شبهت السحب بالروايا في سقيها الأرض.

«فَإِنَّهَا الرَّقِيعُ سَقْفٌ مَحْفُوظٌ، وَمَوْجٌ مَكْفُوفٌ»، ثُمَّ قَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهَا؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهَا خَمْسُ مِئَةِ عَامٍ»، ثُمَّ قَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَا فَوْقَ ذَلِكَ؟». قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «سماءانِ بُعْدُ مَا بَيْنَهُمَا خَمْسُ مِئَةِ سَنَةٍ»، ثُمَّ قَالَ كَذَلِكَ حَتَّى عَدَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ، «مَا بَيْنَ كُلِّ سَمَاءَيْنِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ»، ثُمَّ قَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَا فَوْقَ ذَلِكَ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «إِنَّ فَوْقَ ذَلِكَ الْعَرْشُ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّمَاءِ بُعْدُ مَا بَيْنَ السَّمَاءَيْنِ». ثُمَّ قَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَا الَّذِي تَحْتَكُمْ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «فَإِنَّهَا الأَرْضُ». ثُمَّ قَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَا تَحْتَ ذَلِكَ؟». قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «إِنَّ تَحْتَهَا أَرْضاً أُخْرَى بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسِ مِئَةِ سَنَةٍ». حَتَّى عدَّ سَبْعَ أَرَضِينَ، «بَيْنَ كلِّ أَرَضِينَ مَسِيْرَةُ خَمْسِ مِئَةِ سَنَةٍ»، ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ أَنَّكُمْ دَلَّيْتُمْ بِحَبْلٍ إِلَى الأَرْضِ السُّفْلَى لَهَبَطَ عَلَى اللهِ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[الحديد: ٣]. رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ. وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: قِرَاءَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ الآيَةَ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ أَرَادَ: . . . .

وقوله: (**فإنها الرقيع**) بالقاف: السماء أوالسماء الأولى.

وقوله: (**موج مكفوف**) أي: ممنوع من السقوط، ويحفظه الله تعالى من أن يقع على الأرض، شبهها بالموج المكفوف في كونه معلق بغير عمد، و(**السقف**) اسم للسماء، والظاهر أنه على التشبيه بسقف البيت.

وقوله: (**دليتم**) بالتشديد، أدليت الدلو ودليتها: أرسلتها إلى البئر.

لَهَبَطَ عَلَى عِلْمِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَعِلْمُ اللهِ وَقُدْرَتُهُ وَسُلْطَانُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَهُوَ عَلَى الْعَرْشِ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ. [حم: ٢/ ٣٠٧، ت: ٣٢٩٤].

٥٧٣٦ ـ [٣٩] وَعَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «كَانَ طُولُ آدَمَ سِتِّينَ ذِرَاعاً فِي سَبْعِ أَذْرُعٍ عَرْضاً».

٥٧٣٧ ـ [٤٠] وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَيُّ الأَنْبِيَاءِ كَانَ أَوَّلَ؟ قَالَ: «آدَمُ». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! وَنَبِيٌّ كَانَ؟ قَالَ: «نَعَمْ نَبِيٌّ مُكَلَّمٌ». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! كَمِ الْمُرْسَلُونَ؟ قَالَ: «ثَلَاثُ مِئَةٍ وَبِضْعَ عَشَرَ جَمًّا غَفِيراً».

وقوله: (لهبط على الله) أي: على علمه وقدرته وسلطانه؛ لأن علمه وقدرته وسلطانه في كل مكان، كما فسره الترمذي.

٥٧٣٦ ـ [٣٩] (وعنه) قوله: (كان طول آدم ستين ذراعاً في سبع أذرع) الظاهر أن يراد الذراع المتعارف يومئذ عند المخاطبين، لا ذراع نفسه؛ إذ لو أريد ذراع نفسه لكانت يده قصيرة غاية القصر في جنب طول جسده وخرج عن التناسب، كما لا يخفى.

٥٧٣٧ ـ [٤٠] (أبو ذر) قوله: (ونبي كان؟) بحذف حرف الاستفهام.

وقوله: (نبي مكلم) أي: أنزل عليه الصحف فيكون نبيًّا مرسلاً. فقوله: (مكلم) صفة مخصصة، ويناسبه قوله بعده: (كم المرسلون؟).

وقوله: (جمًّا غفيراً) في (القاموس)[1]: الجم: الكثير من كل شيء، وجاؤوا

---

(١) «القاموس» (ص: ١٠٠٦).

وَفِي رِوَايَة عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ أَبُو ذَرٍّ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! كَمْ وَفَاءُ عِدَّةِ الأَنْبِيَاءِ؟ قَالَ: «مِئَةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفاً، الرُّسُلُ مِنْ ذَلِكَ ثَلاَثُ مِئَةٍ وَخَمْسَةَ عَشَرَ جَمًّا غَفِيراً».

٥٧٣٨ ـ [٤١] وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَيْسَ الْخَبَرُ كَالْمُعَايَنَةِ، إِنَّ اللهَ تَعَالَى أَخْبَرَ مُوسَى بِمَا صَنَعَ قَوْمُهُ فِي الْعِجْلِ فَلَمْ يُلْقِ الأَلْوَاحَ، فَلَمَّا عَايَنَ مَا صَنَعُوا أَلْقَى الأَلْوَاحَ فَانْكَسَرَتْ». رَوَى الأَحَادِيثَ الثَّلاَثَةَ أَحْمَدُ. [حم: ٢/ ٢٩٥، ٥/ ١٧٨، ١/ ٢١٥].

جمًّا غفيراً، أي: جميعاً لم يخلف أحد، كذا في (القاموس)[1]، الغفير: من الغفر وهو الستر، وفيه تأكيد ومبالغة.

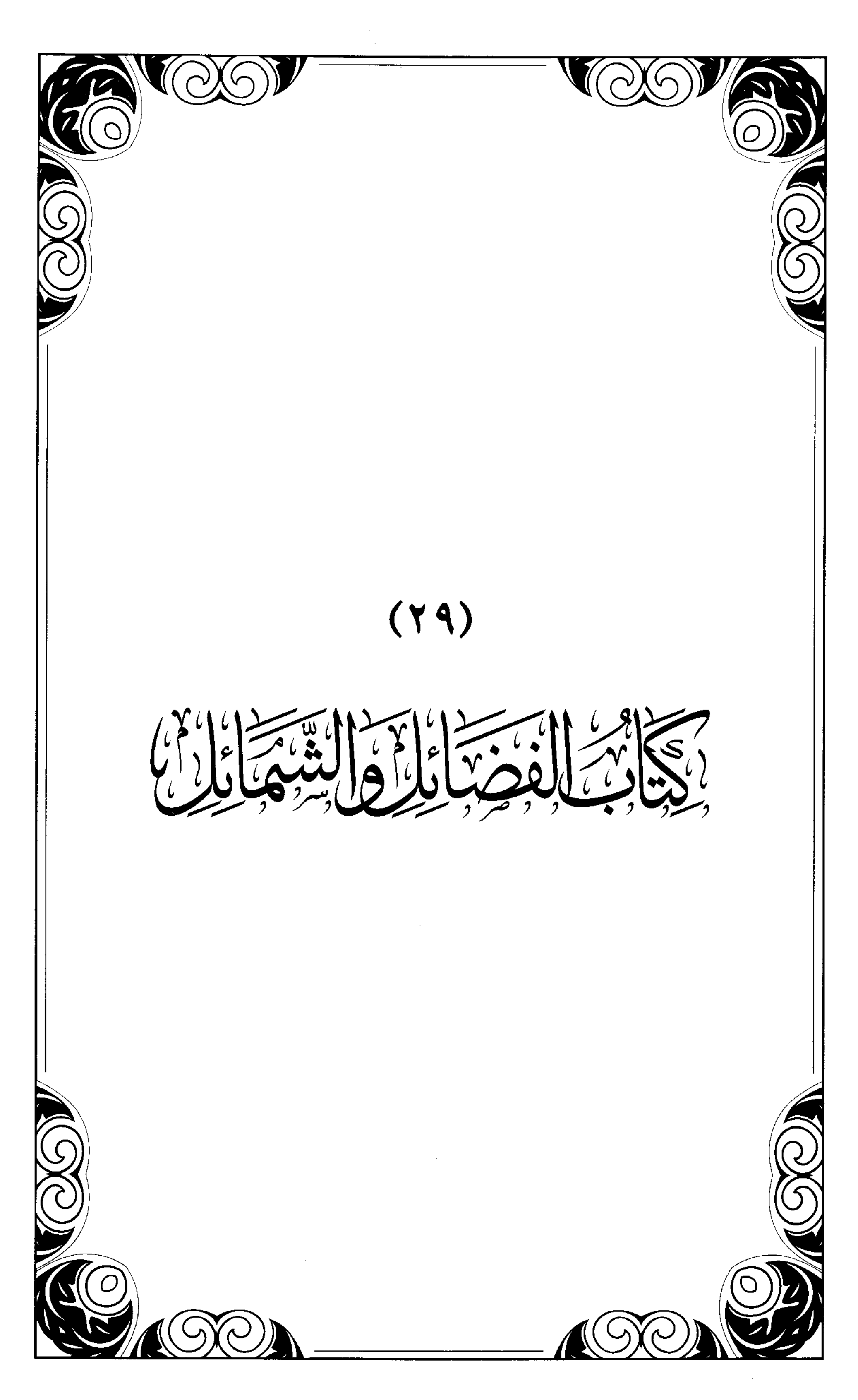
وقوله: (**كم وفاء عدة الأنبياء؟**) أي: كمالها وتمامها.

٥٧٣٨ ـ [٤١] (ابن عباس) قوله: (إن الله تعالى أخبر موسى . . . إلخ)، استشهاد وتقرير لقوله: (**ليس الخبر كالمعاينة**)، يعني: أن الخبر وإن كان صادقاً وحقًّا بلا شبهة مع ذلك للمعاينة تأثير وحالة ليست للخبر.

❐❐❐

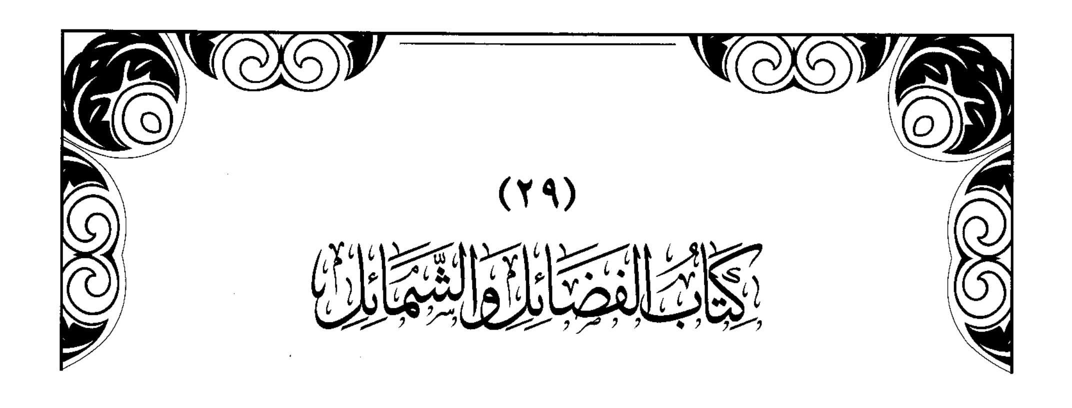
---

(١) «القاموس» (ص: ٤٢٠).



(٢٩)

كتاب الفضائل والشمائل



(٢٩)

كتاب الفضائل والشمائل

١ ـ باب فضائل سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه

* الْفَصْلُ الأَوَّلُ:

٥٧٣٩ ـ [١] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ....

[٢٩ ـ كتاب الفضائل والشمائل]

١ ـ باب فضائل سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه

فضائل سيد المرسلين ﷺ مما لا يعد ولا يحصى، ولا يحيط بها علوم الأولين والآخرين، ولا يعلمها بالكنه إلا رب العالمين، فإن فضل رسول الله ليس له حد فيعرب عنه ناطق بفم، وقد أطبقت الأمة على أنه سيد ولد آدم وسيد المرسلين صلى الله عليهم وسلم أجمعين، وبعده إبراهيم خليل الرحمن، وموسى كليم الله، ولم يوجد نص من العلماء بعد ذلك، والله أعلم. وقد ختم المؤلف الكتاب بذكره ﷺ، وذكر فضائله وأسمائه وأخلاقه وشمائله ومعجزاته، وفضائل أصحابه وأهل بيته الطيبين الطاهرين، وسائر أمته أجمعين، وهذه الأبواب خلاصة هذا الكتاب، وحق بأن يختم الكتاب بها، ختم الله لنا بالحسنى في كل باب.

الفصل الأول

٥٧٣٩ ـ [١] (أبو هريرة) قوله: ....

«بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ قَرْناً فَقَرْناً، حَتَّى كُنْتُ مِنَ الْقَرْنِ الَّذِي كُنْتُ مِنْهُ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٣٥٥٧].

(بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً) القرن: كل طبقة أهل زمان واحد؛ لاقترانهم في أعمارهم وأحوالهم، كما في قوله ﷺ: (خير القرون قرني الذين أنا فيهم ثم الذين يلونهم)[1] الحديث، وقال صاحب (القاموس)[2]: القرن: كل أمة هلكت فلم يبق منها أحد، وقد يطلق على الوقت أيضاً، فقيل: أربعون سنة أو عشرة أو عشرون أو ثلاثون وقد اشتهر هذا في العوام، أو خمسون أو ستون أو سبعون أو ثمانون أو مئة أو مئة وعشرون، وقد يرجح المئة بقوله ﷺ لغلام: (عش قرناً) فعاش مئة سنة، والله أعلم.

والمراد بخير قرون بني آدم: كل طبقة فيهم آباؤه ﷺ، وهو محمول هنا على من بعد إسماعيل من ولده من كنانة وقريش ومن بعدهم، ليصح معنى التعقيب في الفاء، والمراد ببعثه فيهم: تقلبه في أصلاب الآباء، ونقله فيها أباً فأباً، وقرناً فقرناً، حتى ظهر في القرن الذي وجد فيه، ومعنى الترتيب في الفضل والخيرية على سبيل الترقي كما يفسره الحديث الآتي، والخيرية والاصطفاء محمولة من جهة الخصائل الحميدة والفضائل الشريفة عند العقلاء وأهل الكرام، لا باعتبار الإيمان والديانة، كذا قالوا، وهذا في القرون.

وأما آباؤه الكرام فكلهم من آدم إلى عبدالله أبيه طاهرون مطهرون من دنس الكفر ورجس الشرك لقوله ﷺ: (خرجت من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الطاهرات)،

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» نحوه (٢٦٥١).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ١١٢٧).

٥٧٤٠ ـ [٢] وَعَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الأَسْقَعِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشاً مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٢٧٦].

وَفِي رِوَايَةٍ لِلتِّرْمِذِيِّ: «إِنَّ اللهَ اصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى مِنْ وُلْدِ إِسْمَاعِيلَ بَنِي كِنَانَةَ». [ت: ٣٦٠٥].

وإن حمل هذا على الطهارة عن الزنا والسفاح على ما كان من عادة الجاهلية، كما يدل عليه ظاهر الأحاديث فبدلائل أخر حرّرت وقررت، ولعمري أن هذا العلم ـ أعني العلم بكون آباء النبي ﷺ من لدن آدم إلى أن وجد كانوا على التوحيد ودين الإسلام ـ علم خص الله تعالى به العلماء المتأخرين، والمتقدمون ربما يلوح من كلماتهم خلاف ذلك، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وجزى الله عنا الشيخ جلال الدين السيوطي شيخ شيوخنا في الحديث خير الجزاء، فإنه صنف فيها رسائل متعددة، فأفاد وأجاد وأغنى عن المصباح بالإصباح، والله هو العليم الفتاح، وحاش لله أن يودع هذا النور الطاهر في مواضع النجاسة والظلمة، ولقد جاءت الروايات أنه كان ﷺ في صلب بعض آبائه يلبي بالحج، وكانوا يبشرون بقدومه ووجوده وأمثال ذلك كثيرة.

٥٧٤٠ ـ [٢] **(واثلة بن الأسقع)** قوله: **(اصطفى كنانة)** بكسر الكاف بعد إسماعيل بوسائط، وقيل: قريش بواسطتين، والمشهور في التسمية بقريش أنه مصغر قرش: دابة بحرية يخافها دواب البحر كلها، وفيه وجوه كثيرة ذكرت في (القاموس)[1]، ووجه التسمية بهاشم أنه كان يهشم الثريد لقومه في أيام الجدب.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٥٥٧).

٥٧٤١ ـ [٣] وَعَنْ أَبِي هُرَيْـرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٢٧٨].

٥٧٤١ ـ [٣] **(أبو هريرة)** قوله: **(أنا سيد ولد آدم)** سيد القوم: أجلهم، وهو ﷺ أجل الناس وأكرمهم وأفضلهم في جميع صفات الكمال، ويلزم بهذا أن يكون أفضل من الملائكة أيضاً على مذهب أهل الحق، كذا ذكر الطيبي[1]، وقد جاء في بعض الأحاديث أفضليته ﷺ على الخلق مطلقاً.

وذكر في (المواهب اللدنية)[2]: من حديث سلمان عند ابن عساكر، قال: (هبط جبرئيل على النبي ﷺ فقال: إن ربك يقول: ما خلقت خلقاً أكرم علي منك، ولقد خلقت الدنيا وأهلها لأعرفهم كرامتك ومنزلتك عندي، ولولاك ما خلقت الدنيا)، فثبت أنه أفضل الخلائق أجمعين، وأما ما جاء من قوله: (لا تفضلوا بين الأنبياء)، وقوله: (لا تفضلوني على يونس بن متى) فقد عرفت جوابه في الأبواب السابقة، والتقييد بقوله: (يوم القيامة) باعتبار ظهور آثار سيادته ﷺ في ذلك اليوم، فإنه يظهر فيه أن اليوم يومه، ولا يكون في مقامه وقربه من الحضرة الإلهية أحد ﷺ.

وقوله: **(وأول من ينشق عنه القبر)** كناية عن أنه أول من يبعث. و**(مشفع)** على لفظ اسم المفعول من الشفع، وهو قبول الشفاعة، وقد سبق ذكره في (باب الشفاعة).

---

(١) «شرح الطيبي» (١٠/ ٣٣٩).

(٢) «المواهب اللدنية» (١/ ٥٥).

٥٧٤٢ ـ [٤] وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنَا أَكْثَرُ الأَنْبِيَاءِ تَبَعاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الجَنَّةِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ١٩٦].

٥٧٤٣ ـ [٥] وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ. فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ أَنْ لاَ أَفْتَحَ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ١٩٧].

٥٧٤٢ ـ [٤] (أنس) قوله: (أنا أكثر الأنبياء تبعاً) في (القاموس)[١]: التبع محركة يكون واحداً وجمعاً، ويجمع على أتباع، وكأنه مثل ولد يطلق على الواحد والجمع، ويجمع على أولاد، كذا في (القاموس)[٢]، والتبع يكون مصدراً أيضاً، تبعه ـ كفرح ـ تبعاً وتباعة: مشى خلفه، والمآل واحد، فإذا كثر الأتباع كثرت التبعية أيضاً.

وقوله: (وأنا أول من يقرع باب الجنة) كناية عن كونه أول من يدخل الجنة، ويبينه الحديث الآتي.

٥٧٤٣ ـ [٥] (وعنه) قوله: (بك أمرت) وقال الطيبي[٣]: الباء للسببية، أي: بسببك أمرت بأن لا أفتح، ويجوز أن يكون صلة (أمرت) و(أن لا أفتح) بدل من الضمير، انتهى. وهذا ظاهر، وأقول: يجوز أن يكون للقسم، أي: بحياتك وذاتك وجمالك وكمالك أقسم، فافهم. فإنه لذيذ على ذائقة لسان المحبة.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٦٥٠).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٣٠٩).

(٣) «شرح الطيبي» (١٠/ ٣٣٩).

٥٧٤٤ ـ [٦] وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنَـا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الْجَنَّةِ لَمْ يُصَدَّقْ نَبِـيٌّ مِنَ الأَنْبِـيَاءِ مَا صُدِّقْتُ، وَإِنَّ مِنَ الأَنْبِـيَاءِ نَبِـيًّا مَا صَدَّقَهُ مِنْ أُمَّتِهِ إِلاَّ رَجُلٌ وَاحِدٌ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ١٩٦].

٥٧٤٥ ـ [٧] وَعَنْ أَبِـي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَثَلِي وَمَثَلُ الأَنْبِـيَاءِ كَمَثَلِ قَصْرٍ أُحْسِنَ بُنْيَانُهُ تُرِكَ مِنْهُ مَوْضِـعُ لَبِـنَةٍ، فَطَافَ بِـهِ النُّظَّارُ، يَتَعَجَّبُوْنَ مِنْ حُسْنِ بُنْيَانِهِ إِلاَّ مَوْضِـعَ تِلْكَ اللَّبِـنَةِ، فَكُنْتُ أَنَا سَدَدْتُ مَوْضِـعَ اللَّبِـنَةِ، خُتِمَ بِيَ الْبُنْيَانُ، وَخُتِمَ بِيَ الرُّسُلُ». وَفِي رِوَايَةٍ: «فَأَنَا اللَّبِـنَةُ وَأَنَـا خَاتَمُ النَّبِـيِّينَ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٥٣٤، م: ٢٢٨٧].

٥٧٤٦ ـ [٨] وَعَنْـهُ قَالَ: قَـالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَـا مِنَ الأَنْبِـيَاءِ مِنْ نَبِـيٍّ ....

٥٧٤٤ ـ [٦] (وعنه) قوله: (أنا أول شفيع في الجنة) قيل: (في) تعليلية، أي: لدخولها، وقيل: ظرفية، أي: أشفع في الجنة لرفع درجات الناس.

وقوله: (ما صدقت) كلمة (ما) مصدريـة، أي: مقدار تصديـق أمتي إياي، أو كالتصديق بي، فعلى الأول: المقصود بيان كثرة الأمة، وعلى الثاني: بيان قوة إيمانهم وزيادة محبتهم وعقيدتهم برسولهم ﷺ وثباتهم علـى الديـن، وعلـى المعنيين يحمل قوله: (كنتم خير أمة)، والمعنى الأول أنسب بسياق الحديث، ولكنه لا ينافي الثاني.

٥٧٤٥ ـ [٧] (أبو هريرة) قوله: (أحسن) بلفظ المجهول من الإحسان. و(اللبنة) بفتح اللام وكسر الباء، ويقال: بكسر اللام وسكون الباء.

وقوله: (إلا موضع) استثناء منقطع، أو متصل بتقدير يتعجبون من مواضع.

٥٧٤٦ ـ [٨] (وعنه) قوله: (ما من الأنبياء من نبي) (من) الأولى بيانية والثانية

إلاَّ قَدْ أُعْطِيَ مِنَ الآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْياً أَوْحَى اللهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٤٩٨١، م: ١٥٢].

زائدة كما تزاد بعد النفي.

وقوله: (**إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر**) قالوا: المقصود بيان أن كل نبي أعطي من المعجزات، وأيد بما إذا شوهد آمن به من شاهده من البشر، واضطر من الإيمان به؛ إذ لا بد لمن ادعى النبوة من ذلك حتى يظهر صدقه، والمراد (بمثله) ما كان على صفته في الإعجاز والدلالة على صدق النبي. وقوله: (عليه) لتضمين معنى الاطلاع، أي: آمن به مطلعاً عليه واقفاً عليه، أو معنى القهر والغلبة، أي: مغلوباً عليه في التحدي والمباراة.

ثم أشار إلى مزية ما أعطيه ﷺ من الآيات أي: معظمها، وقال: (**وإنما كان الذي أوتيت وحياً**) أوحاه الله تعالى، يعني القرآن العظيم الذي هو معجزة عظيمة يبقى ببقاء الدهور ويرشد العالمين إلى طريق الحق واليقين، ويكون شاهد صدق على نبوة سيد المرسلين إلى يوم القيامة، ولهذا قال: (**فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة**)، فإن قلت: قد أوحي إلى الأنبياء كلهم؟ قلت: ولكن لم يكن وحيهم معجزة، هذا وقد قيل في معنى الحديث: إن كل نبي أعطي من المعجزات ما كان مثله لمن كان قبله من الأنبياء، وأما معجزتي العظيمة الظاهرة مما لم يعط أحد مثله، ولهذا أكون أكثرهم تبعاً، وهذا المعنى لعله يكون أقرب وأظهر بالنظر إلى ظاهر العبارة، ولكن التقرير الأول أجود، وعليه أكثر الشارحين، والله أعلم.

٥٧٤٧ ـ [٩] وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أُعْطِيتُ خَمْساً لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاةُ فَلْيُصَلِّ، وأُحِلَّتْ لِي الْمَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، . . . .

٥٧٤٧ ـ [٩] (جابر) قوله: (**نصرت بالرعب**) أي: نصرني الله تعالى بإلقاء خوف في قلوب أعدائي من مسيرة شهر بيني وبينهم، ولعلك يخطر ببالك أنه قد يقع من بعض الملوك والسلاطين الرعب في قلوب الأعداء أكثر من ذلك؟ قلت: والمراد: النصر بالرعب، لا الرعب نفسه، على أن التخصيص هنا بالنسبة إلى الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وأما أمر الجبابرة فأمر آخر، وشيء ليس مبحوثاً عنه ومنظوراً إليه.

وقوله: (**وجعلت لي الأرض مسجداً**) والمشهور في معناه إباحة الصلاة لهذه الأمة حيث أدركتهم الصلاة من الأرض، وعدم إباحتها للأمم الماضية إلا في كنائسهم، وقيل: المراد أنهم كانوا لا يصلون إلا فيما تيقنوا طهارته من الأرض، وخصصنا بجواز الصلاة في جميع الأرض إلا فيما تيقنا بنجاسته.

وقوله: (**فأيّما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل**) الظاهر أنه متفرع على جعله مسجداً، إلا أن يراد: أدركته الصلاة ولم يجد الماء فليصل ثمة بالتيمم، فيكون متفرعاً على كلا الخصلتين.

وقوله: (**ولم تحل لأحد قبلي**) قيل: إذا غنم من قبلنا من الأمم الحيوانات يكون ملكاً للغانمين دون الأنبياء، فخص نبينا ﷺ بأخذ الخمس والصفي، وإذا غنموا غير الحيوانات جمعوه فتأتي نار فتحرقه، كذا في بعض الشروح.

وقوله: (**وأعطيت الشفاعة**) أي: الشفاعة العظمى العامة لجميع محال الشفاعة،

وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٣٥، م: ٥٢١].

٥٧٤٨ ـ [١٠] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «فُضِّلْتُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً، ....

كما مر في (باب الشفاعة)، أو المراد فتح باب الشفاعة.

٥٧٤٨ ـ [١٠] (أبو هريرة) قوله: (فضلت) بلفظ المجهول من التفضيل.

وقوله: (بست) يحتمل أنه ﷺ أوحي إليه التفضيل أولاً بخمس فأخبر بذلك، ثم زيد، ويحتمل أن يكون الراوي قد ترك السادس في حديث جابر نسياناً أو بشيء آخر يتعلق به الغرض، والكرماني يقول في أمثال هذه المواضع: إن الزائد من العدد لا ينافي الأقل، والحق أنه ﷺ قد خص بفضائل كثيرة لا تعد ولا تحصى، ذكر في كل موضع ما اتفق ذكره، ولم يقصد الحصر.

وقوله: (جوامع الكلم) أي: الكلم التي هي جامعة في المعنى للكلمات الكثيرة، إطلاقاً للكلمة على الكلام، فإنه ﷺ كان يتكلم بكلام يشتمل بإيجازه على كثير من المعاني، وهذا من خواص الحضرة الخاتمية المحمدية كقوله: (إنما الأعمال بالنيات).

وقوله: (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه). وقوله: (الدين النصيحة)، وأمثال ذلك، ومنه جوامع الدعاء، وقد تصدى بعض العلماء لجمع أمثال هذه الأحاديث، وهي غير محصورة، وقيل: يعني به القرآن، جمع الله تعالى فيه معاني كثيرة في ألفاظ يسيرة، والمعنى الأول أظهر، ويؤيده ما زيد في رواية: (اختصر لي الكلام).

وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٧٢٣].

وقوله: (**وأرسلت إلى الخلق كافة**) قيل: لم يكن في زمن نوح ﷺ نبي فيكون مبعوثاً إلى أهل ذلك الزمان كافة، وأيضاً دعا على جميع من في الأرض بإهلاكهم بالغرق، وهو دليل على أنه كان مبعوثاً إليهم، ولم يمتثلوا أمره، وسليمان ﷺ كان يسير في الأرض، ويأمر الناس بالإسلام كالبلقيس وغيرها، ويهددهم بالقتال، وذلك دليل على عموم الرسالة، وأجيب بأن عموم رسالة نوح لم يكن من أصل البعثة بل إنما اتفق بالحادث، وهو انحصار الخلق في الموجودين بعد هلاك سائر الناس، وأما دعاؤه على جميع من في الأرض فمن جهة أن دعوته قومه إلى التوحيد بلغ سائر الناس بطول مدته، فتمادوا على الشرك فاستحقوا العذاب، ذكره ابن عطية.

وقال ابن دقيق العيد: يجوز أن يكون التوحيد عامًّا في بعض الأنبياء، والتزام فروع شريعته لم يكن عامًّا، ويحتمل أنه لم يكن في الأرض عند إرساله إلا قومه، فبعثته خاصة بهم لكونها إلى قومه، وهي عامة في الصورة لعدم وجود غيرهم، ولكن إن اتفق وجود غيرهم لم يكن مبعوثاً إليهم.

ونقل عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام في الحديث عن الإشكال بحال سليمان أنه قال: معنى الرسالة خاصة، أي: في الواجبات والمحرمات، أما في المندوبات فهم مأمورون بها، وأما التهديد بالقتال الذي هو من خصائص الواجب في بادي الرأي فلا نقول: إنه من خصائصه بل العقاب في الدار الآخرة، كذا نقل عن السيوطي في حاشيته على النسائي[١].

وقيل: يحتمل أن يقال: إن تهديد بلقيس وقتاله مع الناس على التوحيد لأجل

---

(١) «حاشية السيوطي على النسائي» (١/ ٢١١).

٥٧٤٩ ـ [١١] وَعَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وبَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي أُوتِيتُ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الأَرْضِ فَوُضِعَتْ فِي يَدِي». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٧٢٧٣، م: ٥٢٣].

٥٧٥٠ ـ [١٢] وَعَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ زَوَى لِيَ الأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ: الأَحْمَرَ وَالأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لأُمَّتِي أَنْ لاَ يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لاَ يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وإِنَّ ربِّي قَالَ: يَا محمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لاَ يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لأُمَّتِكَ أَنْ لاَ أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، . . . .

ملكيته لكونه ملكاً على الدنيا، لا لأجل رسالته وبعثته على الناس كافة، فلا إشكال، كذا نقل عن الشيخ، فتدبر.

٥٧٤٩ ـ [١١] (أبو هريرة) قوله: (بمفاتيح خزائن الأرض) أراد ما يفتح الله على أمته من البلاد شرقاً وغرباً، واستخراج خزائن الأرض والدفائن، أو المراد معادن الأرض فيها من الذهب والفضة.

٥٧٥٠ ـ [١٢] (ثوبان) قوله: (إن الله زوى لي الأرض) أي: جمعها وقبضها.

وقوله: (وأعطيت الكنزين) أي: الأحمر والأبيض، قالوا: المراد بالأحمر: خزائن الأكاسرة لأن الغالب عليها الذهب، وبالأبيض: خزائن القياصرة لكون الغالب عليها الفضة، وقيل: أراد بالأحمر: ملك الشام لحمرة ألوانهم، وبالأبيض: ملك الفارس لبياض ألوانهم، والمعنى الأول أظهر.

وقوله: (بسنة عامة) أي: بقحط عام يهلك الكل.

وأنْ لاَ أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضاً، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضاً». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٨٨٩].

٥٧٥١ ـ [١٣] وَعَنْ سَعْدٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ بِمَسْجِدِ بَنِي مُعَاوِيَةَ، دَخَلَ فَرَكَعَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، وَصَلَّيْنَا مَعَهُ، وَدَعَا رَبَّهُ طَوِيلاً، ثُمَّ انْصَرَفَ فَقَالَ: «سَأَلْتُ رَبِّي ثَلاَثاً، فَأَعْطَانِي ثِنْتَيْنِ، وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً، سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ لاَ يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ فَأَعْطَانِيهَا، ....

وقوله: (فيستبيح بيضتهم) البيضة: حوزة كل شيء وساحة القوم، وبيضة الدار: وسطها ومعظمها، وقيل: أراد إذا أهلك أصل البيضة كان هلاك ما فيها من طعم أو فرخ، وقيل: أراد بالبيضة الخوذة، فكأنه شبه مكان اجتماعهم ببيضة الحديد، وبيضة الرجل: أهله وعشيرته، كذا في (مختصر النهاية)(١)، أراد عدوًّا يستأصلهم ويجمعهم بأجمعهم.

وقوله: (ولو اجتمع) (لو) متصلة. وقوله: (بأقطارها) أي: جوانب الأرض ونواحيها، والضمير في (بعضهم) للأمة، يعني: لا يكون لمن سواهم من الكفار عليهم تسلط وغلبة، ولكن يقاتلون بينهم ويحاربون، هكذا جرى قضاء الله وقدره كما قرره بقوله: (وإني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد).

٥٧٥١ ـ [١٣] (سعد) قوله: (مر بمسجد بني معاوية) هو بالمدينة، وبنو معاوية بطن من الأنصار. وقوله: (دخل) بغير عاطف على سبيل الاستئناف،

---

(١) انظر: «النهاية» (١/ ١٧٢).

وَسَأَلْتُـهُ أَنْ لاَ يُهْلِكَ أُمَّتِـي بِالْغَرَقِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُـهُ أَنْ لاَ يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ فَمَنَعَنِيهَا». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٨٩٠].

٥٧٥٢ ـ [١٤] وَعَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: لَقِيتُ عَبْدَاللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي التَّوْرَاةِ، قَالَ: أَجَلْ، وَاللهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥] ....

و(الغرق) بسكون الراء وفتحها، والمراد بالسنة والغرق: العام منهما.

وقوله: (فمنعنيها) أي: لم يجب ولم يعطني سؤلي، وفي إجابة كل دعاء من الأنبياء كلام ذكر في موضعه، وذكرت بعضه في رسالة عموم البشارة.

٥٧٥٢، ٥٧٥٣ ـ [١٤، ١٥] (عطاء بن يسار) قوله: (قال: أجل) بفتح الهمزة وبالجيم من حروف الإيجاب بمعنى: نعم، والنحاة حكموا بأنه يجيء لتصديق الخبر كما قيل: زيد عالم فنقول: أجل، وقال بعضهم: قد يجيء بعد الاستفهام أيضاً.

قال في (القاموس)[1]: أجل: جواب كنعم، إلا أنه في الخبر أحسن منه في الاستفهام، وفي الحديث وقع جواباً للأمر على لسان عبدالله بن عمرو، فإنه كان ﷺ من الفصحاء وممن يوثق بعربيتهم، فهو حجة على النحويين، ولعلهم لم يطلعوا على ذلك، وعلى تقدير ثبوت عدم مجيئه بعد الأمر يأول بالاستفهام بمعنى: هل وجدت صفة رسول الله ﷺ في التوراة، وقد غيّر بعض المتأخرين من النحاة في أمثال ذلك

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٨٨٤).

وحِرْزاً للأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلاَ غَلِيظٍ، وَلاَ سَخَّابٍ فِي الأَسْوَاقِ، وَلاَ يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، . . . . .

قواعدهم وخصصوها كما ذكرنا في مواضعها، والله أعلم.

وقوله: (**حرزاً للأميين**) الحرز بكسر الحاء وسكون الراء المهملتين آخره زاء: العوذة والموضع الحصين، والمراد بالأميين: العرب؛ لأن الغالب فيهم عدم القراءة والكتابة، أو لأنهم منسوبون إلى أم القرى، وهي اسم مكة، والتخصيص بهم لبعثته ﷺ فيهم، وتحصنهم به عن سطوة العجم، وإن أريد التحصن عن غوائل الشيطان وآفات النفس فهو شامل للناس كلهم، وقيل: يجوز أن يكون حفظ قومه من الاستئصال أو من العذاب ما دام فيهم كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾[الأنفال: ٣٣].

وقوله: (**ليس بفظ**) حال من (المتوكل) أو من الكاف ففيه التفات، وهذا مذكور في القرآن بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ إلى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾[آل عمران: ١٥٩]، والفظ بالفتح: الغليظ الجانب، السيء الخلق، القاسي الخشن الكلام، كذا في (القاموس)(١).

و(**السخب**) بالسين والصاد محركة: شدة الصوت، سخب كفرح، فهو سخاب وسخوب وسخبان، أي: لا يرفع الصوت على الناس بسوء خلقه، ولا يكثر الصياح بل يرفق بهم، وإنما قال: (**في الأسواق**)؛ لأن السخب يكون فيها غالباً، والسخاب في معنى (الفظ) فنفيه نفيه فهو أيضاً مذكور في القرآن.

وقوله: (**لا يدفع بالسيئة السيئة**) أي: لا يسيء لمن أساء إليه في حق نفسه، وهو

---

(١) «القاموس» (ص: ٦٤٣).

وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ بِأَنْ يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُناً عُمْياً وَآذَاناً صُمًّا وَقُلُوباً غُلْفاً. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٢١٢٥].

٥٧٥٣ ـ [١٥] وَكَذَا الدَّارِمِيُّ عَنْ عَطَاءٍ عَنِ ابْنِ سَلاَمٍ نَحْوَهُ، وَذُكِرَ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ: «نَحْنُ الآخِرُونَ» فِي «بَابِ الْجُمُعَةِ». [دي: ١/ ١٥٧، ح: ٦].

مذكور في القرآن بقوله تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ﴾[المؤمنون: ٩٦]، وكذلك العفو والمغفرة بقوله: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ﴾[المائدة: ١٣]؛ لأن كل ما أمر به رسول الله ﷺ كان ممتثلاً به.

وقوله: (**ولن يقبضه الله**) ليس في نسخ (المصابيح) و(المشكاة) لفظ الجلالة، وهو مذكور في (المواهب اللدنية).

وقوله: (**حتى يقيم به**) أي: يجعل مستقيماً (**الملة العوجاء**) من العوج بكسر العين وفتح الواو، ويقال في كل منتصب كالحائط والعصا: فيه عوج بالفتح، وفي نحو الأرض والدين بالكسر، والمراد بالملة العوجاء: الكفر؛ لأنه ملة معوجة لا استقامة لها، وقيل: أراد به ملة إبراهيم غيرتها العرب وبدلتها وأخرجتها عن نهج الاستقامة.

وقوله: (**يفتح بها**) أي: بهذه الكلمة. و(**الغلف**) بالضم أو السكون جمع أغلف، يقال: قلب أغلف كأنما أغشي غلافاً فهو لا يعي، ورجل أغلف بين الغلف، والغلاف ككتاب معروف، وجمعه غلفة بضمة وبضمتين، وكركع، وغلف القارورة: جعلها في غلاف، كغلفها تغليفاً.

اعلم أنه قد ذكرت صفاته وأسماؤه ومكانه وسائر أحواله في التوراة وسائر الكتب

* الْفَصْلُ الثَّانِي:

٥٧٥٤ ـ [١٦] عَنْ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلاَةً فَأَطَالَهَا، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! صلَّيتَ صَلاَةً لَمْ تَكُنْ تُصَلِّيهَا، قَالَ: «أَجَلْ، إِنَّهَا صَلاَةُ رَغْبَةٍ وَرَهْبَةٍ، وَإِنِّي سَأَلْتُ اللهَ فِيهَا ثَلاَثاً، فَأَعْطَانِي اثْنَتَيْنِ وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً؛ سَأَلْتُهُ أَنْ لاَ يُهْلِكَ أُمَّتِي بِسَنَةٍ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لاَ يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لاَ يُذِيقَ بَعْضَهُمْ بَأْسَ بَعْضٍ فَمَنَعَنِيهَا». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ. [ت: ٢١٧٥، ن: ١٦٣٨].

٥٧٥٥ ـ [١٧] وَعَنْ أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ ﷻ أَجَارَكُمْ مِنْ ثَلاَثِ خِلاَلٍ: أَنْ لاَ يَدْعُوَ عَلَيْكُمْ نَبِيُّكُمْ فَتَهْلَكُوا جَمِيعاً، . . . .

المتقدمة بحيث لا يبقى للريب فيها احتمال ومجال، وقد تكفل ببيانها (كتاب الوفاء) لابن الجوزي وغيره، وبالله التوفيق.

الفصل الثاني

٥٧٥٤ ـ [١٦] (خباب بن الأرت) قوله: (عن خباب) بفتح الخاء المعجمة وتشديد الموحدة الأولى (ابن الأرت) بفتح الهمزة والراء، وتشديد المثناة. (والرغبة والرهبة) بسكون الغين والهاء.

وقوله: (أن لا يذيق) الضمير لله سبحانه، و(البأس) العذاب والشدة في الحرب، يعني: لا يحاربون ولا يقاتلون فيما بينهم.

٥٧٥٥ ـ [١٧] (أبو مالك الأشعري) قوله: (أجاركم) أي: أنقذكم. و(الخلال)

وَأَنْ لاَ يُظْهِرَ أَهْلَ الْبَاطِلِ عَلَى أَهْلِ الْحَقِّ، وَأَن لاَ تَجْتَمِعُوا عَلَى ضَلاَلَةٍ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٤٢٥٣].

٥٧٥٦ ـ [١٨] وَعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَـنْ يَجْمَعَ اللهُ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ سَيْفَيْنِ: سَيْفاً مِنْهَا وسَيفاً مِنْ عَدُوِّهَا». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٤٣٠١].

بالكسر: جمع خلة بالفتح بمعنى الخصلة، وحروف النفي زائدة، كما في قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾[الأعراف: ١٢]، وزيادتها لرعاية معنى النفي في (أجار) وتأكيد له، والمراد بعدم ظهور أهل الباطل على أهل الحق غلبتهم بحيث يمحق الحق ويطفئ نوره مطلقاً، ولم يكن ذلك قطعاً ولن يكون أبداً، فالدين قائم وإن تسلط أعداؤه وقتاً خذلهم الله ونصر الدين وأهله.

وقوله: (أن لا تجتمعوا على ضلالة) كقوله: (لن تجتمع أمتي على الضلالة)، وهو دليل على حجة الإجماع.

٥٧٥٦ ـ [١٨] (عوف بن مالك) قوله: (سيفاً منها وسيفاً من عدوها) قال التُّورِبِشْتِي[1]: معناه أن السيفين لا يجتمعان فيقع بهما الاستئصال، لكن إذا جعلوا بأسهم بينهم سلط عليهم العدو وكف عن أنفسهم بأسهم، وقال الطيبي[2]: الظاهر أن يقال: إنه تعالى وعدني أن لا يجمع أبداً على أمتي محاربين معاً بل تكون إحداهما، فإذا كانت إحداهما لا تكون الأخرى، فافهم.

---

(١) انظر: «كتاب الميسر» (٤/ ١٢٤٦)، و«مرقاة المفاتيح» (٩/ ٣٦٨٣).

(٢) «شرح الطيبي» (١٠/ ٣٥١).

٥٧٥٧ ـ [١٩] وَعَنِ الْعَبَّاسِ أَنَّهُ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَكَأَنَّهُ سَمِعَ شَيْئاً، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ: «مَنْ أَنَا؟» فَقَالُوا: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، فَقَالَ: «أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِاللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، إِنَّ اللهَ خَلَقَ الْخَلْقَ فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمْ، ثمَّ جَعَلَهُمْ فِرْقَتَيْنِ فجعلني فِي خَيْرِهِم فِرْقَةً، ثُمَّ جَعَلَهُمْ قَبَائِلَ فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمْ قَبِيْلَةً، ثُمَّ جَعَلَهُمْ بُيُوتاً فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمْ بَيْتاً، فَأَنَا خَيْرُهُمْ نَفْساً وَخَيْرُهُمْ بَيْتاً». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٦٠٧].

٥٧٥٨ ـ [٢٠] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! مَتَى وَجَبَتْ لَكَ النُّبُوَّةُ؟ قَالَ: «وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ». . . . .

٥٧٥٧ ـ [١٩] (العباس) قوله: (فكأنه سمع شيئاً) أي: جاء العباس غضبان بسبب ما سمع طعناً من الكفار في رسول الله ﷺ، وفي استحقاقه النبوة دون غيره من عظماء العرب، فأرشدهم ﷺ إلى ما يستلزم من تعظيمه، وأنه أولى بهذا من العرب؛ لأن نسبه أعرف، وفيه أن النبي إنما يكون ذا نسب عظيم في قومه، كما علم من حديث هرقل، وهذا تفهيم له على سبيل التبكيت وإلا فالنبوة فضل من الله يختص به من يشاء، كما قال: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

وقوله: (إن الله خلق الخلق) أي: الملائكة والثقلين.

وقوله: (فجعلني في خيرهم) أي: في الإنس، ففيه فضل البشر على الخلق، ويحتمل أن يكون المراد بالخلق الجن والإنس، والأول أظهر؛ لأن الخلق اسم للكل فلا وجه للتخصيص، والمراد (بالفرقتين): العجم والعرب، وخير الفرقتين العرب، المراد بـ (خيرهم قبيلة) قريش، والمراد بـ (خيرهم بيتاً) هاشم وبنوه، كذا قالوا.

٥٧٥٨ ـ [٢٠] (أبو هريرة) قوله: (قال: وآدم بين الروح والجسد) أي: ثبت

رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٦٠٩].

٥٧٥٩ - [٢١] وَعَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنِّي عِنْدَ اللهِ مَكْتُوبٌ: خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ، وَسَأُخْبِرُكُمْ بِأَوَّلِ أَمْرِي، دَعْوَةُ إِبْرَاهِيمَ، وَبَشَارَةُ عِيسَى، . . . .

نبوتي في حال أن آدم صورة بلا روح، أي: قبل تعلق روحه بجسده، والمراد السبق والتقدم.

٥٧٥٩، ٥٧٦٠ - [٢١، ٢٢] (العرباض بن سارية، وأبو أمامة).

قوله: **(وعن العرباض)** بكسر العين المهملة والباء الموحدة في آخره ضاد معجمة.

وقوله: **(وإن آدم لمنجدل)** أي: مطروح في الأرض، والجدل مطاوع جدله، أي: صرع على الجدالة، وهي الأرض، و(الطينة): قطعة من الطين، ويجيء بمعنى الخلقة والجبلة، وقد اشتهر على الألسنة: (كنت نبيًّا وآدم بين الماء والطين)، ومحصل معناه ما ذكره، وقال الشيخ محمد السخاوي في (المقاصد الحسنة)[1]: لم نقف عليه بهذا اللفظ، وقد جاء في رواية: (كتبت نبيًّا) من الكتابة، والمراد إظهار نبوته ﷺ قبل وجوده العنصري في الملائكة والأرواح، وإعلامهم بذلك كما ورد كتابة اسمه الشريف على العرش، والسموات، وقصور الجنة، وغرفها، وعلى نحور الحور العين، وعلى ورق قصب آجام الجنة، وعلى ورق شجرة طوبى، وعلى ورق سدرة المنتهى، وعلى أطراف الحجب، وبين أعين الملائكة، وقد ذكر في (الشفا) وغيره في كتابة اسمه عجائب قدرة الله سبحانه، وإلا فعلم الله بذلك وتقديره في المستقبل لا يختص به ﷺ، ويشترك

---

(١) «المقاصد الحسنة» (١/ ٥٢١).

وَرُؤْيَا أُمِّي الَّتِي رَأَتْ حِينَ وَضَعَتْنِي وَقَدْ خَرَجَ لَهَا نُورٌ أَضَاءَ لَهَا مِنْهُ قُصُورُ الشَّامِ». رَوَاهُ فِي «شَرْحِ السُّنَّةِ». [شرح السنة: ٣٦٢٦].

٥٧٦٠ ـ [٢٢] وَرَوَاهُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ مِنْ قَوْلِهِ: «سَأُخْبِرُكُمْ» إِلَى آخِرِهِ. [حم: ٤/ ١٢٧].

٥٧٦١ ـ [٢٣] وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ فَخْرَ، ....

فيه جميع الأنبياء سلام الله عليهم أجمعين، وقال بعض العارفين: إن روحه الشريفة كانت نبيًّا في عالم الأرواح مربياً لها، وقد ثبت أن الله خلق الأرواح قبل الأجساد، والله أعلم بحقيقة الحال.

والمراد بدعوة إبراهيم قوله: ﴿وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ﴾[البقرة: ١٢٩]، وببشارة عيسى عليه السلام قوله: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾[الصف: ٦]، وإنما ذكره عيسى بأحمد؛ لأن اسمه ﷺ في السماء أحمد، وقد كان عيسى عليه السلام سماويًّا في عاقبة أمره، ولعله كذلك ذكر في كتابه الإنجيل، هذا ما يسنح لي ولم أره في الكتب، والله أعلم.

وقوله: (التي رأت حين وضعتني) صفة (رؤيا)، وظاهر هذا الكلام أن رؤية نور أضاء به قصور الشام كانت في المنام، وقد جاءت الأخبار أنها كانت في اليقظة، وأما الذي رأت في المنام فهو أنها رأت: أنه أتاها آت فقال لها: هل شعرت أنك حملت بسيد هذه الأمة نبيِّها، فينبغي أن تحمل الرؤيا على الرؤية بالعين في اليقظة، والله أعلم.

٥٧٦١ ـ [٢٣] (أبو سعيد) قوله: (ولا فخر) أي: لا أقوله تبجحاً وافتخاراً، ولكن شكراً لله وتحدثاً بنعمته المأمور به بقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[الضحى: ١١]،

. . . .

وأداءً لما وجب عليه تبليغه إلى أمته ليعرفوه، ويعتقدوه، ويعملوا بمقتضاه في توقيره، ومحبته، والإيمان به على حسبه، كما أمرهم الله تعالى، والفخر ادعاء العظم والكبر والشرف، وكان ﷺ يحب مدحه والثناء عليه لما أن ذلك صدق لا يشوبه كذب قطعاً، وكان يقول: إن الله يؤيد حساناً بروح القدس ما دام ينافح عن رسول الله ﷺ، ويضع له منبراً يقوم عليه.

ولبعض الأولياء العارفين من أمته قدوة وأسوة حسنة به ﷺ، ولذلك قال الشيخ ابن عطاء الله الإسكندري في (كتاب الحكم): الزهاد إذا مدحوا انقبضوا لشهودهم الثناء من الخلق، والعارفون إذا مدحوا انبسطوا لشهودهم ذلك من الملك الحق، وفي شرحه لابن عباد رحمه الله: كان بعضهم يمدح وهو ساكت، فقيل له في ذلك، فقال: وما عليَّ من ذلك، ولست أغلط في نفسي بل لست في البين والمجري والمنشئ هو الله، وقيل: هذا المعنى في الخبر المروي: (إذا مدح المؤمن ربا الإيمان في قلبه)[١].

وقال الشيخ أبو طالب المكي رحمه الله[٢]: وفيه طريق العارفين أن يعلو الإيمان العلي إلى المولى الأعلى، فيفرح بذلك لمولاه ويضيفه إلى وصفه ولا يعجب بنفسه، وبهذا النظر الجمعي استقام لهم من مدحهم لأنفسهم، وثنائهم عليها ما لم يستقم لغيرهم، كما وقع لجماعة منهم، وقد روي في ذلك عن سيدي الشيخ عبد القادر الجيلاني، وسيدي أبي الحسن الشاذلي، وسيدي أبي العباس المرسي رحمهم الله وغيرهم غير شيء، وعلامة الصدق في حب المدح وإن كان صاحب هذا المقام لا يحتاج إلى علامة

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٦٥٣٥).

(٢) انظر: «قوت القلوب» (١/ ٢٩٣).

وَبِيَدِي لِوَاءُ الْحَمْدِ وَلاَ فَخْرَ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ يَوْمَئِذٍ آدَمُ فَمَنْ سِوَاهُ إِلاَّ تَحْتَ لِوَائِي، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ وَلاَ فَخْرَ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣١٤٨].

٥٧٦٢ ـ [٢٤] وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: جَلَسَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَخَرَجَ حَتَّى إِذَا دَنَا مِنْهُمْ سَمِعَهُمْ يَتَذَاكَرُونَ، قَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ اللهَ اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً، وَقَالَ آخَرُ: مُوسَى كَلَّمَهُ اللهُ تَكْلِيماً، وَقَالَ آخَرُ: فَعِيسَى كَلِمَةُ اللهِ وَرُوحُهُ. وَقَالَ آخَرُ: آدَمُ اصْطَفَاهُ اللهُ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَالَ: «قَدْ سَمِعْتُ كَلاَمَكُمْ وَعَجَبَكُمْ، إِنَّ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلُ اللهِ وَهُوَ كَذَلِكَ، وَمُوسَى نَجِيُّ اللهِ وَهُوَ كَذَلِكَ، . . . .

أن لا يكره ذم الناس له من حيث نسبه ذلك إليهم؛ لأنهم متصرفون في قبضة القدرة فيسمح لهم ويصفح عنهم، ولا يجد في قلبه عليهم شيئاً، انتهى.

وقوله: (**وبيدي لواء الحمد**) يريد به: شهرته وانفراده يوم القيامة بالحمد على رؤوس الخلائق، والعرب تضع اللواء موضع الشهرة، فله ﷺ نسبة خاصة بالحمد، فاسمه محمد وأحمد، وله المقام المحمود، وأمته الحمادون، يحمدون الله في السراء والضراء، وظاهر قوله: (**ما من نبي . . . إلخ**)، أنه يكون له ﷺ يوم القيامة لواء يسمى لواء الحمد، وقد مر في (باب الشفاعة) أن الله تعالى يعلِّمه حمداً يحمده به فيفتح باب الشفاعة.

٥٧٦٢ ـ [٢٤] (ابن عباس) قوله: (**وموسى نجي الله**) النجي كالغني: من تساره، والنجوى: السر، كذا في (القاموس)[1].

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١٢٢٧).

وَعِيْسَى رُوْحُهُ وَكَلِمَتُهُ وَهُوَ كَذَلِكَ، وَآدَمُ اصْطَفَاهُ اللهُ وَهُوَ كَذَلِكَ، أَلاَ وَأَنَا حَبِيبُ اللهِ وَلاَ فَخْرَ، وَأَنَا حَامِلُ لِوَاءِ الْحَمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، تَحْتَهُ آدَمُ فَمَنْ دُونَهُ وَلاَ فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ فَخْرَ، . . . . . .

وقوله: (ألا وأنا حبيب الله) وهو جامع للخلة والتكليم والاصطفاء والمناجاة مع شيء زائد لم يثبت لأحد، وهو كونه محبوب الله تعالى بالمحبة الخاصة التي هي من خواصه ﷺ، ولبعض العلماء في الفرق بين الخليل والحبيب عبارات ينبغي أن ننقلها شرحاً لصدور المؤمنين وتنويراً لقلوب العارفين، وقال: إن الخليل من الخلة، أي: الحاجة، فإبراهيم عليه الصلاة والسلام كانت حاجته وافتقاره إلى الله تعالى، فمن هذا الوجه اتخذه خليلاً، والحبيب فعيل بمعنى الفاعل أو المفعول فهو ﷺ محب ومحبوب.

والخليل محب لحاجته إلى من يحبه، والحبيب محب لا لغرض، والخليل يكون فعله برضى الله تعالى، والحبيب يكون فعل الله برضاه، قال الله تعالى: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَاۚ﴾[البقرة: ١٤٤]، ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾[الضحى: ٥].

والخليل لا يحب الاستعجال إلى لقاء حبيبه، كما قيل: إن ملك الموت جاء إلى قبض روح إبراهيم، وقال له: [هل رأيت خليلاً يميت خليله، فأوحى الله تعالى إليه قل له]: هل رأيت خليلاً يكره لقاء خليله. والحبيب يحب الاستعجال إلى لقاء حبيبه كما كان رسول الله ﷺ يقول في دعائه: (اللهم أسألك النظر إلى وجهك الكريم، والشوق إلى لقائك).

والخليل مغفرته في حد الطمع، كما قال إبراهيم: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾[الشعراء: ٨٢]، والحبيب مغفرته في حد اليقين من غير سؤال قال الله تعالى:

وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يُحَرِّكُ حَلَقَ الْجَنَّةِ فَيَفْتَحُ اللهُ لِي فَيُدْخِلُنِيهَا وَمَعِي فُقَرَاءُ الْمُؤْمِنِينَ وَلاَ فَخْرَ وَأَنَا أَكْرَمُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ عَلَى اللهِ وَلاَ فَخْرَ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالدَّارِمِيُّ. [ت: ٣٦١٦، دي: ٤٨].

٥٧٦٣ ـ [٢٥] وَعَنْ عَمْرِو بْنِ قَيْسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «نَحْنُ الآخِرُونَ، وَنَحْنُ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِنِّي قَائِلٌ قَوْلاً غَيْرَ فَخْرٍ: إِبْرَاهِيمُ خَلِيلُ اللهِ، ومُوسَى صَفِيُّ اللهِ، وَأَنَا حَبِيبُ اللهِ، وَمَعِي لِوَاءُ الْحَمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّ اللهَ وَعَدَنِي فِي أُمَّتِي، ....

﴿لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾ [الفتح: ٢].

والخليل قال: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ [الشعراء: ٨٧]، والحبيب قال له: ﴿لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ [التحريم: ٨].

والخليل قال: ﴿إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات: ٩٩]، والحبيب قال له: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ [الضحى: ٧].

والخليل قال: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤]، وقال للحبيب: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤].

والخليل قال: ﴿وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [الشعراء: ٨٥]، والحبيب قال له: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١] ﷺ على حبيبه وخليله وسائر النبيين وآل كل وسائر الصالحين.

وقوله: (**يحرك حلق الجنة**) جمع حلقة، وقد مر تحقيق هذا اللفظ في (كتاب الدعوات) في حديث: (إذا مررتم برياض الجنة)، الحديث.

٥٧٦٣ ـ [٢٥] (**عمرو بن قيس**) قوله: (**وإن الله وعدني**) أي: خيراً كثيراً، ولم

وَأَجَارَهُمْ مِنْ ثَلاَثٍ: لاَ يَعُمُّهُمْ بِسَنَةٍ، وَلاَ يَسْتَأْصِلُهُمْ عَدُوٌّ، وَلاَ يَجْمَعُهُمْ عَلَى ضَلاَلَةٍ». رَوَاهُ الدَّارِمِيُّ. [دي: ٥٥].

٥٧٦٤ ـ [٢٦] وَعَنْ جَابِرٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَنَا قَائِدُ الْمُرْسَلِينَ وَلاَ فَخْرَ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَلاَ فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَمُشَفَّعٍ وَلاَ فَخْرَ». رَوَاهُ الدَّارِمِيُّ. [دي: ٥٠].

٥٧٦٥ ـ [٢٧] وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ خُرُوجاً إِذَا بُعِثُوا، وَأَنَا قَائِدُهُمْ إِذَا وَفَدُوا، وَأَنَا خَطِيبُهُمْ إِذَا أَنْصَتُوا، وَأَنَا مُسْتَشْفِعُهُمْ..................................

يذكر للتعميم.

٥٧٦٤ ـ [٢٦] (جابر) قوله: (أنا قائد المرسلين) أي: مقدمهم، فإن القود يكون من قدام، والسوق من خلف.

٥٧٦٥ ـ [٢٧] (أنس) قوله: (إذا وفدوا) أي: جاؤوا إلى حضرة الله وحكمه.

وقوله: (وأنا خطيبهم إذا أنصتوا) أي: أنا المتكلم عنهم إذا سكتوا عن الاعتذار، أي: يكون لي قدرة على التكلم في ذلك اليوم فأعتذر عن الناس عند الرب تعالى، والأحسن أن يكون ذلك إشارة إلى سكوت الأنبياء عن الشفاعة، وعدم قدرتهم على التكلم، فيفتح هو ﷺ باب الشفاعة، ويحمد الله تعالى، ويثني عليه بما هو أهله، ويتكلم بالشفاعة.

وقوله: (وأنا مستشفعهم) يروى بفتح الفاء، أي: يطلب الناس مني الشفاعة إلى الله تعالى، استشفعته إليه، أي: طلبت منه أن يشفع إليه، وبكسرها أي: أسأل الله أن أشفع لهم إليه.

إِذَا حُبِسُوا، وَأَنَا مُبَشِّرُهُمْ إِذَا أَيِسُوا، الْكَرَامَةُ وَالْمَفَاتِيحُ يَوْمَئِذٍ بِيَدِي، وَلِوَاءُ الْحَمْدِ يَوْمَئِذٍ بِيَدِي، وَأَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَى رَبِّي، يَطُوفُ عَلَيَّ أَلْفُ خادِمٍ كأَنَّهُمْ بَيْضٌ مُكْنُونٌ أَوْ لُؤْلُؤٌ مَنْثُورٌ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالدَّارِمِيُّ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. [ت: ٣٦١١، دي: ٤٩].

وقوله: (**إذا حبسوا**) أي: في الموقف، وهو أول محال الشفاعة كما عرفت في (باب الشفاعة).

وقوله: (**الكرامة**) صحح بالرفع في أكثر النسخ فيكون مبتدأ، (**والمفاتيح**) أي: مفاتيح باب كل خير عطفاً عليه، وفي بعضها بالنصب، أي: إذا قنطوا من حصول الكرامة والرحمة.

وقوله: (**ألف خادم**) لعل المراد التكثير دون التحديد.

وقوله: (**كأنهم بيض مكنون**) قال البيضاوي[١] في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾[الصافات: ٤٩]: شبههن ببيض النعام المصون عن الغبار ونحوه في الصفاء والبياض المخلوط بأدنى صفرة، فإنه أحسن ألوان الأبدان، وفي (مجمع البحار)[٢]: بيض مكنون: أي لؤلؤ مصون عن الأيدي والأبصار.

وقال في شرح (**لؤلؤ منثور**): أي كأنهم في الحسن والصفاء مستورون في الصدف لم تمسه الأيدي، وفي الحواشي: (أو) للشك، وهو على المعنى الثاني أظهر.

---

(١) «تفسير البيضاوي» (٢/ ٢٩٤).

(٢) «مجمع بحار الأنوار» (٤/ ٤٥٠).

٥٧٦٦ ـ [٢٨] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «فَأُكْسَى حُلَّةً مِنْ حُلَلِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ أَقُومُ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْخَلَائِقِ يَقُومُ ذَلِكَ الْمَقَامَ غَيْرِي». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. وَفِي رِوَايَةِ «جَامِعِ الأُصُولِ» عَنهُ: «أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ فَأُكْسَى». [ت: ٣٦١١، جامع الأصول: ٦٣٢٨].

٥٧٦٧ ـ [٢٩] وَعَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «سَلُوا اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! وَمَا الْوَسِيلَةُ؟ قَالَ: «أَعْلَى دَرَجَةٍ فِي الْجَنَّةِ لَا يَنَالُهَا إِلَّا رَجُلٌ واحدٌ، وَ[1]أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٦١٢].

٥٧٦٨ ـ [٣٠] وَعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ كُنْتُ إِمَامَ النَّبِيِّينَ وَخَطِيبَهُمْ...........................

٥٧٦٦ ـ [٢٨] (أبو هريرة) قوله: (يقوم ذلك المقام غيري) لعله هو المقام المحمود.

٥٧٦٧ ـ [٢٩] (وعنه) قوله: (سلوا الله لي الوسيلة) وهي المذكورة في دعاء الأذان، وفسر معناه هنالك.

وقوله: (إلا رجل واحد) الإبهام للتواضع والأدب، وأما في قوله: (وأرجو) تأكيد للوقوع لأنه ﷺ لا يخيب رجاؤه.

٥٧٦٨ ـ [٣٠] (أبي بن كعب) قوله: (كنت إمام النبيين) بكسر الهمزة والفتح وإن وافقه حديث كونه قائد المرسلين، لكنهم قالوا: إنه خطأ.

---

(١) سقطت الواو في نسخة.

وَصَاحِبَ شَفَاعَتِهِمْ غيرَ فَخْرٍ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٦١٣].

٥٧٦٩ ـ [٣١] وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ وُلاَةً مِنَ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ وَلِيِّيَ أَبِي وَخَلِيلُ رَبِّي، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٨]. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢٩٩٥].

٥٧٧٠ ـ [٣٢] وَعَنْ جَابِرٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ بَعَثَنِي لِتَمَامِ مَكَارِمِ الأَخْلاَقِ، وَكَمَالِ مَحَاسِنِ الأَفْعَالِ». رَوَاهُ فِي «شَرْحِ السُّنَّةِ». [شرح السنة: ٣٦٢٣].

وقوله: (**وصاحب شفاعتهم**) أي: أكون من بينهم صاحب شفاعة مطلقة عامة.

٥٧٦٩ ـ [٣١] (**عبدالله بن مسعود**) قوله: (**إن لكل نبي ولاة من النبيين**) أي: أحباباً وأخلاء هم أولى وأقرب إليه من غيرهم، وظاهر الحديث يقتضي أن يكون لكل نبي أولياء متعددة، والمراد أن لكل نبي وليًّا على قصد التوزيع.

وقوله: (**وإن وليي أبي**) وهو إبراهيم عليه السلام.

وقوله: (**وخليل**) عطف تفسير له، وفي كتاب (المصابيح): (وإن وليي ربي وخليل ربي)، قال التُّورِبِشْتِي[1]: وهو غلط، ولعل الذي حَرَّفَ هذا دخل عليه الداخل من قوله سبحانه: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ١٩٦]، والرواية على ما ذكرنا وهو الصواب، وإدخال الواو لتغاير الوصفين.

٥٧٧٠ ـ [٣٢] (**جابر**) قوله: (**لتمام مكارم الأخلاق**) المكارم جمع مكرمة،

---

(١) «الميسر» (٤/ ١٢٤٨).

٥٧٧١ ـ [٣٣] وَعَنْ كَعْبٍ يَحْكِي عَنِ التَّوْرَاةِ قَالَ: نَجِدُ مَكْتُوباً: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ، عَبْدِي الْمُخْتَارُ، لاَ فَظٌّ وَلاَ غَلِيظٌ، وَلاَ سَخَّابٌ فِي الأَسْوَاقِ، وَلاَ يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ، وَهِجْرَتُهُ بِطَيبَةَ، وَمُلْكُهُ بِالشَّامِ، وَأُمَّتُهُ الْحَمَّادُونَ، يَحْمَدُونَ اللهَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، يَحْمَدُونَ اللهَ فِي كُلِّ مَنْزِلَةٍ، وَيُكَبِّرُونَهُ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ، رُعَاةٌ لِلشَّمْسِ، يُصَلُّونَ الصَّلاَةَ إِذَا جَاءَ وَقْتُهَا، . . . .

وهي خصلة مرضية يكرم الشخص بها، والمحاسن جمع حسن على غير قياس، والإضافة من باب جرد قطيفة.

٥٧٧١ ـ [٣٣] (كعب) قوله: (**وملكه بالشام**) قيل: أراد بالملك هنا: النبوة والدين، فإن ذلك يكون بالشام أغلب، وإلا فملكه في جميع الآفاق، وقيل: معناه الغزو والجهاد ثمة، ولهذا لا ينقطع الجهاد في بلاد الشام أصلاً، وأمر بالمسافرة إليها لإدراك فضيلة الجهاد.

وقوله: (**يحمدون الله في كل منزلة**) أي: في كل منزل، والتاء باعتبار البقعة أي: إذا نزلوا منزلة شكروا الله على أن آواهم وبوأهم، كذا نقل الطيبي[1]، وفي (الحواشي): أي في مكان أسفل، ويناسبه قوله: (**ويكبرونه على كل شرف**) أي: مكان عال كما هو السنة، وقد مر ذكره في (كتاب الدعوات والأذكار)، والحكمة فيه.

وقوله: (**رعاة**) بضم الراء: جمع راع، أي: يراقبون طلوع الشمس وغروبها

---

(١) «شرح الطيبي» (١٠/ ٣٦٤).

يَتَأَزَّرُونَ عَلَى أَنْصَافِهِمْ، وَيَتَوَضَّؤُونَ عَلَى أَطْرَافِهِمْ، مُنَادِيهِمْ يُنَادِي فِي جَوِّ السَّمَاءِ، صَفُّهُمْ فِي الْقِتَالِ وَصَفُّهُمْ فِي الصَّلَاةِ سَوَاءٌ، لَهُمْ بِاللَّيْلِ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ. هَذَا لَفْظُ «الْمَصَابِيحِ». وَرَوَى الدَّارِمِيُّ مَعَ تَغْيِيرٍ يَسِيرٍ. [دي: ١/ ١٥٦، ح: ٥].

٥٧٧٢ - [٣٤] وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ سَلَامٍ قَالَ: مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَاةِ صِفَةُ مُحَمَّدٍ، وَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يُدْفَنُ مَعَهُ، قَالَ أَبُو مَوْدُودٍ: وَقَدْ بَقِيَ فِي الْبَيْتِ مَوضِعُ قَبْرِهِ، رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٦١٧].

لمعرفة مواقيت الصلاة.

وقوله: (**يتأزرون على أنصافهم**) أي: يشدون الإزار على أوساطهم، أي: يشدون مقعده على السرة، والمراد المبالغة في ستر عوراتهم، ويجوز كون (على) بمعنى (إلى) أي: أزرهم إلى أنصاف سوقهم.

وقوله: (**ويتوضؤون على أطرافهم**) أي: يسبغون الوضوء، كذا فسروه.

وقوله: (**مناديهم ينادي في جو السماء**) أي: مؤذنهم ينادي في مواضع مرتفعة.

وقوله: (**دوي**) أي: أصوات خفية بالتسبيح، والتهليل، وقراءة القرآن، والذكر.

٥٧٧٢ - [٣٤] (عبدالله بن سلام) قوله: (عيسى ابن مريم يدفن معه) أي: ومكتوب هذا وهو أن عيسى ابن مريم يدفن معه، وهذا أحد تأويل قوله ﷺ: (أنا أولى بعيسى) كما مر، والله أعلم.

* الْفَصْلُ الثَّالِثُ:

٥٧٧٣ ـ [٣٥] عَنِ ابْنِ عبَّاسٍ قَالَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَى فَضَّلَ مُحَمَّداً ﷺ عَلَى الأَنْبِيَاءِ وَعَلَى أَهْلِ السَّمَاءِ، فَقَالُوا: يَا أَبَا عَبَّاسٍ! بِمَ فَضَّلَهُ اللهُ عَلَى أَهْلِ السَّمَاءِ؟ قَالَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ لأَهْلِ السَّمَاءِ: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٢٩]، وَقَالَ اللهُ تَعَالَى لِمُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ١ ـ ٢]، قَالُوا: وَمَا فَضْلُهُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ؟ قَالَ: قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ﴾ الآيَةَ [إبراهيم: ٤]، وَقَالَ اللهُ تَعَالَى لِمُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨]، فَأَرْسَلَهُ إِلَى الْجِنِّ وَالإِنْسِ.

الفصل الثالث

٥٧٧٣ ـ [٣٥] (ابن عباس) قوله: **(إن الله تعالى قال لأهل السماء . . . إلخ)**، وجه التفضيل صولة الخطاب وغلظته في مخاطبة أهل السماء وترتيب العذاب الشديد عليه، وملاطفته في الخطاب معه ﷺ، وإن ما صدر عنه أو يصدر مغفور.

وقوله: **(قال: قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾)** هذا كلام ابن عباس سلطان المفسرين صريح في أن المراد بعموم الرسل في هذه الآية غير نبينا ﷺ، وهو الذي يدل عليه صيغة المضي، فيرتفع الإشكال المشهور من توهم تخصيص رسالته ﷺ بالعرب، وهذا الكلام كثيراً ما كان يختلج في صدري فالآن ظفرت به من قبل ابن عباس، والحمد لله.

وقوله: **(فأرسله إلى الجن والإنس)** لأنه رسول الثقلين، وإنما خص في الآية

٥٧٧٤ ـ [٣٦] وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! كَيْفَ عَلِمْتَ أَنَّكَ نَبِيٌّ حَتَّى اسْتَيْقَنْتَ؟ فَقَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ! أَتَانِي مَلَكَانِ وَأَنَا بِبَعْضِ بَطْحَاءِ مَكَّةَ، فَوَقَعَ أَحَدُهُمَا عَلَى الأَرْضِ، وَكَانَ الآخَرُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: أَهُوَ هُوَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَزِنْهُ بِرَجُلٍ، فَوُزِنْتُ بِهِ فَوَزَنْتُهُ، ثُمَّ قَالَ: زِنْهُ بِعَشَرَةٍ، فَوُزِنْتُ بِهِمْ فَرَجَحْتُهُمْ، ثُمَّ قَالَ: زِنْهُ بِمِئَةٍ، فَوُزِنْتُ بِهِمْ فَرَجَحْتُهُمْ، ثُمَّ قَالَ: زِنْهُ بِأَلْفٍ، فَوُزِنْتُ بِهِمْ فَرَجَحْتُهُمْ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَنْتَثِرُونَ عَلَيَّ مِنْ خِفَّةِ الْمِيزَانِ. قَالَ: فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: لَوْ وَزَنْتَهُ بِأُمَّتِهِ لَرَجَحَهَا». رَوَاهُمَا الدَّارِمِيُّ. [دي: ١٩٣١، ح: ٤٧، ١/ ١٦٤، ح: ١٤].

بالناس للأصالة والغلبة، وقد علم في مواضع من القرآن دعوته ﷺ وإبلاغه الدين إياهم، هذا وقد يطلق الناس على ما يشمل الفريقين كما قيل في قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾[الناس: ٦] من جعله بياناً للناس، على أن المقصود من الآية بيان رفع اختصاص رسالته ببعض الناس كالعرب، لا بيان تخصيصه بالناس دون غيرهم، وقيل: الإرسال إلى الجن علم تبعاً، فافهم، والله أعلم.

٥٧٧٤ ـ [٣٦] (أبو ذر الغفاري) قوله: (حتى استيقنت) يفهم منه أن اليقين نهاية مراتب العلم، والعلم أعم منه.

وقوله: (أهو هو؟) هذا موضع الاستدلال، وحصول اليقين وما بعده تتمة له خصوصاً.

وقوله: (فوزنته) أي: رجحته.

وقوله: (ينتثرون) الضمير للألف الموزون، أي: يتساقطون عليّ من خفة تلك

٥٧٧٥ ـ [٣٧] وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كُتِبَ عَلَيَّ النَّحْرُ وَلَمْ يُكْتَبْ عَلَيْكُمْ، وَأُمِرْتُ بِصَلاَةِ الضُّحَى وَلَمْ تُؤْمَرُوا بِهَا». رَوَاهُ الدَّارَقُطْنِيُّ. [قط: ٤٧٥١].

❖ ❖ ❖

الكفة، وفي الحديث أن للرسول الله ﷺ استدلالاً بالخوارق على معرفة نبوته، والحق أن علمه بذلك ضروري واقع في القلب، وهذه مؤكدات ومؤيدات لذلك، على أن الغرض الأصلي من بيان ذلك تعريف الأمة وتعليمهم، والمقصود أنه حصل له العلم منذ ذلك اليوم، وهذا كما كان يسره ﷺ موافقته للتوراة، وكان يعجبه ﷺ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾[الأعلى: ١٨ ـ ١٩]، وموافقة تميم الداري بخبره بحال الدجال[١].

٥٧٧٥ ـ [٣٥] (ابن عباس) قوله: (كتب علي النحر) عنى به قوله ﷺ[٢]: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾[الكوثر: ٢]، قالوا: النحر كان واجباً على رسول الله ﷺ وإن لم يكن غنيًّا بخبر: (ثلاث كتبت عليَّ ولم تكتب عليكم: الضحى والأضحى والوتر)، كذا في شرح ابن الملك عن شرح (المشارق)، وقال الطيبي[٣]: لم يوجد في الأحاديث ما يدل على وجوب الضحى عليه ﷺ سوى هذا الحديث، والله أعلم.

---

(١) وزاد في (ع) بعد هذا: «مع الاستدلال، فافهم».

(٢) كذا في جميع النسخ المخطوطة، ولعل الصواب «قوله تعالى».

(٣) «شرح الطيبي» (١٠/ ٣٦٨).

٢ ـ باب أسماء النبي صلى الله عليه وسلم وصفاته

٢ ـ باب أسماء النبي ﷺ وصفاته

المراد بالأسماء ههنا: الأعلام، أعم من أن يكون اسماً أو لقباً أو كنية، واعلم أن الله تعالى سمى نبيه ﷺ بأسماء كثيرة في القرآن العظيم وغيره من الكتب السماوية وفي السنة، وعلى لسان الأنبياء عليهم السلام، ثم إن أشهر أسمائه ﷺ محمد، وبه سماه جده عبد المطلب، وذلك أنه لما قيل: ما سميت ولدك؟ قال: محمداً، فقيل له: كيف سميته باسم ليس لأحد من آبائك وقومك؟ فقال: لأني أرجو أن يحمده أهل الأرض كلهم. وفي رواية: أردت أن يحمده الله في السماء، ويحمده الناس في الأرض، ويروى أنه رأى عبد المطلب في المنام كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهره، لها طرف في السماء وطرف في المشرق وطرف في المغرب، ثم عادت كأنها شجرة على كل ورقة منها نور، وإذا أهل المشرق والمغرب كأنهم يتعلقون بها، فقصها فعبرت له بمولود يكون من صلبه، يتبعه أهل المشرق وأهل المغرب، ويحمده أهل السماء والأرض، فلذلك سماه محمداً مع ما حدثته به آمنة حين قال: إنك حملت بسيد هذه الأمة؛ فإذا وضعته فسميه محمداً.

وورد أنه لم يكن قبله ﷺ أحد مسمى بهذا الاسم، فلما أخبر أهل الكتاب بأنه سيبعث نبي آخر الزمان اسمه محمد سمى أربعة من الرجال أبناءهم محمداً طمعاً في النبوة، فلما كانت هذه التسمية بعد سماعهم اسمه ﷺ فكأنه كان بعده، وقد نقل عن الشيخ ابن حجر خلافاً في ذلك، وعد أشخاصاً اسمهم محمد، ولعله يكون بعد سماع اسمه ﷺ، والله أعلم.

وقال في (المواهب اللدنية)[١]: وقد جاءت من ألقابه ﷺ وأسمائه في القرآن

(١) «المواهب اللدنية» (١/ ٤٤٤).

. . . .

عدد كثير، وقد تعرض جماعة لتعدادها وبلغوا بها عدداً مخصوصاً، فمنهم من بلغ تسعة وتسعين موافقة لعدد أسماء الله الحسنى الورادة في الحديث، قال القاضي عياض: وقد خصه الله تعالى بأن سماه من أسمائه الحسنى بنحو من ثلاثين اسماً، وقال [ابن] دحية في كتابه (المستوفى): إذا فحص عن جملتها من الكتب المتقدمة والقرآن والحديث بلغ الثلاث مئة.

ورأيت[1] في كتاب (أحكام القرآن)[2] للقاضي أبي بكر بن العربي: قال بعض الصوفية: لله تعالى ألف اسم، وللنبي ﷺ ألف اسم، والمراد الأوصاف، فله من كل وصف اسم، ثم إن منها ما هو مختص به والغالب عليه، ومنها ما هو مشترك، ورأيت في كلام شيخنا في (القول البديع) والقاضي عياض في (الشفا) وابن العربي وابن سيد الناس وغيرهم يزيد على الأربع مئة، ذكر هذا كله في (المواهب) ثم سردها مرتبة على حروف المعجم، وذكر الطيبي[3] عن بعضهم اثنين وعشرين اسماً وشرحها، وقد جمع السيوطي في أسمائه ﷺ كتاباً[4]، ولم يورد المؤلف إلا عدة أسماء في حديثين، والمراد بصفاته هنا أحوال حليته الشريفة وصورته الظاهرة، وعقد باباً آخر لبيان أخلاقه وشمائله.

---

(١) القائل القسطلاني صاحب «المواهب اللدنية».

(٢) «أحكام القرآن» لابن العربي (٣/ ٥٨٠).

(٣) «شرح الطيبي» (١١/ ٥).

(٤) وهو «النهجة السوية في الأسماء النبوية»، مطبوع، وللسيوطي كتاب آخر في شرح الأسماء النبوية، اسمه: «المرقاة العلية في شرح الأسماء النبوية».

* الْفَصْلُ الأَوَّلُ:

٥٧٧٦ - [١] عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعَمٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ لِي أَسْمَاءً: أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللهُ بِي الْكُفْرَ، ....

الفصل الأول

٥٧٧٦ - [١] (جبير بن معطم) قوله: (أنا محمد وأنا أحمد) وزيد في بعض الروايات، وقد جاء في أسمائه ﷺ محمود أيضاً، وكل ذلك مشتق من الحمد، فمحمود يدل على مطلق كونه محمود الذات والصفات في الدنيا والآخرة، ومحمد مبني عن صيغة التفعيل المبنية عن التضعيف والتكثير إلى عدد لا ينتهي له الإحصاء، فمحمد هو الذي يحمد حمداً بعد حمد، ولا يكون مفعل إلا لمن تكرر منه الفعل مرة بعد أخرى.

وأحمد على صيغة أفعل المبنية عن الانتهاء إلى غاية ليس وراءها منتهى، فمعنى أحمد: أحمد الحامدين لربه، والأمر كذلك؛ لأنه يفتح عليه في المقام المحمود محامد لم يفتح على أحد قبله فيحمد ربه بها، ولذلك يعقد له لواء الحمد، ويجوز أن يكون أحمد بمعنى المفعول، فهو ﷺ محمود على لسان الأولين والآخرين، وحمده الله في كلامه القديم.

وهذا الاسم ذكره به عيسى وموسى عليهما السلام، وأما عيسى فكما في قوله تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦]، وموسى حين قال له ربه: تلك أمة أحمد، فقال: اللهم اجعلني من أمة **أحمد**، ومحمد[1] ومحمود اسم الله سبحانه

---

(١) قوله: «ومحمد» كذا في الأصل، والظاهر حذفه.

وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمَيَّ، وَأَنَا الْعَاقِبُ». وَالْعَاقِبُ: الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٥٣٢، م: ٢٣٥٤].

٥٧٧٧ ـ [٢] وَعَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُسَمِّي لَنَا نَفْسَهُ أَسْمَاءً فَقَالَ: «أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَالْمُقَفِّي، . . . .

سمى به حبيبه، واشتق منه لحبيبه اسمين: محمداً وأحمد، وقال حسان بن ثابت:

أغر عليه للنبوة خاتم ... من الله من نور يلوح ويشهد

وضم الإله اسم النبي إلى اسمه ... إذا قال في الخمس المؤذن أشهد

وشق له من اسمه ليجله ... فذو العرش محمود وهذا محمد

وقد قيل: إن هذا البيت الأخير لعمه أبي طالب أخرجه البخاري في (تاريخه الصغير) من طريق علي بن زيد ذكره صاحب (المواهب)[1]، والله أعلم.

وقد ورد في حديث أنس بن مالك من طريق أبي نعيم: (إن الله سماه بهذا الاسم قبل الخلق بألفي ألفي عام[2]).

وقوله: (**وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي**) يروى بلفظ الإفراد والتثنية، ومعناه أنا أول من تنشق عنه الأرض، فسمي حاشراً؛ لأنه لما حشر أولاً تقدم الناس في ذلك كأنه سبب في حشرهم. و(**العاقب**) الذي يخلف من كان قبله في الخير كالعقوب، وهو في معنى خاتم الأنبياء.

٥٧٧٧ ـ [٢] (**أبو موسى الأشعري**) قوله: (**والمقفي**) صحح بصيغة اسم الفاعل من التقفية، وكل شيء يتبع شيئاً فقد قفاه، فيكون من القفو، والمادة للتأخر والتبعية،

---

(١) «المواهب اللدنية» (١/ ٤٥٣).

(٢) كذا في الأصول، وفي «المواهب»: «بألفي ألف عام».

وَالْحَاشِرُ، وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ، وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٣٥٥].

٥٧٧٨ ـ [٣] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَلَا تَعْجَبُونَ كَيْفَ يَصْرِفُ اللهُ عَنِّي شَتْمَ قُرَيْشٍ وَلَعْنَهُمْ؟ يَشْتُمُونَ مُذَمَّماً، وَيَلْعَنُونَ مُذَمَّماً، وَأَنَا مُحَمَّدٌ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٣٥٣٣].

٥٧٧٩ ـ [٤] وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَدْ شَمِطَ مُقَدَّمُ رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ، ....

ومنه قافية البيت، وقافية الرأس، والقفا: خلف الوجه، فيكون في معنى آخر الأنبياء وخاتمهم، ويكون العاقب والمقفي بمعنى واحد.

(ونبي التوبة) أي: تواب كثير التوبة حيث كان يستغفر كل يوم سبعين مرة أو مئة، وفي تحقيق هذا التوبة والاستغفار وجوه أحسنها أنه كان للأمة، ويجوز أن يكون المعنى الذي تاب على يده الناس ما لم يتب على يد أحد من الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين، أو تاب الله عليهم ببركته.

(ونبي الرحمة) لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[الأنبياء: ١٠٧] وقوله: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[الأحزاب: ٤٣]، وقوله ﷺ: (أنا رحمة مهداة)، أو تراحم المؤمنون فيما بينهم ببركة ورحمة قوله تعالى: ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[الفتح: ٢٩].

٥٧٧٨ ـ [٣] (أبو هريرة) قوله: (يشتمون مذمماً وأنا محمد) كان المشركون يسمون رسول الله ﷺ مذمماً ويشتمونه، فقال رسول الله تعالى ﷺ: (قد دفع الله عني شتمهم فإنه إنما يشتمون مذمماً وأنا محمد).

٥٧٧٩ ـ [٤] (جابر بن سمرة) قوله: (قد شمط) في (القاموس)[1]: الشمط:

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٦٢١).

وَكَانَ إِذَا ادَّهَنَ لَمْ يَتَبَيَّنْ، فَإِذَا شَعِثَ رَأْسُهُ تَبَيَّنَ، وَكَانَ كَثِيرَ شَعْرِ اللِّحْيَةِ، فَقَالَ رَجُلٌ: وَجْهُهُ مِثْلُ السَّيْفِ؟........................

بياض الرأس يخالط سواده.

وقوله: **(وكان إذا ادهن)** من الادهان بتشديد الدال، افتعال من دهن بالفتح يدهن بالحركات الثلاث دهناً ودهنة: بلَّ الشعر وغيره بالدهن بالضم، وقد روي في حديث الترمذي[١] وغيره: (إذا دهن) من الثلاثي، وهما بمعنى واحد.

وقوله: **(لم يتبين)** أي: الأبيض من الشعرات؛ إما[٢] لأنها عند الادهان تجتمع فكان الأبيض منها لقلته غير متبين، **(فإذا شعث)** بكسر العين، أي: انتشر شعر رأسه، والشعث محركة في الأصل: انتشار الأمر، يقال: الأشعث للمغبر الرأس، **(تبين)** البياض ويتميز من السواد، وقيل: منشأ عدم رؤية الشيب إذا ادهن رأسه؛ لأن الشعر حينئذ يكون براقاً لامعاً، وهو سبب الاشتباه ومانع عن الامتياز، وقد جاء في شيب رسول الله ﷺ عن أنس أنه قال: ما عددت في رأس رسول الله ﷺ إلا أربع عشرة شعرة بيضاء[٣]، وعن ابن عمر: إنما كان شيب رسول الله ﷺ نحو من عشرين شعرة بيضاء[٤]، وليس بينهما تخالف؛ لأن أربعة عشر نحو من عشرين.

وقوله: **(وكان كثير شعر اللحية)** كأنه تفسير لما وقع في حديث آخر: (كث اللحية)، وقالوا في تفسيره: أي غير خفيفة اللحية ولا طويلة، وفي (القاموس)[٥]:

---

(١) «الشمائل المحمدية» (ح: ٣٨).

(٢) لفظ «إما» كذا في الأصل، والظاهر حذفه.

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣/ ١٦٥).

(٤) أخرجه ابن ماجه في «سننه» (٣٦٣٠).

(٥) «القاموس المحيط» (ص: ١٧٣).

قَالَ: لاَ بَلْ كَانَ مِثْلَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَكَانَ مُسْتَدِيراً، . . . .

الكث: الكثيف، ورجل كث اللحية كثيفها، ولحية كثة وكثاء، وقوم كُثّ بالضم، ويأتي في (الفصل الثاني): (ضخم الرأس واللحية).

وقوله: (**لا بل كان مثل الشمس والقمر**) أي: كان مثل الشمس في نهاية البهجة والإشراق، ومثل القمر في الحسن والملاحة، شبه الرجل وجهه المبارك بالسيف في الحسن والبريق واللمعان، والسيف قد يوصف بالحسن، ولما كان هذا التشبيه ناقصاً قال جابر: لم يكن مثل السيف **بل** مثل الشمس، فيكون التشبيه جامعاً بين الصفتين: البريق والميل إلى الاستدارة، والأبهة والجلالة.

وقد وقع في حديث الترمذي من البراء بن عازب: لا بل مثل القمر، وفي حديث كعب بن مالك: كأن وجهه قطعة قمر، وقد قيل في حديث البراء: معناه لم يكن مثل السيف، بل لم يكن مثل القمر أيضاً، بل كان أحسن منه، ويؤيده ما جاء في (الفصل الثاني) من حديث جابر بن سمرة: فإذا هو عندي أحسن من القمر، وأما فيما نحن فيه لا يمكن إجراء هذا المعنى لقوله: **بل** كان مثل الشمس والقمر، ويأتي في حديث أبي هريرة: كأن الشمس تجري في وجهه.

وقوله: (**وكان مستديراً**) فيه تأكيد لنفي التشبيه بالسيف وإثباته بالشمس والقمر، ولكنه ليس المراد بالاستدارة مثل ما في الشمس والقمر؛ لأنه لم يكن مكلثماً كما يجيء، بل المراد أنه كان فيه شيء من التدوير مع طول، ولم يكن طويلاً كل الطول، كما هو اللائق بحال الحسن والجمال، وقد ورد أنه ﷺ كان إذا سُرّ فكأنّ وجهه المرآة، وكان الجدر تلاحك وجهه، والملاحكة: شدة الملائمة، أي: يرى شخص الجدر في وجهه، وفي حديث ابن لأبي هالة: يتلألأ وجهه تلألأ القمر ليلة البدر.

وَرَأَيْتُ الْخَاتَمَ عِنْدَ كَتِفِهِ مِثْلَ بَيْضَةِ الْحَمَامَةِ يُشْبِهُ جَسَدَهُ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

[م: ٢٣٤٤].

ومن أسمائه ﷺ البدر، ولذا أنشدوا حين قدم المدينة:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

ولقد أحسن من قال:

كالبدر والكافُ إن أنصفتَ زائدةٌ فلا تظنَّنَّها كافاً لتشبيه

قال صاحب (المواهب)[1] ـ رحمه الله ـ: هذه التشبيهات التي وردت في صفاته ﷺ إنما هي على عادة الشعراء والعرب، وإلا فلا شيء في [هذه] المحدثات [ما] يعادل صفاته الخلقية والخلقية، ولله در إمام العارفين سيدي محمد بن وفا:

كم فيه للأبصار حسن مدهش كم فيه للأرواح راح مسكر

سبحان من أنشأه من سبحاته بشراً بأسرار الغيوب يبشر

صلى الله عليه وآله وأصحابه وأتباعه أجمعين.

وقوله: (**رأيت الخاتم عند كتفه مثل بيضة الحمامة يشبه جسده**) أي: في اللون والصفاء والنورانية، اعلم أنه كان لرسول الله ﷺ بين كتفيه شيء ناتٍ من أجزاء جسده الشريف يسمى خاتم النبوة، إما بكسر التاء فاعل الختم بمعنى الإتمام وبلوغ الآخر، أو بفتحها بمعنى الطابع، ومعناه الشيء الذي هو دليل على أنه لا نبي بعده، وقيل: سبب التسمية بذلك أنه نعت في الكتب المقدمة، فكان علامة يعلم بها أنه النبي المبشر به، وصيانة عن أن يتطرق إليها قدح كالشيء المستوثق عليه بالختم، وكان آية من الله

---

(١) «المواهب اللدنية» (٢/ ١٢).

. . . .

وسرًّا عظيماً مخصوصاً به ﷺ.

وقال الحاكم في (المستدرك)[١] عن وهب بن منبه أنه قال: ولم يبعث الله نبيًّا إلا وقد كانت عليه شامة النبوة في يده اليمنى إلا [أن يكون] نبينا [محمد] ﷺ، فإن شامة النبوة كانت بين كتفيه، كذا في حواشي (الشمائل)[٢]، وجاء في بعض الروايات أنه غاب بعد وفاة رسول الله ﷺ، وبغيبوبته عرف موته، ولعلها كانت لتعريفهم موته، أو لأنه لم تبق حاجة إلى إثبات النبوة الآن، أو لسر آخر لا لأن الأنبياء لم يبقوا أنبياء بعد موتهم، فإن مرتبة النبوة والرسالة باقية بعد الموت.

وفي (شرح الشيخ): وفي رواية: (كبيضة حمام مكتوب فيه: الله وحده لا شريك له، توجه حيث كنت فإنك منصور)، وفي رواية: (كان نوراً يتلألأ)، والرواة قد ذكروا صورته وظاهر شكله، وشبهوها بأشياء يعرفها الناس، فمنها مثل بيضة الحمامة كما ورد في هذا الحديث، والحمامة واحدة حمام وليست تاؤه للتأنيث. وفي (الصحاح)[٣]: هي عند العرب ذوات الأطواق من نحو الفواخت والقماري وأشباه ذلك، وعند العامة أنها الدواجن فقط، وفي (القاموس)[٤]: حمام كسحاب: طائر بَرّيٌّ لا يألف البيوت، أو كل ذي طوق.

وفي حديث آخر: (غدة حمراء)، والغدة بضم الغين وتشديد الدال: كل عقدة

---

(١) «المستدرك» (٢/ ٦٣١).

(٢) انظر: «جمع الوسائل في شرح الشمائل» لعلي القاري (ص: ٥٩).

(٣) «الصحاح» (٥/ ١٩٠٦).

(٤) «القاموس المحيط» (ص: ١٠١٢).

. . . .

تكون في الجسد أطاف بها شحم، وكل قطعة صلبة بين العصب، والجمع غدد، والمراد أنه كان شبيهاً بالغدة، وحمراء بمعنى مائلاً إلى الحمرة فلا ينافي كون لون خاتم النبوة كلون بدنه ﷺ، فهذا رد لمن قال: إنه أسود أو أخضر، كذا في (شرح الشيخ للشمائل). وقد وقع الجمع بين غدة حمراء وبيضة الحمامة بياناً وتفسيراً للغدة.

وفي حديث آخر: (كزر الحجلة) والزر بتقديم الزاي المكسورة على الراء المشددة: واحد الأزرار التي تكون على جيب القميص، والحجلة بفتح الحاء والجيم واحد الحجال: بيت كالقبة لها أزرار كبار، وهذا ما عليه الجمهور.

وعن بعضهم الحجلة: طائر معروف وزرها بيضها، ويؤيده حديث جابر بن سمرة: كبيضة الحمامة، غير أن الزر لم يجئ في كلام العرب بمعنى البيض، إلا أن يحمل على الاستعارة تشبيهاً لبيضها بأزرار الحجال، كذا في بعض شروح (الشمائل). وذكر الخطابي أنه روي بتقديم الراء على الزاي والمراد به البيضة من أرزت الجرادة: إذا غرزت ذنبها في الأرض فباضت، وكذا رزت.

وفي حديث آخر للترمذي: (شعرات مجتمعات)[1]، أي: ذو شعرات، وكان عليه الشعرات، فظن الراوي أنه الشعرات، وفي آخر له: (كان في ظهره بضعة ناشزة)[2]، والبضعة: قطعة من اللحم، و(ناشزة) أي: مرتفعة من جسمه، من النشوز، وهو الارتفاع، والنشزة: مكان مرتفع كالنشاز بالفتح، ومنه: نشوز أحد الزوجين لتعالي أحدهما على الآخر، وأيضاً في حديث: (مثل الجمع حولها خيلان كأمثال

---

(١) أخرجه الترمذي في «الشمائل» (١٩).

(٢) أخرجه الترمذي في «الشمائل» (٢١).

٥٧٨٠ ـ [٥] وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ سَرْجِسٍ قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِـيَّ ﷺ وَأَكَلْتُ مَعَهُ خُبْزاً وَلَحْماً ـ أَوْ قَـالَ: ثَرِيداً ـ ثُمَّ دُرْتُ خَلْفَهُ فَنَظَرْتُ إِلَى خَاتَمِ النُّبُوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ عِنْدَ نَاغِضِ كَتِفِهِ الْيُسْرَى، جُمْعاً عَلَيْهِ، . . . .

الثآليل)[١]، والجمع بضم الجيم وسكون الميم في الأصل بمعنى المجموع، والمراد هنا جمع الكف حين يجمع الأصابع ويضمها، والخيلان بالكسر جمع خال، والثآليل بفتح المثلثة وبالهمزة على وزن مصابيح جمع ثؤلول، وهي غدة الحبة التي تظهر في الجلد مثل حمصة.

وفي (القاموس)[٢]: الثؤلول كزُنْبور: حلمة الثدي، وَبَثْرٌ صغير صُلبٌ مستدير على صور شتى، وكلـه من خِلطِ غليظ يابس، بَلْغَمِيٍّ أو سوداويٍّ أو مركب منهما، وهذه كلها بيان لصورته الظاهرة وشكله في رأي العين، ومن دون ذلك سر عظيم مخصوص به ﷺ لم يكن لأحد من الأنبياء والمرسلين، والله أعلم.

٥٧٨٠ ـ [٥] (عبدالله بن سرجس) قوله: (عند ناغض كتفه اليسرى) الناغض بنون وغين وضاد معجمتين: الكتف، وقيل: عظم رقيـق على طرفهـا، وقيل: أصل العنق، وقال التُّورِبِـشْتِي[٣]: الناغض: الغضروف، وهو ما لان من العظم، وأكثر ما وقع في الروايات (بين كتفيه)، قال التُّورِبِـشْتِي[٤]: ولا اختلاف بين القولين، فإنه يحتمل أنه وجد كذلك، والقول الآخر: بين كتفيه لا يقتضي أن يكون بينهما على السواء، بل

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (٢٣٤٦) نحوه.

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٨٩٤).

(٣) «كتاب الميسر» (٤/ ١٢٥٠).

(٤) «كتاب الميسر» (٤/ ١٢٥٠).

خَيْلَانٌ كَأَمْثَالِ الثَّآلِيلِ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٣٤٦].

٥٧٨١ - [٦] وَعَنْ أُمِّ خَالِدٍ بِنْتِ خَالِدِ بْنِ سَعِيدٍ قَالَتْ: أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِثِيَابٍ فِيهَا خَمِيصَةٌ سَوْدَاءُ صَغِيرَةٌ فَقَالَ: «ائْتُونِي بِأُمِّ خَالِدٍ» فَأُتِيَ بِهَا تُحْمَلُ، فَأَخَذَ الْخَمِيصَةَ بِيَدِهِ فَأَلْبَسَهَا. قَالَ: «أَبْلِي وَأَخْلِقِي، ثُمَّ أَبْلِي وَأَخْلِقِي»، وَكَانَ فِيهَا عَلَمٌ أَخْضَرُ أَوْ أَصْفَرُ. فَقَالَ: «يَا أُمَّ خَالِدٍ! هَذَا سَنَاهْ» وَهِيَ بِالْحَبَشِيَّةِ: حَسَنَةٌ. قَالَتْ: ....

يكون على تفاوت أحد الجانبين، أو كان على السواء وخيّل إليه أنه إلى اليسرى أقرب، وكذلك القول فيمن روى عند كتفه اليمنى.

وقوله: (كأمثال الثآليل) بفتح المثلثة ومد الهمزة جمع ثؤلول: الحبوب التي تنبت على البدن أمثال الحمص، وقد يجيء بمعنى حلمة الثدي.

٥٧٨١ - [٦] (أم خالد) قوله: (خميصة) على وزن كريمة: كساء أسود مربع له علمان.

وقوله: (فأتي بها تحمل) بلفظ المجهول وكانت صبية.

وقوله: (أبلي) من البلى و(أخلقي) من الخلق بمعنى واحد، وكلاهما من باب الإفعال، و(سناه) بسين مفتوحة فنون فألف فهاء السكت، وروي (سنه) بلا ألف ونون خفيفة أو مشددة، وهي بفتح أوله عند الجميع إلا عند القابسي فإنه يكسرها، وروي: (سنه سنه)، و(سناه سناه) مكرراً بالتشديد والتخفيف فيها، كذا في (مجمع البحار)[١]، وقال الكرماني[٢]: لقائل أن يمنع كونها عجمية، فلعل أصله حسنة فحذف حاؤه.

---

(١) «مجمع بحار الأنوار» (٣/ ١٣٨).

(٢) انظر: «شرح الكرماني» (٢١/ ٧٥).

فَذَهَبْتُ أَلْعَبُ بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ فَزَبَرَنِي أَبِـي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «دَعْهَا». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٥٨٢٣].

٥٧٨٢ ـ [٧] وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ، وَلاَ بِالْقَصِيرِ، وَلَيْسَ بِالأَبْيَضِ الأَمْهَقِ، وَلاَ بِالآدَمِ...............

وقوله: (**فزبرني**) أي: زجرني ومنعني.

٥٧٨٢ ـ [٧] (**أنس**) قوله: (**ليس بالطويل البائن**) أي: المفرط طولاً خارجاً عن الاعتدال، (البائن) اسم فاعل من بان: إذا ظهر، وهذا يشير إلى أنه قد كان في قده ﷺ طول، والأمر كذلك، فإنه كان مربوعاً مائلاً إلى الطول بالنسبة إلى القصر، وهو الممدوح، وفيه من الحسن والجمال والأبهة ما لا يخفى، وأما ما جاء من: أنه ﷺ كان إذا قام في الجماعة يرى طويلاً في الكل وإن كانوا طوالاً، فليس من جهة الطول بل لسبب العزة والرفعة والعظمة، وفي الحقيقة هو معجزة من معجزاته ﷺ، وأما القصر فمنفي أصلاً، ولذا لم يقيده بقيد. و(**الأبيض الأمهق**) الذي لا يخالط حمرة، وليس بنير كالجص كذا في (القاموس)[1]، ويوافقه كلام الجوهري[2].

وقال في (مشارق الأنوار)[3]: هو الخالص البياض الذي لا يشوبه حمرة ولا صفرة، ولا سمرة، ولا إشراق، وقال الخليل: المهق: بياض في زرقة، وقيل: هو مثل بياض البرص، وقد وقع في البخاري في رواية المروزي: (أزهر أمهق)، وهو خطأ، والأمهق غير الأزهر، وجاء في أكثر الروايات: (ليس بالأبيض الأمهق). و(**الأدمة**)

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٨٥٢).

(٢) انظر: «الصحاح» (٤/ ١٥٥٧).

(٣) «مشارق الأنوار» (١/ ٣٨٩ ـ ٣٩٠).

وَلَيْسَ بِالْجَعْدِ الْقَطَطِ وَلاَ بِالسَّبْطِ، ....

السمرة الشديدة، وهي منزلة بين السواد والبياض، وقال في (القاموس)[١]: والأدمة بالضم في الإبل: لون مشرب سواداً أو بياضاً، أو هو البياض الفاضح، أو في الظباء: لون مشرب بياضاً، وفي الإنسان: السمرة الشديدة، وفي (مختصر النهاية)[٢]: الأدمة في الإبل البياض مع سواد المقلتين.

وبالجملة اتفقوا على أن الأدمة في الإنسان شدة السمرة، وهو ﷺ كان أسمر لا آدم، وجاء في موسى أنه كان آدم، هذا وقد تكلم في وصفه بالسمرة؛ لأنه قد ثبت أنه كان شديد البياض، وأجيب بأن المراد مشرباً بالسمرة، وهي الحمرة التي كانت تخالط البياض، والعرب يطلق على كل من كان كذلك أسمر، نعم الأدمة أشد منه يضرب إلى السواد، وقيل: السمرة لما ضحى للشمس والريح كالوجه والعنق، وما تحت الثياب فهو الأبيض الخالص، وتعقب بأنه قد ثبت أنه لم يكن للشمس والريح فيه تأثير، وقد ورد: (أنور المتجرد).

وقوله: (**وليس بالجعد القطط ولا بالسبط**) في (القاموس)[٣]: الجعد بفتح الجيم وسكون العين من الشعر خلاف السبط، ونقل عن (مطالع الأنوار): الجعد: ضد السبط، وهو الذي فيه رجوع في نفسه ليس باللين في استرساله، فإذا وصف بالقطط كان الشديد الجعودة، كشعور السودان، ومثله في (مشارق الأنوار)[٤]، والقطط بفتح القاف

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٨٥٢).

(٢) «الدر النثير» (١/ ١٨).

(٣) «القاموس المحيط» (ص: ٢٦١).

(٤) «مشارق الأنوار» (١/ ٢٤٨).

بَعَثَهُ اللهُ عَلَى رَأْسِ أَرْبَعِينَ سَنَـةً، فَأَقَامَ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ، وَبِـالْمَدِينَةِ عَشْرَ سِنِينَ، وَتَوَفَّاهُ اللهُ عَلَى رَأْسِ سِتِّينَ سَنَـةً، وَلَيْسَ فِي رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ عِشْرُونَ شَعْرَةً بَيْضَاءَ. وَفِي رِوَايَةٍ يَصِفُ النَّبِـيَّ ﷺ قَالَ: كَانَ رَبْعَةً مِنَ الْقَوْمِ، لَيْسَ بِالطَّوِيـلِ وَلاَ بِالْقَصِيرِ، أَزْهَـرَ اللَّوْنِ. وَقَالَ: كَـانَ شَعْرُ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ. وَفِي رِوَايَةٍ: بَيْنَ أُذُنَيْـهِ وَعَاتِقِهِ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٥٤٨، م: ٢٣٤٧].

وكسر الطـاء أو بفتحها: الشديد الجعودة، والسبط بفتح السين وسكون الباء وفتحها وكسرها: الشعر المترسل، ضد الجعودة.

وقوله: (**على رأس أربعين سنة**) أي: علـى تمام أربعين وآخرهـا، وهذا معنى قوله: (على رأس مئة سنة) ومثله، وقد حققناه في موضعه (**فأقام**) يعني بعد البعثة (**عشر سنين**)، والأصح أنه أقام بها ثلاث عشرة سنة، وقيل: خمس عشرة، ومن هذا سرى الاختلاف في عمره ﷺ، وقالوا: من ذكر عشراً اقتصر على العقد وترك الكسر، ومن ذكر خمس عشرة سنة ذكر عامَي الولادة الوفاة، فتدبر، وقـد بيـن في موضعـه. وأما الإقامة بالمدينة فعشر سنين من غير خلاف.

و(**الربعـة**) بفتح الـراء وسكـون الباء: معتدل القامـة كما فسره: ليس بالطويل ولا بالقصير، والميل إلى الطول الذي أثبت له ﷺ لا ينافي التوسط والاعتدال بل يحققه، وقد سبق تحقيق هذا اللفظ في (كتاب بدء الخلق) في وصف موسى عليه السلام. و(**الأزهر**) الأبيض المستنير، والزهرة بالضم: البياض والحسن، وزهرة الدنيا: بهجتها ونضارتها، والأزهر من اللون: النير والمشرق الوجه.

وقولـه: (**إلى أنصاف أذنيـه**) قد وردت الأحاديث في شعره ﷺ مختلفة، ففي

وَفِي رِوَايَـةٍ لِلْبُخَارِيِّ قَالَ: كَانَ ضَخْمَ الرَّأْسِ وَالْقَدَمَيْنِ، لَمْ أَرَ بَعْدَهُ وَلاَ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَكَانَ بَسْطَ الكفَّينِ. وَفِي أُخْرَى لَهُ قَالَ: كَانَ شَثْنَ الْقَدَمَيْنِ وَالْكَفَّيْنِ. [خ: ٥٩٠٧، ٥٩١٠].

رواية: (إلى أنصاف أذنيه)، وفي أخرى: (بين أذنيه وعاتقه)، وفي أخرى: (إلى شحمة أذنيه)، وفي أخـرى: (لـه شعـر يضرب منكبيـه)، والاختلاف باختلاف الأحوال من الامتشاط والادهان وعدمهما، ونبات الشعر بعد الحلق، وقال في (مجمع البحار)[1]: ووجه اختلافات الروايات في قدر شعره ﷺ اختلاف الأوقات، فإذا غفل عن تقصيرها بلغت المنكب، وإذا قصرها كانت إلى أنصاف الأذنين.

وقولـه: **(ضخم الرأس)** بسكـون الخـاء، أي: عظيمـه، يعني: ليس بصغير، لا المفرط في العظم، بل المعتدل بينهما.

وقوله: **(والقدمين)** عطف على (الرأس)، وفي رواية: (شثن القدمين) بمعنى الغليظ.

وقوله: **(لم أر بعده ولا قبله مثله)** أي: لم أعلم، أو المراد الرؤيـة البصريـة، وهذه العبارة كناية عن عدم كون أحد مثله.

وقوله: **(بسط الكفين)** بتقديم الموحدة على المهملـة، أي: تام الكفين، وفي حديث الملاعنة: (إن جاءت أصغر بسطاً فهو لزوجها)، أي: تام الخلق، ويؤيده ما جاء في رواية: (رحب الراحة)، وقد يروى: (سبط الكفين) بتقديم المهملة على الموحدة بمعنى ألينهما وينافيه قوله: **(شثن القدمين والكفين)** فسره الأصمعي بالغليظ الأصابع من الكفين والقدمين، وفسره أبو عبيد بالغلظ مع القصر، وتعقب بأنه قد ثبت في وصفه:

---

(١) «مجمع بحار الأنوار» (١/ ٣٩٤).

٥٧٨٣ ـ [٨] وَعَنِ الْبَرَّاءِ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَرْبُوعاً، بُعَيْدَ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ، لَهُ شَعْرٌ بَلَغَ شَحْمَةَ أُذُنَيْهِ، رَأَيْتُهُ فِي حُلَّةٍ حَمْرَاءَ، لَمْ أَرَ شَيْئاً قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ قَالَ: مَا رَأَيْتُ مِنْ ذِي لِمَّةٍ أَحْسَنَ فِي حُلَّةٍ حَمْرَاءَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، شَعْرُهُ يَضْرِبُ مَنْكِبَيْهِ، بَعِيدُ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ وَلاَ بِالْقَصِيرِ. [خ: ٣٥٥١، م: ٢٣٣٧].

(سائل الأطراف)، والظاهر من الحديث أن الكفين والقدمين أنفسهما كانا غليظين، وقد حملوه على ذلك، وقالوا: المراد أنهما كانا يميلان إلى الغلظ والقصر، ويحمد ذلك في الرجال دون النساء، والجمع بين هذا الحديث وبين حديث: (ولا شيئاً كان ألين من كفه ﷺ): أن اللين في الجلد والغلظ في العظام، فجمع له نعومة البدن وقوته.

٥٧٨٣ ـ [٨] (البراء) قوله: (**بعيد ما بين المنكبين**) بفتح الباء وضمها، ويلزم من ذلك الوصف بعريض الصدر.

وقوله: (**في حلة حمراء**) الحلة: إزار ورداء، ولا تسمى حلة إلا أن يكون ثوبين، وقيل: من جنس واحد، وحلة كانت عليه ﷺ من برود اليمن فيه خطوط حمراء، ولذلك سميت حمراء لا أنه كله أحمر، وغلط من توهم ذلك، كذا حققه المحدثون.

وقوله: (**لم أر شيئاً قط أحسن منه**) يعني: هو أحسن من كل شيء، وفي التعبير بشيء مبالغة ما ليس في قوله: رجل.

وقوله: (**من ذي لمة**) اعلم أن لشعر الإنسان ثلاثة أسماء: الجمة بضم الجيم وتشديد الميم، واللمة بكسر اللام وتشديد الميم، والوفرة بفتح الواو وسكون الفاء،

. . . .

فاللمة من الشعر: ما يجاوز شحمة الأذن، فإذا بلغت المنكبين فهو جمة، والوفرة: الشعر إلى شحمة الأذن، ويوافقه ما قال في (المشارق)[١]: الجمة أكثر[٢] من الوفرة، وذلك إذا سقطت على المنكبين، والوفرة إلى شحمة الأذن، واللمة بينهما تلم المنكبين.

وبالجملة اتفقت عبارات الشارحين في أن الجمة ما بلغت المنكبين، والوفرة إلى شحمة الأذن، واللمة ما جاوزها فهو بين بين، ولكن قال في (القاموس)[٣]: الوفرة: الشعر المجتمع على الرأس، أو ما سال على الأذنين منه، أو ما جاوز شحمة الأذن، ثم الجمة، ثم اللمة.

وقد مر في (الفصل الثاني) من (باب الترجل) من حديث عائشة ﵂: كان لرسول الله ﷺ شعر فوق الجمة ودون الوفرة. رواه الترمذي، فيفهم من هذا أنه كان لمة كما في هذا الحديث عن البراء: ما رأيت من ذي لمة أحسن، الحديث، ولكن وقع في حديث الترمذي في (الشمائل)[٤]: عظيم الجمة إلى شحمة أذنيه، فقيل: المراد بالجمة هنا الشعر، وقد فسرها في (القاموس)[٥] بمجتمع شعر الرأس، والجم: الكثير من كل شيء، وأيضاً في حديثه: فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه، إذاً هو وفرة.

---

(١) «مشارق الأنوار» (١/ ١٥٣).

(٢) كذا في جميع النسخ المخطوطة، وفي «المشارق»: «أكبر من الوفرة».

(٣) «القاموس المحيط» (ص: ٤٥٨).

(٤) «الشمائل» للترمذي (٣).

(٥) «القاموس المحيط» (ص: ١٠٠٦).

٥٧٨٤ ـ [٩] وَعَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ضَلِيعَ الْفَمِ، أَشْكَلَ الْعَيْنَيْنِ، ....

٥٧٨٤ ـ [٩] (سماك بن حرب) قوله: (ضليع الفم) أي: عظيمه، كما فسر في الحديث، وفي بعض شروح (الشمائل): إما أن يريد بـه سعـة الفم؛ إذ العرب يمدح به يعني الرجال، ويذم بصغره، وإما أن يريد به قوة الشفتين، وقيل: عظيم الفم كناية عن الفصاحة، وزاد في حديث جابر: ضليع الفم يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه، يعني لسعة فمه.

وقولـه: (طويل شق العين) بفتح الشيـن، قال عياض[1]: لم يقـل سمـاك في هذا التفسير شيئاً، والوجه فيه ما اتفق عليه أئمة اللغة أنها حمرة في بياض العين يخالطها، وتسمى السُّجْرة أيضاً بالضم، والشهلـة: حمـرة يخالط سوادها، وهذا قول أبي عبيد وغيره. وقال في (القاموس)[2]: الأشكل: ما فيه حمرة وبياض مختلط، أو ما فيه بياض يضرب إلى الحمرة، ومن الإبل: ما يخلط سواده حمرة، واسم اللون: الشُّكْلَةُ بالضم، ومنه: الشُّكلةُ في العين، والشهلة: أن تشرب الحدقة حمرة، وليست خطوطاً كالشكلة، ولكنها قلة سواد الحدقة حتى كأنه يضرب إلى الحمرة، وكان ﷺ أشكل العين، أي: طويل شق العين، انتهى.

وفي (الصحاح)[3]: والشكلـة: بالضم حمـرة في بياض العيـن، كالشهلـة في سوادها، شكل بالتحريك مصدره، وعين شكلاء، ودم أشكل، ورجل أشكل العين:

---

(١) انظر: «مشارق الأنوار» (٢/ ٢٥٣).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٩٣٨).

(٣) «الصحاح» (٥/ ١٧٣٦).

مَنْهُوشَ الْعَقِبَيْنِ، قِيلَ لِسِمَاكٍ: مَا ضَلِيعُ الْفَمِ؟ قَالَ: عَظِيمُ الْفَمِ. قِيلَ: مَا أَشْكَلُ الْعَيْنَيْنِ؟ قَالَ: طَوِيلُ شَقِّ الْعَيْنِ. قِيلَ: مَا مَنْهُوشُ الْعَقِبَيْنِ؟ قَالَ: قَلِيْلُ لَحْمِ الْعَقِبِ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٣٣٩].

٥٧٨٥ ـ [١٠] وَعَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ أَبْيَضَ مَلِيحاً مُقَصَّداً. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٣٤٠].

٥٧٨٦ ـ [١١] وَعَنْ ثَابِتٍ قَالَ: سُئِلَ أَنَسٌ عَنْ خِضَابِ رَسُول ﷺ فَقَالَ: إِنَّهُ لَمْ يَبْلُغْ مَا يَخْضِبُ، ....

إذا كان فيه بياض وحمرة.

وقوله: (منهوش العقبين) في (المشارق)[1]: بالسين المهملة، ويقال: بالمعجمة أيضاً، أي: قليل لحمهما، وقيل: هو بالمعجمة ناتئ العقبين معروقهما، وفسر في حديث شعبة بالمهملة قال: قليل لحم العقب، وهما بمعنى متقارب.

٥٧٨٥ ـ [١٠] **(أبو الطفيل)** قوله: **(مقصداً)** بضم ميم وفتح صاد مهملة مشددة، أي: معتدلاً لا طويلاً، ولا قصيراً، ولا جسيماً، ولا نحيفاً، ويحتمل أن يكون المقصد في الأمور كلها، والأول أظهر بالسياق.

٥٧٨٦ ـ [١١] **(ثابت)** قوله: **(إنه لم يبلغ ما يخضب)** أي: كان شيبه قليلاً لا يظهر في بادئ النظر لقلته كما يظهر من سياق الحديث، أو لعدم خلوص البياض كما يكون في ابتداء الشيب، وعليه يحمل ما جاء في حديث آخر: وكان شيبه أحمر أي: لم يبلغ البياض، وقد يحمل على أنه كان يخضب بالحناء، والصحيح عند المحدثين أنه ﷺ

---

(١) «المشارق» (٢/ ٣٠).

لَوْ شِئْتُ أَنْ أَعُدَّ شَمَطَاتِهِ فِي لِحْيَتِهِ ـ وَفِي رِوَايَةٍ: لَوْ شِئْتُ أَنْ أَعُدَّ شَمَطَاتٍ كُنَّ فِي رَأْسِهِ ـ فَعَلْتُ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٥٨٩٥، م: ٢٣٤١].

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ قَالَ: إِنَّمَا كَانَ الْبَيَاضُ فِي عَنْفَقَتِهِ، وَفِي الصُّدْغَيْنِ وَفِي الرَّأْسِ نَبْذٌ.

٥٧٨٧ ـ [١٢] وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَزْهَرَ اللَّوْنِ، كَأَنَّ عَرَقَهُ اللُّؤْلُؤُ، ....

لم يخضب، والله أعلم.

وقوله: (**أن أعدّ شمطاته**) بفتح الشين والميم، أي: شعراته البيض.

وقوله: (**والعنفقة**) بفتح المهملة وسكون، النون وفتح الفاء والقاف في آخرها، في (القاموس)[1]: العنفقة: شعيرات بين الشفة السفلى والذقن. و(**الصدغ**) بالضم ما بين العين إلى شحمة الأذنين، ويسمى الشعر المتدلي عليه صدغاً أيضاً. و(**نبذ**) بضم النون وفتح الموحدة، وبفتح وسكون، أي: شيء يسير وشعرات متفرقة.

قال الطيبي[2]: (نبذ) مبتدأ و(في عنفقته) خبر، والجملة خبر (كان)، ويحتمل أن يكون خبر (كان) في (عنفقته)، و(نبذ) استئناف بحذف صدره.

٥٧٨٧ ـ [١٢] (**أنس**) قوله: (**كأن عرقه اللؤلؤ**) كأنه من تتمة قوله: (**أزهر اللون**) في حكم التأكيد والبيان؛ لأن زهرة اللون تؤثر في صفاء العرق، ولذا لم يعطف، وأما ترك العطف في قوله: (إذا مشى تكفأ) فلأنه فصل آخر من الكلام.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٨٤١).

(٢) «شرح الطيبي» (١١/ ١٧).

إِذَا مَشَى تَكَفَّأَ، وَمَا مَسِسْتُ دِيبَاجَةً وَلاَ حَرِيراً أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَلاَ شَمَمْتُ مِسْكاً وَلاَ عَنْبَرَةً أَطْيَبَ مِنْ رَائِحَةِ النَّبِـيِّ ﷺ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٥٦١، م: ٢٣٣٠].

وقوله: (**تكفأ**) مهموزاً وغير مهموز، والأصل الهمز ومعناه تقلع، أي: كان يرفع رجله عن قوة وجلادة، ويثبت في مشيه كما هو شأن الأقوياء والشجعان، ولا ينافي ذلك أنه كان سريع المشية؛ لأنه يتابع الخطوات مع التثبت، كذا في بعض شروح (الشمائل).

وجاء بمعنى صب الشيء ودفعه، ويفسر التكفأ بالتمايل إلى القدام، ويأتي في (الفصل الثاني) من رواية الترمذي: (كأنما ينحط من صبب)، هذا وقد يفسر التكفأ بالتمايل يميناً وشمالاً كما تتمايل السفينة، وفي الحديث في صفة حال المؤمن بالبلاء: (كخامة الزرع تتكفؤها الريح)، ومن هنا فسره بعض الشارحين: أي يميل كما يميل الغصن إذا هبت الريح، والله أعلم.

وقوله: (**وما مسست**) بكسر المهملة الأولى على الأفصح، وكذا (**شممت**) بكسر الميم الأولى، والمضارع بالفتح فيهما، وقد جاء فيهما فتح العين، فالمضارع بضمهما، و(**الديباج**) بكسر الدال وحكي بفتحها: نوع من الحرير، كذا قال الشيخ[1]، وهو فارسي معرب، والتاء للوحدة، فيكون قوله: (**ولا حريراً**) تعميماً بعد التخصيص.

وقوله: (**أطيب من رائحة النبي**) وفي رواية الترمذي: (ولا شممت مسكاً ولا عطراً

---

(١) «فتح الباري» (٦/ ٥٧٦).

٥٧٨٨ ـ [١٣] وَعَنْ أُمِّ سُلَيْمٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَأْتِيهَا، فَيَقِيلُ عِنْدَهَا، فَتَبْسُطُ نِطْعاً فَيَقِيلُ عَلَيْهِ، وَكَانَ كَثِيرَ الْعَرَقِ، فَكَانَتْ تَجْمَعُ عَرَقَهُ فَتَجْعَلُهُ فِي الطِّيبِ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا أُمَّ سُلَيْمٍ! مَا هَذَا؟» قَالَتْ: عَرَقُكَ نَجْعَلُهُ فِي طِيبِنَا، وَهُوَ مِنْ أَطْيَبِ الطِّيبِ. وَفِي رِوَايَةٍ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ! نَرْجُو بَرَكَتَهُ لِصِبْيَانِنَا، قَالَ: «أَصَبْتِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٦٢٨١، م: ٢٣٣١].

كان أطيب من عرق رسول الله ﷺ)[١]، وقد كانت الرائحة الطيبة صفته ﷺ وإن لم يمس طيباً، وقد ذكرنا نبذة منه في (شرح سفر السعادة)[٢].

٥٧٨٨ ـ [١٣] (أم سليم) قوله: (فتبسط نطعاً) بفتح النون وكسرها مع فتح طاء وسكونها والأول أشهر الأربع: بساط من الأديم، والجمع أنطاع ونطوع، قال التُّورِبِشْتِي[٣]: إن أم سليم كانت من محارم النبي ﷺ رضاعاً، وأطال الكلام في إثبات ذلك؛ لأنه ﷺ لم يكن ليقيل في بيت أجنبية.

ونقل الطيبي[٤] من (شرح صحيح مسلم): أن أم سليم وأم حرام وهي أخت أم سليم كانتا خالتين لرسول الله ﷺ إما من الرضاع وإما من النسب، فتحل الخلوة بهما، وكان يدخل عليهما خاصة ولا يدخل على من سواهما من النساء، انتهى. ويظهر من هذا أن نساء الأمة معه ﷺ في حكم الأجنبيات، وليس كما اشتهر في الناس أن حكمه

---

(١) أخرجه الترمذي في «سننه» (٢٠١٥).

(٢) «شرح سفر السعادة» (ص: ٤٨٦ ـ ٤٨٧).

(٣) «كتاب الميسر» (٤/ ١٢٥٣).

(٤) «شرح الطيبي» (١١/ ١٨).

٥٧٨٩ ـ [١٤] وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ صَلَاةَ الأُولَى، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى أَهْلِهِ وَخَرَجْتُ مَعَهُ، فَاسْتَقْبَلَهُ وِلْدَانٌ، فَجَعَلَ يَمْسَحُ خَدَّيْ أَحَدِهِمْ وَاحِداً وَاحِداً، وَأَمَّا أَنَا فَمَسَحَ خَدَّيَّ، فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْداً أَوْ رِيحاً. . . . .

معهن حكم الأب مع البنات، هذا وذكر في (المواهب اللدنية)[1] في خصائصه ﷺ إباحة النظر إلى الأجنبيات وجواز الخلوة بهن، ونقل عن (فتح الباري)[2] أن الذي وضح لنا بالأدلة القوية أن من خصائصه ﷺ جواز الخلوة بالأجنبية والنظر إليها، وتدل عليه قصة أم حرام بنت ملحان في دخوله عليها ونومه عندها، وتفليتها رأسه، ولم يكن بينهما محرمية ولا زوجية، قال العبد الضعيف: وهذا هو الظاهر من الأحاديث الواردة في مجيء النساء إليه ﷺ وسؤالهن عنه إلا أن يحمل مجيئهن مستورة العورات، والله أعلم.

٥٧٨٩ ـ [١٤] (جابر بن سمرة) قوله: **(صلاة الأولى)** أي: صلاة الظهر، وقد مرّ في (كتاب مواقيت الصلاة).

وقوله: **(يمسح خدي)** بلفظ التثنية مضافاً إلى (أحدهم).

وقوله: **(وأما أنا فمسح خدي)** مضافاً إلى ياء المتكلم، وفي بعض النسخ: (خدي) بالإفراد.

وقوله: **(برداً أو ريحاً)** بلفظ (أو) في جميع النسخ، والظاهر أنه من شك الراوي.

---

(١) «المواهب اللدنية» (٢/ ٣٢٩).

(٢) «فتح الباري» (٩/ ٢٠٣).

وَذَكَرَ حَدِيثَ جَابِرٍ: «سَمُّوا بِاسْمِي» فِي «بَابِ الأَسَامِي». وَحَدِيثُ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ: نَظَرْتُ إِلَى خَاتَمِ النُّبُوَّةِ فِي «بَابِ أَحْكَامِ الْمِيَاهِ».

* الْفَصْلُ الثَّانِي:

٥٧٩٠ ـ [١٥] عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَيْسَ بِالطَّوِيلِ وَلاَ بِالْقَصِيرِ، ضَخْمَ الرَّأْسِ وَاللِّحْيَةِ شَثْنَ الْكَفَّيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ، مُشْرَباً حُمْرَةً، ضَخْمَ الْكَرَادِيسِ، طَوِيلَ الْمَسْرُبَةِ، ....

و(**الجؤنة**) بضم الجيم: ظرف طيب العطار، كذا في (القاموس)[1]، وقال: أصله الهمزة ويليّن.

الفصل الثاني

٥٧٩٠ ـ [١٥] (**علي بن أبي طالب**) قوله: (**مشرباً حمرة**) أي: أبيض مختلطاً بياضه بحمرة، وقد وقع في رواية أخرى صريحاً: (أبيض مشرب) بصيغة اسم مفعول من الإشراب، وهو خلط لون بلون، كان أحد اللونين يسقي اللون الآخر، وأشرب بمعنى سقى، وفي بعض النسخ: (مشرب) بالتشديد من التشريب، وهو للتكثير والمبالغة.

و(**الكراديس**) جمع كردوس بالضم: كل عظمين التقيا في مفصل، أراد أنه ضخم الأعضاء. و(**المسربة**) بفتح الميم وسكون المهملة وضم الراء بعدها موحدة: الشعر وسط الصدر إلى البطن كالسربة بالضم، والسرب بالفتح: الطريق والصدر، وفي (مختصر النهاية)[2]: هو الشعر المستدق من اللَّبَّةِ إلى الستر.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١٠٩٢).

(٢) «الدر النثير» (١/ ٤٦٠).

إِذا مَشَى تَكَفَّأَ تَكَفُّؤاً[1] كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ، لَمْ أَرَ قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ﷺ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. [ت: ٣٦٣٧].

٥٧٩١ ـ [١٦] وَعَنْهُ كَانَ إِذَا وَصَفَ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: لَمْ يَكُنْ بِالطَّوِيلِ الْمُمَغَّطِ، ....

وقوله: (كأنما ينحط من صبب) بفتحتين؛ أي: موضع منحدر، أي: كما ينزل إلى أسفل، ومنه حديث: (حتى إذا انصبت قدماه في بطن الوادي)، أي: انحدرت في المسعى، وحديث الصلاة: (إذا ركع لم يصب رأسه) أي: لم يمله إلى أسفل، ويروى: (كأنما يهوي من صبوب) بالفتح والضم، فبالفتح اسم لما يصب على الإنسان ماء أو غيره كالطهور والغسول، وبالضم جمع صبب، فـ (من) على الفتح زائدة، وعلى الضم ابتدائية، وقيل: الصبب والصبوب: تَصَوُّبُ نهر أو طريق، كذا في (النهاية)[2]، والمقصود أنه كان يمشي مشياً قويًّا يرفع رجليه من الأرض رفعاً بائناً، وقيل: إنه كان يمشي على سبيل التواضع لا على طريق التكبر والاختيال.

٥٧٩١ ـ [١٦] (وعنه) قوله: (بالطويل الممغط) أي: الطويل البائن كما مر، والرواية المشهورة في (الممغط) بتشديد الميم الثانية وكسر الغين المعجمة، وأصله المنمغط بلفظ اسم الفاعل من الانفعال، ويروى بالعين المهملة، ويروى بفتح غين معجمة اسم مفعول من التفعيل، وهذه الرواية أيضاً يروى بعين مهملة، والمغط والمعط بالمعجمة والمهملة كلاهما بمعنى واحد، وهو المد، قال في (القاموس)[3] في المهملة:

---

(١) في نسخة: «تكفى تكفياً».

(٢) «النهاية» (٣/ ٣).

(٣) «القاموس المحيط» (ص: ٦٣٤).

وَلاَ بِالْقَصِيرِ الْمُتَـرَدِّدِ، وَكَـانَ رَبْعَـةً مِنَ الْقَـوْمِ، وَلَـمْ يَكُنْ بِالْجَعْـدِ الْقَطَطِ وَلاَ بِالسَّبْطِ، كَانَ جَعْداً رَجِلاً، وَلَمْ يَكُنْ بِالْمُطَهَّمِ وَلاَ بِالْمُكَلْثَمِ، . . . . .

معطه كمنعه: مده، والسيف: سله، وامعط الحبلُ: انجرد وطال، ومنه الْمُمَّعِط: للبائن الطول، وفي المعجمة: مغط الرامي في قوسه: أغرق، والشيء: مده يستطيله، أو المغط: مد شيء لين، فامتغط وامّغط مشددة، وتمغط البعيرُ: مد يديه شديداً، والفرسُ: جرى ومد قوائمه، وتمطى في جريه، والنهار: ارتفع، وفي (مختصر النهاية)[1]: المعط والمغط بالعين والغين: المد، والممغط بتشديد الميم الثانية: المتناهي الطول، ويقال: بالعين والغين، هذا ولكن[2] نقل في شروح (الشمائل) عن (جامع الأصول) أن (الممغط) بتشديد الميم والغين المعجمة، والمحدثون يقولونه بتشديد الغين، وهو محل نظر.

وقوله: **(ولا بالقصير المتردد)** أي: المتناهي في القصر، و(المتردد) الداخل بعض أجزائه في بعض قصراً، كأنه رد بعض خلقه على بعض وتداخلت أجزاؤه. و**(الربعة)** بفتح الراء وسكون الباء: الرجل بين الطول والقصر، كالمربوع، وقد وقع في الرواية: (كان رجلاً مربوعاً).

وقوله: **(كان جعداً)** بفتح الجيم وسكون العين. و**(رجلاً)** بفتح الجيم وكسرها، وقد تسكن، وهو صفة الشعر، أي: بين السبط والقطط، وقد يطلق على الذات، أو يحذف المضاف.

وقوله: **(ولم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم)** في (القاموس)[3]: المطهم،

---

(١) «الدر النثير» (٢/ ٩٥٦، ٩٥٨).

(٢) «ولكن ـ إلى ـ وهو محل نظر»: ثبت في (ك)، و(ب)، و(ر)، وسقط في (ع).

(٣) «القاموس المحيط» (ص: ١٠٤٥).

وَكَانَ فِي الْوَجْهِ تَدْوِيرٌ، أَبْيَضُ مُشْرَبٌ، أَدْعَجُ الْعَيْنَيْنِ، أَهْدَبُ الأَشْفَارِ، . .

كمعظم: السمين، والنحيف الجسم الدقيقه، ضد، والمدور الوجه المجتمعه، وقال التُّورِبِشْتِي[١]: اختلف أهل اللسان في (المطهم)، فمنهم من قال: هو التّام الخلق من كل شيء، فهو بارع الجمال، وهذا قول لا يلائم ما وُصِف ﷺ به من الحسن والجمال، وقال الجوهري[٢]: وجه مطهم، أي: مجتمع مدوّر، وقالت طائفة: (المطهم): الفاحش السمن، وقيل: هو المتنفخ الوجه، وهذا القول هو الذي يستقيم عليه سياق الحديث، فالمراد بقوله: **(وكان في الوجه تدوير)** أنه لم يكن مستديراً كل الاستدارة؛ بل كان فيه بعض ذلك، هذا محصل كلامه، و(المكلثم) بضم الميم وفتح الكاف وسكون اللام بعده المثلثة، وهو من الوجوه: القصير الحنك الناتئ الجبهة المستدير مع خفة اللحم، وقيل: مع كثرتها، ولما كان هذا أيضاً يتضمن بمعنى التدوير أدرك بقوله: (وكان في وجهه تدوير).

و**(الدعج)** محركة، والدعجة بالضم: شدة سواد العين، وزاد بعضهم في شدة بياضها، وقد يجيء الأدعج بمعنى الأسود، والدعجاء: أول الْمِحَاق، وهو ليلة ثمانية وعشرين. و**(أهدب الأشفار)** وروي: (هدب الأشفار) أي: طويل شعر الأجفان وكثيرها، وهي جمع شفر بضم أوله، وقد يفتح: شعر العين، وفي (القاموس)[٣]: الهدب بالضم وبضمتين: شعر أشفار العين، واحدتها بهاء، ورجل أهدب: كثيره، والشُّفْرُ بالضم: أصل منبت الشعر في الجفن، مذكر ويفتح، وناحية كل شيء كالشفير، والجفن: غطاء العين من أعلى وأسفل، فافهم.

---

(١) «كتاب الميسر» (٤/ ١٢٥٤).

(٢) «الصحاح» (٥/ ١٩٧٧).

(٣) «القاموس المحيط» (ص: ١٤٥، ٣٨٩، ١٠٩٣).

جَلِيلُ الْمُشَاشِ وَالْكَتَدِ، أَجْـرَدُ، ذُو مَسْرُبَـةٍ، شَثْنُ الْكَفَّيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ، إِذَا مَشَى يَتَقَلَّعُ كَأَنَّمَا يَمْشِي فِي صَبَبٍ، وَإِذَا الْتَفَتَ الْتَفَتَ مَعاً، بَيْنَ كَتِفَيْهِ خَاتَمُ النُّبُوَّةِ، وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِـيِّينَ، أَجْوَدُ النَّاسِ صَدْراً، . . . .

و(**المشاش**) بالضم واحدة مشاشة: رأس العظم الممكن الْمَضْغِ، وقيـل: هي رؤوس العظام كالمرفقين والكتفيـن والركبتين، ولا منافـاة بيـن التفسيرين؛ لأن على رؤوس العظام عظام لينة تسمى الغضروف واسطة التئام العظام باللحم.

وقوله: (**والكتد**) بفتح التاء وكسرها عطف على (المشاش): مجتمع الكتفين، ويسمى الكاهل وهو الكاهل إلى الظهر، كما في حديث: (نتقل التراب على أكتادنا).

وقوله: (**أجرد ذو مسربة**) رجل أجرد: لا شعر على بدنه، ومنه حديث: (أهل الجنة جرد مرد)، وفرس أجرد: قصير الشعـر دقيقـه، وظاهر هذا الحديث يدل على أنه لم يكن شعر على بدنه ﷺ ما عدا المسربة، وقد ثبت بالأحاديث الأخر أنه كان الشعر في أماكن من بدنه سوى المسربة أيضاً كالساعدين والساقين، وهو المراد هنا بالأجرد، وتوجيهه أن ضد الأجرد الأشعر وهو الذي على جميع بدنه شعر، كذا قالوا.

وقوله: (**إذا التفت التفت معاً**) أراد أنه كان لا يسارق النظر كما هو عادة المتكبرين، وقيل: أراد أنـه لا يلوي عنقـه يمنـة ولا يسرة كما يفعلـه أهل الطيش والخفـة، وقال التُّورِبِـشْتِي[1]: إنه كان يتوجه بكليته لئلا يخالف بدنه قلبه، وقصده مقصده.

وقولـه: (**أجود الناس صدراً**) أي: قلباً، وذكر الصدر وهو محل القلب وأراد القلب، أي: كان جوده ﷺ بالرغبة والطبع لا بالتكلف والسمعة والرياء، وقيل: يحتمل أن يكون من الجودة مصدر أجاد: إذا صار جيداً، فيكـون عبارة عن عـدم تعلقـه بما

(١) «كتاب الميسر» (٤/ ١٢٥٥ ـ ١٢٥٦).

وَأَصْدَقُ النَّاسِ لَهْجَـةً، وَأَلْيَنُهُمْ عَرِيكَـةً، وَأَكْرَمُهُمْ عَشِيرَةً، مَنْ رَآهُ بَدِيهَـةً هَابَهُ، وَمَنْ خَالَطَهُ مَعْرِفَةً أَحَبَّهُ، . . . .

سوى الله، كذا في شرح الشيخ.

و(**اللهجـة**) بالسكون، وقد يحـرك: اللسان، وفي شرح الشيخ ابن حجر على (الشمائل): اللهجة بفتح الهاء: اللسان، وسكونها لغـة ضعيفـة، كذا في (الديوان)، يريد أنه ﷺ كان لسانه أصدق الألسنة، فيتكلم بمخارج الحروف كما ينبغي بحيث لا يقدر أحد، فافهم.

وقوله: (**وأكرمهم عشيرة**) وفي رواية: (عِشْرة) أي: صحبة، والعشير: الصاحب، وفي (القاموس)[1]: العشير: القريب، والصديق، والمعاشر، انتهى. ويقال: بالتاء أيضاً وكأنه للنقل، وفي (الصراح)[2]: قبيلة وتبار مردم.

وقوله: (**من رآه بديهة هابه**) البديهة: المفاجأة، يقال: بدهته بأمر، أي: فجئته من باب علم، وجاء بالفتح أيضاً، والهيبة: المخافة كالمهابة، وهابه يهابه هيباً ومهابة: خافه، كاهتابه، انتهى.

وقـد يفـرق بيـن الخوف والهيبة أنَّ الخوف يكون من توقع ضرر كالخوف من العدو والسارق مثلاً، والهيبة ينشأ من العظمة والسطوة كما يكون عن الكبراء والعظماء، ولذا قال: هابه، دون خافـه، والنعت: الوصف كالانتعات، كذا في (القاموس)[3]، وقال: النعت: وصف الشيء بما فيه من حسن، ولا يقال في القبيح، والوصف يجيء

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٤١٠).

(٢) «الصراح» (ص: ١٩٨).

(٣) «القاموس المحيط» (ص: ١٦٢).

يَقُولُ نَاعِتُهُ: لَمْ أَرَ قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ﷺ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٦٣٨].

٥٧٩٢ ـ [١٧] وَعَنْ جَابِرٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَسْلُكْ طَرِيقاً فَيَتْبَعُهُ أَحَدٌ إِلاَّ عَرَفَ أَنَّهُ قَدْ سَلَكَهُ مِنْ طِيبِ عَرْفِهِ ـ أَوْ قَالَ: مِنْ رِيحِ عَرَقِهِ ـ. رَوَاهُ الدَّارِمِيُّ. [دي: ١/ ٢٠٧، ح: ٦٧].

٥٧٩٣ ـ [١٨] وَعَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ قَالَ: قُلْتُ لِلرُّبَيِّعِ بِنْتِ مُعَوِّذِ بْنِ عَفْرَاءَ: صِفِي لَنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَتْ: يَا بُنَيَّ! لَوْ رَأَيْتَهُ رَأَيْتَ الشَّمْسَ طَالِعَةً. رَوَاهُ الدَّارِمِيُّ. [دي: ١/ ٢٠٤، ٦١].

٥٧٩٤ ـ [١٩] وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي لَيْلَةِ إِضْحِيَانٍ، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَإِلَى الْقَمَرِ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ، فَإِذَا هُوَ أَحْسَنُ عِنْدِي مِنَ الْقَمَرِ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالدَّارِمِيُّ. [ت: ٢٨١١، دي: ١/ ٢٠٢، ح: ٥٨].

في الحسن والقبيح.

وقوله: (**يقول ناعته**) يريد به: الراوي نفسه، أو المعنى: من أراد أن ينعته فيعجز عن نعت فيقول: (لم أر قبله ولا بعده مثله).

٥٧٩٢ ـ [١٧] (**جابر**) قوله: (**من طيب عرفه**) العرف بفتح المهملة وسكون الراء آخره فاء: الرائحة الطيبة.

وقوله: (**أو قال: من ريح عرقه**) بفتح الراء آخره قاف: رشح جلد الحيوان.

٥٧٩٣ ـ [١٨] (**أبو عبيدة بن محمد**) قوله: (**رأيت الشمس طالعة**) أي: لرأيت منه شمساً طالعة على سبيل التجريد نحو: لقيت منه أسداً.

٥٧٩٤ ـ [١٩] (**جابر بن سمرة**) قوله: (**في ليلة إضحيان**) بكسر الهمزة منوناً

٥٧٩٥ ـ [٢٠] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: مَا رَأَيْتُ شَيْئاً أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، كَأَنَّ الشَّمْسَ تَجْرِي فِي وَجْهِهِ، وَمَا رَأَيْتُ أَحَداً أَسْرَعَ فِي مَشْيِهِ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، كَأَنَّمَا الأَرْضُ تُطْوَى لَهُ، إِنَّا لَنُجْهِدُ أَنْفُسَنَا وَإِنَّهُ لَغَيْرُ مُكْتَرِثٍ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٦٤٨].

٥٧٩٦ ـ [٢١] وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: كَانَ فِي سَاقَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ حُمُوشَةٌ، وَكَانَ لاَ يَضْحَكُ إِلاَّ تَبَسُّماً، وَكُنْتُ إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ.........

أي: مضيئة، وإفعلان مما قلّ في كلامهم، وإنما قال: (عندي) إظهاراً لتلذذه بجماله ﷺ، فافهم.

٥٧٩٥ ـ [٢٠] (أبو هريرة) قوله: (إنا لنجهد) بضم النون وفتحها، يقال: جهد دابته وأجهدها.

وقوله: (وإنه لغير مكترث) أي: غير مبال.

٥٧٩٦ ـ [٢١] (جابر بن سمرة) قوله: (حموشة) بضم الحاء المهملة وبالشين المعجمة حموشة الساق: دقتها.

وقوله: (وكان لا يضحك إلا تبسماً) وهذا باعتبار غالب أحواله، فلا ينافي ما جاء في بعض الأحاديث: فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه، وقد ورد في حديث أبي هالة: ضحكه التبسم، والتبسم: مبادئ الضحك، والضحك: انبساط الوجه حتى تظهر الأسنان من السرور، فإن كان بصوت وكان يسمع بحيث يسمع من بعيد فهو القهقهة وإلا فالضحك، وإن كان بلا صوت فهو التبسم، كذا نقل في (المواهب)[1] عن أهل اللغة.

---

(١) «المواهب اللدنية» (٢/ ٢٧٩).

قُلْتُ: أَكْحَلُ الْعَيْنَيْنِ، وَلَيْسَ بِأَكْحَلَ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٦٤٥].

* الْفَصْلُ الثَّالِثُ:

٥٧٩٧ ـ [٢٢] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَفْلَجَ الثَّنِيَّتَيْنِ، إِذَا تَكَلَّمَ رُئِيَ كَالنُّورِ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ ثَنَايَاهُ. رَوَاهُ الدَّارِمِيُّ. [دي: ١/ ٢٠٣، ح: ٥٩].

وقوله: (**قلت: أكحل العينين وليس بأكحل**) الظاهر أن المراد ظننت أنه اكتحل، أي: استعمل الكحل في عينيه، والحال أنه لم يكتحل، بل كان كحل في عينه، فإنه قد ورد في صفته ﷺ: (في عينه كحل) بفتحتين، أي: سواد في أجفان العين خلقة، والرجل أكحل وكحيل، فلفظ الحديث لا يخلو عن إشكال، قال في (القاموس)[1]: الكحل محركة: أن يعلو منابت الأشفار سواد خلقة، فهو أكحل، انتهى. والمراد ما ذكرنا فلعله جاء أكحل بمعنى المكتحل، والله أعلم.

الفصل الثالث

٥٧٩٧ ـ [٢٢] (**ابن عباس**) قوله: (**أفلج الثنيتين**) وجاء في رواية: (مفلج الأسنان)، والمراد منهما الثنايا والثنية، والثنايا من الأسنان الأربعة في مقدم الفم ثنتان من فوق وثنتان من أسفل، والرباعيات اثنتان حولهما، والفلج بالتحريك: تباعد ما بين الأسنان، وقال صاحب (النهاية)[2]: إن الفلج بالتحريك: فرجة بين الثنايا والرباعيات، والفرق: فرجة بين الثنيتين، انتهى. فعلى هذا استعمل (فلج) موضع (فرق)، فتدبر.

وقوله: (**رئي**) بلفظ المجهول على وزن ضرب، (**كالنور**) أي: شيء مثل النور

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٩٧٠).

(٢) «النهاية» (٣/ ٤٦٨).

٥٧٩٨ ـ [٢٣] وَعَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ، حَتَّى كَأَنَّ وَجْهَهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

[خ: ٣٥٥٦، م: ٢٧٦٩].

٥٧٩٩ ـ [٢٤] وَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ غُلَامًا يَهُودِيًّا كَانَ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَمَرِضَ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فَوَجَدَ أَبَاهُ عِنْدَ رَأْسِهِ يَقْرَأُ التَّوْرَاةَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا يَهُودِيُّ! أَنْشُدُكَ بِاللهِ الَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ عَلَى مُوسَى هَلْ تَجِدُ فِي التَّوْرَاةِ نَعْتِي وَصِفَتِي وَمَخْرَجِي؟». قَالَ: لَا. قَالَ الْفَتَى: بَلَى وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّا نَجِدُ لَكَ فِي التَّوْرَاةِ نَعْتَكَ وَصِفَتَكَ وَمَخْرَجَكَ، وَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ اللهِ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «أَقِيمُوا هَذَا مِنْ عِنْدِ رَأْسِهِ وَلُوا أَخَاكُمْ» ....

في الظهور والبيان، أو الكاف زائدة، وهذا أظهر معنى، والضمير في (يخرج) للنور.

٥٧٩٨ ـ [٢٣] **(كعب بن مالك)** قوله: **(إذا سرّ)** بلفظ المجهول من السرور.

وقوله: **(قطعة قمر)** إنما قال: (قطعة) لقلة استدارته بالنسبة إلى استدارة القمر.

وقوله: **(وكنا نعرف ذلك)** إشارة إلى أنه كان في غاية الجلاء والظهور.

٥٧٩٩ ـ [٢٤] **(أنس)** قوله: **(يخدم)** من باب نصر وضرب.

وقوله: **(نعتي وصفتي)** كأن أحدهما عبارة عن الخلق بالفتح، والآخر عن الخلق بالضم، والظاهر من المخرج المبعث مصدر ميمي أو ظرف مكان أو زمان، ويمكن أن يراد به الهجرة، والخروج من مكة إلى المدينة، ومجيئهم إليهم.

وقوله: **(أقيموا هذا)** أي: أخرجوه من عنده، **(ولوا أخاكم)** (لوا) أمر بلفظ الجمع

رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «دَلَائِلِ النُّبُوَّة». [دلائل النبوة: ٦/ ٢٧٢].

٥٨٠٠ ـ [٢٥] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ». رَوَاهُ الدَّارِمِيُّ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ». [دي: ١/ ١٦٦، ح: ١٥، شعب الإيمان: ٢/ ٥٢٩، ح: ١٣٣٩].



المذكر من ولي الأمر، و(لِ) واحد، مثل قِ وقوا، أي: تولوا أمره من التمريض والتجهيز والتكفين.

٥٨٠٠ ـ [٢٥] (أبو هريرة) قوله: (إنما أنا رحمة مهداة) كقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[الأنبياء: ١٠٧]، وفي قوله: (مهداة) تعظيم وتبجيل لنفسه الكريمة، وتشريف وتكريم للأمة؛ لأن الإهداء إنما يكون بشيء نفيس إلى من أريد إكرامه.

تكملة: هذا ما أورده المؤلف من الأحاديث في كمال خلقته وجمال صورته، وفاته أشياء منها ما جاء في وصف بصره وسمعه، فقد جاء عن ابن عباس: كان رسول الله ﷺ يرى بالليل في الظلمة كما يرى بالنهار، وإنه كان يرى من خلفه ما يرى من أمامه، واختلف في أنها بآلة في قفاه، أو بعين رأسه، أو لا بهذا ولا بذاك بل كان بطريق العلم، وفيه كلام طويل ذكر في (المواهب)، وقد ذكرنا طرفاً منه في (باب الإمامة).

وذكر القاضي عياض في (الشفا)[1]: أنه ﷺ يرى في الثريا أحد عشر نجماً، وعند السهيلي: اثني عشر، وقال ﷺ: (إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، وإني

---

(١) «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» (١/ ١٦٤).

. . . .

لأسمع أطيط السماء وحق لها أن تئط، ليس فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً لله تعالى). وفي رواية: (وما فيها موضع شبر إلا وعليه ملك ساجد أو قائم)، وجاء في حديث أبي هالة: (خافض الطرف، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جل نظره الملاحظة)، وهي مفاعلة من اللحظ، وهو النظر بشق العين الذي يلي الصدغ، وأما الذي في جانب الأنف فالموق.

وجاء في حديث علي ﷺ: (كان رسول الله ﷺ عظيم العينين)، ولعل المراد به ما فسر به بعضهم: (أشكل العين) بطويل شق العين، والمقصود نفي صغرهما وغورهما مما ينافي الحسن والجمال، وهذا هو الضابطة في وصفه وجماله أنه كان في غاية الحسن والاعتدال، وكان رسول الله ﷺ واضح الجبين، مقرون الحاجبين بهذا وصفه علي ﷺ، فقال: مقرون الحاجبين، صلت الجبين، أي: واضحة، والقرن: اتصال شعر الحاجبين.

وجاء في وصفه: (رجل حسن الجسم، عظيم الجبهة، دقيق الحاجبين، وورد: (أزج الحواجب)، وفسر بالقوس، والطويل الوافر الشعر، وورد: من غير قرنٍ بينهما عِرْقٌ يُدِرُّهُ الغضبُ، أي: يمتلئ، وما إذا غضب كالممتلئ الضرع لبناً إذا أدر. وقوله: (من غير قرن) ينافي رواية: (مقرون الحاجبين)، والأول هو الصحيح في صفته، يعني سوابغ من غير قرن، وقد جاء: (أقنى الأنف)، والقنا في الأنف: طوله ودقة أرنبته مع حدب في وسطه، وفسرها السائل المرتفع وسطه.

وجاء في رواية الترمذي: (أقنى العرنين له نور يعلوه، يحسبه من لم يتأمله أشم)، و(العرنين) بكسر العين وسكون الراء وكسر النون: أعلى الأنف، وجاء: (كث اللحية

. . . .

عظيم الهامة)، وهو في معنى ما في الكتاب: (ضخم الرأس واللحية)، وجاء: (الواضح الخدين وسهل الخدين)، وجاء في حديث ابن أبي هالة فقال: (أشنب مفلج الأسنان)، والشنب: رونق الأسنان وماؤها، وقيل: رقتها وتحديدها، وجاء: (براق الثنايا)، وقال: (كان رسول الله ﷺ أحسن عباد الله شفتين وألطفهم ختم فم)، وقال قائلهم:

بحر من الشهد في فيه مراشفه ... ياقوته صدف فيه جواهره

وعن بعض الصحابة أنه قال: بايعنا رسول الله ﷺ أنا وأمي وخالتي، فلما رجعنا قالت لي أمي وخالتي: يا بني! ما رأينا مثل هذا الرجل أحسن وجهاً، وأنقى ثوباً، ولا ألين كلاماً، ورأينا كالنور يخرج من فيه.

وأما ريقه ﷺ فقد جاء: أتي بدلو من ماء فشرب من الدلو ثم صب في البئر ـ أو قال: مج في البئر ـ ففاح منها مثل رائحة المسك، ولم يكن بئر أعذب منها، وهذا معجزة، وبصقه ﷺ في عين علي وهو أرمد وبرؤه كأن لم يكن به وجع، مشهور، ويأتي في المعجزات إن شاء الله تعالى، ولهذا أمثال مذكورة في موضعه.

وأما فصاحة لسانه، وجوامع كلمه، وبديع بيانه فمما لا يمكن وصفه حتى كان كلامه يأخذ القلوب، ويسلب الأرواح.

وأما صوته فلقد كان أحسن الناس صوتاً وأصدقهم لهجة، فعن أنس قال: ما بعث الله نبيًّا إلا حسن الوجه، حسن الصوت، حتى بعث الله نبيكم ﷺ فبعث حسن الوجه حسن الصوت، وقد كان صوته يبلغ حيث لا يبلغه صوت غيره، فعن البراء: خطبنا رسول الله ﷺ حتى أسمع العواتق في خدورهن، وجاء: خطبنا رسول الله ﷺ بمنى ففتحت أسماعنا ـ وفي رواية: ففتح الله أسماعنا ـ حتى إن كنا لنسمع ما يقول

. . . .

ونحن في منازلنا.

وعن أم هانئ: كنا نسمع قراءة النبي ﷺ في جوف الليل عند الكعبة وأنا على عريشي.

وورد: جل ضحكه التبسم، ويفتر عن مثل حب الغمام، أي: يبدي أسنانه ضاحكاً، وحب الغمام: البرد، وورد: إذا ضحك رسول الله ﷺ تلألأ في الجدر، أي: يشرق نوره عليها إشراقاً كإشراق الشمس، كذا فسروه.

وكان بكاؤه ﷺ من جنس ضحكه لم يكن بشهيق ورفع صوت، كما لم يكن ضحكه بقهقهة، ولكن تدمع عيناه حتى تهملان، ويسمع لصدره أزيز كأزير المرجل خصوصاً عند سماع القرآن، وأحياناً في صلاة الليل.

وقد حفظه الله من التثاؤب، فورد: ما تثاءب النبي قط، وفي رواية: ما تثاءب نبي قط، وجاء في وصفه ﷺ: سائل الأطراف بالمهملة، وفي رواية: شائل الأطراف بالمعجمة، ويروى: سائن بالنون بدل اللام، وفسروه بطويل الأصابع.

وكان منبسط الوجه، ولم ينقبض وجهه حتى مات، وكان أبيض الإبطين، وهذا من خصائصه ﷺ؛ لأن الإبط من جميع الناس يكون متغير اللون، وزاد القرطبي: ولا شعر عليه، ولم يثبت ذلك، وبياض الإبط لا يستلزم ذلك، وقد ورد في بعض الروايات: نتف إبطيه، والله أعلم.

وجاء: بادن متماسك سواء البطن والصدر، ووصفت بطنه أم هانئ فقالت: ما رأيت بطن رسول الله ﷺ إلا ذكرت القراطيس المثنية بعضها على بعض، وجاء: مفاض البطن، فقيل: واسع البطن، وقيل: مستوى البطن مع الصدر، وجاء عن بعض

. . . .

الصحابة أنه قال: نظرت إلى ظهره كأنه سبيكة فضة، وقد جاء: كان رسول الله ﷺ أبيض، كأنما صيغ من فضة، وكان عريض الصدر، وفي رواية: رحب الصدر، وكان قلبه أنقى القلوب، وأصلحها، وأنورها، وقد غسل مراراً كما جاء في الأخبار.

وأما جماعه ﷺ فقد كان يدور على نسائه في الليلة الواحدة، وهي إحدى عشرة امرأة، وقد ورد: أنه أعطي قوة ثلاثين، وفي رواية: قوة أربعين، وزاد أبو نعيم عن مجاهد: كل رجل من رجال أهل الجنة، وقد يروى أنه يعطى كل رجل في الجنة قوة مئة، وقد حفظه الله من الاحتلام، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما احتلم نبي قط، وإنما الاحتلام من الشيطان، رواه الطبراني[١].

وقد مر: أنه كان شثن القدمين، أي: غليظ أصابعهما، وعن بعض الصحابة أنه قال: رأيت رسول الله ﷺ فما نسيت طول أصبع قدميه السبابة على سائر أصابعه، وكانت خنصره من رجله متظاهرة.

وقد اشتهر على الألسنة أن سبابة النبي ﷺ كانت أطول من الوسطى، قال الحافظ ابن حجر: وهو غلط ممن قاله، وإنما ذلك في أصابع رجليه، وكذا قال السخاوي وبين منشأ غلطه، وقد نقله صاحب (المواهب)[٢]، وورد في حديث ابن أبي هالة عند الترمذي: خمصان الأخمصين مسيح القدمين[٣]، والأخمص من القدم: الموضع الذي لا يلصق بالأرض منها عند الوطء، والخمصان: المبالغ فيه، أي: كان ذلك الموضع

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١/ ٣٠٤، رقم: ١١٨١٢).

(٢) «المواهب اللدنية» (٢/ ٢٩٢).

(٣) أخرجه الترمذي في «الشمائل» (٧).

. . . .

من أسفل قدميه شديد التجافي عن الأرض، وقد ورد في حديث أبي هريرة: كان إذا وطئ بقدمه وطئ بكلها ليس له أخمص، ويوفق بينهما بأنه كان أخمص، ولكن عند وطء القدم يطأ على قدمه كلها. ومسيح القدمين: أي ملساوتان لينتان ليس فيهما تكسر ولا شقاق، فإذا أصابهما الماء نبا عنهما، وورد: أنه كان ﷺ أحسن البشر قدماً.

أما طوله فقد عرف أنه كان أقرب إلى الطول من القصر، وورد: ليس بالذاهب طولاً، وفوق الربعة، إذا جاء مع القوم غمرهم، رواه عبدالله ابن الإمام أحمد رحمة الله عليهما، وورد: أنه كان ينسب إلى الربعة إذا مشى وحده، ولم يكن على حال يماشيه أحد من الناس ممن ينسب إلى الطول إلا طاله ﷺ، وربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما؛ فإذا فارقاه نسب إلى الربعة، وهذا معجزة له ﷺ. وجاء في خصائصه: أنه كان إذا جلس يكون كتفه أعلى من جميع الجالسين.

واختلف في سدله الشعر وفرقه، فقيل: كان يسدل موافقة لأهل الكتاب ثم فرق، وكلاهما جائز، وقيل: الفرق أفضل، وقالت أم هانئ: قدم رسول الله ﷺ علينا مكة وله أربع غدائر، والصحيح عند المحدثين أنه ﷺ لم يخضب، ولم يبلغ شيبه الخضاب، وكان رسول الله ﷺ يكثر دهن رأسه، وتسريح لحيته، ولم يحلق رأسه في غير نسك حج أو عمرة، وكان شعره عند أصحابه.

وعن محمد بن سرين قال: قلت لعبيدة: عندنا من شعر النبي ﷺ أصبناه من قبل أنس، قال: لأن يكون عندي شعرة منه أحب إلي من الدنيا وما فيها، وقال في (الشفاء)[1]: كث اللحية تملأ صدره، وورد: أنه ﷺ كان يأخذ من لحيته من عرضها

(١) «الشفا بتعريف حقوقه المصطفى» (١/ ١٤٨).

. . . .

وطولها، رواه الترمذي[1] وقال: حديث غريب، وكان يقص شاربه وقال: (من لم يأخذ شاربه فليس منا)، والكلام فيه طويل مذكور في موضعه ولا بأس بترك سباليه فعل ذلك عمر رضي الله عنه.

وأما العانة فقد روي أنه كان يطلأها بالنورة. وجاء في حديث أنس: أنه ﷺ كان لا يتنور، وكان إذا كثر شعره حلقه، ولكن سنده ضعيف، وكان يأخذ من شاربه وأظفاره يوم الجمعة، ولم يثبت في كيفيته شيء، وعند البعض في تعيين يوم أيضاً كلام، وكان لا يفارقه سواكه ومشطه، وكان ينظر في المرآة إذا سرح لحيته، وكانت له مكحلة يكتحل منها كل ليلة، ثلاثة في هذه وثلاثة في هذه قبل أن ينام.

وأما مشيه فقد عرف حاله، وأما مشيه مع أصحابه فكانوا يمشون بين يديه وهو خلفهم، وهو معنى ما ورد: كان يسوق أصحابه، ولم يكن له ﷺ ظل في شمس ولا في قمر، رواه الحكيم الترمذي عن ذكوان. وقال ابن سبع: كان ﷺ نوراً، وكان إذا مشى في الشمس والقمر لا يظهر له ظل، وقال: ويشهد له قوله ﷺ في دعائه: (واجعلني نوراً)[2]، قال العبد الضعيف: عجباً من هؤلاء الأعلام كيف فاتهم: ولا عند سراج، والدليل قائم.

وأما لونه فقد مضى الكلام فيه، واتفقت الروايات على بياضه، قالوا: كان أبيض مليح الوجه، وعند الطبراني: ما أنسى شدة بياضه في شدة سواد الشعر، وقال عمه أبو طالب في مدحه:

---

(١) أخرجه الترمذي في «سننه» (٢٧٦٢).

(٢) انظر: «المواهب اللدنية» (٢/ ٣٠٧).

. . . .

وأبْـيَض يُسْتَـسْقَى الغمـامُ بوجهـه ... ثمـال اليَتـامى عـصمة للأرامِـل

وأما طيب ريحه فقد ورد فيه عجائب يتحير العقل فيـه.

وأمـا البـول والدم: فقـد شربهما بعض الناس فلم يمرض أبـداً، وجاءت فيـه أحاديث، وفيها دلالة على طهارة بولـه ودمـه، وقـد ورد: أنه إذا كان أراد أن يتغوط انشقت الأرض وابتلعت بولـه وغائطـه، وفاحت لذلك رائحة طيبـة، ولم يطلع على ما يخرج منه بشر، وقد يروى: ابتلاع الأرض ما يخرج عن الأنبياء عليهم السلام.

وقال الشيخ الحافظ ابن حجـر[1]: قد تكاثرت الأدلة على طهارة فضلاته ﷺ، وعـد ذلك مـن خصائصه، فكلـه حسن وجمال، وكلـه طهارة ونظافـة، وكلـه فضل وكمال، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه في كل حين وفي كل حال، وهذا نقلته من صفاته ﷺ مما فات المؤلف في هذا الباب، وبعض ذلك وإن كان ذكره في أبواب أخر لكني أردت إيراده متسقاً ومنتظماً شوقاً وغراماً وتمسكاً واعتصاماً، ولا أخاف في أمثال ذلك من التطويل فأيّ تطويل عند ذكر الحبيب، وهو يصحح العليل ويشفي الغليل، فعلى الله التوكل، وعلى فضله وكرمه التعويل:

أكـرمْ بخلـقِ نبـيٍّ زانـهُ خُلُـقٌ ... بالحُـسْنِ مُـشْتَمِلٍ بالبِـشْرِ مُتَّـسِمِ

كالزَّهرِ فـي تَـرَفٍ والبَـدْرِ فـي شَـرَفٍ ... والبَحْـر فـي كَـرَمٍ والـدهْرِ فـي هِمَـمِ

مُنَـزَّهٌ عـن شـريكٍ فـي محاسـنهِ ... فَجَـوْهَرُ الحُـسْنِ فيـهِ غيـرُ مُنْقَـسِمِ

---

(١) «فتح الباري» (١/ ٢٧٣).

٣ ـ باب في أخلاقه وشمائله صلى الله عليه وسلم

٣ ـ باب في أخلاقه وشمائله ﷺ

ذكر المؤلف في الباب السابق أسماءه وصفاته ﷺ، وأراد بالصفات ما يتعلق بصورته الظاهرة التي يقال له: الخلق بفتح الخاء، فعقد باباً في سيرته الباطنة التي تسمى خلقاً بضم الخاء، قال في (القاموس)[1]: الخُلق بالضم وبضمتين: السجية، والطبع، والمروءة، والدين، وقال في (النهاية)[2]: وحقيقته أنه صورة الإنسان الباطنة، ونقل صاحب (المواهب) عن الراغب[3]: الخلق والخلق بالفتح والضم في الأصل بمعنى واحد كالشرب والشرب، لكن خص الخلق الذي بالفتح بالهيئات، والصور المدركة بالبصر، وخص الخلق الذي بالضم بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة، انتهى.

وقد اختلف أهو ـ أي حسن الخلق ـ غريزة أو مكتسب؟ وتمسك من قال بأنه غريزة بحديث ابن مسعود: (إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم أرزاقكم)، الحديث. رواه البخاري[4].

وقال القرطبي[5]: الخلق جبلة في نوع الإنسان، وهم في ذلك متفاوتون، فمن غلب عليه شيء منها كان محموداً وإلا فهو مأمور بالمجاهدة فيه حتى يصير محموداً، وكذا إن كان ضعيفاً فيرتاض صاحبه حتى يقوى، والحق أن للارتياض دخلاً في تهذيب

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٨١٢).

(٢) «النهاية» (٢/ ٧٠).

(٣) «المواهب اللدنية» (٢/ ٣٢٥).

(٤) أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٤/ ٤١٣).

(٥) «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» (١٩/ ٤٦).

. . . .

الأخلاق، وليس كما توهم بعضهم أنه لا دخل له فيه، كما في تغير الخلق الظاهر، وإلا لبطلت فائدة الشرائع وبعث الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، لكن ما كان جبليًّا راسخاً في الطبع صَعُبَ تغيره حتى كاد يعد متعذراً، وإليه الإشارة بقوله ﷺ: (إذا أخبرتم بأن جبلاً زال عن مكانه فصدقوه، وإذا أخبرتم بأن رجلاً زال عن خلقه فلا تصدقوا)[1]، أو كما قال، وما حصل من اعتياد أو صحبة الأشرار فيزول بالرياضة في اعتياد ضده، وملازمة صحبة الأخيار على أن قول القائل: لا يتغير الخلق الظاهر فلا يتغير الخلق الباطن؛ الملازمة ممنوعة، وهو قياس فاسد على أنه قد تتغير الصورة الظاهرة بأسباب وعوارض، فكذا الباطنة، نعم ما رسخ وغلب من الأخلاق والصفات في النفس صَعُبَ إزالتها وتهذيبها مع ما في الطبع والنفس من شدة المزاحمة والمعارضة لأحكام الشرع والعقل، فافهم وبالله التوفيق.

والشمائل: جمع شمال بالكسر، وهو الطبع، كذا في (القاموس)[2]، وفي (شرح الشفا)[3]: الشمائل جمع شمال بكسر الشين، وهو الخلق، وفي (الصراح)[4]: شمال بالكسر: دست چپ، وخو وعادت، ويجمع الشمال بمعنى ضد اليمين على أشمل وعلى شمائل أيضاً، كما في قوله تعالى: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا﴾[النحل: ٤٨]، والشمال بالفتح، وقد يكسر: الريح الذي مهبه بين مطلع الشمس وبنات النعش.

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٦/ ٤٤٣).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٩٣٨).

(٣) «شرح الشفا» (١/ ٤٤).

(٤) «الصراح» (ص: ٤٣٢).

* **الْفَصْلُ الأَوَّلُ:**

٥٨٠١ ـ [١] عَنْ أَنَسٍ قَالَ: خَدَمْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا قَالَ لِي: أُفٍّ، وَلاَ: لِمَ صَنَعْتَ؟ وَلاَ: أَلاَّ صَنَعْتَ؟ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٦٠٣٨، م: ٢٣٠٩].

الفصل الأول

٥٨٠١ ـ [١] (أنس) قوله: (خدمت) من باب نصر وضرب.

وقوله: (فما قال) أي: فيما يتعلق بالخدمة (أف) هو صوت يدل على التضجر مما يكره ويستقذر، وقيل: اسم للفعل الذي هو الضجر، وصحح في النسخ بالجر مشدداً منوناً وغير منون، وقال البيضاوي[1]: هو مبني على الكسر لالتقاء الساكنين، يعني بين الفائين، وتنوينه في قراءة نافع وحفص للتنكير، وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالفتح على التخفيف، وقرئ به منوناً وبالضم للإتباع كمنذ منوناً وغير منون، وقال في (القاموس)[2]: لغاتها أربعون، وعدها، وقد جاء الأف بمعنى: قُلامة الظفر، أو وسخه، أو وسخ الأذن، وما رفعته من الأرض من عود أو قصبة، أو الأف: وسخ الأذن، والتُّفُّ: وسخ الظفر، أو الأفُّ معناه: القلة، والتُّفُّ: إتباع، كذا في (القاموس).

وقوله: (لم صنعت؟) زجراً عما صنع.

وقوله: (ولا ألا صنعت؟) تحضيضاً على صنعه، يعني مع أنه كان يقع مني التقصير في الخدمة في بعض الأحيان، وأرتكب أمراً يوجب توجه الاعتراض ما زجرني ووبخني كما يفهم من حديثه في أول (الفصل الثاني)، وفي هذا كمال خلقه وسماحته ﷺ

---

(١) «تفسير البيضاوي» (١/ ٥٦٨).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٧٣١).

٥٨٠٢ ـ [٢] وَعَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقاً، فَأَرْسَلَنِي يَوْماً لِحَاجَةٍ، فَقُلْتُ: وَاللهِ لاَ أَذْهَبُ، وَفِي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَخَرَجْتُ حَتَّى أَمُرَّ عَلَى صِبْيَانٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَدْ قَبَضَ بِقَفَايَ مِنْ وَرَائِي، قَالَ: فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: «يَا أُنَيْسُ! ذَهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ؟». قُلْتُ: نَعَمْ، أَنَا أَذْهَبُ يَا رَسُولَ اللهِ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٣١٠].

مع الخدم، قال الطيبي[1] في مدح أنس ﷺ: بأنه لم يرتكب أمراً يتوجه إليه من النبي ﷺ اعتراض، ولا يخفى أنه ليس هذا مما يلائم للمقام، نعم يتضمن مدحه لشفقته وكرمه ﷺ عليه، فافهم.

٥٨٠٢ ـ [٢] (وعنه) قوله: (فقلت: والله لا أذهب) فإن قلت: كيف قال: لا أذهب، وقد أمره به رسول الله ﷺ؟ قلت: هذا القول صدر عن أنس في صغره وهو غير مكلف، مع أنه كان صادراً عنه في الظاهر وفي نفسه أن يذهب الأمر، فلذا لم يؤدبه عليه بل داعبه ورفق به.

وقوله: (حتى أمر) صحح بالنصب والرفع، والنصب أكثر. و(أنيس) تصغير أنس للترحم والشفقة، وإنما قال: نعم، ولم يذهب بعد بناء على العزم، كذا قال الطيبي[2]، ويمكن أن يقال: أنه فهم أنس من قوله ﷺ: (ذهبت حيث أمرتك؟) أن المقصود الأمر بالذهاب أو الاستفهام عن عزمه على الذهاب.

وقوله: (نعم) إجابة لذلك، ولذا قال: (أنا أذهب) بتقريره الحكم وتقويته،

---

(١) «شرح الطيبي» (١١/ ٢٨).

(٢) «شرح الطيبي» (١١/ ٢٨).

٥٨٠٣ ـ [٣] وَعَنْـهُ قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَعَلَيْـهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيـظُ الْحَاشِيَـةِ، فَأَدْرَكَـهُ أَعْرَابِـيٌّ، فَجَبَذَهُ بِرِدَائِـهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً، وَرَجَعَ نَبِـيُّ اللهِ ﷺ فِي نَحْرِ الأَعْرَابِـيِّ........................

فانظر إلى فصاحة أنس، وبلاغته في صغره.

٥٨٠٣ ـ [٣] (وعنه) قوله: **(برد نجراني)** البرد بالضم: ثوب مخطط، والجمع أبراد وأبرد وبرود، أكسية يلتحف بها، الواحدة بهاء، ونجران بفتح النون وسكون الجيم: موضع بين الحجاز والشام واليمن، وأثواب نجرانية منسوبة إليه، كذا في (النهاية)[1]، وفي (القاموس)[2]: موضع باليمن، فتح سنة عشر، وموضع قرب دمشق، وموضع بين الكوفة وواسط، وفي (الصحاح)[3]: اسم بلد من اليمن، وفي (المشارق)[4]: رداء نجراني: منسوب إلى نجران، مدينة معلومة أولها وأخرها نون. و**(الحاشية)** طرف الثوب وغيره.

وقوله: **(فجبذه بردائه)**، في (القاموس)[5]: الجبذ: الجذب، وليس مقلوبه بل لغة صحيحة، ووهمه الجوهري وغيره.

وقوله: **(في نحر الأعرابي)** مأخوذ من جعلته في نحر العدو، أي: قبالته وحذائه، والنحر: موضع القلادة من الصدر، أي: استقبله استقبالاً تامًّا على ما كان من عادته

---

(١) «النهاية» (٥/ ٢١).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٤٤٦).

(٣) «الصحاح» (٢/ ٨٢٣).

(٤) «مشارق الأنوار» (٢/ ٧).

(٥) «القاموس المحيط» (ص: ٣١٣).

حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَـةُ الْبُرْدِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِـهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ ضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣١٤٩، م: ١٠٥٧].

٥٨٠٤ ـ [٤] وَعَنْهُ قَالَ: كَـانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَأَجْـوَدَ النَّاسِ، وَأَشْجَعَ النَّاسِ، وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ذَاتَ لَيْلَـةٍ، فَانْطَلَقَ النَّاسُ قِبَلَ الصَّوْتِ، فَاسْتَقْبَلَهُمُ النَّبِـيُّ ﷺ قَدْ سَبَقَ النَّاسُ إِلَى الصَّوْت هُوَ يَقُولُ: «لَمْ تُرَاعُوا، لَمْ تُرَاعُوا» . . . .

الشريفة إذا التفت التفت جميعاً، و(العاتق) موضع الرداء من المنكب، يعني لم يتغير ولم يتأثر من سوء أدبه، وإن أثرت بهـا حاشية البـرد من شدة جبذتـه، وهذا من عادة جفاة العرب وخشونتهم، وعدم تهذيب أخلاقهم، وقيل: لعله كان من المؤلفة، ولهذا ناداه باسمه ﷺ، وفيه أن من ولي على قوم لزمه الاحتمال من أذاهم.

٥٨٠٤ ـ [٤] (وعنه) قوله: (ولقد فزع أهل المدينة) كأنه كان فزعهم من سارق أو عدو، والضمير في (فاستقبلهم) لما يفهم من الكلام السابق، أي: العـدو الذين كان الفزع من أجلهم، والضميـر في (سبق) للنبي ﷺ، و(الناس) مفعولـه، وفي روايـة: (ثم خرج يركض وحده فركب الناس يركضون خلفه).

وقولـه: (لم تراعـوا لم تراعـوا) مرتين بضم التـاء والعيـن: من الروع بمعنـى الفزع، و(لم) هنا بمعنى: لا، ويروى: (لن)، قالـوا: العـرب قـد تضع (لم) و(لن) موضـع (لا)، نقله الطيبي[1]، فهـو خبـر أي: لا روع ولا فـزع بمعنى الأمـر، أي:

---

(١) «شرح الطيبي» (١١/ ٢٩).

وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ مَا عَلَيْهِ سَرْجٌ، وَفِي عُنُقِهِ سَيْفٌ. فَقَالَ: «لَقَدْ وَجَدْتُهُ بَحْراً». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٢٦٢٧، م: ٢٣٠٧].

٥٨٠٥ ـ [٥] وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ: مَا سُئِلَ رَسُولُ اللهِ[1] ﷺ شَيْئاً قَطُّ فَقَالَ: لاَ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٦٠٣٤، م: ٢٣١١].

لا تفزعوا ولا تخافوا.

وقوله: (**وهو على فرس لأبي طلحة**) يقال له: المندوب، قال القاضي عياض[2]: وكان في أفراسه ﷺ مندوب فلعله صار إليه بعد أبي طلحة، وقال النووي[3]: يحتمل أنهما فرسان اتفقا في الاسم، و(**عري**) بضم العين وسكون الراء مجرور صفة لفرس.

وقوله: (**ما عليه سرج**) صفة أخرى وقع بياناً للصفة الأولى، والضمير في (**عنقه**) للنبي ﷺ.

وقوله: (**لقد وجدته**) أي: الفرس (**بحراً**) أي: واسع الجري، وزاد في رواية: (وكان الفرس بطيئاً حروناً)، وفي أخرى: (كان يقطف أو فيه قطاف)، يقال: قطف الفرس في مشيته: إذا تضايق خطوة، وزاد في رواية: فما سبق بعد ذلك اليوم.

٥٨٠٥ ـ [٥] (**جابر**) قوله: (**فقال: لا**) قال الحافظ أبو الفضل ابن حجر[4]: المراد أنه كان لا ينطق بالرد بل إن كان عنده أعطاه إن كان الإعطاء سائغاً وإلا سكت،

---

(١) في نسخة: «النبي».

(٢) «مشارق الأنوار» (٢/ ١٢).

(٣) «شرح النووي» (١٥/ ٦٨).

(٤) «فتح الباري» (١٠/ ٤٥٧).

٥٨٠٦ ـ [٦] وَعَنْ أَنَسٍ: أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ غَنَماً بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ، فَأَتَى قَوْمَهُ فَقَالَ: أَيْ قَوْمِ! أَسْلِمُوا، فَوَاللهِ إِنَّ مُحَمَّداً لَيُعْطِي عَطَاءً مَا يَخَافُ الْفَقْرَ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٣١٢].

وقد ورد بيان ذلك في حديث مرسل لابن الحنفية عند ابن سعد ولفظه: (إذا سئل فأراد أن يفعل قال: نعم، وإذا لم يرد أن يفعل سكت)[١]، وهو قريب من حديث أبي هريرة: (ما عاب طعاماً قط إن اشتهاه أكله وإلا تركه)[٢]، قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: معناه لم يقل: لا، منعاً للعطاء، ولا يلزم من ذلك أن لا يقولها اعتذاراً، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾[التوبة: ٩٢]، ولا يخفى الفرق بين قوله: (لا أجد ما أحملكم) وبين لا أحملكم، انتهى. كذا نقل في (المواهب)[٣].

٥٨٠٦ ـ [٦] (أنس) قوله: **(غنماً بين الجبلين)** غنم اسم جنس، أي: غنماً كثيراً يملأ ما بين الجبلين.

وقوله: **(إن محمداً ليعطي عطاء ما يخاف الفقر)** الرجل لما رأى منه ﷺ شيئاً من جلاله وجماله وما كان يبهر العقول من كماله، ثم رأى مثل هذا السخاء البالغ الجزيل، جاء يأمر القوم بالإسلام والدخول في ربقة طاعته، وأشار إلى أن طاعته تورث سعادة الدنيا والآخرة، وقال الطيبي[٤]: وجه دلالة هذا الوجه على وجوب الإسلام أن مقام ادعاء النبوة مع العطاء الجزيل يدل على وثوقه على من أرسله، فافهم.

---

(١) «الطبقات الكبرى» (١/ ٢٧٧).

(٢) أخرجه البزار في «مسنده» (١٧/ ١٣٨).

(٣) «المواهب اللدنية» (٢/ ٣٧٠).

(٤) «شرح الطيبي» (١١/ ٣١).

٥٨٠٧ ـ [٧] وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ بَيْنَمَا هُوَ يَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَقْفَلَهُ مِنْ حُنَيْنٍ، فَعَلِقَتِ الأَعْرَابُ يَسْأَلُونَهُ حَتَّى اضْطَرُّوهُ إِلَى سَمُرَةٍ، فَخَطَفَتْ رِدَاءَهُ، فَوَقَفَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «أَعْطُونِي رِدَائِي، لَوْ كَانَ لِي عَدَدَ هَذِهِ الْعِضَاهِ نَعَمٌ لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ، ثُمَّ لاَ تَجِدُونِي بَخِيلاً وَلاَ كَذُوباً وَلاَ جَبَاناً». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٢٨٢١].

٥٨٠٧ ـ [٧] (جبير بن مطعم) قوله: **(مقفله)** من القفول بمعنى الرجوع من السفر، وهو مصدر ميمي أو اسم زمان، وعلى الأول الوقت مقدر قبله، كما في قولهم: أتيتك خفوق النجم، وفي (مجمع البحار)[١]: هو بضم ميم وفتحها وسكون قاف، فبالفتح مصدر قفل إذا عاد من سفره، وبالضم من أقفل الجيش، يقال: قفلنا وأقفلنا غيرنا وأُقفلنا مجهولاً، انتهى. هذا والأظهر هو الأول وهو الرواية.

وقوله: **(فعلقت)** أي: تشبثت.

وقوله: **(يسألونه)** أي: من الأموال. و**(السمرة)** بفتح السين وضم الميم: نوع من الشجرة معروف، والضمير في **(خطفت)** للسمرة، و**(رداءه)** مفعول، خطف الشيء: سلبه، من سمع وضرب، والأول هو الجيد الفصيح.

و**(العضاه)** بكسرة العين المهملة والضاد جمع عضة كعنب، والعضهة كعنبة: كل شجر ذات شوك أو ما عظم منها أو طال، ولعل المراد عدد أوراق هذه العضاه.

وقوله: **(ثم لا تجدوني . . . إلخ)**، زيادة في بيان أوصافه الكريمة، وقيل: هو تتميم لما سبق.

---

(١) «مجمع بحار الأنوار» (٤/ ٣١١).

٥٨٠٨ ـ [٨] وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا صَلَّى الْغَدَاةَ جَاءَ خَدَمُ الْمَدِينَةِ بِآنِيَتِهِمْ فِيهَا الْمَاءُ، فَمَا يَأْتُونَ بِإِنَاءٍ إِلاَّ غَمَسَ يَدَهُ فِيهَا، فَرُبَّمَا جَاؤُوهُ بِالْغَدَاةِ الْبَارِدَةِ فَيَغْمِسُ يَدَهُ فِيهَا. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٣٢٤].

٥٨٠٩ ـ [٩] وَعَنْهُ قَالَ: كَانَتْ أَمَةٌ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ تَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٦٠٧٢].

٥٨١٠ ـ [١٠] وَعَنْهُ: أَنَّ امْرَأَةً كَانَتْ فِي عَقْلِهَا شَيْءٌ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً، فَقَالَ: «يَا أُمَّ فُلاَنٍ! انْظُرِي أَيَّ السِّكَكِ شِئْتِ حَتَّى أَقْضِيَ لَكِ حَاجَتَكِ». فَخَلاَ مَعَهَا فِي بَعْضِ الطُّرُقِ حَتَّى فَرَغَتْ مِنْ حَاجَتِهَا. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٣٢٦].

٥٨٠٨ ـ [٨] (أنس) قوله: (صلاة الغداة) أراد صلاة الفجر. و(الخدم) بفتحتين جمع خادم.

وقوله: (إلا غمس يده فيها) لشفائهم أو تبركهم، وتقييد الغداة بالباردة لبيان مشقتهم في طلب البركة منه ﷺ، أو لبيان تطييبه ﷺ قلوبهم، وغمسه يده في الماء البارد لأجلهم، وهذا هو الظاهر.

٥٨٠٩ ـ [٩] (وعنه) قوله: (كانت أمة) الظاهر أن (كان) هنا ليس للاستمرار، وهو المختار عند المحققين من شراح الأحاديث، وكأنّ المراد ربما كانت أمة، والله أعلم.

٥٨١٠ ـ [١٠] (وعنه) قوله: (كانت في عقلها شيء) أي: من الفتور والنقصان، بيان للواقع، أو إشارة إلى سبب شفقته ﷺ عليها ورعاية جانبها، أو إلى علة جرأتها على ذلك القول، وتكليفها رسول الله ﷺ بذلك، وفيه غاية تواضعه ﷺ، وفي بعض

٥٨١١ ـ [١١] وَعَنْـهُ قَالَ: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَاحِشـاً وَلاَ لَعَّانـاً وَلاَ سَبَّاباً، . . . .

(شروح الشمائل): إن فيه جواز جلوس الرجل مع الأجنبية، والخلـوة معها لضرورة الحاجة، انتهى. إن أراد جوازه لغير رسول الله ﷺ فهو محل نظر لجواز اختصاصه به ﷺ، وقـد مرّ الكلام فيـه في حديث أم سليم في الفصل الأول من (باب أسمائه وصفاته)، اللهم إلا عند الأمن من فتنة.

٥٨١١ ـ [١١] (وعنه) قوله: (فاحشاً ولا لعاناً ولا سباباً) الفحش: العدوان في الجواب، والتجاوز عن الحـد في الكلام، ومنـه قولـه ﷺ لعائشة: (لا تقولي ذلك، فإن الله لا يحب الفحش)، وفي رواية: (لا تكوني فاحشة)، ويجري أكثر ذلك في ألفاظ الوقاع وما يتعلق به، فإن لأهل الفساد في ذلك عبارات صريحة فاحشة، وأهل الصلاح يعرضون له ويكنون عنه، بل ينبغي الكناية من البول والتغوط لقضاء الحاجة، ونحوه، وقد يكون الفحش بمعنى الزيادة والكثرة، ومنه حديث: (دم البراغيث إن لم يكن فاحشاً فلا بأس به)[١]، والفاحشة يجيء بمعنى الزنا والمعصية.

و(اللعن) الطرد والتبعيد من رحمة الله، في (القاموس)[٢]: لعنه كمنعه: طرده، وأبعده، فهـو لعين وملعون، وفي (المشارق)[٣]: كانت العرب إذا تمرد منهم مارد، وحذروا مـن جرائره عليهم، طردوه عنهم وتبرؤوا منـه، وسموه اللعين، وكذلك في حق الله تعالى، واللعن من الله تعالى الإبعاد والطرد، ومن الخلق السب والدعاء، واللعن

---

(١) انظر: «مصنف عبد الرزاق» (١/ ٣٧٤).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ١١٣٥).

(٣) «مشارق الأنوار» (١/ ٥٨٥).

كَـانَ يَقُولُ عِنْـدَ الْمَعْتَبَـةِ: «مَـا لَـهُ تَرِبَ جَبِـينُـهُ؟». رَوَاهُ الْبُخَـارِيُّ. [خ: ٦٠٣١].

لمن لا يستحقـه من المعاصي الشديدة، وبالكثرة يصيـر كبيرة، واتفقوا على تحريمه لمعين مسلماً كان أو كافراً، ولا يحرم لموصوف كلعن آكل الربا والظالمين والكافرين، ومن انتمى إلى غير أبيه أو آوى محدثاً.

وقـد وقـع في الحديث: (إنما أنا بشر فأي المسلمين سببته ولعنته فاجعل ذلك رحمة)[1]، أو كما قال، وهذا مقيد بأنـه ليس من أهل اللعنة، كما صرح به في بعض الروايات، وإنما لعنه لظاهر حالة الموجب للّعن، ولم يكن كذلك عند الله تعالى، أو يكون مما جرت به العادة بدون قصد الدعاء، نحو: تربت يداك، وقد لعن رسول الله ﷺ بعض من استحقه خصوصاً وعموماً، لكن ينبغي أن يعلم أن اللعن على نوعين: أحدهما: الطـرد والإبعاد من رحمـة الله تعالى ودخـول الجنـة، وهـو الموجب للعذاب، وهو مخصوص بالكفار، وثانيهما: الطرد عـن نيـل درجـة السابقين ودخول الجنة معهم، ولا يختص هذا بالكفار، وبهذا التحقيق تنحل كثير من الإشكالات كما لا يخفى على المتتبعين، فإن قلت: بناء فعّال للتكثير أو للمبالغة، فنفيه لا يستلزم نفي أصل الفحش واللعن والسب؟ قلت: لما كانت هذه الفعال ممن هـو متصف بهـا تقع بطريق الكثرة والمبالغة نفى على ذلك الطريق، فافهم. و(**المعتبة**) بفتح الميم وسكون المهملة وكسر المثناة، ويجوز فتحها بعدها باء، مصدر عتب كالمظلمة من ظلم.

وقوله: (**ما له ترب جبينه؟**) على نحو: تربت يداه ورغم أنفه، وذلك دعاء عليه بالذل والمسكنة مع احتمال الدعاء له أيضاً بمعنى سجد لله وجهه.

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (٢٦٠١).

٥٨١٢ ـ [١٢] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ! ادْعُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ. قَالَ: «إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّاناً، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٥٩٩].

٥٨١٣ ـ [١٣] وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا، فَإِذَا رَأَى شَيْئاً يَكْرَهُهُ عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٥٦٢، م: ٢٣٢٠].

٥٨١٤ ـ [١٤] وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ مُسْتَجْمِعاً قَطُّ ضَاحِكاً...

٥٨١٢ ـ [١٢] (أبو هريرة) قوله: (وإنما بعثت رحمة) إما للمؤمنين فظاهر، وإما للكافرين فلرفع العذاب عنهم في الدنيا بوجوده، ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾[الأنفال: ٣٣].

٥٨١٣ ـ [١٣] (أبو سعيد الخدري) قوله: (من العذراء) وهي البكر وجمعه العذاري، و(الخدر) بكسر الخاء المعجمة وسكون الدال المهملة: ستر يمد للجارية في ناحية البيت، وكل ما واراك من بيت ونحوه، والجمع الخدور والأخدار، وفي (النهاية)[1]: ناحية في البيت يترك عليها ستر فتكون فيه البكر.

وقوله: (عرفناه في وجهه) أي: لم يتكلم بكراهته لحيائه، بل يتغير وجهه فيفهم كراهته.

٥٨١٤ ـ [١٤] (عائشة) قوله: (مستجمعاً قط ضاحكاً) أي: ضحكاً، وهو تمييز،

---

(١) «النهاية» (٢/ ١٣).

حَتَّى أَرَى مِنْهُ لَهَوَاتِهِ، وَإِنَّمَا كَانَ يَتَبَسَّمُ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٦٠٩٢].

٥٨١٥ ـ [١٥] وَعَنْهَا قَالَتْ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَسْرُدُ الْحَدِيثَ كَسَرْدِكُمْ، كَانَ يُحَدِّثُ حَدِيثاً لَوْ عَدَّهُ الْعَادُّ لَأَحْصَاهُ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٥٦٨، م: ٢٤٩٣].

٥٨١٦ ـ [١٦] وَعَنِ الأَسْوَدِ قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ: مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: كَانَ يَكُونُ........................

ويحتمل الحال، أي: ضاحكاً كل الضحك، استجمع السيل: اجتمع من كل موضع، و(اللهواة) جمع لهاة بالفتح: وهي اللحمة التي بأعلى الحنجرة من أقصى الفم.

٥٨١٥ ـ [١٥] (وعنها) قوله: (لم يكن يسرد الحديث) السرد: الخرز في الأديم، ونسج الدرع، وجَوْدَة سياق الحديث، ومتابعة الصوم، كذا في (القاموس)[١]، وفي (المشارق)[٢] في حديث: (أسرد الصيام) أي: أواليه وأتابعه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ﴾ [سبأ: ١١] أي: في متابعة الخلق شيئاً بعد شيء حتى تتناسخ، ومنه: فلان يسرد الحديث، ومنه قول عائشة: لم يكن رسول الله ﷺ يسرد الحديث كسردكم، أي: لم يكن حديثه متتابعاً بحيث يأتي بعضه إثر بعض، فيلتبس على المستمع، بل يوضحه ويفصله بحيث لو أراد السامع عده أمكنه.

٥٨١٦ ـ [١٦] (الأسود) قوله: (كان يكون) في (كان) ضمير شأن، أو

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٢٧٤).

(٢) «مشارق الأنوار» (٢/ ٣٥٨).

فِي مَهْنَةِ أَهْلِهِ ـ تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ ـ فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٦٧٦].

٥٨١٧ ـ [١٧] وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ قَطُّ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْماً، فَإِنْ كَانَ إِثْماً كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، ....

الثاني زائدة.

وقوله: (في مهنة أهله) أي: خدمتهم، والمهنة بفتح الميم وكسرها، ونقل عن الأصمعي: أنه أنكر الكسر، كذا نقل في (النهاية)[١]، وفي (القاموس)[٢]: المهنة بالكسر وبالفتح والتحريك، وككلمة: الحِذْقُ بالخدمة والعمل، مهنه كمنعه مهناً، ومهنة ويكسر: خدمه، انتهى.

وفي الحديث: (ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم جمعته سوى ثوبي مهنته)[٣] أي: بذلته وخدمته، والمراد هنا أنه كان في خدمة أهله كحلب شاة، وتفلية ثوب، وخصف نعل، وفيه: أن خدمة الدار وأهلها سنة عباد الله الصالحين.

وقوله: (تعني خدمة أهله) هذا التفسير من قول الراوي عن شعبة، ورووه جماعة بدونه، وفي رواية: تعني بالمهنة خدمة أهله.

٥٨١٧ ـ [١٧] (عائشة) قوله: (ما خير) بلفظ المجهول من التخيير، قال

---

(١) «النهاية» (٤/ ٣٧٦).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ١١٣٩).

(٣) أخرجه ابن ماجه في «سننه» (١٠٩٥).

وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ قَطُّ. . . . .

الشيخ[١]: أبهم فاعل (خير) ليكون أعم من أن يكون من قبل المخلوقين أو من قبل الله تعالى، لكن التخيير بين ما فيه إثم وما ليس فيه إثم من قبل الله تعالى مشكل، إلا إذا حملناه على ما لا يفضي إلى الإثم، فذلك يمكن بأن يخير بين أن يفتح عليه من كنوز الأرض ما يخشى من الاشتغال به أن لا يتفرغ للعبادة، وبين أن [لا] يؤتيه من الدنيا إلا الكفاف، فالإثم على هذا أمر نسبي لا يراد منه [معنى] الخطيئة لثبوت العصمة، هذا كلام الشيخ.

وفي (مجمع البحار)[٢]: إن كان التخيير من الكفار والمنافقين فكون أحدهما إثماً ظاهر، وإن كان من المسلمين فمعناه ما لم يؤد إلى إثم كالتخيير في الاجتهاد والاقتصاد، فإن المجاهدة بحيث يفضي إلى الهلاك لا يجوز، وقيل: هو إما تخيير من الله فيما فيه عقوبتان، أو فيما بينه وبين الكفار من القتال وأخذ الجزية، أو في حق الله من المجاهدة في العبادة والاقتصاد.

وقوله: (**وما انتقم رسول الله ﷺ**) قال الشيخ[٣]: أي ما انتقم لحاجة نفسه فلا يرد أمره بقتل عقبة بن أبي معيط وعبدالله بن خطل وغيرهما ممن كان يؤذي رسول الله ﷺ لأنهم كانوا مع ذلك ينتهكون حرمات الله، وقيل: ذلك في غير السبب الذي يفضي إلى الكفر، وقيل: يختص ذلك بالمال، وأما العرض فقد اقتص ممن يأتي منه.

---

(١) «فتح الباري» (٦/ ٥٧٥).

(٢) «مجمع بحار الأنوار» (٢/ ١٣٩).

(٣) «فتح الباري» (٦/ ٥٧٥).

إِلاَّ أَنْ يُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللهِ فَيَنْتَقِمُ لِلَّهِ بِهَا مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٥٦٠، م: ٢٣٢٧].

٥٨١٨ ـ [١٨] وَعَنْهَا قَالَتْ: مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِنَفْسِهِ شَيْئاً قَطُّ بِيَدِهِ، وَلاَ امْرَأَةً وَلاَ خَادِماً، إِلاَّ أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ، فَيَنْتَقِمُ مِنْ صَاحِبِهِ إِلاَّ أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللهِ فَيَنْتَقِمُ لِلَّهِ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٣٢٨].

وقوله: (**إلا أن ينتهك**) استثناء منقطع إلا أن يراد بقوله أعم من أن يكون في ضمنه انتهاك حرمة الله، و(ينتهك) على لفظ المجهول افتعال من النهك، والنهك في الأصل: الغلبة، نهكه: غلبه، ومن الطعام: بالغ في أكله، وعرضه: بالغ في شتمه، كذا في (القاموس)[١]، وفي (مختصر النهاية)[٢]: انتهك، أي: بالغ في خرق محارم الشرع، أي: فعل ما حرم الله.

٥٨١٨ ـ [١٨] (**وعنها**) قوله: (**ما ضرب... شيئاً**) أي: مما يعد ضربه إيذاء وإيلاماً، وفي ذكر الشيء مبالغة.

وقوله: (**ولا امرأة ولا خادماً**) تخصيص بعد تعميم، وقد قتل ﷺ أبي بن خلف.

وقوله: (**وما نيل منه شيء قط**) أي: ما أصابه شيء قط من أحد مما يضره، يقال: نلته أنيله وأناله نيلاً: أصبته، والضمير في (صاحبه) للشيء، وهو أحسن من أن يجعل له ﷺ.

وقوله: (**فينتقم**) بالنصب عطفاً على أن ينتهك.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٨٨٠).

(٢) «الدر النثير» (٢/ ١٠٢٣).

* الْفَصْلُ الثَّانِي:

٥٨١٩ ـ [١٩] عَنْ أَنَسٍ قَالَ: خَدَمْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَنَا ابْنُ ثَمَانِ سِنِينَ، خَدَمْتُهُ عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا لَامَنِي عَلَى شَيْءٍ قَطُّ أُتِيَ فِيهِ عَلَى يَدَيَّ، فَإِنْ لَامَنِي لَائِمٌ مِنْ أَهْلِهِ قَالَ: «دَعُوهُ، فَإِنَّهُ لَوْ قُضِيَ شَيْءٌ كَانَ». هَذَا لَفْظُ «الْمَصَابِيحِ»: وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ». مَعَ تَغْيِيرٍ(١). [شعب: ٥٧٧٢].

الفصل الثاني

٥٨١٩ ـ [١٩] (أنس) قوله: (خدمت) أي: دخلت في خدمته، فإنه ﷺ كان ابن ثمان حين هاجر رسول الله ﷺ المدينة، فجاءت به أمه ليخدمه ﷺ، فخدمه عشر سنين، وهي مدة إقامته ﷺ بالمدينة.

وقوله: (أتي فيه) صفة (شيء)، و(فيه) نائب مناب الفاعل وضميره لشيء، و(أتي) بمعنى أهلك وأتلف، قال في (القاموس)(٢): أتى عليه الدهر: أهلكه، فيكون المعنى ما لامني على شيء تلف وهلك على يدي، وقيل: ضمن أتي معنى عيب وطعن، فافهم.

وقوله: (فإنه لو قضي شيء كان) بيان سبب ترك الملامة على هلاك شيء؛ فإنه إنما هلك بقضاء الله وقدره، وهذا كما ورد في خبر آخر: (لا تضربوا إماءكم على كسر الأواني، فإن لكل شيء أجلاً)(٣)، أو كما قال.

---

(١) زاد في نسخة: «يسير».

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ١١٥٧).

(٣) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٢٦).

٥٨٢٠ ـ [٢٠] وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَاحِشاً وَلاَ مُتَفَحِّشاً وَلاَ سَخَّاباً فِي الأَسْوَاقِ، وَلاَ يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢٠١٦].

٥٨٢١ ـ [٢١] وَعَنْ أَنَسٍ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَعُودُ الْمَرِيْضَ، وَيَتْبَعُ الْجِنَازَةَ، وَيُجِيبُ دَعْوَةَ الْمَمْلُوكِ، وَيَرْكَبُ الْحِمَارَ، لَقَدْ رَأَيْتُهُ يَوْمَ خَيْبَرَ عَلَى حِمَارٍ خِطَامُهُ لِيفٌ. رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ». [جه: ٤١٧٨، شعب: ٧٨٤١].

٥٨٢٢ ـ [٢٢] وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَخْصِفُ نَعْلَهُ، وَيَخِيطُ ثَوْبَهُ، وَيَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ كَمَا يَعْمَلُ أَحَدُكُمْ فِي بَيْتِهِ، وَقَالَتْ: كَانَ بَشَراً مِنَ الْبَشَرِ، ....

٥٨٢٠ ـ [٢٠] (عائشة) قوله: (فاحشاً ولا متفحشاً) الفاحش: ذو الفحش في كلامه بأن يكون ذلك عادته وديدنه، والمتفحش: من يتكلفه ويتعمده، أي: لم يكن الفحش له جبلياً ولا كسبياً، و(السخاب) شديد الصوت، وقد مرّ شرحه في الفصل الأول من (كتاب فضائله).

٥٨٢١ ـ [٢١] (أنس) قوله: (ويركب الحمار) فيه بيان تواضعه، وترك تكلفه، ونفي الكبر كما هو شأن الملوك والجبابرة.

٥٨٢٢ ـ [٢٢] (عائشة) قوله: (يخصف نعله) خصف النعل يخصفها: خرزها، وأصله الضم، والجمع.

يَفْلِي ثَوْبَهُ، وَيَحْلُبُ شَاتَهُ، وَيَخْدُمُ نَفْسَهُ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٢٥].

٥٨٢٣ ـ [٢٣] وَعَنْ خَارِجَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ: دَخَلَ نَفَرٌ عَلَى زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ فَقَالُوا لَهُ: حَدِّثْنَا أَحَادِيثَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: كُنْتُ جَارَهُ، فَكَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ بَعَثَ إِلَيَّ فَكَتَبْتُهُ لَهُ، فَكَانَ إِذَا ذَكَرْنَا الدُّنْيَا ذَكَرَهَا مَعَنَا، وَإِذَا ذَكَرْنَا الآخِرَةَ ذَكَرَهَا مَعَنَا، وَإِذَا ذَكَرْنَا الطَّعَامَ ذَكَرَهُ مَعَنَا، فَكُلُّ هَذَا أُحَدِّثُكُمْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٢٦].

وقوله: (يفلي ثوبه) في (القاموس)[1]: فلا رأسه يفلي: بحثه عن القمل، وكذلك في (الصحاح)[2]، وغيره بهذا فسروه، ولكن نقل في (المواهب) عن بعض العلماء: لم يقع في ثوبه ﷺ قمل قط، ولم يصل من بدنه الشريف على ثوبه دنس، ونقل عن الإمام فخر الدين الرازي: لم يجلس عليه ﷺ ذباب، ولم تؤذه بقة، ولكن لما كان من لازم التفلي وجود شيء من المؤذيات كالقمل أو البرغوث وأمثالهما لم يكن بد من القول: يتعلق شيء منها بثوبه ولو من خارج لا من بدنه، والله أعلم.

وفي الحديث دليل على أنه ﷺ لم يكن ملكاً جباراً متكبراً، فإنه لا يصدر منهم مثل هذه الأفعال بل نبيًا مرسلاً متواضعاً واقفاً على حد البشرية، خصه الله سبحانه بفضله العظيم، بل كان كل ما فعله في الحقيقة تعليماً وإرشاداً للناس الآداب الكريمة والأخلاق الحميدة ﷺ.

٥٨٢٣ ـ [٢٣] (خارجة بن زيد) قوله: **(إذا ذكرنا الدينا ذكرها معنا)** المراد بها ما يتعلق بعادات الناس وأحوالهم مما لا يكره ولا يذم، وأما ما يذم ويكره فحاشاه

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١٢١٤).

(٢) «الصحاح» (٦/ ٢٤٥٧).

٥٨٢٤ ـ [٢٤] وَعَنْ أَنَسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا صَافَحَ الرَّجُلَ لَمْ يَنْزِعْ يَدَهُ مِنْ يَدِهِ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذِي يَنْزِعُ يَدَهُ، وَلاَ يَصْرِفُ وَجْهَهُ عَنْ وَجْهِهِ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذِي يَصْرِفُ وَجْهَهُ عَنْ وَجْهِهِ، وَلَمْ يُرَ مُقَدِّماً رُكْبَتَيْهِ بَيْنَ يَدَيْ جَلِيسٍ لَهُ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢٤٩٠].

٥٨٢٥ ـ [٢٥] وَعَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ لاَ يَدَّخِرُ شَيْئاً لِغَدٍ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢٣٦٢].

٥٨٢٦ ـ [٢٦] وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ طَوِيلَ الصَّمْتِ. رَوَاهُ فِي «شَرْحِ السُّنَّةِ». [شرح السنة: ٣٦٩٥].

أن يذكر في مجلسه ﷺ.

٥٨٢٤ ـ [٢٤] (أنس) قوله: (ولم ير) بلفظ المجهول من الرؤية، (مقدماً) بكسر الدال وتشديدها من التقديم، قيل: المراد بالركبتين هنا الرجلان، وتقديمهما عبارة عن مدهما، أي: لم يكن رسول الله ﷺ يمد رجليه بين يدي جليسه، وقيل: معناه لم يكن مقدماً ركبته في الجلوس على ركب جلسائه، كما يفعله الجبابرة، بل يجلس مستوياً في الصف معهم، وقيل: معناه [لا] يرفع ركبته عند من يجالسه بل يحفظها تعظيماً لجليسه، وكل ذلك كان لفرط أدبه وتعليم أصحابه، ولا ينافي هذا أنه قد كان يجلس رافعاً ركبتيه بالاحتباء وغيره، لأنه يجوز أن يكون في غير المجلس بل في الخلوة، أو مع بعض الأصحاب، والله أعلم.

٥٨٢٥ ـ [٢٥] (وعنه) قوله: (**كان لا يدخر شيئاً لغد**) لنفسه، وإلا فقد ثبت أنه ادخر نفقة سنة لنسائه.

٥٨٢٦ ـ [٢٦] (**جابر بن سمرة**) قوله: (**طويل الصمت**) أي: كثير السكوت

٥٨٢٧ ـ [٢٧] وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ: كَانَ فِي كَلَامِ رَسُولِ اللهِ ﷺ تَرْتِيلٌ وَتَرْسِيلٌ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٤٨٣٨].

٥٨٢٨ ـ [٢٨] وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: مَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَسْرُدُ سَرْدَكُمْ هَـذَا، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ بَيْنَهُ فَصْلٌ، يَحْفَظُهُ من جَلَسَ إِلَيْهِ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٦٣٩].

٥٨٢٩ ـ [٢٩] وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ جَزْءٍ قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَداً أَكْثَرَ تَبَسُّماً مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٦٤١].

لا يتكلم إلا لحاجة.

٥٨٢٧ ـ [٢٧] **(جابر)** قوله: **(ترتيل وترسيل)** قريب في المعنى، قال في (القاموس)[1]: الرتل محركة: حسن تناسق الشيء، ورتل الكلام ترتيلاً: أحسن تأليفه، وترتَّلَ فيه: ترسل، وتفسير الترتيل بالتؤدة ضد الاستعجال بتبيين الحروف والحركات مميزة، ويقال: ترتل في كلامه ومشيه، إذا لم يعجل، ومنه حديث: (إذا أذنت فترسل)[2] أي: تأنَّ ولا تعجل.

٥٨٢٨ ـ [٢٨] **(عائشة)** قوله: **(بينه)** أي: بين أجزائه وكلماته فصل وفرق، وفي رواية: (بكلام بيّن فصل) بتشديد الياء، أي: كلام واضح مفصول.

٥٨٢٩ ـ [٢٩] **(عبدالله بن الحارث)** قوله: **(ابن جزء)** بفتح الجيم وسكون الزاي آخره همزة.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٩٠٣).

(٢) أخرجه الترمذي في «سننه» (١٩٥).

٥٨٣٠ ـ [٣٠] وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ سَلاَمٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا جَلَسَ يَتَحَدَّثُ يُكْثِرُ أَنْ يَرْفَعَ طَرْفَهُ إِلَى السَّمَاءِ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٤٨٣٧].

* الْفَصْلُ الثَّالِثُ:

٥٨٣١ ـ [٣١] عَنْ عَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَداً كَانَ أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، كَانَ إِبْرَاهِيمُ ابْنُهُ مُسْتَرْضَعاً فِي عَوَالِي الْمَدِينَةِ، فَكَانَ يَنْطَلِقُ وَنَحْنُ مَعَهُ، فَيَدْخُلُ الْبَيْتَ وَإِنَّهُ لَيُدَّخَنُ، وَكَانَ ظِئْرُهُ قَيْناً، فَيَأْخُذُهُ فَيُقَبِّلُهُ ثُمَّ يَرْجِعُ. قَالَ عَمْرٌو: فَلَمَّا تُوُفِّيَ إِبْرَاهِيمُ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ ابْنِي، وَإِنَّهُ مَاتَ فِي الثَّدْيِ، . . . .

٥٨٣٠ ـ [٣٠] (عبدالله بن سلام) قوله: (يرفع طرفه إلى السماء) ترقباً لنزول جبرئيل بالوحي.

الفصل الثالث

٥٨٣١ ـ [٣١] (عمرو بن سعيد) قوله: (في عوالي المدينة) جمع عالية، والمراد القرى التي في جانب العلو من المدينة من مسجد قباء، ومنازل بني قريظة وغيرهم.

وقوله: (وإنه ليدخن) بضم الياء وتشديد الدال من الدخان.

وقوله: (وكان ظئره قيناً) الظئر: المرضعة ولد غيرها، من ظأر وأظأر مهموزاً: عطف على غير ولده، ويقال للذكر أيضاً، وكان زوج ظئر إبراهيم اسمها أم سيف قيناً بفتح القاف وسكون الياء بمعنى الحداد، ويقال له: أبو سيف.

وقوله: (وإنه مات في الثدي) أي: في مدة الرضاع، قيل: كان ابن ستة عشر شهراً، وقيل: سبعة عشر، وقيل غير ذلك، وقد سبق ذكره في (باب صلاة الخسوف)،

وَإِنَّ لَهُ لَظِئْرَيْنِ تُكْمِلَانِ رَضَاعَهُ فِي الْجَنَّةِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٣١٦].

و(**تكملان**) أي: يتمان من الإكمال.

وقوله: (**في الجنة**) أي: أنه يدخل الجنة عقيب موته فيتم فيها رضاعه كرامة له.

فائدة: اعلم أنه قد روي: (لو عاش إبراهيم لكان نبياً) قال شيخ بعض شيوخنا ابن ديبع في كتاب (تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على الألسنة من الأحاديث)[١]: وقال النووي: هذا الحديث باطل وجسارة على الكلام في المغيبات، وهجوم على أمر عظيم، وقال ابن عبد البر في (تمهيده): لا أدري ما هذا، فقد وَلَدَ نوحٌ عليه السلام غَيْرَ نبي، ولو لم يلد نبي إلا نبياً كان كل واحد نبيًّا لأنه من ولد نبي، قلت: قد أخرجه ابن ماجه وغيره من حديث ابن عباس قال: (لما مات إبراهيم ابن النبي ﷺ، قال: إن له مرضعاً في الجنة، ولو عاش لكان صديقاً نبيًّا، ولو عاش لأعتقت أخواله من القبط، وما استرق قبطي)[٢]، وفي سنده أبو شيبة إبراهيم بن عثمان الواسطي وهو ضعيف، والله أعلم، انتهى.

وفي (شرح الشمائل) للشيخ[٣]: قد ورد من طرق ثلاثة عن ثلاثة من الصحابة: (لو عاش لكان نبيًّا)، وتأويله أن القضية الشرطية لا تستلزم وقوع المقدم، ولا يظن بالصحابة الهجوم على مثل ذلك بالظن، وأما إنكار النووي كابن عبد البر لذلك فلعدم ظهور هذا التأويل، وهو ظاهر، انتهى.

أقول: هذا ظاهر غير مخفي، ولكن الكلام في بيان الملازمة، ولا بد من بيانها.

---

(١) «تمييز الطيب من الخبيث» (ص: ١٣٤)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (١/ ١٠٣).

(٢) «سنن ابن ماجه» (١٥١١).

(٣) انظر: «جمع الوسائل» (٢/ ١٢٤).

٥٨٣٢ ـ [٣٢] وَعَنْ عَلِيٍّ: أَنَّ يَهُودِيًّا كَانَ يُقَالُ لَهُ: فُلاَنٌ، حَبْرٌ، كَانَ لَهُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ دَنَانِيرُ، فَتَقَاضَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ لَهُ: «يَا يَهُودِيُّ! مَا عِنْدِي مَا أُعْطِيكَ». قَالَ: فَإِنِّي لاَ أُفَارِقُكَ يَا مُحَمَّدُ حَتَّى تُعْطِيَنِي. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذاً أَجْلِسُ مَعَكَ» فَجَلَسَ مَعَهُ، فَصَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ الآخِرَةَ وَالْغَدَاةَ، وَكَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَتَهَدَّدُونَهُ وَيَتَوَعَّدُونَهُ، فَفَطِنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا الَّذِي يَصْنَعُونَ بِهِ. فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! يَهُودِيٌّ يَحْبِسُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنَعَنِي رَبِّي أَنْ أَظْلِمَ مُعَاهِداً وَغَيْرَهُ»، فَلَمَّا تَرَجَّلَ النَّهَارُ قَالَ الْيَهُودِيُّ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، وَشَطْرُ مَالِي فِي سَبِيلِ اللهِ، أَمَا وَاللهِ مَا فَعَلْتُ بِكَ الَّذِي فَعَلْتُ بِكَ إِلاَّ لأَنْظُرَ إِلَى نَعْتِكَ فِي التَّوْرَاةِ: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِاللهِ، مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ، وَمُهَاجَرُهُ بِطَيْبَةَ، وَمُلْكُهُ بِالشَّامِ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلاَ غَلِيظٍ، وَلاَ سَخَّابٍ فِي الأَسْوَاقِ، ....

ولعل المقصود مدح إبراهيم وبيان رتبته واستعداده، يعني أنه كان مستعداً للنبوة لو عاش، ولكنه لم يعش لختم النبوة عليه ﷺ، والله أعلم.

٥٨٣٢ ـ [٣٢] (علي) قوله: (فلما ترجل النهار) أي: ارتفع، في (القاموس)[1]: رجل النهار: ارتفع، و(المهاجر) بفتح الجيم بمعنى الهجرة، و(طيبة) بفتح الطاء وسكون المثناة التحتية من أسماء المدينة المطهرة، ولها أسماء قريبة من المئة، قد ذكرنا نبذة منها في (تاريخ المدينة).

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٩٢٣).

وَلاَ مُتَزَيٍّ بِالْفُحْشِ، وَلاَ قَوْلِ الْخَنَا، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، وَهَذَا مَالِي فَاحْكُمْ فِيهِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ، وَكَانَ الْيَهُودِيُّ كَثِيرَ الْمَالِ. رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «دَلاَئِلِ النُّبُوَّةِ». [دلائل النبوة: ٦/ ٢٨٠].

٥٨٣٣ ـ [٣٣] وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُكْثِرُ الذِّكْرَ، وَيُقِلُّ اللَّغْوَ، وَيُطِيلُ الصَّلاَةَ، وَيُقَصِّرُ الْخُطْبَةَ، وَلاَ يَأْنَفُ أَنْ يَمْشِيَ مَعَ الأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ. . . . .

وقوله: (ولا متزي) من الزي بمعنى اللباس والهيئة. و(الخنا) بفتح الخاء المعجمة: الفحش في القول، ناقص لا مهموز، وفي (الصراح)[١]: خنى: سخن بيهوده گفتن.

٥٨٣٣ ـ [٣٣] (عبدالله بن أبي أوفى) قوله: (ويقل اللغو) في (القاموس)[٢]: اللغو واللغا: ما لا يعتد به من كلام وغيره، وكلمة لاغية: أي: فاحشة، وفي (الصراح)[٣]: لغو: بيهوده گفتن. ولعل المراد بالقلة العدم، أو المراد باللغو ما سوى الذكر.

وقوله: (ويقصر الخطبة) من التقصير، مرّ شرحه في (باب الخطبة).

وقوله: (ولا يأنف) من أنف منه كسمع أنفاً وأنفة محركتين: أي: استنكف.

وقوله: (مع الأرملة) بفتح الميم، الأرملة: المرأة التي مات زوجها، والأرمل: الرجل الذي ماتت زوجته، غنيين أو فقيرين، والجمع الأرامل، وهو بالنساء أخص

---

(١) «الصراح» (ص: ٥٥٦).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ١٢٢٢).

(٣) «الصراح» (ص: ٥٨٧).

فَيَقْضِـيَ لَهُ الْحَاجَةَ. رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَالدَّارِمِيُّ. [ن: ١٤١٤، دي: ١/ ٢١٣١].

٥٨٣٤ ـ [٣٤] وَعَنْ عَلِيٍّ أَنَّ أَبَا جَهْلٍ قَالَ لِلنَّبِـيِّ ﷺ: إِنَّا لاَ نُكَذِّبُكَ، وَلَكِنْ نُكَذِّبُ بِمَا جِئْتَ بِهِ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى فِيهِمْ: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٠٦٤].

وأكثر استعمالاً، وقد يفسر الأرامل بالمساكين من رجال أو نساء، كذا في (النهاية)[1]، وفي (القاموس)[2]: رجل أرمل وامرأة أرملة: محتاجة أو مسكينة، والجمع أرامل وأراملة، والأرمل: العزب، وهي بهاء، أو لا يقال للعزبة الموسرة: أرملة، ويقال: الأرملة: الرجال المحتاجون الضعفاء، انتهى. وعطف المسكين على الأرملة في الحديث يدل على أن المراد بها الغربة، والله أعلم.

وقوله: (فيقضي له) أي: للمسكين أو لكل واحد.

٥٨٣٤ ـ [٣٤] (علي) قوله: (إنا لا نكذبك) أي: أنت مشهور بالصدق، وكان يلقب بالصادق الأمين.

وقوله: (نكذب بما جئت به) أي: الباعث لنا على تكذيبك ونسبتك إلى الكذب الدينُ الذي جئت به نكذبك بسببه حسداً، فافهم.

(فأنـزل الله تعالـى فيهم: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣])، وجاء في التفسير: أي: أنهم لا يكذبونك في الحقيقة، ولكنهم يجحدون بآيات الله ويكذبونها، ونحوه قول السيد لغلامه إذا أهانه بعض الناس: إنهم لم يهينوك، وإنما أهانوني، وقيل: فإنهم لا يكذبونك لأنك عندهم الصادق الموسوم بالصدق،

---

(١) «النهاية» (٢/ ٢٦٦).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٩٢٧).

٥٨٣٥ ـ [٣٥] وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا عَائِشَةُ! لَوْ شِئْتُ لَسَارَتْ مَعِي جِبَالُ الذَّهَبِ، جَاءَنِي مَلَكٌ وَإِنَّ حُجْزَتَهُ لَتُسَاوِي الْكَعْبَةَ، فَقَالَ: إِنَّ رَبَّكَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ: إِنْ شِئْتَ نَبِيًّا عَبْداً، وَإِنْ شِئْتَ نَبِيًّا مَلِكاً، فَنَظَرْتُ إِلَى جِبْرِيلَ عليه السلام فَأَشَارَ إِلَيَّ أَنْ ضَعْ نَفْسَكَ».

٥٨٣٦ ـ [٣٦] وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ: فَالْتَفَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى جِبْرِيلَ كَالْمُسْتَشِيرِ لَهُ، فَأَشَارَ جِبْرِيلُ بِيَدِهِ أَنْ تَوَاضَعْ. فَقُلْتُ: «نَبِيًّا عَبْداً» قَالَتْ: فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ لَا يَأْكُلُ مُتَّكِأً يَقُولُ: . . . .

ولكنهم يجحدون بآيات الله، كذا في (الكشاف)[1]، وهذا القول الأخير يناسب ما في الحديث، فافهم.

٥٨٣٥، ٥٨٣٦ ـ [٣٥، ٣٦] (عائشة) قوله: (وإن حجزته لتساوي الكعبة) بيان لطول قامة ذلك الملك، والحجزة بضم الحاء وسكون الجيم والزاي: معقد الإزار، ومن السراويل: موضع التكة.

وقوله: **(إن ربك يقرأ عليك السلام)** بفتح الياء، وأما قولهم: يقرئك السلام فبضم الياء، وفي (القاموس)[2]: قرأ عليه السلام: أبلغه كأقرأه، أو لا يقال: أقرأه إلا إذا كان السلام مكتوباً، وقد ذكرناه في غير هذا الموضع.

وقوله: **(ضع نفسك)** أمر من وضع يضع، وضع فلان نفسه وضعاً ووضوعاً

---

(١) «الكشاف» (٢/ ١٨).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٥٩).

«آكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ، وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْـدُ. رَوَاهُ فِي «شَرْحِ السُّنَّةِ».

[شرح السنة: ٣٦٨٣، ٣٦٨٤].



وضَعَةً، أي: أذلها، ووضعه: حط من قدره، والمراد اختيار العبودية دون الملك.

٤ ـ باب المبعث وبدء الوحي

المبعث مصدر ميمي بمعنى البعث من بعثه: إذا أرسله كابتعثه فانبعث، يصح أن يكون اسم زمان، والظاهر هو الأول، و(بدء) يحتمل أن يكون مهموزاً وناقصاً، وقد ترجم البخاري في أول صحيحه: (باب كيف كان بدء الوحي).

قال عياض في (المشارق)[1]: رويناه مهموزاً من الابتداء، ورواه بعضهم غير مهموز من البدو بمعنى الظهور، قال أبو مروان بن سراج: والهمز أحسن؛ لأنه يجمع المعنيين معًا.

وأحاديث الباب تدل على الوجهين؛ لأن فيه بيان كيف يأتيه الوحي ويظهر عليه، وفيه ابتداء حاله فيه، وأول ما ابتدئ به منه، انتهى. والبدء بالمعنى الأول بفتح الباء وسكون الدال، وعلى الثاني بضم الباء والدال وتشديد الواو، قال الشيخ ابن حجر[2]: ويرجح الأول أنه وقع في بعض الروايات: (كيف كان ابتداء الوحي).

(١) «مشارق الأنوار» (١/ ٨٠).

(٢) «فتح الباري» (١/ ١).

. . . .

والوحي في الأصل يجيء بمعنى الإشارة والكتابة والرسالة والإلهام والكلام الخفي، وكل ما ألقيته إلى غيرك والصوت.

وقال في (المشارق)(١): الوحي أصله الإعلام في خفاء وسرعة، وهو في حق النبي ﷺ وغيره من الأنبياء على ضروب؛ فمنه: إعلام بسماع الكلام العزيز، كموسى عليه السلام كما دل عليه الكتاب، ونبينا محمد ﷺ كما دلت عليه الأخبار في ليلة الإسراء، ووحي رسالة وواسطة بالملك كأكثر حالات نبينا وسائر الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه وعليهم، ووحي إلقاء، وقد ذكر أنه كان وحي داود عليه السلام، وجاء في غير أثر عن نبينا ﷺ نحوه كقوله: ألقي في روعي، انتهى.

والوحي إلى غير الأنبياء بمعنى الإلهام [كقوله تعالى]: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾ [القصص: ٧]، ويجيء بمعنى الأمر ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ﴾ [المائدة: ١١١]، أي: أمرتهم، وقوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ١١]، أي: أومأ، وقيل: كتب بيده في الأرض، وقوله تعالى: ﴿لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾ [الأنعام: ١٢١]، أي: يأمرونهم ويلقون في قلوبهم، ويجيء بمعنى خلق العلم الطبيعي كما في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨]، والبيضاوي(٢) فسره أيضاً بقوله: ألهمها وألقى في قلبها، وكان المناسب بحال تفلسفه أن يفسره بما ذكرنا، فافهم. ويقال: وحى وأوحى، وقد سبق في (كتاب الرؤيا) ما يتعلق بالوحي وبيان أقسامه.

---

(١) «مشارق الأنوار» (٢/ ٢٨١).

(٢) «تفسير البيضاوي» (٣/ ٢٣٢).

* الْفَصْلُ الأَوَّلُ:

٥٨٣٧ - [١] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: بُعِثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لأَرْبَعِينَ سَنَةً، فَمَكَثَ بِمَكَّةَ ثلاث عَشْرَةَ سَنَةً يُوحَى إِلَيْهِ، ثُمَّ أُمِرَ بِالْهِجْرَةِ فَهَاجَرَ عَشْرَ سِنِينَ، وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ سَنَةً. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٩٠٣، م: ٢٣٥١].

الفصل الأول

٥٨٣٧ - [١] (ابن عباس) قوله: (لأربعين سنة) اللام بمعنى الوقت، أي: بعد تمامه، و(مكث) بضم الكاف وفتحها من باب كرم ونصر.

وقوله: (فهاجر) أي: أقام في دار الهجرة.

وقوله: (ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة). اعلم أنه قد جاء في سنه ﷺ ثلاث روايات: إحداها: أنه ثلاث وستون سنة، وهي أصحها وأشهرها. ثانيها: خمس وستون سنة. وثالثها: ستون سنة، وهذا الاختلاف فرع الاختلاف في أن إقامته بمكة قبل الهجرة ثلاث عشرة، أو خمس عشرة، أو عشرة، وأما الإقامة بالمدينة فعشر بلا خلاف، وقد يتأول بأن رواية ستين اقتصر فيها على العقود وترك الكسر، ورواية ثلاث وستين لم يعد فيها سنتا المولد والوفاة، ويختلج فيه أن هذا التأويل يقتضي أن يكون الصحيح في عمره ﷺ خمساً وستين؛ لأن سنة المولد والوفاة داخلة في العمر بلا شبهة، ويكون التأويل في رواية ثلاث وستين كترك الكسر في رواية ستين، مع أنهم اتفقوا على أن الأصح رواية ثلاث وستين.

وأما ابتناء الخلاف على الاختلاف في مدة الإقامة بمكة فلا ينافي أصحية رواية ثلاث وستين في عمره لأصحية رواية الإقامة ثلاث عشرة سنة، فافهم،

٥٨٣٨ ـ [٢] وَعَنْهُ قَالَ: أَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَكَّةَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً، يَسْمَعُ الصَّوْتَ وَيَرَى الضَّوْءَ سَبْعَ سِنِينَ، وَلاَ يَرَى شَيْئاً، وَثَمَانِ سِنِينَ يُوحَى إِلَيْهِ، وَأَقَامَ بِالْمَدِينَةِ عَشْراً، وَتُوُفِّيَ وَهُوَ ابْنُ خَمْسٍ وَسِتِّينَ سَنَةً. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

[خ: ٣٩٠٢، م: ٢٣٥٣].

فالصواب[1] أن تؤول رواية خمس وستين بأن يقال: إنه أخذ سنتي الوفاة تامتين[2] وجعل بعض أشهر المولد سنة تامة، فافهم.

٥٨٣٨ ـ [٢] **(وعنه)** قوله: **(يسمع الصوت)** كان يسمعه من يمينه وشماله ومن فوقه فيقول: يا محمد! ولا يرى أحداً، **(ويرى الضوء)** أي: المحسوس، وقيل: المراد به وجود الانشراح والانكشاف، والظاهر هو الأول حتى زِيد في بعض الروايات: في الليالي المظلمة.

وقوله: **(ولا يرى شيئاً)** الظاهر أنه يتعلق بسماع الصوت ورؤية الضوء معاً، أي: لا يرى شيئاً يصوت ويضيء.

وقوله: **(وثمان سنين يوحى إليه)** هذا الحديث يدل على أن سماع الصوت ورؤية الضوء كان بعد النبوة في مدة إقامته بمكة، والذي ذكر في كتب السير، ويظهر من الأحاديث أنه كان قبل النبوة، حتى قالوا: إن الحكم في ذلك أن يحصل الاستئناس والائتلاف بعالم الملكوت وأنواره، ولا يكون ظهوره بغتةً سبباً لهدم بناء البشرية واضمحلال رسوم الإنسانية، ومع ذلك كان يجد من الثقل والتعب في وقت الوحي

---

(١) قوله: «فالصواب أن يأول ـ إلى ـ سنة تامة، فافهم» كذا في (ب)، وسقط في (ك)، و(ع)، و(ر).

(٢) كذا في الأصل، والظاهر: «سنة الوفاة تامة».

٥٨٣٩ ـ [٣] وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: تَوَفَّاهُ اللهُ عَلَى رَأْسِ سِتِّينَ سَنَةً. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٥٩٠٠، م: ٢٣٤٧].

٥٨٤٠ ـ [٤] وَعَنْهُ قَالَ: قُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ، وَأَبُو بَكْرٍ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ، وَعُمَرُ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٣٤٨].

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيُّ: ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ أَكْثَرُ.

٥٨٤١ ـ [٥] وَعَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: ....

ما يجد، والله أعلم.

٥٨٣٩ ـ [٣] (أنس) قوله: (توفاه الله على رأس ستين سنة) وهذا يستلزم أن يكون الإقامة بمكة عشر سنين، لأن البعث بعد الأربعين والإقامة بالمدينة عشراً مما لا خلاف فيه، وقد جاء في حديث الترمذي عن أنس صريحاً: بعثه الله على رأس أربعين سنة، فأقام بمكة عشر سنين، والمدينة عشر سنين[1].

٥٨٤٠ ـ [٤] (وعنه) قوله: (وهو ابن ثلاث وستين) هذا الحديث من أنس دليل على أنه المراد في الحديث السابق عنه: توفاه الله على رأس ستين سنة، بترك الكسر.

وقوله: (ثلاث وستين أكثر) أي: أكثر وأشهر في الرواية.

٥٨٤١ ـ [٥] (عائشة ﵂) قوله: (قالت) أي: سماعاً من النبي ﷺ أو من بعض الصحابة؛ لأنها ﵂ لم تدرك هذه القضية.

---

(١) أخرجه الترمذي في «سننه» (٣٦٢٣).

أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلاَّ جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِليهِ الخَلاءُ، وكانَ يَخْلُو بِغَارِ حِراءٍ، فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ ـ وَهُوَ التَّعَبُّدُ. . . . .

وقوله: **(الرؤيا الصادقة)** وكانت مدة هذه الرؤيا ستة أشهر، وقد مضى الكلام فيها في (كتاب الرؤيا).

وقوله: **(في النوم)** صفة مؤكدة، أو ليخرج رؤيا العين في اليقظة لاحتمال أنه يطلق عليه مجازاً، كذا قيل.

وقوله: **(إلا جاءت)** أي: الرؤيا، أي: تعبيره وتأويله **(مثل فلق الصبح)** أي: ضوئه، أي: يظهر تعبيره وتأويله ظاهراً بيناً بلا شوب اشتباه، وفيه رمز إلى وقوعه صريحاً كالصبح بعد الليل، و(الفلق) محركة: الصبح، وما انفلق من عموده، والقمر.

وقوله: **(ثم حبب)** بلفظ المجهول، و**(الخلاء)** بالمد بمعنى الخلوة، ثم لا يخفى أن هذا قبل ابتداء الوحي ونزول الملك، فـ (ثم) هنا لتراخي البيان لذكر القصة من أولها، فافهم، و**(حراء)** بالمد وكسر الأول وهو الرواية المشهورة، وفي رواية الإسماعيلي بالفتح والقصر، وقد يؤنث ويمنع من الصرف: جبل معروف بمكة، ويسميه الناس بجبل النور. و**(الغار)** نقب في الجبل قريب من معنى الكهف، ولكن الكهف كالبيت المنقور في الجبل، أو هو كالغار إلا أنه واسع فإذا صغر فغار.

وقوله: **(فيتحنث فيه وهو)** أي: التحنث بالمثلثة **(التعبد)** تفسير من بعض الرواة، وأصل التحنث: الاجتناب عن الحنث، أي: الإثم، كالتأثم والتحرج، وقيل: يتحنث بمعنى يتحنف، أي: يتبع الملة الحنيفية، وهو دين إبراهيم، والفاء تبدل ثاءً في كلامهم

اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ ـ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدَ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعَ إِلَى خَدِيجَةَ، فَيَتَزَوَّدَ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، . . . .

كثيراً، كذا في (فتح الباري)[١]، وقال: وقد وقع في رواية ابن هشام في (السير)[٢]: يتحنف بالفاء.

وقوله: **(الليالي)** بالنصب ظرف لـ (يتحنث) لا بـ (التعبد)، وهو ظاهر، والمراد الليالي مع الأيام، وخصت الليالي بالذكر؛ لأنها أنسب بالخلوة.

وقوله: **(ذوات العدد)** صفة الليالي، واختلف في تعبده بماذا كان؟ قيل: بالفكر، وقيل: بالذكر، وهو المختار، وبهذا المعنى بيان عجيب في كتاب (سفر السعادة) وشرحه، وإبهام العدد قيل: لاختلاف فيها، قال الشيخ: لعله بالنسبة إلى المدة التي يتخللها مجيئه إلى أهله، وإلا فأصل الخلوة قد عرفت مدتها وهي شهر، وذلك الشهر كان رمضان، رواه ابن إسحاق[٣].

و**(ينزع)** بكسر الزاي بمعنى يرجع، من نزع إلى أهله نزاعة ونزاعاً بالكسر ونزوعاً: اشتاق، وروى البخاري في (كتاب التفسير): يرجع.

وقوله: **(ويتزود)** عطف على (يتحنث).

وقوله: **(لمثلها)** الضمير للَّيالي.

وقوله: **(حتى جاءه الحق)** أي: الوحي أو رسول الحق، وفي التفسير: حتى فَجِئَه الحق بكسر الجيم أي: جاءه بغتة.

---

(١) «فتح الباري» (١/ ٢٣).

(٢) «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٢٣٥).

(٣) «سيرة ابن إسحاق» (ص: ٢٢١).

فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ. فَقَالَ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ». قَالَ: «فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجُهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ. فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي ....

وقوله: (**فجاءه الملك**) الفاء تفسيرية لا تعقيبية.

وقوله: (**ما أنا بقارئ**) أي: لا أستطيع القراءة ولا أحسنها، ولعل كان لدهشة وروع دخل في قلبه من رؤية الملك، وهيبة ذلك المقام، لا لما يتبادر إلى الأذهان أنه ﷺ كان أميًّا؛ لأن الأمية لا تنافي القراءة بتعليم الغير وتلقينه خصوصاً من الفصيح في غاية الفصاحة، وإنما ينافي الكتابة والقراءة من الكتاب، قال في (القاموس)[1]: الأمي: من لا يكتب ولم يتعلم الكتاب، وجاء في بعض الروايات: فأعطى جبرئيل بيده صحيفة من حرير مرصعاً بالجواهر، وقال: اقرأ فقال: (والله ما أنا بقارئ، ولا أرى في هذه الصحيفة شيئاً)، وهذا أنسب وأظهر، والله أعلم.

وقوله: (**فغطني**) بالغين المعجمة وتشديد الطاء المهملة، أي: ضغطني وضمني وعصرني، وفي رواية الطبري[2]: (فغتّني) بالتاء المثناة وهما بمعنى، ومنه غطه في الماء بالطاء والتاء، أي: غوصه فيه.

وقوله: (**حتى بلغ مني الجهد**) روي بالنصب، أي: بلغ الغط أو جبرئيل مني غاية وُسعي، وبالرفع، أي: بلغ الجهد مني مبلغه. وقد يستبعد الوجه الأول بأن البنية البشرية لا يحتمل استيفاء القوة الملكية لا سيما في بدء الأمر، والجواب أن هذا مبالغة في الغط والضغط لا حقيقة، وأن جبرئيل لم يكن على صورته الحقيقية وقوته

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٩٩٤).

(٢) «تاريخ الطبري» (٢/ ٢٩٨).

الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ. فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ. فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ، حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدُ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١ ـ ٥]». فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ، فَقَالَ: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي» فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي». . . . .

الملكية، والجهد بالفتح والضم: الطاقة والمشقة والغاية، لغتان، وقد يفرق.

وقوله: (**الثانية**) بالنصب، أي: في المرة الثانية.

وقوله: (**فقال: اقرأ باسم ربك**) أي: لا تقرأ بحولك وقوتك لكن بإعانة ربك وتوفيقه.

وقوله: (**فرجع بها**) أي: بهذه الكلمات أو بالقصة. و(**يرجف**) أي: يتحرك ويضطرب، لازم ومتعد، من باب نصر. و(**الفؤاد**) بضم الفاء والهمزة: القلب، قال في (القاموس)[1]: التفؤد: التحرق، والتوقد، ومنه: الفؤاد: للقلب.

وقوله: (**زملوني زملوني**) مكرراً، في (القاموس)[2]: التزميل: الإخفاء، واللفّ في الثوب، وتزمل: تلفف، وذلك لشدة ما لحقه من الهول، وجرت العادة بسكون الرعدة بالتلفف والتدفؤ.

وقوله: (**لقد خشيت على نفسي**) مقول (قال)، واختلف العلماء في المراد من الخشية على أقوال؛ قيل: خشي الجنون، وأن يكون ما رآه من الكهانة، وجاء مصرحاً

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٢٩٠).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٩٢٩).

فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلاَّ، وَاللهِ لاَ يُخْزِيكَ اللهُ أَبَداً، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، . . . .

في طرق متعددة، وأبطله القاضي أبو بكر بن العربي، وحق له أن يبطل، وحمله الإسماعيلي على أن ذلك قبل حصول العلم الضروري له ﷺ في أوائل التباشير في النوم واليقظة وسماع الصوت قبل لقاء الملك.

ولا يخفى أن ظاهر الحديث يدل على أنه بعد مجيء الملك وإتيانه بـ ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ وبعد حصول ذلك العلم في الحالة المذكورة، وأنى يتصور عدم حصوله بعد مثل هذه الخلوة والتحنث، وظهور الأنوار، ونزول الملك بالقرآن على الطريقة المذكورة، فتبطل هذه الخشية قطعاً، والله أعلم. وقيل: خشي الموت من شدة الرعب، وقيل: المرض، وقيل: العجز عن حمل أعباء النبوة، وقيل: عدم الصبر على أذى قومه، وقيل: أن يقتلوه، وقيل: مفارقة الوطن كما يظهر من قوله لورقة: (أو مخرجي هم؟)، والله أعلم.

وقوله: (**لا يخزيك الله**) بضم الياء وسكون الخاء المعجمة وبالزاي من الخزي في أكثر الروايات، وبالحاء المهملة والنون، فإما بفتح الياء وضم الزاي من حزنه، وإما بضم الياء وكسر الزاي من أحزن، يقال: حزنه الأمر حزناً بالضم وأحزنه: جعله حزيناً، وحزن كفرح جاء لازماً فهو من نصر متعد، ومن فرح لازم، استدلت رضي الله عنها على ما أقسمت عليه من نفي الخزي عنه ﷺ بما يلوح من جزالة رأيها وأنوار معرفتها وفراستها، وكيف لا وهي أول من آمن بالحقيقة لم يشاركها فيه أحد، ووصفته بأصول مكارم الأخلاق، وهو يدل على أن من كان هذه صفاته لا يخزيه الله، ولا يسلك به إلا إلى صراط مستقيم، ولا يحزنه بإصابة المكروهات في الدنيا والدين.

وقوله: (**وتصدق**) وفي رواية: (وتؤدي الأمانة).

وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، ....

وقوله: (**وتحمل الكل**) بفتح الكاف وتشديد اللام: الثقل من كل ما يتكلف، والعيال، كذا في (النهاية)(١)، ونقل الطيبي(٢): ويدخل في حمل الكَلّ: الإنفاق على الضعيف واليتيم والعيال وغير ذلك، وهو من الكلال بمعنى الإعياء، وقال في (فتح الباري)(٣): هو من لا يستقل بأمره، وقيل في تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَـٰهُ﴾ [النحل: ٧٦]: أي: عيال وثقل على من يلي أمره، وقال في (القاموس)(٤): الكل: اليتيم، والثقيل لا خير فيه، والعيال، والثقل.

وقوله: (**وتكسب المعدوم**) قال النووي(٥): هو بالفتح هو الصحيح، وروي ضمها، كسبته مالاً وأكسبته مالاً بمعنى تُكْسِب غيرك المال المعدوم، أي: تعطيه [إياه] تبرعاً، وقيل: معنى الفتح(٦): تحصيل المال بكونك محظوظاً في التجارة، وكان هذا مدحاً عندهم مع كونه صارفاً في وجوه البر، وقال القاضي عياض(٧): (تكسب المعدوم) أكثر الرواية فيه وأشهرها وأصحها فتح التاء، ومعناه: تكسبه لنفسك، وقيل: تكسبه غيرك ويؤتيه إياه، يقال: كسبت مالاً وكسبت غيري مالاً، لازمٌ ومتعد، وأنكر ابن القزاز وغيره (أكسبت) في التعدي، وصوبه ابن الأعرابي وأنشد: فأكسبني مالاً

---

(١) «النهاية» (٤/ ١٩٨).

(٢) «شرح الطيبي» (١١/ ٥٠).

(٣) «فتح الباري» (١/ ٢٤).

(٤) «القاموس المحيط» (ص: ٩٧٢).

(٥) «شرح صحيح مسلم» للنووي (٢/ ٢٠١).

(٦) أي بفتح التاء في «تكسب».

(٧) «مشارق الأنوار» (١/ ٣٤٧).

وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، ثُمَّ انْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ إِلَى وَرَقَةَ ابْنِ نَوْفَلٍ ابْنِ عَمِّ خَدِيجَةَ فَقَالَتْ لَهُ: يَا ابْنَ عَمِّ! اسْمَعْ مِنِ ابْنِ أَخِيكَ فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي! مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى. فَقَالَ وَرَقَةُ: . . . .

وأكسبته حمداً، انتهى.

ونقل عن الخطابي الصواب على الضم (المعدم) بلا واو، أي: الفقير؛ لأن المعدوم لا يكسب، ووُجِّه بأن الفقير كالمعدوم الميت الذي لا تصرف له، فتدبر. والكسب: هو الطلب، والسعي في طلب الرزق والمعيشة.

وقوله: **(وتقري الضيف)** بفتح التاء وسكون القاف من القرى بالكسر والقصر بمعنى الضيافة. و**(تعين على نوائب الحق)** جمع نائبة بمعنى الحادثة، من النوب بمعنى نزول الأمر.

و**(ورقة)** بفتح الواو والراء **(ابن نوفل)** بن أسد بن عبد العزى، كذا في (صحيح البخاري)[1]، وزاد بعد قوله: **(ابن عم خديجة)** وكان امرأً تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني ـ وفي رواية: العربي ـ فيكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، انتهى.

وخديجة هي بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى، فقولها: **(يا ابن عم)** على الحقيقة لا على عادة العرب في النداء بـ: يا ابن عم أو ابن أخي، كما في قولها: **(اسمع من ابن أخيك)**.

---

(١) «صحيح البخاري» (٣).

هَذَا هُوَ النَّامُوسُ الَّذِي أَنْزَلَ اللهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعاً، . . . . .

وقوله: (**هذا هو الناموس الذي أنزل الله**) من الإنزال، وفي رواية: (نزل) من التنزيل، وفي أخرى: (نـزل) بلفظ المجهول، و(**الناموس**): صاحب السر المطلع على باطن أمرك، أو صاحب سر الخير، كذا في (القاموس)[١]، وفي (فتح الباري)[٢]: الناموس: صاحب السر كما جزم به البخاري في أحاديث الأنبياء، وزعم ابن ظفر أن الناموس: صاحب سر الخير، والجاسوس: صاحب سر الشر، والأول هو الصحيح الذي عليه الجمهور، وقد سوى بينهما رؤبة بن العجَّاج أحد فصحاء العرب، انتهى.

وقوله: (**على موسى**) قال الشيخ[٣]: إنما قال: على موسى، ولم يقل: على عيسى مع كونه نصرانيًّا؛ لأن كتاب موسى عليه السلام مشتمل على أكثر الأحكام بخلاف عيسى، وكذلك النبي ﷺ، أو لأن موسى بعث بالنقمة على فرعون ومن معه، بخلاف عيسى، وكذلك نبينا ﷺ وقعت النقمة على يده لفرعون هذه الأمة وهو أبو جهل ومن معه [ببدر]، أو لأن نزول جبريل على موسى متفق عليه بين أهل الكتابين، بخلاف عيسى فإن كثيراً من اليهود ينكرون نبوته.

وقوله: (**يا ليتني**) قيل: هو بحذف المنادى، أي: يا محمد. وقيل: إن (يا) ههنا لمجرد التنبيه كما في يا حبذا، كذا نقله الطيبي[٤].

وقوله: (**فيها**) أي: في أيام نبوتك ودعوتك أو في مدتها. و(**جذعاً**) منصوب

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٥٣٥).

(٢) «فتح الباري» (١/ ٢٦).

(٣) «فتح الباري» (١/ ٢٦).

(٤) «شرح الطيبي» (١١/ ٥٢).

يَا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ؟» قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلاَّ عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ...............................

في أكثر الروايات، وعند الأصيلي: جذع بالرفع، فالنصب على أنه خبر (كان) المقدرة، قاله الخطابي، وهو مذهب الكوفيين في قوله تعالى: ﴿ٱنتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ﴾[النساء: ١٧١]، وقال بعضهم: يا ليتني جعلت فيها جذعاً، كذا قال الشيخ[١]، وقيل: منصوب على الحالية، و(فيها) خبر ليت، والعامل معنى التمني أو معنى الاستقرار، و(الجذع) بفتحتين والذال المعجمة: الشاب الحديث، وأصله في البهائم، فيقال: لولد الشاة في السنة الثانية، وللبقر، وذوات الحافر في الثالثة، وللإبل في الخامسة.

وقوله: (**إذ يخرجك قومك**) قيل: (إذ) هنا للاستقبال كـ (إذا)، وقيل: هي للماضي استعملت هنا لتحقق وقوعه.

وقوله: (**أو مخرجي**) بتشديد الياء كمسلمي، وإدخال حرف الاستفهام على حروف العطف كثير في القرآن وغيره، ويقدرون في مثله معطوفاً عليه، أي: أفاعلون ذلك ومخرجي هم؟ والهمزة للإنكار؛ لأن الصفات التي ذكرتها خديجة تنافي الإخراج.

وقوله: (**هم**) مبتدأ تقدم خبره.

وقوله: (**إلا عودي**) وفي رواية: (إلا أوذي).

وقوله: (**وإن يدركني**) (إن) شرطية و(يدركني) مجزوم، و(**يومك**) فاعله، وزاد في رواية: (حيًّا)، ولابن إسحاق: إن أدركت ذلك اليوم، والمراد يوم الدعوة، أو يوم الإخراج والمعاداة، والأول أظهر.

---

(١) «فتح الباري» (١/ ٢٦).

أَنْصُرُكَ نَصْراً مُؤَزَّراً، ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوَفِّيَ وَفَتَرَ الوحيُ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

[خ: ٦٩٨٢، م: ١٦٠].

وقوله: (مؤزراً) بالهمزة، أي قوياً من الأزر، وهو القوة، في (القاموس)[1]: الأزر: القوة، وفي (صحيح البخاري)[2] عن مجاهد: ﴿ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى﴾[طه: ٣١]: ظهري، وقال بعضهم: أصله موزراً من وازرت، ويقال فيه أيضاً: آزرت، أي: عاونت، انتهى. وفي (النهاية)[3]: الأزْر: القوّة والشّدّة، أزَّرَه وآزَرَه: إذا أعانه، ونصراً مؤزراً: بالغاً شديداً، هذا فنقل الشيخ[4] إنكار بعضهم كون المؤزر في اللغة من الأزر لا يخلو عن غرابة، فنقل عن بعضهم احتمال كونه من الإزار إشارة إلى تشميره في نصرته، والله أعلم.

وقوله: (**لم ينشب**) بفتح الشين المعجمة بلفظ المعلوم، أي: لم يلبث، وأصل النشوب: التعلق بشيء من الأمور، وفي (القاموس)[5]: تناشبوا: تضاموا، وتعلق بعضهم ببعض، ونشبه الأمر: كلزمه زنةً ومعنى.

وقوله: (**أن توفي**) وقال الطيبي[6]: هو بدل اشتمال من (ورقة)، أي: لم تلبث وفاته، ويجوز أن يكون بتقدير حرف الجر، أي: لم يلبث ورقة؛ لأنه توفي.

وقوله: (**وفتر الوحي**) أي: عدم تتابعه، وتأخر مدة من الزمن، ويطلق الفترة

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٣٢٢).

(٢) «صحيح البخاري» (ك: ٦٠، ب: ٢٢).

(٣) «النهاية» (١/ ٤٤).

(٤) «فتح الباري» (١/ ٢٧).

(٥) «القاموس المحيط» (ص: ١٢٧).

(٦) «شرح الطيبي» (١١/ ٥٤).

٥٨٤٢ ـ [٦] وَزَادَ الْبُخَارِيُّ: حَتَّى حَزِنَ النَّبِيُّ ﷺ ـ فِيمَا بَلَغَنَا ـ حُزْناً غَدَا مِنْهُ مِرَاراً كَي يَتَرَدَّى مِنْ رُؤُوسِ شَوَاهِقِ الْجَبَلِ، فَكُلَّمَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ لِكَيْ يُلْقِيَ نَفْسَهُ مِنْهُ، تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! . . . .

على ما بين الرسولين من رسل الله من زمان انقطعت فيه الرسالة، كما بين عيسى عليه السلام ومحمد ﷺ، والفترة والفتور في الأصل: ينبئ عن معنى الضعف بعد القوة، والسكون بعد الحدة، في (القاموس)[1]: فتر يفتُرُ ويفتِر فتوراً وفُتاراً: سكن بعد حدة، ولانَ بعد شدة، وفتر الماء: سكن حره، فهو فاتر وفاتور. وكان مدة فترة الوحي ثلاث سنين وجزم به ابن إسحاق، وحكى البيهقي أن مدة الرؤيا كانت ستة أشهر، وجاء في بعض الروايات: أنها كانت سنتين ونصف، قال الشيخ[2]: وليس المراد بفترة الوحي ما بين نزول (اقرأ)، و(يا أيها المدثر) عدم مجيء جبريل إليه، بل تأخر نزول القرآن فقط.

٥٨٤٢ ـ [٦] **(عائشة)** قوله: **(حتى حزن النبي)** بكسر الزاي، وقالوا: الحكمة في فتور الوحي أن يذهب ما كان ﷺ وجده من الروع، وليحصل له التشوق إلى العود، والله أعلم.

وقوله: **(غدا منه)** أي: ذهب بسبب فتور الوحي **(يتردى)** أي: يسقط **(شواهق)** جمع شاهق، وهو المرتفع من الجبال والأبنية وغيرها.

وقوله: **(أوفى)** أي: أشرف واطلع، و**(ذروة)** الشيء بالضم والكسر: أعلاه.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٤٠٩).

(٢) «فتح الباري» (١/ ٢٧).

إِنَّكَ رَسُولُ اللهِ حَقًّا. فَيَسْكُنُ لِذَلِكَ جَأْشُه وَتَقِرُّ نَفْسُهُ.

٥٨٤٣ ـ [٧] وَعَنْ جَابِرٍ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الْوَحْيِ، قَالَ: «فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتاً مِنَ السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ بَصَرِي، فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ قَاعِدٌ عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَجُئِثْتُ مِنْهُ رُعْباً حَتَّى هَوَيْتُ إِلَى الأَرْضِ، ....

وقوله: (**إنك رسول الله حقًّا**) ربما ينظر ظاهره إلى أن وجه الخشية هو خوف الكهانة ونحوه، ويمكن أن يقال: إنه إذا كان رسول الله ﷺ [سليماً] من الآفات كلها، وكان عاقبة أمره خيراً من جميع الوجوه، فترتفع الخشية من جميع الوجوه. و(**الجأش**): روع القلب إذا اضطرب نفس الإنسان، يهمز ولا يهمز.

٥٨٤٣ ـ [٧] (**جابر**) قوله: (**الملك الذي جاء بحراء**) يدل على تأخر نزول سورة (المدثر) عن (اقرأ)، وهو الصحيح، ويأتي الكلام فيه في الفصل الثالث.

وقوله: (**على كرسي**) بالضم والكسر: السرير.

وقوله: (**فجئثت منه**) بجيم مضمومة فهمزة مكسورة فمثلثة ساكنة على لفظ المجهول للمتكلم، أي: ذعرت وخفت، في (القاموس)[1]: جئث كزُهِيَ جؤوثاً: فَزِعَ، والرعب: الفزع.

وقوله: (**رعباً**) إما مفعول مطلق من غير لفظ الفعل، أو تمييز بأن تعتبر المغايرة بين المفهومين، وفي رواية: (فرعبت منه رعباً)[2]، فافهم. و(**هويت**) بفتح الواو من ضرب يضرب بمعنى سقطت.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١٥٣).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٤).

فَجِئْتُ أَهلِي[1] فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَزَمَّلُونِي فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾[المدثر: ١ ـ ٥] ثُمَّ حَمِيَ الْوَحْيُ وَتَتَابَعَ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٤٩٢٦، م: ١٦١].

٥٨٤٤ ـ [٨] وَعَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ، ....

وقوله: (زملوني زملوني) في رواية الأصيلي وكريمة: (زملوني) مرة واحدة، وفي رواية يونس في التفسير: (دثروني).

وقوله: (وثيابك فطهر) أي: النجاسة، وقيل: الثياب: النفس، وتطهيرها: اجتناب الرذائل. (والرجز) بالضم والكسر: القذر، وعبادة الأوثان، والعذاب، والشرك، ووقع تفسيره بالأوثان من تفسير الراوي عند البخاري[2]، وقال الشيخ[3]: الرجز في اللغة: العذاب، وسمي الأوثان رجزاً؛ لأنها سببه.

وقوله: (ثم حمي الوحي) على وزن سمع، أي: اشتد حره، كناية عن كثرته وتتابعه.

٥٨٤٤ ـ [٨] (عائشة) قوله: (مثل صلصلة الجرس) الصلصلة في الأصل: صوت وقوع الحديد بعضه على بعض إذا حرك مرة بعد أخرى، وتداخل صوته، ثم أطلق على كل صوت له طنين، وقيل: هو صوت متدارك، لا يدرك أول وهلة، كذا في

---

(١) في نسخة: «إلى أهلي».

(٢) «صحيح البخاري» (٤٩٢٥).

(٣) «فتح الباري» (١/ ٢٨).

وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ، . . . .

(فتح الباري)[١]، وقال في (النهاية)[٢]: صوت الحديد إذا حُرّك، وهي أشد من الصليل، والجرس: الجلجل الذي تعلق في رؤوس الدوابّ، واشتقاقه من الجرس بإسكان الراء وهو الحس، كذا في (فتح الباري)[٣].

وقال الكرماني[٤]: الجرس: ناقوس صغير، أو سَطْل في داخله قطعة نحاس يعلق منكوساً على البعير، فإذا تحرك تحركت النحاسة، فأصابت السطل، فحصلت الصلصلة، وقال الشيخ[٥]: وهو تطويل للتعريف بما لا طائل تحته، وتشبيه الوحي بها لتقريبه بأفهام العامة.

وقال الخطابي: يريد أنه صوت متدارك يسمعه ولا يتبينه أولَ ما يسمعه حتى يفهمه بعد، وهذا كما جاء في حديث أبي هريرة: (إذا قضى الله في السماء أمراً، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله، كأنها سلسلة على صفوان، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق، وهو العلي الكبير)[٦].

وقوله: (**وهو أشده عليَّ**) أي: هذا القسم من الوحي أشد أقسامه على فهم المقصود؛ لأن الفهم من كلام مثل الصلصلة أشكل من كلام الرجل بالتخاطب المعهود، ويقال في تعدد الوحي بهذين النوعين: إنه لا بد من المناسبة بين القائل والسامع،

---

(١) «فتح الباري» (١/ ٢٠).

(٢) «النهاية» (١/ ٢٦١).

(٣) «فتح الباري» (١/ ٢٠).

(٤) «شرح الكرماني» (١/ ٢٧).

(٥) «فتح الباري» (١/ ٢٠).

(٦) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٤٨٠٠).

فَيَفْصِمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ، وَأَحْيَاناً يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلَكُ رَجُلاً فَيُكَلِّمُنِي، فَأَعِي مَا يَقُولُ». قَالَتْ عَائِشَةُ: وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ، . . . .

وهي هنا إما باتصافه ﷺ بصفة الملَكية وغلبة الروحانية، وهو النوع الأول، وإما باتصاف جبرئيل بوصف البشرية، وهو النوع الثاني، والأول أشد على النبي ﷺ لغاية تصرف جبرئيل فيه بخلعه عن صفة البشرية وإلباسه لباس الملكية، هذا إذا كان الصلصلة محمولاً على أنه وحي وكلام الملك كما هو الظاهر من الحديث، وأما إذا حمل على أنه صوت حفيف أجنحة الملك فالحكمة في تقدمه أن يقرع سمعه الوحي، فلا يبقى فيه مكان لغيره، فمعنى كونه أشد لتجمع قلبه، فيكون أوعى لما سمع، كذا في (فتح الباري)[1]، ولعله أراد كونه أشد تعلقاً بقلبه حفظاً له، والله أعلم.

وقوله: **(فيفصم عني)** بفتح الياء وسكون الفاء وكسر المهملة، أي: يقلع ويتجلى ما يغشاني، وروي بضم أوله من المزيد بمعنى صار ذا فصم، وفي رواية لأبي ذر بضم أوله وفتح الصاد على البناء للمجهول، والفصم: القطع، فصمه يفصمه: كسره فانفصم، ولكن الفصم بالفاء: القطع من غير إبانة، وبالقاف: القطع بإبانة، فذكر الفصم إشارة إلى أن الملك فارقه ليعود لبقاء الجامع بينهما.

وقوله: **(وقد وعيت)** أي: حفظت **(عنه ما قال)** جملة حالية.

وقوله: **(يتمثل لي الملك)** أي: يتشكل بشكل البشر.

وقوله: **(فيكلمني)** وفي رواية: (فيعلمني)، وقيل: هذا تصحيف، والصحيح

---

(١) «فتح الباري» (١/ ٢٠).

فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقاً. مُتَّفقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٢، م: ٢٣٣٣].

٥٨٤٥ - [٩] وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ كُرِبَ لِذَلِكَ وَتَرَبَّدَ وَجْهُهُ. وَفِي رِوَايَةٍ: نَكَّسَ رأسَهُ، وَنَكَّسَ أَصْحَابُهُ رُؤُوسَهُمْ، فَلَمَّا أُتْلِيَ عَنْهُ رَفَعَ رَأْسَهُ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٣٣٤].

(يكلمني) بالكاف.

وقوله: **(وإن جبينه ليتفصد عرقاً)** أي: يسيل، وهو مأخوذ من الفصد بمعنى قطع العرق لإسالة الدم.

وقوله: **(عرقاً)** بفتحتين تمييز، وهو أبلغ من أن يقال: ليتفصد عرقه كما في قوله تعالى: ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: ٤].

٥٨٤٥ - [٩] **(عبادة بن الصامت)** قوله: **(كرب)** بلفظ المجهول، والكرب بالفتح: الغم الذي يأخذ النفس، كالكربة بالضم، والظاهر أن الكرب لشدة الوحي، وقيل: للاهتمام بما يطالب به من حقوق العبودية والقيام بشكر المنعم لا سيما من عصاة الأمة.

وقوله: **(تربد)** في (القاموس)[1]: تربد: تغير، وتربدت السماء: تغيمت، والربدة بالضم: لون بين السواد والغبرة، أي: علته غبرة وصار كلون الرماد لغلبة التغير.

وقوله: **(فلما أتلي عنه)** بهمزة مضمومة، فمثناة فوقية ساكنة، فلام مكسور، فمثناة تحتية مفتوحة، أي: ارتفع عنه الوحي، وأصل أتليته بمعنى أحلته، كذا في

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٢٦٩).

٥٨٤٦ ـ [١٠] وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى صَعِدَ الصَّفَا، فَجَعَلَ يُنَادِي: «يَا بَنِي فِهْرٍ! يَا بَنِي عَدِيٍّ» لِبُطُونِ قُرَيْشٍ حَتَّى اجْتَمَعُوا، فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولاً لِيَنْظُرَ مَا هُوَ، ....

(القاموس)[1]، فالملك إذا قضى الوحي فقد أحال عليه البلاغ، كذا قال الطيبي[2]، وقال عياض[3]: (فلما أتلي عنه) بضم الهمزة وتاء باثنتين فوقها ساكنة ولام مكسورة مثل أعطي، كذا قيده شيخنا القاضي أبو عبدالله بن عيسى عن الجياني، وعند الفارسي مثله إلا أنه بثاء مثلثة، وعند العذري من طريق شيخنا الأسدي: أثل بكسر الثاء المثلثة مثل ضرب، وكان عند شيخنا القاضي الحافظ أبي علي: أُجلي بالجيم مثل أعطي أيضاً، وعند ابن ماهان: انجلى بالنون، وكذا رواه البخاري، وهاتان الروايتان هما وجه، أي: انكشف عنه وذهب وفرج عنه، يقال: انجلى عنه الغم، وأجليته عنه، أي: فرجته فتفرج.

وقال بعضهم: لعله أؤتلي عنه، أي: قصر عنه، وأمسك من قولهم: لم يأل يفعل كذا، أي: لم يقصر، وقال بعضهم: أُعْلي عنه، فصحف منه: انجلى وأجلي، وكذا رواه ابن أبي خيثمة، أي: نحي عنه، كما قال أبو جهل: أعلي عنّي، أي: تنحّ، انتهى، والله أعلم.

٥٨٤٦ ـ [١٠] **(ابن عباس)** قوله: **(يا بني فهر)** بكسر الفاء وسكون الهاء.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١١٦٤).

(٢) «شرح الطيبي» (١١/ ٥٨).

(٣) «مشارق الأنوار» (١/ ١٧).

فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ فَقَالَ: «أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيلاً تَخْرُجُ مِنْ سَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ ـ وَفِي رِوَايَةٍ: أَنَّ خَيْلاً تَخْرُجُ بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ ـ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟» قَالُوا: نعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلاَّ صِدْقاً. قَالَ: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ». قَالَ أَبُو لَهَبٍ: تبًّا لَكَ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟ فَنَزَلَتْ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١]. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٤٩٧١، م: ٢٠٨].

٥٨٤٧ ـ [١١] وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يُصَلِّي عِنْدَ الْكَعْبَةِ وَجَمْعُ قُرَيْشٍ فِي مَجَالِسِهِمْ، إِذْ قَالَ قَائِلٌ: أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَى جَزُورِ آلِ فُلاَنٍ، فَيَعْمِدُ إِلَى فَرْثِهَا وَدَمِهَا وَسَلاَهَا ثُمَّ يُمْهِلُهُ، حَتَّى إِذَا سَجَدَ وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ؟ ....

وقوله: (فقال) أي: رسول الله ﷺ. والصفح بفتح المهملة وسكون الفاء: الجانب.

وقوله: (أن تغير) من الإغارة، أغار على القوم غارة وإغارة: دفع عليهم الخيل. والتب والتبب والتباب: النقص والخسارة والهلاك، وقد مر هذا الحديث في باب بعد (باب تغير الناس).

٥٨٤٧ ـ [١١] (عبدالله بن مسعود) قوله: (إذ قال قائل) وفي رواية للبخاري: قائل منهم، وفيها أيضاً: ألا تنظرون إلى هذا المرائي، وقيل: القائل هو أبو جهل ـ لعنة الله عليه ـ، وقد صرح به في رواية مسلم، والجزور من الإبل: ما يجزر، أي: يقطع، وهو بفتح الجيم، وفي (القاموس)[1]: الجزور: البعير، أو خاص بالناقة

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٣٤١).

فَانْبَعَثَ أَشْقَاهُمْ، فَلَمَّا سَجَدَ وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، وَثَبَتَ النَّبِيُّ ﷺ سَاجِداً، فَضَحِكُوا حَتَّى مَالَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنَ الضَّحِكِ، فَانْطَلَقَ مُنْطَلِقٌ إِلَى فَاطِمَةَ، فَأَقْبَلَتْ تَسْعَى، وَثَبَتَ النَّبِيُّ ﷺ سَاجِداً حَتَّى أَلْقَتْهُ عَنْهُ، وَأَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ تَسُبُّهُمْ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ الصَّلاَةَ قَالَ: . . . .

المجزورة، وما يذبح من الشاة، واحدتها: جزورة. وفي (المشارق)[1]: الجزور بفتح الجيم: ما يجزر وينحر من الإبل وغيرها، وقيل: بل يختص بالضأن والمعز.

والفرث بفتح الفاء وسكون الراء: السرجين في الكرش، والسلا بفتح السين المهملة: جلدة فيها الولد من الناس والمواشي، والجمع أسلاء، كذا في (القاموس)[2]، وقال السيوطي: يختص بالبهائم، ويسمى في الآدمي مشيمة، والضمير في (فرثها) و(دمها) للـ (جزور)، ولفظها يؤنث وإن كان ذكراً.

وقوله: (**فانبعث أشقاهم**) هو عقبة بن أبي معيط، وإنما سماه أشقى القوم وإن كان فيهم أبو جهل؛ لأن المباشرة آكد من التسبب، ويلمح هذا إلى قوله: ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا﴾[الشمس: ١٢] لعاقر ناقة صالح.

وقوله: (**فانطلق منطلق**) منهم، قال الشيخ: أظنه عبدالله بن مسعود راوي الحديث.

وقوله: (**فأقبلت عليهم تسبهم**) فيه قوة نفس فاطمة الزهراء من صغرها لشرفها لكونها خرجت لسبّهم وهم رؤوس قريش فلم يردوها عليها.

---

(١) «مشارق الأنوار» (١/ ١٤٧).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ١١٩١).

«اللهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ» ثَلاَثاً ـ وَكَانَ إِذَا دَعَا دَعَا ثَلاَثاً، وَإِذَا سَأَلَ سَأَلَ ثَلاَثاً ـ: «اللهُمَّ عَلَيْكَ بِعَمْرِو بْنِ هِشَامٍ، وَعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدِ ابْنِ عُتْبَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ، وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، وَعُمَارَةَ بْنِ الْوَلِيدِ». قَالَ عَبدُاللهِ: فَوَاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُهُمْ صَرْعَى يَوْمَ بَدْرٍ، ثُمَّ سُحِبُوا إِلَى الْقَلِيبِ قَلِيبِ بَدْرٍ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَأُتْبِعَ أَصْحَابُ الْقَلِيبِ لَعْنَةً». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

[خ: ٥٢٠، م: ١٧٩٤].

وقوله: (اللهم عليك بقريش) أي: بإهلاك كفار قريش، فإنه عام أريد به المخصوص، (أمية بن خلف) بفتح اللام، (وعقبة) بضم العين وسكون القاف، (ابن أبي معيط) بضم الميم وفتح العين، وسكون التحتانية. و(صرعى) جمع صريع كمريض ومرضى، والصرع: الطرح والإسقاط على الأرض. و(سحبوا) بلفظ المجهول، سحبه: جره على الأرض فانسحب. و(القليب) بئر لم يطو. (وأتبع) بلفظ المجهول من الإفعال، وقالوا: لم يكن عمارة بن الوليد في المذكورين، ولم يقتل ببدر، بل مات بأرض الحبشة، وعقبة بن أبي معيط إنما قتل بعد أن رجعوا عن بدر، وأمية بن خلف لم يطرح في القليب، فما ذكر يكون باعتبار الأكثر، ويظهر حقيقة الحال بالنظر في كتب السير.

هذا واستشكل الحديث بأنه كيف استمر ﷺ في الصلاة مع إصابة النجاسة على ظهره؟ وأجيب أولاً: بأن الفرث طاهر عند مالك ومن وافقه، وإنما النجس الدم، وتعقب بأن الفرث لم ينفرد، بل كان مع الدم كما مرّ من قوله: (فيعمد إلى فرثها ودمها)، وثانياً: بأن الفرث والدم كانا داخلين تحت السلا، وجلدة السلا طاهرة، فكأنه كحمل القارورة المرصصة، وتعقب بأنه ذبيحة مشرك وثني فجميع أجزائها نجسة لأنها ميت؟

٥٨٤٨ ـ [١٢] وَعَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ! هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ فَقَالَ: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ، فَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ.................................

وأجيب بأن ذلك قبل تحريم ذبائحهم.

وقال النووي: الجواب المرضي أنه ﷺ لم يعلم ما وضع على ظهره، فاستمر في سجوده استصحاباً لأصل الطهارة، وتعقب بأنه ينبغي أن يعيدها بعد العلم؟ فأجاب الشافعية بأن الإعادة إنما تجب في الفريضة، فإن ثبت أنها كانت فريضة فالوقت موسع فلعله أعاد، وهذا هو الجواب عند الحنفية، واستبعد ذلك بأنه لو أعاد لنقل ولم ينقل، وهذا الاستبعاد في الفريضة صحيح؛ لأنها تقام بالجماعة، وأما في النفل فلا؛ لأنه يمكن إعادتها في وقت لم يطلع عليها، هذا وقد استدل به على أن من حدث له في صلاته ما يمنع انعقادها ابتداءً لا يبطل صلاته ولو تمادى، وقد ترجم البخاري[1]: (باب إذا ألقي قذر أو جيفة لم تفسد عليه صلاته)، وكان ابن عمر إذا رأى في ثوبه دماً وهو يصلي وضعه ومضى في صلاته، والله أعلم.

٥٨٤٨ ـ [١٢] (عائشة) قوله: **(من يوم أحد)** وقد أصابه ﷺ فيه ما أصاب، وفيه كسرت رباعيته، وغير ذلك كما يأتي في الحديث الآتي.

وقوله: **(لقد لقيت من قومك)** مفعوله محذوف إما عامًّا مثل ما لقيت: شيئاً، أو خاصاً وهو: أمراً مخصوصاً لقيه منه، والضمير في (كان) راجع إلى هذا المقدر، و**(أشد)** خبر كان مضافاً إلى (ما لقيت) وهو المفضل عليه، ويجوز أن يكون (ما لقيت) اسم كان و(أشد) خبره، والمفضل عليه محذوف، أي: كان ما لقيت منهم في ذلك

---

(١) «صحيح البخاري» (ك: ٤، ب: ٦٩).

يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ[١] عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ كُلاَلٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ ـ وَأَنَا مَهْمُومٌ ـ عَلَى وَجْهِي، . . . .

اليوم أشد الشدائد أو أشد من كل شديد، وعلى الوجهين يكون قوله: **(يوم العقبة)** ظرفاً لـ (لقيت) الأول، ويجوز أن يكون ظرفاً لـ (لقيت) الثاني، ويكون الأول مطلقاً، أي: لقيت من قومك ما لقيت، وكان ما لقيت منهم يوم العقبة أشد من الكل، فافهم.

والظاهر أن العقبة هي التي تضاف إليها الجمرة وهي بمنى، وكان رسول الله ﷺ يقف عند العقبة في الموسم يعرض نفسه على قبائل العرب يدعوهم إلى الإسلام، فدعا ابن عبد ياليل فأبى، وما أجاب إلى ما دعاه، كذا قال الطيبي[٢]، ولكن ذكر في كتب السير أن ابن عبد ياليل كان في الطائف من رؤساء أهله من ثقيف، وذهب ﷺ إليه في الطائف، ودعاه وأشراف ثقيف لما زاد أهل مكة في الكفر والطغيان، ومات أبو طالب وخديجة، فحزن رسول الله ﷺ، ويسمى ذلك العام عام الحزن، ذهب إلى أهل الطائف، فلم يجد منهم مساعدة وموافقة، ورأى منهم ومن سفهائهم من الإيذاء ما لا يطاق ذكره، والقصة مذكورة في (شرح سفر السعادة) في فصل الجهاد وآدابه قبيل الخاتمة، إلا أن يقال: دعاه عند العقبة ثم ذهب إليه، والله أعلم.

و**(ياليل)** بتحتانية وبعدها ألف ثم لام مكسورة ثم تحتانية ساكنة ثم لام غير منصرف. و**(كلال)** بضم الكاف منون.

وقوله: **(فانطلقت)** أي: عند الانصراف عن أهل الطائف.

وقوله: **(على وجهي)** متعلق بـ (انطلقت)، أي: حائراً هائماً لا أدري أين أتوجه،

---

(١) في نسخة: «إذا».

(٢) «شرح الطيبي» (١١/ ٦٢).

فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلاَّ بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ، قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ».

قَالَ: «فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِم الأَخْشَبَيْنِ»، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُاللهَ وَحْدَهُ وَلاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

[خ: ٣٢٣١، م: ١٧٩٥].

٥٨٤٩ ـ [١٣] وَعَنْ أَنَسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَشُجَّ فِي رَأْسِهِ، . . . .

كذا فسره الطيبي[1].

وقوله: (فلم أستفق) استفعال من الإفاقة، أي: لم أرجع إلى حالي (إلا بقرن الثعالب) بفتح القاف وسكون الراء: اسم موضع هناك، ميقات أهل نجد، ويقال له: قرن المنازل أيضاً، وهو موضع قريب الطائف، وهذا أيضاً يؤيد ما في كتب السير. و(ما) في (ما ردوك) موصولة أو مصدرية عطف على (قول قومك). والأخشبان بالخاء والشين المعجمتين والباء الموحدة: جبلان بينهما مكة: أبو قبيس والأحمر، والأخشب: الجبل الخشن العظيم.

٥٨٤٩ ـ [١٣] (أنس) قوله: (كسرت) بلفظ المجهول. (رباعيته) بفتح الراء

---

(١) «شرح الطيبي» (١١/ ٦٢).

فَجَعَلَ يَسْلُتُ الدَّمَ عَنْهُ وَيَقُولُ: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا رَأْسَ نَبِيِّهِمْ وَكَسَرُوا رَبَاعِيَتَهُ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ١٧٩١].

وكسر العين، وفتح التحتانية مخففة على وزن ثمانية: أربعة أسنان بين الثنية والناب، من كل جانب ثنتان، رماه عتبة بن أبي وقاص أخو سعد بن أبي وقاص، فكسرت اليمنى السفلى، وجرحت شفته السفلى، ولم تكسر رباعيته من أصلها، بل ذهبت منها فلقة، قالوا: لم يولد من نسله ولد فيبلغ الحنث إلا وهو أنحر وأهتم مكسور الثنايا من أصلها يعرف ذلك في عقبه، وعبدالله بن هشام شجّ في جبهته، وعبدالله بن قميئة جرح وجنته فقال: خذها وأنا ابن قميئة، فقال رسول الله ﷺ وهو يمسح الدم عن وجهته: (أقمأك الله)، فسلط الله عليه تيس جبل فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة [قطعة]، فأخذ عليّ بيده واحتضنه ورفعه طلحة بن عبيدالله حتى استوى قائمًا، وهنا قال ﷺ: (أوجب طلحة)، ونشبت حلقتان من المغفر في وجهه، ووقع ﷺ في حفرة من الحفر التي كان أبو عامر الفاسق يكيد بها، فانتزعهما أبو عبيدة بن الجراح، وعض عليهما حتى سقطت ثنيتاه من شدة غوصهما في وجهه، وامتص مالك بن سنان والدُ أبي سعيد الخدري الدم من وجنته، فقال ﷺ: (من مس دمي لم تمسه النار)، وفي رواية: فشقّوا البيضة عن رأسه، أي: كسروا الخودة ورموه بالحجارة حتى سقط في حفرة من الحفر التي حفرها أبو عامر.

وقوله: (**يسلت الدم**) أي: يميط، من نَصَرَ، سلتت المرأة الخضاب عن يدها: إذا مسحته وألقته.

وقوله: (**شجوا رأس نبيهم**) وفي رواية أحمد[1] والترمذي والنسائي: (خضبوا

(١) «مسند أحمد» (٣/ ١٧٨)، و«سنن الترمذي» (٣٠٠٢)، و«السنن الكبرى» للنسائي (١٠/ ٥١، رقم: ١١٠١١).

٥٨٥٠ ـ [١٤] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى قَوْمٍ فَعَلُوا بِنَبِيِّهِ»، يُشِيرُ إِلَى رَبَاعِيَتِهِ، «اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى رَجُلٍ يَقْتُلُهُ رَسُولُ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٤٧٣، م: ١٧٩٣].

وَهَذَا الْبَابُ خَالٍ عَنِ الْفَصْلِ الثَّانِي.

*** الْفَصْلُ الثَّالِثُ:**

٥٨٥١ ـ [١٥] عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَوَّلِ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ؟ قَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾، . . . .

وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم)، فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾[آل عمران: ١٢٨]، وروي: أنه لما جرح ﷺ يوم أحد أخذ شيئاً فجعل ينشف دمه ويقول: (لو وقع منه شيء على الأرض لنزل عليهم العذاب من السماء)، ثم قال: (اللهم اغفر لهم فإنهم لا يعلمون)، وروى عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال: ضرب وجه النبي ﷺ يومئذٍ بالسيف سبعين ضربة، وقاه الله شرها كلها، والمراد بالسبعين حقيقتها أو المبالغة، كذا قال الشيخ[1].

٥٨٥٠ ـ [١٤] (أبو هريرة) قوله: (**يقتله رسول الله ﷺ**) يحتمل أن يكون المراد به الجنس أو نفسه الكريمة ﷺ.

وقوله: (**في سبيل الله**) احتراز عمن يقتله في حد أو قصاص.

الفصل الثالث

٥٨٥١ ـ [١٥] (يحيى بن أبي كثير) قوله: (﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ**﴾) فيه اشتباه الحال

---

(١) «فتح الباري» (٧/ ٣٧٢).

قُلْتُ: يَقُولُونَ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾، قَالَ أَبُو سَلَمَةَ: سَأَلْتُ جَابِراً عَنْ ذَلِكَ وَقُلْتُ لَهُ مِثْلَ الَّذِي قُلْتَ لِي، فَقَالَ لِي جَابِرٌ: لاَ أُحَدِّثُكَ إِلاَّ بِمَا حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: «جَاوَرْتُ بِحِرَاءٍ شَهْراً، فَلَمَّا قَضَيْتُ جِوَارِي هَبَطْتُ فَنُودِيتُ فَنَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي فَلَمْ أَرَ شَيْئاً، وَنَظَرْتُ عَنْ شِمَالِي فَلَمْ أَرَ شَيْئاً، وَنَظَرْتُ عَنْ خَلْفِي فَلَمْ أَرَ شَيْئاً، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَرَأَيْتُ شَيْئاً، فَأَتَيْتُ خَدِيجَةَ فَقُلْتُ: دَثِّرُونِي، فَدَثَّرُونِي، وَصَبُّوا عَلَيَّ مَاءً بَارِداً، فَنَزَلَتْ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ [المدثر: ١ ـ ٥]، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تُفْرَضَ الصَّلاَةُ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٤٩٢٥، م: ١٦١].



٥ ـ بابُ علاماتِ النبوة

على الراوي، والصواب أن أوّل ما أنـزل ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾، وأما ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ فنزولها بعد فترة الوحي، ووجه الجمع أن المراد بأولية سورة (المدثر) أولية مخصوصة بما نـزل بعد فترة الوحي، أو مخصوصة بالأمر بالإنذار، أو أولية مخصوصة بما نزل لسبب متقدم من التدثر والرعب، وأما ﴿ٱقْرَأْ﴾ فنزلت ابتداء من غير سبب متقدم، ولعل راوي هذا الحديث اختصر القصة، وطوى ذكر نزول ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾، أو اشتبه على الراوي الأمر باختلاط أو نسيان كما يومئ إليه: فقلت: (دثروني)، فنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾.

٥ ـ باب علامات النبوة

العلامة تطلق على ما ينصب في الطريق يهتدى به كالعلم، وصفاته وأخلاقه وشمائله وسائر أحواله ﷺ آيات وعلامات على نبوته مما يتفرس الزكي العاقل الناظر

....

فيها، ويستدل بها عليها، ومنه ما ذكر في الكتب السماوية السالفة من صفاته علامة على ذلك، كما استدل بها هرقل عظيم الروم، ولا يخفى عليك أن المعجزات كلها علامات ودلائل على نبوته ﷺ، وقد عقد المؤلف باباً في علامات النبوة، وآخر في المعجزات، لأَنْ يفرق بأن المعجزة يشترط فيه التحدي دون العلامة، وهذا مشهور، ولكن يرد عليه أن كثيراً من المعجزات لا تحدي فيها، مثل تكثير الطعام في بيت الصحابة، ونبع الماء لتوضيء القوم، ونحو ذلك مما كان بين الصحابة من غير تحدي، وقد اتفقوا على كونها معجزات بلا ريب، اللهم إلا أن يعتبر أن من شأنها التحدي، وسيأتي تحقيق شروط المعجزة في بابها، أو تحمل المعجزات على ما يكون دلالته قطعية، والعلامات يشمل الأمارات، لكنه قد ذكر في هذا الباب شق القمر، وهو معجزة بلا شبهة، بل من أقوى المعجزات وأعلاها.

وقد جاء في الأخبار أن الكفار سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم ذلك فقال: (اشهدوا)، وذكر فيه الأخبار ببعض المغيبات، وهي معجزات قطعاً حتى اختلفوا في أن إعجاز القرآن إما لكونه مخبراً عن المغيبات أو لفصاحته وبلاغته، أو يقال: إن المعجزة ما ظهر على يديه في صورة الفعل له، والعلامة ما ظهر فيه أو منه من غير أن يصدر عنه، وهذا أيضاً لا يتم لأن شق القمر كان بإشارته ﷺ. ومن المعجزات ما لم يكن ليصدر عنه كظل القامة وعدم وقوع ظله على الأرض ونحو ذلك، وبالجملة لا يظهر الفرق بين ما جعله المؤلف من العلامات وبين ما جعله من المعجزات، وفي كلا البابين أمور من جنس الأخبار عن الغيوب والتصرف في الكائنات، فلم جعل بعضها من العلامات وبعضها من المعجزات؟ فتدبر.

* الْفَصْلُ الأَوَّلُ:

٥٨٥٢ ـ [١] عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَتَاهُ جِبْرِيلُ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَأَخَذَهُ، فَصَرَعَهُ، فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً. فَقَالَ: هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ، . . . .

الفصل الأول

٥٨٥٢ ـ [١] (أنس) قوله: (**فصرعه**) أي: ألقاه على الأرض (**فشق عن قلبه**) أي: صدعه، وكلمة (عن) لتضمين معنى الكشف، والعلقة بفتحات: دم غليظ أسود، قيل: هو أم المفاسد والمعاصي في القلب، وفي (القاموس)[1]: العلق محركة: الدم عامة، أو الشديد الحمرة، أو الغليظ، أو الجامد، والقطعة منه بهاء.

وقوله: (**هذا حظ الشيطان منك**) الظاهر أنه متعلق بحظ، ويجوز أن يكون ظرفاً مستقراً، قالوا: نزع منه ﷺ حظ الشيطان منه رأساً، وكذا كليات النفس، وأبقى بعض جزئياتها بحسب الجبلة البشرية ليكون سبباً لنزول القرآن، وباعثاً على تشريع الأحكام، وتلك أيضاً في صفاء ونورانية ولطافة، وذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف: ١١٠]، كذا قال في (العوارف)، والله أعلم.

(**الطست**) بالسين والشين، قالوا: أصله طس بدليل جمعه على طساس أبدلت سينه تاء، ونقل عن الأزهري: أن هذه اللفظة دخيلة في كلام العرب لأن التاء والطاء لا يجتمعان في كلمة عربية.

وقوله: (**بماء زمزم**) استدل بهذا على أن ماء زمزم أفضل وأشرف من ماء الجنة إذ لو لم تكن كذلك لغسله به، قيل: كان ماء زمزم حاضراً بخلاف ماء الجنة، وهذا

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٨٣٩).

ثُمَّ لأَمَـهُ وَأَعَادَهُ فِي مَكَانِـهِ، وَجَاءَ الْغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّـهِ يَعْنِـي ظِئْـرَهُ. فَقَالُوا: إِنْ مُحَمَّداً قَدْ قُتِلَ، فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ، قَالَ أَنَسٌ: فَكُنْتُ أَرَى أَثَرَ الْمِخْيَطِ فِي صَدْرِهِ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ١٦٢].

كما يرى ضعيف سخيف مـن القول علـى أنه لو سلم فإنما يصح ظاهراً في الشق ليلة المعراج، إذ كان في الحرم، والشق في الصغر كان عند حليمة، فافهم.

وقوله: (**ثم لأمه**) بلفظ الماضي مهموز العين من القيام بالجراحة، أي: جمعه وضمه.

وقوله: (**منتقع اللون**) بالقاف المفتوحة، أي: متغيره ومغبره، افتعال من النقع بمعنى الغبار. و(**المخيط**) إما مصدر يتم بمعنى الخياطة، ويجوز أن يكون اسم مفعول، يقال: ثوب مخيط ومخيوط.

اعلم أن شق صدره الشريف كان أربع مرار، **الأولى**: في صغره عند حليمة كما ذكر فـي الكتاب مـن مسلم عن أنس، وروى أحمد كذلك، وفي لفظ آخر عند أحمد والدارمي والحاكم وصححه، والطبراني والبيهقي وأبو نعيم[١] عن عتبة بن عبد السلمي: أن النبي ﷺ قال: (كانت حاضنتي من بنـي سعد بن بكر، فانطلقت أنا وابن لها في بهم لنا، ولـم نأخذ معنا زاداً، فقلت: يا أخـي! اذهب فأتنا بزاد من عند أمنا، فانطلق أخي ومكثت عند البهم، فأقبل إليّ طيران أبيضان كأنهما نسران، فقال أحدهما لصاحبه: أهـو هـو؟ قال: نعم، فأقبلا يبتدرانـي فأخذاني فبطحاني إلى القفا، فشقا بطني، ثم استخرجا قلبي، فشقـاه فأخرجا منه علقتين سوداوين، فقال أحدهما لصاحبه: ائتني

---

(١) «مسند أحمد» (٤/ ١٨٤)، و«سنن الدارمي» (١/ ١٣)، و«المستدرك» (٢/ ٦٧٣)، و«دلائل النبوة» للبيهقي (١/ ٢٩٥)، و«دلائل النبوة» لأبي نعيم (١/ ١١٢ ـ ١١٣).

. . . .

بماء وثلج، فغسلا به جوفي، ثم قال: ائتني بماء برد، فغسلا به قلبي، ثم قال: ائتني بالسكينة فذرَّاها في قلبي، ثم قال أحدهما لصاحبه: حصه فحاصه، وختم عليه بخاتم النبوة).

والمرة الثانية: وهو ابن عشر سنين، روى عبدالله بن الإمام أحمد في (زوائد المسند) بسند رجاله ثقات، وابن حبان والحاكم وأبو نعيم وابن عساكر والضياء في (المختارة) عن أبي بن كعب أن أبا هريرة قال: يا رسول الله! ما أول ما ابتدأت من أمر النبوة؟ قال: إني لفي صحراء ابن عشر حجج إذا أنا برجلين فوق رأسي يقول أحدهما لصاحبه: أهو هو؟ قال: نعم، فأخذاني فاستقبلاني بوجوه، لم أرها لخلق قط، وأرواح لم أجدها من خلق قط، وثياب لم أرها على أحد قط، فأقبلاني يمشيان حتى أخذ كل واحد منهما بعضدي لا أجد لأحدهما مسًّا، فقال أحدهما لصاحبه: أضجعه فاضجعاني بلا قصر ولا هصر)[1]، وفي لفظ: (فلصقاني بحلاوة القفا، ثم شقا بطني)، وفي لفظ: (فقال أحدهما لصاحبه: افلق صدره، فهوى أحدهما إلى صدري، ففلقها فيما أرى بلا دم ولا وجع، فكان أحدهما يختلف بالماء في طست من ذهب، والآخر يغسل جوفي، فقال أحدهما لصاحبه: افلق صدره، فإذا صدري فيما أرى مفلوقاً لا أجد له وجعاً، ثم قال: اشقق قلبه، فشق قلبي فقال: أخرج الغل والحسد منه، فأخرج شبه العلقة فنبذ به، ثم قال: أدخل الرأفة والرحمة في قلبه، فأدخل شيئاً كهيئة الفضة، ثم أخرج ذروراً كان معه فذره عليه ثم نقر إبهامي ثم قال: اغد، فرجعت بما لم أغد به

---

(١) «مسند أحمد» (٥/ ١٣٩)، و«دلائل النبوة» (١/ ١٩٩)، و«الأحاديث المختارة» (٤/ ٣٨)، و«تاريخ دمشق» (٣/ ٤٦٣).

. . . .

من رحمتي للصغير ورأفتي على الكبير).

المـرة الثالثة: عند البعثة، روى أبو داود الطيالسي والحارث بن أبي أسامة في (مسنديهما) والبيهقي وأبو نعيم[1] عن عائشة ﵂ أن النبي ﷺ: (نذر أن يعتكف شهراً هو وخديجـة [بحراء]، فوافق ذلك شهر رمضان، فخرج ذات ليلة فسمع السلام عليك، قال: فظننتهـا فجأة الجن، فجئت مسرعاً حتى دخلت على خديجة [فسجتني ثوباً]، وقالت: ما شأنـك؟ فأخبرتها، فقالت: أبشر فإن السلام خير، ثم خرجت مرة أخرى فإذا جبريل على الشمس جناح له بالمشرق، وجناح له بالمغرب، فجفلتُ منه فجئت مسرعاً، فإذا هـو بيني وبين الباب، فكلمني حتى آنست به، ثم وعدني موعداً فجئت إليه، فأبطأ علي، فأردت أن أرجع، فإذا أنا به وبميكائيل قد سدّا الأفق، فهبط جبريل فبقي جبريل بين السماء والأرض، فأخذني جبريل فسلقني بحلاوة القفا، ثم شق عن قلبي فاستخرجه، ثم استخرج منه ما شاء الله أن يستخرج، ثم غسله في طست من ذهب بمـاء زمزم، ثم أعاده مكانه، ثم لأمه، ثم كفأني كما يكفأ الإناء، ثم ختم في ظهري حتى وجدت مس الخاتم في قلبي، وذكر الحديث.

المرة الرابعة: ليلة الإسراء، روى مسلم[2] عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: (أتيت وأنا في أهلي؛ فانطلق بي إلى زمزم، فشرح صدري، ثم غسل بماء زمزم، ثم أتيـت بطست مـن ذهـب ممتلئـة إيمانـاً وحكمة، فحشي بهـا صـدري ـ قال أنس:

---

(١) «مسند أبـي داود» (٣/ ١٢٥)، و«مسنـد الحارث» (٢/ ٨٦٧)، و«دلائـل النبوة» لأبـي نعيم (١/ ٢١٥).

(٢) «صحيح مسلم» (١٦٤).

٥٨٥٣ ـ [٢] وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَراً بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ، إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الآنَ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٢٧٧].

ورسول الله ﷺ يرينا أثره ـ، فعرج بي الملك إلى السماء الدنيا)، وذكر حديث المعراج.

واعلم أنه قد ذكر في بعض طرق هذه الأحاديث ذكر خاتم النبوة، وفي بعضها: (فختم به قلبي فامتلأ نوراً، وذلك نور النبوة والحكمة، فوجدت برد ذلك في صدري)، وفي بعضها: (ثم ختم في ظهري حتى وجدت مس الخاتم في قلبي)، وقد ثبت أن خاتم النبوة كان في ظهره، والقول بختم قلبه ﷺ وصول أثره إليه، كما يدل عليه لفظ الحديث، والله أعلم.

ثم اعلم أنه قد اختلف: هل كان شق الصدر وغسل القلب مختصاً بنبينا ﷺ أو وقع لغيره من الأنبياء أيضاً سلام الله عليهم أجمعين؟ ونقل في (المواهب اللدنية)[1] عن ابن عباس: أنه قد ورد في خبر التابوت والسكينة: أنه كان فيه الطست الذي غسلت فيه قلوب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

٥٨٥٣ ـ [٢] (جابر بن سمرة) قوله: **(إني لأعرف حجراً بمكة)** قيل: هو الحجر الأسود، وقيل: هو الحجر البارز الآن بزقاق المرفق المقابل لباب الجنائز في طريق بيت خديجة، كذا ذكر الشيخ ابن حجر المكي، وقال: قد توارث ذلك عن أهل مكة خلفاً عن سلف، والله أعلم.

---

(١) «المواهب اللدنية» (١/ ١٥٨).

٥٨٥٤ ـ [٣] وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: إِنَّ أَهْلَ مَكَّـةَ سَأَلُـوا رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَـةً، فَأَرَاهُـمُ الْقَمَرَ شِقَّتَيْنِ حَتَّى رَأَوْا حِرَاءً بَيْنَهُمَا. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٨٦٨، م: ٢٨٠٢].

٥٨٥٤ ـ [٣] (أنس) قوله: (شقتين) بكسر، أي: نصفين، وعند مسلم: فأراهم انشقاق القمر مرتين، وكذا في (مصنف عبد الرزاق) عن معمر بلفظ: مرتين، واتفقت رواية الشيخين بلفظ: فرقتين، وفي رواية: فلقتين، وفي حديث جبير: انشق القمر باثنتين، وفي رواية أبي نعيم في (الدلائل): فصار قمرين، فيكون المراد بقوله: مرتين فرقتين جمعاً بين الدلائل، ولم يجزم أحد من علماء الحديث بتعدد وقوع الانشقاق منه ﷺ، كذا قالوا. و(الحراء) جبل معروف بمكة، وقد عرف ضبطه في (باب بدء الوحي).

اعلم أن انشقاق القمر قد وقع لرسول الله ﷺ، وقد أجمع المفسرون على وقوعه، فإن كفار قريش لما كذبوه طلبوا منه آية تدل على صدقه في دعواه، فأعطاه الله تعالى هذه الآية العظيمة التي لا يكاد يعدلها شيء من آيات الأنبياء عليهم السلام لظهورها في ملكوت السموات خارجاً عن جملة طباع ما في هذا العالم، فلذلك صار برهانه به أظهر وأبهر، وعن ابن عباس قال: لما اجتمع المشركون إلى رسول الله ﷺ، منهم الوليد بن المغيرة وأبو جهل بن هشام والعاص بن وائل ونظراؤهم فقالوا [للنبي ﷺ] إن كنت صادقاً فشق لنا القمر فرقتين، فسأل ربه فانشق، وابن عباس إن لم يشاهد القصة لكنه حمله عن ابن مسعود، ففي حديث ابن مسعود قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين، فرقة فوق الجبل، وفرقة دونه، فقال رسول الله ﷺ: (اشهدوا)[١].

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٤٨٦٤)، ومسلم في «صحيحه» (٢٨٠٠).

. . . .

وقال ابن عبد البر: قد روي حديث انشقاق القمر عن جماعة كثيرة من الصحابة، وروى ذلك عنهم أمثالهم من التابعين، ثم نقلـه عنهم الجم الغفيـر إلى أن انتهى إلينا وتأيد بالآيـة الكريمة. وقال العلامة ابن السبكي في (شرحه لمختصر ابن الحاجب): والصحيح عندي أن انشقاق القمر متواتر منصوص عليه في القرآن، مروي في الصحيحين وغيرهما من طرق كثيرة بحيث لا يمترى في تواتره، كذا نقل في (المواهب)[1].

وقوله: منصوص عليـه في القرآن المراد به قوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ الآية [القمر: ١]، والمراد وقوع انشقاقـه بدليل قولـه تعالـى: ﴿وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً يُعْرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ٢]؛ لأن الكفار لا يقولون ذلك يوم القيامة، وعند الإمام أحمد: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين: فرقة على هذا الجبل، وفرقة على هذا الجبل، فقالوا: سحرنا محمد، وفي حديث ابن مسعود قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ، فقال كفار قريش: هذا سحر ابن أبي كبشة، قال: فقالوا: انتظروا ما يأتيكم بالسفار، فإن محمداً لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم. قال: فجاء السفار فأخبروهم بذلك.

وقال في (المواهب)[2]: وقد يذكـر بعض القصاص: أن القمر دخل في جيب النبي ﷺ وخرج من كمه، وقد حكاه الشيخ بدر الدين الزركشي عن شيخـه العماد بن كثير، انتهى.

وقد أنكـر هذه المعجـزة جماعـة من المبتدعـة المتفلسة متمسكين بأن الخرق

(١) «المواهب اللدنية» (٢/ ٥٢٢).

(٢) «المواهب اللدنية» (٢/ ٥٢٧).

٥٨٥٥ ـ [٤] وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِرْقَتَيْنِ: فِرْقَةً فَوْقَ الْجَبَلِ، وَفِرْقَةً دُونَهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اشْهَدُوا». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٤٨٦٤، م: ٢٨٠٠].

والالتئام على الفلكيات ممتنع، وكذا قالوا في فتح أبواب السماء ليلة الإسراء، وهؤلاء إن كانوا كفاراً يناظروا على ثبوت دين الإسلام، فإن أسلموا فلا سبيل إلى إنكار ما ثبت في القرآن من وقوع ذلك يوم القيامة، وإذا ثبت ذلك استلزم الجواز والوقوع معجزة لرسول الله ﷺ، ولم يعرف هؤلاء أن القمر وجميع الأجرام العلوية مخلوق الله سبحانه وتعالى، يفعل فيه ما يشاء، كما يكورها يوم القيامة، وقال بعض الملاحدة: لو كان وقع لتناقلته العوام وأهل السير والتواريخ متواتراً، ولاشترك أهل الأرض كلهم في معرفته، ولم يختص بها أهل مكة؛ لأنه أمر صدر عن حس ومشاهدة، والدواعي متوفرة على رواية كل غريب ونقل ما لم يعهد.

والجواب بأنه طلبه قوم خاص كما حكاه أنس فأراهم ذلك ليلاً، وكثير من الناس نيام، وكان ذلك في قدر لحظة، وقد يكون القمر حينئذ في بعض المنازل التي يظهر لبعض أهل الآفاق دون بعض كما يكون ظاهراً لقوم غائباً لقوم، وكما يجد الكسوف أهل بلد دون أهل بلد آخر مع أنه قد روي أنه قد رآه غير أهل مكة أيضاً كما ذكرنا من أخبار السفار، وقد أبدى الخطابي حكمة بالغة في كون المعجزات المحمدية لم يبلغ شيء منها مبلغ التواتر الذي لا نزاع ولا خلاف كالقرآن ما حاصله: أن معجزة كل نبي كانت إذا وقعت عامة أعقبت هلاك من كذب بها من قومه، والنبي ﷺ بعث رحمة للعالمين، فاقتصر على الحاضرين المكذبين المتمردين الغالين في العتو والاستكبار.

٥٨٥٥ ـ [٤] (ابن مسعود) قوله: **(فرقتين)** قد علم شرحه في الحديث السابق.

٥٨٥٦ ـ [٥] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟ فَقِيلَ: نَعَمْ. فَقَالَ: وَاللاَّتِ وَالْعُزَّى لَئِنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لأَطَأَنَّ عَلَى رَقَبَتِهِ، فَأَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي ـ زَعَمَ لِيَطَأَ عَلَى رَقَبَتِهِ ـ فَمَا فَجِئَهُمْ مِنْهُ إِلاَّ وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَى عَقِبَيْهِ، وَيَتَّقِي بِيَدَيْهِ، فَقِيلَ لَهُ: مَا لَكَ؟ فَقَالَ: ....

٥٨٥٦ ـ [٥] **(أبو هريرة)** قوله: **(هل يعفر محمد وجهه)** في التراب، التعفير: تتريب الوجه، عفر وجهه في التراب: مرّغه فيه، كناية عن السجدة، و**(اللات)** اسم صنم لثقيف بالطائف، و**(العزى)** اسم شجرة كانت لغطفان يعبدونها.

وقوله: **(زعم)** حال من فاعل (أتى)، أي: طمع وأراد، ونقل الطيبي[1] من (أساس البلاغة): أن من المجاز: زعم فلان في غير مزعم، أي: طمع في غير مطمع.

وقوله: **(ليطأ)** بكسر اللام ونصب الفعل بتقدير (أن)، وفي بعض النسخ بفتح اللام ورفع الفعل.

وقوله: **(فما فجئهم)** بلفظ الماضي بكسر الجيم من باب علم.

و**(ينكص)** بضم الكاف وبكسرها، أي: يرجع القهقرى ومشى على مؤخر قدميه، وأعرب الطيبي هذا التركيب بوجهين: **أحدهما**: أن قوله: (إلا وهو ينكص) سد مسد الفاعل كما سد مسد الخبر في قوله: (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد)، فمعناه ما فجئ أصحاب أبي جهل من أمر أبي جهل إلا نكوص عقبيه، **وثانيهما**: أن الضمير في فجئ راجع إلى أبي جهل، وفي (منه) إلى الأمر، أي: ما فجئ أبو جهل أصحابه كائناً من أمره على حال من الأحوال إلا هذه الحال، فافهم.

---

(١) «شرح الطيبي» (١١/ ٦٨).

إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقاً مِنْ نَارٍ وَهَوْلاً وَأَجْنِحَةً. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَوْ دَنَا مِنِّي لاَخْتَطَفَتْهُ الْمَلاَئِكَةُ عُضْواً عُضْواً». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٧٩٧].

٥٨٥٧ ـ [٦] وَعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ: بَيْنَا أَنَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ، فَشَكَا إِلَيْهِ الْفَاقَةَ، ثُمَّ أَتَاهُ الآخَرُ فَشَكَا إِلَيْهِ قَطْعَ السَّبِيلِ. فَقَالَ: «يَا عَدِيُّ! هَلْ رَأَيْتَ الْحِيرَةَ؟ فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ فَلَتَرَيَنَّ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الْحِيرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ لاَ تَخَافُ أَحَداً إِلاَّ اللهَ، وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتُفْتَحَنَّ كُنُوزُ كِسْرَى، ....

و(الخندق) بفتح الخاء والدال: حفير حول أسوار المدن، معرب كنده، و(الهول) المخافة من الأمر لا يدرى ما هجم عليه منه.

وقوله: (وأجنحة) هي أجنحة الملائكة حفظوه ﷺ من شر ذلك اللعين.

٥٨٥٧ ـ [٦] (عدي بن حاتم) قوله: (هل رأيت الحيرة) بكسر الحاء وسكون التحتانية وبالراء: قرية قرب فارس، وبلد قرب غانة، ومحلة نيسابور، وبلد قديم قرب الكوفة، والظاهر أن المراد هو البلد المعروفة بقرب كوفة، والنسبة حيري وحاري.

وقوله: (فلترين) بلفظ الواحد المخاطب. و(الظعينة) المرأة التي في الهودج، وقد يطلق على المرأة بلا هودج، وعلى الهودج فيه امرأة أو لا، وأصله من ظعن كمنع ظعناً ويحرك: سار، وأظعنه: سيره، ويجيء بمعنى السفر والارتحال كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ [النحل: ٨٠].

يعني إن طال عمرك رأيت أمن الطريق بحيث تذهب المرأة من الحيرة إلى مكة قاصدة بيت الله آمنة غير خائفة مما سوى الله، يعني أن الخوف سينقلب أمناً والفقر غنى.

وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرَيَنَّ الرَّجُلَ يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ يَطْلُبُ مَنْ يَقْبَلُهُ فَلاَ يَجِدُ أَحَداً يَقْبَلُهُ مِنْهُ، وَلَيَلْقَيَنَّ اللهَ أَحَدُكُمْ يَوْمَ يَلْقَاهُ وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ يُتَرْجِمُ لَهُ، فَلَيَقُولَنَّ: أَلَمْ أَبْعَثْ إِلَيْكَ رَسُولاً فَيُبَلِّغُكَ؟ فَيَقُولُ: بَلَى. فَيَقُولُ: أَلَمْ أُعْطِكَ مَالاً وَأُفْضِلْ عَلَيْكَ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ فَلاَ يَرَى إِلاَّ جَهَنَّمَ، وَيَنْظُرُ عَنْ يَسَارِهِ فَلاَ يَرَى إِلاَّ جَهَنَّمَ، اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ». قَالَ عَدِيٌّ: فَرَأَيْتُ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الْحِيرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ لاَ تَخَافُ إِلاَّ اللهَ، وَكُنْتُ فِيمَنِ افْتَتَحَ كُنُوزَ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ، وَلَئِنْ طَالَتْ بِكُمْ حَيَاةٌ لَتَرَوُنَّ مَا قَالَ النَّبِيُّ أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ: ....

وقوله: (فلا يجد أحداً يقبله منه) لعدم الفقر والفقراء في ذلك الزمان، قيل: ذلك عند نزول عيسى عليه السلام، كما ورد في الحديث، وقد سبق في (باب نزول عيسى)، وقيل: قد وقع مثل هذا في زمن عمر بن عبد العزيز مما يصدق الحديث، وبذلك جزم البيهقي، ويرجح هذا الاحتمال قوله: (ولئن طالت بك حياة)، انتهى. و(ترجمان) بفتح مثناة وقد تضم وضم جيم وقد يفتحان، كذا في (مجمع البحار)[1] عن الكرماني، وهو من يترجم الكلام، أي: ينقله من لغة إلى الأخرى، والمراد هنا المفسر والمبيّن.

وقوله: (وأفضل) بالجزم عطف على (ألم أعطك) من الإفضال، لما بشرهم ﷺ باليسر والغنى أنذرهم بأنهما وإن كان فيهما راحة في الدنيا لكن فيهما مشقة ومحنة في الآخرة إلا من اتقى الله وتصدق وصرف المال في مصارف الخير جمعاً بين الإبشار والإنذار كما هو شأن النبوة.

---

(١) «مجمع بحار الأنوار» (١/ ٢٦١).

«يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٣٥٩٥].

٥٨٥٨ ـ [٧] وَعَنْ خبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، وَقَدْ لَقِينَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ شِدَّةً، فَقُلْنَا: أَلاَ تَدْعُو اللهَ، فَقَعَدَ وَهُوَ مُحْمَرٌّ وَجْهُهُ وَقَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِمِنْشَارٍ، فَيُوضَعُ فَوْقَ رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَيْنِ، فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ وَعَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرُ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لاَ يَخَافُ إِلاَّ اللهَ، ....

وقوله: (يخرج ملء كفه) أي: مصدوق قوله ﷺ: (ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه . . . إلخ).

٥٨٥٨ ـ [٧] (خباب بن الأرتّ) قوله: (وعن خباب) بفتح المعجمة وشدة الموحدة (ابن الأرت) بفتح الهمزة والراء وتشديد الفوقانية.

وقوله: (وهو متوسد بردة) توسد الشيء ووسده: جعله تحت رأسه، والبردة بالضم: كساء مخطط، أي: جعلها كالوسادة تحت رأسه. و(المنشار) بكسر الميم: آلة يشق بها الخشبة.

وقوله: (من عظم) بيان ما في (ما دون لحمه).

وقوله: (ليتمن هذا الأمر) أي: يتم ويكمل أمر الدين.

و(صنعاء) بلد باليمن كثيرة الأشجار والمياه تشبه دمشق، وقرية بباب دمشق، كذا في (القاموس)[1]. و(حضرموت) بسكون الضاد وقد يضم الميم: بلدة معروفة

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٦٨٢).

أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٣٨٥٢].

٥٨٥٩ ـ [٨] وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْخُلُ عَلَى أُمِّ حَرَامٍ بِنْتِ مِلْحَانَ، وَكَانَتْ تَحْتَ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ فَدَخَلَ عَلَيْهَا يَوْماً فَأَطْعَمَتْهُ، ثُمَّ جَلَسَتْ تَفْلِي رَأْسَهُ، . . . .

باليمن، مكان الصالحين من عباد الله حتى قيل: حضرموت ينبت الأولياء، قيل: سمي به لأنه حضره صالح عليه السلام فمات فيه، وقيل: حضر فيه موت جرجيس، وقيل: اسم قبيلة.

وقوله: **(أو الذئب)** أي: أو يخاف الذئب على غنمه؛ لأن المقصد بيان الأمن من عدوان الناس بعضهم على بعض كما كان في الجاهلية، ومن الجبابرة من الناس، لا الأمن من عدوان الذئب، فإن ذلك خارج عن العادة، وقد يكون ذلك أيضاً في آخر الزمان عند نزول عيسى عليه السلام.

٥٨٥٩ ـ [٨] (أنس) قوله: **(يدخل على أم حرام)** بلفظ ضد الحلال **(بنت ملحان)** بكسر الميم وسكون اللام، وهي خالة أنس بن مالك أخت أمه أم سليم، قال النووي[1]: اتفق العلماء على أنها كانت محرماً له ﷺ، واختلفوا في كيفية ذلك، فقال ابن عبد البر وغيره: كانت إحدى خالاته من الرضاعة، وقال آخرون: بل كانت خالة أبيه أو لجده عبد المطلب، وكانت أمه من بني النجار، كذا ذكر السيوطي، والله أعلم، وقد مرّ الكلام فيه في الفصل الأول (من باب أسماء النبي ﷺ) من حديث أم سليم.

وقوله: **(ثم جلست تفلي رأسه)** فلا رأسه: بحثه عن القمل، وقد مرّ الكلام فيه في الفصل الثاني من (باب أخلاقه ﷺ).

---

(١) «شرح النووي» (١٣/ ٥٧).

فَنَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَمَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «نَاسٌ(١) مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غُزَاةً فِي سَبِيلِ اللهِ، يَرْكَبُونَ ثَبَجَ هَذَا الْبَحْرِ مُلُوكاً عَلَى الأَسِرَّةِ، أَوْ مِثْلَ الْمُلُوكِ عَلَى الأَسِرَّةِ». فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَدَعَا لَهَا، ثُمَّ وَضَعَ رَأْسَهُ فَنَامَ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا يُضْحِكُكَ؟ قَالَ: «نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غُزَاةً فِي سَبِيلِ اللهِ». كَمَا قَالَ فِي الأُولَى. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ. قَالَ: «أَنْتِ مِنَ الأَوَّلِينَ». فَرَكِبَتْ أُمُّ حَرَامٍ الْبَحْرَ فِي زَمَنِ مُعَاوِيَةَ فَصُرِعَتْ عَنْ دَابَّتِهَا حِينَ خَرَجَتْ مِنَ الْبَحْرِ فَهَلَكَتْ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٦٢٨٢، م: ١٩١٢].

وقوله: (يركبون ثبج هذا البحر) أي: ظهره ووسطه، وثبج الشيء بمثلثة فموحدة مفتوحة فجيم: وسط الشيء ومعظمه، شبه البحر بظهر الأرض والسفينة بالسرير، فجعل الجلوس عليها مشابهاً بجلوس الملوك على أسرتهم.

وقوله: (كما قال في الأولى) الظاهر أنه عرض في هذه المرة طائفة غير الطائفة الأولى، أي: يغزون طائفة بعد طائفة بقرينة قوله: (أنت من الأولين)، فافهم.

وقوله: (في زمن معاوية) قيل: كان ذلك في خلافته، قاله الباجي والقاضي عياض وهو الأظهر، وقيل: في إمارته في غزاة قبرس في خلافة عثمان سنة ثمان وعشرين، وعليه أكثر العلماء وأهل السير، كذا ذكر السيوطي.

وقوله: (فصرعت) بلفظ المجهول، أي: سقطت وطرحت أم حرام.

---

(١) في نسخة: «أناس» في الموضعين.

٥٨٦٠ ـ [٩] وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: إِنَّ ضِمَاداً قَدِمَ مَكَّةَ، وَكَانَ مِنْ أَزْدِ شَنُوءَةَ، وَكَانَ يَرْقِي مِنْ هَذَا الرِّيحِ، فَسَمِعَ سُفَهَاءَ أَهْلِ مَكَّةَ يَقُولُونَ: إِنَّ مُحَمَّداً مَجْنُونٌ. فَقَالَ: لَوْ أَنِّي رَأَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ لَعَلَّ اللهَ يَشْفِيهِ عَلَى يَدَيَّ. قَالَ: فَلَقِيَهُ. فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنِّي أَرْقِي مِنْ هَذَا الرِّيحِ، فَهَلْ لَكَ؟. . . .

٥٨٦٠ ـ [٩] (ابن عباس) قوله: (إن ضماداً) بكسر الضاد المعجمة، كذا في النسخ المصححة، وفي (القاموس)[1]: وقد يقال بالضم أيضاً، والدال في آخره، وقد يقال: ضمام بالميم في آخره، وقيل: ضمام غير ضماد، وضماد كان رجلاً متطبباً راقياً طالباً للعلم من بين أهل اليمن، وضمام جاء وافداً من جهة بني سعد بن بكر، وكلاهما ابن ثعلبة.

وقوله: (وكان من أزد شنوءة) بفتح الهمزة وسكون الزاي وكسر الدال وفتح الشين المعجمة وبضم النون بعدها همزة وهاء: قبيلة من اليمن، وقد تبدل الزاي سيناً، قال في (القاموس)[2]: أزد بن الغوث، وبالسين أفصح: أبو حي باليمن، ومن أولاده الأنصار كلهم، ويقال: أزد شنوءة، وقال في فصل الشين من باب الهمزة: أزد شنوءة، وقد تشدد الواو: قبيلة سميت لشنآن بينهم، والنسبة: شنائي.

وقوله: (وكان يرقي) أي: يعالج بقراءة ونفث.

وقوله: (هذا الريح) الإشارة بهذا إلى جنس العلة التي كانوا يرونها الريح، أي: من العلة الحاصلة من مس الجن، وكأنهم كانوا يرون الأدواء التي تمسهم نفحة من نفحات الجن، والريح هنا بمعنى الجن، سموا بها لأنهم لا يرون كالريح.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٢٨١).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٥٤، ٢٥٤).

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ» فَقَالَ: أَعِدْ عَلَيَّ كَلِمَاتِكَ هَؤُلاَءِ، فَأَعَادَهُنَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ فَقَالَ: لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكَهَنَةِ، وَقَوْلَ السَّحَرَةِ، وَقَوْلَ الشُّعَرَاءِ، فَمَا سَمِعْتُ مِثْلَ كَلِمَاتِكَ هَؤُلاَءِ. وَلَقَدْ بَلَغْنَ قَامُوسَ الْبَحْرِ، هَاتِ يَدَكَ أُبَايِعْكَ عَلَى الإِسْلاَمِ، قَالَ: فَبَايَعَهُ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٨٦٨].

وَفِي بَعْضِ نُسَخِ «الْمَصَابِيحِ»: بَلَغْنَا نَاعُوسَ الْبَحْرِ. وَذُكِرَ حَدِيثَا أَبِي هُرَيْرَةَ وَجَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ: «يَهْلِكُ كِسْرَى» وَالآخَرَ: «لَتَفْتَحَنَّ عِصَابَةٌ» فِي «بَابِ الْمَلاَحِمِ».

وقوله: (**فقال رسول الله ﷺ: إن الحمد لله**) لم يلتفت ﷺ إلى جوابه صريحاً بقوله: ما أنا بمجنون، وذكر هذا الكلام الدال على أن قائله أعقل العقلاء رمزاً إلى قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ۝٥١ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [القلم: ٥١ ـ ٥٢]، وقد شهد على أنه رسول الله، ورسول الله لا يكون مجنوناً.

وقوله: (**ولقد بلغن قاموس البحر**) في (القاموس)[1]: القمس: الغوص، ومعظم ماء البحر، أو البحر، أو أبعد موضع فيه غوراً، أي: هذه الكلمات بلغن غاية الفصاحة والبلاغة بحيث لم يدرك غوره.

وقوله: (**وفي بعض نسخ المصابيح: بلغنا ناعوس**) بالنون والعين المهملة،

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٥٢٥).

وَهَذَا الْبَابُ خَالٍ عَنِ الْفَصْلِ الثَّانِي.

موجود في (صحيح مسلم)، فقيل: إنه بمعنى القاموس، وقيل: تصحيف، وأما لفظ (بلغنا) فلم يوجد إلا في بعض نسخ (المصابيح).

وقال التُّورِبِشْتِي[١]: هو خطأ لا سبيل إلى تقويمه من طريق المعنى، والرواية لم ترد به، وقال الطيبي[٢]: خطأه بحسب الرواية ظاهر، لأنه لم يوجد في الأصول، وأما المعنى فصحيح، أي: وصلنا من هذه الكلمات لجة البحر ومحل اللآلئ والدرر، وقول الطيبي صحيح، وكان التُّورِبِشْتِي أراد أن المقصود توصيف الكلمات بأنها بلغن غاية الفصاحة، والأظهر في بيان هذا المعنى (بلغن) لا (بلغنا)، والأمر في ذلك سهل، ثم قال التُّورِبِشْتِي: وناعوس البحر أيضاً خطأ، وكذلك رواه مسلم في كتابه وغيره من أهل الحديث، وقد وهموا فيه، والظاهر أنه سمع بعض الرواة أخطأ فيه فروي ملحوناً، وهذه من الألفاظ التي لم تسمع في لغة العرب، والصواب قاموس البحر، وهو وسطه ومعظمه، من القمس وهو الغوص، والقماس: الغواص، انتهى.

وفي (مجمع البحار)[٣] من (النهاية): لعله لم يجوِّد كِتبته فصحف، انتهى، وفيه أن عند بعض: قاعوس بقاف وعين، وعند بعض: تاعوص بالمثناة فوق والعين، ونقل عن الشيخ محيي الدين في (شرح صحيح مسلم): ناعوس البحر، ضبطناه بوجهين: أشهرهما بالنون والعين، وهذا هو الموجود في أكثر نسخ ديارنا، والثاني: قاموس البحر بالقاف والميم، وهذا الثاني هو المشهور في روايات الحديث في غير (صحيح

---

(١) «كتاب الميسر» (٤/ ١٢٧٠).
(٢) «شرح الطيبي» (١١/ ٧٣).
(٣) «مجمع بحار الأنوار» (٤/ ٧٥٦).

* الْفَصْلُ الثَّالِثُ:

٥٨٦١ ـ [١٠] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ مِنْ فِيهِ إِلَى فِيَّ قَالَ: ....

مسلم)، انتهى.

وقال القاضي عياض في (المشارق)[1]: ولقد بلغن تاعوس البحر، كذا للسجزي، وعند العذري والفارسي: قاعوس بالقاف، وكلاهما بعين وسين مهملتين، وذكره الدمشقي: قاموس البحر بالقاف والميم، وهو الذي يعرفه أهل اللغة، ورواه أبو داود: قاموس أو قايوس على الشك في الميم أو الياء، وفي رواية علي بن المديني: ناموس بالنون، وقد روي عن ابن الحذاء: ياعوس بالياء باثنتين تحتها، وروي عن غيره بالباء بواحدة، وكله وهم وغلط، قال الجياني: لم أجد لهذه اللفظة ثلجاً.

قال أبو مروان بن سراج: قاموس البحر فاعول من قمسه إذا غمسه، قال أبو عبيدة: قاموس البحر: وسطه، وفي (الجمهرة): لجته، وفي (العين): قال فلان قولاً بلغ قاموس البحر: أي: قعره الأقصى، وهذا أبين في هذا الحديث على هذه الرواية، وقال لي شيخنا أبو الحسين: قاعوس البحر صحيح مثل: قاموس كأنه من القعس وهو دخول الظهر وتعمقه، أي: بلغن عمق البحر ولجته الداخلة، وقال المطرز: صوابه الفاعوس بالفاء: الحية، والناعوس غير معروف في اسم الحية، أي: بلغن دواب البحر، انتهى، والله أعلم.

الفصل الثالث

٥٨٦١ ـ [١٠] (ابن عباس) قوله: **(من فيه إلى في)** أي: حديثاً مبتدأ من فيه

---

(١) «مشارق الأنوار» (١/ ١٩٠).

انْطَلَقْتُ فِي الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: فَبينا أَنا بِالشَّام إِذْ جِيءَ بِكِتَابٍ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى هِرَقْـلَ. قَالَ: وَكَانَ دِحْيَـةُ الْكَلْبِـيُّ جَاءَ بِهِ، فَدَفَعَهُ إِلَى عَظِيمِ بُصْرَى، فَدَفعَـهُ عَظِيمُ بُصْرَى إِلَى هِرَقْلَ، فَقَالَ هِرَقْلُ: هَلْ هَاهُنَا أَحَدٌ مِنْ قَوْمِ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟ قَالُوا: نَعَمْ، فَدُعِيتُ فِي نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فَدَخَلْنَا عَلَى هِرَقْلَ، فَأُجْلِسْنَا بَيْنَ يَدَيْهِ، . . . .

منتهياً إلى فيّ، أي: من غير واسطة بيني وبينه.

وقوله: (**في المدة التي كانت بيني وبين رسول الله ﷺ**) يريد مدة صلح الحديبية، وكان بين قريش كلهم، لكن أبا سفيان رئيسهم بعد هلاكهم في غزوة بدر، و(**هرقل**) اسم ملك الروم وقيصره، وهو بكسر الهاء وفتح الراء وسكون القاف، ويقال: بكسر الهاء والقاف وسكون الراء، غير منصرف، و(**دحية**) بفتح الدال وكسرها.

وقولـه: (**فدفعه إلى عظيم بصرى**) بضم الباء وسكون الصاد، وهكذا أمره ﷺ أن يدفعـه إلى عظيم بصرى، وهو يدفعه إلى هرقل، وكان من أعاظم أمرائه، والدفع بالدال يطلق على الحركة من الأعلى إلى الأسفل، فلذا ذكره هنا دون الرفع بالراء كما يكتب في المراسلات تعظيماً للمرسل إليـه، وإنما ذكر الدفع في إرسال عظيم بصرى إلى هرقل إما مشاكلة وإما لأن الكتاب واحد، والطريق واحد، فافهم.

وقوله: (**في نفر من قريش**) وكانوا ثلاثين، رواه الحاكم في (الإكليل)، ولابن السكن: نحو من عشرين، كذا في (فتح الباري)[١].

وقولـه: (**فأجلسنا**) بلفظ المجهـول مـن الإجلاس، كذا في أكثر النسخ، وفي بعضها: بلفظ المعلوم، أي: أمر بإجلاسنا.

---

(١) «فتح الباري» (١/ ٣٣).

فَقَالَ: أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَباً مِنْ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَقُلْتُ: أَنَا، فَأَجْلَسُونِي بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَجْلَسُوا أَصْحَابِي خَلْفِي، ثُمَّ دَعَا بِتُرْجُمَانِهِ فَقَالَ: قُلْ لَهُمْ: إِنِّي سَائِلٌ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذِّبُوهُ. قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: وَأَيْمُ اللهِ لَوْلاَ مَخَافَةُ أَنْ يُؤْثَرَ عَلَيَّ الْكَذِبُ لَكَذَبْتُهُ، ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ: سَلْهُ كَيْفَ حَسَبُهُ فِيكُمْ؟ قَالَ: قُلْتُ: هُوَ فِينَا ذُو حَسَبٍ. قَالَ: فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مَنْ مَلَكٍ؟. . . . .

وقوله: (**فقلت: أنا**) لأنه لم يكن في النفر أحد من بني عبد مناف غيري، وأرجح اللغات في الترجمان فتح التاء وضم الجيم، (**وقل لهم**) أي: لأصحاب أبي سفيان.

وقوله: (**هذا**) إشارة إلى أبي سفيان.

وقوله: (**فإن كذبني**) بالتخفيف، أي: يقول كذباً، (**فكذبوه**) بالتشديد بلفظ الأمر.

وقوله: (**لولا مخافة أن يؤثر عليّ الكذب لكذبته**) يؤثر من الأثر، أي: لولا مخافة أن يروى عني الكذب في قومي لكذبت، أي: لقلت كذباً، والضمير لهرقل، ويحتمل أن يكون معناه: لولا مخافة أن يكذبني هؤلاء الذين معي، وفيه أن الكذب كان قبيحاً في الجاهلية أيضاً.

وقوله: (**كيف حسبه فيكم؟**) وفي (صحيح البخاري): كيف نسبه فيكم؟ والحسب محركة: ما يعده الرجل من مفاخر آبائه، ويجيء بمعنى الكرم والشرف في الفعل، والشرف الثابت في الآباء، ويرجع إلى شرف النسب، فتتطابق الروايتان.

وقوله: (**فهل كان من آبائه من ملك**) هكذا بحرف الجر، و(ملك) صفة مشبه في رواية كريمة والأصيلي وأبي الوقت وابن عساكر، ولأبي ذر عن الكشميهني: (مَنْ

قُلْتُ: لاَ. قَالَ: فَهَلْ كُنتُمْ تَتَّهِمُونَـهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ قُلْتُ: لاَ. قَالَ: وَمَنْ يَتْبَعُـهُ؟[١] أَشْرَافُ النَّـاسِ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ؟ قَالَ: قُلْـتُ: بَـلْ ضُعَفَاؤُهُمْ. قَالَ: أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟ قَالَ: قُلْتُ: لاَ بَـلْ يَزِيدُونَ. قَالَ: هَلْ يَرْتَدُّ أَحَـدٌ مِنْهُمْ عَنْ دِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيـهِ سَخْطَـةً لَـهُ؟ قَالَ: قُلْتُ: لاَ. قَالَ: فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَكَيْفَ كَانَ قِتَالُكُمْ إِيَّاهُ؟ قَالَ: قُلْتُ: ....

مَلَكَ) بفتح (مَنْ)، و(مَلَكَ) فعل ماض، ولأبي ذر في رواية: (من آبائه ملك) بإسقاط (من)، والأول أشهر.

وقوله: **(أشراف الناس)** بحذف ألف الاستفهام من تتمة السؤال، والمراد بأشراف الناس هنا أهل النخـوة والتكبـر منهم لا كل شريف، وأيّ رجل أشرف من علي وأبي بكر وأمثالهما ممن أسلم قبل سؤال هرقل، ووقع في رواية ابن إسحاق: تبعه منا الضعفاء والمساكين والأحداث، فأما ذوو الأنساب والشرف فما تبعه منهم، وهو محمول على الأكثر الأغلب، فافهم.

وقوله: **(سخطة)** بضم أوله وفتحه وسكون الثاني، وخرج بـه من ارتد مكرهاً لا لسخـط لدين الإسلام بـل لحـظ نفساني كمـا وقـع لعبيدالله بن جحش، كـذا قـال الشيخ[٢].

وقوله: **(فكيف كان قتالكم إياه؟)** أي: تقع النصرة لـه أو لكم؟ أو تارة فتارة؟

---

(١) قـال القـاري (٩/ ٣٧٥٣) بسكـون التـاء وفتـح البـاء، وفي نسخـة بتشديـد الفوقيـة وكسر الموحدة.

(٢) «فتح الباري» (١/ ٣٥).

تَكُونُ[1] الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سِجَالاً يُصِيبُ مِنَّا وَنُصِيبُ مِنْهُ. قَالَ: فَهَلْ يَغْدِرُ؟ قُلْتُ: لاَ، وَنَحْنُ مِنْهُ فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ، لاَ نَدْرِي مَا هُوَ صَانِعٌ فِيهَا؟ قَالَ: وَاللهِ مَا أَمْكَنَنِي مِنْ كَلِمَةٍ أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئاً غَيْرَ هَذِهِ، قَالَ: فَهَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ أَحَدٌ قَبْلَهُ؟ قُلْتُ: لاَ. ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ: قُلْ لَهُ: إِنِّي سَأَلْتُك عَنْ حَسَبِهِ فِيكُمْ فَزَعَمْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو حَسَبٍ، ....

فأجاب بالشق الأخير. و(**السجال**) بكسر المهملة جمع سجل بفتحها، و(**الحرب**) اسم جنس فصح الإخبار عنه بالجمع، أشار أبو سفيان بذلك إلى ما وقع بينهم في غزوة بدر، وغزوة أحد، وقد صرح بذلك أبو سفيان يوم أحد في قوله: يوم بيوم بدر والحرب سجال، وقيل: وكذلك يوم الخندق أصيب من الطائفتين ناس قليل.

وقوله: (**يصيب منا ونصيب منه**) هذا اللفظ يحتمل معنيين، أحدهما: يبلينا بالمصيبة ونبليه كما جاء في الحديث: (من يرد الله به خيراً يصب منه)[2] أي: أبلاه بالمصائب، وثانيهما: أنه يصيب البلاء من جانبنا ونصيبه من جانبه على عكس المعنى الأول، والمآل واحد، والظاهر هو الأول من مثل هذه العبارة كما ذكرنا، وفي رواية: ينال منا وننال منه.

وقوله: (**في هذه المدة**) أي: مدة الصلح.

وقوله: (**قال**) أي: أبو سفيان: (**ما أمكنني أن أدخل فيها**) أي: في الكلمات التي قلت في صفات رسول الله ﷺ مما يشير إلى نسبة نقص إليه ﷺ غير هذه الكلمة، فإنها يشير إلى احتمال وقوع العذر منه ﷺ.

---

(١) بالتأنيث ويذكر، قاله القاري (٩/ ٣٧٥٣).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٥٦٤٥)، ومالك في «الموطأ» (١٩٧٨).

وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي أَحْسَابِ قَوْمِهَا. وَسَأَلْتُكَ هَلْ كَانَ فِي آبَائِهِ مَلِكٌ؟ فَزَعَمْتَ أَنْ لاَ، فَقُلْتُ: لَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مَلِكٌ. قُلْتُ: رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ آبَائِهِ. وَسَأَلْتُكَ عَنْ أَتْبَاعِهِ أَضُعَفَاؤُهُمْ أَمْ أَشْرَافُهُمْ؟ فَقُلْتَ: بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ، وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ. وَسَأَلْتُكَ: هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ فَزَعَمْتَ أَنْ لاَ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَدَعَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ ثُمَّ يَذْهَبُ فَيَكْذِبُ عَلَى اللهِ. وَسَأَلْتُكَ: هَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَنْ دِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ سَخْطَةً لَهُ؟ فَزَعَمْتَ أَنْ لاَ، وَكَذَلِكَ الإِيمَانُ إِذَا خَالَطَ بَشَاشَتُهُ الْقُلُوبَ. وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟ فَزَعَمْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ، وَكَذَلِكَ الإِيمَانُ حَتَّى يَتِمَّ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ قَاتَلْتُمُوهُ؟ فَزَعَمْتَ أَنَّكُمْ قَاتَلْتُمُوهُ، فَتَكُونُ الْحَرْبُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ سِجَالاً، يَنَالُ مِنْكُمْ وَتَنَالُونَ مِنْهُ، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْتَلَى، ثُمَّ تَكُونُ لَهَا الْعَاقِبَةُ. وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَغْدِرُ، فَزَعَمْتَ أَنَّهُ لاَ يَغْدِرُ، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لاَ تَغْدِرُ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ أَحَدٌ قَبْلَهُ؟ فَزَعَمْتَ أَنْ لاَ، فَقُلْتُ: لَوْ كَانَ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ أَحَدٌ قَبْلَهُ قُلْتُ: رَجُلٌ ائْتَمَّ بِقَوْلٍ قِيلَ قَبْلَهُ، ....

وقوله: **(وكذلك الرسل تبعث في أحساب قومها)** تأنيث الضمير باعتبار الجماعة.

فقوله: **(إذا خالط بشاشته القلوب)** بشاشته فاعل (خالط)، و(القلوب) مفعوله، وروي: خالط بشاشة القلوب، من غير اتصال ضمير، ففي (خالط) ضمير للإيمان و(بشاشة) مفعوله مضاف إلى (القلوب)، والبش والبشاشة: طلاقة الوجه، والإقبال على أخيك، والضحك إليه، وفرح الصديق، والمراد هنا اللذة والحلاوة والانشراح.

قَالَ: ثُمَّ قَالَ: بِمَا يَأْمُرُكُمْ؟ قُلْنَا: يَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّلَةِ وَالْعَفَافِ. قَالَ: إِنْ يَكُ مَا تَقُولُ حَقًّا فَإِنَّهُ نَبِيٌّ، وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ، وَلَمْ أَكُنْ أَظُنُّهُ مِنْكُمْ، وَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لَأَحْبَبْتُ لِقَاءَهُ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمَيْهِ، وَلَيَبْلُغَنَّ مُلْكُهُ مَا تَحْتَ قَدَمَيَّ. ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَرَأَهُ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٤٥٥٣، م: ١٧٧٣].

وقوله: (قال: ثم قال) أي: قال أبـو سفيان: ثم قال هرقل وسألني، وذكر في (صحيح البخاري)[١]: أن هرقل نظر في النجوم فقال لهم: إني رأيت الليلة حين نظرت في النجوم ملك الختان، وسأله عن العرب فقال: هم يختتنون، فقال: هذا ملك هذه الأمة.

وقوله: (ولو أعلم أني أخلص) بضم اللام، أي: أصل إليه.

وقوله: (فقرأه) وتتمة الحديث في (صحيح البخاري): أن هرقل دعا قومه إلى الإيمان فأبوا، فتركهم على ذلك، واختلف في إيمان هرقل، والأرجح بقاؤه على الكفر. ففي (مسند أحمد)[٢]: أنـه كتب من تبوك إلى النبي ﷺ: إني مسلم، فقال النبي ﷺ: (كذب بل هـو على النصرانية)، وقالوا: قد عـرف هرقل صدق النبي ﷺ، وإنما شح بالملك ورغب في الرئاسة فآثرها على الإسلام، وقيل: إنه جهز الجيوش إلى تبوك، وجهز الجيوش على أصحاب رسول الله ﷺ وقاتلهم، ولم يقصـر في تجهيـز الجيش عليهم من الروم وغيـره كرة بعد كرة، فيهزمهم الله ويهلكهم، ولا يرجع إليه منهم إلا أقلهم، واستمر على ذلك إلى أن مات وقد فتح أكثر بلاد الشام، ثم ولي بعده ولده،

---

(١) «صحيح البخاري» (٧).

(٢) انظر: «صحيح ابن حبان» (١٠/ ٣٥٧).

وَقَدْ سَبَقَ تَمَامُ الْحَدِيثِ فِي «بَابِ الْكِتَابِ إِلَى الْكُفَّارِ».



وبهلاكه هلكت المملكة الرومية، كذا ذكروا.

٦ ـ باب في المعراج

وفي بعض النسخ: (باب المعراج) بترك كلمة (في)، والعروج: الصعود، عرج عروجاً ومعرجاً: ارتقى، والمعراج: آلة الصعود، وهو السلم كأنه وضع له ﷺ فارتقى به إلى السماء، وقد جاء في الرواية أنه لما صعد الصخرة وضع له سلم منها إلى السماء، وهو الذي تعرج منه الملائكة، وينزل ملك الموت.

والأكثر على أنه وقع في ربيع الأول السنة الثانية عشر من النبوة، وقيل: في السابعة والعشرين من ربيع الآخر، وقيل: في السابعة عشر من رمضان، والمشهور في السابعة والعشرين من رجب، وعليه عمل أهل المدينة في الرجبية، وقيل: في سنة خمس أو ست، ثم هنا إسراء ومعراج، فالإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، والمعراج منه إلى السماء.

واختلف أقوال العلماء هل كانا في ليلة واحدة أم لا؟ وهل كانا في يقظة أو منام؟ وهل كانا مرة واحدة أو مرتين أو مراراً؟ فمرة واحدة في المنام وأخرى في اليقظة، وكان مرة النوم توطئة لما في اليقظة تسهيلاً عليه؛ لأنه أمر عظيم تضعف عنه القوة البشرية كالحكمة في الرؤيا الصادقة في بدء نبوته، أو كان في اليقظة بالجسد إلى بيت المقدس وإلى السماء بالروح.

. . . .

والتحقيق أنه وقع مرة واحدة في اليقظة بجسده الشريف من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم إلى السماء، ثم إلى ما شاء الله إلى آخر القضية، وإليه ذهب الجمهور من الفقهاء والمتكلمين وأهل التحقيق من الصوفية، وتواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة من حديث أنس وأبي بن كعب وجابر بن عبدالله وبريدة وسمرة بن جندب وابن عباس وابن عمر وابن مسعود وحذيفة بن اليمان وشداد بن أوس وصهيب وعلي بن أبي طالب وعمر بن الخطاب ومالك بن صعصعة وأبي أمامة وأبي أيوب ودحية وأبي ذر وأبي سعيد الخدري وأبي سفيان بن حرب وأبي هريرة وعائشة الصديقة وأسماء بنت أبي بكر وأم هانئ وأم سلمة وغيرهم.

وتمسك القائلون بأنه في المنام مع اتفاقهم على أن رؤيا الأنبياء وحي بقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾[الإسراء: ٦٠]، قالوا: المراد به المعراج، والرؤيا هي الحلمية، وأما البصرية فالرؤية بالتاء، أجيب بأن الرؤيا والرؤية واحدة كقربى وقربة، وعند البخاري عن ابن عباس، قال: هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسري به[1]، وقال المتنبي:

ورؤياك أحلى في العيون من الغمض

ومن خطأه فهو مخطئ على أن للمفسرين خلافاً في المراد بهذه الرؤيا، فقيل: هي رؤيا عام الحديبية حين رأى أنه دخل مكة فصده المشركون وافتتن بذلك ناس، وقيل: رؤيا وقعة بدر لقوله تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾[الأنفال: ٤٣]، وقيل: رأى قوماً من بني أمية يرقون منبره وينزون عليه نزو القرد، فقال: هو حظهم من

---

(١) «صحيح البخاري» (٣٨٨٨).

. . . .

الدنيا يعطون بإسلامهم، وقد يقال: إنها رؤية عين، وإنما عبر عنها بالرؤيا لوقوعها بالليل وسرعة نقضها كأنها منام، ويقال: تسميتها رؤيا على وجه التشبيه والاستعارة لما فيها من الخوارق التي هي بالمنام أليق في مجاري العادات، ويقال: تسميتها على قول المكذبين حيث قالوا: لعلها رؤيا رأيتها، وتمسكوا أيضاً بقول عائشة: ما فقد جسد محمد ليلة المعراج، وأجيب بأن عائشة لم تحدث به عن مشاهدة؛ لأنها لم تكن إذ ذاك زوجاً ولا في سن من يضبط، أو لم تكن ولدت بعد على الخلاف في سنة الإسراء، أو المراد ما فقد جسده الشريف عن الروح بل كان مع روحه، وكان المعراج للجسد والروح جميعاً، ونقل عن بعض الصوفية أنه كان له ﷺ أربعة وثلاثين مرة، والذي أسري به منها إسراء واحد بجسمه، والباقي بروحه.

وقال في (المواهب)[1]: القول بتعدد وقوعه محض احتمال، ولم يثبت ذلك بالروايات ولم ينقل عن أحد من السلف المتقدمين، وحجة الجمهور في أن الإسراء كان في اليقظة بالجسد قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾[الإسراء: ١]، فإن العبد اسم للروح والجسد، كما في قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ۝ عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾[العلق: ٩ ـ ١٠] وقوله سبحانه: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن: ١٩] فكذا هنا، وقوله: ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾[الإسراء: ١] لأن الرؤية إنما تكون في اليقظة بالجسد، ولا شك أن ظاهر قوله: ﴿أَسْرَى﴾ أن يحمل على اليقظة حتى يدل دليل على خلافه، بل تصدير الكلام بالتسبيح الدال على التعجب تعظيم قدرة الله تعالى، والتمدح بتشريف النبي ﷺ وإظهار الكرامة له بالإسراء مما يدل عليه أيضاً.

---

(١) انظر: «المواهب اللدنية» (٣/ ٧٩).

* **الْفَصْلُ الأَوَّلُ:**

٥٨٦٢ ـ [١] عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ حَدَّثَهُمْ عَنْ لَيْلَةِ أُسْرِيَ بِـهِ: «بَيْنَمَا أَنَا فِي الْحَطِيمِ ـ وَرُبَّمَا قَالَ فِي الْحِجْرِ ـ مُضْطَجِعاً. . . . .

واحتجوا أيضاً بأنه لو كان مناماً لما كانت فيه فتنة للضعفاء، ولما استبعده الأغنياء، ولو كان للروح فقط لما كان على البراق المتصف بصفة الدواب، وقالوا: المعراج بالجسم إلى تلك الحضرة العلية لم يكن لأحد من الأنبياء فإنه مقام عَلِيٌّ مخصوص به ﷺ وتشريف وتكريم خاص من الحق سبحانه إياه، فافهم وبالله التوفيق.

الفصل الأول

٥٨٦٢ ـ [١] (قتادة) قوله: (عن ليلة أسري به) ليلة بالفتح مضافة إلى (أسري به)، وقد يجعل في بعض النسخ مجرورة منونة، و(أسري بـه) صفتها، والأول أظهر وأعرق في العربية مع أن الثاني يستلزم حذف ضمير للموصوف، أي ليلة أسري به فيها، كذا قيل، ويشهد للثاني قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ﴾[البقرة: ٤٨]. و(الحطيم) حجر الكعبة أو ما بين الركن وزمزم والمقام، وقد مرّ تفسيره في (كتاب الحج).

وقوله: (وربما قال: في الحجر) يؤيد قول الحنفية بأن الحطيم هو الحجر، لأن القصة واحدة، ثم اختلفت الروايات في تعيين مكان الإسراء، ففي بعضها: (أسري بي وأنا في الحطيم)، وفي بعضها: (في الحجر)، وفي بعضها: (بينا أنا عند البيت)، وفي بعضها: (فرج سقف بيتي وأنا بمكة)، وفي بعضها: أسري به من شعب أبي طالب، وفي بعضها: في بيت أم هانئ وهو أشهر، والجمع بين هذه الأقوال على ما ذكر في

إِذْ أَتَانِي آتٍ فَشَقَّ مَـا بَيْنَ هَذِهِ إِلَى هَذِهِ» يَعْنِي مِنْ ثُغْرَةِ نَحْرِهِ إِلَى شِعْرَتِـهِ، «فَاسْتَخْرَجَ قَلْبِـي، ثُمَّ أُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءٍ إِيمَاناً، فَغُسِلَ قَلْبِـي، ثُمَّ حُشِيَ، . . . .

(فتح الباري)[1] أنـه بات في بيت أم هانئ، وبيتها في شعـب أبـي طالب ففرج سقف بيته، وأضاف البيت إلى نفسه الشريفة لبيتوته فيه، فنزل منه الملك فأخرجه من البيت إلى المسجد، ثم أخذه الملك فأخرجه من المسجد.

وقولـه: (**إذ أتاني آت**) يعني جبرئيل. و(**الثغـرة**) بضم المثلثـة وسكـون الغين المعجمة: نقرة النحـر التي بين الترقوتين، و(**الشعرة**) بالكسر: العانة، وقيل: منبت شعرها، وفي (القاموس)[2]: هي العانة كالشعراء، وتحت السرة منبته.

وقوله: (**فاستخرج قلبي**) أي: أخرج، والإخراج والاستخراج بمعنى.

وقولـه: (**بطست من ذهب**) فإن قيـل: استعمال الذهب حرام في شرعـه عليه الصلاة والسلام فكيف استعمل هنا؟ فالجواب أن تحريم الذهب إنما هو لأجل الاستمتاع به في هذه الدار، وأما في الآخرة فهو من أواني الجنـة، وما وقع في تلك الليلـة كان الغالب فيه ما كان من أحوال الغيب وعالم الآخرة، على أن الاستعمال والاستمتاع لم يحصل له ﷺ، فافهم.

وقوله: (**مملوء إيماناً**) قيل: هو من باب التمثيل، أو مثل له المعاني كما مثل له أرواح الأنبياء وكما تمثل الأعمال يوم القيامة للوزن.

(**ثم حشي**) أي: ملئ القلب إيماناً، مـن حشا الشيء: مـلأه، وأحشا: امتلأ،

---

(١) «فتح الباري» (٧/ ٢٠٤).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٣٨٨).

ثُمَّ أُعِيدَ» ـ وَفِي رِوَايَةٍ: «ثُمَّ غُسِلَ الْبَطْنُ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ مُلِئَ إِيمَاناً وَحِكْمَةً ـ ثُمَّ أُتِيتُ بِدَابَّـةٍ دُونَ الْبَغْلِ وَفَوْقَ الْحِمَارِ أَبْيَضَ يُقَالُ لَهُ: الْبُرَاقُ، . . . . . .

وقيل: ملئ بالقلب ظرفه، وهو الجلد الرقيق الذي يكون القلب فيه، وهذا المعنى لا يخلو عن بعد وتكلف، والأظهر الأنسب هو الأول.

وقيل: الحكمة في تفريج سقف البيت ونزول الملك منه وعدم دخوله من الباب أن الملك انصب من السماء انصبابة واحدة، ولم يعرج على شيء سواه مبالغة في المفاجأة، وتنبيها على أن الطلب وقع على غير ميعاد كما كان لموسى عليه السلام، وقيل: يحتمل أن يكون توطئة وتمهيداً لتفريج صدره، فأراه الملك بإفراجه عن السقف ثم التئامه على الفور كيفية ما يصنع به لطفاً به وتثبيتاً لبصره، والله أعلم.

وقوله: (**ثم أتيت بدابة**) وهذا على ما جرت به عادة الملوك أنهم إذا استدعوا من يخص بهم بعثوا إليه بمركوب شيء يحمله عليه في وفادته عليه، وقيل: الحكمة في كون البراق دابة دون البغل وفوق الحمار، ولم يكن على شكل الفرس إشارة إلى أن الركوب كان في سلم وأمن دون حرب وخوف.

وقوله: (**يقال له: البراق**) سمي به لسرعة سيره كالبرق، وقيل: هو من البريق بمعنى اللعمان، وقيل: لكونه ذا لونين، يقال: شاة برقاء إذا كان في خلال صوفها الأبيض طاقات سود، ويحتمل أن لا يكون مشتقاً، كذا في (المواهب)[1].

وجاء في رواية: أنه قال جبرئيل: يا محمد اركبه، فإنه البراق الذي ركبه إبراهيم، وفي بعض الروايات: الأنبياء، وركبه سائر الأنبياء، وفي صحة هذه الروايات كلام، نعم يفهم من ظاهر قول جبرئيل للبراق كما جاء في حديث أنس: (فما ركبك أحد

(١) «المواهب اللدنية» (٣/ ٣٧).

يَضَعُ خَطْوَهُ عِنْدَ أَقْصَى طَرْفِهِ، فَحُمِلْتُ عَلَيْهِ، . . . .

أكرم على الله منه)[١] أنه قد ركبـه قبل ذلك بعض الأنبياء، وسمعت من مولانا الشيخ العارف بالله سيدي الشيخ عبد الوهاب المتقي أن لكل نبي براقاً على حسب رتبته كما أن لكل منهم حوضاً يـوم القيامة كذلك، وفي كلام أهل التأويل أن البراق مثال لنفسه الشريفة ﷺ، والنفس مركب الروح وسبب لوصولـه إلى المقام الأعلى، ولذلك كان يجمح كما هـو خاصية النفس فاطمأنت، ومـن هذا الكلام يظهر أن يكون هذا البراق مخصوصاً به ﷺ، والله أعلم.

فإن قلت: هل يقال للبراق فرس؟ قلت: سمعت الشيخ رحمة الله عليه أنه [قال]: إنما يقال له: براق، لا فرس ولا غيره.

وقوله: (**يضع خطوه عند أقصى طرفه**) بفتح وسكون، أي: يضع رجله عند منتهى بصره، واستدل بعضهم بهذا أنـه يكـون قطعـه الأرض إلى السماء في خطوة واحدة؛ لأن بصر الذي في الأرض يقع على السماء فبلغ أعلى السماوات في سبع خطوات، وجاء في بعض الروايات: (فركبتها، إن تركتها سارت وإن حركتها طارت).

وقوله: (**فحملت**) بلفظ المجهول إشارة إلى أن الركوب بمحض إعانة الله وقدرته، ويمكن أن يقال: إن الحامل والواسط كان هو جبرئيل بقوة ملكوته ولا بعد في ذلك، فإن جبرئيل كانت واسطـة في وصـول الفيض والوحي إلى رسول الله ﷺ، وهذا نوع من الخدمة يفعلها خدام الملوك، فإن جبرئيل عليه السلام كان في هذه الليلة خادم دولته وحامل غاشيته، وجاء في رواية: (كان الذي أمسك بركابه جبرئيل، وبزمام البراق ميكائيل)[٢]،

---

(١) أخرجه الترمذي في «سننه» (٣١٣١).

(٢) انظر: «شرف المصطفى» لأبي سعد عبد الملك النيسابوري (ت: ٤٠٦هـ) (٢/ ١٩٤).

فَانْطَلَقَ بِي جِبْرَئِيلُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الدُّنْيَا، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرَئِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قيل: مرْحَباً بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَفُتِحَ، ....

والسفارة في إيصال الوحي أيضاً من هذا الباب، والله أعلم.

وقوله: (**فانطلق بي جبرئيل حتى أتى السماء الدنيا**) طوي في هذا الحديث قصة الإسراء إلى بيت المقدس، وقد تمسك بهذا الحديث من زعم أن المعراج كان في غير ليلة الإسراء إلى بيت المقدس، والله أعلم.

ثم هذا يدل على أنه قد استمر ركوبه على البراق حتى عرج به إلى السماء، وزعم بعضهم أنه لم يكن على البراق حين صعد إلى السماء، بل وضع له ﷺ سلم رقي به السماء، وفي رواية: (حمله جبرئيل على جناحه إلى السماء)، والله أعلم.

وقوله: (**وقد أرسل إليه؟**) بحذف حرف الاستفهام، أي: هل طلبوه وبعثت إليه للإصعاد؟ وقيل: معناه هل أوحي إليه، وبعث نبياً؟ والأول أظهر؛ لأن أمر نبوته كان مشهوراً في الملكوت، وقيل: سؤالهم كان للاستعجاب والاستبشار بعروجه وقدومه ليتشرفوا به، إذ من البين عندهم أن أحداً لا يترقى إلى السماوات بغير إذن الله، وهذا القول أظهر وأحسن وأعجب.

وقوله: (**فنعم المجيء جاء**) قيل: فيه تقديم وتأخير وحذف المخصوص، تقديره: جاء فنعم المجيء مجيئه، أو الموصول محذوف، أي: نعم المجيء الذي جاءه.

وقوله: (**ففتح**) دل على أن للسماء باباً، وقد نطق بذلك القرآن العظيم أيضاً، ويقال: إن أبوابها محاذية لبيت المقدس، ولهذا كان المعراج من هناك، وإذا كان لها

فَلَمَّا خلَصْتُ، فَإِذَا فِيهَا آدمُ، فَقَالَ: هَذَا أَبُوكَ آدمُ، فَسَلِّمْ عَلَيْـهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ السَّلاَمَ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَباً بِالابْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِـيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّماءَ الثَّانِيَـةَ فَاسْتَفْتَحَ قِيلَ: مَنْ هذَا؟ قَالَ: جِبْرَئِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نعَمْ. قِيلَ: مَرْحَباً بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَفُتِحَ. فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يَحْيَى وَعِيسَى وَهُمَا ابْنَا خَالَةٍ. قَالَ: هَذَا يَحْيَى وَهَذَا عِيسَى، فَسَلِّمْ عَلَيْهِما، فَسَلَّمْتُ فَرَدَّا، ثُمَّ قَالاَ: مَرْحَباً بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِـيِّ الصَّالِحِ. ثُمَّ صَعِـدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرَئِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْـهِ؟ قَالَ: نعَمْ. قِيلَ: مَرْحَباً بِـهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَفُتِحَ، فَلَمَّـا خَلَصْتُ إِذَا يُوسُفُ، قَالَ: هَذَا يُوسُفُ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ. ثُمَّ قَالَ: مَرْحَباً بِالأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِـيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الرَّابِـعَةَ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرَئِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ . . . .

أبواب فلا يلزم الخرق والالتئام على أن حديث الخرق والالتئام وبطلانهما هذيان من القول باطل، لأن الله سبحانه قادر على كل شيء، والفلك مثل سائر الأجسام يجوز عليه ما يجوز عليها، والدلائل التي أقامـوا عليها معلومـة مدخولـة لا يحصل بها الظن بما ادعوا خصوصاً اليقين.

وقوله: **(فلما خلصت)** أي: وصلت ودخلت في السماء.

وقولـه: **(فسلم عليـه)** إنما بادر جبرئيل بأمـره ﷺ بالتسليم على الأنبياء تعليماً

قَالَ: نعَمْ. قِيلَ: مَرْحَباً بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا إِدْرِيسُ، فَقَالَ: هَذَا إِدْرِيسُ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْـهِ، فَرَدَّ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَباً بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الْخَامِسَةَ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرَئِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَـدْ أُرْسِلَ إِلَيْـهِ؟ قَالَ: نعَمْ. قِيـلَ: مَرْحَباً بِـهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا هَارُونُ، قَالَ: هَذَا هَارُونُ فَسَلِّمْ عَلَيْـهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَباً بِالأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ السَّادِسَةَ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرَئِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نعَمْ. قِيلَ: مَرْحَباً بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا مُوسَى، قَالَ: هَذَا مُوسَى، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَباً بِالأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، فَلَمَّا جَاوَزْتُ بَكَى، قِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ . . . .

للتواضع والشفقة عليهم لبلوغه في الرفعـة مقاماً لم يبلغـه أحد فكان محل التواضع، وقيل: إنما أمر بالتسليم عليهم؛ لأنه كان عابراً عليهم، فكان في حكم القائم وكانوا في حكم القاعد، والقائم يسلم على القاعد وإن كان أفضل منه.

وقولـه: (**هذا إدريس**) وقيـل في قولـه: (**مرحباً بالأخ الصالح**) أن إدريس من آبائه ﷺ، وأجيب بأن الأنبياء كلهم إخوان كالمؤمنين، وعلى هذا لو قال آدم وإبراهيم أيضاً: الأخ الصالح، ولكن لما كان أبوتهما ظاهراً مشهوراً قالا: الابن، ثم استشكل رؤية الأنبياء في السماوات مع أن أجسادهم مستقرة في قبورهم؟ وأجيب بأن أرواحهم تشكلت بصور أجسادهم أو أحضرت أجسادهم لملاقاته ﷺ تلك الليلة تشريفاً وتكريماً

. . . .

له، وما جاء في بعض الروايات: أنه بعث له آدم فمن دونه من الأنبياء فأمّهم، يؤيد هذا الوجه، كذا قيل، ولكن لا حاجة إلى القول بالبعث؛ لأن الأنبياء أحياء إلا أن يكون المراد بالبعث الإحضار، هذا وأما اختصاص هؤلاء الأنبياء بملاقاته ﷺ دون غيرهم من الأنبياء، واختصاص كل واحد منهم بسماء مخصوص فمما لا يدرك بالحقيقة وجهه.

وقد يذكر لكلا الأمرين مناسبات ظاهرة يستأنس بها، أما حقيقة الأمر فلا، فيقال للأول: إن ذلك إشارة إلى ما سيقع له ﷺ مع قومه من نظير ما وقع لكل منهم، كخروجه ﷺ من مكة وما ألفه من الوطن مثل خروج آدم من الجنة، وما أصابه من اليهود في أول الهجرة مثل ما أصاب عيسى ويحيى منهم، ووجود الأذى من أقربائه مثل ما وقع ليوسف من إخوته، وكانت العاقبة له ورفع مكانه وعلو شأنه لقوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾[الشرح: ٤] كما قال في إدريس: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾[مريم: ٥٧]، ورجوع قومه إلى محبته بعد أن آذوه كما وقع بهارون، وقال ﷺ: (لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر)[1]. ولعله قاله في بعض الأمور وإلا فقد ورد: (ما أوذي نبي مثل ما أوذيت في سبيل الله)[2]، وأما مناسبته بإبراهيم فظاهر، وقد رأى إبراهيم متكئاً بالبيت المعمور، وذلك مثل استناده بالبيت الحرام في فتح مكة.

وأما اختصاص كل منهم بسماء رأى فيها فلأن آدم أول الأنبياء وأول الآباء، فكان أولى بالأولى، وخص عيسى بالثانية لأنه أقرب الأنبياء عهداً لمحمد ﷺ ويحيى

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٣١٥٠)، ومسلم في «صحيحه» (١٠٦٢).

(٢) أخرجه الترمذي في «سننه» (٢٤٧٢)، وابن ماجه في «سننه» (١٥١).

قَالَ: أَبْكِي لِأَنَّ غُلَاماً بُعِثَ بَعْدِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَرُ مِمَّنْ يَدْخُلُهَا مِنْ أُمَّتِي، ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرَئِيلُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرَئِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَباً بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، ....

ابن خالته معه، ويليه يوسف؛ لأن أمة محمد تدخل الجنة على صورته، وإدريس بالرابعة لقوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾، والرابعة من السبع وسط معتدل، وهارون في الخامسة لقربه من أخيه، وموسى أرفع منه لفضل كلام الله تعالى به، وإبراهيم فوقه لأنه أفضل الأنبياء بعد نبينا ﷺ وعليهم أجمعين، كذا ذكروا والله أعلم.

ثم هذا الترتيب الذي وقع في هذا الحديث هو أصح الروايات وأرجحها، وقد وقع في بعض الروايات أنه رأى إبراهيم عليه السلام في السماء السادسة، ورأى موسى في السابعة، وفي رواية: رأى إدريس في الثالثة وهارون في الرابعة، وفي أخرى إدريس في الخامسة ويوسف في الثانية، ويحيى وعيسى في الثالثة، وعلى تقدير صحة الروايات يتعذر الجمع إلا أن يقال بتعدد المعراج، أو يرجح بعض الروايات على بعض، والأرجح هو رواية الجماعة، كذا قال الشيخ[1].

وقوله: (**أبكي لأن غلاماً بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي**) قالوا: لم يكن بكاء موسى عليه السلام حسداً على فضيلة نبينا ﷺ وأمته؛ لأن الحسد مذموم من آحاد المؤمنين، وأيضاً منزوع منهم في ذلك العالم، فكيف عمن اصطفاه الله سبحانه، وهو كليم، بل كان أسفاً على ما فاته من الأجر الذي يترتب عليه رفع الدرجات بسبب ما وقع من أمته من كثرة المخالفة المقتضية لتنقيص أجورهم المستلزم

---

(١) «فتح الباري» (٧/ ٢١٠).

. . . .

لنقصان أجره عليه السلام، لأن لكل نبي مثل أجر من اتبعه.

وقيل: ذلك محمول على الرقة لقومه والشفقة عليهم حيث لم ينتفعوا بمتابعته انتفاع هذه الأمة بمتابعة نبيهم، ولم يبلغ سوادهم مبلغ سوادهم، فإن الله تعالى قد جعل في قلوب أنبيائه عليهم السلام الرأفة والرحمة لأمتهم، وقد أخذوا من رحمة الله تعالى أوفر نصيب، وكانت الرحمة في قلوبهم لعباد الله تعالى أكثر من غيرهم، وقد بكى نبينا نبي الرحمة ﷺ. فقيل: أنت تبكي يا رسول الله! قال: (هذه رحمة، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء)، فلأجل ذلك بكى موسى عليه السلام رحمة لأمته؛ لأن هذا وقت أفضال وجود وكرم، لعل الله يرحم أمته ببركة هذه الساعة، وقد قيل: إن غرض موسى إدخال السرور على نبينا ﷺ بأنه أكثر أتباعاً، وأن أمته أكثر ممن يدخل الجنة من أمتي، وأمة موسى كانت كثيراً، وأما قوله: (لأن غلاماً بعث بعدي) فليس على سبيل التنقيص ولم يرد به استصغار شأنه، بل على سبيل التنويه والتعظيم لقدرة الله سبحانه وعظم كرمه بإعطاء ما كان في ذلك السن ما لم يعط أحداً قبله ممن كان أسن منه، والمراد استقصار مدته مع استكثار فضائله واستتمام سواد أمته، وقد يطلق الغلام ويراد به القوي الطري الشاب، ولهذا كان أهل المدينة يسمونه حين هاجر إليهم شاباً وأبا بكر مع أنه أصغر سناً منه شيخاً.

وقال الشيخ[١]: ويظهر لي أن موسى عليه السلام أشار بهذا اللفظ إلى استمرار قوة نبينا ﷺ في الكهولة إلى أن دخل في أول الشيخوخة، ولم يدخل على بدنه هرم ولا اعترى قوته نقص كأنه شاب إلى الآن.

---

(١) «فتح الباري» (٧/ ٢١٢).

فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا إِبْرَاهِيمُ، قَالَ: هَذَا أَبُوكَ إِبْرَاهِيمُ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ السَّلاَمَ ثمَّ قَالَ: مَرْحَباً بِالاْبْنِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ رُفِعْتُ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، . . . .

وقوله: (**مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح**) اعلم أن الأنبياء كلهم وصفوه ﷺ بالصلاح، ويعلم منه أن الصلاح مرتبة رفيعة عظيمة، وقد وصف الله تعالى في كتابه المجيد أنبياءه صلوات الله عليهم بذلك، فقال: ﴿كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾[الأنعام: ٨٥]، ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا صَـٰلِحِينَ﴾[الأنبياء: ٧٢]، والصلاح ضد الفساد، ويتضمن الاتصاف بجميع ما يصلح القلب ويجعله صالحاً لما يقصد به من الكمالات والصفات الجميلة.

وقوله: (**ثم رفعت إلى**) الأكثر بضم الراء وسكون العين وضم التاء بضمير المتكلم وبعده (إلى) للانتهاء. وللكشميهني: (رفعت لي) بفتح العين وسكون التاء وبعده لام الجر داخلة على ياء المتكلم، أي: رفعت السدرة لي، أي: من أجلي، والرفع تقريب الشيء، وقد فسر قوله تعالى: ﴿سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾[الغاشية: ١٣] بموضوعة بعضها على بعض وبمقربة لهم، فمعناه على الأول رقيت وقربت إليه، وعلى الثاني أظهرت السدرة ورئيت لي، والسدر: شجرة النبق، والواحدة بهاء، وإنما سميت سدرة المنتهى؛ لأن علم الملائكة ومقامهم ينتهي إليها، ولم يجاوزها أحد إلا نبينا ﷺ، ولأنه ينتهي إليها ما يعرج من الأرض من الأعمال فيقبض منها، ومن هناك ينزل الأمر وتتلقى الأحكام، وعندها تقف الحفظة وغيرهم، ولا يتعدونها فكانت منتهى.

وقال بعض العلماء: اختيرت السدرة دون غيرها من الأشجار؛ لأن فيها ثلاثة أصناف: ظل مديد، وطعم لذيذ، ورائحة زكية، فكانت بمنزلة الإيمان الذي يجمع القول والعمل والنية، فالظل بمنزلة العمل، والطعم بمنزلة النية، والرائحة بمنزلة القول،

فَإِذَا نَبِقُهَا مِثْلُ قِلَالِ هَجَرٍ، وَإِذَا وَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الْفِيَلَةِ، قَالَ: هَذَا سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى، فَإِذَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ: نَهْرَانِ بَاطِنَانِ وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، قُلْتُ: مَا هَذَانِ يَا جِبْرَئِيلُ؟ قَالَ: أَمَّا الْبَاطِنَانِ فَنَهْرَانِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنِّيلُ وَالْفُرَاتُ، . . . .

والنبق حمل السدر بفتح النون وكسرها وسكون الموحدة وككتف، واحدته بهاء.

وقوله: **(قلال)** بالكسر جمع قلة بالضم، وهي الجرة، و**(هجر)** بفتحتين اسم موضع يصنع فيه القلال كثيراً، وسبق في (كتاب الطهارة). و**(الفيلة)** بكسر الفاء وفتح التحتانية جمع الفيل، وهذا تمثيل على قدر فهم الناس، وليس على حقيقته، فقد ورد في بعض الروايات: (فإذا كل ورقة منها تغطي هذه الأمة)[١]، ويدل هذا الحديث أن السدرة في السماء السابعة، وهو الصحيح المشهور الأكثر رواية، ووقع في بعض الروايات أنها في السماء السادسة، وقالو في وجه الجمع: بأن أصولها في السادسة وفروعها في السابعة، والله أعلم.

وقوله: **(نهران باطنان)** أي: يجريان في الجنة ولا يخرجان منها، نقل الطيبي[٢] أنهما السلسبيل والكوثر، وفي (شرح ابن الملك)[٣]: يقال لأحدهما: الكوثر، وللآخر: نهر الرحمة، وإنما قال: باطنان لخفاء أمرهما فلا تهتدي العقول إلى وصفهما، أو لأنهما مخفيان عن أبصار الناظرين فلا يريان حتى يَصُبَّا في الجنة، انتهى.

وأما الظاهران فالنيل والفرات، الحديث يدل على أن النيل وهو نهر مصر، والفرات

---

(١) أخرجه البيهقي في «البعث والنشور» (ص: ١٤٣).

(٢) «شرح الطيبي» (١١/ ٨٧).

(٣) «شرح مصابيح السنة» (٦/ ٢٨٠).

ثُمَّ رُفِعَ لِيَ الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، ثُمَّ أُتِيتُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَـاءٍ مِنْ لَبَنٍ وَإِنَاءٍ مِنْ عَسَلٍ، فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ، قَالَ: هِيَ الْفِطْرَةُ، أَنْتَ عَلَيْهَا وَأُمَّتُكَ، . . . .

وهو نهر الكوفة يخرجان من أصل السدرة، ثم يخرجان من الأرض ويسيران فيها فوجب المصير إليه، وقد أورد السيوطي في النيل من الأحاديث ما يدل عليه، ويتضمن عجائب وغرائب ما تتحير العقول فيه، وقيل: يحتمل أن يكون المراد بهما ما عرفا بين الناس ويكون مادتهما مما يخرج من أصل السدرة، ولم يدرك كيفته، وأن يكون من باب الاستعارة بأن شَبَّههما بنهري الجنة في العظم والعذوبة، أو من باب توافق الأسماء بأن يكون اسما نهري الجنة موافقتين لاسمي نهري الدنيا، كذا في (شرح ابن الملك).

وقوله: (**ثم رفع لي البيت المعمور**) وهو بيت في السماء السابعة بإزاء الكعبة بحيث لو فرض سقوطه لوقع عليها، ويأتي ذكره في الحديث الآتي.

وقوله: (**هي الفطرة**) نقل في (المواهب)[1]: اخترت اللبن الذي عليه بنيت الخلقة وبه نبت اللحم ونشز العظم، أو اخترته لأنه الحلال الدائم في دين الإسلام، بخلاف الخمر فإنه حرام فيما يستقر عليه الأمر، وقال النووي[2]: المراد بالفطرة هنا الإسلام والاستقامة، قال: ومعناه ـ والله أعلم ـ اخترت علامة الإسلام والاستقامة، قال: وجعل اللبن علامة لذلك لكونه سهلاً طيباً طاهراً سائغاً للشاربين سليم العاقبة، وأما الخمر فإنها أم الخبائث وجالبة لأنواع الشر في الحال والمآل، انتهى.

وبما ذكر يظهر الجواب عما يقال: إن الخمر إذ ذاك كانت مباحة؛ لأنها إنما حرمت بالمدينة، فما وجه تعيينه ﷺ لأحد المباحين؟

---

(١) «المواهب اللدنية» (٣/ ٤٦).

(٢) «شرح النووي» (٢/ ٢١٢).

ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ الصَّلاَةُ خَمْسِينَ صَلاَةً كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ فَمَرَرْتُ عَلَى مُوسَى، فَقَالَ: بِمَا أُمِرْتَ؟ قُلْتُ: أُمِرْتُ بِخَمْسِينَ صَلاَةً كُلَّ يَوْمٍ. قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تَسْتَطِيعُ خَمْسِينَ صَلاَةً كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي وَاللهِ قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ، . . . .

وإن قلنا: إنها كانت من خمر الجنة كان سبب تجنبها صورتها ومضاهاتها الخمر المحرمة، أي: في علم الله تعالى، وذلك أبلغ في الورع والتقوى، وهذا الحديث يدل على أن الإتيان بالأواني الثلاث كان فوق السماء، ودل بعض الأحاديث على أنه كان عند إتيان المسجد الأقصى، ولعله كان مرتين في المقامين جميعاً صرح به الحافظ العماد ابن كثير[١]، وقد لا يذكر في بعض الأحاديث العسل، ويصلح وجهاً لذلك مثل ما ذكرنا، والله أعلم.

وقوله: (**ثم فرضت علي الصلاة**) قال بعض العارفين: الحكمة في فرض الصلاة ليلة الإسراء أنه ﷺ لما عرج به رأى في تلك الليلة تعبد الملائكة، وأن منهم القائم فلا يقعد، والراكع فلا يسجد، والساجد فلا يقعد، فجمع الله تعالى له ولأمته تلك العبادات كلها في الركعة، وفيه نظر فتأمل.

وقوله: (**فقال: بما أمرت؟**) قيل: لعل اختصاص موسى عليه السلام بالتكلم في هذا المقام لاختصاصه بكلام الله تعالى في الدنيا من بين سائر الأنبياء والرسل، وقد بالغ عليه السلام في النصيحة والشفقة لهذه الأمة في هذه القضية، وظهر منه ما لم يظهر أحد من الأنبياء.

وقوله: (**أمضيت فريضتي**) استدل بحديث المعراج في فرضية خمس صلوات وإمضائها وعدم تبدلها من قال: بعدم وجوب الوتر، والجواب أن المراد الفرضية القطعية

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» (٢/ ٩٥).

وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْراً، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْراً، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْراً، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْراً، فَأُمِرْتُ بِعَشْرِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ: بِمَا أُمِرْتَ؟ قُلْتُ: أُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ. قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تَسْتَطِيعُ خَمْسَ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ، وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَسَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ، قَالَ: سَأَلْتُ رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ، ....

عملاً واعتقاداً، ووجوب الوتر ليس كذلك، وهو ثابت بالسنة بدليل فيه شبهة، ولذا قال إمامنا الأعظم بوجوبه بهذا المعنى، دون فرضيته بذلك المعنى على أنه يجوز أن يكون المراد بإمضاء فرضية الخمس وعدم تبدلها [عدم] نسخ فرضيتها كلاًّ أو بعضاً لا عدم الزيادة عليها، فيجوز أن يوحى بعد فرضية الخمس بصلاة أخرى.

وقوله: (**وعالجت بني إسرائيل**) أي: مارستهم ولقيت الشدة منهم، في (القاموس)[1]: عالجه علاجاً ومعالجة: زاوله وداواه، انتهى.

وقوله: (**فارجع إلى ربك**) أي: إلى موضع ناجيت ربك فيه.

وقوله: (**فرجعت**) يدل على أنه لم يكن واجباً قطعاً، ولذلك علم موسى عليه السلام

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١٩٥).

وَلَكِنِّي أَرْضَى وَأُسَلِّمُ. قَالَ: فَلَمَّا جَاوَزْتُ نَادَى مُنَادٍ: أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٨٨٧، م: ١٦٤].

٥٨٦٣ - [٢] وَعَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ، فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ، يَقَعُ حَافِرُهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ، فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي تَرْبُطُ بِهَا الأَنْبِيَاءُ».........................

وعرف نبينا ﷺ وإلا كيف يتصور المراجعة، ويمكن أن يكون نسخاً، كما قال من جوز النسخ قبل العمل والتمكن منه.

٥٨٦٣ - [٢] (ثابت البناني) قوله: (وعن ثابت البناني) بضم الباء وتخفيف النون، و(**الحلقة**) أي: حلقة باب المسجد بسكون اللام على اللغة الفصيحة المشهورة وحكي فتحها.

وقوله: (**تربط**) بالفوقانية في أكثر النسخ بتأويل الجماعة، وبالتحتانية في بعضها، و(بها) بضمير المؤنث راجعاً إلى الحلقة، وفي الحواشي: (يربط به) بضمير المذكر في الأصول باعتبار المعنى، والمراد أني ربطت دابتي بالحلقة التي تربط بها الأنبياء دوابهم، فلا يلزم أن يكون هذه الدابة قد ركبها الأنبياء، نعم لا يبعد أن يكون المعنى ربطت براقي حيث كان كل من الأنبياء يربط براقه على ما نقلنا قبل أنه كان لكل نبي براق، وأما هذا البراق فمخصوص به ﷺ، فافهم.

وجاء في بعض الروايات: فلما بلغ بيت المقدس فبلغ المكان الذي يقال له: باب محمد، أتى إلى الحجر الذي به فغمز جبرئيل بأصبعه فنقبه ثم ربطها، فلما استويا في سرحة المسجد قال جبرئيل: يا محمد! هل سألت ربك أن يريك الحور العين؟ قال: نعم، قال: فانطلق إلى أولئك النسوة فسلم عليهن. و(**بيت المقدس**) فيه لغتان

قَالَ: «ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِي جِبْرَئِيلُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ جِبْرَئِيلُ: اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ، ....

فتح الميم مع سكون القاف وكسر الدال وضم الميم وفتح القاف مع تشديد الدال.

وقوله: (فصليت فيه ركعتين) الظاهر أنهما ركعتا تحية المسجد، ولقد فات الراوي في هذا الحديث ذكر صلاته ﷺ مع الأنبياء وإمامته لهم، إما اختصاراً أو ذهولاً كما فات في الحديث الأول ذكر دخوله بيت المقدس، بل هذا أظهر لأنه قد قيل: إن المعراج كان في غير ليلة الإسراء، أما في الحديث الذي فيه ذكر الإسراء فرواية الإمامة ثابتة قطعاً، ففي رواية عبد الرحمن بن هشام عن أنس: ثم بعث آدم فمن دونه فأمهم تلك الليلة، وفي حديث أم هانئ عند أبي يعلى: (ونشر لي رهط من الأنبياء، منهم إبراهيم وموسى وعيسى)[١]. وفي رواية أبي سلمة: (ثم حانت الصلاة فأممتهم)، أخرجه مسلم[٢]، وفي حديث أبي أمامة عند الطبراني في (الأوسط)[٣]: أقيمت الصلاة فتدافعوا حتى قدموا محمداً ﷺ، وفي رواية ابن مسعود: (ثم دخلت المسجد، فعرفت النبيين ما بين راكع وساجد، ثم أذن مؤذن، فأقيمت الصلاة، فقمنا صفوفاً فأنتظر من يؤمنا، فأخذ بيدي جبرئيل فقدمني، فصليت بهم، فلما انصرفت قال لي جبرئيل: أتدري من صلى خلفك؟ قال: لا، قال: صلى خلفك كل نبي بعثه الله تعالى)[٤].

---

(١) «معجم أبي يعلي» (١/ ٤٢).

(٢) «صحيح مسلم» (١٧٢).

(٣) «المعجم الأوسط» (٤/ ١٦٦).

(٤) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠/ ٦٩) بألفاظ متقاربة.

ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ». وَسَاقَ مِثْلَ مَعْنَاهُ، قَالَ: «فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ، فرحَّبَ بِي، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ». وَقَالَ فِي السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ: «فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ، إِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ، فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ». وَلَمْ يَذْكُرْ بُكَاءَ مُوسَى، وَقَالَ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ: ....

واختلف في أن هذه الصلاة كانت نفلاً أو فرضاً؟ وإذا قلنا: كانت فرضاً فأيّ صلاة صبح أو عشاء؟ وهذا إنما يتأتى على قول من قال: إنه صلى بهم بعد عروجه إلى السماء ونزوله منها، وقد قيل به، وقيل: صلى قبله وبعده، فقبله يكون نفلاً وبعده يكون فرضاً، كذا قيل، ولا يخفى أن الصلاة كانت فرضاً قبل قصة المعراج، وإنما فرضت بعد المعراج الخمس، فتدبر. وجاء في حديث أبي هريرة عن البزار والحاكم: أنه صلى بيت المقدس مع الملائكة وأنه أتي هناك بأرواح الأنبياء، فحمدوا الله، وأثنوا عليه بما هو أهله، ثم حمد نبينا ﷺ ففاق الكل، وبلغ النهاية في ذلك، فأقبل إبراهيم على الأنبياء، وقال: بهذا فضلكم محمد[1].

وقوله: **(ثم عرج بنا)** بلفظ المجهول، وضمير الجمع في (بنا) إما للتعظيم لصعوده مقام الرفعة والعلاء أو لنفسه وجبرئيل والبراق، والله أعلم.

وقوله: **(شطر الحسن)** الشطر: نصف الشيء وجزؤه، وقد يجيء الشطر بمعنى الجهة والناحية، كذا في (القاموس)[2]، ويمكن الحمل على هذا المعنى أيضاً.

وبالجملة قد ثبت في شأن حسن يوسف وصباحة وجهه ما يوقع في النفس أنه كان أحسن الناس طرًّا، وقد يروى في قصة المعراج أن رسول الله ﷺ قال: (فأنا برجل

---

(١) «مسند البزار» (١٧/ ٨)، و«المستدرك» (٣/ ٦٩٢).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٣٧).

«فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ مُسْنِداً ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، . . . .

أحسن ما خلق الله، قد فضل الناس بالحسن كالقمر ليلة البدر على سائر الكواكب)، وهذا ينافي حديثاً أورده الترمذي في (جامعه)[1] من طريق أنس بن مالك: (ما بعث الله نبياً إلا حسن الوجه وحسن الصوت، وكان نبيكم أحسنهم وجهاً وأحسنهم صوتاً)، فحديث المعراج مخصوص بغيره ﷺ، ويؤيده قول من قال: إن المتكلم لا يدخل في عموم خطابه، كذا في (روضة الأحباب)، وفي (شرح الشمائل)[2] لشيخ شيوخنا أحمد بن حجر المكي: اعلم أن من تمام الإيمان به ﷺ اعتقاد أنه لم يجتمع في بدن آدمي من المحاسن الظاهرة ما جمع فيه؛ لأن المحاسن الظاهرة آيات على المحاسن الباطنة، ولا أكمل منه ﷺ ولا مساوي له في هذا المدلول فكذلك في الدال.

قال العبد الفقير إلى الله ورسوله: وإن شئت مدحته ووصفته بما يليق ويختص به، فوصفه أنه جمع الكمالات كلها إلا ما اختص بمرتبة الألوهية، ورحم الله البوصيري في قوله:

دع ما ادعته النصارى في نبيهم ... واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم
وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف ... وانسب إلى قدره ما شئت من عظم

وهذا هو الحد في وصفه ﷺ.

وقوله: (مسنداً) بكسر النون حال، كذا في (الأصول)، ووقع في بعض نسخ (المصابيح): (مسند) بالرفع على حذف المبتدأ.

---

(١) «الشمائل» للترمذي (٣٢١).

(٢) انظر: «جمع الوسائل» (١/ ٩).

وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، لاَ يَعُودُونَ إِلَيْـهِ، ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهى، فَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيلَةِ، وَإِذَا ثَمَرُهَـا كَالْقِلاَلِ، فَلَمَّـا غَشِيهَا مِنْ أَمْرِ اللهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ، فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْـقِ اللهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا، وَأَوْحَى إِلَيَّ مَا أَوْحَى، فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلاَةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلاَةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ. قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّـكَ فَسَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ ذَلِكَ، فَإِنِّي بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ. . . . .

وقوله: **(وإذا هو)** أي: البيت المعمور.

وقوله: **(ما غشي)** قيل: هو فراش من ذهب كما جاء في الحديث، والمراد أنوار أجنحة الملائكة.

وقوله: **(وأوحى إلي ما أوحى)** تكلمـوا في بيان ما أوحى، والأحوط الأقرب إلى الصواب أن يترك على إبهامه وإجماله، وأنـه لا يعلمه إلا الله ورسوله، وقد فسره بعض العلماء بما لاح لهم من ذلك برواية أو استنباط، وقد صح من جملة ذلك ثلاثة أشياء: فريضة الصلوات الخمس، وخواتيم سورة البقرة، والثالث أن ذنوب أمة محمد سوى الشرك معفو ومغفور.

وقوله: **(بلوت)** أي: امتحنت وجربت.

وقوله: **(وخبرتهم)** بالتخفيف من الخبرة بمعنى الاختبار، في (القاموس)[1]: الخبر والخبرة، بكسرهما ويضمان والمخبرة: العلم بالشيء كالاختبار والتخبُّر.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٣٥٧).

قَالَ: «فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي فَقُلْتُ: يَا رَبِّ! خَفِّفْ عَلَى أُمَّتِي، فَحَطَّ عَنِّي خَمْساً، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْساً. قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ ذَلِكَ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسَلْهُ التَّخْفِيفَ». قَالَ: «فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي وَبَيْنَ مُوسَى حَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ صَلاَةٍ عَشْرٌ، فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلاَةً، مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، . . . .

وقوله: **(فحط عني خمساً)** قد مرّ في الحديث السابق عن مالك بن صعصعة: (فوضع عني عشراً)، وجاء في حديث البخاري عن أنس بن مالك: (فوضع شطرها)، ووقع ههنا من حديث ثابت: (فحط عني خمساً).

قال الشيخ: قال ابن المنير: ذكر الشطر أعم من كونه دفعة واحدة، قلت: وكذا العشر، وكأنه وضع العشر في دفعتين، والشطر في خمس درجات، أو المراد بالشطر في حديث الباب البعض. وقد حققت رواية ثابت أن التخفيف خمساً خمساً وهي زيادة معتمدة، ويتعين حمل باقي الروايات عليها، وأما قول الكرماني: الشطر هو النصف، ففي المراجعة الأولى وضع خمساً وعشرين، وفي الثانية ثلاثة عشر يعني نصف الخمسة والعشرين بجبر الكسر، وفي الثالثة سبعة، وليس في حديث الباب في المراجعة الثالثة ذكر وضع شيء إلا أن يقال: حذف ذلك اختصاراً فمتجه، لكن الجمع بين الروايات يأبى هذا الحمل، فالمعتمد ما تقدم، انتهى كلام الشيخ[1]، فتدبر.

وقوله: **(من هم بحسنة . . . إلخ)**، زيادة تفضل من المولى الرحيم على أمة حبيبه الكريم بعد أن جعل واحدة بعشر، وفي قوله: **(كتبت)** بلفظ المجهول ضميره للحسنة

---

(١) «فتح الباري» (١/ ٤٦٢ ـ ٤٦٣).

فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْراً، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ لَهُ شَيْئاً، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً». قَالَ: «فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلى مُوسَى فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسَلْهُ التَّخْفِيفَ» فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَقُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ١٦٢].

٥٨٦٤ ـ [٣] وَعَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ أَبُو ذَرٍّ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «فُرِجَ عَنِّي سَقْفُ بَيْتِي، وَأَنَا بِمَكَّةَ، فَنَزَلَ جِبْرَئِيلُ، فَفَرَجَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِىءٍ حِكْمَةً وَإِيمَاناً، فَأَفْرَغَهُ فِي صَدْرِي، ثُمَّ أَطْبَقَهُ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَعَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا. قَالَ جِبْرَئِيلُ لِخَازِنِ السَّمَاءِ: افْتَحْ. قَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرَئِيلُ. قَالَ: هَلْ مَعَكَ أَحَدٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، مَعِي مُحَمَّدٌ ﷺ فَقَالَ: أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَلَمَّا فُتِحَ عَلَوْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا، إِذَا رَجُلٌ قَاعِدٌ، عَلَى يَمِينِهِ أَسْوِدَةٌ، وَعَلَى يَسَارِهِ أَسْوِدَةٌ، إِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَمِينِهِ ضَحِكَ، ....

و(حسنة) منصوب، وكذا في قوله: (كتبت له عشراً)، وكذا في البواقي.

٥٨٦٤ ـ [٣] (ابن شهاب) قوله: (فرج) بلفظ المجهول مخففاً، كذا في النسخ المصححة، وفرج بالتشديد أيضاً بمعناه.

وقوله: (ففرج) بلفظ المعلوم مخففاً.

وقوله: (فعرج بي إلى السماء) أيضاً بلفظ المعلوم، وهذا يدل بظاهره على أن المعراج كان في غير ليلة الإسراء، كما ذهب إليه بعضهم، كما يفهم من حديث مالك ابن صعصعة كما مرّ.

وقوله: (أسودة) بفتح الهمزة وسكون السين وكسر الواو جمع سواد، وهو شخص

وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شِمَالِهِ بَكَى، فَقَالَ: مَرْحَباً بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالِابْنِ الصَّالِحِ. قُلْتُ لِجِبْرِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا آدَمُ، وَهَذِهِ الْأَسْوِدَةُ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ نَسَمُ بَنِيهِ، فَأَهْلُ الْيَمِينِ مِنْهُم أَهْلُ الْجَنَّةِ، وَالْأَسْوِدَةُ الَّتِي عَنْ شِمَالِهِ أَهْلُ النَّارِ، فَإِذَا نَظَرَ عَنْ يَمِينِهِ ضَحِكَ، وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شِمَالِهِ بَكَى، . . . . .

الإنسان، وقال في (فتح الباري)[١]: هي الأشخاص من كل شيء.

وقوله: (**قلت لجبرئيل: من هذا؟**) ظاهر هذا الحديث أن سؤال النبي ﷺ عن جبرئيل من هذا كان بعد ترحيب آدم له، وحديث مالك بن صعصعة الذي مر دل على أن الترحيب كان بعد السؤال، وهو المعتمد، وفيه ما يدل على تراخي الترحيب عن السؤال، فيحمل هذا على ذاك، إذ ليس فيه أداة ترتيب.

وقوله: (**نسم بنيه**) النسم بنون وسين مهملة مفتوحتين جمع نسمة، وهي الروح، قال في (المشارق)[٢]: قال الجوهري: النسمة: النفس، والروح، والبدن، وإنما يعنى هنا الروح، وقال الخليل: النسمة: الإنسان، وقال: ضبط بعضهم عن القابسي: (شيم) بشين معجمة جمع شيمة: وهي الطباع، وهو تصحيف، انتهى.

وقال الشيخ[٣]: قد جاء أن أرواح الكفار في سجين، وأرواح المؤمنين منعمة في الجنة، فكيف [تكون] مجتمعة في سماء الدنيا؟ وأجيب بأنه يحتمل أنها تعرض على آدم أوقاتاً فصادف وقت عرضها مرور النبي ﷺ، ويحتمل أن النسم المرئية هي التي لم تدخل الأجساد بعد، وهي مخلوقة قبل الأجساد، ومستقرها عن يمين آدم

---

(١) «فتح الباري» (١/ ٤٦١).

(٢) «مشارق الأنوار» (٢/ ٤٧).

(٣) «فتح الباري» (١/ ٤٦١).

حَتَّى عُرِجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فَقَالَ لِخَازِنِهَا: افْتَحْ، فَقَالَ لَهُ خَازِنُهَا مِثْلَ مَا قَالَ الأَوَّلُ». قَالَ أَنَسٌ: فَذَكَرَ أَنَّهُ وَجَدَ فِي السَّمَاوَاتِ آدَمَ، وَإِدْرِيسَ، وَمُوسَى، وَعِيسَى، وَإِبْرَاهِيمَ، وَلَمْ يُثْبِتْ كَيْفَ مَنَازِلُهُمْ، غَيْرَ أَنَّهُ ذَكَرَ أَنَّهُ وَجَدَ آدَمَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَإِبْرَاهِيمَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: فَأَخْبَرَنِي ابْنُ حَزْمٍ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ وَأَبَا حَبَّةَ الأَنْصَارِيَّ كَانَا يَقُولَانِ: . . . . . .

وشماله، وقد أعلم بما سيصيرون إليه، فقوله: نسم [بنيه] عام مخصوص، انتهى كلام الشيخ.

والأظهر أن يقال: إنها تمثلت أولها وآخرها في تلك الليلة إراءة للنبي ﷺ على ما نطق به قوله تعالى: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾[الإسراء: ١]، ولا يقتضي قوله: فأهل اليمين منهم أهل الجنة، والأسودة التي عن شماله أهل النار وجود الجنة والنار وحضورهما هناك، كما لا يخفى على أنه يمكن القول بتمثلهما أيضاً، كما في حديث: (رأيت الجنة والنار في عرض هذا الحائط)[١]، والله أعلم.

وقوله: (**وإبراهيم في السادسة**) قد مرّ في حديث مالك بن صعصعة: أنه رآه في السابعة، وهو أرجح لما جاء في رواية الجماعة: أنه رآه مسنداً إلى البيت المعمور وهو في السابعة، وقد مرّ.

وقوله: (**فأخبرني ابن حزم**) بفتح الحاء المهملة وسكون الزاي، و(**أبا حبة**) بالحاء المهملة والباء الموحدة، وهو الأشهر، وكذا في (القاموس)[٢]، وقال: أو صوابه حنة بالنون.

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٥٤٠)، ومسلم في «صحيحه» (٢٣٥٩).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٨٠).

قَـالَ النَّبِـيُّ ﷺ: «ثُمَّ عُـرِجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوًى أَسْمَـعُ فِيـهِ صَرِيـفَ الأَقْلَامِ»، وَقَالَ ابْنُ حَزْمٍ وَأَنَـسٌ: قَـالَ النَّبِـيُّ ﷺ: «فَفَرَضَ اللهُ عَلَى أُمَّتِي خَمْسِينَ صَلاَةً فَرَجَعْتُ بِذَلِكَ، حَتَّى مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى فَقَالَ: مَا فَرَضَ اللهُ لَكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: فَرَضَ خَمْسِينَ صَلاَةً. . . . .

وقوله: (ظهرت) بلفظ المتكلم المعلوم من الظهور، والمراد صعدت وعلوت، و(المستـوى) بفتح الـواو محل الاستواء، والمراد بـه المصعد، قال التُّورِبِـشْتِي[1]: المستوى على مثال الملتقى: المستقر، وموضع الاستعلاء من الاستواء بمعنى الصعود والقصد، يقال: استوى إليه: قصد كالسهم المرسل إذا قصـده قصداً مستوياً من غير أن يلـوي على شيء، وأصل الاستـواء طلب السواء، وإطلاقـه على الاعتدال لما فيه من تسوية وضع الأجزاء، كذا في (تفسير البيضاوي)[2] في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾[البقرة: ٢٩]، واللام في قولـه: (لمستوى) بمعنـى إلى، وقيل: للعلـة، أي: علوت وصعدت لاستعلاء مستوى أو لرؤيته أو لمطالعته صريف الأقلام، أي: صوت جريانها بمـا تكتبـه مـن أقضيـة الله ووحيـه، وما ينسخونـه من اللـوح المحفوظ، أو ما شاء الله أن يكتب ما أراد من أموره وتدبيره بأقلام لا يعلم كيفتها إلا هو، وقد يأولها المتفلسفة بتأويلات تخرجها عن الظاهر، والأقوم اعتقاد ظاهرها وإحالة حقيقتها إلى علم الله سبحانـه، والله أعلم. نعـم يجعل ذلك كنايـة عـن الاطلاع علـى الكـوائن، وتدبير الله في خلقه، لكن الكناية لا يمنع إرادة الموضوع له، فافهم.

---

(١) «كتاب الميسر» (٤/ ١٢٧٦).

(٢) «تفسير البيضاوي» (١/ ٤٨).

قَالَ: فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ، فَرَاجَعَنِي، فَوَضَعَ شَطْرَهَا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقُلْتُ: وَضَعَ شَطْرَهَا فَقَالَ: رَاجِعْ رَبَّكَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ ذَلِكَ، فَرَجَعْتُ فَرَاجَعْتُ، فَوَضَعَ شَطْرَهَا، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ ذَلِكَ، فَرَاجَعْتُهُ فَقَالَ: هِيَ خَمْسٌ وَهِيَ خَمْسُونَ، لاَ يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ: رَاجِعْ رَبَّكَ فَقُلْتُ: اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي، ثُمَّ انْطُلِقَ بِي حَتَّى انْتُهِيَ بِي إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، ....

وقوله: **(فارجع إلى ربك)** وقوله: **(فراجعني فوضع شطرها)** في (الصراح)[1]: رجوع: باز گشتن، مراجعة: باز گردانيدن سخن را، وتقدير الكلام: فرجعت فراجعني ربي فوضع شطرها، وفي رواية الكشميهني: (فراجعت إلى ربي) فلا حاجة إلى التقدير.

وقوله: **(فرجعت فراجعت)** أي: رجعت إلى ربي فراجعته الكلام، وفي بعض النسخ جعل (فراجعت) نسخة مكان (فرجعت) وهو أنسب بقول موسى: (راجع ربك)، وقوله في الثالثة: (فراجعت) موافق برواية الكشميهني.

وقوله: **(لا يبدل القول لدي)** يحتمل أن يكون المراد عدم تبديل الخمس وكونه حكماً مؤبداً، أو عدم تبديل الحكم بأن الخمس في حكم خمسين، وكون الحسنة الواحدة بعشرة، وهذا المعنى أظهر.

وقوله: **(ثم انطلق بي حتى انتهي)** كلاهما بلفظ المجهول.

---

(١) «الصراح» (ص: ٣١٣).

وَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ لاَ أَدْرِي مَا هِيَ؟ ثُمَّ أُدْخِلْتُ الْجَنَّـةَ فَإِذَا فِيهَا جَنَابِـذُ اللُّؤْلُؤِ، وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٣٤٢، م: ١٦٣].

وقوله: (لا أدري ما هي؟) أي: في أول الأمر، أو مبالغة بحيث لا يطيقها نعت ولا يحصيها عـد، أو المراد أنهـا كانت لا تشبـه الألـوان المشهـودة المستحضرة في النفوس، فأنعت لكم بذكـر نظائرها وأشباهها، أو صدر هذا القـول من غايـة الحيرة والدهش عن قدرة الله وإلا لا مجال لأن يقال: لم يوقفـه على ذلك رسول الله ﷺ في تلك الليلة، والألوان عبارة عن أنوار الملكوت، وقد وقع في الروايات التعبير عنها بفراش الذهب، كما يأتي في الحديث الآتي.

و(الجنابـذ) جمـع جنبذة بضم الجيم وسكـون النـون وبالمـوحدة المضمومـة وبالمنقوطة: ما ارتفع من الشيء واستدار كالقبة، والعامة تقول بفتح الموحدة، والظاهر أنـه فارسي معرب، كذا قال الكرماني[١]، ويريد بالفارسي گنبذ، قال الشيخ[٢]: كذا وقع في روايـة البخاري في أحاديث الأنبياء مـن روايـة ابن المبارك وغيره، وكذا عند غيره من الأئمـة، ووقع عند مسلم: (بينا أسير في الجنة إذا أنا بنهـر حافتاه قباب الدر المجوف وإذا طينه مسك أذفـر)، وفي روايـة: (فيها حبائل اللؤلؤ)، وقال الشيخ[٣]: كذا وقع لجميع رواة البخاري في هذا الموضع بالحاء المهملة ثم الموحدة وبعد الألف تحتانية ثم لام، وذكر كثير من الأئمة أنه تصحيف، وروى البخاري[٤] في التفسير عن

(١) «شرح الكرماني» (٤/ ٨).

(٢) «فتح الباري» (٧/ ٢١٦ ـ ٢١٧).

(٣) «فتح الباري» (١/ ٤٦٣).

(٤) «صحيح البخاري» (٤٩٦٤).

٥٨٦٥ ـ [٤] وَعَنْ عَبدِاللهِ قَالَ: لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ انْتُهِيَ بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، إِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُعْرَجُ بِهِ مِنَ الأَرْضِ فَيُقْبَضُ مِنْهَا، وَإِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُهْبَطُ بِهِ مِنْ فَوْقِهَا فَيُقْبَضُ مِنْهَا، قَالَ: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ قَالَ: فَرَاشٌ مِنْ ذَهَبٍ، ....

قتادة عن أنس: لما عرج بالنبي ﷺ قال: (أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ)، وقال صاحب (المطالع) في الحبائل: قيل: هي القلائد والعقود جمع حبالة، أو هي من حبائل الرمل، أي: فيها لؤلؤ مثل حبائل الرمل جمع حبل، وهو ما استطال من الرمل، وتعقب بأن الحبائل لا يكون إلا جمع حبالة أو حبيلة بوزن عظيمة، وقيل: الحبائل جمع حبالة، وحبالة جمع حبل على غير قياس.

٥٨٦٥ ـ [٤] **(عبدالله)** قوله: **(وهي في السماء السادسة)** قد عرف مما سبق من حديث مالك بن صعصعة أنها في السماء السابعة، وعرفت وجه الجمع بينهما هناك.

وقوله: **(ما يعرج به)** بلفظ المجهول.

وقوله: **(إذ يغشى السدرة)** تعظيم وتكثير لما يغشاها، وهو المراد بقوله في الحديث السابق: (لا أدري ما هي)، لا حقيقة عدم الدراية كما أشرنا إليه هناك، فلا منافاة بين الحديثين، وروي أنه ﷺ قال: (رأيت على كل ورقة ملكاً قائماً يسبح)، وقيل: فرق من الطير الخضر وهو أرواح الأنبياء والشهداء، وأما قول عبدالله بن مسعود: **(فراش من ذهب)** بفتح الفاء فلا ينافي ذلك لجواز كونها أيضاً مما غشيها، كذا قال التُّورِبِشْتِي[1]، ويمكن أن يكون إطلاق الفراش على تلك الأنوار النازلة من عالم

---

(١) «كتاب الميسر» (٤/ ١٢٧٧).

قَالَ: فَأُعْطِي رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلاَثاً: أُعْطِيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، وَأُعْطِيَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَغُفِرَ لِمَنْ لاَ يُشْرِكُ بِاللهِ مِنْ أُمَّتِهِ شَيْئاً الْمُقْحَمَاتُ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ١٧٣٠].

الملكوت بطريق التشبيه والاستعارة، فالفراش طير معروف يتهافت على السراج، وجعلها من الذهب لصفائها وضيائها، وفي الرواية: جراد من ذهب، قيل: ذكر الفراش والجراد على سبيل التمثيل؛ لأن من شأن الشجر أن يسقط عليها الجراد ونحوه، وجعلها من الذهب حقيقة والقدرة صالحة لذلك.

وقوله: (**فأعطي رسول الله ﷺ ثلاثاً**) وبه فسر بعضهم قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾[النجم: ١٠] كما أشرنا إليه من قبل.

وقوله: (**وأعطي خواتيم سورة البقرة**) الناطقة بكمال رحمة الله تعالى لهذه الأمة المرحومة وتخفيفه عنهم ومغفرته لهم ونصرته إياهم على الكافرين، وقد ورد في الحديث: (أعطيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يعطهن نبي من قبل)[١]، فالمراد إعطاء مضمونها ومدلولها، وإلا فسورة البقرة مدنية، والمعراج كان بمكة، ويمكن أن يقال: يمكن أنها نزلت عليه ﷺ ليلة المعراج بلا واسطة جبرئيل، ثم نزل جبرئيل بها بعد نزول السورة بالمدينة فأثبت في المصاحف، ويؤيده ما جاء عن الحسن وابن سيرين ومجاهد: أن الله تعالى جاء بها إليه بلا واسطة جبرئيل ليلة المعراج فكتبت عندهم، والله أعلم.

و(**المقحمات**) بضم الميم وسكون القاف وكسر الحاء: الذنوب العظام التي تقحم أصحابها في النار، من اقتحم أمراً عظيماً ويقتحم: إذا رمى نفسه فيه من غير

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٥/ ١٥١).

٥٨٦٦ ـ [٥] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الْحِجْرِ وَقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ، فَسَأَلَتْنِي عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَمْ أُثْبِتْهَا، فَكُرِبْتُ كَرْباً مَا كُرِبْتُ مِثْلَهُ، فَرَفَعَهُ اللهُ لِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ، مَا يَسْأَلُونِّي عَنْ شَيْءٍ إِلاَّ أَنْبَأْتُهُمْ، وَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الأَنْبِيَاءِ، فَإِذَا مُوسَى قَائِمٌ يُصَلِّي. فَإِذَا رَجُلٌ ضَرْبٌ جَعْدٌ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ، وَإِذَا عِيسَى قَائِمٌ يُصَلِّي أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهاً عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ، فَإِذَا إِبْرَاهِيمُ قَائِمٌ يُصَلِّي، أَشْبَهُ النَّاسِ بِهِ صَاحِبُكُمْ ـ يَعْنِي نَفْسَهُ ـ فَحَانَتِ الصَّلَاةُ، ....

رَوِيَّة وتثبت، أقحمته فانقحم واقتحم، والمراد بالغفران أن لا يخلد صاحبها في النار، وقيل: المراد بعض الأمة.

٥٨٦٦ ـ [٥] (أبو هريرة) قوله: (لم أثبتها) من الإثبات، أي: لم أضبطها، أي: لم أشاهدها على اليقين، أو لم أحفظها الآن بطريان النسيان.

وقوله: (فكربت) بلفظ المجهول من الكرب، أي: أصابتني كرب وغم شديد.

وقوله: (فرفعه الله لي) أي: قربه عني ورفع الحجاب بيني وبينه حتى شاهدته.

وقوله: (وقد رأيتني) أي: عند بيت المقدس.

وقوله: (فإذا رجل ضرب جعد) الضرب: الرجل الخفيف اللحم، والجعد: يحتمل جعودة الشعر وجعودة الجسم، وهو اجتماعه وغلظه.

فقيل: هذا هو المراد لأنه قد جاء في رواية أبي هريرة: أنه كان رجل الشعر، وقيل: ويحتمل الأول أيضاً، لأن الرجل من الشعر ما يكون بين السبوطة والجعودة، يقال: شعر رجل: إذا لم يكن شديد الجعودة، فيمكن وصفه بالجعودة في الجملة.

فَأَمَمْتُهُمْ، فَلَمَّا فَرَغْتُ مِنَ الصَّلاَةِ، قَالَ لِي قَائِلٌ: يَا مُحَمَّدُ! هَذَا مَالِكٌ خَازِنُ النَّارِ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ فَبَدَأَنِي بِالسَّلاَمِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ١٧٢].

وَهَذَا الْبَابُ خَالٍ عَنِ: الْفَصْلِ الثَّانِي.

* الْفَصْلُ الثَّالِثُ:

٥٨٦٧ ـ [٦] عَن جَابِرٍ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لَمَّا كَذَّبَنِي قُرَيْشٌ قُمْتُ فِي الْحِجْرِ فَجَلَّى اللهُ لِيَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٨٨٦، م: ١٧٠].



ثم لا إشكال في صلاتهم في دار الآخرة، لأنهم أحياء، والذي انقطع فيها وجوب العمل لا نفس العمل، ثم قيل: رؤيتهم في السماء محمولة على رؤية أرواحهم متمثلة إلا عيسى لما ثبت أنه رفع في جسده، وقيل: في إدريس كذلك، وأما الذين صلوا معه في بيت المقدس فيحتمل الأرواح المتمثلة، ويحتمل الأجساد، ويحتمل أنه أحضرت أجسادهم في بيت المقدس لملاقاته ﷺ، ثم رفعوا على السماء، وقد مرّ.

وقوله: (فأممتهم) بتخفيف الميم.

وقوله: (فبدأني بالسلام) قيل: الحكمة في بدئه بالسلام إزالة الخوف منه ﷺ.

الفصل الثالث

٥٨٦٧ ـ [٦] (جابر) قوله: (فجلى الله لي بيت) بتشديد اللام وتخفيفها، وذلك بأن كشف الحجب من البين حتى رآه، ويحتمل أنه حمل إليه ثم أعيد، فقد جاء في

. . . .

حديث ابن عباس: (فجيء بالمسجد حتى وضع عند دار عقيل وأنا أنظر إليه)، وهذا أبلغ في المقصود ولا استحالة، فقد أحضر عرش بلقيس لسليمان، فليقلع ويحمل ويحضر بيت المقدس لحبيب الرحمن ﷺ.

فائدة: اختلف قديماً وحديثاً في رؤيته ﷺ ربه ليلة الإسراء فذهبت عائشة وابن مسعود إلى نفيها، وابن عباس وبعض آخرون منهم إلى إثباتها، وإليه ذهب كعب الأحبار والزهري ومعمر وآخرون، وبه قال سائر أصحاب ابن عباس، وهو قول الأشعري وأكثر أتباعه، وحكى عبد الرزاق عن معمر عن الحسن أنه حلف أن محمداً رأى ربه.

ومنهم من ذهب أنه رأى بقلبه لا بعينه، ويروى عن ابن عباس أخبار مطلقة وأخرى مقيدة، فيجب حمل مطلقها على مقيدها، وأخرج مسلم[١] عن ابن عباس: أنه رأى ربه بفؤاده مرتين، وعلى هذا يمكن الجمع بين إثبات ابن عباس ونفي عائشة بأن يحمل نفيها على رؤية البصر وإثباتها على رؤية القلب، لكن المشهور عن ابن عباس أنه قال بالرؤية بالبصر، وروى الطبراني[٢] بإسناد رجاله رجال الصحيح عن ابن عباس: أن محمداً ﷺ رأى ربه مرتين: مرة ببصره، ومرة بفؤاده.

ثم ينبغي أن يعلم أن الرؤية بالقلب غير العلم به، لأنه كان حاصلاً دائماً، فمراد من أثبت له أنه رآه بقلبه أن الرؤية التي حصلت له خلقت له في قلبه، كما يخلق الرؤية بالعين لغيره، وقد يروى عن أحمد إثبات الرؤية بالبصر له ﷺ، وقيل له: إنهم يقولون: إن عائشة قالت: من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على الفرية، فبأي

---

(١) «صحيح مسلم» (١٧٦).

(٢) «المعجم الكبير» (١٢/ ٩٠).

٧ ـ باب في المعجزات

معنى يدفع قولها؟ قال بقول النبي ﷺ: (رأيت ربي)، وقول النبي ﷺ أكبر من قولها، وقد أنكر بعضهم نسبة هذا القول إلى أحمد، والله أعلم.

قال العبد الضعيف ـ صانه الله عما شانه ـ: إنه قد ثبت أنه رفعت الحجب كلها عن رسول الله ﷺ في تلك الحالة، وقد ثبت جواز رؤية الله تعالى في الدنيا والآخرة، والمانع من الرؤية إنما هو الحجب، وقد ارتفعت، فما المانع بعد ذلك عن الرؤية، وأما غيره ﷺ فلم يرفع الحجب كلها عنه حتى جبرئيل عليه السلام، والله أعلم. وقد مرّ الكلام فيه في (باب رؤية الله في الجنة)، والأحاديث الواردة فيه فتذكر، ومنهم من توقف في هذه المسألة، ورجح القرطبي هذا القول، وعزاه لجماعة من المحققين، وقواه بأنه ليس في الباب دليل قاطع وليس مما يكتفى فيه لمجرد الظن.

٧ ـ باب في المعجزات

قالوا: المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي يظهر به صدق مدعي النبوة، ومعنى التحدي: طلب المعارضة والمقابلة، وفي (الصحاح)[1]: تَحَدَّيْتُ فلاناً: إذا باريته في فعل، ونازعته للغلبة، انتهى. وأصله من حدا يحدو حداء واحتداء بالإبل: إذا غنى، وفي (الأساس): ومن المجاز تحدى أقرانه: إذا باراهم ونازعهم للغلبة، وأصله: الحداء يتبارى فيه الحاديان ويتعارضان، فيتحدى كل واحد منهما صاحبه، أي: يطلب الحداء منه كما يقال: توفاه بمعنى استوفاه.

كان من عادتهم عند الحدو أن يقوم حاد عن يمين القطار، وحاد عن يساره، يتحدى كل واحد صاحبه بمعنى يستحديه، أي: يطلب عنه الحداء، ثم اتسع فيه حتى

(١) «الصحاح» (٦/ ٢٣١٠).

. . . .

استعمل في كل مباراة، كذا نقل صاحب (المواهب)[1].

وفي اشتراط التحدي بهذا المعنى في المعجزة نظر إذ كان كثير من المعجزات يظهر على يدي النبي ﷺ كتكثير الطعام ونبع الماء وشكوى البعير وأمثالها بما كان يظهر بين أظهر الصحابة من غير تحد ومباراة ومعارضة، لعدم حضور المخاصمين هناك، وهذا ظاهر، اللهم إلا أن يراد ما من شأنه التحدي، كما أشرنا إليه سابقاً في (باب علامات النبوة)، وكل ما يظهر من خوارق العادات على يدي مدعي النبوة من شأنه ذلك كما لا يخفى.

وقال بعض المحققين: التحدي هو دعوى الرسالة، وهو قريب مما قلنا: إن المراد ما من شأنه التحدي، وهو موجود في المواضع المذكورة ومتضمن له، إذ إظهارها إنما كان لإظهار صدق دعوى النبوة، وكان ﷺ يقول في بعض الأوقات عند ظهورها: (أشهد أني رسول الله)، فافهم.

وخرج بقيد المقارنة الخوارق المتقدمة على التحدي، كإظلال الغمام وشق الصدر الواقعين له ﷺ قبل دعوى الرسالة، وتسمى إرهاصات، والإرهاص: تأسيس البناء بالطين والحجارة، والرهص بالكسر: الطين الذي يبنى به، ويجعل بعضه على بعض، فكان فيها تأسيساً لأمر النبوة، ويخرج بقيد ظهور صدق دعوى النبوة ما كان يظهر أحياناً على يد من يدعي النبوة كاذباً، وكان يظهر على يديه الخارق، وقد جرت عادة الله سبحانه أن لا يظهر موافقاً لدعواه، كما نقل عن مسيلمة الكذاب ـ لعنة الله عليه ـ تفل في بئر ليكثر ماؤها فغارت، وتفل في عين أرمد فعمي.

(١) «المواهب اللدنية» (٢/ ٤٩٥ ـ ٤٩٦).

* الْفَصْلُ الأَوَّلُ:

٥٨٦٨ ـ [١] عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ قَالَ: نَظَرْتُ إِلَى أَقْدَامِ الْمُشْرِكِينَ عَلَى رُؤُوْسِنَا وَنَحْنُ فِي الْغَارِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى قَدَمِهِ أَبْصَرَنَا، فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ[١]! مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٦٥٣، م: ٢٣٨١].

وخرج بقيد مدعي النبوة الكرامات والمعونات، والسحر ليس بخارق العادة حتى يخرج، وأيضاً يخرج ما يظهر على يد مدعي الربوبية كالدجال، فإنه قد يظهر على يد مدعي الربوبية من الخارق ما يوافق دعواه لعدم الالتباس بخلاف مدعي النبوة، ولكنها لا تسمى معجزة، فتدبر.

ثم اعلم أن معجزاته ﷺ كثيرة بحيث لا تعد ولا تحصى، ولا تنحصر في عدد، ولكن قد ضبط العلماء قدر ما بلغ علمهم بذلك، ونحن اقتصرنا على شرح ما ذكر في الكتاب، وبالله التوفيق.

الفصل الأول

٥٨٦٨ ـ [١] (أنس بن مالك) قوله: (نظر إلى قدمه) بأن يجعل بصره في موضع قدمه ثم ينظر، فافهم.

وقوله: (الله ثالثهما) يعني بالنصر والمعونة، فيكون في قوة قوله تعالى لموسى وهارون: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ﴾ [طه: ٤٦] لكنه جعل ذاته تعالى أحد الثلاثة مبالغة في المعية كأن كل واحد منهم مشترك فيما له وعليه، ثم استشكل بأن في قوله: (الله ثالثهما) إطلاق الثالث على الله سبحانه، وقد كفر القائلون بذلك في قوله: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ

---

(١) في نسخة: «يَا بَا بَكْرٍ».

٥٨٦٩ ـ [٢] وَعَنِ الْبَـرَاءِ بْنِ عَـازِبٍ عَنْ أَبِـيهِ أَنَّـهُ قَـالَ لِأَبِـي بَكْرٍ: يَا أَبَا بَكْرٍ[١]! حَدِّثْنِي كَيْفَ صَنَعْتُمَا حِينَ سَرَيْتَ مَـعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: أَسْرَيْنَـا لَيْلَتَنَا وَمِنَ الْغَـدِ، حَتَّى قَـامَ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ وَخَلاَ الطَّرِيقُ لاَ يَمُرُّ فِيـهِ أَحَدٌ، . . . .

﴿قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖ﴾[المائدة: ٧٣]. والجـواب مـا ذكر أن جعلـه تعالـى ثالثهمـا بمعنى نصره وإعانته إياهما، والنصارى إنما جعلوه تعالى ثالثهما بمعنى الاشتراك في الألوهية فكفروا، وأما ما أجيب بأن فـي الحديث إضافة الثالث إلى عدد أنقص منـه، وفي الآية إضافته إلى عدد مثله، وذلك بمعنى واحد منهم والله تعالى منزه عن ذلك، فلا يخفى أن مدار الجواب على ما ذكرنـا مـن جعله ثالثاً هنا بمعنـى المعونة وهنالك بمعنى الألوهية، ولا يجدي في ذلك الإضافة إلى الناقص أو المساوي، وكونه علـى الثاني بمعنـى واحد منهـم إن كـان بمعنـى النصـر والإعانـة فلا محذور، فتأمل.

ثم المعجزة في هذه القضية صرف همم الكفار عن التفحص والتفتيش مع علمهم جزماً أنه ﷺ في هذا الغار، ونقل الطيبي[٢]: أن رسول الله ﷺ دعا عليهم وقال: (اللهم أعم أبصارهم) فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون وقد أخذ الله بأبصارهم.

٥٨٦٩ ـ [٢] (**البراء بن عازب**) قوله: (**أسرينا ليلتنا**) أي: كلها.

وقوله: (**ومن الغد**) أي: بعضه، والمراد بالإسراء أي: السير مطلقاً على التجريد، أو يجعل من قبيل: علفتهـا تبناً ومـاءً بارداً.

وقوله: (**حتى قام قائم الظهيرة**) قـام بمعنى وقف، والظهيرة: انتصاف النهار،

---

(١) في نسخة: «يَا بَا بَكْرٍ».

(٢) «شرح الطيبي» (١١/ ٩٩).

فَرُفِعَتْ لَنَا صَخْرَةٌ طَوِيلَـةٌ، لَهَا ظِلٌّ لَمْ يَأْتِ عَلَيْهَا الشَّمْسُ، فَنَزَلْنَا عِنْدَهَا، وَسَوَّيْتُ لِلنَّبِـيِّ ﷺ مَكَاناً بِيَدَيَّ يَنَامُ عَلَيْهِ، وَبَسَطْتُ عَلَيْهِ فَرْوَةً، وَقُلْتُ: نَمْ يَا رَسُولَ اللهِ! وَأَنَا أَنْفُضُ مَا حَوْلَكَ، فَنَامَ وَخَرَجْتُ أَنْفُضُ مَا حَوْلَهُ، فَإِذَا أَنَا بِرَاعٍ مُقْبِـلٍ، قُلْتُ: أَفِي غَنَمِكَ لَبَنٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْـتُ: أَفَتَحْلُـبُ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَأَخَذَ شَاةً فَحَلَبَ فِي قَعْبٍ كُثْبَةً مِنْ لَبَنٍ، . . . .

وقائم الظهيرة: الشمس، والمراد بلوغها إلى وسط النهار، فإنها ترى حينئذٍ واقفة بطيئة الحركة.

وقوله: (فرفعت) بلفظ المجهول، أي: ظهرت كما مر من قوله: (رفعت لي سدرة المنتهى)، و(رفع لي البيت المعمور).

وقوله: (بيدي) بلفظ التثنية.

وقوله: (وأنا أنفض) بالفاء والضاد المعجمة، نفض المكان: نظر جميع ما فيه حتى يعرفه، من نصر ينصر، والنفضة محركة: جماعة يبعثون في الأرض لينظروا هل فيها عدو أم لا؟ أي: أحفظ ما حولك، وأحرسك، وأتجسس الأخبار من كل جهة.

وقوله: (أفتحلب؟) من باب نصر، قيل: كان الغنم لصديق لأبي بكر، ويجوز لدلالة الرضا، وقيل: كان من عادتهم أن يأذنوا لرعاتهم أن يحلبوا لمن مر بالطريق ويحتاج إلى اللبن، ويمكن أن يكون استحلبه على شيء، والله أعلم.

وقوله: (والقعب) بفتح قاف وعين مهملة ساكنة فموحدة: القدح الضخم الجافي، أو إلى الصِّغَر، أو يُرْوي الرجلَ، و(الكثبة) بكاف مضمومة فمثلثة ساكنة أي: قدر حلبته، وقيل: ملء القدح، وقد يجيء بمعنى القليل من الماء واللبن.

وَمَعِي إِدَاوَةٌ حَمَلْتُهَا لِلنَّبِـيِّ ﷺ يَرْتَوِي فِيهَا، يَشْرَبُ وَيَتَوَضَّأُ، فَأَتَيْتُ النَّبِـيَّ ﷺ فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُ، فَوَافَقْتُهُ حَتَّى اسْتَيْقَظَ، فَصَبَبْتُ مِنَ الْمَاءِ عَلَى اللَّبَنِ حَتَّى بَرَدَ أَسْفَلُهُ، فَقُلْتُ: اشْرَبْ يَا رَسُولَ اللهِ! فَشَرِبَ حَتَّى رَضِيتُ ثُمَّ قَالَ: «أَلَمْ يَأْنِ لِلرَّحِيلِ؟» قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَارْتَحَلْنَا بَعْدَ مَا مَالَتِ الشَّمْسُ، . . . . .

وقولـه: (**يرتوي**)، أي: يستقي فيها، رَوِي من الماء كرضي، وتَروّى وارتوى بمعنى، و(**فيها**) ظرف لـ (يرتوي)، أي: يرتوي من الماء في تلك الإداوة، ويجوز أن يتعلق بـ (**يشرب**).

وقوله: (**فوافقته**) بتقديم الفاء على القاف، أي: وافقته فيما هو عليه من النوم، أي: لـم أوقظه (**حتـى استيقظ**) هو بنفسه، ويـروى بتقديم القاف من الوقوف، أي: صبرت وتوقفت في المجيء إليه للإيقاظ.

وقوله: (**حتى برد أسفله**) أي: أسفل الماء، أو أسفل اللبن، أو أسفل القعب، كناية عن كثرة الماء.

وقوله: (**ألم يأن للرحيل؟**) أي: ألم يأت وقته؟ يقال: أنى الأمر يأني أنياً وأناً: إذا جاء إناه، كذا قال البيضاوي[1] في تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ﴾[الحديد: ١٦]، انتهـى. فعلى هذا اللام في (للرحيل) زائدة، كذا قيـل، وأيـد بقول ابن هشام في (مغنـي اللبيب)[2] في: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٦]، انتهى. ويمكن أن يكـون تقديره: ألم يأن للرحيل أن يأتي أو أن يفعل، فيكون كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ﴾.

---

(١) «تفسير البيضاوي» (٢/ ٤٦٩).

(٢) «مغني اللبيب عن كتب الأعاريب» (١/ ٢٩٣).

وَاتَّبَعَنَا سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ، فَقُلْتُ: أُتِينَا يَا رَسُولَ اللهِ! فَقَالَ: «لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا». فَدَعَا عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ، فَارْتَطَمَتْ بِهِ فَرَسُهُ إِلَى بَطْنِهَا فِي جَلَدٍ مِنَ الأَرْضِ فقَالَ: إِنِّي أَرَاكُمَا دَعَوْتُمَا عَلَيَّ، فَادْعُوَا لِي، فَاللهُ لَكُمَا........

وقوله: **(واتبعنا)** بفتح العين، و**(أتينا)** بلفظ المجهول، أي: جاءنا من يطلبنا.

وقوله: **(إن الله معنا)** قال بعض العارفين في الفرق بين هذا القول من نبينا ﷺ وبين قول موسى عليه السلام حين قال له قومه: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾[الشعراء: ٦١]: ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾[الشعراء: ٦٢]: نظره ﷺ وقع أولاً على الله وكرمه ولطفه، ثم إلى نفسه، ونظر موسى عليه السلام وقع أولاً على نفسه، ثم على الله تعالى، والأول يوافق ما قيل: ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله قبله، والثاني ما يقال: ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله معه أو بعده، والأول حال أهل الجذب والعيان، والثاني حال أهل الاستدلال والبرهان، انتهى.

ثم انظر في قوله ﷺ: (إن الله معنا) بلفظ المتكلم مع الغير، وقول موسى: ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي﴾[الشعراء: ٦٢]، كقول موسى: ﴿أَرِنِي﴾، وقول نبينا: (أرنا حقائق الأشياء)، فافهم.

وقوله: **(فارتطمت به)** أي: بسراقة، أي: ساخت قوائمها كما تسوخ في الوحل، رطمه: أدخله في أمر لا يخرج منه، فارتطم عليه الأمر: لم يقدر على الخروج منه، و**(الجلد)** بالجيم محركة: الأرض الصلبة.

وقوله: **(فادعوا لي)** بضمير التثنية.

وقوله: **(أن أرد عنكما الطلب)** متعلق بقوله: (فادعوا) بحذف الجار، أي: ادعوا لي كيلا ترتطم فرسي؛ لأن أرد أو على أن أرد عنكما طلب قريش.

وقوله: **(فالله لكما)** معترضة ومعناه فالله حافظ وناصر لكما في معنى التأكيد

أَنْ أَرُدَّ عَنْكُمَا الطَّلَبَ، فَدَعَا لَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَنَجَا، فَجَعَلَ لاَ يَلْقَى أَحَداً إِلاَّ قَالَ: كُفِيتُمْ مَا هَهُنَا، فَلاَ يَلْقَى أَحَداً إِلاَّ رَدَّهُ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٦١٥، م: ٢٠٠٩].

٥٨٧٠ ـ [٣] وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: سَمِعَ عَبْدُاللهِ بْنُ سَلاَمٍ بِمَقْدَمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ فِي أَرْضٍ يَخْتَرِفُ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ ثَلاَثٍ لاَ يَعْلَمُهُنَّ إِلاَّ نَبِيٌّ: فَمَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؟ وَمَا أَوَّلُ طَعَامِ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ وَمَا يَنْزِعُ الوَلَدَ إِلَى أَبِيهِ أَوْ إِلَى أُمِّهِ؟ قَالَ[1]: «أَخْبَرَنِي بِهِنَّ جِبْرَئِيلُ آنِفاً، أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ...........................

للرد، أو متعلق بقوله: (فالله لكما)، ومعناه: فالله شاهد لأجلكما بأن أرد عنكما الطلب، وعلى التقديرين (فالله لكما) مبتدأ وخبر، وقد ينصب بتقدير أشهد الله أو على القسم بحذف حرفه، ويؤيده ما نقل الطيبي[2] من رواية (شرح السنة): (والله) على القسم.

وقوله: (**كفيتم**) بلفظ المجهول، و(ما) في (**ما ههنا**) إما موصولة، أي: كفيتم الذي هنا، أي: كفيتم طلبه في هذا الجانب؛ لأنه ليس فيه من يطلبونه، أو نافية، أي: ليس ههنا من يطلبونه أو أحد.

٥٨٧٠ ـ [٣] (**أنس**) قوله: (**يخترف**) أي: يجتني الثمر من الشجر، خرف الثمار واخترفها: جناه، أي: كان في حائطه وبستانه يقطع التمر من نخيله.

وقوله: (**إلى أبيه أو إلى أمه**) أي: ما سبب شبهه لأحدهما؟ يقال: نزعه إليه: أشبهه به.

---

(١) في نسخة: «فقال».

(٢) «شرح الطيبي» (١١/ ١٠٢).

فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ، وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَزِيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ، وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ الْمَرْأَةِ نَزَعَ الْوَلَدَ، وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الْمَرْأَةِ نَزَعَتْ». قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ بُهْتٌ، وَإِنَّهُمْ إِنْ يَعلَمُوا بِإِسْلاَمِي مِنْ قَبْلِ أَنْ تَسْأَلَهُمْ يَبْهَتُونِي، فَجَاءَتِ الْيَهُودُ فَقَالَ: «أَيُّ رَجُلٍ عَبْدُاللهِ فِيكُمْ؟» قَالُوا: خَيْرُنَا وَابْنُ خَيْرِنَا، وَسَيِّدُنَا وَابْنُ سَيِّدِنَا، فَقَالَ: «أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُاللهِ بْنُ سَلاَمٍ؟» قَالُوا: أَعَاذَهُ اللهُ مِنْ ذَلِكَ. فَخَرَجَ عَبْدُاللهِ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ، فَقَالُوا: شَرُّنَا وَابْنُ شَرِّنَا فَانْتَقَصُوهُ، قَالَ: هَذَا الَّذِي كُنْتُ أَخَافُ يَا رَسُولَ اللهِ!. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

[خ: ٤٤٨٠].

وقوله: (**فنار تحشر الناس**) مر شرحه في (باب أشراط الساعة) والمراد بـ (**زيادة كبد حوت**): القطعة المعلقة بالكبد، وهو في غاية اللذة في الطعم.

وقوله: (**إذا سبق**) أي: غلب وعلا، والسبق: التقدم، والمراد هنا الغلبة، كذا قيل، وقد سبق في (باب الغسل) من (كتاب الطهارة) أن أيهما علا أو سبق يكون منه الشبه، والمراد بالعلو الغلبة، ويمكن جعل السبق متضمنا للمعنيين، فافهم.

وقوله: (**نزع**) أي: ذلك السبق أو الرجل بسبب سبق مائه، وهذا أنسب بقوله: (**نزعت**)، و**البهت** بضمتين: جمع بهوت بالفتح بمعنى المباهت، ويجوز التسكين تخفيفاً، بهته: قال عليه ما لم يفعل.

وقوله: (**يبهتونني**) أي: بعد السؤال.

وقوله: (**ابن خيرنا**) لأنه كان من أولاد يوسف بن يعقوب عليه السلام.

٥٨٧١ ـ [٤] وَعَنْهُ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ شَاوَرَ حِينَ بَلَغَنَا إِقْبَالُ أَبِي سُفْيَانَ، وَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نُخِيضَهَا الْبَحْرَ لأَخَضْنَاهَا، وَلَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نَضْرِبَ أَكْبَادَهَا إِلَى بَرْكِ الْغِمَادِ، لَفَعَلْنَا. . . . .

٥٨٧١ ـ [٤] (وعنه) قوله: **(حين بلغنا إقبال أبي سفيان)** أي: إقباله بالعير من الشام إلى مكة، وكان بالعير تجارة عظيمة، فأعجب المسلمين تلقي العير لكثرة الخير، فلما خرجوا بلغ أهل مكة خبرهم، فخرج أبو جهل بأهل مكة أجمعهم، فقيل له: إن العير أخذت طريق الساحل ونجت، فارجع بالناس إلى مكة، فقال: لا، والله لا أرجع، وزعم أن المسلمين قليل ومعه ناس كثير، فمضى بهم إلى بدر فوقع من وقعة بدر ما وقع، على ما ذكر في كتب السير، والمقصود هنا ذكر معجزته ﷺ، وهو تعيين مصارع المشركين من قبل أن يقع القتال.

وقوله: **(لو أمرتنا أن نخيضها)** الضمير للمراكب بقرينة الحال، خاض الماء يخوضه خوضاً: دخله، وأخاض الفرس وخاوضه: أدخله، و**(برك الغماد)** بكسر الموحدة وتفتح، والغماد مثلثة المعجمة: بلدة باليمن، أو وراء مكة بخمس ليال، أو أقصى معمور الأرض، كذا في (القاموس)[1].

قال في (المشارق)[2]: أكثر الرواية فيه في الصحيحين بفتح الباء، وعند بعض رواة البخاري بكسر الباء، وسكون الراء، والغماد بغين معجمة، يقال بكسرها وضمها، وميم مخففة، وآخره دال مهملة: موضع في أقاصي هَجَرَ، ووقع في كتاب

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٢٨٩).

(٢) «مشارق الأنوار» (١/ ١١٥).

قَالَ: فَنَدَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ النَّاسَ، فَانْطَلَقُوا حَتَّى نَزَلُوا بَدْراً، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَذَا مَصْرَعُ فُلاَنٍ» وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى الأَرْضِ هَهُنَا وَهَهُنَا، قَالَ: فَمَا مَاطَ أَحَدُهُمْ عَنْ مَوْضِعِ يَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ١٧٧٩].

٥٨٧٢ ـ [٥] وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ يَوْمَ بَدْرٍ: «اللهُمَّ أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ، اللهُمَّ إِنْ تَشَأْ لاَ تُعْبَدْ بَعْدَ الْيَوْمِ» فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ فَقَالَ: حَسْبُكَ يَا رَسُولَ اللهِ! أَلْحَحْتَ عَلَى رَبِّكَ، ....

الأصيلي بكسر الباء وكذا عند المستملي والحموي، ولغيرهم من رواة مسلم بفتحها.

وقوله: (فندب رسول الله ﷺ الناس) ندبه إلى الأمر: دعاه وحثه، ووجهه، و(البدر) موضع معروف بين مكة والمدينة، وقد سبق وجه تسميته بدراً في (كتاب الجهاد).

وقوله: (فما ماط) أي: بَعُد وتجاوز.

٥٨٧٢ ـ [٥] (ابن عباس) قوله: (أنشدك) بفتح الهمزة وضم الشين، أي: سألتك إيفاء عهدك، وإنجاز وعدك الذي وعدتنيه بالنصر على أعداء الدين، ويقال: أنشدك الله وأنشدك بالله، أي: سألتك به، وأستحلفك، وأصله من نشد الضالة وأنشدها بمعنى طلبها وعرّفها، كأنك ذكرته إياه فنشد، أي: تذكر.

وقوله: (ألححت على ربك) أي: بالغت في الدعاء كل المبالغة، وإلحاحه ﷺ كان تشجيعاً للمسلمين وتثبيتاً لهم؛ لأنهم كانوا عالمين أن دعاءه مستجاب لاسيما إذا بالغ فيه.

فَخَرَجَ وَهُوَ يَثِبُ فِي الدِّرْعِ وَهُوَ يقولُ: «﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥]». رَوَاهُ البُخَارِيُّ. [خ: ٤٨٧٥].

وقوله: (وهو) أي: رسول الله ﷺ (يثب) من الوثوب، أي: يسرع فرحاً ونشاطاً، كان رسول الله ﷺ بين خوف من غنى الحق ورجاء بوعده، فرجح بما وجد من اليقين والطمأنينة من أبي بكر ﷺ جانب الرجاء، فقام وهو يخبر بانهزام الكفار ونصرة المؤمنين إعجازاً بإطلاع الله إياه على الغيب.

قال الخطابي[1]: لا يظن أحد أن أبا بكر ﷺ كان أوثق بربه من النبي ﷺ في تلك الحال حاشا، بل الحامل له ﷺ على ذلك شفقة على أصحابه وتقوية لقلوبهم؛ لأنه كان أول مشهد شهده فبالغ في التوجه والابتهال لتسكين نفوسهم؛ لأنهم كانوا يعلمون أن مسألته مستجابة، فلما قال له أبو بكر ما قال علم أنه استجيب لما وجد عند أبي بكر من القوة والطمأنينة فكف عن ذلك.

قال بعض العارفين: كما أن وعده تعالى صدق، كذلك لا يجب عليه حق، فوجب اعتبار الأصلين عند التعارض بتقدير الوعد بشرط ستره تعالى عنك، إذ لا يجب عليه بيان ما يريد إشراطه، بل يصلح في الحكمة ستره إبقاءً لسطوة الربوبية في نظر العبد، واستبقاءً لأحكام العبودية عليه، وبذلك تأدب خليل الرحمن صلى الله على نبينا وعليه وسلم حيث قال لقومه: ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ﴾ جزماً بحكم الوعد، ثم قال: ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا﴾ رجوعاً لاتساع العلم، ثم قال: ﴿وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾[الأنعام: ٨٠] دفعاً لما يتوهم في استثنائه، وتحقيقاً لما عنده من النظر لاتساع العلم، وكأنه يقول: إنما استثنيت رجوعاً لاتساع العلم وقياماً بحق الأدب لا شكًّا في الوعد.

---

(١) انظر: «فتح الباري» (٧/ ٢٨٩).

٥٨٧٣ ـ [٦] وَعَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ يَوْمَ بَدْرٍ: «هَذَا جِبْرَئِيلُ آخِذٌ بِرَأْسِ فَرَسِهِ، عَلَيْهِ أَدَاةُ الْحَرْبِ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٣٩٩٥].

وكذلك نبي الله شعيب عليه الصلاة والسلام حيث قال: ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم﴾، فجعل برهان صدقه عدم عوده في ملتهم، قال: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ﴾ جزماً بمقتضى الوعد، ثم استثنى في حاله رجوعاً لاتساع العلم فقال: ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا﴾، ثم رفع الإبهام بقوله: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ الآية [الأعراف: ٨٩].

ولما نظر نبينا ﷺ يوم بدر لاتساع العلم قال: (إن أهلكت هذه العصابة لن تعبد بعد اليوم)، ونظر أبو بكر ﷺ إذ ذاك لظاهر الوعد فقال: دع مناشدتك ربك فإنه قد وعدك بالنصر، قال الإمام أبو حامد[1]: والأول أتم وهذا صحيح واضح، والله أعلم، انتهى. يعني حال النبي ﷺ أتم وأكمل لشهوده من صفات القهر والجلال ما لم يشاهده أبو بكر حيث اقتصر علمه على ظاهر الوعد، ولم يتعد إلى مشاهد غنى الحق، وسطوته وجلاله، وإلى اتساع علمه، وأنه لا يجب عليه شيء، وأنه كما وجب أن لا يهتمّ في وعده الكريم لزم أن لا يهتمّ في فعله الحكيم، إذ الكل من عنده، هذا بحكم البر، وهذا بحكم القهر، وفي الجميع قهره وبره.

ومن هنا يقال: إنه يحصل الأمن للمقربين بحكم الإيمان بصدق الوعد، ويبقى الخوف بمعرفة صفة (لا أبالي)، ولهذا صدر من المبشرين من الصحابة ما هو يشعر بغاية الخوف، يفعل الله ما يشاء، ويحكم ما يريد، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون، والله أعلم.

٥٨٧٣ ـ [٦] (وعنه) قوله: **(آخذ)** بلفظ اسم الفاعل **(برأس فرسه)** أي: آخذ

---

(١) «إحياء علوم الدين» (٤/ ١٧١).

٥٨٧٤ ـ [٧] وَعَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُّ فِي إِثْرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ، إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسَّوْطِ فَوْقَهُ، وَصَوْتَ الْفَارِسِ يَقُولُ: أَقْدِمْ حَيْزُومُ. إِذْ نَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ خَرَّ مُسْتَلْقِياً فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ خُطِمَ أَنْفُهُ وَشُقَّ وَجْهُهُ، كَضَرْبَةِ السَّوْطِ، فَاخْضَرَّ ذَلِكَ أَجْمَعُ، ....

بعنانه، وهو كناية عن التهيأ للحرب، والمعجزة حضور جبرئيل للحرب معه، ورؤيته ﷺ إياه يومئذ، أي: يوم وقعة بدر.

٥٨٧٤ ـ [٧] **(وعنه)** قوله: **(يشتد)** من الشدة وهي الحملة في الحرب، والشد: العدو، **(أمامه)** صفة **(رجل من المشركين)**، و**(أقدم)** أمر من الإقدام، أو من قَدَم، من نصر، من التقدم، و**(حيزوم)** بالحاء المهملة والتحتية والزاي، على وزن منصور: اسم فرس جبرئيل، كذا في (القاموس)[1] من حزمه يحزمه: شده، أو من حزم الفرس: شد حِزامه. وقيل: اسم فرس مَلَك من الملائكة، **(إذ نظر)** بدل من **(إذ سمع)**.

وقوله: **(فإذا هو قد خطم)** بالخاء المعجمة والطاء المهملة بلفظ المجهول، خطمه يخطمه: ضربه على أنفه، والخطام بالكسر: سمة على أنف البعير أو على وجهه من الخد، كذا في (القاموس)[2]، والمراد هنا أنه ظهر على أنفه أثر ضربته، وقد أصاب أنف الوليد بن المغيرة جراحة يوم بدر فبقي أثره، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ﴾ [القلم: ١٦].

وقوله: **(فاخضر)** من الاخضرار، وكذلك يبقى أثر الضرب.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١٠٠٩).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ١٠١٨).

فَجَاءَ الأَنْصَارِيُّ، فَحَدَّثَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «صَدَقْتَ، ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ» فَقَتَلُوا يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ، وَأَسَرُوا سَبْعِينَ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ١٧٦٣].

٥٨٧٥ ـ [٨] وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: رَأَيْتُ عَنْ يَمِينِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَعَنْ شِمَالِهِ يَوْمَ أُحُدٍ رَجُلَيْنِ، عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ، يُقَاتِلاَنِ كَأَشَدِّ الْقِتَالِ، مَا رأيتُهُمَا قَبْلُ وَلاَ بَعْدُ، يَعْنِي جِبْرَئِيلَ وَمِيكَائِيلَ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٤٠٥٤، م: ٢٣٠٦].

٥٨٧٦ ـ [٩] وَعَنِ الْبَرَاءِ قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ رَهْطاً إِلَى أَبِي رَافِعٍ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ عَبْدُاللهِ بْنُ عَتِيكٍ بَيْتَهُ لَيْلاً وَهُوَ نَائِمٌ فَقَتَلَهُ، فَقَالَ عَبْدُاللهِ بْنُ عَتِيكٍ: فَوَضَعْتُ السَّيْفَ فِي بَطْنِهِ حَتَّى أَخَذَ فِي ظَهْرِهِ، فَعَرَفْتُ أَنِّي قَتَلْتُهُ، فَجَعَلْتُ . . . .

وقوله: (فجاء الأنصاري) وهو الرجل من المسلمين ولذا عرفه واسمه.

وقوله: (ذلك) أي: سماع ضربة بالسوط . . . إلخ.

٥٨٧٥ ـ [٨] (سعد بن أبي وقاص) قوله: (كأشد القتال) أي: قتالاً مثل أشد ما يكون من القتال، وقيل: الكاف زائدة.

وقوله: (يعني جبرئيل وميكائيل) تفسير من الراوي، وكان ذلك لسماع من النبي وإخباره ﷺ.

٥٨٧٦ ـ [٩] (البراء) قوله: (إلى أبي رافع) كنية [ابن] أبي الحقيق بالحاء المهملة وقافين بينهما تحتانية على لفظ التصغير، أعدى عدو رسول الله ﷺ، نبذ عهده وهجاه، (عتيك) بالمهملة والفوقانية على وزن عتيق.

أَفْتَحُ الأَبْوَابَ، حَتَّى انتَهَيْتُ إِلَى دَرَجَةٍ، فَوَضَعْتُ رِجْلِي فَوَقَعْتُ فِي لَيْلَةٍ مُقْمِرَةٍ، فَانْكَسَرَتْ سَاقِي، فَعَصَبْتُهَا بِعِمَامَةٍ، فَانْطَلَقْتُ إِلَى أَصْحَابِي فَانْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَحَدَّثْتُهُ فَقَالَ: «ابْسُطْ رِجْلَكَ». فَبَسَطْتُ رِجْلِي فَمَسَحَهَا، فَكَأَنَّمَا لَمْ أَشْتَكِهَا قَطُّ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٤٠٤٠].

٥٨٧٧ ـ [١٠] وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ: إِنَّا يَوْمَ الْخَنْدَقِ نَحْفِرُ، فَعَرَضَتْ كُدْيَةٌ شَدِيدَةٌ، فَجَاؤُوا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا: هَذِهِ كُدْيَةٌ عَرَضَتْ فِي الْخَنْدَقِ فَقَالَ: «أَنَا نَازِلٌ»، ثُمَّ قَامَ وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ، وَلَبِثْنَا ثَلاَثَةَ أَيَّام لاَ نَذُوقُ ذَوَاقاً، فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ الْمِعْوَلَ، فَضَرَبَ فَعَادَ كَثِيباً أَهْيَلَ، . . . .

وقوله: (**أفتح الأبواب**) أي: أبواب حصن له تحصن به ليدخل الرهط الذي بعثهم رسول الله ﷺ معه لقتله، وكان دخل الحصن هو ليلا بالحيلة، وتركهم خارجه، وقصته مذكورة في كتب السير وفي أوائل (كتاب المغازي) من (صحيح البخاري) بعد غزوة بدر.

وقوله: (**فوقعت**) أي: من تلك الدرجة (**ليلة مقمرة**) أي: مضيئة من نور القمر، يقال: أقمرت الليلة: صارت ذا قمر، وسبب الوقوع اشتباه الدرج بالأرض لضوء القمر.

٥٨٧٧ ـ [١٠] (**جابر**) قوله: (**كدية**) بضم الكاف وسكون الدال المهملة بعده ياء تحتانية: الأرض الغليظة، والشيء الصلب بين الحجارة والطين، والذواق بالفتح: ما يذاق من المأكول والمشروب، وفي الحديث: لا يتفرقون إلا عن ذواق، أي: عن علم وأدب؛ لأنه يقوم للأرواح مقام الطعام والشراب للأجسام، و(**المعول**) كمنبر: الحديدة ينقر بها الجبال، و(**الكثيب**) بالمثلثة: التل من الرمل، و(**أهيل**) بالتحتانية على

فَانْكَفَأْتُ إِلَى امْرَأَتِي فَقُلْتُ: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ فَإِنِّي رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ ﷺ خَمَصاً شَدِيداً، فَأَخْرَجَتْ جِراباً فِيهِ صَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ، وَلَنَا بَهْمَةٌ دَاجِنٌ فَذَبَحْتُهَا، وَطَحَنَتِ الشَّعِيرَ حَتَّى جَعَلْنَا اللَّحْمَ فِي الْبُرْمَةِ، ثُمَّ جِئْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَسَارَرْتُهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! ذَبَحْنَا بُهَيْمَةً لَنَا، وَطَحَنَتْ صَاعاً مِنْ شَعِيرٍ، فَتَعَالَ أَنْتَ وَنَفَرٌ مَعَكَ، فَصَاحَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا أَهلَ الْخَنْدَقِ! . . . .

وزن أفعل، فسره الطيبي[1] برمل سائل، وفي (القاموس)[2]: هال عليه التراب هيلاً وأهاله فانهال: صبه فانصب. ورمل هال وأهيل: منهال.

وقوله: (فانكفأت إلى امرأتي) أي: انصرفت وملت، من كفأه: صرفه وكبه، وأكفأ: مال وأمال وقلب، كذا في (القاموس)[3]، واسم امرأته سهيلة بنت معوذ الأنصارية، والخمص بفتح المعجمة وسكون الميم، وقيل: بفتحها أيضاً: الجوع كالخمصة والمخمصة، ورجل خميص: ضامر البطن من الجوع، و(البهم) بفتح الباء وسكون الهاء، والجمع بهم ويحرك: أولاد الضأن، وفي بعض النسخ: (بهيمة) بلفظ التصغير، والداجن من الحمام والشاة وغيرهما ألفت بالبيوت، من دجن بالمكان دجوناً: أقام، (وطحنت) بلفظ الواحدة الغائبة، وفي بعض النسخ بلفظ المتكلم.

و(البرمة) بالضم والسكون: القدر من الحجارة، والجمع: بُرْم وكصرد.

وقوله: (فساررته) أي: قلت لـه خفية وسرًّا.

وقوله: (ذبحنا بهيمة) بلفظ التصغير، و(النفر) ما دون العشرة من الرجال، كذا

---

(١) «شرح الطيبي» (١١/ ١٠٩).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٩٩١).

(٣) «القاموس المحيط» (ص: ٦٠).

إِنَّ جَابِـراً صَنَعَ سُوراً فَحَيَّهَلاً بِكُمْ» فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لاَ تُنْزِلُنَّ بُرْمَتَكُمْ وَلاَ تَخْبِـزُنَّ عَجِينَكُمْ حَتَّى أَجِيءَ». وَجَاءَ فَأَخْرَجْـتُ لَـهُ عَجِيناً فَبَصَقَ فِيـهِ وَبَارَكَ، ثُمَّ عَمَدَ إِلَى بُرْمَتِنا فَبَصَقَ وَبارَكَ، ثُمَّ قَالَ: «ادْعِي خَابِـزَةً فَلْتَخْبِـزْ مَعَكِ، وَاقْدَحِي مِنْ بُرْمَتِكُمْ وَلاَ تُنْزِلُوهَا» وَهُمْ أَلْفٌ، فَأُقْسِمَ بِاللهِ لأَكَلُوا حَتَّى تَرَكُوهُ وَانْحَرَفُوا، وَإِنَّ بُرْمَتَنَا لَتَغِطُّ كَمَا هِيَ، وَإِنَّ عَجِينَنَا لَيُخْبَزُ كَمَـا هُـوَ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٤١٠٢، م: ٢٠٣٩].

فـي (القاموس)[١]، وفي (مختصر النهاية)[٢]: هو رهط الإنسان وعشيرتـه، وهو اسم جمع يقع على جماعة من الرجال خاصة من ثلاث إلى عشرة، ولا واحد له من لفظه، والسور غيـر مهموز بضم السين: طعام يدعـى إليـه الناس، وهي كلمة فارسية، وفي (القاموس)[٣]: السور: الضيافة، فارسية شرفها النبي ﷺ.

و(**حيهلاً**) مركـب مـن حيّ وهَلْ، ويستعمـل بالتنوين وبدونـه، ومعناه الحث والاستعجال، وقد مرّ تحقيقه في موضعه، و(**لا تنزلن**) بضم التاء واللام، (**ولا تخبزن**) بفتـح التاء وضم الزاي، و(**فأخرجت**) بسكون التاء.

وقوله: (**واقدحي**) أمر من قدح يقدح كفتح يفتح، قدح القدر: غرف ما فيها، وقدحة من المرق: غَرفة منه.

وقوله: (**لتغط**) أي: تفور وتغلي، من ضرب، في (القاموس)[٤]: غطت القدر:

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٤٥٢).

(٢) «الدر النثير» (٢/ ١٠٠).

(٣) «القاموس المحيط» (ص: ٣٨٤).

(٤) «القاموس المحيط» (ص: ٦٢٦).

٥٨٧٨ ـ [١١] وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لِعَمَّارٍ حِينَ يَحْفِرُ الْخَنْدَقَ فَجَعَلَ يَمْسَحُ رَأْسَهُ وَيَقُولُ: «بُؤْسَ ابْنِ سُمَيَّةَ! تَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٩١٤].

٥٨٧٩ ـ [١٢] وَعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ أَجْلَى الْأَحْزَابَ عَنْهُ: ....

صوتت أو اشتد غليانها.

٥٨٧٨ ـ [١١] (أبو قتادة) قوله: (بؤس) بضم الموحدة وسكون الهمزة: العذاب والشدة في الحرب، وفي رواية: (ويح عمار)، و(سمية) بضم السين المهملة وفتح الميم المخففة وبالياء المشددة: اسم أم عمار، و(بؤس) منادى مضاف، وحرف النداء محذوف، والخطاب في (تقتلك) بطريق الالتفات، وقال الطيبي[1]: نادى بؤسه وأراد نداءه فلذلك خاطبه، وقد يروى: بؤس بالرفع، أي: عليك بؤس، أو يصيبك بؤس، وعلى هذا (ابن سمية) منادى بحذف حرف النداء، والمراد بـ (الفئة الباغية) معاوية ومن معه فإنه قتل يوم صفين، وكان مع علي ﷺ وهو من دلائل حقانية علي في تلك القضية، وهذا الحديث له طرق كثيرة يكاد يبلغ حد التواتر، وقد أوردناها في رسالة (تحقيق الإشارة في تعميم البشارة)، والمعجزة في هذا: الإخبار بالغيب.

٥٨٧٩ ـ [١٢] (سليمان بن صرد) قوله: (حين أجلي) بلفظ المجهول[2] من الإجلاء، أي: انكشفوا وتفرقوا، من جلا القوم عن الموضع جلواً وجلاء، وأجلوا: تفرقوا، و(الأحزاب) جمع حزب بمعنى جماعة الناس، وقد اجتمع قريش في عشرة آلاف، ووافقهم يهود قريظة وغيرهم، فأرسل الله عليهم ريحاً وجنوداً من الملائكة،

---

(١) «شرح الطيبي» (١١/ ١١٢).

(٢) وفي نسخة: «بلفظ المعلوم»، كما في «المرقاة» (٩/ ٣٧٨٦).

«الآنَ نَغْزُوهُمْ وَلاَ يَغْزُونَّا، نَحْنُ نَسِيرُ إِلَيْهِم». رَوَاهُ البُخَارِيُّ. [خ: ٤١١٠].

٥٨٨٠ ـ [١٣] وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: لَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْخَنْدَقِ وَوَضَعَ السِّلاحَ وَاغْتَسَلَ أَتَاهُ جِبْرَئِيلُ وَهُوَ يَنْفُضُ رَأْسَهُ مِنَ الْغُبَارِ، فَقَالَ: قَدْ وَضَعْتَ السِّلاَحَ؟ وَاللهِ مَا وَضَعْتُهُ، اخْرُجْ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَأَيْنَ؟» فَأَشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٤١١٧، م: ١٧٦٩].

٥٨٨١ ـ [١٤] وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ قَالَ أَنَسٌ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى الْغُبَارِ سَاطِعاً فِي زُقَاقِ بَنِي غَنْمٍ مَوْكِبَ جِبْرَئِيلَ عليه السلام حِينَ سَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ. [خ: ٤١١٨].

وذلك في غزوة الخندق، وتسمى غزوة الأحزاب فهزمهم الله، وأخبر رسول الله ﷺ بأنهم لا يسيرون إلينا ولا يأتوننا بعد، وتمامه ذُكِر في كتب السير.

وقوله: (ولا يغزونا) بتشديد النون، ويجوز في مثله التخفيف لكن الموجود في النسخ التثقيل.

٥٨٨٠ ـ [١٣] (عائشة) قوله: (واغتسل) وجاء في الروايات: غسل أحد شقيه، يعني: لم يتم غسله، فيجوز أن يكون المعنى شرع في الغسل.

وقوله: (وهو ينفض رأسه) الضمير لجبرئيل.

٥٨٨١ ـ [١٤] (أنس) قوله: (بني غنم) بفتح الغين المعجمة وسكون النون وقد يحرك: قبيلة من الأنصار.

وقوله: (موكب) منصوب على نزع الخافض، أي: من موكبه، وفي بعض الروايات بإثبات (من)، والموكب: الجماعة ركباناً أو مشاة، من وكب يكب وكوباً

٥٨٨٢ ـ [١٥] وَعَـنْ جَابِـرٍ قَـالَ: عَطِـشَ النَّـاسُ يَـوْمَ الْحُدَيْبِيَـةِ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ فَتَوَضَّأَ مِنْهَا، ثُمَّ أَقْبَـلَ النَّاسُ نَحْـوَهُ قَالُـوا: لَيْسَ عِنْدَنَا مَاءٌ نَتَوَضَّأُ بِـهِ وَنَشْرَبُ إِلاَّ مَا فِي رَكْوَتِكَ، فَوضَعَ النبيُّ ﷺ يَدَه فِي الرَّكْوَةِ، فَجَعَلَ الْمَاءُ يَفُورُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِـعِهِ كَأَمْثَالِ الْعُيُونِ، قَالَ: فَشَرِبْنَا وَتَوَضَّأْنَا، قِيلَ لِجَابِـرٍ: كَمْ كُنْتُمْ؟ قَالَ: لَوْ كُنَّا مِئَةَ أَلْفٍ لَكَفَانَا، كُنَّا خَمْسَ عَشْرَةَ مِئَةً. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٤١٥٢، م: ١٨٥٦].

ووكباناً: مشى في درجان، ومنه الموكب، كذا في (القاموس)[١]، وفي (النهاية)[٢]: الموكب جماعة ركاب يسيرون برفق، وقيل: الموكب: ضرب من السير، والمعجزة هنا مجيء جبرئيل لابس السلاح مع موكبه للحرب ورؤية الغبار في موكبه.

٥٨٨٢ ـ [١٥] **(جابر)** قوله: **(ركوة)** بفتح الراء وسكون الكاف.

وقوله: **(فجعل الماء يفور من بين أصابعه)** وهذا أعني نبوع الماء من يده ﷺ وقع مراراً كثيرة في عدة مواطن بطرق متعددة، ويفيد مجموعها العلم القطعي، وقـد فصل الكلام فيـه فـي (المواهب اللدنية)[٣]، قلت: وكذلك حال تكثير الطعام القليل، وحنين الجذع، وغير ذلك مما ذكر العلماء.

وقولـه: **(كنا خمس عشرة مئة)** كأن الظاهر أن يقال: ألف وخمس مئة، قيل: عدل عن الظاهر لاحتمال التجوز في الكثرة، كما في قوله: لو كنا مئة ألف كما يأتي في الحديث الآتي، وقيل: إنما قال: خمس عشرة مئة أو أربع عشرة مئة لأنهم كانوا أفواجاً

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١٤٤).

(٢) «النهاية» (٥/ ٢١٨).

(٣) «المواهب اللدنية» (٢/ ٥٥٧، ٥٦٨).

٥٨٨٣ ـ [١٦] وَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِئَـةً يَوْمَ الْحُدَيْبِـيَةِ، وَالْحُدَيْبِـيَةُ بِئْرٌ فَنَزَحْنَاهَا، فَلَمْ نَتْرُكْ فِيهَا قَطْرَةً، فَبَلَغَ النبيَّ ﷺ فَأَتَاهَـا فَجَلَسَ عَلَى شَفِيرِهَا، ثُمَّ دَعَا بِإِنَاءٍ مِنْ مَاءٍ، فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ مَضْمَضَ، وَدَعَـا ثُمَّ صَبَّهُ فِيهَـا ثُمَّ قَالَ: «دَعُوهَا سَاعَةً» فَأَرْوَوْا أَنْفُسَهُمْ وَرِكَابَهُمْ حَتَّى ارْتَحَلُوا. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٤١٥١].

٥٨٨٤ ـ [١٧] وَعَنْ عَوْفٍ عَنْ أَبِي رَجَاءٍ عَن عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: كُنَّـا فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبِـيِّ ﷺ، فَاشْتَكَى إِلَيْهِ النَّاسُ مِنَ الْعَطَشِ، فَنَزَلَ، فَدَعَا فُلَانًا كَانَ يُسَمِّيهِ أَبُـو رَجَاءٍ وَنَسِيَهُ عَوْفٌ، وَدَعَا عَلِيًّا، فَقَالَ: «اذْهَبَا فَابْتَغِيَا الْمَاءَ». فَانْطَلَقَا فَتَلَقَّيَا امْرَأَةً بَيْنَ مَزَادَتَيْنِ أَوْ سَطِيحَتَيْنِ مِنْ مَاءٍ، ....

من مئة مئة نفس، والتحقيق في أهل الحديبية أنهم كانوا ألفاً وأربع مئة، وقيل: أكثر من ألف وأربع مئة، فمن قال: ألفاً وخمس مئة فقد جبر الكسر أو قال على غلبة ظنه.

٥٨٨٣ ـ [١٦] (البراء بن عازب) قوله: (والحديبية بئر) قال في (القاموس)[1]: الحديبية بالتخفيف وقد يشدد: بئر قرب مكة، أو لشجرة حدباء كانت هناك.

وقولـه: (فأرووا) بلفظ الماضي للغائبين من الإرواء.

وقوله: (ارتحلوا) أي: كانوا هم وركابهـم يروون منهـا مـدة إقامتهم هنالك، والركاب: الإبل، واحدتها راحلة، كذا في (القاموس)[2]، وكان مدة إقامتهم فيها زهاء عشرين يوماً.

٥٨٨٤ ـ [١٧] (عوف) قوله: (بين مزادتين أو سطيحتين) المزادة بفتح الميم: في

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٨١).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٩٨).

فَجَاءَا بِهَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَاسْتَنْزَلُوهَا عَنْ بَعِيرِهَا، وَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ بِإِنَاءٍ، فَفَرَّغَ فِيهِ مِنْ أَفْوَاهِ الْمَزَادَتَيْنِ، وَنُودِيَ فِي النَّاسِ: اسْقُوا، فَاسْتَقَوْا، قَالَ: فَشَرِبْنَا عِطَاشاً أَرْبَعِينَ رَجُلاً، حَتَّى رَوِينَا، فَمَلأْنَا كُلَّ قِرْبَةٍ مَعَنَا وَإِدَاوَةٍ، وَايْمُ اللهِ لَقَدْ أُقْلِعَ عَنْهَا ....

الأصل وعاء يوضع فيه الزاد، ويطلق على الراوية وهي المزادة التي فيها الماء، أو لا تكون إلا من جلدين تفأم بثالث بينهما لتتسع، كذا في (القاموس)[١]، وفي (فتح الباري)[٢]: المزادة: قربة كبيرة يزاد فيها جلد من غيرها، والسطيحة أيضاً بمعنى المزادة، وقيل: هي نوع من المزادة من جلدين سطح أحدهما على الآخر.

وقوله: **(فجاءا)** ضمير التثنية لعلي وفلان.

وقوله: **(فاستنزلوها)** أي: المرأة أو المزادة، فاستنزل على الأول على معناه من طلب النزول، وعلى الثاني بمعنى الإنزال، والظاهر هو المعنى الأول.

وقوله: **(ففرغ فيه)** من التفريغ، أي: صب الماء في الإناء، والأفواه بمعنى التثنية من قبيل ﴿قُلُوبُكُمَا﴾[التحريم: ٤].

وقوله: **(اسقوا)** بكسر الهمزة وفتحها: أمر من سقى أو أسقى، والأول أفصح.

وقوله: **(عطاشاً)** حال من ضمير **(شربنا)**، وكذا قوله: **(أربعين)** مترادفة أو متداخلة.

وقوله: **(حتى روينا)** روي كرضي.

وقوله: **(لقد أقلع)** بلفظ المجهول من الإقلاع، أي: كف عن تلك المزادة

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٢٧٣).

(٢) «فتح الباري» (١/ ٤٥٢).

وإنَّـهُ لَيُخَيَّلُ إِلَينَا أَنَّهَا أَشَدُّ مِلْئَةً مِنْهَا حِين ابْتَدَأَ(١). مُتَّفقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٥٧١، م: ٦٨٢].

٥٨٨٥ ـ [١٨] وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ: سِرْنَـا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى نزَلْنَـا وَادِياً أَفْيَحَ، فَذَهَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْضِـي حَاجَتَهُ، فَلَمْ يَرَ شَيْئاً يَسْتَتِرُ بِـهِ، وَإِذَا شَجَرَتَيْنِ بِشَاطِئِ الْوَادِي، فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى إِحْدَاهُمَا، فَأَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا، فَقَالَ: «انْقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ اللهِ». . . . .

وتركت، والإقلاع عن الأمر: الكف عنه، والمعنى أنهم شربوا منها ورووا وتركوها وهم يتخيلون أن ما بقي فيها أكثر مما كان أولاً، والمراد المبالغة في بقائها على حالها.

و(ملئة) بكسر الميم وسكون اللام مهموزاً للحالة، وبقية الحديث: فقال النبي ﷺ: (اجمعوا لهـا)، فجمعوا لها مـن بيـن عجوة ودقيقة وسويقة حتـى جمعـوا لها طعاماً فجعلوه في ثوب، وحملوها على بعيرها، ووضعوا الثوب بين يديها، قال لها: (تعلمين ما رزأنا من مائك شيئاً ولكن الله هو الذي سقانا)، فأتت أهلها، فقالت: العجب، لقيني رجلان فذهبا بـي إلى هذا الرجل الذي يقال له: الصابئ، ففعل كذا وكذا، فوالله إنه لأسحر الناس كلهم، أو إنه لرسول الله حقًّا، فقالت لقومها: فهل لكم في الإسلام؟ . . . الحديث، كـذا فـي (المواهـب اللدنية)(٢)، وجاء فـي بعض الروايـات وفـي آخره: فأطاعوها فدخلوا في الإسلام.

٥٨٨٥ ـ [١٨] (جابر) قوله: (وادياً أفيح) أي: واسعاً.

وقوله: (إذا شجرتين) أي: رأى شجرتين أو وجدهما، وفي بعض الروايات:

---

(١) وفي نسخـة: «ابْتُدِئَ» بصيغـة المفعـول، أي: الاستقـاء والشرب منهـا. «مرقـاة المفاتيـح» (٩/ ٣٧٨٨).

(٢) «المواهب اللدنية» (٢/ ٥٦٥).

فَانْقَادَتْ مَعَهُ كَالْبَعِيرِ الْمَخْشُوشِ الَّذِي يُصَانِعُ قَائِدَهُ، حَتَّى أَتَى الشَّجَرَةَ الأُخْرَى فَأَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا، فَقَالَ: «انْقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ اللهِ» فَانْقَادَتْ مَعَهُ كَذَلِكَ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِالْمَنْصَفِ مِمَّا بَيْنَهُمَا قَالَ: «الْتَئِمَا عَلَيَّ بِإِذْنِ اللهِ» فَالْتَأَمَتَا، فَجَلَسْتُ أُحَدِّثُ نَفْسِي، فَحَانَتْ مِنِّي لَفْتَةٌ، فَإِذَا أَنَا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مُقْبِلاً وَإِذَا الشَّجَرَتَيْنِ قَدِ افْتَرَقَتَا، فَقَامَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَلَى سَاقٍ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٣٠١٢].

شجرتان بالرفع. و(**المخشوش**) البعير الذي يجعل في أنفه الخشاش، بكسر الخاء المعجمة: خشبة تجعل في أنف البعير ليكون أسرع إلى الانقياد.

وقوله: (**يصانع**) أي: يطاوع وينقاد، والمصانعة في الأصل: الرشوة والمداراة والمداهنة.

وقوله: (**حتى إذا كان بالمنصف**) بفتح الميم والصاد، أي: الموضع الذي هو وسط بين الموضعين.

قوله: (**أحدث نفسي**) يعني في وقوع هذا الأمر العجيب الذي رأيته ما هو؟ وكيف هو؟ أو في شيء آخر كما هو عادة الإنسان، (**فحانت**) أي: ظهرت، من حان: إذا أتى وقت الشيء، (**مني لفتة**) بفتح اللام وسكون الفاء، أي: التفاتة، أي: كنت مستقلاً بنفسي لا ألتفت إلى شيء فإذا التفت رأيت رسول الله ﷺ (**مقبلاً**) أي: [من] هذا الجانب، (**وإذا الشجرتين**) أي: رأيتهما.

وقوله: (**فقامت كل واحدة منهما على ساق**) يظهر منه أنهما كانتا التأمتا كأنها شجرة واحدة على ساق واحدة، أو المراد أنهما عادتا إلى الحال الأصلي كما كانتا، فافهم.

٥٨٨٦ ـ [١٩] وَعَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ قَالَ: رَأَيْتُ أَثَرَ ضَرْبَةٍ فِي سَاقِ سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ، فَقُلْتُ: يَا بَا مُسْلِمٍ! مَا هَذِهِ الضَّرْبَةُ؟ قَالَ: ضَرْبَةٌ أَصَابَتْنِي يَوْمَ خَيْبَرَ، فَقَالَ النَّاسُ: أُصِيبَ سَلَمَةُ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَنَفَثَ فِيهِ ثَلَاثَ نَفَثَاتٍ، فَمَا اشْتَكَيْتُهَا حَتَّى السَّاعَةَ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٤٣٠٦].

٥٨٨٦ ـ [١٩] (يزيد بن أبي عبيد) قوله: (فما اشتكيتها حتى الساعة) قيل في أكثر نسخ البخاري بجر (الساعة)، قال الكرماني[1]: يلزم منه الاشتكاء زمن الحكاية، ولعل وجهه أن (حتى) حينئذٍ تكون للغاية بمعنى (إلى)، وحكم الغاية يجب أن يكون على خلاف حكم المغيا؛ لأنه ينتهي عدم الاشتكاء إلى هذا الزمان فيلزم أن يكون فيه اشتكاء.

فقال: إن لفظ (الساعة) منصوب، و(حتى) للعطف، والمعطوف داخل في حكم المعطوف عليه، نحو: أكلت السمكة حتى رأسها، وقيل: يمكن أن يكون المعنى على تقدير كونها مجروراً، وكون (حتى) للغاية: ما وجدت أثر وجع إلى الآن، وأما بعده فما أدري أجده أم لا، فيصدق أن حكم ما بعد (حتى) خلاف ما قبلها، أو المراد نفي الشكاية بآكد وجه بأن يكون المراد ما وجدت وجعاً إلى الآن، فلو أمكن أن يوجد وجع يكون بعد ذلك، ومن المحال عادة أن يوجد وجع بعد مدة مضت من ضربه، انتهى.

ولا يخفى ما في الوجهين من التكلف، والجواب الصحيح أن يقال: إن كون حكم الغاية على خلاف حكم المغيا غير مطرد، فقد تكون الغاية داخلة في المغيا ولو بقرينة المقام، فتدبر.

---

(١) «شرح الكرماني» (١٦/ ٩٦).

٥٨٨٧ ـ [٢٠] وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: نَعَى النَّبِيُّ ﷺ زَيْداً وَجَعْفَراً وَابْنَ رَوَاحَةَ لِلنَّاسِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَهُمْ خَبَرُهُمْ، فَقَالَ أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ ابْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ، وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ، حَتَّى أَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ، ـ يَعْنِي خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ ـ حَتَّى فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِمْ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٤٢٦٢].

٥٨٨٨ ـ [٢١] وَعَنْ عَبَّاسٍ قَالَ: شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ، فَلَمَّا الْتَقَى الْمُسْلِمُونَ وَالْكُفَّارُ وَلَّى الْمُسْلِمُونَ مُدْبِرِينَ، فَطَفِقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ . . . .

٥٨٨٧ ـ [٢٠] (أنس) قوله: (نعى النبي ﷺ) أي: أخبر الناس بموتهم، وكانت في غزوة موتة بلدة بالشام كانت في السنة الثامنة، وكان المسلمون ثلاثة آلاف، والروم مئة ألف، وتمام قصته في كتب السير.

وقوله: (وعيناه تذرفان) حال من ضمير (قال)، والضمير للنبي ﷺ، و(تذرفان) أي: تدمعان الدمع.

وقوله: (يعني خالد بن الوليد) بيان لـ (سيف من سيوف الله)، وهذا لقب خالد رضي الله عنه.

وقوله: (حتى فتح الله عليهم) أي: على المسلمين، قال الشيخ[1]: اختلفوا هل كان فيه قتال فيه هزيمة للمشركين، أو المراد بالفتح حيازة المسلمين حتى رجعوا سالمين؟

٥٨٨٨ ـ [٢١] (عباس) قوله: (ولى المسلمون) المراد به إقبالهم إلى رسول الله ﷺ كما يأتي في الحديث الآتي.

---

(١) انظر: «فتح الباري» (٧/ ٥١٣).

يَرْكُضُ بَغْلَتَهُ قِبَلَ الْكُفَّارِ، وَأَنَا آخِذٌ بِلِجَامِ بَغْلَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَكُفُّهَا إِرَادَةَ أَن لاَ تُسْرِعَ، وَأَبُو سُفْيَانَ بنُ الْحَارِثِ آخِذٌ بِرِكَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَيْ عَبَّاسُ! نَادِ أَصْحَابَ السَّمُرَةِ» فَقَالَ عَبَّاسٌ: ـ وَكَانَ رَجُلاً صَيِّتاً ـ، فَقُلْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي: أَيْنَ أَصْحَابُ السَّمُرَةِ؟ فَقَالَ: وَاللهِ لَكَأَنَّ عَطْفَتَهُمْ حِينَ سَمِعُوا صَوْتِي عَطْفَةُ الْبَقَرِ عَلَى أَوْلاَدِهَا، فَقَالُوا: يَا لَبَّيْكَ يَا لَبَّيْكَ، قَالَ: فَاقْتَتَلُوا وَالْكُفَّارَ، وَالدَّعْوَةُ فِي الأَنْصَارِ يَقُولُونَ: يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ! يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ! قَالَ: ثُمَّ قُصِرَتِ الدَّعْوَةُ عَلَى بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، ....

وقوله: (**يركض بغلته**) الركض: تحريض الدابة بالرجل، و(**البغلة**) هي التي يقال لها: دُلدل.

وقوله: (**قبل الكفار**) بكسر القاف وفتح الباء، أي: جانبهم ونحوهم، (**وأبو سفيان بن الحارث**) هو ابن عم رسول الله ﷺ.

و(**السمرة**) بفتح السين وضم الميم: هي الشجرة التي بايعوا تحتها يوم الحديبية، و(**الصيت**) بفتح الصاد وكسر الياء المشددة: مبالغة صائت اسم فاعل من الصوت.

وقوله: (**والله لكأن عطفتهم**) أي: رجعتهم ومجيئهم بالرفع أو النصب وكذا قوله: (**عطفة البقر**).

وقوله: (**فاقتتلوا والكفار**) بالنصب على أنه مفعول معه.

وقوله: (**والدعوة**) أي: الاستعانة والمناداة (**في الأنصار**) مبتدأ وخبره (يقولون).

وقوله: (**ثم قصرت**) بلفظ المجهول من القصر، وبنو الخزرج من الأنصار، فإن الأنصار بنو الأوس وبنو الخزرج وإخوانهم أولادهما.

فَنظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ كَالْمُتَطَاوِلِ عَلَيْهَا إِلَى قِتَالِهِمْ، فَقَالَ: هَذا حِينَ حَمِيَ الْوَطِيسُ، ثُمَّ أَخَذَ حَصَيَاتٍ، فَرَمَى بِهِنَّ وُجُوهَ الْكُفَّارِ، ثُمَّ قَالَ: «انْهَزَمُوا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ» فَوَاللهِ مَا هُوَ إِلاَّ أَنْ رَمَاهُمْ بِحَصَيَاتِهِ، فَمَا زِلْتُ أَرَى حَدَّهُمْ كَلِيلاً وَأَمْرَهُمْ مُدْبِراً. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ١٧٧٥].

٥٨٨٩ ـ [٢٢] وَعَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِلْبَرَاءِ: يَا بَا عُمَارَةَ! فَرَرْتُمْ يَوْمَ حُنَيْنٍ؟ قَالَ: لاَ وَاللهِ، مَا وَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلَكِنْ خَرَجَ شُبَّانُ أَصْحَابِهِ لَيْسَ عَلَيْهِمْ كَثِيرُ سِلاَحٍ، فَلَقَوْا قَوْماً رُمَاةً لاَ يَكَادُ يَسْقُطُ لَهُمْ سَهْمٌ، فَرَشَقُوهُمْ رَشْقاً مَا يَكَادُونَ يُخْطِئُونَ، . . . .

وقوله: (**كالمتطاول**) أي: الغالب المستشرف إليهم، (**عليها**) والضمير في (عليها) للبغلة، أي: كائنا عليها، و(**إلى قتالهم**) متعلق بـ (نظر).

وقوله: (**هذا حين حمي الوطيس**) (حين) مفتوح على أنه مضاف إلى (حمي الوطيس) أي: اشتد الحرب، و(الوطيس) بفتح واو وكسر طاء مهملة وبسين مهملة: التنور، أراد الحرب، كذا في (القاموس)[1]، قالوا: لم يسمع هذا الكلام من أحد قبل رسول الله ﷺ.

وقوله: (**ما هو إلا أن رماهم**) أي: ليس انهزامهم إلا بالرمي، أو ليس الأمر، أو ليس الواقع إلا رمية.

وقوله: (**حدهم**) بمعنى الحدة مفعول (**أرى**)، و(كليلا) مفعول ثاني أو حال.

٥٨٨٩ ـ [٢٢] (**أبو إسحاق**) قوله: (**فرشقوهم**) أي: رموهم.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٥٣٦).

فَأَقْبَلُوا هُنَاكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى بَغْلَتِـهِ الْبَيْضَاءِ وَأَبُـو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ يَقُودُهُ، فَنَزَلَ وَاسْتَنْصَرَ، وَقَالَ(١) أَنَـا النَّبِـيُّ لاَ كَذِبْ، أَنَـا ابْنُ عَبْـدِ الْمُطَّلِبْ، ثُمَّ صَفَّهُمْ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَلِلْبُخَارِيِّ مَعْنَاهُ. [م: ١٧٧٦، خ: ٤٣١٥].

٥٨٩٠ ـ [٢٣] وَفِي رِوَايَةٍ لَهُمَا: قَالَ الْبَرَاءُ: كُنَّا وَاللهِ إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ نَتَّقِي بِهِ، وَإِنَّ الشُّجَاعَ مِنَّا لَلَّذِي يُحَاذِي بِهِ يَعْنِي النَّبِـيَّ ﷺ. [م: ١٧٧٦].

٥٨٩١ ـ [٢٤] وَعَنْ سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حُنَيْناً، فَوَلَّى صَحَابَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا غَشُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ نَزَلَ عَنِ الْبَغْلَةِ، ثُمَّ قَبَضَ قَبْضَةً مِنْ تُرَابٍ مِنَ الأَرْضِ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ بِهِ وُجُوهَهُمْ، . . . .

وقوله: (فأقبلوا) أي: المسلمون وهم الشبان المذكورون.

وقوله: (فنزل) أي: نزل رسول الله ﷺ عن بغلته وطلب النصرة من الله سبحانه.

٥٨٩٠ ـ [٢٣] (البراء) قوله: (حتى احمر البأس) أي: اشتد القتال، وإيراد هذا الحديث لتتميم قصة يوم حنين، أو يقال: اتقاء الشجعان برسول الله ﷺ في أمثال هذه المواطن معجزة له ﷺ، والله أعلم.

٥٨٩١ ـ [٢٤] (سلمة بن الأكوع) قوله: (فلما غشوا) أي: قاربوا، يعني الكفار، يعني قاربوا الغشيان.

وقوله: (ثـم قبض قبضة مـن تراب) القبضة وضمـه أكثر: ما قبضت عليـه من شيء، وكهمزة: من يمسك بالشيء ثم لا يلبث أن يدعه، كذا في (القاموس)(٢)، وفي

---

(١) في نسخة: «فقال».

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٦٠٠).

فَقَالَ: «شَاهَتِ الْوُجُوهُ» فَمَا خَلَقَ اللهُ مِنْهُمْ إِنْسَاناً إِلاَّ مَلأَ عَيْنَيْهِ تُرَاباً بِتِلْكَ الْقَبْضَةِ، فَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ فَهَزَمَهُمُ اللهُ، وَقَسَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ غَنَائِمَهُمْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ١٧٧٧].

٥٨٩٢ ـ [٢٥] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: شَهِدْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حُنَيْناً، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِرَجُلٍ مِمَّنْ مَعَهُ يَدَّعِي الإِسْلَامَ: «هَذَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ»، فَلَمَّا حَضَرَ الْقِتَالُ، قَاتَلَ الرَّجُلُ مِنْ أَشَدِّ الْقِتَالِ، وَكَثُرَتْ بِهِ الْجِرَاحُ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَرَأيتَ الَّذِي تُحَدِّثُ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، قَدْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللهِ مِنْ أَشَدِّ الْقِتَالِ، فَكَثُرَتْ بِهِ الْجِرَاحُ؟ فَقَالَ: «أَمَّا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ»، فَكَادَ بَعْضُ النَّاسِ يَرْتَابُ، فَبَيْنَمَا هُوَ عَلَى ذَلِكَ إِذْ وَجَدَ الرَّجُلُ أَلَمَ الْجِرَاحِ، فَأَهْوَى بِيَدِهِ إِلَى كِنَانَتِهِ، فَانْتَزَعَ سَهْماً ....

(الصراح)[1]: قبضة بالضم: يك مشت از هر چيز، وربما جاء على الفتح.

وقوله: (شاهت الوجوه) أي: قبحت.

٥٨٩٢ ـ [٢٥] (أبو هريرة) قوله: (لرجل) اسم الرجل قزمان بالقاف كان من المنافقين، كذا قالوا.

وقوله: (فأهوى بيده إلى كنانته) بالكسر أي: إلى جعبته، و(أهوى) أي: أمال، يقال: أهوى يده وبيده إلى الشيء: أمالها إليه ليأخذه.

وقوله: (فانتزع سهماً) هكذا في رواية أبي ذر بالإفراد، ولغيره: أسهماً بالجمع.

---

(١) «الصراح» (ص: ٢٨٤).

فَانْتَحَرَ بِهَا، فَاشْتَدَّ رِجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! صَدَّقَ اللهُ حَدِيثَكَ، قَدِ انْتَحَرَ فُلَانٌ وَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللهُ أَكْبَرُ، أَشْهَدُ أَنِّي عَبْدُاللهِ وَرَسُولُهُ، يَا بِلَالُ! قُمْ فَأَذِّنْ، لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَإِنَّ اللهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٤٢٠٣].

٥٨٩٣ - [٢٦] وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سُحِرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ........

وقوله: (**فانتحر بها**) وفي (صحيح البخاري): فنحر بها، وتأنيث الضمير على رواية لفظ الجمع ظاهر، وعلى لفظ الإفراد بإرادة الجنس، ثم إنه قد جاء في حديث آخر للبخاري[1] عن سهل بن سعد الساعدي: أن الرجل وضع سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه، ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه.

وقال القسطلاني[2] في تطبيق الروايتين: إنه لا منافاة بينهما لاحتمال أن يكون نحر نفسه بأسهمه فلم تزهق روحه وقد أشرف على القتل، فاتكأ حينئذ على سيفه استعجالاً للموت، هذا ثم إنه قد ذكر في (المواهب)[3] هذه القصة في غزوة خيبر، وكذلك في (صحيح البخاري)، ولفظ الكتاب على أنه كان في غزوة حنين، ولعله صحف بعضهم (خيبر) بـ (حنين)، والله أعلم.

وقوله: (**وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر**) يريد قتاله أشد القتال.

٥٨٩٣ - [٢٦] (عائشة) قوله: (**سُحر رسول الله ﷺ**) قد استبعد قوم من الملاحدة

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٢٨٩٨).

(٢) «إرشاد الساري» (٦/ ٣٦٣).

(٣) «المواهب اللدنية» (١/ ٥٢٣).

. . . .

عروض السحر وأمثاله عليه ﷺ، وتوهموا أنه مما يمنع الثقة بالشرع بأقواله وبأفعاله، ويوجب لبساً وشكاً في أمره، وهذا التوهم باطل بعد وجود الدلائل القطعية على صدقه وثبوت نبوته، وإنما السحر مرض من الأمراض وعارض من العلل، يجوز طريانه عليه كأنواع المرض مما لا ينكر ولا يقدح في نبوته، ولو فرض شيء من الاختلال في الأفعال بعلة المرض فإنه لا يوجب ظن الاختلال في سائر الأفعال التي لا مدخل فيها للمرض بعد حصول الصحة وزوال المرض.

والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم يجوز أن يطرأ عليهم العوارض البشرية من الآفات والتغيرات والآلام والأسقام ما يجوز على غيرهم، فإن أجسامهم وظواهرهم خالص للبشرية، وأما أرواحهم وبواطنهم فمعصومة منه متعلقة بالملأ الأعلى لأخذها العلم عنهم، وتلقيها الوحي منهم، وقد يقيهم الله سبحانه عن الآفات البشرية أيضاً ويعصمهم منها معجزة لهم وإظهاراً لشرفهم وامتيازهم من سائر البشر إذا اقتضت الحكمة ذلك، فليس وقايته من سم اليهودية أقل من سحر ابن الأعصم، وأمثال ذلك كثيرة.

والحكمة في تأثير السحر في جسمه ﷺ إظهار أن السحر حق ثابت جرت به السنة الإلهية، وإظهار صحة نبوته فإن السحر لا يؤثر في الساحر، وأما ما ورد: أنه كان يخيل إليه ﷺ أنه فعل الشيء وما فعله ولا يفعله، فليس في هذا ما يدخل عليه داخلة في شيء من تبليغه أو شريعته، أو يقدح في صدقه لقيام الدليل على عصمته، وإنما هذا فيما يجوز طرؤه عليه في أمر دنياه التي لم يبعث بسببها ولا فضل من أجلها، فغير بعيد أن يخيل إليه من أمورها ما لا حقيقة له، ثم تجلى عنه كما كان.

وقد فسره ما جاء في الحديث الآخر من قوله: حتى يخيل إليه أنه يأتي أهله

. . . .

ولا يأتيهن، وقيل: معناه أنه يظهر له من نشاطه وبتقدم عادته القدرة على النساء، فإذا دنا منهن أصابته أخذة السحر فلم يقدر على إتيانهن، ولم يأت في خبر منها أنه صدر عنه في ذلك قول بخلاف ما كان أخبر أنه فعله ولم يفعله، وإنما كانت خواطر وتخيلات، وقد قيل: إن المراد بالحديث أنه كان يتخيل الشيء أنه فعله وما فعله، ولكنه تخيل لا يعتقد صدقه، فيكون اعتقاداته كلها على السداد، وأقواله على الصحة، هذا ما ذكره الأئمة في هذا المقام.

وقال القاضي عياض في (الشفا)[1]: أنه قد وقع في روايات متعددة: سحر يهود بني زريق رسول الله ﷺ، فجعلوه في بئر حتى كاد أن ينكر بصره، حتى دله الله على ما صنعوا، فاستخرجه من البئر، وجاء في حديث آخر: حبس رسول الله ﷺ عن عائشة سنة، فبينا هو نائم أتاه ملكان. . . الحديث. وروي: حبس رسول الله ﷺ عن عائشة خاصة سنة، حتى أنكر بصره، قال[2]: فقد استبان لك من مضمون هذه الروايات أن السحر إنما تسلط على ظاهره وجوارحه لا على قلبه واعتقاده وعقله، ويكون قول عائشة: إنه يخيل إليه أنه فعل الشيء وما فعله من باب ما اختل من بصره كما ذكر في الحديث، فيظن أنه رأى شخصاً من بعض أزواجه أو شاهد فعلاً من غيره ولم يكن على ما يخيل إليه لما أصابه في بصره وضعف نظره، لا لشيء طرأ عليه في مَيْزِهِ، وإذا كان هذا لم يكن فيما ذكر من إصابة السحر له وتأثيره فيه ما يدخل لبساً ولا يجد به الملحد المعترض أنساً، انتهى كلام القاضي ـ رحمة الله عليه ـ، وكان سحره بعد رجوعه ﷺ من الحديبية في ذي الحجة من السنة السادسة، ومدة بقائه قيل: أربعون

---

(١) «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» (٢/ ٤١٤ ـ ٤١٥).

(٢) أي: القاضي عياض.

حَتَّى إِنَّهُ لَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ فَعَلَ الشَّيْءَ وَمَا فَعَلَهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ عِنْدِي دَعَا اللهَ وَدَعَاهُ، ثُمَّ قَالَ: «أَشَعَرْتِ يَا عَائِشَةُ! أَنَّ اللهَ قَدْ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ، جَاءَنِي رَجُلَانِ، جَلَسَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي، وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلِي، ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ، قَالَ: وَمَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ الْيَهُودِيُّ، قَالَ: فِي مَاذَا؟ قَالَ فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ. . . . .

يوماً، وفي رواية: ستة أشهر، وفي رواية: سنة، ويجمع بأن قوته وغلبته كانت أربعين يوماً، ووجود آثاره إلى ستة أشهر، وبقيت بعض بقاياه إلى سنة، والله أعلم.

وقوله: (**دعا الله ودعاه**) أي: دعا مكرراً دعاء بعد دعاء واستمر عليه، وبالغ فيه، وجاء في رواية: (دعا ثم دعا).

وقوله: (**أن الله قد أفتاني**) في (القاموس)[1]: أفتاه في الأمر: أبانه له.

وقوله: (**عند رجلي**) بلفظ التثنية.

وقوله: (**مطبوب**) أي: مسحور، طبه: سحره، ومن معاني الطب: السحر.

وقوله: (**لبيد بن الأعصم اليهودي**) وقيل: فعلته بناته بأمره وشركته، ومن ثم نزل قوله تعالى: ﴿ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾[الفلق: ٤].

وقوله: (**في مشط ومشاطة**) بالضم رواية، وفي (القاموس)[2]: المشط مثلثة وككتف، وعنق، وعتل، ومنبر: آلة يمتشط بها، والمشاطة: ما سقط منه، والماشطة: التي تحسن المشط، وحرفتها: المشاطة بالكسر، انتهى. وبناء فعالة بالضم يجيء لما يسقط عن الشيء كقلامة وكناسة، وكان عُقِد في شَعْر لحيته ﷺ.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١٢١٢).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٦٣٣).

وَجُفِّ طَلْعَةِ ذَكَرٍ، قَالَ: فَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي بِئْرِ ذَرْوَانَ»، فَذَهَبَ النَّبِيُّ ﷺ فِي أُنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَى الْبِئْرِ، ....

وقوله: (**وجف طلعة ذكر**) أي: في غشاها، الجف بضم الجيم وتشديد الفاء: وعاء طلع النخل، وهو الغشاء الذي عليه، وفي (القاموس)[1]: الطلع من النخل: شيء يخرج كأنه نعلان مطبقان، والحمل بينهما منضود، أو ما يبدو من ثمرته في أول ظهورها، وأضاف (طلعة) إلى (ذكر)؛ لأنه يكون للنخل ذكر وأنثى، ولعل السحر من الذكر يكون أقوى، أو يكون للرجل بالذكر، وللنساء بالأنثى، وفي (المشارق)[2]: الجف بالفاء للمروزي والسمرقندي، والباء للجرجاني والعذري، كلاهما بضم الجيم، وهو قشر الطلع وغشاؤه الذي يكون فيه.

وقوله: (**في بئر ذروان**) بالذال المعجمة المفتوحة: اسم بئر، وفي بعض الروايات: (أروان) بالألف، قالوا: وكلاهما صحيح مشهور، وقال التُّوربِشْتِي[3]: أراها أصوب الروايتين؛ لأن أروان بالمدينة أشهر من ذروان، وذروان على مسيرة من المدينة، انتهى. والموجود في نسخ (المشكاة) ذروان بالذال.

وقوله: (**فذهب النبي ﷺ في أناس**) بضم الهمزة (**من أصحابه**) وجاء في رواية عن ابن عباس: أنه أرسل عليًّا وعماراً رضي الله عنهما لاستخراج السحر من بئر ذروان، فوجدا جف طلعة نخل فيه تمثاله ﷺ من شمعة وغرزت فيه عدة إبر وخيطة، وفي رواية: وتر فيه أحد عشر عقداً، فنزل جبرئيل بالمعوذتين، فكان تنحل بكل آية يتلونها عقدة،

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٧٣٥).

(٢) «مشارق الأنوار» (١/ ١٣٨).

(٣) «كتاب الميسر» (٤/ ١٢٨٦).

فَقَالَ: «هَذِهِ الْبِئْرُ الَّتِي أُرِيتُهَا وَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الْحِنَّاءِ، وَكَأَنَّ نَخْلَهَا رُؤُوسُ الشَّيَاطِينَ» فَاسْتَخْرَجَهُ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٦٣٩١، م: ٢١٨٩].

٥٨٩٤ ـ [٢٧] وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَقْسِمُ قَسْماً.......................

وكلما يخرجان منها مخيطاً يسكن ألمه ﷺ، ولعله ﷺ ذهب إلى البئر وأمرهما بدخولهما فيها، والله أعلم.

وقوله: (**والنقاعة**) بضم النون وخفة القاف وتشديدها وبمهملة: ماء ينقع فيه الحناء ونحوه، وفي (القاموس)(١): نقاعة كل شيء بالضم: الماء الذي ينقع فيه.

وقوله: (**وكأن نخلها رؤوس الشياطين**) قد يذهب الفهم إلى أن المراد بالنخل هو أشجارها التي حول البئر تشبيهاً لرؤوسها برؤوس الشياطين في قبح النظر، يعني أن البئر في مكان موحش قبيح، لكن الشيخ التُّورِبِشْتِي(٢) قال: إن المراد بالنخل طلع النخل، وأضاف إلى البئر لكونه مدفوناً فيها، والتشبيه برؤوس الشياطين لما صادفوا عليه من الوحشة وقبح المنظر، وكانت العرب تعد صور الشياطين من أقبح المناظر، وقيل: المراد بالشياطين الحيات الخبيثات، والحية يقال لها: الشياطين.

٥٨٩٤ ـ [٢٧] (**أبو سعيد الخدري**) قوله: (**وهو يقسم قسماً**) بالفتح مصدر بمعنى المقسوم، والقسم بالكسر: النصيب، والجزء من الشيء المقسوم، ويجوز أن يترك على معنى المصدر للتأكيد، والمفعول محذوف، أي: مالاً أو غنيمة، وكان في غنائم حنين قسمها بالجعرانة.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٧٠٩).

(٢) «كتاب الميسر» (٤/ ١٢٨٦).

أَتَاهُ ذُو الْخُوَيْصِرَة، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! اعْدِلْ، فَقَالَ: «وَيْلَكَ فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ؟ قَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ» فَقَالَ عُمَرُ: ائْذَنْ لِي أَضْرِبْ عُنُقَهُ، فَقَالَ: «دَعْهُ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَاباً يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاَتَهُ مَعَ صَلاَتِهِمْ وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يُنْظَرُ إِلَى نَصْلِهِ إِلَى رُصَافِهِ إِلَى نَضِيِّهِ. . . . .

وقوله: **(ذو الخويصرة)** بضم المعجمة وفتح الواو وسكون التحتانية وكسر الصاد المهملة.

وقوله: **(قد خبت وخسرت)** بضم المخاطب.

وقوله: **(يحقر)** من ضرب، أي: يقلل، تعليل لقوله: **(دعه)** لأنه نهى عن قتل المصلين، فإن قلت: قد قال في آخر الحديث: (لئن أدركتهم لأقتلنهم)؟ قلنا: إن الإباحة عند كثرتهم وإظهار الامتناع على الإمام وخروجهم عن طاعته، وهو غير موجود الآن، وكان أول ظهورهم في زمن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه.

وقوله: **(لا يجاوز تراقيهم)** كناية عن عدم صعوده إلى محل القبول والإثابة، **(يمرقون)** أي: يخرجون من الدين، ويمرون عليه من غير انتفاع به ويخرجون من طاعة الإمام بسرعة **(كما يمرق السهم من الرمية)** بفتح الراء وكسر الميم وتشديد الياء، فعيل بمعنى الرمي يعني الصيد، أي: يخرج ويمر من جانب إلى جانب آخر ولا يقر فيها، و**(ينظر)** بلفظ المجهول، و**(النصل)**: حديدة السهم والرمح، و**(رصافه)**: عصب يلوى على مدخل النصل وفوقه.

وقوله: **(نضيه)** بفتح النون وكسر الضاد وتشديد الياء.

وَهُوَ قِدْحُهُ إِلَى قُذَذِهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، قَدْ سَبَقَ الْفَرْثَ وَالدَّمَ، . . . . . .

وقوله: **(وهو قدحه)** تفسير للنضي في البين من كلام الراوي، و**(القدح)** بالكسر: السهم قبل أن يراش وينصل، والمراد ما بين الريش والنصل.

وقوله: **(إلى قذذه)** من كلام الرسول ﷺ مذكور مع أخواته بطريق التعداد، وهو بضم القاف وفتح الذال الأولى جمع قذّة بالضم: ريش السهم.

وقوله: **(فلا يوجد فيه شيء)** أي: من أثر الصيد من دم ونحوه.

وقوله: **(قد سبق الفرث والدم)** جملة حالية، والفرث بفتح الفاء وسكون الراء ومثلثة في آخره: السرجين في الكرش، أي: كما نفذ السهم في الرمية بحيث لم يتعلق به شيء من الروث والدم، كذلك دخول هؤلاء في الإسلام ثم خروجهم منه بحيث لم يؤثر فيهم، ولم يظهر علامته منهم.

واستدل بهذا الحديث من كفر الخوارج، وقال الخطابي: المراد بالإسلام والدين هنا طاعة الإمام، وجاء في رواية البخاري ومسلم وابن ماجه: (يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر الرامي في النصل فلا يرى شيئاً، وينظر في القدح فلا يرى شيئاً، وينظر في الريش فلا يرى شيئاً، ويتمارى في الفوق هل علق به من الدم شيء)، كذا أورد السيوطي في (جامع الصغير)[1]، والفوق بضم الفاء في آخره قاف: مدخل الوتر من السهم، قال بعض العلماء: هذا إشارة منه ﷺ إلى التوقف في تكفير الخوارج لشبهة الإيمان، وسئل مالك عن أهل الأهواء إكفارهم؟ قال: من الكفر هربوا، وقد يروى مثل هذا عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في شأن الخوارج، والله أعلم.

---

(١) «الجامع الصغير» (١٤٠١٣).

آيَتُهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدُ، إِحْدَى عَضُدَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ الْمَرْأَةِ، أَوْ مِثْلُ الْبَضْعَةِ تَدَرْدَرُ، وَيَخْرُجُونَ عَلَى خَيْرِ فِرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ»، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: أَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ قَاتَلَهُمْ وَأَنَا مَعَهُ، فَأَمَرَ بِذَلِكَ الرَّجُلِ فَالْتُمِسَ، فَأُتِيَ بِهِ، . . . .

وقال بعضهم في تطبيق المشبه على المشبه به: المراد بالنصل: القلب الذي هو المؤثر والمتأثر، فإذا نظرت إلى قلبه فلا تجد فيه أثراً من العبادات من الخشوع والحضور، وبالرصاف: الصدر الذي هو محل الانشراح للأوامر والنواهي فلم ينشرح لذلك، وبالنضي: البدن، والمعنى أن البدن وإن تحمل تكاليف الشرع لكن لم يحصل له من ذلك فائدة، وبالقذة: أطراف البدن التي بمثابة الآلات لأهل الصناعات، أي: لم يحصل له بها ما يحصل لأهل السعادات.

وقوله: **(آيتهم)** أي: علامتهم **(رجل)** منهم يخرج بالصفة المذكورة بعدهم، يظهر منه أثر الضلالة ما به يستحقون القتل، ويقال لهذا الرجل: ذو الثدية بضم المثلثة وفتح الدال وتشديد الياء تصغير ثدي، وهو رئيس الخوارج الذي حارب عليًّا رضي الله عنه.

وقوله: **(تدردر)** أصله: تتدردر على وزن تتدحرج، أي: تجيء وتذهب وتضطرب.

وقوله: **(ويخرجون)** أي: يخرج هذا الرجل ومن معه بالبغي **(على خير فرقة من الناس)** يريد عليًّا وأصحابه رضي الله عنه وعنهم، وفي رواية: (على حين فرقة من الناس)، و(فرقة) بضم الفاء، أي: في حين شتات أمر الناس، واضطراب أحوالهم وظهور المحاربة بينهم.

وقوله: **(فأمر)** أي: علي رضي الله عنه **(بذلك الرجل فالتمس)** بلفظ المجهول، أي: أمر بالتماسه وطلبه بين المقتولين.

حَتَّى نظَرْتُ إِلَيْهِ عَلَى نَعْتِ النَّبِـيِّ ﷺ الَّذِي نَعَتَهُ.

وَفِي رِوَايَةٍ: أَقْبَلَ رَجُلٌ غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ، نَاتِيءُ الْجَبْهَـةِ، كَثُّ اللِّحْيَـةِ، مُشْرِفُ الْوَجْنَتَيْنِ، مَحْلُوقُ الرَّأْسِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّـدُ! اتَّقِ اللهَ، فَقَالَ: «فَمَنْ يُطِعِ اللهَ إِذَا عَصَيْتُهُ، فَيَأْمَنُنِي اللهُ عَلَى أَهْلِ الأَرْضِ وَلاَ تَأْمَنُونِّي»، فَسَأَلَ رَجُلٌ قَتْلَهُ فَمَنَعَـهُ، فَلَمَّـا وَلَّى قَالَ: «إِنَّ مِنْ ضِـئْضِـئِ هَذَا قَوْماً يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلاَمِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَيَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلاَمِ، . . . .

وقوله: (**وفي رواية**) أي: بدل (أتاه ذو الخويصرة) في أول هذا الحديث، فهذا نعت ذو الخويصرة، و(**غائـر**) اسم فاعـل، والغور بمعنى ذهاب المـاء في الأرض، ويقال: غارت عينه، أي: دخلت في رأسه، و(**ناتئ الجبهة**) أي: مرتفعها من نتَا عضوُهُ ينتو نتوًّا فهو ناتٍ: ورِمَ.

وقوله: (**مشرف الوجنتين**) أي: خال الخدين، والوجنة مثلة: الخد.

وقولـه: (**فيأمننـي**) أي: يجعلنـي أميناً.

وقوله: (**مـن ضئضئ**) بكسر الضـاد المعجمتين، وقيـل: بالمهملتين أيضاً، وبالهمزتين: الأصل، والمراد من الأصل الذي هذا الرجل منه فـي النسب والمذهب، وليس المراد أنهم يتولدون منه إذ لم يكن في الخوارج قوم من نسل ذي الخويصرة.

وقال التُّوربِـشْتِي[1]: من ذهب إلى أنهم يتولدون منه فقد أبعد، إذ لم يذكر في الخوارج قوم من نسل ذي الخويصرة، والزمان الذي قال فيه رسول الله ﷺ هذا القول إلى أن نابذ المارقة عليًا ﷺ وحاربـوه لا يحتمل ذلك، بل معناه من الأصل الذي هو

---

(١) «كتاب الميسر» (٤/ ١٢٨٨).

وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ، لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٦١٦٣، م: ١٠٦٤].

٥٨٩٥ ـ [٢٨] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الإِسْلاَمِ وَهِيَ مُشْرِكَةٌ، فَدَعَوْتُهَا يَوْماً، فَأَسْمَعَتْنِي فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا أَكْرَهُ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَنَا أَبْكِي، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! ادْعُ اللهَ أَنْ يَهْدِيَ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَقَالَ: «اللهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ». فَخَرَجْتُ مُسْتَبْشِراً بِدَعْوَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا صِرْتُ إِلَى الْبَابِ فَإِذَا هُوَ مُجَافٌ، فَسَمِعَتْ أُمِّي خَشْفَ قَدَمَيَّ فَقَالَتْ: مَكَانَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَة! وَسَمِعْتُ خَضْخَضَةَ الْمَاءِ، ....

منه في النسب، أو من الأصل الذي هو عليه في المذهب، كذا قيل، انتهى. وهذا الرجل حارب عليًّا رضي الله عنه هو غير ذو الخويصرة الذي كان في زمن رسول الله ﷺ، وقد يتوهم كونهما واحداً وهو خطأ.

وقوله: (**ويدعون**) بفتح الدال، أي: يتركون.

وقوله: (**لأقتلنهم قتل عاد**) أي: لأقتلنهم وأهلكتهم بالكلية كما هلك عاد، وإطلاق القتل على عاد للمشاكلة.

٥٨٩٥ ـ [٢٨] (**أبو هريرة**) قوله: (**فأسمعتني**) بلفظ الغائبة من الإسماع، أي: قالت سيئاً.

وقوله: (**فإذا هو**) أي: الباب (**مجاف**) بضم الميم: أي: مغلق مردود.

وقوله: (**خشف**) بفتح الخاء المعجمة وسكون الشين وبالفاء بمعنى الصوت والحس والحركة.

وقوله: (**مكانك**) بالنصب، أي: الزم مكانك وقِفْ، و(**خضخضة الماء**)

فَاغْتَسَلَتْ فَلَبِسَتْ دِرْعَهَا، وَعَجِلَتْ عَنْ خِمَارِهَا، فَفَتَحَتِ الْبَابَ، ثُمَّ قَالَتْ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ! أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَنَا أَبْكِي مِنَ الْفَرَحِ، فَحَمِدَ اللهَ وَقَالَ خَيْراً. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٤٩١].

٥٨٩٦ - [٢٩] وعنهُ قَالَ: إِنَّكُمْ تَقُولُونَ: أَكْثَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَاللهُ الْمَوْعِدُ، وَإِنَّ إِخْوَتِي مِنَ الْمُهَاجِرِينَ كَانَ يَشْغَلُهُمُ الصَّفْقُ بِالأَسْوَاقِ، وَإِنَّ إِخْوَتِي مِنَ الأَنْصَارِ كَانَ يَشْغَلُهُمْ عَمَلُ أَمْوَالِهِمْ، . . . .

تحريكه، في (القاموس)[1]: الخضخضة: تحريك الماء والسويق ونحوه.

وقوله: (وعجلت) من سمع يسمع، أي: عجلت إلى فتح الباب متجاوزة عن خمارها، أي: فتحت الباب قبل أن يلبس خمارها، والمعجزة هنا ظهور أثر دعائه ﷺ في شأن أم أبي هريرة في الحال مع كونها آتية قائلة فيه ﷺ ما لا يجوز، فهو من تصرفه ﷺ فيها وتقليب قلبها على الإيمان بإذن الله، فافهم.

٥٨٩٦ - [٢٩] (وعنه) قوله: (إنكم تقولون: أكثر أبو هريرة) كأنه كان هذا القول منهم استغراباً واستبعاداً وتوهماً لعدم رعاية الاحتياط منه، لا تكذيباً وعدم قبول روايته، فافهم.

وقوله: (والله الموعد) أي: لقاء الله هو الموعد يعني به يوم القيامة، فهو يحاسبني ويجازيني على عملي من الزيادة والنقصان في حديثه ﷺ، و(الصفق بالأسواق) كناية عن البيع والشراء، صفق يده على يده، وذلك عند وجوب البيع، فإن المهاجرين كانوا أصحاب تجارات، كما أن الأنصار كانوا أصحاب زراعات، وأموال أهل المدينة

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٥٩١).

وَكُنْتُ امْرَأً مِسْكِيناً أَلْـزَمُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى مِـلْءِ بَطْنِـي، وَقَالَ النَّبِـيُّ ﷺ يَوْمـاً: «لَنْ يَبْسُطَ أَحَدٌ مِنْكُمْ ثَوْبَهُ حَتَّى أَقْضِـيَ مَقَالَتِي هَذِهِ ثُمَّ يَجْمَعَهُ إِلَى صَدْرِهِ فَيَنْسَى مِنْ مَقَالَتِي شَيْئاً أَبَداً»، فَبَسَطْتُ نَمِرَةً لَيْسَ عَلَيَّ ثَوْبٌ غَيْرَهَـا حَتَّى قَضَى النَّبِـيُّ ﷺ مَقَالَتَهُ، ثُمَّ جَمَعْتُهَا إِلَى صَدْرِي، فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ مَا نَسِيتُ مِنْ مَقَالَتِهِ ذَلِكَ إِلَى يَومِي هَذَا. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٧٣٥٤، م: ٢٤٩٢].

٥٨٩٧ ـ [٣٠] وَعَنْ جَرِيـرِ بْنِ عَبْدِاللهِ قَالَ: قَالَ لِـي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَلاَ تُرِيحُنِي مِنْ ذِي الْخَلَصَةِ؟» فَقُلْتُ: بَلَى وَكُنْتُ لاَ أَثْبُتُ عَلَى الْخَيْلِ، . .

نخيلُهم، وإذا نسبت الأموال إلى أهل مكة كان المراد الإبل.

وقوله: (على ملء بطني) أي: قانعاً واقفاً على ملء بطني، ومقتصراً عليه غير متجاوز عنه إلى طلب الزيادة.

وقوله: (حتى أقضي مقالتي) هذه إشارة إلى دعاء دعاه لأصحابه بالحفظ والوعي لأحاديث سمعوها منه ﷺ.

وقوله: (فينسى من مقالتي) جواب النفي على تقدير (أن)، والمراد بهذه المقالة كلامه وأحاديثه ﷺ التـي سمع منـه ﷺ، و(النمرة) كساء فيـه سواد وبياض، والمـراد بمقالتي المذكورة ثالثاً الأول، وبالمذكورة رابعاً هو الثاني، هذا ولكن قد يختلج وجه الإشارة في الرابعة بقوله: (ذلك) فإن الظاهر الموافق لما قبله أن يقول: فما نسيت من مقالته شيئاً، ووجهه الطيبي[1] بأن ذلك إظهار إلى الجنس باعتبار المذكور، فافهم.

٥٨٩٧ ـ [٣٠] (جرير بن عبدالله) قوله: (من ذي الخلصة) في (القاموس)[2]:

---

(١) انظر: «شرح الطيبي» (١١/ ١٢٩).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٥٧٠).

فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَضَرَبَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِي، حَتَّى رَأَيْتُ أَثَرَ يَدِهِ فِي صَدْرِي وَقَالَ: «اللهُمَّ ثَبِّتْهُ وَاجْعَلْهُ هَادِياً مَهْدِيًّا». قَالَ: فَمَا وَقَعْتُ عَنْ فَرَسِي بَعْدُ، فَانْطَلَقَ فِي مِئَةٍ وَخَمْسِينَ فَارِساً مِنْ أَحْمَسَ فَحَرَّقَهَا بِالنَّارِ وَكَسَرَهَا. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٠٢٠، م: ٢٤٧٦].

٥٨٩٨ ـ [٣١] وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: إِنَّ رَجُلاً كَانَ يَكْتُبُ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَارْتَدَّ عَنِ الإِسْلَامِ، وَلَحِقَ بِالْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ الأَرْضَ لاَ تَقْبَلُهُ»..

ذو الخلصة بفتحتين وبضمتين: بيت كان يدعى كعبة اليمانية لخثعم، كان فيه صنم، اسمه الخلصة، أو لأنه كان منبت الخلصة، والخلص محركة: شجر كالكَرْمِ يتعلق بالشجر فيعلو، طَيِّبُ الريح، انتهى.

وقوله: (فانطلق) أي: جرير، الظاهر أنه من كلام الراوي، والأحمس على وزن الأحمر لقب قريش وكنانة وجديلة ومن تابعهم في الجاهلية، لتحمسهم في دينهم أو لالتجائهم بالحمساء وهي الكعبة؛ لأن حجرها أبيض إلى السواد، والحماسة: الشجاعة، والأحمس: الشجاع، والعام الشديد، وسنة حمساء، وسنون أحامس وحمسٌ، كذا في (القاموس)(١). والحمس: الأمكنة الصلبة جمع أحمس، وحمس كفرح: اشتد وصلب في الدين والقتال، فهو حمس وأحمس، وهي حمسى.

وقوله: (بالنار) للتأكيد على مثال كتبه بيده.

٥٨٩٨ ـ [٣١] (أنس) قوله: (إن رجلاً) قيل: هو عبدالله بن أبي السرح، وهذا غلط؛ فإنه وإن كان ارتد ولكنه مات مسلماً، بل هو رجل كان نصرانيًّا فأسلم

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٤٩٩)، قوله: «كذا في القاموس» ثبت في (ع) وسقط في (ك)، و(ر) و(ب).

فَأَخْبَرَنِي أَبُو طَلْحَةَ أَنَّهُ أَتَى الأَرْضَ الَّتِي مَاتَ فِيهَا فَوَجَدَهُ مَنْبُوذاً فَقَالَ: مَا شَأْنُ هَذَا؟ فَقَالُوا: دَفَنَّاهُ مِرَاراً فَلَمْ تَقْبَلْهُ الأَرْضُ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٦١٧، م: ١٢٧٨].

٥٨٩٩ ـ [٣٢] وَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ قَالَ: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَدْ وَجَبَتِ الشَّمْسُ، فَسَمِعَ صَوْتاً فَقَالَ: «يَهُودُ تُعَذَّبُ فِي قُبُورِهَا». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ١٣٧٥، م: ٢٨٦٩].

٥٩٠٠ ـ [٣٣] وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ سَفَرٍ، فَلَمَّا كَانَ قُرْبَ الْمَدِينَةِ هَاجَتْ رِيحٌ ....

فعاد نصرانيًّا.

وقوله: (فوجده منبوذاً) أي: مطروحاً، قال في (القاموس)[1]: النبذ: طرحك الشيء أمامك أو وراءك، أو عام.

٥٨٩٩ ـ [٣٢] (أبو أيوب) قوله: (وقد وجبت الشمس) أي: غربت، من وجبت بمعنى سقطت.

وقوله: (فسمع صوتاً) الظاهر صوت يهود المعذبين، وقيل: يحتمل صوت الملائكة، أو صوت وقع العذاب، قيل: وعند الطبراني ما يؤيد الأول.

وقوله: (يهود تعذب) هو خبر مبتدأ، أي: هذه يهود، أو هو مبتدأ و(يعذب) خبره، والأول أظهر.

٥٩٠٠ ـ [٣٣] (جابر) قوله: (فلما كان قرب المدينة هاجت ريح) الهيجان لازم متعد، والهوجاء: ريح شديدة تقلع البيت من أصله.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٣١٩).

تَكَادُ أَنْ تَدْفِنَ الرَّاكِبَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بُعِثَتْ هَذِهِ الرِّيحُ لِمَوْتِ مُنَافِقٍ». فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ، فَإِذَا عَظِيمٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ قَدْ مَاتَ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.
[م: ٢٨٧٢].

٥٩٠١ ـ [٣٤] وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ حَتَّى قَدِمْنَا عُسْفَانَ، فَأَقَامَ بِهَا لَيَالِيَ، فَقَالَ النَّاسُ: مَا نَحْنُ هَهُنَا فِي شَيْءٍ، وَإِنَّ عِيَالَنَا لَخُلُوفٌ مَا نَأْمَنُ عَلَيْهِمْ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ...............................

وقوله: (تكاد أن تدفن) استعمل (كاد) استعمال (عسى) بـ (أن) والأكثر تركها في خبره، كذا قال النحاة، و(تدفن) بكسر الفاء من باب ضرب، والمراد بدفنها الراكب جعلها إياه بحيث يغيب عن أعين الناظر، أو إذهابها وإهلاكها إياه لشدتها، واللام في (لموت) للوقت، قيل: هو رفاعة بن زيد، والسفر غزوة تبوك، وقيل: رافع، والسفر غزوة بني المصطلق، كذا في الحواشي.

٥٩٠١ ـ [٣٤] (أبو سعيد الخدري) قوله: (عسفان) بضم العين: موضع على مرحلتين من مكة.

وقوله: (في شيء) أي: من الحرب، أو أعم، أي: في شيء مهم.

وقوله: (وإن عيالنا لخلوف) بضم الخاء جمع خلف أو خالف، في (القاموس)[1]: هم الذين ذهبوا من الحي، ومن حَضَر منهم، وفي (النهاية)[2]: يقال: حيّ خلوف: إذا غاب الرجال وأقامت النساء، ويطلق على المقيمين والظاعنين، انتهى. وفي حديث

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٧٤٤).
(٢) «النهاية» (٢/ ٦٨).

مَا فِي الْمَدِينَةِ شِعْبٌ وَلاَ نَقْبٌ إِلاَّ عَلَيْهِ مَلَكَانِ يَحْرُسَانِهَا حَتَّى تَقْدَمُوا إِلَيْهَا»، ثُمَّ قَالَ: «ارْتَحِلُوا»، فَارْتَحَلْنَا وَأَقْبَلْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ، فَوَالَّذِي يُحْلَفُ بِهِ مَا وَضَعْنَا رِحَالَنَا حِينَ دَخَلْنَا الْمَدِينَةَ حَتَّى أَغَارَ عَلَيْنَا بَنُو عَبْدِاللهِ بْنِ غَطَفَانَ، وَمَا يُهَيِّجُهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ شَيْءٌ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ١٣٧٤].

٥٩٠٢ ـ [٣٥] وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: أَصَابَتِ النَّاسَ سَنَةٌ. . . . .

المزادتين: (وَنَفَرُنا خلوف)[١] أي: رجالنا غيب، والخالف: المستسقي، أو الغائب، أي: خرج رجالنا للاستسقاء، أو غابوا وخلفونا.

وقوله: (**شعب**) بالكسر: الطريق في الجبل، و(**النقب**) بفتح النون وسكون القاف أيضاً: الطريق في الجبل، ولكن المراد هنا الطريق بين الدارين، وفيه حديث: (وعلى أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال)[٢]، والأنقاب جمع قلة للنقب، ويجيء النقبة أيضاً بهذا المعنى، كأنه نقب من هذه وهذه، والنقب في الأصل بمعنى الثقب بالمثلثة.

وقوله: (**إلا عليه**) أي: على كل واحد، و(**يحرسانها**) بضم الراء من نصر.

وقوله: (**حتى تقدموا**) بفتح الدال من القدوم من سمع.

وقوله: (**فالذي يحلف به**) أي: يقسم به وهو الله تعالى، و(**غطفان**) بالمعجمة والمهملة المفتوحتين.

٥٩٠٢ ـ [٣٥] (أنس) قوله: (**سنة**) أي: قحط، والسنة اسم للعام، ويطلق على القحط، كأنها غلب على سنة فيها القحط لاختصاصه بشيء وقع فيها من بين سائر

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٣٤٤).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٧١٣٣).

عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَبَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ قَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! هَلَكَ الْمَالُ، وَجَاعَ الْعِيَالُ، فَادْعُ اللهَ لَنَا، فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَمَا نَرَى فِي السَّمَاءِ قَزَعَةً، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا وَضَعَهَا حَتَّى ثَارَ السَّحَابُ أَمْثَالَ الْجِبَالِ، ثُمَّ لَمْ يَنْزِلْ عَنْ مِنْبَرِهِ حَتَّى رَأَيْتُ الْمَطَرَ يَتَحَادَرُ عَلَى لِحْيَتِهِ، فَمُطِرنَا يَوْمنَا ذَلِك، وَمِنَ الْغَدِ وَمِنْ بَعدِ الْغَدِ حَتَّى الْجُمُعَةِ الأُخْرَى، وَقَامَ ذَلِكَ الأَعْرَابِيُّ أَوْ غَيْرُهُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! تَهَدَّمَ الْبِنَاءُ، وَغَرِقَ الْمَالُ، فَادْعُ اللهَ لَنَا، فَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: ....

السنين، فهي من الأسماء الغالبة كالدابة ونحوها.

وقوله: (قزعة) بالقاف والزاي المفتوحتين: قطعة من سحاب، في (القاموس)[1]: القزع محركة: قِطَعٌ من السحاب، والواحد بهاء.

وقوله: (ما وضعها) هكذا وجدنا في النسخ بضمير الواحدة، والظاهر أنه يرجع إلى اليدين، فهي إما باعتبار إرادة جنس اليد، ويجوز أن يرجع إلى اليد الواحدة للمبالغة في سرعة القبول، كأنه قال: بأن ما وضع يداً واحدة فثار السحاب قبل أن يضع الأخرى، وفي (جامع الأصول)[2]: ما وضعهما بضمير التثنية، وما وجدنا هذه الكلمة في الصحيحين.

وقوله: (يتحادر) أي: ينزل، وذلك لوكف المسجد؛ فإنه كان المسجد إذا نزل مطر وكف.

وقوله: (أو غيره) هكذا في (المصابيح) بطريق الشك، وجاء في رواية: ثم دخل

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٦٩٣).

(٢) «جامع الأصول» (٦/ ١٩٥).

«اللهُمَّ حَوَالَيْنَا، وَلاَ عَلَيْنَا»، فَمَا يُشِيرُ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنَ السَّحَابِ إِلاَّ انْفَرَجَتْ وَصَارَتِ الْمَدِينَةُ مِثْلَ الْجَوْبَةِ، ....

رجل في الجمعة المقبلة، وهذا ظاهر في أنه غير الأول، وفي رواية: حتى جاء ذلك الأعرابي في الجمعة الأخرى، وهذا يقتضي الجزم بكونه واحداً، وكلاهما من أنس، فلعل ذكره بعد أن نسيه أو نسيه بعد أن ذكره، فلهذا ذكره صاحب (المصابيح) بالشك، وتبع المؤلف.

وقوله: (**اللهم حوالينا ولا علينا**) يعني أنزل الغيث في المزارع لا على الأبنية، يقال: قعدوا حوله وحواله وحوليه وحواليه بفتح اللام دون كسرها كلها بمعنى، فالأصل: حول وحوال، وقد يثنى قصداً إلى التعدد والتكرار، وليس حوالي جمعاً حتى يكسر لامه، لكنه إنما ذكر (حوالينا) دون حولنا وحوالنا لمراعاة الازدواج مع (علينا)، والواو في (ولا علينا) للعطف بتقدير لا تمطر عطفاً على أمطر المقدر قبل، وقال الشيخ[١]: ليست الواو خالصة للعطف بل للتعليل كقولهم: تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها؛ فإن الجوع ليس مقصوداً بعينه بل لكونه مانعاً من الرضاع بأجرة إذ كانوا يكرهونه، فافهم.

وقوله: (**إلى ناحية من السحاب**) وفي رواية: (إلى ناحية من السماء)، و(**الجوبة**) بفتح الجيم وسكون الواو وبالموحدة: الفرجة في السحاب، وهنا حذف أي: صار جو المدينة مثل الفرجة في السحاب، أي: خالياً عن السحاب، كذا قال الشيخ[٢]، وفي (النهاية)[٣]: الجوبة: هي الحفرة المستديرة الواسعة وكل مُنفَتِق بلا بناء: جوبة،

---

(١) «فتح الباري» (٢/ ٥٠٥).

(٢) «فتح الباري» (٢/ ٥٠٦).

(٣) «النهاية» (١/ ٣١٠).

وَسَالَ الْوَادِيُّ قَنَاةً شَهْراً، وَلَمْ يَجِىءْ أَحَدٌ مِنْ نَاحِيَةٍ إِلاَّ حَدَّثَ بِالْجَوْدِ. وَفِي رِوَايَةٍ قَالَ: «اللهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلاَ عَلَيْنَا، . . . .

أي: حتى صار السحاب محيطاً بآفاق المدينة دونها، وفي (القاموس)[1]: الجوب: الترس، والجوبة: الحفرة، والمكان الوطيء، وجاء في رواية: وصارت المدينة كالإكليل.

وقوله: **(وسال الوادي قناة)** بفتح القاف وتخفيف النون، والمشهور في الرواية بالنصب على الحال، أي: مثل قناة، أو على المصدر، أي: سيلان قناة، والشبه في الدوام والاستمرار والقوة، وعلى هذا لا يتم ما قيل: إن تفسير قناة بالرمح أولى منه بما حفر في الأرض واستنبط منه الماء، ويقال بالفارسية: كاريز، لأنه قلما تبلغ القُنِيُّ في كثرة مائها مبلغ السيول، وظهر أن جعلها تمييزاً على المعنى الأول بمعنى قدر قناة ضعيف لما ذكر، ولأن القُنِيَّ يختلف مقاديرها بحسب اختلاف متابعها وموادها، فيتفاوت تفاوتاً، ويصح على تقدير إرادة الرمح مبالغة، فافهم.

وفي بعض الحواشي: أن قناة علم أرض ذات مزارع بناحية أحد، وأوديتها أحد أودية المدينة المشهورة، وذكروا أن أول من سماه وادي قناة تبع اليماني لما قدم يثرب قبل الإسلام، ولعله من تسمية الشيء باسم ما حاذاه، وقناة في هذه الرواية بالضم على البدل أو البيان. وفي رواية البخاري: حتى سال الوادي وادي قناة[2]، وعلى هذه الرواية قناة مفتوح بغير تنوين.

وقوله: **(إلا حدث بالجود)** أي: أخبر به، والجود بفتح الجيم وسكون الواو:

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٧٨).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (١٠٣٣).

اللهُمَّ عَلَى الآكَامِ وَالظِّرَابِ وَبُطُونِ الأَوْدِيَةِ وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ». قَالَ: فَأُقْلِعَتْ، وَخَرَجْنَا نَمْشِي فِي الشَّمْسِ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ١٠٣٣، م: ٨٩٧].

٥٩٠٣ ـ [٣٦] وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا خَطَبَ اسْتَنَدَ إِلَى جِذْعِ نَخْلَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ، فَلَمَّا صُنِعَ لَهُ الْمِنْبَرُ فَاسْتَوَى عَلَيْهِ، صَاحَتِ النَّخْلَةُ الَّتِي كَانَ يَخْطُبُ عِنْدَهَا حَتَّى كَادَتْ أَنْ تَنْشَقَّ، فَنَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى أَخَذَهَا فَضَمَّهَا إِلَيْهِ، ....

المطر الغزير، أو ما لا مطر فوقه، جمع جائد، كذا في (القاموس)[1].

وقوله: (**والآكام**) بفتح الهمزة ممدودة وكسرها مقصورة جمع أكمة محركة، وهو ما ارتفع من الأرض، وفي (القاموس)[2]: الأكمة محركة: الموضع الذي أشد ارتفاعاً مما حوله، وهو غليظ لا يبلغ أن يكون حجراً، والجمع أُكَمٌ، محركةٍ، وبضمتين، وكأَجْبُل وجبال وأَجْبَال، و(**الظراب**) بالظاء المعجمة جمع ظرب ككتف: ما نتأ من الحجارة وحُدّ طرفه، أو الجبل المنبسط، أو الصغير.

وقوله: (**فأقلعت**) بلفظ المجهول من الإقلاع، يقال: أقلع المطر: انقطع، وأقلعت عنه الحمى: فارقته، كذا في (النهاية)[3]، والضمير في (أقلعت) للسحاب، فإنه اسم جنس أو جمع سحابة.

٥٩٠٣ ـ [٣٦] (**جابر**) قوله: (**إلى جذع نخلة**) بكسر الجيم وسكون الذال أي: ساقها، و(**سواري المسجد**) أسطواناته جمع سارية.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٢٦٣).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٩٩٤).

(٣) «النهاية» (٤/ ١٠٢).

فَجَعَلَتْ تَئِنُّ أَنِينَ الصَّبِيِّ الَّذِي يُسَكَّتُ حَتَّى اسْتَقَرَّتْ، قَالَ: «بَكَتْ عَلَى مَا كَانَتْ تَسْمَعُ مِنَ الذِّكْرِ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٣٥٨٤].

وقوله: (**فجعلت تئن أنين الصبي**) في (القاموس)[١]: أنّ يئن أنًّا وأنيناً وأناناً: تأوّه، وفي (الصراح)[٢]: أنين: ناله وناليدن من ضرب يضرب، وجاء في بعض الروايات: حنّ حنين الناقة، والحنين: الشوق والانعطاف، والمراد هنا الصوت الدال على شوقه إلى رسول الله ﷺ.

وقوله: (**يسكت**) بلفظ المجهول من التسكيت.

اعلم أن حديث حنين الجذع روي عن جماعة من الصحابة من طرق كثيرة يفيد القطع بوقوع ذلك، ونقل في (المواهب اللدنية)[٣] عن العلامة تاج الدين السبكي من أكابر مشاهير علماء الشافعية أنه قال: والصحيح عندي أن حديث حنين الجذع متواتر، وقال الحافظ ابن حجر في (فتح الباري)[٤]: حنين الجذع وانشقاق القمر نقل كل منهما نقلاً مستفيضاً يفيد القطع عند من يطلع على طرق الحديث دون غيرهم مما لا ممارسة له في ذلك، وقال البيهقي: قصة حنين الجذع من الأمور الظاهرة التي حملها الخلف عن السلف، انتهى.

وقال القاضي عياض في (الشفا)[٥]: حديث حنين الجذع مشهور منتشر، والخبر

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١٠٨٤).

(٢) «الصراح» (ص: ٥٠٠).

(٣) «المواهب اللدنية» (٢/ ٥٤٢).

(٤) «فتح الباري» (٦/ ٥٩٢).

(٥) «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» (١/ ٣٠٣).

. . . .

بـه متواتر أخرجه أهـل الصحيح، ورواه مـن الصحابة بضعة عشر نفساً، فمنه حديث جابر بـن عبدالله قـال: (كـان المسجد مسقوفاً علـى جذوع نخل، فكان النبي ﷺ إذا خطب يقوم إلى جذع، فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العِشَار)[١]، وفي روايـة: حتى ارتج المسجد بخواره[٢]، وفي روايـة سهل: وكثر بكاء الناس لما رأوا ما بـه. وفي رواية أبي: حتى تصدّع وانشق حتى جاء النبي ﷺ فوضع يـده عليـه فسكنت[٣]، وزاد غيره فقال النبي ﷺ: (إن هذا بكى لما فقد من الذكر)[٤]، وزاد غيره: (والذي نفسي بيده لو لم نلتزمه لم يزل هكذا إلى يوم القيامة تحزناً على رسول الله ﷺ)، فأمر بـه رسول الله فدفن تحت المنبر[٥]، وفي حديث أبي: فكان إذا صلى النبـي ﷺ صلى إليه، فلما هدم المسجد أخذه أبي فكان عنده إلى أن أكلته الأرضة وعاد رُفاتاً[٦]، وذكـر الإسفرائني أن النبي ﷺ دعاه إلى نفسه، فجاء يخرق الأرض فالتزمـه، ثم أمره فعاد إلى مكانه.

وفي حديث بريدة: فقال ـ يعني النبي ﷺ ـ: إن شئت أردك إلى الحائط، أي: البستان الذي كنت فيه تنبت لك عروقك، ويكمل خلقك، ويجدد لك خوص وتمرة، وإن شئت أغرسك في الجنة فيأكل أولياء الله من ثمرك، ثم أصغى له النبي ﷺ يستمع

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٣٥٨٥).
(٢) أخرجه ابن خزيمة في «صحيحه» (٣/ ١٤٠).
(٣) أخرجه ابن ماجه في «سننه» (١٤١٤).
(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣/ ٣٠٠).
(٥) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٣/ ١٤٠).
(٦) أخرجه ابن ماجه في «سننه» (١٤١٤).

٥٩٠٤ ـ [٣٧] وَعَنْ سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ: أَنَّ رَجُلاً أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِشِمَالِهِ، فَقَالَ: «كُلْ بِيَمِينِكَ» قَالَ: لاَ أَسْتَطِيعُ. قَالَ: «لاَ اسْتَطَعْتَ»، مَا مَنَعَهُ إِلاَّ الْكِبْرُ، قَالَ: فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٠٢١].

٥٩٠٥ ـ [٣٨] وَعَنْ أَنَسٍ: أَنَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَزِعُوا مَرَّةً، فَرَكِبَ النَّبِيُّ ﷺ فَرَساً لِأَبِي طَلْحَةَ بَطِيئاً وَكَانَ يَقْطِفُ، فَلَمَّا رَجَعَ قَالَ: «وَجَدْنَا فَرَسَكُمْ هَذَا بَحْراً». فَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ لاَ يُجَارَى................

القول، فقال: بل تغرسني في الجنة فيأكل مني أولياء الله وأكون في مكان لا أبلى فيه، فسمعه من يليه، فقال النبي ﷺ: (قد فعلت ذلك)، ثم قال: (اختار دار البقاء على دار الفناء)، فكان الحسن إذا حدث بهذا بكى وقال: يا عباد الله! الخشبة تحن إلى رسول الله ﷺ شوقاً إليه لمكانه، فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى لقائه ﷺ.

٥٩٠٤ ـ [٣٧] (سلمة بن الأكوع) قوله: **(ما منعه إلا الكبر)** يعني: لا العجز، وهذا قول الراوي ذكره بياناً لموجب دعائه ﷺ.

وقوله: **(ما رفعها إلى فيه)** أي: ما رفع الرجل يمينه إلى فيه بعد ذلك.

٥٩٠٥ ـ [٣٨] (أنس) قوله: **(يقطف)** أي: يتقارب خطاه، من قطف الدابة: ضاق مشيها، من ضرب ونصر، والقطاف بالكسر: مقاربة الخطو.

وقوله: **(وجدنا فرسكم هذا بحرا)** قال الطيبي[1]: شبه الفرس بالبحر في سعة خطوه وسرعة جريه، وقيل: سماه بحراً باعتبار أن جريه لا ينفذ كما لا ينفذ البحر.

وقوله: **(لا يجارى)** بلفظ المجهول، من جاراه مجاراة: إذا جرى معه، والمراد

(١) «شرح الطيبي» (١١/ ١٣٥).

وَفِي رِوَايَةٍ: فَمَا سُبِقَ بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٢٨٦٧].

٥٩٠٦ ـ [٣٩] وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ: تُوُفِّيَ أَبِي وَعَلَيْهِ دَيْنٌ، فَعَرَضْتُ عَلَى غُرَمَائِهِ أَنْ يَأْخُذُوا التَّمْرَ بِمَا عَلَيْهِ، فَأَبَوْا فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: قَدْ عَلِمْتَ أَنَّ وَالِدِي اسْتُشْهِدَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَتَرَكَ دَيْناً كَثِيراً، وَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ يَرَاكَ الْغُرَمَاءُ، فَقَالَ لِي: «اذْهَبْ فَبَيْدِرْ كُلَّ تَمْرٍ عَلَى نَاحِيَةٍ» فَفَعَلْتُ، ثُمَّ دَعَوْتُهُ، فَلَمَّا نَظَرُوا إِلَيْهِ كَأَنَّهُمْ أُغْرُوا بِي تِلْكَ السَّاعَةَ، فَلَمَّا رَأَى مَا يَصْنَعُونَ طَافَ حَوْلَ أَعْظَمِهَا بَيْدَراً ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ جَلَسَ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «ادْعُ لِي أَصْحَابَكَ». فَمَا زَالَ يَكِيلُ لَهُمْ حَتَّى أَدَّى اللهُ عَنْ وَالِدِي أَمَانَتَهُ، وَأَنَا أَرْضَى أَنْ يُؤَدِّيَ اللهُ أَمَانَةَ وَالِدِي، وَلَا أَرْجِعُ إِلَى أَخَوَاتِي بِتَمْرَةٍ، ....

المعارضة، وفي رواية: لا يحاذى بالحاء المهملة والذال المعجمة.

٥٩٠٦ ـ [٣٩] (جابر) قوله: (فبيدر) بكسر الدال: أمر بجمع كل قسم من التمر في بيدرة، وهو الكدس.

وقوله: (أغروا بي) بلفظ الماضي المجهول من الإغراء، أي: أغراهم الناس على المطالبة بطريق اللجاج والإلحاح، وأصله كقوله تعالى: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾[المائدة: ١٤] بمعنى ألقيناهما، وأصله من الغراء بالكسر والمد، وإذا فتحت الغين قصرته: شيء يلزق به، يقال له بالفارسية: سريشم، وغروت الجلد: ألصقته بالغراء، وقوس مغروة ومغرية، والضمير في (أعظمها) للبيادر أو الصُّبَر المفهومة من السياق، والمراد بـ (الإمانة) هنا الدين.

وقوله: (ولا أرجع) بالنصب عطف على (يؤدي)، وفي بعض النسخ بالرفع فيكون حالاً بتقدير: وأنا لا أرجع، وكان لجابر أخوات تركهن أبوه، وجاء في حديث

فَسَلَّمَ اللهُ الْبَيَادِرَ كُلَّهَا، وَحَتَّى إِنِّي أَنْظُرُ إِلَى الْبَيْدَرِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ كَأَنَّهَا لَمْ تَنْقُصْ تَمْرَةٌ وَاحِدَةٌ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٤٠٥٣].

٥٩٠٧ ـ [٤٠] وَعَنْهُ قَالَ: إِنَّ أُمَّ مَالِكٍ كَانَتْ تُهْدِي لِلنَّبِيِّ ﷺ فِي عُكَّةٍ لَهَا سَمْناً، فَيَأْتِيهَا بَنُوهَا فَيَسْأَلُونَ الأُدُمَ، وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ شَيْءٌ فَتَعْمِدُ إِلَى الَّذِي كَانَتْ تُهْدِي فِيهِ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَتَجِدُ فِيهِ سَمْناً، فَمَا زَالَ يُقِيمُ لَهَا أُدُمَ بَيْتِهَا، حَتَّى عَصَرَتْهُ، فَأَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ..........................

آخر حين قال له رسول الله ﷺ: (هلا تزوجت بكراً)، أنه قال: إنما تزوجت ثيباً لتخدم أخواتي وهن صغائر[1]، أو كما قال.

وقوله: (**البيدر الذي كان عليه النبي**ﷺ) مع أنه قد أدى الدين من ذلك البيدر، فالبيادر التي غيره سلمت بطريق الأولى، و(**تمرة واحدة**) بالرفع والنصب، ونقص لازم ومتعد، والضمير في (**كأنها**) للقصة.

٥٩٠٧ ـ [٤٠] (**وعنه**) قوله: (**في عكة**) بضم المهملة وتشديد الكاف: آنية السمن أصغر من القربة.

وقوله: (**فيأتيها**) أي: أم مالك (**بنوها**).

وقوله: (**وليس عندهم شيء**) أي: من الأدم لإهدائها السمن إليه ﷺ، ويظهر من هذا أن السمن أدم.

وقوله: (**فتعمد**) أي: أم مالك (**إلى الذي**) أي: الظرف الذي، والضمير في (**يقيم**) لهذا الظرف أو للسمن الذي فيه، و(**أدم بيتها**) مفعوله، وكذا في (**حتى عصرته**)،

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٢٩٦٧).

فَقَالَ: «عَصَرْتِيهَا؟» قَالَتْ: نعَمْ، قَالَ: «لَوْ تَرَكْتِيهَا مَـا زَالَ قَائِمـاً». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٨٨٠].

٥٩٠٨ ـ [٤١] وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ أَبُو طَلْحَةَ لأُمِّ سُلَيْمٍ: لَقَدْ سَمِعْتُ صَـوْتَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ضَعِيفاً أَعْـرِفُ فِيـهِ الْجُوعَ، فَهَلْ عِنْـدَكِ مِنْ شَيْءٍ؟ فَقَالَتْ: نعَمْ، فَأَخْرَجَتْ أَقْرَاصاً مِنْ شَعِيرٍ، ثُمَّ أَخْرَجَتْ خِمَاراً لَهَا، فَلَفَّتِ الْخُبْزَ بِـبَعْضِـهِ، ثُمَّ دَسَّتْهُ تَحْتَ يَـدِي وَلاَثَتْنِي بِـبَعْضِـهِ، ثُمَّ أَرْسَلَتْنِـي إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَذَهَبْتُ بِهِ، فَوَجَدْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ وَمَعَهُ النَّاسُ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: ....

واليـاء فـي (عصرتيها) و(تركتيها) أي: العكـة لإشباع الكسرة، وهـذا في الأحاديث كثير.

٥٩٠٨ ـ [٤١] (أنس) قوله: (فأخرجت خماراً) بالكسر: ما سترت المرأة به رأسها، وفي (القاموس)[١]: كل ما ستر شيئاً فهو خماره.

وقولـه: (ثم دسته) أي: أخفتـه وأدخلتـه (تحت يدي) يعني إبطي، والدس: الإخفاء ودفن الشيء.

وقوله: (ولاثتني) من اللوث وهو عصب العمامة، أي: عممتني، أي: غطت ببعض الخمار رأسي، أي: لففت بعضه على رأسي وبعضه على إبطي.

وقولـه: (في المسجـد) قال الشيخ[٢]: المـراد بالمسجد الموضع الذي أعده

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٣٦١).

(٢) «فتح الباري» (٦/ ٥٨٨).

«أَرْسَلَكَ أَبُو طَلْحَةَ؟» قُلْتُ: نعَمْ، قَالَ: «بِطَعَامٍ؟» قُلْتُ: نعَمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِمَنْ مَعَهُ: «قُومُوا»، فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقْتُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ حَتَّى جِئْتُ أَبَا طَلْحَةَ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: يَا أُمَّ سُلَيْمٍ! قَدْ جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالنَّاسِ وَلَيْسَ عِنْدَنَا مَا نُطْعِمُهُمْ، ....

النبي ﷺ للصلاة فيه حين محاصرة الأحزاب للمدينة في غزوة الخندق.

وقوله: (**أرسلك**) بحذف حرف الاستفهام، أو قال: بهمزة ممدودة للاستفهام.

وقوله: (**قوموا**) ظاهره أنه ﷺ فهم أن أبا طلحة استدعاه إلى منزله وإلا فقد علم أن أبا طلحة وأم سليم أرسلا الخبز مع أنس رضي الله عنه إليه ﷺ فلأي شيء قام وانطلق؟ ويمكن أن يقال: إن رسول الله ﷺ علم بإرسال الخبز ولكنه قام وانطلق إلى بيت أبي طلحة من غير أن دعاه أبو طلحة إظهاراً للمعجزة والبركة لأصحابه.

وقال الشيخ[1]: يجمع بأنهما أرادا بإرسال الخبز مع أنس أن يأخذه النبي ﷺ فيأكله، فلما وصل أنس ورأى كثرة الناس استحيا، وظهر له أن يدعوه ﷺ ليقوم معه وحده إلى المنزل فيحصل مقصودهم من إطعامه، أقول: هذا لا يخلو عن بعد؛ لأن أنساً رضي الله عنه صغيراً تابعاً لهما فيبعد أن يدعوه من غير إذن منهما، ثم قال: ويحتمل أن يكون ذلك على رأي أبي طلحة أرسله وعهد إليه إذا رأى كثرة الناس دعا النبي ﷺ خشية أن لا يكفيهم ذلك النبي ومن معه، وقد عرفوا إيثاره ﷺ وأنه لا يأكل وحده، قال: وقد وجدت أكثر الروايات تقتضي أن أبا طلحة استدعى النبي ﷺ في هذه الواقعة، والله أعلم.

---

(١) «فتح الباري» (٦/ ٥٨٩).

فَقَالَتْ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَانْطَلَقَ أَبُو طَلْحَةَ حَتَّى لَقِيَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَبُو طَلْحَةَ مَعَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَلُمِّي يَا أُمَّ سُلَيْمٍ مَا عِنْدَكِ» فَأَتَتْ بِذَلِكَ الْخُبْزِ، فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَفُتَّ، وَعَصَرتْ أُمُّ سُلَيْمٍ عُكَّةً فَأَدَمَتْهُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِيهِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ، ثُمَّ قَالَ: «ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ»، فَأَذِنَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ: «ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ»، ثُمَّ لِعَشَرَةٍ، فَأَكَلَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ وَشَبِعُوا، وَالْقَوْمُ سَبْعُونَ أَوْ ثَمَانُونَ رَجُلاً. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٥٧٨، م: ٢٠٤٠].

وقوله: (**فقالت: الله ورسوله أعلم**) قال الشيخ[(١)]: كأنها عرفت أنه فعل ذلك ليظهر الكرامة والبركة في تكثير ذلك الطعام، انتهى. وهذا مما يستأنس به على ما ذكرنا أنه ﷺ إنما قام وانطلق لقصد إظهار المعجزة، فافهم.

وقوله: (**ففت**) بلفظ المجهول من الفت بمعنى الكسر.

وقوله: (**فأدمته**) أي جعلت ما خرج من العكة من السمن إداماً للفتيت.

وقوله: (**ثم قال: ائذن لعشرة**) قيل: إنما لم يأذن للكل مرة واحدة؛ لأن الجمع الكثير إذا نظروا إلى طعام قليل يزداد حرصهم إلى الأكل، ويظنون أن ذلك الطعام لا يشبعهم، والحرص عليه ممحقة للبركة، وقيل: لضيق المنزل، وقال الطيبي[(٢)]: ليكون أرفق بهم، فإن القصعة التي فيها الطعام لا يتحلق عليها أكثر من عشرة إلا بضرر يلحقه لبعدها عنهم.

وقوله: (**سبعون أو ثمانون**) كذا وقع هنا بالشك، وفي غير هذا بالجزم بالثمانين،

---

(١) «فتح الباري» (٦/ ٥٩٠).

(٢) «شرح الطيبي» (١١/ ١٣٨).

وَفِي رِوَايَـةٍ لِمُسْلِمٍ أَنَّـهُ قَالَ: «ائْـذَنْ لِعَشَرَةٍ» فَدَخَلُـوا فَقَالَ: «كُلُـوا وَسَمُّوا اللهَ». فَأَكَلُـوا، حَتَّـى فَعَـلَ ذَلِكَ بِثَمَانِينَ رَجُلاً، ثُمَّ أَكَلَ النَّبِـيُّ ﷺ وَأَهْلُ الْبَيْتِ وَتَرَكَ سُؤْراً.

وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ قَالَ: «أَدْخِلْ عَلَيَّ عَشَرَةً». حَتَّى عَدَّ أَرْبَعِينَ، ثُمَّ أَكَلَ النَّبِـيُّ ﷺ، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ هَلْ نَقَصَ مِنْهَا شَيْءٌ؟

وَفِي رِوَايَـةٍ لِمُسْلِمٍ: ثُمَّ أَخَذَ مَا بَقِيَ فَجَمَعَهُ، ثُمَّ دَعَا فِيهِ بِالْبَرَكَةِ فَعَادَ كَمَا كَانَ فَقَالَ: «دُونَكُمْ هَذَا».

٥٩٠٩ ـ [٤٢] وَعَنْهُ قَالَ: أُتِيَ النَّبِـيُّ ﷺ بِإِنَاءٍ وَهُوَ بِالزَّوْرَاءِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي الإِنَاءِ، ....

وفي رواية: بضعة وثمانين، ولا منافاة لاحتمال إبقاء الكسر، لكن في رواية عند أحمد: (حتى أكل منه أربعون وبقيت كما هي)، وهو يفيد التغاير وأن تكون القضية متعددة، كذا قال الشيخ[1]، ويمكـن أن يقال: لا ينافـي هذا روايـة ثمانين، وغاية ما تدل عليه أنه ﷺ أكل بعد تمام أربعين في البين، ولعله أكل أربعون آخرون بعده ﷺ، والله أعلم.

وقوله: (**وترك سؤرا**) بالهمزة، أي بقية من الطعام، وهذا بعد أن أكلوا، وبقي منه شيء قبل أن دعا فيه بالبركة.

وقولـه فـي الرواية الثانية: (**فجعلـت أنظر هـل نقص منها شيء**) بعد أن دعا، والرواية الثالثة بيان للروايتين السابقتين فلا منافاة بين الروايات الثلاث، فافهم.

٥٩٠٩ ـ [٤٢] (**وعنه**) قوله: (**وهو بالزوراء**) بفتح الزاي مكان معروف بالمدينة

---

(١) «فتح الباري» (٦/ ٥٩١).

فَجَعَلَ الْمَاءُ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ، فَتَوَضَّأَ الْقَوْمُ، قَالَ قَتَادَةُ: قُلْتُ لأَنَسٍ: كَمْ كُنْتُمْ؟ قَالَ: ثَلَاثَ مِئَةٍ أَوْ زُهَاءُ ثَلَاثِ مِئَةٍ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٥٧٢، م: ٢٢٧٩].

٥٩١٠ ـ [٤٣] وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: كُنَّا نَعُدُّ الآيَاتِ بَرَكَةً، وَأَنْتُمْ تَعُدُّونَهَا تَخْوِيفاً، كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَقَلَّ الْمَاءُ فَقَالَ: «اطْلُبُوا فَضْلَةً مِنْ مَاءٍ». فَجَاؤُوا بِإِنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ قَلِيلٌ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي الإِنَاءِ، ثُمَّ قَالَ: «حَيَّ عَلَى الطَّهُورِ الْمُبَارَكِ، ....

عند السوق، وقد سبق ذكره في (باب الاستسقاء)، و(ينبع) مثلثة الباء، و(زهاء) بضم الزاي ممدوداً، أي: قدر ثلاث مئة تخميناً، زها: قدّر وحَزَرَ.

٥٩١٠ ـ [٤٣] (عبدالله بن مسعود) قوله: (كنا) أي: أصحاب رسول الله ﷺ (نعد) أي: نحسب ونعتقد في زمنه ﷺ (الآيات) القرآنية التي كانت تنزل من السماء، أو المعجزات التي تظهر على يده، وهذا أوفق بسياق الحديث (بركة) ونوراً يحصل في قلوبنا من ذلك، (وأنتم) خطاب لمن بعدهم، أي: أنتم أيها الناس تحسبون أن فائدتها كانت تخويفاً وإنذاراً للكافرين والمنكرين لها، نعم أنها كانت إنذاراً لهم، ولكنها كانت مورثة للبشارة والبركة في قلوب المؤمنين المحبين المعتقدين، فافهم. ويجوز أن يكون المراد أنه ما كان الغرض من نقل المعجزات في زمن الصحابة إلا التبرك والتيمن بذكر النبي ومعجزاته ﷺ لعدم المخالفين الذين من شأنهم التخويف والإنذار، بخلاف هذا الزمان الذي جاء بعد فإنه قد يقع الغرض من نقلها ذلك، وهذا حكم باعتبار البعض أو مبالغة، والله أعلم.

وقوله: (اطلبوا فضلة) بفتح الفاء وسكون الضاد: البقية كالفضل والفضالة

وَالْبَرَكَةُ مِنَ اللهِ» وَلَقَدْ رَأَيْتُ الْمَاءَ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَدْ كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وَهُوَ يُؤْكَلُ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٣٥٧٩].

٥٩١١ - [٤٤] وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّكُمْ تَسِيرُونَ عَشِيَّتَكُمْ وَلَيْلَتَكُمْ، وَتَأْتُونَ الْمَاءَ إِنْ شَاءَ اللهُ غَداً»، فَانْطَلَقَ النَّاسُ لاَ يَلْوِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، قَالَ أَبُو قَتَادَةَ: فَبَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَسِيرُ حَتَّى ابْهَارَّ اللَّيْلُ فَمَالَ عَنِ الطَّرِيقِ، ....

بالضم، وقد فضل كنصر وحسب، كذا في (القاموس)[1]، قالوا: إنما طلب فضلة من الماء كيلا يظن أنه ﷺ موجد للماء، فإن الإيجاد إلى الله سبحانه، وإليه أشار بقوله: (**والبركة من الله**)، أقول: وهكذا وقع في تكثير الماء والطعام ونحوهما من وجود بقية يكون كالمادة لها، ولا يدرى سببه في الحقيقة، وكذا أمره ﷺ بتغطية الظرف وعدم النظر فيه والتفحص عنه، حتى إذا كشف ونظر ارتفع أثر المعجزة، نعم يذكرون لذلك الوجوه، والله أعلم بحقيقة الأمر.

وقوله: (**ينبع من بين أصابعه**) صريح في خروج الماء من نفس أصابعه ﷺ ونبوعه منها، ولهذا فضل ذلك على خروج الماء عن الحجر كما لموسى عليه السلام، فلا يلتفت بعد ذلك إلى خلاف قوم وقولهم: إن الله تعالى أكثر الماء في ذاته فصار يفور من بين أصابعه، وأيّ باعث على هذا التأويل!

٥٩١١ - [٤٤] (**أبو قتادة**) قوله: (**لا يلوي**) من اللي وهو الميل والانعطاف، أي: لا يميل ولا يلتفت إليه، بل يهتم في طلب الماء ويمشي فيه من غير مراعاة صحبة، و(**ابهار الليل**) بتشديد الراء على وزن احمار، أي: انتصف، أو تراكبت ظلمته،

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٩٦١).

فَوَضَعَ رَأْسَهُ، ثُمَّ قَالَ: «احْفَظُوا عَلَيْنَا صَلاتَنَا» فَكَانَ أَوَّلَ مَنِ اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَالشَّمْسُ فِي ظَهْرِهِ، ثُمَّ قَالَ: «ارْكَبُوا»، فَرَكِبْنَا، فَسِرْنَا حَتَّى إِذَا ارْتَفَعَتِ الشَّمْسُ نَزَلَ، ثُمَّ دَعَا بِمِيضَأَةٍ كَانَتْ مَعِي فِيهَا شَيْءٌ مِنْ مَاءٍ، فَتَوَضَّأَ مِنْهَا وُضُوءاً دُونَ وُضُوءٍ، قَالَ: وَبَقِيَ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ مَاءٍ، . . . . . .

أو ذهبت عامته، أو بقي نحو ثلثه، ويقال: أبهر السيف: انكسر نصفين، كذا في (القاموس)[١]، وفي (مجمع البحار)[٢]: ابهار الليل، أي: انتصف، وبهرة كل شيء: وسطه، وقيل: ابهار: إذا طلعت نجومه واستنارت، والأول أكثر.

وقوله: **(فوضع رأسه)** أي للنوم.

وقوله: **(ثم نزل)** أي: في مكان آخر قريب منه لقضاء الصلاة، و**(ميضأة)** بكسر الميم: مطهرة كبيرة يتوضأ منها، وفي (مجمع البحار)[٣]: هي بكسر ميم وبهمزة بعد ضاد: إناء التوضيء شبه المطهرة تسع ماء قدر ما يتوضأ منه، وهي بالقصر مفعلة وبالمد مفعالة، واستدل به بعضهم على استحباب التوضيء من الأواني دون البرك والمشارع لأنه لم ينقل منه ﷺ، ولا دليل إذ لم يكن بحضرته ﷺ المياه الجارية والأنهار، ولم ينقل أنه وجدها فعدل عنها.

وقوله: **(وضوءاً دون وضوء)** أي: دون وضوء يتوضأ في سائر الأوقات، أي: توضأ وضوء وسطاً لقلة الماء، أي: لم يصل إلى ثلاث مرات، وقيل: أراد أنه استنجى في هذا الوضوء بالحجر لا بالماء، والأول أظهر بل هو الصواب.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٣٣٣، ٣٣٤).

(٢) «مجمع بحار الأنوار» (١/ ٢٣٥).

(٣) «مجمع بحار الأنوار» (٥/ ٧٥).

ثُمَّ قَالَ: «احْفَظْ عَلَيْنَا مِيضَأَتَكَ فَسَيَكُونُ لَهَا نَبَأٌ»، ثُمَّ أَذَّنَ بِلاَلٌ بِالصَّلاَةِ، فَصَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ صَلَّى الْغَدَاةَ، وَرَكِبَ وَرَكِبْنَا مَعَهُ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى النَّاسِ حِينَ امْتَدَّ النَّهَارُ وَحَمِيَ كُلُّ شَيْءٍ، وَهُمْ يَقُولُونَ: يَا رَسُولَ اللهِ! هَلَكْنَا وَعَطِشْنَا، فَقَالَ: «لاَ هُلْكَ عَلَيْكُمْ» وَدَعَا بِالْمِيضَأَةِ فَجَعَلَ يَصُبُّ، وَأَبُو قَتَادَةَ يَسْقِيهِمْ، فَلَمْ يَعْدُ أَنْ رَأَى النَّاسُ مَاءً فِي الْمِيضَأَةِ تَكَابُّوا عَلَيْهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ....

وقوله: (**فسيكون لها نبأ**) أي: خبر، والمراد أنه سيكون لها شأن يتحدث به الناس وهو ظهور المعجزة.

وقوله: (**ثم صلى الغداة**) قيل: في تأخيره ﷺ قضاء الصلاة دليل على أن من نام عن صلاة أو نسيها لا يجب عليه الصلاة بالفور، وعلى ندب مفارقة الموضع الذي فات فيه المأمور إذ ارتكب فيه النهي، (**وعطشنا**) بكسر الطاء من باب سمع.

وقوله: (**لا هُلك**) بضم الهاء بمعنى الهلاك.

وقوله: (**فلم يعد أن رأى الناس ماء في الميضأة تكابوا عليها**) هكذا لفظ الحديث في نسخ (المشكاة) و(المصابيح): (فلم يعد) بفتح الياء وسكون العين وضم الدال، وفسره عياض في (المشارق)[1] بقوله: أي فلم يتجاوز.

وقوله: (أن رأى) بفتح الهمزة، و(تكابوا) بدون الفاء، وفي بعض النسخ: (فتكابوا) بالفاء، وقال الطيبي[2]: وليس في (صحيح مسلم) ولا في شرحه، ونقله في

---

(١) «مشارق الأنوار» (٢/ ١٢٣).

(٢) «شرح الطيبي» (١١/ ١٤٢).

«أَحْسِنُوا الْمَلأَ، كُلُّكُمْ سَيُرْوَى»، قَالَ: فَفَعَلُوا، فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَصُبُّ وَأَسْقِيهِمْ، حَتَّى مَا بَقِيَ غَيْرِي وَغَيْرُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ صَبَّ فَقَالَ لِيَ: «اشْرَبْ: فَقُلْتُ» لاَ أَشْرَبُ حَتَّى تَشْرَبَ يَا رَسُولَ اللهِ! فَقَالَ: «إِنَّ سَاقِيَ الْقَوْمِ آخِرُهُمْ»، قَالَ: فَشَرِبْتُ وَشَرِبَ، . . . .

(المشارق) بالفاء، وأعربه الطيبي بأن قوله: (أن رأى الناس) يحتمل أن يكون فاعلاً، أي: لم يتجاوز رؤية الناس الماء إكبابهم فتكابوا، وأن يكون مفعولاً، أي: لم يتجاوز السقي رؤية الناس في تلك الحالة، وهي كبهم عليه فتكابوا، أي: ازدحموا على الميضأة مكبًّا بعضهم على بعض، انتهى.

والكبة بالفتح ويضم: الزحام، وقال في (مجمع البحار)[1]: وهي تفاعلوا من الكبة بالضم، وهي الجماعة من الناس وغيرهم، وفي (الصحاح)[2]: الكبة بالضم: جماعة الخيل كالكبكبة، ويعلم من (المجمع) أن لفظ الحديث في بعض الروايات: فلما رأى الناس الميضأة تكابوا عليها، وهذا أظهر.

وقوله: (**أحسنوا الملأ**) أي: الخلق، قال في (القاموس)[3]: الملأ، كجبل: الأشراف والجماعة والخلق، ومنه: (أحسنوا أملاءكم) أي: أخلاقكم.

وقوله: (**يروى**) هو بفتح الواو، روي من الماء واللبن كرضي ريًّا كروي وارتوى، والاسم الري بالكسر.

وقوله: (**إن ساقي القوم**) يريد نفسه الكريمة لأنه الساقي في الحقيقة وإن توسط

---

(١) «مجمع بحار الأنوار» (٤/ ٣٦٢).

(٢) «الصحاح» (١/ ٢٠٨).

(٣) «القاموس المحيط» (ص: ٦٢).

قَالَ: فَأَتَى النَّاسُ الْمَاءَ جَامِّينَ رِوَاءً. رَوَاهُ مُسْلِمٌ، هَكَذَا فِي «صَحِيحِهِ» وَكَذَا فِي «كِتَابِ الْحُمَيْدِيِّ» وَ«جَامِعِ الأُصُولِ»، وَزَادَ فِي «الْمَصَابِيحِ» بَعْدَ قَوْلِهِ: «آخِرُهُمْ» لَفْظَةَ: «شُرْباً». [م: ٦٨١].

٥٩١٢ ـ [٤٥] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ غَزْوَةِ تَبُوكَ، أَصَابَ النَّاسُ مَجَاعَةٌ، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ! ادْعُهُمْ بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ، ثُمَّ ادْعُ اللهَ لَهُمْ عَلَيْهَا بِالْبَرَكَةِ، ....

أبو قتادة رضي الله عنه حيث قال: (**يصب وأسقيهم**).

وقوله: (**جامين**) بتشديد الميم، أي: مسترحين من الجمام بمعنى الراحة وذهاب الأعياء، ومنه مجمة للفؤاد بفتح جيم وميم، ويقال: بضم جيم وكسر ميم، و(**رواء**) بكسر الراء جاء جمع راو بمعنى ريان، حال.

٥٩١٢ ـ [٤٥] (**أبو هريرة**) قوله: (**غزوة تبوك**) اسم أرض بين الشام والمدينة، وغزوة تبوك كانت سنة تسع في رجب وهي آخر غزواته ﷺ، والمشهور في تبوك عدم الصرف للتأنيث والعلمية، ومن صرفها أراد الموضع، وكلا الاعتبارين جائز في أسماء المواضع والأماكن للتأويل بالبقعة والناحية أو الموضع والمكان، وقيل: وسميت تبوك لأنه ﷺ رأى قوماً من أصحابه تبوكون عنه، أي: يدخلون فيها القدح، أي: السهم ويحركون ليخرج الماء، فقال: (ما زلتم تبوكونها بوكاً)، كذا قال السيوطي، وفي (النهاية)[1]: البوك: تثوير الماء بنحو عود ليخرج من الأرض، وبه سميت غزوة تبوك، وفي الحديث: أنهم باتوا يبوكون حسي تبوك، والحسي: العين، و(**المجاعة**)

---

(١) «النهاية» (١/ ١٦٢).

فَقَالَ: «نَعَمْ»، فَدَعَا بِنِطَعٍ فَبُسِطَ، ثُمَّ دَعَا بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِكَفِّ ذُرَةٍ، وَيَجِيءُ الآخَرُ بِكَفِّ تَمْرٍ، وَيَجِيءُ الآخَرُ بِكِسْرَةٍ، حَتَّى اجْتَمَعَ عَلَى النِّطَعِ شَيْءٌ يَسِيرٌ، فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْبَرَكَةِ ثُمَّ قَالَ: «خُذُوا فِي أَوْعِيَتِكُمْ»، فَأَخَذُوا فِي أَوْعِيَتِهِمْ حَتَّى مَا تَرَكُوا فِي الْعَسْكَرِ وِعَاءً إِلاَّ مَلَؤُوهُ قَالَ: فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، وَفَضَلَتْ فَضْلَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ لاَ يَلْقَى اللهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرُ شَاكٍّ فَيُحْجَبُ عَنِ الْجَنَّةِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٧].

بفتح الميم مصدر جاع يجوع جوعاً ومجاعة، والجوع بالضم: ضد الشبع، و(**النطع**) فيه لغات فتح النون وكسرها مع فتح الطاء وإسكانها، أفصحهن كسر النون وفتح الطاء، وهو بساط من الأديم، و(**الذرة**) بضم الذال وفتح الراء مخففة آخره هاء: حب معروف، وهاء عوض عن واو في آخره أصله ذرو هكذا قالوا، وفي (الصراح)[1]: ذرة بالضم والتخفيف: أرزن، و(**الكسرة**) بالكسر، أي: قطعة من الخبز.

وقوله: (**وفضلت**) بفتح الضاد بلفظ الماضي (**فضلة**) بفتح الفاء بلفظ المرة فعلة.

وقوله: (**لا يلقى الله بهما**) أي: بهاتين الشهادتين، و(**غير**) بالرفع صفة عبد.

وقوله: (**فيحجب**) بالرفع عطف على (يلقى)، والنفي منصب عليهما معاً، كذا قال الطيبي[2]، وقيل: منصوب جواب النفي، والأول أظهر، فافهم.

---

(١) «الصراح» (ص: ٥٥٩).

(٢) «شرح الطيبي» (١١/ ١٤٣).

٥٩١٣ ـ [٤٦] وَعَنْ أَنَسٍ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ عَرُوساً بِزَيْنَبَ، فَعَمَدَتْ أُمِّي أُمُّ سُلَيْمٍ إِلَى تَمْرٍ وَسَمْنٍ وَأَقِطٍ، فَصَنَعَتْ حَيْساً فَجَعَلَتْهُ فِي تَوْرٍ فَقَالَتْ: يَا أَنَسُ اذْهَبْ بِهَذَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقُلْ: بَعَثَتْ بِهَذَا إِلَيْكَ أُمِّي، وَهِيَ تُقْرِئُكَ السَّلَامَ، وَتَقُولُ: إِنَّ هَذَا لَكَ مِنَّا قَلِيلٌ يَا رَسُولَ اللهِ! فَذَهَبْتُ فَقُلْتُ، فَقَالَ: «ضَعْهُ»، ثُمَّ قَالَ: «اذْهَبْ فَادْعُ لِي فُلَاناً وَفُلَاناً وَفُلَاناً» رِجَالاً سَمَّاهُمْ، «وَادْعُ لِي مَنْ لَقِيتَ»، فَدَعَوْتُ مَنْ سَمَّى وَمَنْ لَقِيتُ، فَرَجَعْتُ فَإِذَا الْبَيْتُ غَاصٌّ بِأَهْلِهِ، . . . .

٥٩١٣ ـ [٤٦] (أنس) قوله: (**عروساً**) بالفتح يطلق على الرجل والمرأة ما داما في أعراسهما، و(**الحيس**) بفتح الحاء المهملة: الخلط، ويطلق على تمر يخلط بسمن وأقط فيعجن شديداً، ثم يندر [منه] نواه، وربما يجعل فيه سويق، و(**التور**) بمثناة فوقية مفتوحة فواو ساكنة فراء: إناء كالقدح، وفي (القاموس)[١]: يشرب فيه.

وقوله: (**وهي تقرئك السلام**) بضم التاء.

وقوله: (**غاص**) بالغين المعجمة والصاد المهملة المشددة، منزل غاص بالقوم: ممتلئ. وأغصّ علينا الأرض: ضيّقها، كذا في (القاموس)[٢]، وقال في (المشارق)[٣]: ومنه: الغصة، وهي شيء يملأ مجرى النفس ويضيقه.

ثم قيل: ظاهر الحديث أن وليمة زينب ﵂ كانت من الحيس الذي أهدته أم سليم. والمشهور من الروايات أنه أولم عليها بخبز ولحم، ولم يقع في القصة تكثير

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٣٣٥).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٥٧٦).

(٣) «مشارق الأنوار» (٢/ ٢٢٩).

قِيلَ: لِأَنَسٍ: عَدَدُكُمْ كَمْ كَانُوا؟ قَالَ: زُهَاءُ ثَلَاثُ مِئَةٍ. فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى تِلْكَ الْحَيْسَةِ، وَتَكَلَّمَ بِمَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ جَعَلَ يَدْعُو عَشَرَةً عَشَرَةً يَأْكُلُونَ مِنْهُ، وَيَقُولُ لَهُم: «اذْكُرُوا اسْمَ اللهِ وَلْيَأْكُلْ كُلُّ رَجُلٍ مِمَّا يَلِيهِ»، قَالَ: فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، فَخَرَجَتْ طَائِفَةٌ وَدَخَلَتْ طَائِفَةٌ حَتَّى أَكَلُوا كُلُّهُمْ، قَالَ لِي: «يَا أَنَسُ! ارْفَعْ». فَرَفَعْتُ، فَمَا أَدْرِي حِينَ وَضَعْتُ كَانَ أَكْثَرَ أَمْ حِينَ رَفَعْتُ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٥١٦٣، م: ١٤٢٨].

٥٩١٤ ـ [٤٧] وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ: «غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَنَا عَلَى نَاضِحٍ قَدْ أَعْيَا، فَلَا يَكَادُ يَسِيرُ، فَتَلَاحَقَ بِيَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «مَا لِبَعِيرِكَ؟» قُلْتُ: قَدْ عَيِيَ، فَتَخَلَّفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَزَجَرَهُ فَدَعَا لَهُ، . . . .

ذلك الطعام؟ وأجيب بأنه يجوز أن يكون حضور الحيس صادف حضور الخبز واللحم، وإنكار وقوع تكثير الطعام في قصة الخبز واللحم عجيب، فإن أنساً روى أنه أولم عليها بشاة وأنه أشبع المسلمين خبزاً ولحماً، وهم يومئذٍ نحو الألف، كذا قيل، وأقول: لا منافاة فإن أنساً لم يقل في هذا الحديث: إن الحيس كان وليمة زينب، بل إنما ذكر إرسال أمه الحيس ووجود البركة فيه، وحديث وليمة زينب بالخبز واللحم، والبركة فيها حديث آخر ومعجزة أخرى، والله أعلم.

وقوله: **(عددكم كم كانوا؟)** جمع نظراً إلى ما في العدد من معنى التعدد أو لزيادته على الواحد على قول أهل الحساب.

٥٩١٤ ـ [٤٧] **(جابر)** قوله: **(وأنا على ناضح)** الناضح جمل يستقى عليه، و**(عيي)** على وزن رضي، و**(أعيا)** لازم ومتعدد.

فَمَا زَالَ بَيْنَ يَدَيِ الإِبِـلِ قُدَّامَهَا يَسِيرُ، فَقَالَ لِي: «كَيْفَ تَرَى بَعِيرَكَ؟» قُلْتُ: بِخَيْرٍ، قَدْ أَصَابَتْهُ بَرَكَتُكَ، قَالَ: «أَفَتَبِيعُنِيهِ بِوُقِيَّةٍ؟». فَبِعْتُهُ عَلَى أَنَّ لِي فَقَارَ ظَهْرِهِ إِلَى الْمَدِينَـةِ، فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَـةَ غَدَوْتُ عَلَيْهِ بِالْبَعِيرِ، فَأَعْطَانِي ثَمَنَهُ وَرَدَّهُ عَلَيَّ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٢٠٩٧، م: ٧١٥].

٥٩١٥ ـ [٤٨] وَعَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ غَزْوَةَ تَبُوكَ، ....

وقوله: (فما زال بيـن يدي الإبـل قدامها) اسم (ما زال) ضمير فيهـا للناضح، فيحتمل أن يكون (بين يدي الإبـل) خبره و(قدامها) خبراً بعد خبر يفيد تأكيداً وبياناً، و(يسير) حالاً، وأن يكون خبره (يسير)، و(بين يدي الإبل) و(قدامها) ظرفين لـ (يسير) أحدهما تأكيد للآخر، و(الوقية) بفتح الواو وكسر القاف وتشديد الياء، ويقال: الأوقية بضم الهمزة أيضاً: أربعون درهماً.

وقوله: (على أن لي فقار ظهره) أي: ركوبه، والفقار بفتح الفاء: عظم الظهر، وفي (القاموس)[1]: الفقرة بالكسر، والفقرة والفقارة بفتحهما: مـا انتضـد من عظام الصلب من لدن الكاهـل إلى العَجْب، والجمـع: كعنب وسحـاب، والحديـث يدل على جواز شرط فيـه منفعة للبائع، والفقهاء حكموا بعدم جوازه، ولعله منسوخ، أو لم يكن في صلب العقـد، بـل التمسـه بعـد البيع وإن كـان ظاهر العبارة ينافيه، والله أعلم.

٥٩١٥ ـ [٤٨] (أبو حميد الساعدي) قوله: (وعن أبي حميد) بلفظ التصغير.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٤٢٦).

فَأَتَيْنَا وَادِيَ الْقُرَى عَلَى حَدِيقَةٍ لِامْرَأَةٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اخْرُصُوهَا» فَخَرَصْنَاهَا، وَخَرَصَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَشَرَةَ أَوْسُقٍ وَقَالَ: «أَحْصِيهَا حَتَّى نَرْجِعَ إِلَيْكِ إِنْ شَاءَ اللهُ»، وَانْطَلَقْنَا حَتَّى قَدِمْنَا تَبُوكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «سَتَهُبُّ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَةَ رِيحٌ شَدِيدَةٌ، فَلَا يَقُمْ فِيهَا أَحَدٌ، فَمَنْ كَانَ لَهُ بَعِيرٌ فَلْيَشُدَّ عِقَالَهُ»، فَهَبَّتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ، فَقَامَ رَجُلٌ فَحَمَلَتْهُ الرِّيحُ حَتَّى أَلْقَتْهُ بِجَبَلَيْ طَيِّئٍ، ثُمَّ أَقْبَلْنَا حَتَّى قَدِمْنَا وَادِيَ الْقُرَى، ....

قوله: (**فأتينا وادي القرى**) هو موضع مشهور بينه وبين المدينة ثلاثة أيام من جهة الشام، وهو يرى في الظاهر تركيباً إضافياً جعل علماً كعبدالله، فينبغي أن يعرب بإعرابين وينصب الياء من وادي، لكن قال التُّوربِشْتِي[1]: لا يعرب الياء من وادي، فإن الكلمتين جعلتا اسماً واحداً، فكأنه ثبت عندهم من حيث الرواية عدم الإعراب.

وقوله: (**اخرصوها**) أي: قدروها بضم الهمزة والراء من خرص يخرص من نصر، والخرص: حرز الثمر على الشجرة، والأوسق: جمع وسق بفتح الواو وسكون المهملة: ستون صاعاً أو حمل بعير، (**وقال**) أي: رسول الله ﷺ خطاباً للمرأة: (**أحصيها**) أمر من الإحصاء، أي: احفظي قدرها وعدد أوسقها إذا وزنتها.

وقوله: (**فحملته الريح**) ثم أهدته بنو طيئ حين قدم رسول الله ﷺ المدينة، كذا في (المواهب)[2].

وقوله: (**بجبلي طيئ**) بإضافة الجبلين إلى طيئ أحدهما أجأ بالجيم والهمزة،

---

(١) «كتاب الميسر» (٤/ ١٢٩٥).

(٢) «المواهب اللدنية» (١/ ٦٣٠، ٦٣١).

فَسَأَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَرْأَةَ عَنْ حَدِيقَتِهَا «كَمْ بَلَغَ ثَمَرُهَـا؟» فَقَالَتْ: عَشْرَةُ أَوْسُقٍ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ١٤٨١، م: ١٣٩٢].

٥٩١٦ ـ [٤٩] وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ، وَهِيَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا الْقِيرَاطُ، فَإِذَا فَتَحْتُمُوهَا فَأَحْسِنُوا إِلَى أَهْلِهَا فَإِنَّ لَهَا ذِمَّةً وَرَحِماً، أَوْ قَالَ: ذِمَّةً وَصِهْراً، . . . .

والآخر سلمى، قال الطيبي[1]: هما بأرض نجد، وطيئ أبو القبيلة والنسبة طائي، والقياس طَيِئِيٌّ حذفوا الياء الثانية، فبقي طَيْئِيٌّ فقلبوا الياء الساكنة ألفاً، انتهى. والظاهر أنه قبيلة حاتم المشهور بالجود.

٥٩١٦ ـ [٤٩] (أبو ذر) قوله: (يسمى فيها القيراط) القيراط والقراط بكسرهما: يختلف وزنه بحسب البلاد، فبمكة ربع سدس دينار، وبالعراق نصف عشره، كذا في (القاموس)[2]، وأصله القراط بتشديد الراء أبدلت إحداهما ياء بدليل جمعه على قراريط، والمراد بتسميتهم القيراط إكثار أهلها، ذكره في معاملاتهم لتشددهم فيها، وقلة مروءتهم وعدم مسامحتهم، فلا ينافيه مشاركة غيرهم من أهل البدو والبلاد في ذكره، كذا ذكروا.

وقال التُّورِبِشْتِي[3]: كنت أرى الحديث مشكلاً؛ لأنه يدل على أن تسمية القيراط مختصة بأهل مصر وليس كذلك، بل شاركهم فيها البدو والحضر من بلاد العرب، وقد تكلم بها النبي ﷺ في عدة أحاديث، منها حديث: (كنت أرعاها لأهل مكة ـ أي

---

(١) «شرح الطيبي» (١١/ ١٤٥).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٦٢٨).

(٣) «كتاب الميسر» (٤/ ١٢٩٥).

فَإِذَا رَأَيْتُمْ رَجُلَيْنِ يَخْتَصِمَانِ فِي مَوْضِعِ لَبِنَةٍ فَاخْرُجْ مِنْهَا» قَالَ: فَرَأَيْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ شُرَحْبِيلِ بْنِ حَسَنَةَ وَأَخَاهُ رَبِيعَةَ يَخْتَصِمَانِ فِي مَوْضِعِ لَبِنَةٍ فَخَرَجْتُ مِنْهَا. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٥٤٣].

الغنم ـ على القراريط)[١]، وحديث: (من تبع الجنازة فله قيراط)[٢]، وحديث: (من اقتنى كلباً نقص كل يوم قيراط من عمله)[٣] حتى وجدت أبا جعفر الطحاوي ـ شكر الله سعيه ـ قد ذكر في كتابه الموسوم بـ (مشكل الآثار): أن الإشارة بذلك وقعت إلى كلمة عوراء يستعملها المصريون في المسابة وإسماع المكروه، ويقولون: أعطيت فلاناً القراريط، أي: أسمعته المكروه، ويقولون: لأعطينك قراريط أي: أسابك، والطحاوي أعلم بلهجة أهل بلدته، هذا حاصل كلام التُّورِبِشْتِي، وسياق الحديث من قوله: (**يختصمان في موضع لبنة**) يدل على أن الغرض بيان شدتهم وعدم مسامحتهم، وبه يتأيد المعنى الأول، وأقول: ومع ذلك وصى برعاية حقوقهم التي ترجع إلى ملاحظة نسبته ﷺ ورعاية الإنصاف حيث قال: (فإذا فتحتموها واستوليتم على أهلها أحسنوا إليهم بالصفح والعفو عن مساويهم). (**فإن لها ذمة**) أي: حرمة وأماناً من جهة إبراهيم بن رسول الله فإن أمه مارية القبطية كانت منهم، و(**رحماً**) أي: قرابة من قبل هاجر أم إسماعيل عليه السلام فإنها أيضاً كانت منهم، وفي بعض الروايات: (قرابة وصهراً)، ثم ذكر شيئاً من خصائصهم أنهم يختصمون على موضع لبنة من الأرض، فإذا رأيت ذلك منهم فاخرج منها خطاب لأبي ذر رضي الله عنه، وإنما خص الخروج

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٢٢٦٢).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (١٣٢٣)، ومسلم في «صحيحه» (٩٤٥).

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٣٣٢٥)، ومسلم في «صحيحه» (١٥٧٦).

٥٩١٧ ـ [٥٠] وَعَنْ حُذَيْفَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «فِي أَصْحَابِي - وَفِي رِوَايَةٍ قَالَ: فِي أُمَّتِي - اثْنَا عَشَرَ مُنَافِقاً لاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، وَلاَ يَجِدُونَ رِيحَهَا حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ، ثَمَانِيَةٌ مِنْهُم تَكْفِيهِمُ الدُّبَيْلَةُ: سِرَاجٌ مِنْ نَارٍ يَظْهَرُ فِي أَكْتَافِهِمْ.............

به لمزيد الشفقة، ويحتمل أن يكون الخطاب عاماً، وقد وقع من جهتهم فتن أخر كقتل عثمان وقتل محمد بن أبي بكر بعد ذلك في ولاية علي رضي الله عنه.

٥٩١٧ ـ [٥٠] (حذيفة) قوله: **(في أمتي اثنا عشر منافقاً)** لا يخفى أن إطلاق الصحابة على المنافقين إنما هو لتشبههم بالصحابة وإدخال أنفسهم فيهم بالتستر بالكلمة، ولذا قال: (في أصحابي)، ولم يقل من أصحابي، قال التُّوربِشْتِي[١]: وقد أسر رسول الله ﷺ بهذا القول إلى خاصته وذوي المنزلة من أصحابه أَمْرَ هذه الفئة المشؤومة المتلبسة لئلا يقبلوا منهم الإيمان، ولا يأمنوا من قبلهم المكر والخداع، وكان أعلمهم بأسمائهم، وكان ذلك ليلة العقبة مرجعه من غزوة تبوك، وله قصة ذكرها التُّوربِشْتِي، ونقلها منه الطيبي[٢] فلينظر هناك.

وقوله: **(الدبيلة)** بالدال المهملة والياء الموحدة تصغير دبلة: وهي خراج ودبل تظهر في الجوف فتقتل صاحبها غالباً، وفي (القاموس)[٣]: الدبل: الطاعون، وكصبور: الداهية، فكل شيء اجتمع فقد دبل، دبله يدبُلُه: جمعه، وفسر في الحديث بـ **(سراج)** يحدث في أكتافهم، لعله أراد به ورماً حاراً.

---

(١) «كتاب الميسر» (٤/ ١٢٩٦).

(٢) انظر: «شرح الطيبي» (١١/ ١٤٦ ـ ١٤٧).

(٣) «القاموس المحيط» (ص: ٩١٧).

حَتَّى تَنْجُمَ فِي صُدُورِهِمْ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٧٧٩].

وَسَنَذْكُرُ حَدِيثَ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ: «لأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ غَداً» فِي «بَابِ مَنَاقِبِ عَلِيٍّ».

وَحَدِيثَ جَابِرٍ: «مَنْ يَصْعَدُ الثَّنِيَّةَ» فِي «بَابِ جَامِعِ الْمَنَاقِبِ» إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى.

* الْفَصْلُ الثَّانِي:

٥٩١٨ - [٥١] عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: خَرَجَ أَبُو طَالِبٍ إِلَى الشَّامِ، وَخَرَجَ مَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي أَشْيَاخٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فَلَمَّا أَشْرَفُوا عَلَى الرَّاهِبِ هَبَطُوا، فَحَلُّوا رِحَالَهُمْ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمُ الرَّاهِبُ، ....

وقوله: (تنجم) بضم الجيم، أي: يظهر أثر تلك الحرارة وشدة لهبها في باطنهم، وقد روي عن حذيفة رضي الله عنه أنه ﷺ عرفه إياهم وأنهم هلكوا كما أخبر به المخبر الصادق، وقد كان عنده علم المنافقين.

الفصل الثاني

٥٩١٨ - [٥١] (أبو موسى) قوله: (في أشياخ من قريش) متعلق بـ (خرج) على سبيل التنازع، ولقد أصاب من قال من النحويين بتشريك العاملين في مثل هذه الصورة إذ لا مانع منه.

وقوله: (فلما أشرفوا) أي: اطلعوا (على الراهب) لعل تعريفه لأنه كان معهوداً معلوماً عندهم مذكوراً فيما بينهم في وقت الرواية.

(هبطوا) أي: نزلوا عنده، واسم الراهب بحيرا بفتح الموحدة وكسر المهملة مقصوراً.

وَكَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ يَمُرُّونَ بِـهِ فَلاَ يَخْرُجُ إِلَيْهِمْ، قَالَ: فَهُمْ يَحُلُّـونَ رِحَالَهُمْ، فَجَعَلَ يَتَخَلَّلُهُمُ الرَّاهِبُ، حَتَّى جَاءَ فَأَخَذَ بِيَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: هَذَا سَيِّدُ الْعَالَمِينَ، هَذَا رسولُ ربِّ الْعَالَمِينَ يَبْعَثُهُ اللهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، فَقَالَ لَهُ أَشْيَاخٌ مِنْ قُرَيْشٍ: مَا عِلْمُكَ؟ فَقَالَ: إِنَّكُمْ حِينَ أَشْرَفْتُمْ مِنَ الْعَقَبَةِ لَمْ يَبْقَ شَجَرٌ وَلاَ حَجَرٌ إِلاَّ خَرَّ سَاجِداً، وَلاَ يَسْجُدَانِ إِلاَّ لِنَبِيٍّ، وَإِنِّي أَعْرِفُهُ بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ أَسْفَلَ مِنْ غُضْرُوفِ كَتِفِهِ مِثْلَ التُّفَّاحَةِ، ثُمَّ رَجَعَ فَصَنَعَ لَهُمْ طَعَاماً، فَلَمَّا أَتَاهُمْ بِهِ، . . . .

وقوله: **(يتخللهم الراهب)** أي: يدخل وسطهم.

وقوله: **(ما علمك؟)** أي: سبب علمك، والغضروف: عظم لين على رؤوس المفاصل في ملتقى العظم واللحم، وهو واسطة في التقائهما والتئامهما لكونه بين بين، لا شديد شدة العظم، ولا لين لين اللحم، ولذا كان واسطة بينهما؛ لأن الواسطة بين الشيئين ينبغي أن يكون ذات جهتين ومناسبته لكل منهما كما ذكروا، ومثلوا له بأمثلة هذا أحدها، هذا كلام الحكماء، وفي (القاموس)[1]: الغضروف: كل عظم رخص يؤكل، ونُغْض الكتف، ورؤس الأضلاع، وفي (النهاية)[2]: من أسفل غضروف كتفه، وهو رأس لوحه، وهذا هو المراد في الحديث.

وقوله: **(مثل التفاحة)** مرفوع أو منصوب أو مجرور بالبدل عن (خاتم النبوة)، وفي رواية البيهقي وأبي نعيم: قام فاحتضنه، وأنه جعل يسأله عن أشياء من حاله من نومه وهيئته وأموره ويخبره رسول الله ﷺ فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته، ورأى

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٧٧٦).

(٢) «النهاية» (٣/ ٣٧٠).

وَكَانَ هُوَ فِي رِعْيَةِ الإِبِلِ، فَقَالَ: أَرْسِلُوا إِلَيْهِ فَأَقْبَلَ وَعَلَيْهِ غَمَامَةٌ تُظِلُّهُ، فَلَمَّا دَنَا مِنَ الْقَوْمِ وَجَدَهُمْ قَدْ سَبَقُوهُ إِلَى فَيْءِ شَجَرَةٍ، فَلَمَّا جَلَسَ مَالَ فَيْءُ الشَّجَرَةِ عَلَيْهِ، فَقَالَ: انْظُرُوا إِلَى فَيْءِ الشَّجَرَةِ مَالَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: أَنْشُدُكُمْ اللهَ أَيُّكُمْ وَلِيُّهُ؟ قَالُوا: أَبُو طَالِبٍ، فَلَمْ يَزَلْ يُنَاشِدُهُ حَتَّى رَدَّهُ أَبُو طَالِبٍ، وَبَعَثَ مَعَهُ أَبُو بَكْرٍ بِلاَلاً، ....

خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده، كذا في (المواهب)[1].

وقوله: **(وكان هو)** أي: رسول الله ﷺ **(في رعية)** بكسر الراء وسكون العين: اسم من الرعي، **(فقال)** أي: الراهب.

وقوله: **(أنشدكم)** بفتح الهمزة وضم الشين أي: أطلب منكم بالله جواب هذا السؤال.

وقوله: **(فلم يزل يناشده)** الراهب ويقول لأبي طالب: بالله عليك أن ترد محمداً إلى مكة وتحفظه من العدو حتى رده أبو طالب إلى مكة، قيل: كان الراهب يخاف أن يذهبوا به إلى الروم فيقتلونه، وأخرج الترمذي وحسنه والحاكم وصححه أن في هذه السفرة أقبل سبعة من الروم يقصدون قتله ﷺ فاستقبلهم بحيرا، فقال: ما جاء بكم؟ قالوا: إن هذا النبي خارج في هذا الشهر فلم يبق طريق إلا بعث إليها بأناس، قال: أفرأيتم أمراً أراد الله أن يقضيه، هل يستطيع أحد من الناس رده؟ قالوا: لا، قال: فبايعوه وأقاموا معه.

وقوله: **(وبعث معه أبو بكر بلالاً)** قالوا: كيف يكون هذا وبلال لم يخلق بعد،

---

(١) «المواهب اللدنية» (١/ ١٨٨).

وَزَوَّدَهُ الرَّاهِبُ مِنَ الْكَعْكِ وَالزَّيْتِ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٦٢٠].

٥٩١٩ - [٥٢] وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ بِمَكَّةَ، فَخَرَجْنَا فِي بَعْضِ نَوَاحِيهَا، فَمَا اسْتَقْبَلَهُ جَبَلٌ وَلَا شَجَرٌ إِلَّا وَهُوَ يَقُولُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالدَّارِمِيُّ. [ت: ٣٦٢٦، دي: ١/ ١٧١].

٥٩٢٠ - [٥٣] وَعَنْ أَنَسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أُتِيَ بِالْبُرَاقِ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ مُلْجَماً مُسْرَجاً، فَاسْتَصْعَبَ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ جِبْرَئِيلُ: ....

وأبو بكر كان صبيًّا فإنه أصغر من النبي ﷺ بسنتين، فلذا ضعفوا هذا الحديث، وحكم بعضهم ببطلانه، وقال الحافظ ابن حجر في (الإصابة)[1]: الحديث رجاله ثقات وليس فيه منكر سوى هذه اللفظة، فيحتمل أنها مدرجة فيه مقتطعة من حديث آخر وهماً من أحد رواته.

وقوله: (ورواه الترمذي) وقال: حسن غريب، انتهى، وقال الجزري: إسناده صحيح، ورجاله رجال الصحيحين أو أحدهما، وذكر بلال وأبي بكر غير محفوظ، وعده أئمتنا وهماً.

٥٩١٩ - [٥٢] (علي بن أبي طالب) قوله: **(فما استقبله جبل ولا شجر إلا وهو يقول)** الظاهر أن عليًّا ﷺ أيضاً كان يسمعه، ويحتمل أنه علمه بخبره ﷺ.

٥٩٢٠ - [٥٣] (أنس) قوله: **(ملجماً مسرجاً)** كلاهما بالتخفيف.

قوله: **(فاستصعب عليه)** أي: البراق على النبي ﷺ، أي: لم يمكنه من

---

(١) «الإصابة في تمييز الصحابة» (١/ ٤٧٦).

أَبِـمُحَمَّدٍ تَفْعَلُ هَذَا؟ فَمَا رَكِبَكَ أَحَدٌ أَكْرَمُ عَلَى اللهِ مِنْهُ، قَالَ: فَارْفَضَّ عَرَقاً. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. [ت: ٣١٣١].

٥٩٢١ ـ [٥٤] وَعَنْ بُرَيْدَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ قَالَ جِبْرَئِيلُ بِأُصْبُعِهِ فَخَرَقَ بِهَا الْحَجَرَ، فَشَدَّ بِهِ الْبُرَاقَ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣١٣٢].

الركوب، كذا في الحواشي، وفي (القاموس)[1]: استصعب عليه الأمر: صار صعباً، كأصعب وصعب، ككرم، وعلى هـذا المعنى الظاهر أن يكون الضمير في استصعب للركوب.

وقولـه: **(أكرم)** مرفوع صفـة لـ **(أحد)**، قال التُّوربِـشْتِي[2]: وجدنا الرواية في أكرم بالنصب، فلعل التقدير: كان أكرم.

وقوله: **(فارفض عرقاً)** أي: فاض، وارفضاض الدموع: تَرَشُّشُها، والرفيض: الدمع، كذا في (القاموس)[3].

٥٩٢١ ـ [٥٤] (بريدة) قولـه: **(قال جبرئيل)** أي: أشار، **(فخرق بها الحجر)** أي: ثقب ثقباً نافذاً، قد مرّ في (باب المعراج) من حديث أنس: (فربطته بالحلقة التي تربط بها الأنبياء)، وقالـوا فـي الجمع بينهما: لعل المراد مـن الحلقة الموضع الـذي كان فيه الحلقة، وقد انسد فخرقه جبريل بإصبعه، والله أعلم.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١١٠).

(٢) «كتاب الميسر» (٤/ ١٢٩٨).

(٣) «القاموس المحيط» (ص: ٥٩٣).

٥٩٢٢ ـ [٥٥] وَعَنْ يَعْلَى بْنِ مُرَّةَ الثَّقَفِيِّ قَالَ: ثَلاَثَةُ أَشْيَاءٍ رَأَيْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، بَيْنَا نَحْنُ نَسِيرُ مَعَه إذ مَرَرْنَا بِبَعِيرٍ يُسْنَى عَلَيْهِ، فَلَمَّا رَآهُ الْبَعِيرُ جَرْجَرَ، فَوَضَعَ جِرَانَهُ، فَوَقَفَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «أَيْنَ صَاحِبُ هَذَا الْبَعِيرِ؟» فَجَاءَهُ، فَقَالَ: «بِعْنِيهِ»، فَقَالَ: بَلْ نَهَبُهُ لَكَ يَا رَسُولَ اللهِ! وَإِنَّهُ لأَهْلِ بَيْتٍ مَا لَهُمْ مَعِيشَةٌ غَيْرُهُ، قَالَ: «أَمَّا إِذْ ذَكَرْتَ هَذَا مِنْ أَمْرِهِ، فَإِنَّهُ شَكَا كَثْرَةَ الْعَمَلِ وَقِلَّةَ العَلَفِ، فَأَحْسِنُوا إِلَيْهِ»، ثُمَّ سِرنَا حَتَّى نَزَلْنَا مَنْزِلاً، فَنَامَ النَّبِيُّ ﷺ، فَجَاءَتْ شَجَرَةٌ تَشُقُّ الأَرْضَ حَتَّى غَشِيَتْهُ، ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى مَكَانِهَا، فَلَمَّا اسْتَيْقَظ رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَكَرْتُ لَهُ، فَقَالَ: ....

٥٩٢٢ ـ [٥٥] (يعلى بن مرة الثقفي) قوله: (وعن يعلى بن مرة) بضم الميم وتشديد الراء.

وقوله: (يسنى) بلفظ المجهول، أي: يستقى، سنت الناقة الأرض تسنو: إذا سقتها، والسانية: ناقة يستقى عليها، وفي حديث: (الزكاة ما يستقى بالسواني ففيه نصف العشر)[١].

وقوله: (جرجر) أي: صوت وصاح، وقيل: أي: ردد الصوت في الحلق، والجرجار من الإبل: كثير الصوت، و(الجران) بكسر الجيم وخفة الراء: مقدم عنق البعير من مذبحه إلى منحره.

وقوله: (أما إذ ذكرت هذا من أمره) فإنه يشكو، تقدير الكلام: أما إذ ذكرت أن البعير لأهل بيت لا معيشة لهم غيره فلا ألتمس شراه، وأما البعير فعاهدوه فإنه شكا.

---

(١) أخرجه أبو داود في «سننه» (١٥٩٦)، والنسائي في «سننه» (٢٤٨٨)، وابن ماجه في «سننه» (١٨١٧).

«هِيَ شَجَرَةٌ اسْتَأْذَنَتْ رَبَّهَا فِي أَنْ تُسَلِّمَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ: فَأَذِنَ لَهَا»، قَالَ: ثُمَّ سِرْنَا فَمَرَرْنَا بِمَاءٍ، فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ بِابْنٍ لَهَا بِهِ جِنَّةٌ، فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ بِمَنْخِرِهِ ثُمَّ قَالَ: «اخْرُجْ فَإِنِّي مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ»، ثُمَّ سِرْنَا، فَلَمَّا رَجَعْنَا مَرَرْنَا بِذَلِكَ الْمَاءِ فَسَأَلَهَا عَنِ الصَّبِيِّ فَقَالَتْ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا رَأَيْنَا مِنْهُ رَيْباً بَعْدَكَ. رَوَاهُ فِي «شَرْحِ السُّنَّةِ». [شرح السنة: ٣٧١٨].

٥٩٢٣ ـ [٥٦] وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: إِنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ بِابْنٍ لَهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ ابْنِي بِهِ جُنُونٌ، وَإِنَّهُ لَيَأْخُذُهُ عِنْدَ غَدَائِنَا وَعَشَائِنَا، فَمَسَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ صَدْرَهُ وَدَعَا، فَثَعَّ ثَعَّةً، وَخَرَجَ مِنْ جَوْفِهِ مِثْلُ الْجِرْوِ الْأَسْوَدِ يَسْعَى. رَوَاهُ الدَّارِمِيُّ. [دي: ١/ ١٧٠].

وقوله: (**بمنخره**) بفتح ميم وكسر خاء وقد يكسر الميم اتباعاً للخاء، كذا قال الكرماني[1]، وفي (القاموس)[2]: المنخر: بفتح الميم والخاء، وبكسرهما وضمهما، ونخرة الأنف: مقدمته.

وقوله: (**فسألها**) أي: المرأة (**عن الصبي**) الذي كان به جنة.

وقوله: (**ريباً**) أي: مكروهاً، من الريب بمعنى صرف الدهر، وقيل: أي: شكًّا، أي: ما رأينا منه ما أوقعنا في شك من حالة بعد مفارقتك عنا.

٥٩٢٣ ـ [٥٦] (**ابن عباس**) قوله: (**فثع ثعة**) أي: قاء قيئة، والثع بالمثلثة وتشديد المهملة: القيء، وبالتاء المرة منه، و(**الجرو**) بكسر الجيم وسكون الراء في آخره واو:

---

(١) «شرح الكرماني» (٩/ ١٠٨).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٤٤٧).

٥٩٢٤ ـ [٥٧] وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: «جَاءَ جِبْرَئِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ جَالِسٌ حَزِينٌ، قَدْ تَخَضَّبَ بِالدَّمِ مِنْ فِعْلِ أَهْلِ مَكَّةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! هَلْ تُحِبُّ أَنْ نُرِيَكَ آيَةً؟ قَالَ: «نعَمْ»، فَنظَرَ إِلَى شَجَرَةٍ مِنْ وَرَائِهِ، فَقَالَ: ادْعُ بِهَا، فَدَعَا بِهَا، فَجَاءَتْ، فَقَامَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ: مُرْهَا فَلْتَرْجِعْ، فَأَمَرَهَا، فَرَجَعَتْ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «حَسْبِي حَسْبِي». رَوَاهُ الدَّارِمِيُّ. [دي: ١/ ١٧٢].

٥٩٢٥ ـ [٥٨] وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَأَقْبَلَ أَعْرَابِيٌّ، فَلَمَّا دَنَا قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؟ قَالَ: وَمَنْ يَشْهَدُ عَلَى مَا تَقُولُ؟ قَالَ: «هَذِهِ السَّلَمَةُ»، فَدَعَاهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ بِشَاطِئِ الْوَادِي، فَأَقْبَلَتْ تَخُدُّ الأَرْضَ حَتَّى قَامَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَاسْتَشْهَدَهَا ثَلاَثاً، فَشَهِدَتْ ثَلاَثاً أَنَّهُ كَمَا قَالَ، ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى مَنْبَتِهَا. رَوَاهُ الدَّارِمِيُّ. [دي: ١/ ١٦٦].

ولد الكلب والأسد.

٥٩٢٤ ـ [٥٧] (أنس) قوله: (قد تخضب بالدم) أي: تلطخ، وكان ذلك يوم أحد حين كسرت رباعيته، قال السيوطي عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري: ضرب وجه النبي ﷺ بالسيف سبعين ضربة، وقاه الله شرها كلها.

وقوله: (حسبي حسبي) أي: كفاني في تسليتي عما لقيني من المشقة والحزن هذه الكرامةُ من ربي.

٥٩٢٥ ـ [٥٨] (ابن عمر) قوله: (هذه السلمة) واحدة سلم، شجرة من العضاه.

٥٩٢٦ ـ [٥٩] وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: بِمَا أَعْرِفُ أَنَّكَ نَبِيٌّ؟ قَالَ: «إِنْ دَعَوْتُ هَذَا الْعِذْقَ مِنْ هَذِهِ النَّخْلَةِ يَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ»، فَدَعَاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَجَعَلَ يَنْزِلُ مِنَ النَّخْلَةِ حَتَّى سَقَطَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ قَالَ: «ارْجِعْ»، فَعَادَ، فَأَسْلَمَ الأَعْرَابِيُّ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ. [ت: ٣٦٢٨].

٥٩٢٧ ـ [٦٠] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: «جَاءَ ذِئْبٌ إِلَى رَاعِي غَنَمٍ، فَأَخَذَ مِنْهَا شَاةً، فَطَلَبَهُ الرَّاعِي حَتَّى انْتَزَعَهَا مِنْهُ، قَالَ: فَصَعِدَ الذِّئْبُ عَلَى تَلٍّ فَأَقْعَى وَاسْتَثْفَرَ، وَقَالَ: قَدْ عَمَدْتُ إِلَى رِزْقٍ رَزَقَنِيهِ اللهُ أَخَذْتُهُ، ثُمَّ انْتَزَعْتَهُ مِنِّي؟ فَقَالَ الرَّجُلُ: تَاللهِ إِنْ رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ ذِئْبٌ يَتَكَلَّمُ، فَقَالَ الذِّئْبُ: . . .

٥٩٢٦ ـ [٥٩] (ابن عباس) قوله: (أن دعوت) بالفتح، أي: بأن دعوت، وقيل: بالكسر، والجزاء محذوف، و(العذق) بكسر العين وسكون الذال: القنو وهو كالعنقود من العنب.

٥٩٢٧ ـ [٦٠] (أبو هريرة) قوله: (فأقعى) أي: جلس مقعياً، وهو أن يجلس على وركيه وينصب يديه، و(الاستثفار) بالمثلثة والفاء، أي: أدخل ذنبه بين رجليه، الاستثفار: إدخال الكلب ذنبه بين فخذيه حتى يلزقه ببطنه، ومنه الاستثفار للحائض أن تدخل إزارها بين فخذيها ملوياً.

وقوله: (عمدت) من ضرب، يروى بصيغة المتكلم والخطاب، و(أخذته) بالتكلم و(ثم انتزعته) بالخطاب.

وقوله: (إن رأيت كاليوم) ما رأيت أعجوبة كأعجوبة اليوم، أو ما رأيت يوماً مثل هذا اليوم.

أَعْجَبُ مِنْ هَذَا رَجُلٌ فِي النَّخَلاَتِ بَيْنَ الْحَرَّتَيْنِ يُخْبِرُكُمْ بِمَا مَضَى وَمَا هُوَ كَائِنٌ بَعْدَكُمْ، قَالَ: فَكَانَ الرَّجُلُ يَهُودِيًّا، فَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، وَأَسْلَمَ، فَصَدَّقَهُ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّهَا أَمَارَاتٌ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ»، قَدْ أَوْشَكَ الرَّجُلُ أَنْ يَخْرُجَ فَلاَ يَرْجِعُ حَتَّى يُحَدِّثَهُ نَعْلاَهُ وَسَوْطُهُ بِمَا أَحْدَثَ أَهْلُهُ بَعْدَهُ». رَوَاهُ فِي «شَرْحِ السُّنَّةِ». [شرح السنة: ٤٢٨٢].

٥٩٢٨ - [٦١] وَعَنْ أَبِي الْعَلاَءِ عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ نَتَدَاوَلُ مِنْ قَصْعَةٍ، مِنْ غُدْوَةٍ حَتَّى اللَّيْلِ، يَقُومُ عَشَرَةٌ وَيَقْعُدُ عَشَرَةٌ، قُلْنَا: فَمِمَّا كَانَتْ تُمَدُّ؟ قَالَ: «مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَعْجَبُ؟ مَا كَانَتْ تُمَدُّ إِلاَّ مِنْ هَهُنَا»، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى السَّمَاءِ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالدَّارِمِيُّ. [ت: ٣٦٢٥، دي: ١/ ٢٠١].

وقوله: (إنها أمارات) أي: هذه القصة والحالة.

وقوله: (بعده) أي: بعد خروجه.

٥٩٢٨ - [٦١] (أبو العلاء) قوله: (نتداول) أي: نتناوب بأكل الطعام فيها (من غدوة حتى الليل) أي: طول النهار.

وقوله: (قلنا: فمما كانت تمد) بلفظ المجهول من الإمداد، أي: بأي شيء كانت القصعة تمد به، قيل: هذا قول الصحابة، و(قال: من أي شيء تعجب؟) قول رسول الله ﷺ في جوابهم، وقيل: السؤال من أبي العلاء ومن معه، والجواب قول سمرة.

وقوله: (أشار بيده إلى السماء) أي: كثرة الطعام والبركة فيه كان من عالم القدرة.

٥٩٢٩ ـ [٦٢] وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عَمْرٍو: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ يَوْمَ بَدْرٍ فِي ثَلَاثِ مِئَةٍ وَخَمْسَةَ عَشَرَ، قَالَ: «اللهُمَّ إِنَّهُمْ حُفَاةٌ فَاحْمِلْهُمْ، اللهُمَّ إِنَّهُمْ عُرَاةٌ فَاكْسُهُمْ، اللهُمَّ إِنَّهُمْ جِيَاعٌ فَأَشْبِعْهُمْ»، فَفَتَحَ اللهُ لَهُ، فَانْقَلَبُوا وَمَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَقَدْ رَجَعَ بِجَمَلٍ أَوْ جَمَلَيْنِ، وَاكْتَسَوْا وَشَبِعُوا. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٢٧٤٧].

٥٩٣٠ ـ [٦٣] وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّكُمْ مَنْصُورُونَ وَمُصِيبُونَ وَمَفْتُوحٌ لَكُمْ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَلْيَتَّقِ اللهَ وَلْيَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَلْيَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [مسند أبي داود الطيالسي: ٣٣٥].

٥٩٣١ ـ [٦٤] وَعَنْ جَابِرٍ: أَنَّ يَهُودِيَّةً مِنْ أَهْلِ خَيْبَرَ سَمَّتْ شَاةً. . .

٥٩٢٩ ـ [٦٢] (عبدالله بن عمرو) قوله: (في ثلاث مئة وخمسة عشر) المشهور أنه خرج يوم بدر في ثلاث مئة وثلاثة عشر، من المهاجرين سبعة وسبعون، ومن الأنصار مئتان وستة وثلاثون.

وقوله: (حفاة) أي: مشاة حفاة.

٥٩٣٠ ـ [٦٣] (ابن مسعود) قوله: (ومفتوح) أي: يفتح لكم بلاد وأمصار كثيرة.

٥٩٣١ ـ [٦٤] (جابر) قوله: (أن يهودية) اسمها زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم.

وقوله: (سمت شاة) وفي رواية: سألت أيّ الشاة أحب إلى محمد؟ فقالوا: الذراع، فعمدت إلى عنز لها فذبحتها وصلتها، ثم عمدت إلى سم لا يبطئ، يعني لا يلبث أن يقتل من ساعته، فسمت الشاة وأكثرت في الذراع والكتف، فوضعت بين

مَصْلِيَّةً، ثُمَّ أَهْدَتْهَا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الذِّرَاعَ، فَأَكَلَ مِنْهَا وَأَكَلَ رَهْطٌ مِنْ أَصْحَابِهِ مَعَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ»، وَأَرْسَلَ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ فَدَعَاهَا فَقَالَ: «سَمَمْتِ هَذِهِ الشَّاةَ؟» فَقَالَتْ: مَنْ أَخْبَرَكَ؟ قَالَ: «أَخْبَرَتْنِي هَذِه فِي يَدِي» لِلذِّرَاعِ، قَالَتْ: نَعَمْ، قُلْتُ: إِنْ كَانَ نَبِيًّا فَلَنْ تَضُرَّهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا اسْتَرَحْنَا مِنْهُ، فَعَفَا عَنْهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلَمْ يُعَاقِبْهَا، وَتُوُفِّيَ أَصْحَابُهُ الَّذِينَ أَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ، وَاحْتَجَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى كَاهِلِهِ مِنْ أَجْلِ الَّذِي أَكَلَ مِنَ الشَّاةِ، حَجَمَهُ أَبُو هِنْدٍ بِالْقَرْنِ. . . . .

يديه ومن حضر من أصحابه، وفيهم بشر بن البراء، فتناول ﷺ فانتهش منها، وتناول بشر عظماً آخر، فمات بشر بن البراء، فدفعها إلى أولياء بشر بن البراء فقتلوها.

وقوله: (مصلية) بفتح الميم وسكون الصاد وكسر اللام وتشديد التحتانية، أي: مشوية، من صلى اللحم يصليه صلياً: شواه من ضرب.

وقوله: (للذراع) اللام للبيان أو بمعنى عن، نحو قال لزيد: إنه لم يفعل، ونحو قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[العنكبوت: ١٢]، أي: قال عن الذراع أنها أخبرتني، وقيل: اللام بمعنى إلى، أي: قال ذلك مشيراً إليها.

وقوله: (فعفا عنها) قال في (المواهب)[١]: قد اختلف في أنه هل عاقبها؟ فعند البيهقي من حديث أبي هريرة: فأعرض عنها، ومن طريق أبي نضرة عن جابر ﷺ: فلم يعاقبها، وقال الأزهري: أسلمت فتركها، قال البيهقي: يحتمل أن يكون تركها أولاً، ثم لما مات بشر بن البراء قتلها، وبذلك أجاب السهيلي وزاد: أنه تركها لأنه

---

(١) «المواهب اللدنية» (١/ ٥٣٤).

وَالشَّفْرَةِ، وَهُوَ مَوْلًى لِبَنِي بَيَاضَةَ مِنَ الأَنْصَارِ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالدَّارِمِيُّ. [د: ٤٥١٠، دي: ١/ ٢٠٨].

٥٩٣٢ ـ [٦٥] وَعَنْ سَهْلِ بْنِ الْحَنْظَلِيَّةِ: أَنَّهُمْ سَارُوا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ، فَأَطْنَبُوا السَّيْرَ حَتَّى كَانَ عَشِيَّةً، فَجَاءَ فَارِسٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنِّي طَلَعْتُ عَلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا، ....

كان لا ينتقم لنفسه، ثم قتلها ببشر قصاصاً، ويحتمل أن يكون تركها لكونها أسلمت، وإنما أخر قتلها حتى مات بشر؛ لأن بموته وجب القصاص، ويختلج أنه ما وجه تخصيص ذكر موت بشر والاختصاص به وقد توفي أصحابه الذين أكلوا من الشاة، ولعله مات بشر بالفور قبل وفاة الأصحاب فاقتص به، والله أعلم. (**والشفرة**) بفتح الشين المعجمة وسكون الفاء: السكين الكبير.

٥٩٣٢ ـ [٦٥] (سهل بن الحنظلية) قوله: (**وعن سهل بن الحنظلية**) نسبة إلى حنظل بلفظ الثمرة المرة المعروفة.

وقوله: (**حتى كان عشية**) بالنصب، أي: حتى كان السير إلى العشية، أي: ممتداً إليها.

وقوله: (**إني طلعت**) بفتح اللام وكسرها لغتان، في (القاموس)[1]: طلع الجبل: علاه كطَلِع، بالكسر، وفي (مجمع البحار)[2]: طلع المنبر بفتح لام، أي: أتاه، وبكسرها، أي: علاه، والمصحح في أكثر النسخ بالفتح، وفي بعضها بالكسر.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٦٨٦).

(٢) «مجمع بحار الأنوار» (٣/ ٤٥٩).

فَإِذَا أَنَـا بِهَوَازِنَ عَلَى بَكْرَةِ أَبِيهِمْ ظُعُـنِهِمْ وَنَعَمِهِمْ، اجْتَمَعُـوا إِلَى حُنَيْنٍ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَالَ: «تِلْكَ غَنِيمَةُ الْمُسْلِمِينَ غَداً إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى»، ثُمَّ قَـالَ: «مَنْ يَحْرُسُنَا اللَّيْلَـةَ؟» قَـالَ أَنَـسُ بْـنُ أَبِـي مَرْثَـدٍ الْغَنَـوِيُّ: أَنَـا يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ: «ارْكَبْ» فَرَكِبَ فَرَساً لَهُ. قَالَ: «اسْتَقْبِـلْ هَذَا الشِّعْبَ حَتَّى تَكُونَ فِي أَعْلاَهُ»، ....

وقوله: (على بكرة أبيهم) أي: بأجمعهم، يقال: جاء القوم على بكرة أبيهم، وهذا مثل يريـدون بـه الكثرة وتوفر العدد وأنهم جاؤوا جميعاً لم يختلف منهم أحد، ونقل الطيبي[1] أن أصله أن جمعاً من العرب عرض لهم انزعاج فارتحلوا جميعاً ولم يخلفوا شيئاً حتـى إن بكرة كانت لأبيهم أخذوها معهم، فقال من وراءهـم: جاؤوا على بكرة أبيهم، فصـار ذلك مثـلاً، والبكـرة بفتـح البـاء وسكون الكاف: الإبـل التـي يستقى عليها.

و(الظعن) بالظاء المعجمة والعين المهملة المضمومتين وقد تسكن العين جمع ظعينة: المرأة ما دامت فـي الهودج، وقـد يطلق علـى الهودج فيه امرأة أم لا، وعلى الإبل أيضاً، قال في (الصحاح)[2]: ولا يطلق حمول ولا ظعن إلا على الإبل التي عليها الهوادج، ويقال: هذا بعير تظعنه المرأة، أي: تركبه، و(النعم) بفتحتين الإبل والشاة، أو خاص بالإبل، والجمع أنعام وأناعيم.

وقوله: (أنس بـن أبي مرثد) بفتح الميم والثاء المثلثة، و(الغنوي) بفتح الغين المعجمة والنون نسبة إلى غني بن أعصر، و(استقبل) بلفظ الأمر.

---

(١) «شرح الطيبي» (١١/ ١٥٧).

(٢) «الصحاح» (٦/ ٢١٥٩).

فَلَمَّا أَصْبَحْنَا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى مُصَلاَّهُ، فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: «هَلْ حَسِسْتُمْ فَارِسَكُمْ؟» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَا حَسِسْنَا، فَثُوِّبَ بِالصَّلاَةِ فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي يَلْتَفِتُ إِلَى الشِّعْبِ، حَتَّى إِذَا قَضَى الصَّلاَةَ قَالَ: «أَبْشِرُوا، فَقَدْ جَاءَ فَارِسُكُمْ»، فَجَعَلْنَا نَنْظُرُ إِلَى خِلاَلِ الشَّجَرِ فِي الشِّعْبِ، فَإِذَا هُوَ قَدْ جَاءَ، حَتَّى وَقَفَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: إِنِّي انْطَلَقْتُ حَتَّى كُنْتُ فِي أَعْلَى هَذَا الشِّعْبِ، حَيْثُ أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ طَلَعْتُ الشِّعْبَيْنِ كِلَيْهِمَا، فَلَمْ أَرَ أَحَداً، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَلْ نَزَلْتَ اللَّيْلَةَ؟» قَالَ: لاَ إِلاَّ مُصَلِّياً أَوْ قَاضِيَ حَاجَةٍ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَلاَ عَلَيْكَ أَنْ لاَ تَعْمَلَ بَعْدَهَا». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٢٥٠١].

وقوله: (**فركع ركعتين**) هما سنة الفجر، و(**حسستم**) بكسر السين الأول.

وقوله: (**فثوب**) من التثويب وهو الدعاء للصلاة، والمراد هنا الإقامة، وقد مرّ في (باب الأذان).

وقوله: (**يلتفت إلى الشعب**) فيه جواز الالتفات في الصلاة لمصلحة دينية، وهذا من باب تداخل العبادات كما قيل في تجهيز عمر الجيش في الصلاة، و(**الخلال**) بالكسر جمع خلل: الفرجة بين الشيئين كجبل وجبال.

وقوله: (**هل نزلت الليلة؟**) يعني عن فرسك.

وقوله: (**فلا عليك**) أي: لا بأس عليك (**أن لا تعمل بعدها**) يعني من نوافل الخيرات وفضائل الأعمال، فإن فيما عملت كفاية، وهذا مبالغة في تحسين عمله وبشارة له بالمغفرة، وقيل: المراد عمل الجهاد في ذلك اليوم، وهذا أظهر، والله أعلم.

٥٩٣٣ ـ [٦٦] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ بِتَمَرَاتٍ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! ادْعُ اللهَ فِيهِنَّ بِالْبَرَكَةِ فَضَمَّهُنَّ، ثُمَّ دَعَا لِي فِيهِنَّ بِالْبَرَكَةِ، فَقَالَ: «خُذْهُنَّ فَاجْعَلْهُنَّ فِي مِزْوَدِكَ، كُلَّمَا أَرَدْتَ أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُ شَيْئاً فَأَدْخِلْ فِيهِ يَدَكَ فَخُذْهُ وَلاَ تَنْثُرْهُ نَثْراً»، ....

٥٩٣٣ ـ [٦٦] (**أبو هريرة**) قوله: (**بتمرات**) قيل: كانت التمرات إحدى وعشرين.

وقوله: (**ادع الله فيهن بالبركة**) لم يقل: ادع الله لي فيهن تأدباً وقصداً إلى حصول البركة في نفسهن سواء كانت له أو لغيره، وإن كان مقصوده طلب الدعاء له لنفسه كما يظهر من كلامه ﷺ، فافهم.

وقوله: (**أن تأخذ منه**) أي: من المزود (**شيئاً**) من التمر، هذا هو المراد سواء جعل (منه) صلة (تأخذ) أو حالاً من (شيئاً)، وأما قول الطيبي[1]: إن جعل (منه) صلة تأخذ و(شيئاً) مفعوله، فيكون نكرة شائعة فلا يختص بالتمر، وإن جعل حالاً من (شيئاً) اختص به، لا يخلو عن بعد إلا أن يقصد كمال الإعجاز بأن يخرج من مزود التمر كل ما أراد من تمر أو غيره من الأشياء، ثم هذا الكلام إنما يصح إذا جعل الضمير في منه للتمر المذكور في ضمن تمرات، والظاهر أنه للمزود، وحينئذٍ يصح شيوع شيء وشموله للتمر وغيره على كلا التقديرين سواء جعله صلة (تأخذ) أو حالاً من (شيئاً)، فلا وجه لهذا الترديد كما لا يخفى.

وقوله: (**ولا تنثره**) نثرته نثراً من باب نصر وضرب: رميت به متفرقاً.

---

(١) انظر: «شرح الطيبي» (١١/ ١٥٨).

فَقَدْ حَمَلْتُ مِنْ ذَلِكَ التَّمْرِ كَـذَا وَكَـذَا مِنْ وَسْقٍ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَكُنَّا نَأْكُلُ مِنْهُ وَنُطْعِمُ، وَكَانَ لاَ يُفَارِقُ حَقْوِي حَتَّى كَانَ يَوْمُ قُـتِـلَ عُثْمَانُ فَإِنَّهُ انْقَطَعَ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٨٣٩].

* الْفَصْلُ الثَّالِثُ:

٥٩٣٤ ـ [٦٧] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: تَشَاوَرَتْ قُرَيْشٌ لَيْلَةً بِمَكَّةَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِذَا أَصْبَحَ فَأَثْبِتُوهُ بِالْوَثَاقِ، يُرِيدُونَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ[1] بَعْضُهُمْ: بَلِ اقْتُلُوهُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ أَخْرِجُوهُ، فَأَطْلَعَ اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ عَلَى ذَلِكَ، فَبَاتَ عَلِيٌّ عَلَى فِرَاشِ النَّبِيِّ ﷺ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، وَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ . . . .

وقوله: (فقد حملت من ذلك [التمر] كذا وكذا من وسق) أي: أخرجت منه مقدار كذا بدفعات بأن يكون في كل دفعة أقل منه، أو يكون في كل دفعة بهذا المقدار، فافهم، و(الوسق) بسكون السين: ستون صاعاً أو حمل بعير، و(الحقو) بفتح الحاء المهملة وسكون القاف: معقد الإزار، و(يوم قتل) بفتح (يوم) مضافاً إلى الجملة، و(عثمان) مرفوع، أو برفعه مضافاً إلى المصدر ونصب (عثمان).

الفصل الثالث

٥٩٣٤ ـ [٦٧] (ابن عباس) قوله: (فأثبتوه) من الإثبات، و(الوثاق) بفتح الواو ما يشد به، وذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ الآية [الأنفال: ٣٠].

وقوله: (خرج النبي ﷺ) روي أنه خرج ﷺ وقد أخذ الله على أبصارهم، فلم

---

(١) في نسخة: «وقال».

حَتَّى لَحِقَ بِالْغَارِ، وَبَاتَ الْمُشْرِكُونَ يَحْرُسُونَ عَلِيًّا يَحْسَبُونَـهُ النَّبِـيَّ ﷺ فَلَمَّا أَصْبَحُوا ثَارُوا عَلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَوْا عَلِيًّا رَدَّ اللهُ مَكْرَهُمْ، فَقَالُوا: أَيْنَ صَاحِبُـكَ هَـذَا؟ قَالَ: لاَ أَدْرِي، فَاقْتَصُّوا أَثَرَهُ، فَلَمَّـا بَلَغُوا الْجَبَـلَ اخْتَلَـطَ عَلَيْهِمْ، فَصَعِدُوا الْجَبَلَ، فَمَرُّوا بِالْغَارِ، فَرَأَوْا عَلَى بَابِـهِ نَسْجَ الْعَنْكَبُوتِ، . . . . .

يره أحد منهم، ونثـر علـى رؤوسهم كلهـم تراباً كان فـي يده، وهو يتلو قوله تعالى: ﴿يسٓ﴾ إلى قوله: ﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾[يس: ١ ـ ٩]، ثم انصرف ﷺ حيث أراد، فأتاهم آت ممن لم يكن معهم. فقال: ما تنظرون هنا؟ قالوا: ننظر محمداً، قال: قد خيبكم الله، والله خرج محمـد عليكم، ثـم ما ترك منكـم رجلاً إلا وضع علـى رأسه تراباً، وانطلـق لحاجته، أفما ترون ما بكم؟ فوضع كل رجل يده على رأسه فإذا عليه تراب، وفي رواية أبي حاتـم مما صححه الحاكم من حديث ابن عباس: (فما أصاب رجلاً منهم حصاة إلا قتل يوم بدر كافرا)[1].

وروي: أنـه كانت قريش علـى بابه ﷺ، فخرج متقنعاً بردائه، فقال أبو جهل: هذا محمد يقول: إن اتبعتموني يكون لكم في الدنيا ملك العرب والعجم، وتدخلون الجنة فـي الآخرة، وإن لـم تتبعوني تقتلون فـي الدنيا علـى يدي، وتدخلون النار في الآخرة، قال رسول الله ﷺ: (نعم أقول ذلك، وأنت من الذين أقتلهم في الدنيا ويدخلون النار في الآخرة)، ثم أخذ كفًّا من تراب. . . الحديث.

وقوله: **(ثاروا عليه)** أي: هاجوا ووثبوا.

وقوله: **(فاقتصوا أثره)** قص أثره قصاً وقصصاً: تَتَبَّعَهُ.

وقوله: **(اختلط عليهم)** أي: اشتبه الأثر عليهم.

---

(١) «المستدرك» للحاكم (١/ ٢٦٨).

فَقَالُوا: لَوْ دَخَلَ هَهُنَا لَمْ يَكُنْ نَسْجُ الْعَنْكَبُوتِ عَلَى بَابِهِ، فَمَكَثَ فِيهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ». رَوَاهُ أَحْمَدُ. [حم: ١/ ٣٤٨].

٥٩٣٥ ـ [٦٨] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: لَمَّا فُتِحَتْ خَيْبَرُ أُهْدِيَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ شَاةٌ فِيهَا سُمٌّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اجْمَعُوا لِي مَنْ كَانَ هَهُنَا مِنَ الْيَهُودِ»، فَجَمَعُوا لَهُ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي سَائِلُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَهَلْ أَنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ عَنهُ؟» قَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ[1]! فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ «مَنْ أَبُوكُمْ؟» قَالُوا: فُلَانٌ، قَالَ: «كَذَبْتُمْ، . . . .

٥٩٣٥ ـ [٦٨] (أبو هريرة) قوله: (فيها سم) في (القاموس)[2]: السم: الثقب، وهذا القاتل المعروف، ويثلث فيهما.

وقوله: (فهل أنتم مصدقي؟) هكذا في نسخ (المشكاة) بلفظ اسم الفاعل من التصديق، وأصله مصدقوي كمسلمي، وكان معناه هل تصدقوني أن أرد عليكم وأكذبكم في جوابكم عن سؤالي؟ وفي بعض الأصول: (صادقوني)، وقالوا: يجوز لحوق نون الوقاية في بعض الأسماء المعربة المشابهة للفعل، وفي رواية: (صادقي) بتشديد الياء، وأصله صادقون، وهو الأظهر الأنسب بقولهم: (إن كذبناك)، أي: قلنا لك قولاً كاذباً.

وقوله: (عنه) أي: مجيبين عنه.

وقوله: (من أبوكم؟) كأنه ﷺ سألهم عن أبيهم الكبير الذي كأبي القبيلة.

---

(١) في نسخة: «يا با القاسم» في المواضع الثلاثة.

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ١٠٣٥).

بَلْ أَبُوكُمْ فُلاَنٌ» قَالُوا: صَدَقْتَ وَبَرَرْتَ، قَالَ: «فَهَلْ أَنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ؟» قَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، وَإِنْ كَذَبْنَاكَ عَرَفْتَ كَمَا عَرَفْتَهُ فِي أَبِينَا، فَقَالَ لَهُمْ: «مَنْ أَهْلُ النَّارِ؟» قَالُوا: نَكُونُ فِيهَا يَسِيراً ثُمَّ تَخْلُفُونَا فِيهَا، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اخْسَؤُوا فِيهَا، وَاللهِ لاَ نَخْلُفُكُمْ فِيهَا أَبَداً»، ثُمَّ قَالَ: «هَلْ أَنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ؟»، فَقَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ! قَالَ: «هَلْ جَعَلْتُمْ فِي هَذِهِ الشَّاةِ سُمًّا؟» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «فَمَا حَمَلَكُمْ عَلَى ذَلِكَ؟»، قَالُوا: أَرَدْنَا إِنْ كُنْتَ كَاذِباً أَنْ نَسْتَرِيحَ مِنْكَ، وَإِنْ كُنْتَ صَادِقاً لَمْ يَضُرَّكَ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٤٢٤٩].

٥٩٣٦ ـ [٦٩] وَعَنْ عَمْرِو بْنِ أَخْطَبَ الأَنْصَارِيِّ قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْماً وَصَعِدَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَخَطَبَنَا، حَتَّى حَضَرَتِ الظُّهْرُ، فَنَزَلَ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَخَطَبَنَا، حَتَّى الْعَصْرِ، ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ، حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، فَأَخْبَرَنَا بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، . . . .

وقوله: (**بررت**) بالكسر، أي: أحسنت.

وقوله: (**قالوا نكون فيها يسيراً**) كما حكى الله عنهم ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾[آل عمران: ٢٤].

وقوله: (**ثم تخلفونا**) بتشديد وإدغام نون الإعراب في نون الضمير، وبالتخفيف بحذف إحدى النونين، خاطبوا المسلمين بأنا نخرج من النار وتدخلونها أنتم خلفاء عنا.

وقوله ﷺ: (**اخسؤوا فيها**) إشارة إلى خلودهم فيها وتلميح إلى قوله تعالى: ﴿ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾[المؤمنون: ١٠٨]، وهو زجر للكلب.

٥٩٣٦ ـ [٦٩] (عمرو بن أخطب) قوله: (فأخبرنا بما هو كائن إلى يوم القيامة)

قَالَ: فَأَعْلَمُنَا أَحفظُنَا. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٨٩٢].

٥٩٣٧ ـ [٧٠] وَعَنْ مَعْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي قَالَ: سَأَلْتُ مَسْرُوقاً: مَنْ آذَنَ النَّبِيَّ ﷺ بِالْجِنِّ لَيْلَةَ اسْتَمَعُوا الْقُرْآنَ؟ فَقَالَ حَدَّثَنِي أَبُوكَ يَعْنِي عَبْدَاللهِ بْنَ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ: آذَنَتْ بِهِمْ شَجَرَةٌ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٦٤٦، م: ٤٥٠].

٥٩٣٨ ـ [٧١] وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: كُنَّا مَعَ عُمَرَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ فَتَرَاءَيْنَا الْهِلَالَ وَكُنْتُ رَجُلاً حَدِيدَ الْبَصَرِ، فَرَأَيْتُهُ وَلَيْسَ أَحَدٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَآهُ غَيْرِي، فَجَعَلْتُ أَقُولُ لِعُمَرَ: أَمَا تَرَاهُ؟ فَجَعَلَ لَا يَرَاهُ، قَالَ: يَقُولُ عُمَرُ: سَأَرَاهُ وَأَنَا مُسْتَلْقٍ عَلَى فِرَاشِي، ....

ففيه إخبار عن الغيوب لا يعد ولا يحصى.

وقوله: (**فأعلمنا**) أي: الآن (**أحفظنا**) يومئذ لتلك الأخبار لاشتمالها على علوم جمة.

٥٩٣٧ ـ [٧٠] (**معن بن عبد الرحمن**) قوله: (**وعن معن**) بفتح الميم (**ابن عبد الرحمن**) بن عبدالله بن مسعود.

وقوله: (**من آذن**) بمد الهمزة من الإيذان، أي: من أعلم.

٥٩٣٨ ـ [٧١] (**أنس**) قوله: (**وليس أحد يزعم أنه رآه غيري**) استثناء من (أحد) لا فاعل (رآه)، فافهم.

وقوله: (**وأنا مستلق**) حال من ضمير (**سأراه**) أي: لا حاجة لي إلى رؤيته الآن بتعب، وسأراه بعد ذلك بزمان أو بيوم من غير تعب.

ثُمَّ أَنْشَأَ يُحَدِّثُنَا عَنْ أَهْلِ بَدْرٍ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يُرِينَا مَصَارِعَ أَهْلِ بَدْرٍ بِالأَمْسِ، يَقُولُ: «هَذَا مَصْرَعُ فُلاَنٍ غَداً إِنْ شَاءَ اللهُ، وَهَذَا مَصْرَعُ فُلاَنٍ غَداً(١) إِنْ شَاءَ اللهُ»، قَالَ عُمَرُ: وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ مَا أَخْطَؤُوا الْحُدُودَ الَّتِي حَدَّهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَ: فَجُعِلُوا فِي بِئْرٍ، بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «يَا فُلاَنَ بْنَ فُلاَنٍ وَيَا فُلاَنَ بْنَ فُلاَنٍ! هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ حَقًّا؟ فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي اللهُ حَقًّا»، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ! كَيْفَ تُكَلِّمُ أَجْسَاداً لاَ أَرْوَاحَ فِيهَا؟ فَقَالَ: «مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ، غَيْرَ أَنَّهُمْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَرُدُّوا عَلَيَّ شَيْئاً». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٨٧٣].

٥٩٣٩ ـ [٧٢] وَعَنْ أُنَيْسَةَ بِنْتِ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ عَنْ أَبِيهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَى زَيْدٍ يَعُودُهُ مِنْ مَرَضٍ كَانَ بِهِ، قَالَ: ....

وقوله: (ثم أنشأ) أي: شرع عمر، ويحتمل أن يكون الضمير لأنس، أي: شرع يحدثنا ما سمع عن عمر، والضمير في (ما أخطؤوا) لأهل بدر، صحح ما أخطأ في بعض النسخ بصيغة المتكلم، والأول أظهر.

وقوله: (ما أنتم بأسمع لما أقول منهم) إيراد هذا الحديث في هذا الباب ربما يشعر بأن سماعهم كان معجزة للرسول ﷺ كما قال بعضهم، وقد مرّ الكلام فيه في (كتاب الجهاد) مفصلاً.

٥٩٣٩ ـ [٧٢] (أنيسة بنت زيد) قوله: (وعن أنيسة) بلفظ التصغير.

---

(١) سقط في نسخة.

«لَيْسَ عَلَيْكَ مِنْ مَرَضِـكَ بَأْسٌ، وَلَكِنْ كَيْفَ لَكَ إِذَا عُمِّرْتَ بَعْدِي فَعَمِيتَ؟» قَالَ: أَحْتَسِبُ وَأَصْبِـرُ. قَالَ: «إِذاً تَدْخُلِ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ». قَالَتْ: فَعَمِيَ بَعْدَمَا مَاتَ النَّبِـيُّ ﷺ، ثُمَّ ردَّ اللهُ عَلَيْهِ بَصَرَهُ ثُمَّ مَاتَ.

٥٩٤٠ ـ [٧٣] وَعَـنْ أُسَامَـةَ بْنِ زَيْـدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ تَقَـوَّلَ عَلَيَّ مَـا لَمْ أَقُـلْ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَـدَهُ مِنَ النَّارِ». وَذَلِكَ أَنَّـهُ بَعَثَ رَجُلاً، فَكَذَبَ عَلَيْهِ، فَدَعَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَوُجِدَ مَيِّـتاً، وَقَدِ انْشَقَّ بَطْنُهُ، وَلَمْ تَقْبَلْـهُ الأَرْضُ. رَوَاهُمَا الْبَيْهَقِيُّ فِي «دَلاَئِلِ النُّبُوَّةِ». [دلائل النبوة: ٦/ ٤٧٩، ٦/ ٢٤٥].

٥٩٤١ ـ [٧٤] وَعَنْ جَابِـرٍ أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ جَاءَهُ رَجُلٌ يَسْتَطْعِمُـهُ، فَأَطْعَمَهُ شَطْرَ وَسْقِ شَعِيرٍ، . . . .

وقوله: (قالت) أي: أنيسة، وفي بعض النسخ: قال، أي: الراوي.

وقوله: (رد الله عليه بصره) لعله كان جزاء صبره واحتسابه أو كرامة له، وكرامة الولي معجزة لنبيه، هـذا والظاهر أن المعجـزة إخباره ﷺ فـي قولـه: (كيـف لك إذا عمرت بعدي فعميت؟) فافهم.

٥٩٤٠ ـ [٧٣] (أسامة بن زيد) قوله: (من تقول) من باب التفعل، تقوّل قولاً: ابتدعه كذباً، وهو كقوله في حديث آخر: (من كذب علي متعمداً)[1].

٥٩٤١ ـ [٧٤] (جابـر) قولـه: (شطر وسق) بسكـون السين: ستون صاعاً أو حمل بعير.

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (١٢٩١)، ومسلم في «صحيحه» (٤).

فَمَا زَالَ الرَّجُلُ يَأْكُلُ مِنْهُ وَامْرَأَتُهُ وَضَيْفُهُمَا حَتَّى كَالَهُ، فَفَنِيَ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «لَوْ لَمْ تَكِلْهُ لأَكَلْتُمْ مِنْهُ، وَلَقَامَ لَكُمْ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٢٨١].

٥٩٤٢ ـ [٧٥] وَعَنْ عَاصِمِ بْنِ كُلَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ، قَالَ: «خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي جَنَازَةٍ، فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْقَبْرِ يُوصِي الْحَافِرَ يَقُولُ: «أَوْسِعْ مِنْ قِبَلِ رِجْلَيْهِ، أَوْسِعْ مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ» فَلَمَّا رَجَعَ اسْتَقْبَلَهُ دَاعِيَ امْرَأَتِهِ، فَأَجَابَ وَنَحْنُ مَعَهُ، فَجِيءَ بِالطَّعَامِ، فَوَضَعَ يَدَهُ، ثُمَّ وَضَعَ الْقَوْمُ، فَأَكَلُوا، فَنَظَرْنَا إِلَى[1] رَسُولِ اللهِ ﷺ يَلُوكُ لُقْمَةً فِي فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَجِدُ لَحْمَ شَاةٍ أُخِذَتْ بِغَيْرِ إِذْنِ أَهْلِهَا»، فَأَرْسَلَتِ الْمَرْأَةُ تَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنِّي أَرْسَلْتُ إِلَى النَّقِيعِ ـ وَهُوَ مَوْضِعٌ يُبَاعُ فِيهِ الْغَنَمُ ـ لِيُشْتَرَى لِي شَاةٌ، ....

وقوله: (فما زال الرجل يأكل منه) لم يعلم مدة أكله، والله أعلم.

٥٩٤٢ ـ [٧٥] (عاصم بن كليب) قوله: (ابن كليب) بالتصغير.

وقوله: (داعي امرأته) أي: امرأة الميت، و(اللوك) إدارة الشيء في الفم، كذا في (النهاية)[2]، وفي (القاموس)[3]: اللوك: إمعان المضغ أو مضغ شيء صلب، لاك الفرس اللجام، و(النقيع) بالنون موضع في سوق المدينة، وهو في صدر وادي العقيق على نحو عشرين ميلاً من المدينة، كذا قيل، ونقل عن الخطابي أنه قال: قد أخطأ من قال بالباء الموحدة.

---

(١) «إلى» سقط في نسخة.

(٢) «النهاية» (٤/ ٢٧٨).

(٣) «القاموس المحيط» (ص: ٨٧٧).

فَلَمْ تُوجَدْ، فَأَرْسَلْتُ إِلَى جَارٍ لِي قَدِ اشْتَرَى شَاةً أَنْ يُرْسِلَ بِهَا إِلَيَّ بِثَمَنِهَا، فَلَمْ يُوجَدْ، فَأَرْسَلْتُ إِلَى امْرَأَتِـهِ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيَّ بِهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَطْعِمِي هَذَا الطَّعَامَ الأَسْرَى». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي (دلَائِلِ النُّبُوَّةِ).

[د: ٣٣٣٢، دلائل النبوة: ٦/ ٣١٠].

٥٩٤٣ ـ [٧٦] وَعَنْ حِزَامِ بْنِ هِشَامٍ عَنْ أَبِـيهِ عَنْ جَدِّهِ حُبَيْشِ بْنِ خَالِدٍ ـ وَهُوَ أَخُو أُمِّ مَعْبَدٍ ـ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حِينَ أُخْرِجَ مِنْ مَكَّةَ خَرَجَ مُهَاجِراً إِلَى الْمَدِينَةِ، هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ، وَمَوْلَى أَبِـي بَكْرٍ عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ وَدَلِيلُهُمَا عَبْدُاللهِ اللَّيْثِي مَرُّوا عَلَى خَيْمَتَيْ أُمِّ مَعْبَدٍ، فَسَأَلُوهَا لَحْماً وَتَمْراً لِيَشْتَرُوا مِنْهَا، فَلَمْ يُصِيبُوا عِنْدَهَا شَيْئاً من ذَلِك، . . . .

وقوله: (فلم يوجد) أي: الجار في بيته (فأرسلت) أي: امرأته بغير إذن زوجها، و(الأسرى) جمع أسير كأسارى، قال الطيبي[1]: وكانوا كفاراً، وقال: ولما لم يجدوا صاحب الشاة ليستحلوا [منه] وكان يضيع الطعام ويفسد أَمَرَ بإطعامهم.

٥٩٤٣ ـ [٧٦] (حزام بن هشام) قوله: (حزام) بكسر المهملة وبالزاي، و(حبيش) بمهملة فموحـدة فتحتيـة فمعجمـة بلفظ التصغير، و(عامر بن فهيرة) بالفاء مصغراً، أسلم قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم.

وقوله: (مروا على خيمتي أم معبد) الخيمة بفتح الخاء معروف، من خام يخيم: إذا أقـام بالمكان، وقال في (القاموس)[2]: الخيمـة: ثلاثة أعواد أو أربعة يلقى عليه

---

(١) «شرح الطيبي» (١١/ ١٦٣).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ١٠١٩).

وَكَانَ الْقَوْمُ مُرْمِلِينَ مُسْنِتِينَ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى شَاةٍ فِي كِسْرِ الْخَيْمَةِ، فَقَالَ: «مَا هَذِهِ الشَّاةُ يَا أُمَّ مَعْبَدٍ؟» قَالَتْ: شَاةٌ خَلَّفَهَا الْجُهْدُ عَنِ الْغَنَمِ. قَالَ: «هَلْ بِهَا مِنْ لَبَنٍ؟» قَالَتْ: هِيَ أَجْهَدُ مِنْ ذَلِكَ قَالَ: «أَتَأْذَنِينَ لِي أَنْ أَحْلُبَهَا؟» قَالَتْ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي إِنْ رَأَيْتَ بِهَا حَلْباً فَاحْلُبْهَا. فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَمَسَحَ بِيَدِهِ ضَرْعَهَا، وَسَمَّى اللهَ تَعَالَى، وَدَعَا لَهَا فِي شَاتِهَا، فَتَفَاجَّتْ عَلَيْهِ، . . . .

الثُّمام، ويستظل بها في الحر، أو كل بيت يبنى من عيدان الشجر، انتهى. وفي الحديث: (الشهيد في خيمة الله تحت العرش)[1] استعار لظل رحمة الله تعالى ورضوانه وأمنه.

وقوله: **(مرملين)** بلفظ اسم الفاعل من أرمل القوم: إذا نفد زادهم.

وقوله: **(مسنتين)** أيضاً بلفظ اسم الفاعل، أسنتوا: أجدبوا، والسنت، ككتف: قليل الخير، وأرض سَنِتَةٌ ومسنتة: لم تنبت، وعام سنيت ومسنت: جَدْبٌ، وأصل سنة سنوة، والجمع سنوات، و**(الكسر)** بالفتح ويكسر: جانب البيت.

وقوله: **(شاة خلفها)** بالتشديد، أي: عن المرعى، و**(الجهد)** بالضم أو الفتح فاعل خلّفها، من جهد المرض فلاناً: هزله، فالجهد هنا بمعنى الهزل.

وقوله: **(أن أحلبها)** حلبت الناقة حلباً من نصر، والحلب، محركة: اللبن المحلوب كحليب.

وقوله: **(ودعا لها في شاتها)** الضميران لأم معبد.

وقوله: **(فتفاجت)** أي: فتحت بين رجليها للحلب.

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في «الجهاد» (١/ ٣٧١).

وَدَرَّتْ وَاجْتَرَّتْ، فَدَعَا بِإِنَاءٍ يُرْبِضُ الرَّهْطَ، فَحَلَبَ فِيهِ ثَجًّا حَتَّى عَلَاهُ الْبَهَاءُ، ثُمَّ سَقَاهَا حَتَّى رَوِيَتْ وَسَقَى أَصْحَابَهُ حَتَّى رَوُوا، ثُمَّ شَرِبَ آخِرَهُمْ، ثُمَّ حَلَبَ فِيهِ ثَانِياً بَعْدَ بَدْءٍ حَتَّى مَلَأَ الإِنَاءَ، ثُمَّ غَادَرَهُ عِنْدَهَا، وَبَايَعَهَا، وَارْتَحَلُوا عَنْهَا. رَوَاهُ فِي «شَرْحِ السُّنَّةِ» وَابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي «الاِسْتِيعَابِ» وَابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي كِتَابِ «الْوَفَاءِ»، وَفِي الْحَدِيثِ قِصَّةٌ. [شرح السنة: ٣٧٠٤، الاستيعاب: ٤/ ١٩٥٩].

❖ ❖ ❖

وقوله: (**اجترت**) الجرة: ما يجره البعير والشاة من بطنه لتمضغه، من الجر بمعنى الجذب كالاجترار.

وقوله: (**بإناء يربض**) بضم الياء من أربض الإناء القوم: أرواهم حتى ثقلوا، أو ناموا ممتدين على الأرض، من ربض بالمكان: أقام ملازماً له، و(**الثج**) السيلان، ثج الماء: سال، و(**البهاء**) وبيص رغوة اللبن، ورغوة اللبن مثلثة: زبده الذي يعلوه عند غليانه.

وقوله: (**ثم سقاها**) أي: أم معبد (**حتى رويت**) بكسر الواو، و(**رووا**) بضمها.

وقوله: (**ثم شرب**) أي: رسول الله ﷺ، و(**آخرهم**) أي: حال كونهم آخرهم.

وقوله: (**ثم غادره**) أي: ترك اللبن، غادره وأغدره: تركه وأبقاه.

وقوله: (**وبايعها**) أي: على الإسلام.

وقوله: (**وفي الحديث قصة**) وهي مذكورة في كتب السير في (باب الهجرة)،

٨ ـ باب الكرامات

وذكر في (المواهب اللدنية[١]) عن أسماء بنت أبي بكر: ولما خفي علينا أمر رسول الله ﷺ أتانا نفر من قريش منهم أبو جهل بن هشام، فخرجت إليهم، فقال: أين أبوك؟ فقلت: والله لا أدري أين أبي، قالت: فرفع أبو جهل يده، وكان فاحشاً خبيثاً، فلطم خدي لطمة، خرج منها قرطي، ثم انصرفوا، ولما لم يدر أين توجه رسول الله ﷺ، أتى رجل من الجن يسمعون صوته ولا يرونه، وهو ينشد هذه الأبيات:

جزى الله رب الناس خير جزائه ... رفيقين حلا خيمتي أم معبد

هما نزلا بالبر ثم ترحلا ... فأفلح من أمسى رفيق محمد

٨ ـ باب الكرامات

اتفق أهل الحق على جواز وقوع الكرامة عن الأولياء، ودل على وقوعها الكتاب والسنة، وتواترت الأخبار به عن الصحابة ومن بعدهم تواتراً معنوياً بحيث لا يتطرق إلى القدر المشترك بينهما شبهة عند الإنصاف وترك العناد، خصوصاً من بعض أكابر المشايخ الصوفية وساداتهم كسيدنا الشيخ محيي الدين عبد القادر، فإنه ﷺ كان كثير الكرامات بحيث لا تعد ولا تحصى.

قال بعض المشايخ من أهل زمانه: كانت كراماته كالعقد المنضدة يتبع بعضها بعضاً، كانت تارة تظهر منه وتارة فيه، وكان واحد منا إذا أراد في مجلس واحد أشياء منها لعد، وقال الشيخ الإمام عبدالله اليافعي رحمة الله عليه: كراماته ثابتة بلا شبهة ومعلوم بالاتفاق، وبلغ مبلغ التواتر ما بلغ مثلها من أحد من شيوخ الآفاق.

---

(١) «المواهب اللدنية» (١/ ٣٠٠، ٣٠١).

* الْفَصْلُ الأَوَّلُ:

٥٩٤٤ ـ [١] عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ أُسَيْدَ بْنَ حُضَيْرٍ وَعَبَّادَ بْنَ بِشْرٍ تَحَدَّثَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَاجَةٍ لَهُمَا، حَتَّى ذَهَبَ مِنَ اللَّيْلِ سَاعَةٌ فِي لَيْلَةٍ شَدِيدَةِ الظُّلْمَةِ، ثُمَّ خَرَجَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَنْقَلِبَانِ، وَبِيَدِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عُصَيَّةٌ، فَأَضَاءَتْ عَصَا أَحَدِهِمَا لَهُمَا حَتَّى مَشَيَا فِي ضَوْئِهَا، حَتَّى إِذَا افْتَرَقَتْ بِهِمَا الطَّرِيقُ أَضَاءَتْ لِلآخَرِ عَصَاهُ، فَمَشَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي ضَوْءِ عَصَاهُ حَتَّى بَلَغَ أَهْلَهُ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٣٨٠٥].

وقد ذهب جماعة من المعتزلة ومن نحا نحوهم إلى إنكار الكرامة، وذهب بعضهم إلى أنه لا تصدر الكرامة من الولي قصداً واختياراً، وإنما تظهر من غير قصد واختيار وهذا باطل، وقيل: إن الكرامة لا تكون من جنس المعجزة كتكثير الطعام القليل، ونبع الماء من الأصابع ونحوهما، والحق جواز وقوعها قصداً واختياراً ومن جنس المعجزات وغيرها، وتمام الكلام في إثبات الكرامة بالدلائل، ورفع شبهة المخالفين مذكور في كتب الكلام، ولا حاجة إلى البيان بعد العيان، وبالله التوفيق.

الفصل الأول

٥٩٤٤ ـ [١] **(أنس)** قوله: **(أن أسيد بن حضير)** كلاهما بلفظ التصغير، و**(عباد)** بفتح العين وتشديد الباء **(ابن بشر)** بكسر الباء.

وقوله: **(ينقلبان)** أي: ينصرفان إلى بيتهما، و**(عصية)** تصغير عصا.

وقوله: **(فأضاءت عصا أحدهما)** وفي رواية للبخاري في (كتاب الصلاة)[١]: خرجا من عند النبي ﷺ في ليلة مظلمة ومعهما مثل المصباحين يضيئان، فلما افترقا

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٣٨٠٥).

٥٩٤٥ ـ [٢] وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ: لَمَّا حَضَرَ أُحُدٌ دَعَانِي أَبِي مِنَ اللَّيْلِ، فَقَالَ: مَا أُرَانِي إِلاَّ مَقْتُولاً فِي أَوَّلِ مَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، وَإِنِّي لاَ أَتْرُكُ بَعْدِي أَعَزَّ عَلَيَّ مِنْكَ غَيْرَ نَفْسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَإِنَّ عَلَيَّ دَيْناً فَاقْضِ، وَاسْتَوْصِ بِأَخَوَاتِكَ خَيْراً، فَأَصْبَحْنَا فَكَانَ أَوَّلَ قَتِيلٍ، وَدَفَنْتُهُ مَعَ آخَرَ فِي قَبْرٍ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ١٣٥١].

٥٩٤٦ ـ [٣] وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ قَالَ: إِنَّ أَصْحَابَ الصُّفَّةِ كَانُوا أُنَاساً فُقَرَاءَ، وَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامُ اثْنَيْنِ فَلْيَذْهَبْ بِثَالِثٍ، وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامُ أَرْبَعَةٍ فَلْيَذْهَبْ بِخَامِسٍ أَوْ سَادِسٍ» . . . . . .

صار مع كل واحد منهما واحد حتى أتى أهله.

٥٩٤٥ ـ [٢] (جابر) قوله: **(لما حضر أحد)** بضمتين موضع غزوة مشهورة.

وقوله: **(ما أراني)** بضم الهمزة.

وقوله: **(واستوص بأخواتك)** أي: اقبل وصيتي فيهن، قيل: كان لجابر تسع أخوات.

وقوله: **(مع آخر)** أي: مع رجل آخر وهو عمرو بن الجموح، وكان صديق والد جابر وزوج أخته، كذا قال الشيخ[1]، وقد كان حكم رسول الله ﷺ في قتلى أحد أن يدفن بعض مع بعض في قبر واحد ويقدم من كان أكثر قرآناً.

٥٩٤٦ ـ [٣] (عبد الرحمن بن أبي بكر) قوله: **(إن أصحاب الصفة)** الصفة: موضع مظلل من المسجد، وهم يبيتون فيها، كانوا أضياف الإسلام متوكلين على الله، لا مسكن لهم، ولا مال، ولا ولد، وكانوا سبعين، ويقلون حيناً ويكثرون حيناً.

---

(١) «فتح الباري» (٣/ ٢١٦).

وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ جَاءَ بِثَلاَثَة، وَانْطَلَقَ النَّبِيُّ ﷺ بِعَشَرَةٍ، وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ تعَشَّى عِنْد النبيِّ ﷺ، ثُمَّ لَبِثَ حَتَّى صُلِّيَتِ الْعِشَاءُ، ثُمَّ رَجَعَ فَلَبِثَ حَتَّى تَعَشَّى النَّبِيُّ ﷺ، فَجَاءَ بَعْدَ مَا مَضَى مِنَ اللَّيْلِ مَا شَاءَ اللهُ. قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: مَا حَبَسَكَ عَنْ أَضْيَافِكَ؟ قَالَ: أَوَمَا عَشَّيْتِيهِمْ؟ قَالَتْ: أَبَوْا حَتَّى تَجِيءَ، فَغَضِبَ وَقَالَ: وَاللهِ لاَ أَطْعَمُهُ أَبَداً، فَحَلَفَتِ الْمَرْأَةُ أَنْ لاَ تَطْعَمَهُ، وَحَلَفَ الأَضْيَافُ أَنْ لاَ يَطْعَمُوهُ. قَالَ أَبُو بَكْرٍ: كَانَ هَذَا مِنَ الشَّيْطَانِ، فَدَعَا بِالطَّعَامِ، فَأَكَلَ وَأَكَلُوا، ....

وقوله: **(وإن أبا بكر جاء بثلاثة، وانطلق النبي ﷺ بعشرة)** قال الشيخ[١]: عبر عن أبي بكر بلفظ المجيء لبعد منزله من المسجد، وعبر عن النبي ﷺ بالانطلاق لقربه.

وقوله: **(ثم رجع)** أي: إلى بيته ﷺ، وهذا تكرار لما تقدم من قوله: (تعشى عند النبي ﷺ)، وفي رواية: ثم ركع بدل (رجع)، أي: صلى النافلة، كذا في الحواشي، وقال الكرماني[٢]: إن قلت: هذا يشعر بأن التعشي عند النبي ﷺ كان بعد الرجوع إليه، وما تقدم أشعر بأنه كان قبله؟ قلت[٣]: الأول بيان حال أبي بكر في عدم احتياجه عند أهله، والثاني هو سوق القصة على الترتيب الواقع، أو الأول كان تعشّي أبي بكر رضي الله عنه، والثاني تعشي رسول الله ﷺ، فافهم.

وقوله: **(فدعا بالطعام فأكل)** وإنما أكل رضي الله عنه مع حلفه أن لا يأكل لحديث:

---

(١) «فتح الباري» (١/ ٥٩٥).

(٢) «شرح الكرماني» (٤/ ٢٣٨).

(٣) أي: الكرماني.

فَجَعَلُوا لاَ يَرْفَعُونَ لُقْمَةً إِلاَّ رَبَتْ مِنْ أَسْفَلِهَا أَكْثَرُ مِنْهَا. فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ: يَا أُخْتَ بَنِي فِرَاسٍ! مَا هَذَا؟ قَالَتْ: وَقُرَّةِ عَيْنِي إِنَّهَا الآنَ لأَكْثَرُ مِنْهَا قَبْلَ ذَلِكَ بِثَلاَثِ مِرَارٍ، فَأَكَلُوا، وَبَعَثَ بِهَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَذُكِرَ أَنَّهُ أَكَلَ مِنْهَا. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٦١٤١، م: ٢٠٥٧].

وَذُكِرَ حَدِيثُ عَبْدِاللهِ بْنِ مَسْعُودٍ: كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ فِي «الْمُعْجِزَاتِ».

(من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه)، أو كان مراده لا أطعمه معكم، أو في هذه الساعة، أو عن الغضب، وكذا الكلام في حلف الأضياف أيضاً.

وقوله: (**إلا ربت**) أي: زادت وارتفعت من أسفل.

وقوله: (**يا أخت بني فراس**) بكسر الفاء وتخفيف الراء، وهي كانت أم عائشة وعبد الرحمن، كنيتها أم رومان، من بني فراس بن سليم بن مالك بن نضر بن كنانة.

وقوله: (**وقرة عيني**) بالجر والواو للقسم، وبالنصب منادى حذف حرف ندائه، وقرة العين يعبر بها عن المسرة ورؤية ما يحبه الإنسان، إما من القرار؛ لأن العين تقر وتسكن برؤية المحبوب، ولا تلتفت إلى شيء آخر، وإما من القر بالضم بمعنى البرد، والعين تبرد بالنظر إلى الحبيب، ولذلك يقال للولد: قرة العين، أرادت بقرة عينها الصديقَ لمحبتها إياه ولما ظهر من الكرامة منه، وقيل: أرادت بقرة عينها النبي ﷺ.

* الْفَصْلُ الثَّانِي:

٥٩٤٧ - [٤] عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: لَمَّا مَاتَ النَّجَاشِيُّ كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّهُ لاَ يَزَالُ يُرَى عَلَى قَبْرِهِ نُورٌ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٢٥٢٣].

٥٩٤٨ - [٥] وَعَنْهَا قَالَتْ: لَمَّا أَرَادُوا غُسْلَ النَّبِيِّ ﷺ قَالُوا: لاَ نَدْرِي أَنُجَرِّدُ رَسُولَ اللهِ ﷺ مِنْ ثِيَابِهِ كَمَا نُجَرِّدُ مَوْتَانَا أَمْ نَغْسِلُهُ وَعَلَيْهِ ثِيَابُهُ؟ فَلَمَّا اخْتَلَفُوا أَلْقَى اللهُ عَلَيْهِمُ النَّوْمَ حَتَّى مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلاَّ وَذَقَنُهُ فِي صَدْرِهِ، ثُمَّ كَلَّمَهُمْ مُكَلِّمٌ مِنْ نَاحِيَةِ الْبَيْتِ لاَ يَدْرُونَ مَنْ هُوَ؟ اغْسِلُوا النَّبِيَّ ﷺ وَعَلَيْهِ ثِيَابُهُ، فَقَامُوا فَغَسَلُوهُ وَعَلَيْهِ قَمِيصُهُ، يَصُبُّونَ الْمَاءَ فَوْقَ الْقَمِيصِ وَيَدْلُكُونَهُ بِالْقَمِيصِ. رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «دَلاَئِلِ النُّبُوَّةِ». [دلائل النبوة: ٧/ ٢٤٢].

٥٩٤٩ - [٦] وَعَنِ ابْنِ الْمُنْكَدِرِ أَنَّ سَفِينَةَ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَخْطَأَ الْجَيْشَ بِأَرْضِ الرُّومِ أَوْ أُسِرَ، ....

الفصل الثاني

٥٩٤٧ - [٤] (عائشة) قوله: (يرى على قبره نور) الظاهر أن المراد نور محسوس مثل نور الشمعة أو الشمس أو القمر، ويحتمل أن يكون عبارة عن ضياء وبَهَاءٍ يدركه الناس بقلوبهم، والله أعلم.

٥٩٤٨ - [٥] (وعنها) قوله: (فغسلوه وعليه قميصه) ونقل عن النووي أنه قال: الصواب أن الثوب الذي غسل فيه نزع عنه عند تكفينه، وما روي أنه لم ينزع فضعيف، لا يصح الاحتجاج به.

٥٩٤٩ - [٦] (ابن المنكدر) قوله: (أخطأ الجيش) أي: ضل الطريق فلم يهتد

فَانْطَلَقَ هَارِباً يَلْتَمِسُ الْجَيْشَ، فَإِذَا هُوَ بِالأَسَدِ. فَقَالَ: يَا بَا الْحَارِثِ! أَنَا مَوْلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، كَانَ مِنْ أَمْرِي كَيْتَ وَكَيْتَ، فَأَقْبَلَ الأَسَدُ، لَهُ بَصْبَصَةٌ حَتَّى قَامَ إِلَى جَنْبِهِ، كُلَّمَا سَمِعَ صَوْتاً أَهْوَى إِلَيْهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ يَمْشِي إِلَى جَنْبِهِ حَتَّى بَلَغَ الْجَيْشَ، ثُمَّ رَجَعَ الأَسَدُ. رَوَاهُ فِي «شَرْحِ السُّنَّةِ». [شرح السنة: ٣٧٣٢].

٥٩٥٠ ـ [٧] وَعَنْ أَبِي الْجَوْزَاءِ قَالَ: قُحِطَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ قَحْطاً شَدِيداً، فَشَكَوْا إِلَى عَائِشَةَ فَقَالَتْ: انْظُرُوا قَبْرَ النَّبِيِّ ﷺ، فَاجْعَلُوا مِنْهُ كُوًى إِلَى السَّمَاءِ، حَتَّى لاَ يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّمَاءِ سَقْفٌ، فَفَعَلُوا، فَمُطِرُوا مَطَراً حَتَّى نَبَتَ الْعُشْبُ، وَسَمِنَتِ الإِبِلُ، ....

إلى الجيش سبيلاً، و(أبو الحارث) كنية الأسد.

وقوله: (له بصبصة) بصبص الكلب: حرك ذنبه، يفعل ذلك تملقاً وتذللاً إلى صاحبه، و(أهوى إليه) أي: قصده، من أهوى إليه: مد يده إليه ليأخذه، ويقال: أهوت يدي إليه: امتدت وارتفعت.

٥٩٥٠ ـ [٧] (أبو الجوزاء) قوله: (كوى) جمع كوة بفتح الكاف ويضم وتخفيف الواو [وقد يضم الكاف] في المفرد والجمع، وهي ثقب البيت، قال في (القاموس)[1]: الكَوَّةُ والكَوُّ: الخَرْقُ في الحائط، أو التذكير للكبير، والتأنيث للصغير.

وقوله: (حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف) أي: ارفعوا الحجاب بين قبره وبين السماء، قيل: السبب في ذلك أن السماء لما رأت قبره ﷺ بكت، وسال الوادي من بكائها؛ لقوله: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ﴾[الدخان: ٢٩]، والصحيح أنه استشفاع

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١٢٢٠).

حَتَّى تَفَتَّقَتْ مِنَ الشَّحْمِ، فَسُمِّيَ عَامَ الْفَتْقِ، رَوَاهُ الدَّارِمِيُّ. [دي: ١/ ٢٢٧].

٥٩٥١ ـ [٨] وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ: لَمَّا كَانَ أَيَّامُ الْحَرَّةِ لَمْ يُؤَذَّنْ فِي مَسْجِدِ النَّبِيِّ ﷺ ثَلَاثاً وَلَمْ يُقَمْ، وَلَمْ يَبْرَحْ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ الْمَسْجِدَ، وَكَانَ لَا يَعْرِفُ وَقْتَ الصَّلَاةِ إِلَّا بِهَمْهَمَةٍ يَسْمَعُهَا مِنْ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ. رَوَاهُ الدَّارِمِيُّ. [دي: ١/ ٢٢٧].

٥٩٥٢ ـ [٩] وَعَنْ أَبِي خَلْدَةَ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي الْعَالِيَةِ: . . . .

بقبره ﷺ؛ لأنهم كانوا يستسقون برسول الله ﷺ في حياته فيمطرون، فأمرت ؓ أن يكشف قبره فتمطر السماء كأنهم استسقوا بقبره بعده، وهو في الحقيقة استشفاع به ﷺ، وكشف القبر مبالغة في ذلك، فهذا الاستشفاع وقبوله وظهور أثره كرامة من أم المؤمنين، وهي في الحقيقة معجزة للنبي ﷺ.

وقوله: (**تفتقت**) أي: انشقت الإبل، من فتقه: شقه، كناية عن غاية السمن، أي: صارت كأنها تتفتق.

٥٩٥١ ـ [٨] (سعيد بن عبد العزيز) قوله: (**لما كان أيام الحرة**) بفتح المهملة وتشديد الراء: أرض فيه حجارة وهي في ظاهر المدينة، وهي بين الحرتين، وكانت وقعة الحرة في زمن يزيد بن معاوية، بعث جيشاً إليها لينهبوها ويقتلوها أهلها انتقاماً من قتل عثمان ؓ، فكان ما كان، وهي مذكورة في (تاريخ المدينة)، قالوا: ربطوا الخيل في مسجد النبي ﷺ، ولم يحضره أحد من أهلها إلا سعيد بن المسيب، فلم يفارقه، وكان يسمع صوت الأذان من قبره ﷺ، و(**الهمهمة**) كلام خفي لا يفهم، وقيل: ترديد الصوت في الصدر.

٥٩٥٢ ـ [٩] (أبو خلدة) قوله: (**أبي خلدة**) بفتح الخاء المعجمة وسكون اللام.

سَمِعَ أَنَسٌ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؟ قَالَ: خَدَمَهُ عَشْرَ سِنِينَ، وَدَعَا لَهُ النَّبِيُّ ﷺ، وَكَانَ لَهُ بُسْتَانٌ يَحْمِلُ فِي كُلِّ سَنَةٍ الْفَاكِهَةَ مَرَّتَيْنِ، وَكَانَ فِيهَا رَيْحَانٌ يَجِيءُ مِنْهُ رِيحُ الْمِسْكِ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ. [ت: ٣٨٣٣].

* الْفَصْلُ الثَّالِثُ:

٥٩٥٣ - [١٠] عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّ سَعِيدَ بْنَ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ خَاصَمَتْهُ أَرْوَى بِنْتُ أَوْسٍ إِلَى مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، وَادَّعَتْ أَنَّهُ أَخَذَ شَيْئاً مِنْ أَرْضِهَا، فَقَالَ سَعِيدٌ: ....

وقوله: (سمع أنس) بحذف حرف الاستفهام.

وقوله: (ودعا له النبي ﷺ) بالبركة في العمر والأولاد والأموال، فتجاوز عمره مئة سنة، وبلغ أولاده الصلبي مئة نفس، ثلاث وسبعون منها ذكور، وسبعة وعشرون إناث. وأما البركة في الأموال فما ذكر في هذا الحديث، صريح في كونه خارقاً للعادة وكل ذلك كرامة لأنس رضي الله عنه.

الفصل الثالث

٥٩٥٣ - [١٠] (عروة بن الزبير) قوله: (أنّ سعيد بن زيد) وهو أحد العشرة المبشرة آخرهم عدّا زوج أخت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وكان مستجاب الدعوات، و(أروى) بهمزة مفتوحة وراء ساكنة وواو مقصور و(أوس) بفتح الهمزة وسكون الواو، وهكذا فيما رأينا من نسخ (المشكاة)، وفي (جامع الأصول)[١]: بنت أبي أويس مصغراً، وكذا في (أسد الغابة) و(المواهب اللدنية) وغيرها.

---

(١) «جامع الأصول» (١٢/ ١٩١).

أَنَا كُنْتُ آخُذُ مِنْ أَرْضِهَا شَيْئاً بَعْدَ الَّذِي سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: وَمَاذَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ أَخَذَ شِبْراً مِنَ الأَرْضِ ظُلْماً طُوِّقَهُ إِلَى سَبْعِ أَرَضِينَ». فَقَالَ لَهُ مَرْوَانُ: لاَ أَسْأَلُكَ بَيِّنَةً بَعْدَ هَذَا، فَقَالَ سَعِيدٌ: اللهُمَّ إِنْ كَانَتْ كَاذِبَةً فَأَعْمِ بَصَرَهَا وَاقْتُلْهَا فِي أَرْضِهَا، قَالَ: فَمَا مَاتَتْ حَتَّى ذَهَبَ بَصَرُهَا، وَبَيْنَمَا هِيَ تَمْشِي فِي أَرْضِهَا إِذْ وَقَعَتْ فِي حُفْرَةٍ فَمَاتَتْ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٢٣٢٠، م: ٣٣٣٢].

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَبْدِاللهِ بْنِ عُمَرَ بِمَعْنَاهُ، وَأَنَّهُ رَآهَا عَمْيَاءَ تَلْتَمِسُ الْجُدُرَ، تَقُولُ: أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعِيدٍ، وَأَنَّهَا مَرَّتْ عَلَى بِئْرٍ فِي الدَّارِ الَّتِي خَاصَمَتْهُ فِيهَا فَوَقَعَتْ فِيهَا، فَكَانَتْ قَبْرَهَا.

وقوله: **(أنا كنت آخذ)** بلفظ المتكلم قاله إنكاراً على نفسه.

قوله: **(طوقه)** بلفظ المجهول من التفعيل، وفي بعض النسخ: (طوقه الله).

وقوله: **(لا أسألك بينة)** كأنه أقام البينة مقام اليمين مشاكلة لكونها مذكورة تقديراً؛ لأنه كان قد سأل أروى بينة على دعواها، فافهم، ويحتمل أن يكون بحذف الصلة والتقدير: لا أسأل عليك بينة.

وقوله: **(فقال سعيد)** وترك لها ما ادعتها.

وقوله: **(فأعم)** أمر من الإعماء.

وقوله: **(في أرضها)** أي: هذه الأرض التي ادعتها كاذبة، وفي رواية: واجعل قبرها في دارها.

وقوله: **(فكانت)** أي: البئر، يعني لم يجعل لها قبر على حدة.

٥٩٥٤ ـ [١١] وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ: أَنَّ عُمَرَ بَعَثَ جَيْشاً وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ رَجُلاً يُدْعَى سَارِيَةَ، فَبَيْنَمَا عُمَرُ يَخْطُبُ فَجَعَلَ يَصِيحُ: يَا سَارِيَ! الْجَبَلَ، فَقَدِمَ رَسُولٌ مِنَ الْجَيْشِ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! لَقِيَنَا عَدُوُّنَا فَهَزَمُونَا، فَإِذَا بِصَائِحٍ يَصِيحُ: يَا سَارِيَ! الْجَبَلَ. فَأَسْنَدْنَا ظُهُورَنَا إِلَى الْجَبَلِ، فَهَزَمَهُمُ اللهُ تَعَالَى. رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «دَلاَئِلِ النُّبُوَّةِ». [دلائل النبوة: ٦/ ٣٧٠].

٥٩٥٥ ـ [١٢] وَعَنْ نُبَيْهَةَ بْنِ وَهْبٍ: أَنَّ كَعْباً دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ، فَذَكَرُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ كَعْبٌ: مَا مِنْ يَوْمٍ يَطْلُعُ إِلاَّ نَزَلَ سَبْعُونَ أَلْفاً مِنَ الْمَلاَئِكَةِ حَتَّى يَحُفُّوا بِقَبْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَضْرِبُونَ بِأَجْنِحَتِهِمْ، وَيُصَلُّونَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، حَتَّى إِذَا أَمْسَوْا عَرَجُوا وَهَبَطَ مِثْلُهُمْ فَصَنَعُوا مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّى إِذَا انْشَقَّتْ عَنْهُ الأَرْضُ خَرَجَ فِي سَبْعِينَ أَلْفاً مِنَ الْمَلاَئِكَةِ.......

٥٩٥٤ ـ [١١] (ابن عمر) قوله: (يا ساري!) بفتح الياء ترخيم سارية، وفي بعض النسخ: (يا سارية) من غير ترخيم.

وقوله: (**الجبل**) منصوب، أي: اجعل الجبل في ظهرك، وفي بعض الروايات: (الجبل الجبل)، و(**عدونا**) مرفوع فاعل (لقي)، وصحح في بعض النسخ بالنصب.

٥٩٥٥ ـ [١٢] (نبيهة بن وهب) قوله: (**وعن نبيهة**) بضم النون وفتح الموحدة وسكون التحتية آخره تاء، وقيل: صوابه: نبيه بلا تاء.

وقوله: (**إلا نزل سبعون ألفاً من الملائكة**) كان كعباً شاهد الملائكة حتى يكون ذلك له كرامة وإلا إن كان ذلك بالسماع فلا كرامة.

يَزُفُّونَهُ. رَوَاهُ الدَّارِمِيُّ. [دي: ١/ ٢٢٨].



٩ ـ باب

وقولـه: (يزفونه) روي بكسر الزاي من ضرب، زف: أسرع في مشيته، وزف البعير: أسرع، كقوله تعالى: ﴿ فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴾[الصافات: ٩٤]، ففيه حذف وإيصال، أي: يسرعون به، وبضمها من نصر، من زف العروس إلى زوجها زفًّا وزفافاً: أهداها إليه، وفيه استعارة لطيفة، والمراد إهداء المحبوب إلى حبيبه.

٩ ـ باب

هكذا فـي أكثر النسخ، وفي بعضها: (باب وفاة النبي ﷺ)، وهذا أنسب؛ لأن عادة المؤلف أن يضع باباً مطلقاً فيما يكون من متممات ولواحق لما تقدم من الباب، وهنا ليس كذلك، وقـد ذكر في هذا الباب أحاديث متعلقة بوفاته ﷺ فناسب ترجمته به، ونحن نريد أن نذكـر شيئاً من ابتداء مرضه وامتداده ووفاته على ما التزمنا في هذا الشرح من ذكر ما يتعلق بالأبواب.

فاعلم أنه ابتدأ به ﷺ صداع في أواخر صفر، قيل: لليلتين بقيتا منه يوم الأربعاء، وقيل: لليلة، وقيل: بل في مفتتح ربيع الأول، وفي (الوفاء)[1]: مَرِض في صفر لعشر بقين منه، وتوفي ﷺ لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول، وقد جزم سليمان التيمي وهو أحـد الثقات بأن ابتداء مرضه يـوم السبت الثاني والعشرين من صفر، ومات يوم الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الأول، والله أعلم.

---

(١) «وفاء الوفا» (١/ ٢٤٥).

. . . .

وقد يرجح هذا القول بما صح من موت فاطمة الزهراء ﷺ في ثالث رمضان مع ما ثبت من حياتها ﷺ بعده ﷺ ستة أشهر، وقد استأذن ﷺ نساءه في تمريضه ببيت عائشة ﷺ فأذِنَّ له، ثم اشتد وجعه جعل يشتكي وينقلب على فراشه، وروي أنه لا تكاد تقر يدٌ عليه من شدة الحمى، فقال: (ليس أحد أشد بلاء من الأنبياء، كما يشتد علينا البلاء كذلك يضاعف لنا الأجر)، فكانت مدة علته اثني عشر يوماً. وقيل: ثمانية عشر يوماً كما عرف من الاختلاف في ابتداء مرضه، وقد أعتق في مرضه أربعين نفساً.

وكان يصلي بالناس في مدة مرضه، وإنما انقطع ثلاثة أيام، وقيل: سبع عشرة صلاة، وقال فيها: (مروا أبا بكر فليصل بالناس)، وخرج يوماً إلى المسجد وصلى وقال: (يا معشر المسلمين! أنتم في وداع الله وكنفه، والله خليفتي، عليكم بتقوى الله وحفظ طاعته، فإني مفارق للدنيا)، والروايات متعاضدة على أن الإمام كان أبا بكر.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: لم يصل النبي ﷺ خلف أحد من أمته إلا خلف أبي بكر وصلى خلف عبد الرحمن بن عوف في سفر ركعة واحدة.

ومما وقع في مرضه أنه اشتد وجعه يوم الخميس، فأراد أن تكتب كتاباً، فقال لعبد الرحمن بن أبي بكر: (ائتني بكتف أو لوح أكتب لأبي بكر كتاباً لا يختلف فيه)، فلما ذهب عبد الرحمن ليقوم قال: (أبى الله والمؤمنون أن يختلف عليك يا أبا بكر).

وروي أن عباساً رضي الله عنه قال لعلي رضي الله عنه: أنت بعد ثلاث عبد العصا، ثم خلا به فقال: إني يخيل لي أني أعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت، وإني خائف أن لا يقوم رسول الله ﷺ من وجعه، فاذهب بنا إليه فلنسألنه، فإن يك هذا الأمر إلينا فعلمنا ذلك، وإن لم يكن إلينا أمرناه أن يستوصي بنا خيراً، فقال له علي: أرأيت إذا

. . . .

جئناه فلم يعطناها؟ أترى الناس يعطوناها؟ والله لا أسألها إياه أبداً[١].

ومما وقع في مرضه أنه كان له سبعة دنانير فما توفي حتى أنفقها، ومما وقع في مرضه استعمال السواك قبل موته، وعن أنس ﷺ: كان عامة وصية رسول الله ﷺ عند الموت الصلاة وما ملكت أيمانكم حتى جعل رسول الله ﷺ يتغرغر بها في صدره ولا يفيض بها لسانه.

وفي (حياة الحيوان)[٢] للدميري عن الواقدي عن شيوخه أنهم قالوا: لما وقع الشك في موت النبي ﷺ وضعت أسماء بنت عميس يدها بين كتفيه فقالت: توفي رسول الله ﷺ قد رفع الخاتم بين كتفيه، فكان هذا الذي عرف به موت رسول الله ﷺ، ورُوي عن أم سلمة: وضعت يدي على صدر رسول الله ﷺ يوم مات فمر بي جمع آكل الطعام وأتوضأ، ما تذهب ريح المسك من يدي، و(في شواهد النبوة)[٣]: سئل علي ﷺ [عن] سبب فهمه وحفظه قال: لما غسلت النبي ﷺ اجتمع ماء على جفونه فرفعته بلساني واذدردته، فأرى قوة حفظي منه[٤].

وكفن ﷺ في ثلاثة أثواب بيض سحولية ـ بلدة من اليمن ـ من كرسف ليس فيها قميص ولا عمامة، واختلفت الروايات في كفنه ﷺ، وحديث عائشة هذا أصح لكنهم اختلفوا في تفسير قولها: ليس فيها قميص ولا عمامة، فقيل: معناه أنه كفن

---

(١) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٧/ ٢٢٥)، والبخاري في «صحيحه» (٦٢٦٦) نحوه.

(٢) «حياة الحيوان الكبرى» (١/ ٣٢٤).

(٣) كتاب مخطوط في شمائل النبي ﷺ باللغة الفارسية، للشيخ نور الدين عبد الرحمن الجامي (ت ٨٩٨)، وهو موجود في المكتبة المحمودية، بالمدينة المنورة.

(٤) انظر: «تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس» (٢/ ١٧١).

. . . .

في ثلاثة أثواب خارج عن القميص والعمامة، والصحيح أن معناه ليس في الكفن قميص ولا عمامة أصلاً، قال النووي[١]: وبه قال جمهور العلماء، ولم يثبت أنه ﷺ كفن في قميص وعمامة، وعلى التأويل الأول يكون خمسة، وذكر الحنابلة أنه مكروه، وقال الشافعية: جائز غير مستحب، وقال المالكية: إنه مستحب للرجال والنساء، وهو في حق النساء آكد، وجاء في رواية: أنه ﷺ كفن في سبعة أثواب، وذكر ابن حزم أنه وهم، وقيل: الزيادة إلى سبعة غير مكروهة، وما زاد عليها سرف. وعند الحنفية: الأثواب الثلاثة: إزاره وقميصه ولفافه.

وصلوا عليه ﷺ فرادى لا يؤمهم أحد، قال ابن الماجشون: صُليّ عليه اثنين وسبعين صلاة، وقد كان شقران حين وضع رسول الله ﷺ في قبره أخذ قطيفة نجرانية حمراء أصابها يوم خيبر، وكان رسول الله ﷺ يلبسها ويفرشها، فطرحها تحته فدفنها معه في قبره، فقال: والله لا يلبسها أحد بعدك، وبنى في قبره اللبن، يقال: تسع لبنات، قيل: فلما فرغوا عن وضع اللبنات أخرجوا القطيفة.

قال النووي[٢]: وقد نص الشافعي وأصحابه وغيرهم من العلماء على كراهة وضع قطيفة أو نحو ذلك تحت الميت في القبر.

وجعل قبره مسطوحاً، ورش الماء على قبره، وعن سفيان التمار: أنه رآه مسنماً، أي: مرتفعاً، وتسنيم القبر مستحب وهو قول أبي حنيفة ومالك وأحمد والمزني وكثير من الشافعية، وبعض قدماء الشافعية استحبوا التسطيح، ونقل أهل السير عن

---

(١) «شرح صحيح مسلم» للنووي (٧/ ٨).

(٢) «شرح صحيح مسلم» للنووي (٧/ ٣٤).

* الْفَصْلُ الأَوَّلُ:

٥٩٥٦ ـ [١] عَنِ الْبَرَاءِ قَالَ: أَوَّلُ مَنْ قَدِمَ عَلَيْنَا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، فَجَعَلَا يُقْرِآنِنَا الْقُرْآنَ، ثُمَّ جَاءَ عَمَّارٌ وَبِلَالٌ وَسَعْدٌ، ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي عِشْرِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ، فَمَا رَأَيْتُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَرِحُوا بِشَيْءٍ فَرَحَهُمْ بِهِ، حَتَّى رَأَيْتُ الْوَلَائِدَ وَالصِّبْيَانَ يَقُولُونَ: ....

سعيد بن المسيب قال: بقي في البيت موضع قبر يدفن فيه عيسى ابن مريم عليهما السلام، وقبض رسول الله ﷺ يوم الاثنين ودفن ليلة الأربعاء، وقيل: دفن يوم الثلاثاء حين زاغت الشمس، وقيل: صُلّي عليه يوم الأربعاء ثم دفن، والأول أصح، وقد ندبه ورَثَاه أهل بيته وأصحابه، وقد ذكرنا منه ومن باقي أحوال مرضه وموته ودفنه ونحوها في رسالة لنا مسماة بـ (ما ثبت في السنة) من أحكام السنة وما ذكرنا يكفي ههنا، وبالله التوفيق.

الفصل الأول

٥٩٥٦ ـ [١] **(البراء)** قوله: **(أول من قدم علينا)** أي: جاء من مكة إلى المدينة مهاجراً، وقد كان رسول الله ﷺ قدم بعض أصحابه إليها قبل أن يهاجر بنفسه الكريمة إجابة لسؤال بعض الأنصار، ذلك منه ليعلمهم القرآن والأحكام ولمصالح أخرى رآها في ذلك، و**(مصعب)** بضم الميم وسكون المهملة وفتح العين **(ابن عمير)** بلفظ التصغير.

وقوله: **(يقرآننا)** من الإقراء أي: يعلماننا، و**(الولائد)** جمع وليدة، وهي الجارية الصغيرة، فعيل بمعنى مفعول، وقد يطلق على الأمة وإن كانت كبيرة كالفتاة.

هَـذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَـدْ جَاءَ، فَمَـا جَاءَ حَتَّـى قرأتُ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١] فِي سُوَرٍ مِثْلِهَا مِنَ الْمُفَصَّلِ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٤٩٤١].

٥٩٥٧ ـ [٢] وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ: «إِنَّ عَبْداً خَيَّرَهُ اللهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ، وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ». . . . .

وقوله: **(حتى قرأت)** أي: تعلمت.

وقوله: **(في سور مثلها)** أي: في جملة سور مثلها في المقدار، هذا وقال الشيخ[١]: هذا يدل على أن ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾ نزلت بمكة، ويشكل عليه أن قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٤ ـ ١٥] نزلت في زكاة الفطر، ووجوب صلاة العيد في السنة الثانية من الهجرة، وقيل: ويحتمل أن تكون السورة مكية إلا هاتين الآيتين، والأصح أنها كلها مكية، والله أعلم.

وأقول: كون هذه السورة مكية إنما هو على قول الجمهور، وقيل: إنها مدنية، كذا قال الحلبي في (حاشية تفسير القاضي)، وحمل قوله: (تزكى) على أداء الزكاة إنما هو على أحد التفاسير، وقد فسر بالتطهر من الكفر والمعصية، وبالتكثر من التقوى من الزكاء، وبالتطهر للصلاة.

وقال الحلبي: وعلى تقدير كون السورة مكية وكون المراد من قوله: (تزكى) و(صلى): زكاة الفطر وصلاة العيد يمكن أن يقال: لما كان في علم الله تعالى أن ذلك سيكون أثنى على من فعله، وفيه الإخبار على الغيب.

٥٩٥٧ ـ [٢] (أبو سعيد الخدري) قوله: **(جلس على المنبر)** وكان ذلك في

---

(١) «فتح الباري» (٧/ ٢٦٢).

فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ قَالَ: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا فَعَجِبْنَا لَهُ، فَقَالَ النَّاسُ: انْظُرُوا إِلَى هَـذَا الشَّيْخِ يُخْبِرُ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ عَبْدٍ خَيَّرَهُ اللهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، وَهُوَ يَقُولُ: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هُوَ الْمُخَيَّرُ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٩٠٤، م: ٢٣٨٢].

٥٩٥٨ - [٣] وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى قَتْلَى أُحُدٍ بَعْدَ ثَمَانِ سِنِينَ كَالْمُوَدِّعِ لِلأَحْيَاءِ وَالأَمْوَاتِ، ثُمَّ طَلَعَ الْمِنْبَرَ فَقَالَ: «إِنِّي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَرَطٌ، وَأَنَا عَلَيْكُمْ شَهِيدٌ، ....

مرضه، وقد جاء مصرحاً في رواية، وفي أخرى: كان ذلك قبل أن يتوفى بخمس ليال.

٥٩٥٨ - [٣] (عقبة بن عامر) قوله: (صلى رسول الله ﷺ) أي: صلاة الجنازة وهو الظاهر، وهذا يؤيد مذهبنا، وقال الشافعي: المراد بالصلاة الدعاء والاستغفار، وليس على الشهيد صلاة الجنازة عنده.

وقوله: (بعد ثمان سنين) أي: من دفنهم.

وقوله: (كالمودّع للأحياء والأموات) توديعه للأحياء ظاهر، وأما توديعه للأموات فلانقطاع دعائه واستغفاره لهم، و(الفرط) بالتحريك: المتقدم إلى الماء، من فرط فروطاً بالضم: سبق وتقدم، كذا في (القاموس)[1]، وفي (الصحاح)[2]: هو فعل بمعنى فاعل، مثل تبع بمعنى تابع، يقال: رجل فرط، وقوم فرط، يستوي

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٦٢٧).

(٢) «الصحاح» (٣/ ١١٤٨).

وَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْحَوْضُ، وَإِنِّي لأَنْظُرُ إِلَيْهِ وَأَنَا فِي مَقَامِي هَذَا، وَإِنِّي قَدْ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الأَرْضِ، وَإِنِّي لَسْتُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُم الدُّنْيَا أَنْ تُنَافَسُوا فِيهَا». وَزَادَ بَعْضُهُمْ: «فَتَقْتَتِلُوا فَتَهْلِكُوا كَمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٤٠٤٢، م: ٢٢٩٦].

٥٩٥٩ ـ [٤] وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: إِنَّ مِنْ نِعَمِ اللهِ عَلَيَّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ تُوُفِّيَ فِي بَيْتِي، وَفِي يَوْمِي، وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي، وَإِنَّ اللهَ جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ، دَخَلَ عَلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ . . . .

فيه الواحد والجمع، يريد تقدمه إلى دار الآخرة ليشفع لهم ويهيىء أسباب نجاتهم وشفاعتهم.

وقوله: (**وإني قد أعطيت مفاتيح خزائن الأرض**) إخبار بتملك أمته الخزائن.

وقوله: (**أن تنافسوا فيها**) أي: ترغبوا وتميلوا إليها كل الميل، ومنه شيء نفيس ومنفوس يتنافس فيه ويرغب.

٥٩٥٩ ـ [٤] (**عائشة**) قوله: (**توفي في بيتي وفي يومي**) قد عرفت في شرح الترجمة أنه ﷺ استأذن أزواجه في أن يمرض في بيت عائشة، فكان ﷺ في بيتها إلى يوم وفاته، ولعله صادف يوم نوبتها أيضاً، وفيه تأكيد لبيان فضلها وإلا فالأيام كلها سواء بعد الإذن، فافهم.

و(**السحر**) بفتح السين ويضم وسكون الحاء المهملة: الرئة، والمراد هنا الصدر؛ لأنه ﷺ كان مستنداً إلى صدرها، والمراد بـ (**النحر**) موضعه وهو موضع القلادة من أعلى الصدر.

وَبِيَدِهِ سِوَاكٌ وَأَنَا مُسْنِدَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَرَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ السِّوَاكَ، فَقُلْتُ: آخُذُهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ، فَتَنَاوَلْتُهُ، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ وَقُلْتُ: أُلَيِّنُهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ، فَلَيَّنْتُهُ، فَأَمَرَّهُ وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ فِيهَا مَاءٌ، فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ وَيَقُولُ: «لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهِ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ». ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ، فَجَعَلَ يَقُولُ: «فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى». حَتَّى قُبِضَ وَمَالَتْ يَدُهُ. رَوَاهُ البُخَارِيُّ. [خ: ٤٤٤٩].

وقوله: (**وأنا مسندة**) بكسر النون بالإضافة، ويروى منوناً.

وقوله: (**فتناولته**) أي: أخذت السواك من عبد الرحمن وناولته رسول الله وحذف هذا اختصارا.

وقوله: (**فأمره**) أي: على أسنانه ولسانه من الإمرار، وفي بعض الروايات: (بأمره) جار ومجرور متعلق بـ (لينته)، و(**الركوة**) بفتح الراء: إناء من جلد.

وقوله: (**في الرفيق الأعلى**) أي: اجعلني في الرفيق الأعلى، وأريد الدخول فيهم، أو (في) بمعنى الباء تقديره: أريد اللحوق بالرفيق الأعلى، ويجوز أن يكون زائدة، أي: أريد الرفيق الأعلى، وفي رواية: (اخترت الرفيق الأعلى)، قال في (المشارق)[1]: قيل: هو اسم من أسماء الله تعالى، وخطأ هذا الأزهري، وقال: بل هم جماعة الأنبياء، ويصححه قوله في الحديث الآخر: (مع النبيين والصديقين) إلى قوله: (وحسن أولئك رفيقاً) وهو يقع للواحد والجميع، وقيل: أراد مرتفق الجنة، وقال الداودي: هو اسم لكل سماء، وأراد الأعلى؛ لأن الجنة فوق ذلك، ولم يعرف هذا أهل اللغة ووهم فيه، ولعله تصحف له من الرفيع، وقال الجوهري: والرفيق

---

(١) «مشارق الأنوار» (١/ ٢٩٦).

٥٩٦٠ ـ [٥] وَعَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ يَمْرَضُ إِلاَّ خُيِّرَ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ». وَكَانَ فِي شَكْوَاهُ الَّذِي قُبِضَ أَخَذَتْهُ بُحَّةٌ شَدِيدَةٌ، . . . .

أعلى الجنة، انتهى. وقيل: اجعلني في مكان الرفيق الأعلى، وأراد الرفيق الأعلى نفسه، وبمكانه: المقام المحمود والمخصوص به، أي: اجعلني ساكناً فيه، أقول: والذي يتبادر إلى الفهم أن يكون المراد بالرفيق الأعلى هو الله سبحانه، والرفيق من أسماء الله تعالى.

وفي الحديث: (إن الله رفيق يحب الرفق)، قال عياض[1]: الرفق في صفات الله تعالى وأسمائه بمعنى اللطيف الذي في القرآن في قوله: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ [الشورى: ١٩]، والرفق واللطف: المبالغة في البر على أحسن وجوهه، وكذلك في كل شيء أخذه بأحسن وجوهه وأقربها، وهو ضد العنف، ومنه في الحديث: (الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله)[2]، انتهى.

وأقول: ويؤيد إرادته ذكره ﷺ هذا الكلام بعد قول ملك الموت له: إن الله يشتاق إلى لقائك، نعم ظاهر قوله: (في الرفيق الأعلى) بكلمة (في) أظهر في إرادة النبيين وأرواحهم، ويؤيده قوله: (مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين)، والله أعلم.

٥٩٦٠ ـ [٥] (عائشة) قوله: (ما من نبي يمرض) من باب سمع.

وقوله: **(بين الدنيا والآخرة)** أي: بين البقاء في الدنيا والذهاب إلى ما عند الله في الآخرة، و**(البحة)** بضم الموحدة وتشديد الحاء المهملة: غلظة الصوت وخشونته،

---

(١) «مشارق الأنوار» (١/ ٢٩٦).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٦٩٢٧).

فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ. فَعَلِمْتُ أَنَّهُ خُيِّرَ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٤٥٨٦، م: ٢٤٤٤].

٥٩٦١ ـ [٦] وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: لَمَّا ثَقُلَ النَّبِيُّ ﷺ جَعَلَ يَتَغَشَّاهُ الْكَرْبُ. فَقَالَتْ فَاطِمَةُ: وَاكَرْبَ أَبَاهُ! فَقَالَ لَهَا: «لَيْسَ عَلَى أَبِيكِ كَرْبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ». فَلَمَّا مَاتَ قَالَتْ: يَا أَبَتَاهُ! أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ، يَا أَبَتَاهُ! مَنْ جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ مَأْوَاهُ، يَا أَبَتَاهُ! إِلَى جِبْرَئِيلَ نَنْعَاهُ. فَلَمَّا دُفِنَ قَالَتْ فَاطِمَةُ: يَا أَنَسُ! أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْثُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ التُّرَابَ؟ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٤٤٦٢].

* الْفَصْلُ الثَّانِي:

٥٩٦٢ ـ [٧] عَنْ أَنَسٍ قَالَ: . . . .

والمراد هنا السعال.

٥٩٦١ ـ [٦] (أنس) قوله: (يتغشاه الكرب) أي: يغمى عليه من شدة المرض.

وقوله: (واكرب أباه) أَلِفُهُ للندبة أو على قول بعض في الأب.

وقوله: (ليس على أبيك كرب بعد اليوم) كأنها قالت هذه الكلمة في آخر يوم حياته، فالمعنى أنه يصل بعد اليوم إلى الآخرة ولا كرب له فيه.

وقوله: (من جنة الفردوس) الرواية بفتح الميم وقد يكسر.

وقوله: (ننعاه) بنونين بلفظ المتكلم من النعي وهو الخبر بالموت، أي: نبكي إليه، وقيل: نعزّيه، وقيل: نخبره، وهذا أوفق بمعناه الأصلي، وهو الخبر بالموت، فافهم.

الفصل الثاني

٥٩٦٢ ـ [٧] (أنس) قوله: . . . .

لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ لَعِبَتِ الْحَبَشَةُ بِحِرَابِـهِمْ فَرَحاً لِقُدُومِهِ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٤٩٢٣].

وَفِي رِوَايَةِ الدَّارِمِيِّ: قَالَ: مَا رَأَيْتُ يَوْماً قَطُّ كَانَ أَحْسَنَ وَلاَ أَضْوَأَ مِنْ يَوْمٍ دَخَلَ عَلَيْنَا فِيـهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَمَا رَأَيْتُ يَوْماً كَانَ أَقْبَحَ وَلاَ أَظْلَمَ مِنْ يَوْمٍ مَاتَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ. [دي: ١/ ٢٢٣].

وَفِي رِوَايَـةِ التِّرْمِذِيِّ قَالَ: لَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي دَخَلَ فِيـهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي مَاتَ فِيـهِ أَظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، وَمَا نَفَضْنَا أَيْدِيَنَا عَنِ التُّرَابِ وَإِنَّا لَفِي دَفْنِهِ، حَتَّى أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا. [ت: ٣٦١٨].

٥٩٦٣ ـ [٨] وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: لَمَّـا قُبِـضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ اخْتَلَفُـوا فِي دَفْنِهِ، فَقَالَ أَبُـو بَكْرٍ: سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ شَيْئاً، قَالَ: «مَا قَبَضَ اللهُ نَبِـيًّا إِلاَّ فِي الْمَوْضِـعِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُدْفَنَ فِيهِ»، . . . .

(بحرابهم) بالكسر جمع حربة: وهي الرمح الصغير.

وقوله: (حتـى أنكرنا قلوبنا) بالنصب مفعـول (أنكرنا)، لم يُرِدْ عدم التصديق الإيماني، بل هو كناية عن عدم وجدان النورانية والصفاء الذي كان حاصلاً من مشاهدته وحضوره ﷺ لتفاوت حال الحضور والغيبة، وقد بيّنا هذا المعنى بأحسن عبارة وبيان في رسالة لنا مسماة بـ (مرج البحرين).

٥٩٦٣ ـ [٨] (عائشة) قوله: (في دفنه) أي: موضع دفنه، فقال بعضهم: يدفن بمكة، وقال الآخر: بالمدينة في البقيع، وقيل: بالقدس.

وقوله: (يحب) يحتمل أن يكون الضمير لله أو للنبي ﷺ.

ادْفِنُوهُ فِي مَوْضِعِ فِرَاشِهِ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ١٠١٨].

* الْفَصْلُ الثَّالِثُ:

٥٩٦٤ ـ [٩] عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ وَهُوَ صَحِيحٌ: «إِنَّهُ لَنْ يُقْبَضَ نَبِيٌّ حَتَّى يُرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ ثُمَّ يُخَيَّرَ». قَالَتْ عَائِشَةُ: فَلَمَّا نزَلَ بِهِ، وَرَأْسُهُ عَلَى فَخِذِي غُشِيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَفَاقَ، فَأَشْخَصَ بَصَرَهُ إِلَى السَّقْفِ ثُمَّ قَالَ: «اللهُمَّ الرَّفِيقَ الأَعْلَى». قُلْتُ: إِذَنْ لاَ يَخْتَارُنَا. قَالَتْ: وَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَدِيثُ الَّذِي كَانَ يُحَدِّثُنَا بِهِ وَهُوَ صَحِيحٌ فِي قَوْلِهِ: «إِنَّهُ لَنْ يُقْبَضَ نَبِيٌّ قَطُّ حَتَّى يُرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ ثُمَّ يُخَيَّرَ»، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَكَانَ آخِرُ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ قَوْلُهُ: «اللهُمَّ الرَّفِيقَ الأَعْلَى». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٤١٧٣، م: ٢٤٤٤].

الفصل الثالث

٥٩٦٤ ـ [٩] (عائشة) قوله: (حتى يرى) بلفظ المجهول والمعلوم.

وقوله: (مقعده) منصوب على الوجهين.

وقوله: (فلما نزل به) قال النووي[1]: ضبطناه بضم نون وكسر زاي، أي: نزله ملك الموت، وفي أكثرها بفتحات، وفي رواية: (فلما نزلت)، قال في (المشارق)[2]: يريد منيته.

وقوله: (فكان آخر كلمة. . . إلخ)، قالوا: وكان أول كلمة تكلم بها وهو مسترضع عند حليمة: الله أكبر.

---

(١) «شرح صحيح مسلم» للنووي (٥/ ١٢).

(٢) «مشارق الأنوار» (٢/ ٩).

٥٩٦٥ ـ [١٠] وَعَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: «يَا عَائِشَةُ! مَا أَزَالُ أَجِدُ أَلَمَ الطَّعَامِ الَّذِي أَكَلْتُ بِخَيْبَرَ، وَهَذَا أَوَانُ وَجَدْتُ انْقِطَاعَ أَبْهَرِي مِنْ ذَلِكَ السَّمِّ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٤١٦٥].

٥٩٦٦ ـ [١١] وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا حُضِرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَفِي الْبَيْتِ رِجَالٌ، فِيهِمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هَلُمُّوا أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَاباً لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ». فَقَالَ عُمَرُ: قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ الْوَجَعُ، وَعِنْدَكُمُ الْقُرْآنُ، حَسْبُكُمْ كِتَابُ اللهِ، فَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْبَيْتِ وَاخْتَصَمُوا، فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: قَرِّبُوا يَكْتُبْ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ. وَمِنْهُم يَقُولُ مَا قَالَ عُمَرُ، ....

٥٩٦٥ ـ [١٠] (وعنها) قوله: (أوان) يجوز فيه الرفع والفتح؛ لأن الظروف المضافة إلى الجملة يجوز بناؤها، فإن أُعْرِب كان مرفوعاً لأنه خبر المبتدأ، وسقوط التنوين للإضافة، وإن بني كان مبنيًّا على الفتح، و(الأبهر) عرق فيه وريد العنق يتعلق به القلب.

٥٩٦٦ ـ [١١] (ابن عباس) قوله: (قال: لما حضر) بلفظ المجهول، أي: حضره الموت وكان ذلك يوم الخميس، وعاش بعد ذلك إلى يوم الاثنين، فلا يخلو الكلام عن تجوز.

وقوله: (أكتب لكم كتاباً) قيل: كان أراد أن يكتب تعيين واحد من الصحابة للخلافة لئلا يقع نزاع بينهم، وأراد عمر ﷺ التخفيف على رسول الله ﷺ عند شدة الوجع.

وقوله: (حسبكم كتاب الله) خطاب لمن نازعه في ذلك، وقد عرف ﷺ أن ذلك

. . . .

الأمر لم يكن جزماً منه، بل دعا لمصالحهم، وكان أصحابه إذا أمر بشيء غير جازم يراجعونه وكان يتركه برأيهم، ولو كان الأمر مما لا بد منه لما ترك ذلك بسبب اختلافهم، وكان عمر خشي أن يكون ما رآه النبي ﷺ شاقًّا عليهم موجباً لوقوع الفتن بينهم، فلذلك أشار إلى أن تركه أولى، فتركه النبي ﷺ وذلك مثل ما مر في أول الكتاب من إرساله ﷺ أبا هريرة بأن يبشر الناس أن من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة، فمنعه عمر لئلا يتكلوا فتركه ﷺ على ذلك، وقيل: إن عمر ﷺ خشي تطرق المنافقين ومن في قلبه مرض لما يكتب في ذلك الكتاب في الخلوة، وأن يقولوا في ذلك الأقاويل كادعاء الرافضة الوصية وغير ذلك، وقالت طائفة: إن معنى الحديث أن النبي ﷺ كان مجيباً في هذا الكتاب لما طلب منه لا أنه ابتدأ بالأمر به بل اقتضاه منه بعض أصحابه فأجاب رغبتهم، وكره ذلك غيرهم للعلل التي ذكرناها، كذا قال القاضي عياض في (الشفا)[1] والله أعلم.

وقال البيهقي: قد حكى سفيان بن عيينة عن أهل العلم قبله أنه ﷺ أراد أن يكتب استخلاف أبي بكر، ثم ترك ذلك اعتماداً على ما علم من تقدير الله تعالى، وعلى أنهم لا يجاوزون ذلك، كما قال: يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر كما يأتي من حديث البخاري وقدمناه في شرح الترجمة، وادعاء الشيعة أن غرضه ﷺ كان كتابة الوصية لعلي ﷺ لا يخلو عن تناقض، إذ هم يقولون: إن استخلافه ﷺ ثبت بنص قطعي يوم غدير خم، فلا حاجة إلى كتابة الآن، بل هذه الكتابة ربما ينظر إلى أنه لم تثبت قبل ذلك وصيته وخلافته ﷺ، فافهم. والمراد بأهل البيت من كان في البيت حينئذٍ، ولم يرد أهل بيت النبي ﷺ.

---

(١) «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» (٢/ ٤٣٣، ٤٣٧).

فَلَمَّا أَكْثَرُوا اللَّغَطَ وَالِاخْتِلَافَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قُومُوا عَنِّي». قَالَ عُبَيْدُاللهِ: فَكَانَ ابنُ عباسٍ يَقُول: إِنَّ الرَّزِيئَةَ كُلَّ الرَّزِيئَةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَبَيْنَ أَنْ يَكْتُبَ لَهُمْ ذَلِكَ الْكِتَابَ لِاخْتِلَافِهِمْ وَلَغَطِهِمْ.

وَفِي رِوَايَةِ سُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي مُسْلِمٍ الأَحْوَلِ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَوْمُ الْخَمِيسِ وَمَا يَوْمُ الْخَمِيسِ؟ ثُمَّ بَكَى حَتَّى بَلَّ دَمْعُهُ الْحَصَى. قُلْتُ: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ! وَمَا يَوْمُ الْخَمِيسِ؟ قَالَ: اشْتَدَّ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَجَعُهُ فَقَالَ: «ائْتُونِي بِكَتِفٍ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَاباً لاَ تَضِلُّوا بَعْدَهُ أَبَداً»، فَتَنَازَعُوا وَلاَ يَنْبَغِي عِنْدَ نَبِيٍّ تَنَازُعٌ ....

و(**اللغط**) بفتح اللام وسكون الغين المعجمة ويحرك: الصوت أو أصوات مبهمة لا تفهم، و(**الرزيئة**) المصيبة بفتح الراء وكسر الزاي بعدها ياء ثم همزة على وزن الخطيئة، وقد تسهل وتشدد الياء.

وقوله: (**يوم الخميس**) خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ خبره محذوف.

وقوله: (**ثم بكى**) يحتمل أن يكون البكاء لتذكر وفاته ﷺ وتجدد الحزن عليه، أو لفوات ما فات في معتقده من الخير.

وقوله: (**قلت: يا ابن عباس**) قائله سعيد بن جبير الراوي عن ابن عباس، وظاهر عبارة المؤلف يقتضي أن قائله سليمان وليس كذلك، وهذا ظاهر من سياق (صحيح البخاري).

وقوله: (**أبداً**) ربما ينظر إلى أن المراد كان كتابة الأحكام تفصيلاً، والله أعلم.

وقوله: (**ولا ينبغي عند نبي تنازع**) هو من جملة الحديث المرفوع، ويحتمل أن يكون مدرجاً من قول ابن عباس، والصواب الأول، فقد تقدم في (كتاب العلم) بلفظ:

فَقَالُوا: مَا شَأْنُهُ أَهَجَرَ؟ اسْتَفْهِمُوهُ، فَذَهَبُوا يَرُدُّونَ عَلَيْهِ. فَقَالَ: «دَعُونِي ذَرُونِي، ....

(ولا ينبغي عندي التنازع)، كذا قال الشيخ[١].

وقوله: **(ما شأنه أهجر؟)** بألف الاستفهام، أي: اختلط كلامه بسبب المرض، قالوا ذلك إنكاراً على من قال: لا يكتبها، أي: لا تجعلوا أمر رسول الله ﷺ كأمر من هجر في كلامه، ولا يجوز أن يكون بمعنى هذي وفحش؛ لأن القائل بعدم الكتابة عمر رضي الله عنه، ولا يظن به ذلك حتى ينكر، وفي ظاهر كلام القاضي عياض دلالة على جواز إرادة ذلك، وهو صحيح لأن المقصد النفي والإنكار.

وفي رواية: (هجر) بلا استفهام، ولا يصح إلا أن يقال: بحذف حرف الاستفهام، قال في (المشارق)[٢]: قوله: أهجر رسول الله ﷺ، كذا هو الصحيح بفتح الهاء، أي: هذي، والهجر: الهذيان، وككلام المبرسم والنائم، وكذلك يقال في من كثر كلامه وجاوز حده، يقال منه: هجر، وقول هذا في حقه ﷺ إنما يصح على طريق استفهام التقرير والإنكار لمن ظن ذلك به إذ لا يليق به الهذيان، ولا قول غير مضبوط في حالة من حالاته ﷺ؛ لأن جميع ما يتكلم به حق وصحيح ولا سهو فيه ولا خلف ولا غلط في حال صحته ومرضه ونومه ويقظته ورضاه وغضبه، إلا أن يتأول هجر أيضاً على المعنى الأول، وحذف ألف الاستفهام، وجاء في رواية: أن رسول الله ﷺ يهجر.

وعند أبي ذر: هُجِرَ على ما لم يسم فاعله، وعند غيره: هجر بفتحها، وعند

---

(١) «فتح الباري» (٨/ ١٣٣).

(٢) «مشارق الأنوار» (١/ ٤٤٩، ٤٥١).

. . . .

مسلم في حديث أبـي إسحاق: يهجر، وفي رواية قبيصة: هجر، وأكثر الروايات فيه أهجر بألف الاستفهام على ما قررناه وهو الأظهر والأولى، وكذا وقع عند البخاري من رواية ابن عيينة، وجـل الرواة فـي حديث الزهري، وفـي حديث محمد بن سلام عن ابن عيينة، وكذا ضبطه الأصيلي بخطه في كتابه من هذه الطرق، وهذا أرفع للإشكال وأقرب لفظاً للصواب.

وقد يتأول (هجر) على ما قدمناه، وقد يكون ذلك من قائله دهشاً لعظيم ما شاهد من حال النبي ﷺ واشتداد الوجع به ـ كما جاء في الحديث ـ وعظيم الأمر الذي كانت فيـه المخالفة حتى لـم يضبط كلامه ولا ثقفه ولم يضبط لفظه، وأجرى الهجر مجرى شدة الوجع كمـا جاء فـي الرواية الأخرى: أن النبي ﷺ قد غلبه الوجع، لا أنه اعتقد أنه يجوز عيـه الهجر، كما حملهم الإشفاق على حراسته، والله تعالى يقول: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾[المائدة: ٦٧]، وكما اتفق لعمر ﷺ من أنه لم يمت، هذا كلامه في (المشارق).

وقال فـي (الشفا)[١]: قال أئمتنا فـي هـذا الحديث: النبي ﷺ غير معصوم من الأمراض وما يكون من عوارضها من شدة وجع وغشي ونحوه مما يطرأ على جسمه، ومعصوم أن يكون منـه من القول أثناء ذلك ما يطعَن في معجزته ويؤدي إلى فساد في شريعته من هذيان أو اختلال في كلام، وعلى هذا لا يصح رواية من روى في الحديث: هجر، إذ معناه هـذي، وإنما الأصح والأولى: أهجـر، علـى طريق الإنكار على من قال: لا يكتب، وهكذا الروايات، وقد تحمل عليه رواية من روى: هجر على حذف ألف الاستفهام، أو أن يحمل قول القائل: هجر، دهشة من قائل ذلك لعظيم ما شاهد

(١) «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» (٢/ ٤٣٢، ٤٣٤).

فَالَّذِي أَنَـا فِيهِ خَيْرٌ مِمَّا تَدْعُونَنِي إِلَيْـهِ». فَأَمَرَهُمْ بِثَلَاثٍ: فَقَالَ: «أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَأَجِيزُوا الْوَفْدَ بِنَحْوِ مَا كُنْتُ أُجِيزُهُمْ». وَسَكَتَ عَنِ الثَّالِثَةِ، أَوْ قَالَهَا فَنَسِيتُهَا، قَالَ سُفْيَانُ: هَذَا مِنْ قَوْلِ سُلَيْمَانَ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

[خ: ٦٩٣٢، م: ١٦٣٧].

من حال الرسول ﷺ وشدة وجعه، وهو المقام الذي اختلف فيه عليه، والأمر الذي همّ بالكتاب فيه.

وقوله: (**فالذي أنا فيه خير**) يعني: مراقبة الحق والتأهب للقائه خير مما أنتم فيه من النزاع والخلاف واللغط.

وقوله: (**من جزيرة العرب**) عرف تحديد جزيرة العرب في أول الكتاب في (باب الوسوسة)، و(**أجيزوا**) من الإجازة بمعنى إعطاء الجائزة وهي العطية (**الوفد**) سواء كانوا مؤمنين أو كافرين.

وقوله: (**وسكت**) أي: ابن عباس، وقائل هذا الكلام سعيد بن جبير الراوي عن ابن عباس، فيكون هو الناسي، ثم قيل: الثالثة تجهيز جيش أسامة بن زيد إلى أبنى بضم الهمزة ناحية بالبلقاء، وقال: سر إلى موضع مقتل أبيك بهذا الجيش فأوطئهم الخيل وحرق عليهم، وكان لأربع ليال بقين من صفر سنة إحدى عشرة، وهي آخر سرية جهزها النبي ﷺ فصدع ﷺ وعقد بنفسه لواء، وقال: (اغز في سبيل الله)، فخرج وعسكر بالجرف، فلم يبق أحد من وجوه المهاجرين والأنصار إلا انتدب في تلك الغزاة حتى أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، فتقاول الناس... الحديث، فاشتد وجعه ﷺ ولم يتسر[1] فكانت وقعة وفاته ﷺ، وقيل: المراد بالثالثة قوله: (لا تتخذوا قبري

---

(١) كذا في الأصل.

٥٩٦٧ ـ [١٢] وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعُمَرَ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: انْطَلِقْ بِنَا إِلَى أُمِّ أَيْمَنَ نَزُورُهَا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَزُورُهَا، فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَيْهَا بَكَتْ. فَقَالاَ لَهَا: مَا يُبْكِيكِ؟ أَمَا تَعْلَمِينَ أَنَّ مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ؟ فَقَالَتْ: إِنِّي لاَ أَبْكِي أَنِّي لاَ أَعْلَمُ أَنَّ مَا عِنْدَ اللهِ تَعَالَى خَيْرٌ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَكِنْ أَبْكِي أَنَّ الْوَحْيَ قَدِ انْقَطَعَ مِنَ السَّمَاءِ، فَهَيَّجَتْهُمَا عَلَى الْبُكَاءِ، فَجعلاَ يَبْكِيَانِ مَعهَا. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٤٥٤].

٥٩٦٨ ـ [١٣] وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، وَنَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ عَاصِباً رَأْسَهُ بِخِرْقَةٍ، حَتَّى أَهْوَى نَحْوَ الْمِنبَرِ، فَاسْتَوَى عَلَيْهِ وَأَتْبَعْنَاهُ، قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لأَنْظُرُ إِلَى الْحَوْضِ مِنْ مَقَامِي هَذَا»، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ عَبْداً عُرِضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا فَاخْتَارَ الآخِرَةَ»، قَالَ: فَلَمْ يَفْطِنْ لَهَا أَحَدٌ. . . . .

وثناً يعبد).

٥٩٦٧ ـ [١٢] (أنس) قوله: (إلى أم أيمن) بفتح الهمزة والميم مولاة النبي ﷺ أم أسامة بن زيد، وكانت حاضنته ﷺ.

وقوله: (فلما انتهينا) هكذا في أكثر النسخ بلفظ التكلم مع الغير كأن أنساً كان معهما في الانطلاق، وفي بعضها: (انتهيا) بلفظ التثنية.

وقوله: (أني) بالفتح بتقدير حرف الجر، أي: لأجل أني لا أعلم.

وقوله: (فهيجتهما) أي: أم أيمن أو هذه الكلمة منها.

٥٩٦٨ ـ [١٣] (أبو سعيد الخدري) قوله: (فلم يفطن) فطن به وله من سمع ونصر وكرم.

غَيْرُ أَبِي بَكْرٍ، فَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، فَبَكَى، ثُمَّ قَالَ: بَلْ نَفْدِيكَ بِآبَائِنَا وأمَّهاتِنا وَأَنْفُسِنَا وَأَمْوَالِنَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: ثُمَّ هَبَطَ فَمَا قَامَ عَلَيْهِ حَتَّى السَّاعَةِ. رَوَاهُ الدَّارِمِيُّ. [دي: ١/ ٢١٥].

٥٩٦٩ - [١٤] وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ دعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَاطِمَةَ قَالَ: «نُعِيَتْ إِلَيَّ نَفْسِي»، فَبَكَتْ، قَالَ: «لاَ تَبْكِي، فَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِي لاَحِقٌ بِي»، فَضَحِكَتْ، فَرَآهَا بَعْضُ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ فَقُلْنَ: يَا فَاطِمَةُ! رَأَيْنَاكِ بَكَيْتِ ثُمَّ ضَحِكْتِ، قَالَتْ: إِنَّهُ أَخْبَرَنِي أَنَّهُ قَدْ نُعِيَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ فَبَكَيْتُ، فَقَالَ لِي: لاَ تَبْكِي فَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِي لاَحِقٌ بِي فَضَحِكْتُ. وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ....

وقوله: (حتى الساعة) أي: إلى القيامة.

٥٩٦٩ - [١٤] (ابن عباس) قوله: (نعيت إلي نفسي) أي: أُنْهِيَ إلي نعي نفسي، أي: خبر موتي.

وقوله: (فإنك أول أهلي لاحق بي) الصحيح أنها عاشت بعده ستة أشهر، وقيل: ثمانية، وقيل: ثلاثة، وقيل: سبعين يوماً، وقيل: شهرين، والمراد بـ (بعض أزواج النبي ﷺ) عائشة ﵂ كما جاء صريحاً في رواية أخرى، وفي التعبير بالبعض تعظيم لشأنها كقوله: ﴿وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وقوله: (فقلن) أيضاً للتعظيم، لكن الجمع في غير التكلم للتعظيم نادر، بل غير واقع، ويحتمل أنه لم يتعين عند الراوي أنها كانت واحدة أو أكثر، والله أعلم.

وقوله: (قالت: إنه أخبرني) وجاء في بعض الروايات: أن فاطمة ﵂ لم تخبرها بذلك وقالت: إنه سر بيني وبين رسول الله ﷺ لا أخبر به أحداً، ثم أخبرت بعد وفاته.

«إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ، وَجَاءَ أَهْلُ الْيَمَنِ، هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً، وَالإِيمَانُ يَمَانٍ وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ». رَوَاهُ الدَّارِمِيُّ. [دي: ١/ ٢١٦].

وقوله: (وجاء أهل اليمن) لما كان نعيه ﷺ في سورة ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ ذكر مجيء أهل اليمن إشارة إلى ما هو المراد بقوله تعالى: ﴿وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾[النصر: ٢].

وقوله: (هم أرق أفئدة) في (القاموس)[١]: التفؤد: التحرق، والتوقد، ومنه: الفؤاد للقلب، وجمعه أفئدة، ذكره في المهموز، وقال: والفواد بالفتح والواو غريب، انتهى. وزاد في رواية: (وألين قلوباً)، وفي (مجمع البحار)[٢]: فيه تفنن على اتحاد القلب والفؤاد، وقيل: الفؤاد: وسط القلب أو غشاؤه، أقوال، والقلب حبته وسويداؤه، وأريد بالرق واللين الخشية وسرعة الإجابة، والتأثر بقوارع التذكير، والسلامة عن غلظ وقساوة.

وقوله: (والإيمان يمان) أي يمني، وفعال بالكسر كلمة النسبة، وقالوا: الألف فيه عوض عن إحدى يائي النسبة، وقيل: قدمت إحدى اليائين وقلبت ألفاً، وهذا أوجه لتقديم الألف، وكذلك يمانية بتخفيف الياء، والألف فيه عوض، وحكي التشديد، وقال عياض[٣]: معنى نسبته إلى اليمن أن الإيمان بدأ من مكة، ومكة من تهامة، وتهامة من أرض اليمن.

وقال أبو عبيد: المراد بذلك الأنصار لأنهم يمانيون في الأصل، فنسب الإيمان

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٢٩٠).

(٢) «مجمع بحار الأنوار» (٤/ ٩٠).

(٣) «مشارق الأنوار» (٢/ ٥١٩).

٥٩٧٠ ـ [١٥] وَعَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: وَارَأْسَاهُ!، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ذَاكِ لَوْ كَانَ وَأَنَا حَيٌّ فَأَسْتَغْفِرُ لَكِ وَأَدْعُو لَكِ»، . . . .

إليهم مبالغة في مدحهم لكونهم أنصاره، وعليه حمل قوله ﷺ: (إني لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن) لوجود التنفيس والتفريح من جانبهم، وقال الشيخ أبو عمر: بل المراد أهل اليمن كلهم كما هو الظاهر، نُسِبَ الإيمان إليهم إشعاراً بكماله فيهم، وليس ذلك نفياً له عن غيرهم، فلا منافاة بينه وبين قوله ﷺ: الإيمان في أهل الحجاز.

ثم المراد بـه الموجودون في ذلك العصر لا كل أهل اليمن في كل أحيان، كذا في (شرح ابن الملك)[1]، وقيل: قاله بتبوك، ومكة والمدينة حينئذ بينه وبين اليمن، فأشار إلى ناحية اليمن وهو يريد الحرمين، انتهى. ولا يخفى أن سياق الحديث أنه ﷺ قال ذلك في مرضه إلا أن يقال: هذا حديث آخر أدخله الراوي في هذا الحديث لمناسبة ذكر النعي وسورة ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾، والله أعلم.

٥٩٧٠ ـ [١٥] (عائشة) قوله: **(وارأساه)** هو تفجع من شدة صداع الرأس، وفيه أن ذكر الوجع ليس بشكاية؛ لأنه قد يسكت وهو شاك، وقد يذكره وهو راض، وقال الطيبي[2]: ندبت نفسها وأشارت إلى الموت، انتهى. كأنه حمل الرأس على الذات كما جاء في هـذه الأعضاء ويلائم هذا المعنـى بسياق الحديث، ومع ذلك لا بعد في الحمل على المعنى الأول باعتبار استلزام المرض الموت، ويؤيده ما يأتي في الحديث الآتي من قولها: وأنا أجد صداعاً.

وقوله: **(ذاك لو كان)** بكسر الكاف، أي: إن حصل موتك.

---

(١) انظر: «مرقاة المفاتيح» (١١/ ١٢٠).

(٢) «شرح الطيبي» (١١/ ١٨٩).

فَقَالَتْ عَائِشَةُ: وَاثُكْلَيَاهُ! وَاللهِ إِنِّي لأَظُنُّكَ تُحِبُّ مَوْتِي، فَلَوْ كَانَ ذَلِكَ لَظَلِلْتَ آخِرَ يَوْمِكَ مُعْرِساً بِبَعْضِ أَزْوَاجِكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بَلْ أَنَا وَارَأْسَاهُ! لَقَدْ هَمَمْتُ ـ أَوْ أَرَدْتُ ـ أَنْ أُرْسِلَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَابْنِهِ وَأَعْهَدُ. . . . .

وقوله: (**واثكلياه**) بفتح المثلثة وضمها: الموت، والهلاك، وفقدان الحبيب أو الولد، وفي (مجمع البحار)[1]: واثكلياه إما ندبة للثكل مصدر واللام مكسورة، وإما لثكلى صفة واللام مفتوحة، واثكل أمياه بضم ثاء وسكون كاف وبفتحهما، وليست حقيقة الكلام مرادة، بل هو كلام مجرى على ألسنتهم عند التوجع والتعجب، و(**ظللت**) بكسر اللام من الأفعال الناقصة.

وقوله: (**معرساً**) من الإعراس وعرس وأعرس: بنى على زوجته، ثم استعمل في كل اجتماع، وفي (مجمع البحار)[2]: وروي من التعريس، والمقصود أنك تفرغت لغيري ونسيتني.

وقوله: (**بل أنا وارأساه**) إضراب، أي: أعرضي عن حكاية وجع رأسك ودعي ما تجدين من وجع رأسك، واشتغلي بوجع رأسي، إذ لا بأس عليك وأنت تعيشين بعدي، عرفه بالوحي.

وقوله: (**لقد هممت**) استطراد بذكر ما يقع بعد وفاته من خلافة أبي بكر، وتطييب لقلب عائشة وتبشير لها.

وقوله: (**أن أرسل إلى أبي بكر وابنه**) وهو عبد الرحمن، أي: أطلبهما عندي، و(**أعهد**) أي: أوصي أبا بكر بالخلافة وأجعله ولي عهدي.

---

(١) «مجمع بحار الأنوار» (١/ ٢٩٦).

(٢) «مجمع بحار الأنوار» (٣/ ٥٥٩).

أَنْ يَقُولَ الْقَائِلُونَ، أَوْ يَتَمَنَّى الْمُتَمَنُّونَ، ثُمَّ قُلْتُ: يَأْبَى اللهُ وَيَدْفَعُ الْمُؤْمِنُونَ، أَوْ يَدْفَعُ اللهُ وَيَأْبَى الْمُؤْمِنُونَ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٥٣٤٢].

٥٩٧١ ـ [١٦] وَعَنْهَا: قَالَتْ: رَجَعَ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ مِنْ جَنَازَةٍ مِنَ الْبَقِيعِ، فَوَجَدَنِي وَأَنَا أَجِدُ صُدَاعاً، وَأَنَا أَقُولُ: وَارَأْسَاهُ! قَالَ: «بَلْ أَنَا يَا عَائِشَةُ! وَارَأْسَاهُ» قَالَ: «وَمَا ضَرَّكِ لَوْ مِتِّ قَبْلِي، فَغَسَّلْتُكِ وَكَفَّنْتُكِ، وَصَلَّيْتُ عَلَيْكِ وَدَفَنْتُكِ؟» قُلْتُ: لَكَأَنِّي بِكَ وَاللهِ لَوْ فَعَلْتَ ذَلِكَ لَرَجَعْتَ إِلَى بَيْتِي فَعَرَّسْتَ فِيهِ بِبَعْضِ نِسَائِكَ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ بُدِيءَ فِي وَجَعِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ. رَوَاهُ الدَّارِمِيُّ. [دي: ١/ ٢١٧].

وقوله: (أن يقول) أي: كراهة أن يقول قائل: لم يعهد رسول الله إلى أبي بكر، أو يقول: أنا أحق منه بالخلافة، أو يتمنى أحد الخلافة لنفسه أو يتمنى أن يكون غيره خليفة.

وقوله: (ثم قلت) هذا من تتمة كلام الرسول، أي: ما أرسلت وما عهدت وتركت الإيصاء، وقلت: (يأبى الله) أن يكون غيره خليفة ولا يريده (ويدفع المؤمنون) خلافة غيره، ولا يجمعون إلا عليه لما عندهم من دلائل خلافته، من ذلك استخلافي إياه في إمامة الصلاة، وفيه فضيلة لأبي بكر ﷺ وإخبار عن الغيب بما سيقع، فكان كما قال.

٥٩٧١ ـ [١٦] (وعنها) قوله: (وما ضرك) وما بعده خطابات لعائشة ﷺ كما أن الخطابات في قول عائشة ﷺ لرسول الله ﷺ، واللام في (لكأني) جواب قسم محذوف.

وقوله: (بدئ) بلفظ المجهول، أي: أوقع البداية.

٥٩٧٢ ـ [١٧] وَعَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ رَجُلاً مِنْ قُرَيْشٍ دَخَلَ عَلَى أَبِيهِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ فَقَالَ: أَلاَ أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: بَلَى حَدِّثْنَا عَنْ أَبِي الْقَاسِمِ ﷺ، قَالَ: لَمَّا مَرِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَتَاهُ جِبْرَئِيلُ فَقَالَ: «يَا مُحَمَّدُ! إِنَّ اللهَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ تَكْرِيماً لَكَ، وَتَشْرِيفاً لَكَ، خَاصَّةً لَكَ يَسْأَلُكَ عَمَّا هُوَ أَعْلَمُ بِهِ مِنْكَ، يَقُولُ: كَيْفَ تَجِدُكَ؟ قَالَ: «أَجِدُنِي يَا جِبْرَئِيلُ! مَغْمُوماً، وَأَجِدُنِي يَا جِبْرَئِيلُ! مَكْرُوباً»، ثُمَّ جَاءَ الْيَوْمَ الثَّانِي، فَقَالَ لَهُ ذَلِكَ، فَرَدَّ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا رَدَّ أَوَّلَ يَوْمٍ، ثُمَّ جَاءَهُ الْيَوْمَ الثَّالِثَ، فَقَالَ لَهُ كَمَا قَالَ أَوَّلَ يَوْمٍ، وَرَدَّ عَلَيْهِ كَمَا رَدَّ عَلَيْهِ، وَجَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ، يُقَالُ لَهُ: إِسْمَاعِيلُ عَلَى مِئَةِ أَلْفِ مَلَكٍ، كُلُّ مَلَكٍ عَلَى مِئَةِ أَلْفِ مَلَكٍ، فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ، فَسَأَلَهُ عَنْهُ، ثُمَّ قَالَ جِبْرَئِيلُ: هَذَا مَلَكُ الْمَوْتِ يَسْتَأْذِنُ عَلَيْكَ، . . . .

٥٩٧٢ ـ [١٧] (جعفر بن محمد) قوله: (أجدني يا جبرئيل مغموماً) لعل الغم والكرب لأجل الأمة والدين ماذا يقع وعلى ما يكون الأمر بعده.

وقوله: (يقال له: إسماعيل) قال السيوطي في (الحبائك في أخبار الملائك)[1]: هو صاحب سماء الدنيا، وقال: أخرج أبو الشيخ عن عكرمة ﷺ قال: إن في السماء ملكاً يقال له: إسماعيل، لو أُذِنَ له فَفَتَحَ أُذُناً من آذانه فسبح الرحمن لمات من في السماوات والأرض.

وقوله: (فسأله عنه، ثم قال جبرئيل: هذا ملك الموت) تقدير الكلام: سأل

---

(١) «الحبائك في أخبار الملائك» (ص: ٦٤)، و«العظمة» لأبي الشيخ (٢/ ٧٥٠).

مَا اسْتَـأْذَنَ عَلَى آدَمِيٍّ قَبْلَكَ، وَلاَ يَسْتَأْذِنُ عَلَى آدَمِيٍّ بَعْدَكَ. فَقَالَ: «ائْذَنْ لَـهُ» فَأَذِنَ لَـهُ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّ اللهَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ، فَإِنْ أَمَرْتَنِـي أَنْ أَقْبِـضَ رُوحَكَ قَبَضْـتُ، وَإِنْ أَمَرْتَنِي أَنْ أَتْرُكَـهُ تَرَكْتُـهُ، فَقَالَ: «وَتَفْعَلُ يَا مَلَكَ الْمَوْتِ؟» قَالَ: نَعَمْ، بِذَلِكَ أُمِرْتُ، وَأُمِرْتُ أَنْ أُطِيعَـكَ. قَالَ: فَنَظَرَ النَّبِـيُّ ﷺ إِلَى جِبْرَئِيـلَ عليه السلام، فَقَالَ جِبْرَئِيـلُ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّ اللهَ قَدِ اشْتَاقَ إِلَى لِقَائِكَ، فَقَالَ النَّبِـيُّ ﷺ لِمَلَكِ الْمَوْتِ: «امْضِ لِمَا أُمِرْتَ بِهِ»، فَقَبَضَ رُوحَهُ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَجَاءَتِ التَّعْزِيَـةُ سَمِعُوا صَوْتاً مِنْ نَاحِيَـةِ الْبَيْتِ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ وَرَحْمَـةُ اللهِ وَبَرَكَاتُـهُ، إِنَّ فِي اللهِ عَزَاءً مِنْ كُلِّ مُصِيبَةٍ، وَخَلَفاً مِنْ كُلِّ هالكٍ، ودَرَكاً مِنْ كُلِّ فَائِتٍ، . . . . .

النبي ﷺ جبريل عـن إسماعيل مـن هو؟ فقال جبرئيل عليه السلام: هـو ملك كذا وكذا، ثم قال جبرئيل عليه السلام: هـذا ملك الموت يستأذن عليـك، كأنـه قد حضر ملك الموت في الساعة، فأشار جبرئيل عليه السلام إليـه، وقـال السيوطي: وأخرج البيهقي في (الدلائل)[1] بلفظ: فلما كان اليـوم الثالث هبط إليـه جبرئيل عليه السلام معه ملك الموت، ومعهما ملك في الهواء، يقال لـه: إسماعيل علـى سبعين ألف ملك، كـل ملك منهم على سبعين ألف ملك.

وقولـه: (**فـي الله عزاءً من كل مصيبة**) العزاء بفتح المهملـة: الصبر، والتعزية حمل الغير على ذلـك، فقيل: المراد بالعـزاء هنا التعزية إقامة للاسم مقام المصدر، والتقديـر أن فـي كتاب الله تعزية وتسلية من كل مصيبة إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّا لِلَّهِ

(١) «دلائل النبوة» (٧/ ٢١١).

فَبِـاللهِ فَاتَّقُوا، وَإِيَّاهُ فَارْجُوا، فَإِنَّمَا الْمُصَابُ مَنْ حُرِمَ الثَّوَابَ. فَقَالَ عَلِيٌّ: أَتَدْرُونَ مَنْ هَذَا؟ هُوَ الْخَضِـرُ عليه السلام. رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ». [دلائل النبوة: ٧/ ٢٦٨].



﴿وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾[البقرة: ١٥٦]، ويجوز أن يكون التقدير في دين الله، أي: شرع فيه وحرض عليه في دين الإسلام، وقيل: المصدر بمعنى اسم الفاعل، والتركيب من باب التجريد، أي: إن الله معز ومسل، نحو: وفي الرحمن للضعفاء كاف، أقول: ويجوز أن يكون العزاء على معناه، أي: في ثواب الله والنظر إليه حاملاً على الصبر من كل فائت وعلى كل مصيبة، ولعل هذا هو المراد من قول من قال: التقدير أن في لقاء الله تسلية وتصبراً من كل مصيبة، أو المراد بلقاء الله الموت كما هو المشهور، فافهم. وقيل: المراد أن الله يكفي عن كل شيء ولا يكفي عنه شيء، ويناسبه قرينتاه.

وقوله: (**فبالله فاتقوا**) وفي بعض النسخ: (فَثِقُوا) وهو الأشهر، والفاء الأول فصيحة، والثانية لتأكيد الربط نحو قوله تعالى: ﴿فَإِيَّٰىَ فَٱعۡبُدُونِ﴾[العنكبوت: ٥٦]، والباء على النسخة الأولى للاستعانة وعلى الثانية صلة (اتقوا).

وقوله: (**فقال علي**) يعني: علي بن أبي طالب، وصرح به في (الحصن الحصين)، وقيل: المراد علي زين العابدين، و(**الخضر**) بفتح فكسر، ويجوز إسكان الضاد مع فتح الخاء وكسرها، وحياته في ذلك الزمان ثابت بلا خلاف، وإنما خالف من خالف بعد رأس المئة.

١٠ ـ باب

* الْفَصْلُ الأَوَّلُ:

٥٩٧٣ ـ [١] عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: مَا تَرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ دِينَاراً وَلاَ دِرْهَماً وَلاَ شَاةً وَلاَ بَعِيراً وَلاَ أَوْصَى بِشَيْءٍ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ١٦٣٥].

٥٩٧٤ ـ [٢] وَعَنْ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ أَخِي جُوَيْرِيَةَ قَالَ: مَا تَرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عِنْدَ مَوْتِهِ دِينَاراً وَلاَ دِرْهَماً وَلاَ عَبْداً وَلاَ أَمَةً وَلاَ شَيْئاً إِلاَّ بَغْلَتَهُ الْبَيْضَاءَ، وَسِلاَحَهُ، وَأَرْضاً جَعَلَهَا صَدَقَةً. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٢٧٣٩].

٥٩٧٥ ـ [٣] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لاَ يَقْتَسِمُ وَرَثَتِي دِينَاراً، مَا تَرَكْتُ بَعْدَ نَفَقَةِ نِسَائِي . . . .

---

١٠ ـ باب

في متممات ولواحق بالباب السابق.

الفصل الأول

٥٩٧٣ ـ [١] (عائشة) قوله: (ولا أوصى بشيء) أي: من المال إذ لم يكن له مال، وما كان من مال بني النضير وفدك ونحوهما فهو كان صدقة على المسلمين بعد نفقة عياله، وأما الوصية في دين الله التمسك بكتاب الله تعالى فقد كانت ثابتة، وقد أوصى بإخراج اليهود من جزيرة العرب وإجازة الوفد.

٥٩٧٤ ـ [٢] (عمرو بن الحارث) قوله: (أخي جويرية) بضم الجيم وفتح الواو وسكون التحتانية وكسر الراء بعدها ياء مخففة.

وقوله: (جعلها صدقة) أي: وقفاً.

٥٩٧٥ ـ [٣] (أبو هريرة) قوله: (بعد نفقة نسائي) قال سفيان بن عيينة: أزواج

وَمُؤْنَةِ عَامِلِي فَهُوَ صَدَقَةٌ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٢٧٧٦، م: ١٧٦٠].

٥٩٧٦ ـ [٤] وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لاَ نُورَثُ، مَا تَرَكْنَاهُ صَدَقَةٌ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٦٧٢٦، م: ١٧٥٩].

٥٩٧٧ ـ [٥] وَعَنْ أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللهَ إِذَا أَرَادَ رَحْمَةَ أُمَّةٍ مِنْ عِبَادِهِ قَبَضَ نَبِيَّهَا قَبْلَهَا فَجَعَلَهُ لَهَا فَرَطاً وَسَلَفاً بَيْنَ يَدَيْهَا، وَإِذَا أَرَادَ هَلَكَةَ أُمَّةٍ عَذَّبَهَا وَنَبِيُّهَا حَيٌّ فَأَهْلَكَهَا وَهُوَ يَنْظُرُ، فَأَقَرَّ عَيْنَيْهِ بِهَلَكَتِهَا حِينَ كَذَّبُوهُ وَعَصَوْا أَمْرَهُ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٢٨٨].

النبي ﷺ في حكم المعتدات إذ لا يجوز أن ينكحن فلذا ضرب لهن النفقة، والمراد بالعامل الخليفة بعده، (ومؤنة) أجرة على ما يصرفها إلى مصارفه ويوصلها إلى مستحقيه الذين كانوا يصرف إليهم النبي ﷺ.

٥٩٧٦ ـ [٤] (أبو بكر) قوله: (لا نورث) بلفظ المجهول، وأصله: لا يورث منا، فحذف الجار فاستتر الضمير، وانقلب الفعل عن لفظ الغائب إلى لفظ المتكلم، كذا قيل.

٥٩٧٧ ـ [٥] (أبو موسى) قوله: (قبض نبيها) أي: قيل: نزول العذاب، و(السلف) كل من يقدمك من آبائك وقرابتك، وكل عمل صالح، كذا في (القاموس)[1]، و(الهلكة) بفتحتين بمعنى الهلاك، ويجيء بضم الهاء وسكون اللام بدون هاء.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٧٥٧).

٥٩٧٨ ـ [٦] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أَحَدِكُمْ يَوْمٌ وَلَا يَرَانِي، ثُمَّ لَأَنْ يَرَانِي أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ وَمالِهِ مَعَهُمْ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٣٦٤].

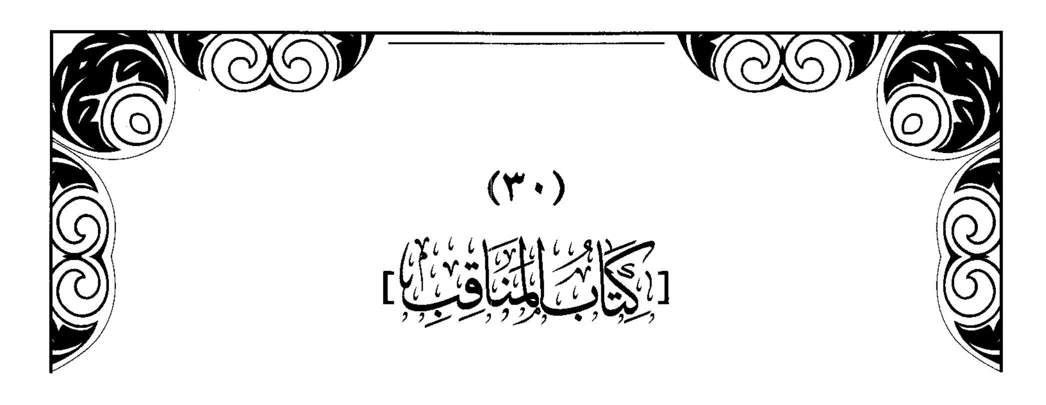
٥٩٧٨ ـ [٦] (أبو هريرة) قوله: (معهم) تأكيد وتقرير للمقصد يفيد خيرية رؤيته ﷺ بالنسبة إلى مجموع الأهل والمال جميعاً، فالضمير في (معهم) لأهله وهو حال من (ماله)، أي: حال كونه مع الأهل، ثم المراد رؤيته ﷺ في حياته وصحبته معه، ويحتمل أن يراد رؤيته بعد وفاته يقظة أو مناماً، بل هذا أنسب بسياق الكلام، ولعمري كذلك حال المشتاقين إلى جماله المستغرقين في تصور كماله، رزقنا الله.

❒❒❒



(۳۰)

كِتَابُ الْمَنَاقِبِ



١ ـ باب مناقب قريش وذكر القبائل

[٣٠ ـ كتاب المناقب]

١ ـ باب مناقب قريش وذكر القبائل

(المناقب) جمع منقبة وهي الفضيلة والشرف، في (القاموس)[1]: المنقبة: المفخرة، انتهى. وأصله إما من النَّقب بمعنى الطريق في الجبل استعير للفعل الكريم والصفة الحميدة لكونه طريقاً ومنهجاً إلى مدحه ورفعه، وإما من نَقَّب عن الأخبار: بحث عنها وأخبر بها.

وفي (الصراح)[2]: منقبة: هنر وستودگي مردم، ضد مثلبة، نقيب: مهتر ودانندہ قوم، نقباء جمع، نقابة نقيبي كردن من باب نصر، يقال: نقب على قومه، قال الفراء: إذا أردتَ أنه لم يكن نقيباً ففعل قلت: نقب نقابة بضم العين فيهما[3]، قال سيبويه: نقابة بالكسر الاسم وبالفتح المصدر؛ كالوِلاية والوَلاية.

و**(قريش)** اسم ولد النضر بن كنانة سموا باسم أبيهم، وهو اسم دابة من أقوى دواب البحر تأكل دوابه، يصرف ويمنع، وقيل: إن في البحر حوتاً يسمى قريشاً يأكل

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١٢٨).

(٢) (ص: ٥٦).

(٣) كذا في الأصول، وفي «الصحاح» (١/ ٢٢٧): نقُبَ بالضم، نقابة بالفتح.

. . . .

الحيتان ولا يؤكل، ويعلوها ولا يعلى فيه، سميت بذلك قريش وتُصرف، فمن أراد به القبيلة لم يصرفه ومن أراد الحي يصرف، كذا في (الصحاح)[١].

وقال في (القاموس):[٢] قَرَشه يَقرِشه ويَقرُشه: قطعه، وجمعه من ههنا وههنا، وضم بعضه إلى بعض، ومنه قريش لتجمعهم إلى الحرم، أو لأنهم كانوا يتقرشون البِيَاعات فيشترونها، أو لأن النضر بن كنانة اجتمع في ثوبه يوماً فقالوا: تقرش، أو لأنه جاء إلى قومه فقالوا: كأنه جَمَلٌ قَرِيشٌ، أي: شديد، أو لأن قصيًّا كان يقال له: القرشي، أو لأنهم كانوا يُفَتِّشُون الحاج، فيسدون خَلَّتها، أو سميت بمصغر القِرش، وهو دابة بحرية تخافها دوابُّ البحر كلها، أو سميت بقريش بن مَخلد بن غالب بن فهر وكان صاحب عيرهم، فكانوا يقولون: قدمت عير قريش، وخرجت عير قريش، والنسبة قرشي وقريشي، انتهى.

و(**القبائل**) جمع قبيلة، وهم بنو أب واحد، والقبيلة في الأصل واحد قبائل الرأس للقطع المشعوب بعضُها إلى بعض، ومنه قبائل العرب: شعبٌ ثم قبيلة ثم عمارة ثم بطن ثم فخذ، والحي بمعنى القبيلة، كذا في (الصحاح)[٣].

وقال في (القاموس)[٤]: العمارة: أصغر من القبيلة ويكسر، أو الحي العظيم، البطن خلاف الظهر دون القبيلة، أو دون الفخذ وفوق العمارة، الفَخِذ ككتف: ما بين الساق والورك، مؤنث، ويكسر، وحي الرجل إذا كان من [أقرب] عشيرته.

---

(١) «الصحاح» (٣/ ١٠١٦).

(٢) (ص: ٥٤١).

(٣) «الصحاح» (٥/ ١٧٩٧).

(٤) (ص: ٤٠١، ١٠٦٣، ٣٠٤).

* الْفَصْلُ الأَوَّلُ:

٥٩٧٩ ـ [١] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «النَّاسُ تَبَعٌ لِقُرَيْشٍ فِي هَذَا الشَّأْنِ، مُسْلِمُهُمْ تَبَعٌ لِمُسْلِمِهِمْ وَكَافِرُهُمْ تَبَعٌ لِكَافِرِهِمْ». مُتَّفق عَلَيْهِ.

[خ: ٣٤٩٥، م: ١٨١٨].

الفصل الأول

٥٩٧٩ ـ [١] (أبو هريرة) قوله: (في هذا الشأن) ظاهر سوق الحديث يقتضي أن يكون المراد به الدِّين وجوداً وعدماً، فقريش أقدم وأسبق في أمر الدين، وقدوة الناس في الإيمان والكفر، فيكون المسلمون أتباعاً لمسلميهم، والكافرون أتباعاً لكافريهم، ووقع مصداق ذلك أن العرب كانت تنتظر أمر قريش في الإسلام، وكانوا يقولون: ننظر ماذا يصنع قومه، فلما فتح مكة وأسلمت قريش تبعهم العرب ودخلوا في دين الله أفواجاً، والمقصود بيان تقدمهم ورياستهم على الناس في الإسلام والجاهلية، لكن الفضل والشرف يكون باعتبار الأول دون الثاني إلا أن يراد أعم من الشرف باعتبار الدين أو الدنيا، فكان البيت مناصبه من السدانة والسقاية والرفادة وأمثالها فيهم دون مَن عداهم، وقد يحمل (الشأن) على الخلافة والإمامة وهو لا يلائم سياق الحديث، والله أعلم.

وقيل: (الناس تبع) خبر بمعنى الأمر، وإلا فقد خرج هذا الأمر عن قريش في أكثر البلاد، أو المراد بالناس بعض الناس، انتهى.

وبما ذكرنا من التقرير لا يَرِدُ هذا ولا يحتاج إلى توجيهه، فإن المراد بتقدمهم وسبقهم في هذا الشأن، ولا ينافيه خروجه عنهم في أكثر البلاد.

ثم قيل في معنى الحديث: إن المراد أن الناس إن كانوا أخياراً سلط الله عليهم

٥٩٨٠ ـ [٢] وَعَنْ جَابِرٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «النَّاسُ تَبَعٌ لِقُرَيْشٍ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ١٨١٩].

٥٩٨١ ـ [٣] وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لاَ يَزَالُ هَذَا الأَمْرُ فِي قُرَيْشٍ مَا بَقِيَ مِنْهُمُ اثْنَانِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٥٠١، م: ١٨٢٠].

٥٩٨٢ ـ [٤] وَعَنْ مُعَاوِيَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ هَذَا الأَمْرَ فِي قُرَيْشٍ، لاَ يُعَادِيهِمْ أَحَدٌ إِلاَّ كَبَّهُ اللهُ عَلَى وَجْهِهِ مَا أَقَامُوا الدِّينَ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٣٥٠٠].

أخياراً منهم، وإن كانوا أشراراً سلط الله عليهم الأشرار، كما قيل: أعمالكم عمالكم، وهذا المعنى إنما يناسب حمل الشأن على الخلافة كما لا يخفى.

٥٩٨٠ ـ [٢] (جابر) قوله: (في الخير والشر) أي: في الإسلام والكفر، وقد تبين معناه في شرح الحديث السابق.

٥٩٨١ ـ [٣] (ابن عمر) قوله: (لا يزال هذا الأمر في قريش) ظاهر هذا الحديث والذي يأتي بعده أن المراد بالأمر أمر الخلافة، وينبغي أن يحمل الخبر على معنى الأمر كما عرفت.

وقوله: (ما بقي منهم اثنان) أي: سوى الخليفة، وقيل: اثنان واحد خليفة وواحد تابع.

٥٩٨٢ ـ [٤] (معاوية) قوله: (لا يعاديهم أحد) أي: لا يخالفهم (إلا كبه الله) أي: أذله وخذله.

وقوله: (ما أقاموا الدين) قيل: المراد به الصلاة كما سميت إيماناً في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾[البقرة: ١٤٣] لرواية: (ما أقاموا الصلاة). وهذا

٥٩٨٣ ـ [٥] وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لاَ يَزَالُ الإِسْلاَمُ عَزِيزاً إِلَى اثْنَيْ عَشَرَ خَلِيفَةً كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ». وَفِي رِوَايَةٍ: «لاَ يَزَالُ أَمْرُ النَّاسِ مَاضِياً مَا وَلِيَهُمُ اثْنَا عَشَرَ رَجُلاً كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ». وَفِي رِوَايَةٍ: «لاَ يَزَالُ الدِّينُ قَائِماً حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ أَوْ يَكُونَ عَلَيْهِمُ اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٧٢٢٢، م: ١٨٢١].

الحديث يدل على أن الأمر إنما يكون في قريش إذا أقاموا الدين، وإذا لم يقيموا الدين فلا أمر منهم سواء حمل على الخبر أو على معنى الأمر. وقيل: إنه متعلق بـ (كب) لا بقوله: إن الأمر فيهم؛ لأنه كان فيهم مَن غيَّر وبدَّل ولم يصرف عنه الأمر، كذا قال التُّورِبِشْتِي[1]، اللهم إلا أن يقال: إن المقصود تحريضهم على إقامة الدين وأنهم إن لم يقيموا الدين كاد أن يخرج عنهم الأمر ويغلبهم فيه غيرهم، وهذا المعنى بمعنى الخبر أنسب دون الأمر، فافهم.

٥٩٨٣ ـ [٥] **(جابر بن سمرة)** قوله: **(لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة كلهم من قريش)** إلى آخر الروايات، وفي بعض طرق هذا الحديث في آخره: (أبو بكر لا يلبث إلا قليلا)[2]، واستشكل هذا الحديث بأن الظاهر منه أن اثني عشر خليفة يكون بعده ﷺ على الولاء، يستقيم بهم أمر الدين، ويعز الإسلام، وتجري الأحكام مع أن الوجود لا يشهد له، فإن فيهم من أمراء الجور والفساد من بني مروان من لا تُمدح طريقتهم، ولا تَحسن سيرتهم، وأيضاً قد صح: (الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم يصير ملكاً عضوضاً)، واتفقوا على أنه لا يسمَّى مَن بعده خلفاء بل ملوكاً

---

(١) «كتاب الميسر» (٤/ ١٣٠٧).

(٢) انظر: «المعجم الكبير» للطبراني (ح: ١٢، ١٤٢).

. . . .

وأمراء، واختلفوا في توجيهه على أقوال:

أحدها: أن المراد اثنا عشر نفْساً قاموا من بعده ﷺ بالسلطنة والإمارة، وانتظم أمر السلطنة واستقام من غير نزاع وخلاف واختلال في أمور المسلمين والرعايا، وإن كان بعضهم جائرين خارجين عن دائرة العدل والإحسان، وقد وقع الاختلال في زمن الوليد بن يزيد بن عبد الملك الذي هو الثاني عشر، اجتمعوا عليه لما مات عمه هشام فولي نحو أربع سنين، ثم قاموا عليه فقتلوه، وانتشرت الفتن وتغيرت الأحوال من يومئذ، كذا قال القاضي عياض، واستحسنه الشيخ ابن حجر في (فتح الباري)[1] وقال: وهذا أحسن ما قيل في هذا الحديث وأرجحه؛ لتأييده بقوله في بعض طرقه الصحيحة: (كلهم يجتمع عليه الناس)، والمراد باجتماعهم انقيادهم لبيعته، ولم يَرِدِ الحديث على مدحهم والثناء عليهم بالدين والعدالة إلا من هذه الجهة أعني الانتظام والاجتماع واتحاد الكلمة، والخلافة التي حَكَم الحديث بانتهائها إلى ثلاثين سنة إنما هو الخلافة الكبرى التي هي خلافة النبوة، وهذه خلافة إمارة، وقد استمر القول بتسمية الأمراء بعد الخلفاء الراشدين خلفاء كالخلفاء العباسية وإن كانت بالمجاز، انتهى.

وهذا الوجه لا يخلو عن عدم الملاءمة لسياق الحديث من قوله: (لا يزال الإسلام عزيزاً) و(لا يزال الدين قائماً)، وإن كانت ملائمة برواية أخرى: (لا يزال أمر الناس ماضياً)، والحديث صريحٌ في مدحهم بأن صلاح الدين وظهور الحق وقوة الإسلام في زمانهم وعدالتهم.

وثانيها: أن المراد المقسطون من الأمراء لأنهم هم المستحقون لاسم الخلافة على

---

(١) «فتح الباري» (١٣/ ٢١٤).

٥٩٨٤ ـ [٦] وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «غِفَارُ. . . . .

الحقيقة، لكن لا يلزم أن يكونوا على الولاء، بل يتم هذا العدد إلى زمان حتى إلى قبيل قيام الساعة، قال التُّورِبِشْتِي[1]: وهذا هو السبيل في هذا الحديث وما يعتقبه في هذا المعنى.

وثالثها: أن المراد وجودهم بعد موت المهدي، فقد جاء أنه إذا مات المهدي عليه السلام ملك الأمر خمسة رجال من ولد السبط الأكبر يعني الإمام الحسن رضي الله عنه، ثم يملك خمسة من ولد السبط الأصغر، ثم يوصي آخرهم بخلافة رجل من ولد الحسن، ثم يملك بعده ولده فيتم به اثنا عشر، كل منهم إمام عادل هاد مهديٌّ، وهذا وجه لكن الكلام في صحة هذا الحديث، وذكر عن ابن عباس في وصف المهدي: يفرج الله تعالى عن هذه الأمة كل كرب ويصرف بِعَدلِه كل جور، ثم يلي الأمر بعده اثنا عشر، خمسين ومئة سنة، ثم يفسد الزمان.

ورابعها: أنه أراد هذا العدد في عصر واحد يتبع كلَّ واحد طائفةٌ، ويؤيده حديث: (سيكون بعدي خلفاء فيكثرون) أراد ﷺ بأعاجيب تكون بعده من الفتن حتى يتفرق الناس في وقت واحد إلى اثني عشر أميراً، والغاية على هذا الوجه تكون على أغلب استعمالها من عدم دخولها في حكم المغيَّا، وعلى الوجوه السابقة تكون داخلة فيه، هذا ما وجدنا في كلامهم في شرح هذا الحديث، والله أعلم بمراد رسوله.

٥٩٨٤ ـ [٦] (ابن عمر) قوله: (غفار) بكسر الغين وتخفيف الفاء وبالراء: قبيلة، أبو ذر الغفاري منها.

---

(١) «كتاب الميسر» (٤/ ١٣٠٧).

غَفَرَ اللهُ لَهَا، وَأَسْلَمُ سَالَمَهَا اللهُ، وَعُصَيَّةُ عَصَتِ اللهَ وَرَسُولَهُ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

[خ: ٣٥١٣، م: ٢٥١٨].

٥٩٨٥ ـ [٧] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قُرَيْشٌ وَالأَنْصَارُ وَجُهَيْنَةُ وَمُزَيْنَةُ وَأَسْلَمُ وَغِفَارُ وَأَشْجَعُ مَوَالِيَّ، لَيْسَ لَهُمْ مَوْلًى دُونَ اللهِ وَرَسُولِهِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٥١٢، م: ٢٥٢٠].

٥٩٨٦ ـ [٨] وَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَسْلَمُ وَغِفَارُ وَمُزَيْنَةُ وَجُهَيْنَةُ خَيْرٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ وَبَنِي عَامِرٍ، ....

وقوله: (غفر الله لها) يحتمل الخبر والدعاء وهو الأظهر، وقيل: كانوا يسرقون الحجاج، فدعا لهم بعد أن أسلموا ليمحو عنهم ذلك العار ـ مع أن الإسلام يجبّ ما قبله ـ تأكيداً ومبالغة في تطهيرهم.

وقوله: (وأسلم سالمها الله) أي: عاملهم الله بما يوافقهم ولا يؤذيهم، أيضاً يحتمل الخبر والدعاء، وقيل: إنما دعا لهما لأنهما دخلا في الإسلام بلا حرب. (وعصية) بضم العين وفتح الصاد وتشديد الياء، وهم الذي قتلوا القراء ببئرمعونة، وكان ﷺ يدعو عليهم في القنوت، وهذا إخبار قطعاً لا يحتمل الدعاء، وربما ينظر هذا إلى أن يكون ما قبله أيضاً خبراً، والله أعلم.

٥٩٨٥ ـ [٧] (أبو هريرة) قوله: (وجهينة) بضم الجيم (ومزينة) بضم الميم وفتح ما بعدهما: قبيلتان، (موالي) بالإضافة إلى ياء المتكلم، أي: أوليائي وأنصاري، وروي (موالٍ) بالتنوين، أي: بعضهم أحباء وأنصار بعضهم.

وقوله: (ليس لهم مولًى) أي: ناصر وولي.

٥٩٨٦ ـ [٨] (أبو بكرة) قوله: (خير من بني تميم . . . إلخ)، إنما فضلهم

وَالْحَلِيفَيْنِ بَنِي أَسْدٍ وَغَطَفَانَ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٥٢٣، م: ٢٥٢١].

٥٩٨٧ ـ [٩] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: «مَا زِلْتُ أُحِبُّ بَنِي تَمِيمٍ مُنْذُ ثَلاثٍ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ فِيهِمْ، سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «هُمْ أَشَدُّ أُمَّتِي عَلَى الدَّجَّالِ» قَالَ: وَجَاءَتْ صَدَقَاتُهُمْ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَذِهِ صَدَقَاتُ قَوْمِنَا»، وَكَانَتْ سَبِيَّةٌ مِنْهُمْ عِنْدَ عَائِشَةَ فَقَالَ: «أَعْتِقِيهَا فَإِنَّهَا مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٢٥٤٣، م: ٢٥٢٥].

* الْفَصْلُ الثَّانِي:

٥٩٨٨ ـ [١٠] عَنْ سَعْدٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ يُرِدْ هَوَانَ قُرَيْشٍ. . .

على هؤلاء لسبق إسلامهم وحسن آثارهم.

وقوله: (بني أسد وغطفان) بفتحات بيان للحليفين، سميا حليفين لتحالفهما على التعاون والتناصر.

٥٩٨٧ ـ [٩] (أبو هريرة) قوله: (منذ ثلاث) أي: ثلاث خصال أو كلمات، و(سمعت) صفة (ثلاث) والعائد محذوف، فإن قدرت خصال فالمراد سماع الإخبار بها من رسول الله ﷺ، وإن قدرت كلمات فظاهر، فالأولى: (هم أشد أمتي على الدجال) أي: إنكاراً وتجنباً، أو جدلاً ونزاعاً، والثانية ما قال: (وجاءت صدقاتهم فقال رسول الله ﷺ: هذه صدقات قومنا) فأضاف ﷺ إياهم إلى نفسه تشريفاً لهم، والثالثة أنه قال: (سبية) أي: مسبية كانت من قومهم عند عائشة، (فقال: أعتقيها) أي: تعليله بأنها من ولد إسماعيل، وفيه جواز استرقاق العرب.

الفصل الثاني

٥٩٨٨ ـ [١٠] (سعد) قوله: (من يرد هوان قريش) أئمةً كانوا أو غيرهم، فإن

أَهَانَهُ اللهُ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٩٠٥].

٥٩٨٩ ـ [١١] وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ أَذَقْتَ أَوَّلَ قُرَيْشٍ نَكَالاً فَأَذِقْ آخِرَهُمْ نَوَالاً». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٩٠٨].

٥٩٩٠ ـ [١٢] وَعَنْ أَبِي عَامِرٍ الأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «نِعْمَ الْحَيُّ الأَسْدُ وَالأَشْعَرُونَ، لاَ يَفِرُّونَ فِي الْقِتَالِ، . . . .

كانوا أئمة فظاهر، وإن كانو غيرهم فلعزة انتسابهم برسول الله ﷺ وفضلهم وشرفهم، و(الهوان) بالفتح مصدر هان هوناً بالضم وهواناً [و]مهانة: ذل.

٥٩٨٩ ـ [١١] (ابن عباس) قوله: (نكالاً) هو العقوبة التي تنكل الإنسان، أي: تمنعه عن فعلِ ما جُعلت له جزاء، ويَعتبر به غيره، من نكَل عن الأمر: امتنع، ونكَّل به تنكيلاً: جعله عبرةً لغيره، والنوال والنائلة: العطاء، ولعل المراد بالنكال ما أصاب أوائلهم بكفرهم وإنكارهم على رسول الله ﷺ من الخزي والعذاب والقتل، وبالنوال ما حصل لأواخرهم من العزة والملك والخلافة والإمارة ما لا يحيط بوصفه البيان.

٥٩٩٠ ـ [١٢] (أبو عامر الأشعري) قوله: (نعم الحي الأسد) بفتح الهمزة والسين الساكنة أبو حي من اليمن، ويقال: الأزد بالزاي أيضاً، وبالسين أفصح، وهو أزد بن الغوث، أبو حي من اليمن، ومن أولاده الأنصار كلهم، ويقال: أزد شنوءة. و(الأشعرون) بإسقاط الياء في أكثر الأصول ونسخ (المشكاة)، وكأنه تسمية للأبناء باسم أبيهم، وبإثباتها في (المصابيح)، قال في (القاموس)[1]: الأشعر لقب عمرو بن حارثة الأسدي، وهو أبو قبيلة باليمن منهم أبو موسى الأشعري، ويقولون: جاءك الأشعرون بحذف ياء النسبة.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٣٧٥).

وَلاَ يَغُلُّونَ، هُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ.
[ت: ٣٩٤٧].

٥٩٩١ ـ [١٣] وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الأَزْدُ أَزْدُ اللهِ فِي الأَرْضِ، يُرِيدُ النَّاسُ أَنْ يَضَعُوهُمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلاَّ أَنْ يَرْفَعَهُمْ، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَقُولُ الرَّجُلُ: يَا لَيْتَ أَبِي كَانَ أَزْدِيًّا، وَيَا لَيْتَ أُمِّي كَانَتْ أَزْدِيَّةً». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. [ت: ٣٩٣٧].

٥٩٩٢ ـ [١٤] وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: مَاتَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَكْرَهُ ثَلاَثَةَ أَحْيَاءٍ: ثَقِيفٍ وَبَنِي حَنِيفَةَ وَبَنِي أُمَيَّةَ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. [ت: ٣٩٤٣].

٥٩٩٣ ـ [١٥] وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فِي ثَقِيفٍ كَذَّابٌ وَمُبِيرٌ» قَالَ عَبْدُاللهِ بْنُ عِصْمَةَ: يُقَالُ: ....

وقوله: (ولا يغلون) بضم الغين، أي: لا يخونون في المغنم.

٥٩٩١ ـ [١٣] (أنس) قوله: (الأزد أزد الله في الأرض) إضافتهم إلى الله تعالى إما لاشتهارهم بهذا الاسم وإما للتشريف كناقة الله، وكلا الوجهين لثبوتهم في الحرب لا يفرون في القتال، وقيل: إنهم كالأسد في الشجاعة.

٥٩٩٢ ـ [١٤] (عمران بن حصين) قوله: (ثقيف) بالجر بدل مع ما عطف عليه من (أحياء)، إنما كره ثقيفاً للحجاج، وبني حنيفة لمسيلمة، وبني أمية لعبيدالله بن زياد، كذا قيل، قلت: ما وجه التخصيص بعبيد الله، لِمَ لم يذكر يزيد وهو أميره وآمِره بما فعل؟.

٥٩٩٣ ـ [١٥] (ابن عمر) قوله: (كذاب ومبير) بضم الميم بمعنى مهلك وهو

الْكَذَّابُ هُوَ الْمُخْتَارُ بْنُ أَبِي عُبَيْدٍ، وَالْمُبِيرُ هُوَ الْحَجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ، وَقَالَ هِشَامُ بْنُ حَسَّانَ: أَحْصَوْا مَا قَتَلَ الْحَجَّاجُ صَبْراً فَبَلَغَ مِئَةَ أَلْفٍ وَعِشْرِينَ أَلْفاً. رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ. [ت: ٢٢٠].

٥٩٩٤ ـ [١٦] وَرَوَى مُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ» حِينَ قَتَلَ الْحَجَّاجُ عَبْدَاللهِ ابْنَ الزُّبَيْرِ قَالَتْ أَسْمَاءُ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَدَّثَنَا «أَنَّ فِي ثَقِيفٍ كَذَّاباً وَمُبِيراً» فَأَمَّا الْكَذَّابُ فَرَأَيْنَاهُ، . . . .

بمعنى الهلاك.

وقوله: (**هو المختار بن أبي عبيد**) الثقفي، قام بعد وقعة الإمام الحسين، ودعا الناس إلى طلب ثأره، وكان غرضه أن يصرف وجوه الناس إلى نفسه ويتوصل به إلى تحصيل الإمارة، كذا قيل، وقصته مذكورة في كتب التواريخ.

وقيل: سمي كذاباً بادعائه النبوة، وكان يدعي أن الملائكة تأتيه بخبر السماء، وأفسد على قوم من الشيعة عقائدهم، فهم ينسبون إليه في آرائهم الفاسدة وأقاويلهم الزائفة، يقال لهم: المختارية.

وقوله: (**أحصوا**) بفتح الصاد بلفظ الماضي.

وقوله: (**ما قتل الحجاج صبراً**) أصل الصبر: الحبس، صبر عنه يصبره: حبسه، وصَبْرُ الإنسان وغيرِه على القتل: أن يُحبس ويرمى حتى يموت، وقد قتله صبراً لم يقتله في المعركة.

٥٩٩٤ ـ [١٦] قوله: (**حين قتل الحجاج عبدالله بن الزبير**) وهو رضي الله عنه لم يبايع يزيد، وخرج يدعي الإمامة بمكة، فأرسل إليه يزيد مسلم بن عقبة المري بعد قتل الإمام الحسين ونهب المدينة وإهلاك أهلها، فمات يزيد، ثم جاء الحجاج في إمارة عبد الملك بن مروان فقتله رضي الله عنه وصلبه.

وَأَمَّا الْمُبِيرُ فَلاَ إِخَالُكَ إِلاَّ إِيَّاهُ. وَسَيَجِيءُ تَمَامُ الْحَدِيثِ فِي الْفَصْلِ الثَّالِثِ. [م: ٢٥٤٥].

٥٩٩٥ ـ [١٧] وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ أَحْرَقَتْنَا نِبَالُ ثَقِيفٍ فَادْعُ اللهَ عَلَيْهِمْ. قَالَ: «اللهُمَّ اهْدِ ثَقِيفاً». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٩٤٢].

٥٩٩٦ ـ [١٨] وَعَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ مِينَاءَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فجاء رَجُلٌ أَحْسَبُهُ مِنْ قَيْسٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! الْعَنْ حِمْيَراً، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ جَاءَهُ مِنَ الشِّقِّ الآخَرِ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ جَاءَهُ مِنَ الشِّقِّ الآخَرِ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: . . . .

قوله: (فلا إخالك) خطاب للحجاج، أي: لا أظنك، وهو بفتح الهمزة وكسرُها أشهر، وقال الطيبي[1]: الظاهر: فلا إخاله إلا إياك، قدَّمت المفعول الثانيَ للاهتمام، فتأمل.

٥٩٩٥ ـ [١٧] (جابر) قوله: (أحرقتنا نبال) فاعل أحرقت، والنبل: السهام لا واحد [له]، أو واحده نبلة، وجمعه أنبال ونِبال نُبلان، كذا في (القاموس).

٥٩٩٦ ـ [١٨] (عبد الرزاق) قوله: (عن ميناء) بكسر الميم وبالمد والقصر، والمد أشهر، تابعي، وضعفوه، قال في (الكاشف)[2]: ميناء عن مولاه ابن عوف وعثمان، وعنه والد عبد الرزاق، ضعفوه، وفي الحاشية: ميناء بن أبي ميناء الخزاز، قال يحيى: ليس بثقة، وقال أبو زرعة: كان كذاباً، وقال ابن عدي: كان يغلو في

---

(١) «شرح الطيبي» (١٢/ ٣٨٣٩).

(٢) «الكاشف» (٢/ ٣١٢).

«رَحِمَ اللهُ حِمْيَراً، أَفْوَاهُهُمْ سَلاَمٌ، وَأَيْدِيهِمْ طَعَامٌ، وَهُمْ أَهْلُ أَمْنٍ وَإِيمَانٍ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ، وِيُروى عَنْ مِيناءَ هَذَا أَحَادِيثُ مَنَاكِيرُ. [ت: ٣٩٣٩].

٥٩٩٧ ـ [١٩] وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «مِمَّنْ أَنْتَ؟» قُلْتُ: مِنْ دَوْسٍ. قَالَ: «مَا كُنْتُ أَرَى أَنَّ فِي دَوْسٍ أَحَداً فِيهِ خَيْرٌ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٨٣٨].

٥٩٩٨ ـ [٢٠] وَعَنْ سَلْمَانَ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لاَ تُبْغِضْنِي فَتُفَارِقَ دِينَكَ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! كَيْفَ أُبْغِضُكَ وَبِكَ هَدَانَا اللهُ؟ قَالَ: «تُبْغِضُ الْعَرَبَ فَتُبْغِضُنِي» ....

التشيع، ذكره ابن حبان في (كتاب الثقات)[1]، روى له الترمذي حديثاً واحداً، و(حمير) بكسر الحاء وسكون الميم وفتح الياء، أبو قبيلة من اليمن.

وقوله: (أفواههم سلام) أي: ذات سلام، أي: يفشون السلام، جعلهم نفسَ السلام مبالغة، وكذا قوله: (وأيديهم طعام) وصفها بالتواضع والسخاوة، وهما أصل المكارم في أداء حقوق الناس.

وقوله: (هذا) بدل من (ميناء) أو صفة.

٥٩٩٧ ـ [١٩] (عنه) قوله: (من دوس) بفتح الدال، وروي بالضم، وفي الحديث منقبة لأبي هريرة ومذمة لدوس لولا أبو هريرة.

٥٩٩٨ ـ [٢٠] (سلمان) قوله: (فتفارق) بالنصب جواباً للنهي.

وقوله: (تبغض العرب) المراد به ما يشمل الأعراب، كان سلمان ﷺ عجمياً

(١) «كتاب الثقات» (٦٥٩٥).

رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ. [ت: ٣٩٢٧].

٥٩٩٩ ـ [٢١] وَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ غَشَّ الْعَرَبَ لَمْ يَدْخُلْ فِي شَفَاعَتِي، وَلَمْ تَنَلْهُ مَوَدَّتِي». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ، لاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ حَدِيثِ حُصَيْنِ بْنِ عُمَرَ، وَلَيْسَ هُوَ عِنْدَ أَهْلِ الْحَدِيثِ بِذَاكَ الْقَوِيِّ. [ت: ٣٩٢٨].

٦٠٠٠ ـ [٢٢] وَعَنْ أُمِّ الْحَرِيرِ مَوْلاَةِ طَلْحَةَ بْنِ مَالِكٍ قَالَتْ: سَمِعْتُ مَوْلاَيَ يَقُولَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مِنِ اقْتِرَابِ السَّاعَةِ هَلاَكُ الْعَرَبِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٩٢٩].

٦٠٠١ ـ [٢٣] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْمُلْكُ فِي قُرَيْشٍ، وَالْقَضَاءُ فِي الأَنْصَارِ، ....

فارسياً [ولعله] كان يهين بعض فقرائهم ويفاخر عليهم، فنبّهه ﷺ على ذلك، أو على مظنة أن يبغضهم ويهينهم وإن لم يقع، والله أعلم.

٥٩٩٩ ـ [٢١] **(عثمان بن عفان)** قوله: **(من غش العرب)** بمعجمتين، أي: خان وبغض، في (القاموس)[1]: غشه: لم يمحّضه النصح، أو أظهر له خلاف ما أضمره، كغشّشه، والغش بالكسر: الاسم منه، والغل، والحقد.

٦٠٠٠ ـ [٢٢] **(أم الحرير)** قوله: **(وعن أم الحرير)** بحاء مهملة مفتوحة ورائين على وزن نصير.

وقوله: **(من اقتراب الساعة)** أي: من أماراتها.

٦٠٠١ ـ [٢٣] **(أبو هريرة)** قوله: **(والقضاء في الأنصار)** قيل: المراد النقابة؛

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٥٣٩).

وَالأَذَانُ فِي الْحَبَشَةِ، وَالأَمَانَةُ فِي الأَزْدِ». يَعْنِي الْيَمَنَ. وَفِي رِوَايَةٍ مَوْقُوفاً. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا أَصَحُّ. [ت: ٣٩٣٦].

* الْفَصْلُ الثَّالِثُ:

٦٠٠٢ ـ [٢٤] عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ مُطِيعٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ: «لاَ يُقْتَلُ قُرَشِيٌّ صَبْراً بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ١٧٨٢].

٦٠٠٣ ـ [٢٥] وَعَنْ أَبِي نَوْفَلٍ مُعَاوِيَةَ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ: رَأَيْتُ عَبْدَاللهِ ابْنَ الزُّبَيْرِ عَلَى عَقَبَةِ الْمَدِينَةِ، قَالَ: فَجَعَلَتْ قُرَيْشٌ تَمُرُّ عَلَيْهِ وَالنَّاسُ حَتَّى مَرَّ عَلَيْهِ عَبْدُاللهِ بْنُ عُمَرَ فَوَقَفَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكَ أَبَا خُبَيْبٍ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ أَبَا خُبَيْبٍ، ....

لأن النقباء كانوا من الأنصار، وقيل: القضاء المعروف لبعثه ﷺ معاذا قاضياً إلى اليمن، وقال ﷺ: (أعلمهم بالحلال والحرام معاذ)، ولعل المراد أنه ينبغي أن تراعى هذه المناصب فيهم، فهو خبر في معنى الأمر.

وقوله: (موقوفاً) أي: على أبي هريرة من غير أن يرفعه إلى النبي ﷺ.

الفصل الثالث

٦٠٠٢ ـ [٢٤] (عبدالله بن مطيع) قوله: (لا يقتل قرشي صبراً) أي: وهو مرتد عن الإسلام ثابت على الكفر، إذ قد وجد من قريش من قتل صبراً، وقيل: النفي بمعنى النهي فالكلام على إطلاقه.

٦٠٠٣ ـ [٢٥] (أبو نوفل) قوله: (على عقبة المدينة) العقبة بفتحات: مرقى الجبال، والمراد عقبة بمكة واقعة على طريق المدينة، يريد الحجون بالمعلى، وكان

السَّلَامُ عَلَيْكَ أَبَا خُبَيْبٍ، أَمَا وَاللهِ لَقَدْ كُنْتُ أَنْهَاكَ عَنْ هَذَا، أَمَا وَاللهِ لَقَدْ كُنْتُ أَنْهَاكَ عَنْ هَذَا، أَمَا وَاللهِ لَقَدْ كُنْتُ أَنْهَاكَ عَنْ هَذَا، أَمَا وَاللهِ إِنْ كُنْتَ مَا عَلِمْتُ صَوَّاماً قَوَّاماً وَصُولاً لِلرَّحِمِ، أَمَا وَاللهِ لأُمَّةٌ أَنْتَ شَرُّهَا لأُمَّةُ سَوْءٍ ـ وَفِي رِوَايَةٍ: لأُمَّةُ خَيْرٍ ـ.........................

عبدالله بن الزبير مصلوباً عليه، صلبه الحجاج.

وقوله: (**السلام عليك أبا خبيب**) مكرر ثلاثاً، وأبو خبيب بالخاء المعجمة والموحدتين بلفظ التصغير كنية عبدالله بن الزبير، وفيه استحباب السلام على الميت.

وقوله: (**لقد كنت أنهاك عن هذا**) مكرر ثلاثاً، وهذا إشارة إلى مُوْجِب الصلب وسببه، وهو الخروج ودعوى الإمامة ومخالفة هؤلاء الأشرار.

و(إن) في قوله: (**إن كنت**) مخففة من المثقلة و(ما) مصدرية، أي: فيما علمت، و(**وصولاً**) بفتح الواو.

وقوله: (**لأمة**) مبتدأ و(**أنت شرها**) صفة.

وقوله: (**لأمة سوء**) بالإضافة خبره، وفي رواية: (لأمة شر).

وقوله: (**في رواية: لأمة خير**) ونقل الطيبي[١] عن النووي[٢]: هذه الرواية هي التي عليها الجمهور، ورواية: (لأمة سوء) خطأ وتصحيف، انتهى.

وفي (المشارق)[٣]: ويروى: (خيار)، وعند السمرقندي: (لأمة شر)، وهو خطأ، والوجه الأول، وقال: ويروى (أشرها)، قال ابن قتيبة: لا يقال: أَشرُّ ولا أَخْيرُ، وإنما يقال: شر وخير، انتهى.

---

(١) «شرح الطيبي» (١٢/ ٣٨٣٨).

(٢) كذا في لأصل وهو سبق قلم، والصواب: «عن القاضي عياص».

(٣) «مشارق الأنوار» (١/ ٢٥٠، ٢/ ٢٤٧).

ثُمَّ نَفَذَ عَبْدُاللهِ بْنُ عُمَرَ، فَبَلَغَ الْحَجَّاجَ مَوْقِفُ عَبْدِاللهِ وَقَوْلُهُ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَأُنْزِلَ عَنْ جِذْعِهِ، فَأُلْقِيَ فِي قُبُورِ الْيَهُودِ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُمِّهِ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ فَأَبَتْ أَنْ تَأْتِيَهُ، فَأَعَادَ عَلَيْهَا الرَّسُولَ لَتَأْتِيَنِّي أَوْ لأَبْعَثَنَّ إِلَيْكِ مَنْ يَسْحَبُكِ بِقُرُونِكِ. قَالَ: فَأَبَتْ، وَقَالَتْ: . . . .

هذا ولا يظهر وجهُ كون ([لأمة] شر) خطأً، فإن كان من حيث الرواية فلا مناقشة في ذلك، وأما من حيث المعنى فلا يظهر لنا معنًى واضح لهذين الكلامين حتى نعلم كون أحدهما صواباً والآخر خطأ، والذي يسنح الآن هو أن المراد بقوله: (لأمة أنت شرها) أي: في اعتقادهم وظنهم، فيكون حاصله أن أمة تحكم بكونك شرهم أمة سوء، وبقوله: (لأمة خير) التعريض والاستهزاء، يعني أنهم يظنون كونهم خيراً وليس الأمر كذلك، هذا ولكن المعنى الأول أظهر، ومع ذلك حكموا بأنه خطأ، ولعل ذلك من حيث الرواية، والله أعلم.

وقوله: **(ثم نفذ)** أي: مضى وذهب، من قولهم: طريق نافذ: سالك، والنفاذ والنفوذ: جواز الشيء [عن الشيء] والخلوص منه.

وقوله: **(فبلغ الحجاج)** بالنصب، و**(موقف)** فاعل (بلغ)، **(فأنزل)** أي: ابن الزبير **(عن جذعه)** بكسر الجيم وسكون الذال، أي: الخشبة التي صلب عليها.

وقوله: **(فألقي في قبور اليهود)** ولم يعرف بمكة قبور اليهود، ولعله كان إذ ذاك، أو أخرج من مكة وأرسل إلى مكان كان فيه قبور اليهود كالمدينة وغيرها، والله أعلم.

وقوله: **(لتأتيني)** على لفظ المخاطبة الواحدة بإدغام نونها في نون الوقاية، و**(يسحبك)** أي: يجرك، سحبه: جره على وجه الأرض فانسحب، والمراد بـ **(قرونها)** ضفائر شعرها.

وَاللهِ لاَ آتِيكَ حَتَّى تَبْعَثَ إِلَيَّ مَنْ يَسْحَبُنِي بِقُرُونِي. قَالَ: فَقَالَ: أَرُونِي سِبْتَيَّ فَأَخَذَ نَعْلَيْهِ، ثُمَّ انْطَلَقَ يَتَوَذَّفُ حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهَا، فَقَالَ: كَيْفَ رَأَيْتِنِي صَنَعْتُ بِعَدُوِّ اللهِ؟ قَالَتْ: رَأَيْتُكَ أَفْسَدْتَ عَلَيْهِ دُنْيَاهُ، وَأَفْسَدَ عَلَيْكَ آخِرَتَكَ، بَلَغَنِي أَنَّكَ تَقُولُ لَهُ: يَا ابْنَ ذَاتِ النِّطَاقَيْنِ، أَنَا وَاللهِ ذَاتُ النِّطَاقَيْنِ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكُنْتُ أَرْفَعُ بِهِ طَعَامَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَطَعَامَ أَبِي بَكْرٍ مِنَ الدَّوَابِّ، وَأَمَّا الآخَرُ فَنِطَاقُ الْمَرْأَةِ الَّتِي لاَ تَسْتَغْنِي عَنهُ، ....

وقوله: (سبتي) بلفظ التثنية مضافاً إلى ياء المتكلم، والسِّبْتِيَة بكسر السين المهملة وسكون الموحدة وكسر الفوقانية وتشديد التحتانية: النعل لا شعر عليها، منسوبة إلى السبت بالكسر: جلود البقر المدبوغة، أو كلُّ جلدٍ مدبوغٍ أو [المدبوغ] بالقَرَظ، يتخذ منها النعال، سمي بذلك لأن شعرها قد سبت عنها، أي: حلق وأزيل.

وقوله: (يتوذف) بالذال المعجمة والفاء، أي: يقارب الخطو ويحرك منكبيه متبختراً، أو يسرع، كذا في (القاموس)[1].

وقوله: (أنا والله ذات النطاقين) سماها بذلك رسول الله ﷺ لما شقت نطاقها شقين فشدت بأحدهما سفرة رسول الله ﷺ حين كان في غار ثور، وبالأخرى وسطها أو قربته، وكأن الظاهر [أن الحجاج] حمل قوله ﷺ: (ذات النطاقين) على الذم كناية عن كونها خادمة خَرَّاجة، ولم تُعرف أيُّ فضيلة فوق خدمة النبي ﷺ في تلك الحال، و(النطاق) بالكسر: شُقة تلبسها المرأة وتشد وسطها، فترسل الأعلى على الأسفل إلى

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٧٧٣).

أَمَا إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَدَّثَنَا: «أَنَّ فِي ثَقِيفٍ كَذَّاباً وَمُبِيراً». فَأَمَّا الْكَذَّابُ فَرَأَيْنَاهُ، وَأَمَّا الْمُبِيرُ فَلاَ إِخَالُكَ إِلاَّ إِيَّاه، قَالَ: فَقَامَ عَنْهَا وَلم يُرَاجِعها. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٥٤٥].

٦٠٠٤ - [٢٦] وَعَنْ نَافِعٍ: أَنَّ ابْنَ عُمَرَ أَتَاهُ رَجُلاَنِ فِي فِتْنَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ، فَقَالاَ: إِنَّ النَّاسَ صَنَعُوا مَا تَرَى، وَأَنْتَ ابْنُ عُمَرَ وَصَاحِبُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَمَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَخْرُجَ؟ فَقَالَ: يَمْنَعُنِي أَنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَيَّ دَمَ أَخِي الْمُسْلِمِ. قَالاَ: أَلَمْ يَقُلِ اللهُ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾[البقرة: ١٩٣]، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: قَدْ قَاتَلْنَا حَتَّى لَمْ تَكُنْ فِتْنَةٌ وَكَانَ الدِّينُ لِلَّهِ، وَأَنْتُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُقَاتِلُوا حَتَّى تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِغَيْرِ اللهِ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٤٢٤٣].

الأرض، والأسفل ينجرّ إلى الأرض، كذا في (القاموس)[1]، وانتطقت: لَبِستْها، والرجل: شد وسطه بمنطقة، كتنطّق. وفي المثل: مَنْ يَطُلْ هَنُ أَبِيهِ يَنْتَطِقْ بِهِ، أي: من كثر بنو أبيه يتقوى بهم.

وقوله: (**أما الكذاب فرأيناه**) إشارة إلى المختار بن أبي عبيد المذكور في (الفصل الثاني).

٦٠٠٤ - [٢٦] (**نافع**) قوله: (**إن الناس صنعوا ما ترى**) أي: من الاختلاف بينهم في أمر الإمامة والبيعة.

وقوله: (**حرم علي**) زيادة (عليّ) للإشارة إلى تجنبه وأخذه طريق الاحتياط في ذلك، وإلا فيكفي أن يقول: حرم دم المسلم.

وقوله: (**قد قاتلنا . . . إلخ**)، أي: مع رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٨٣٣).

٦٠٠٥ ـ [٢٧] وَعَن أبي هريرةَ قَالَ: جَاءَ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو الدَّوْسِيُّ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ دَوْساً قَدْ هَلَكَتْ عَصَتْ وَأَبَتْ، فَادْعُ اللهَ عَلَيْهِمْ، فَظَنَّ النَّاسُ أَنَّهُ يَدْعُو عَلَيْهِمْ فَقَالَ: «اللهُمَّ اهْدِ دَوْساً وَأْتِ بِهِمْ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٤٣٩٢، م: ٢٥٢٤].

٦٠٠٦ ـ [٢٨] وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَحِبُّوا الْعَرَبَ لِثَلَاثٍ: لِأَنِّي عَرَبِيٌّ، وَالْقُرْآنُ عَرَبِيٌّ، وَكَلَامُ أَهْلِ الْجَنَّةِ عَرَبِيٌّ». رَوَاهُ الْبَيْهَقِيّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ». [شعب: ١٣٦٤].



٢ ـ باب مناقب الصحابة

٦٠٠٥ ـ [٢٧] (أبو هريرة) قوله: (قد هلكت عصت) بدون الواو، وقيل: (عصت) استئنافٌ لبيان سبب الهلاك.

وقوله: (وأت بهم) يعني: مسلمين.

٦٠٠٦ ـ [٢٨] (ابن عباس) قوله: (والقرآن) بالرفع[١]، وكذا قوله: (وكلام أهل الجنة) يعني: للعرب فضل في الدنيا والآخرة.

٢ ـ باب مناقب الصحابة

الصحابي من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على الإسلام وإن تخللت ردةٌ على الأصح كأشعث بن قيس، فإنه كان ممن ارتد، ثم أتي به إلى أبي بكر الصديق أسيراً،

---

(١) قال القاري (٩/ ٣٨٧٤): بالنصب ويرفع.

. . . .

فعاد إلى الإسلام فقبل منه ذلك وزوجه أخته، ولم يتخلف أحد عن ذكره في الصحابة ولا عن تخريج أحاديثه في المسانيد وغيرها.

وإنما قال: على الأصح، إشارةً إلى الخلاف في المسألة، وتحقيق هذا التعريف يطلب من كتب أصول الحديث، وقد اشترط بعض الأصوليين طول صحبته مع النبي ﷺ وملازمته له وأخذه منه وأقله ستة أشهر؛ لأن الصحبة في العرف لا تطلق على رؤية أو لُقِيٍّ، هذا ولكن لا يعرف لتعيين مدة ستة أشهر أو أكثر من ذلك دليل، والله أعلم.

وقال الشيخ[1]: لا خفاء في رجحان رتبة من لازمه ﷺ وقاتل معه أو قتل تحت رايته على من لم يلازمه، أو لم يحضر معه مشهداً، أو على من كلمه يسيراً، أو ماشاه قليلاً، أو رآه من بعيد، أو في حال الطفولية، وإن كان شرف الصحبة حاصلا للجميع، انتهى.

ويعرف كونه صحابياً بالتواتر، أو الاستفاضة، أو الشهرة، أو بإخبار بعض الصحابة، أو بعض ثقات التابعين، أو بإخباره عن نفسه بأنه صحابي إذا كان دعواه يدخل تحت الإمكان.

ثم إنه قد ثبت بالآيات والأحاديث فضل الصحابة وشرفهم ما لا سبيل معه إلى الإنكار والشك في ذلك، وموتهم على الكفر كما يزعم الروافض، وما نقل من ذلك عن واحد أو اثنين منهم كعبدالله بن جحش وابن خطل فنادر، ولم يكن إيمانهم حقيقةً، أو لم يكونوا داخلين في حيطة هذه الفضائل والكرامات، وقد أُخذ من قوله: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩] كفرُ من يبغضهم ويغيظهم، مع ما ثبت منهم من الهجرة

(١) «نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر» (ص: ١١٣).

. . . .

والجهاد ونصرة الإسلام وبذل المهج والأموال وقتل الآباء والأولاد والمناصحة في الدين وقوة الإيمان واليقين.

وقال إمام عصره أبو زرعة الرازي[١] من أجل شيوخ مسلم: إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن رسول الله ﷺ حق، والقرآن حق، وما جاء به حق، وما أدى إلينا ذلك إلا الصحابة، فمن جرحهم إنما أراد به إبطال الكتاب والسنة، فيكون الجرح به ألصق، والحكم عليه بالزندقة والضلال والكذب والعناد هو الأقوم الأحق.

وقال ابن حزم: الصحابة كلهم من أهل الجنة قطعاً، وفي الحقيقة يلحق منه المنقصة إلى رسول الله ﷺ حيث بُعث إلى كافة الخلق وهدايتهم وإخراجهم من الكفر والضلال، ويكون بحيث لم يهتد من صحابته ولم يُختم لهم بالإيمان إلا نفر قليل كستة أو سبعة، ومن سواهم كلهم ماتوا على الضلال والكفر، نعوذ بالله من أمثال هذه الكلمات، فمِن ثَم أجمع أهل السنة والجماعة أنه يجب على كل مسلم تزكية جميع الصحابة وتعديلهم، والكفُّ عن سبهم والطعن فيهم، والثناءُ عليهم؛ لأن الله تعالى ورسوله عدلهم وزكاهم وأثنى عليهم.

ونحو ذلك قال شيخ شيوخ زمانه شهاب الدين عمر السهروردي في (أعلام الهدى): اعلم أن أصحاب رسول الله ﷺ ورضي عنهم مع نزاهة بواطنهم وطهارة قلوبهم كانوا بشراً، وكانت لهم نفوس تظهر بصفاتها وقلوبُهم منكرة لذلك، فيرجعون إلى حكم قلوبهم وينكرون ما كان من نفوسهم، انتهى[٢].

---

(١) انظر: «الصواعق المحرقة» (٢/ ٦٠٩).

(٢) انظر: «الأساليب البديعة في فضائل الصحابة» (ص: ٣٦).

. . . .

وذهب بعض العلماء الشافعية وغيرهم إلى أن اختصاص الحكم بالعدالة بمن لازم رسول الله ﷺ ونصره دون من اجتمع به يوماً أو لغرض، وهذا قول غريب يخرج به كثير من المشهورين بالصحبة والرواية عن الحكم بالعدالة كوائل بن حجر ومالك بن الحويرث وعثمان بن أبي العاص، وغيرهم ممن وفد عليه ﷺ ولم يُقم عنده إلا قليلا وانصرف، والقول بالتعميم هو الذي صرح به الجمهور وهو المعتبر، والله أعلم.

وقال في (الصواعق المحرقة)[1]: اعلم أنه وقع خلاف في التفضيل بين الصحابة ومن جاء بعدهم من صالحي هذه الأمة، فذهب أبو عمر بن عبد البر إلى أنه يوجد فيمن أتى بعد الصحابة من هو أفضل من بعض الصحابة، واحتج على ذلك بخبر: (طوبى لمن رآني وآمن بي ولمن لم يرني وآمن بي) سبع مرات، وبخبر عمر ﷺ قال: كنت جالساً عند النبي ﷺ فقال: (أتدرون أيُّ الخلق أفضل إيماناً؟) قلنا: الملائكة، قال: (وحق لهم بل غيرهم)، قلنا: الأنبياء، قال: (وحق لهم بل غيرهم)، ثم قال ﷺ: (أفضل الخلق إيماناً قوم في أصلاب الرجال يؤمنون بي ولم يروني، فهم أفضل الخلق إيماناً)، وبحديث: (مثل أمتي كمثل المطر لا يُدرى آخره خير أم أوله)، وبخبر: (ليدركن المسيح أقواماً إنهم لمثلكم أو خير) ثلاثاً، وبخبر: (تأتي أيام للعامل فيهن أجر خمسين)، قيل: منهم أو منا يا رسول الله؟ قال: (بل منكم)، وبما روي عن عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة كتب إلى سالم بن عبدالله بن عمر: أن اكتب لي سيرة عمر بن الخطاب لأعمل بها، فكتب إليه سالم: إن عملت بسيرة عمر فأنت أفضل من عمر؛ لأن زمانك ليس كزمان عمر، ولا رجالك كرجال عمر، وكتب إلى فقهاء زمانه فكلهم كتب بمثل

(١) (٢/ ٦١١ ـ ٦١٤).

* الْفَصْلُ الأَوَّلُ:

٦٠٠٧ ـ [١] عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً. . . . .

قول سالم.

قال أبو عمر: فهذه الأحاديث تقتضي مع تواتر طرقها وحسنها التسوية بين أول هذه الأمة وآخرها في فضل العمل إلا أهل بدر والحديبية.

وأجابوا عن هذه الأحاديث بما ذكر في محله، وقالوا: إن المفضول قد يكون فيه مزية لا توجد في الفاضل، وأيضاً مجرد زيادة الأجر لا تستلزم الأفضلية المطلقة، وأيضاً الخيرية إنما تكون باعتبار ما يمكن أن يجتمعا فيه وهو عموم الطاعات المشتركة بين سائر المؤمنين، فلا يبعد حينئذ تفضيل بعض من يأتي على بعض من الصحابة في ذلك، وأما ما اختص به الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وفازوا من مشاهدة طلعته ﷺ ورؤية ذاته المشرفة المكرمة فأمر من وراء العقل، إذ لا يسع أحد أن يأتي من الأعمال وإن جلت بما يقارب ذلك فضلاً عن أن يماثله، وعلم من قول أبي عمر بن عبد البر: إلا أهل بدر والحديبية أن الكلام في غير أكابر الصحابة ممن لم يفز إلا بمجرد رؤيته ﷺ، وقد ظهر أنه فاز بما لم يَقْرَبْه مَن بعده، والله أعلم.

الفصل الأول

٦٠٠٧ ـ [١] (أبو سعيد الخدري) قوله: (لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم) الظاهر أن الخطاب لمن بعد الصحابة نزلوا منزلة الموجودين الحاضرين، وقيل: للموجودين من العوام في ذلك الزمان الذين لم يصاحبوه ﷺ، ويفهم خطابُ مَن بعدهم بدلالة النص، وقال السيوطي: الخطاب بذلك للصحابة، لِمَا ورد أن سبب الحديث أنه

مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلاَ نَصِيفَهُ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٦٧٣، م: ٢٥٤١].

٦٠٠٨ - [٢] وَعَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: رَفَعَ - يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ - رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَكَانَ كَثِيراً مِمَّا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ. فَقَالَ: «النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، . . . .

كان بين خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف شيء، فسبه خالد، فالمراد بـ(أصحابي) أصحاب مخصوصون وهم السابقون على المخاطبين في الإسلام، وقيل: نزّل الساب منهم لتعاطيه ما لا يليق به من السب منزلة غيرهم، فخاطبه خطاب غير الصحابة، ولا يخفى ما فيه من التكلف، والوجه هو الأول.

و(**المد**) بالضم المكيال وهو رطلان أو رطل وثلث، والجمع أمداد، و(**النصيف**) لغة في النصف، وقيل: مكيال دون المُد، وعلى الأول ضمير (نصيفه) للمُد وعلى الثاني لـ(أحدهم).

٦٠٠٨ - [٢] (أبو بردة) قوله: (**وعن أبي بردة**) اسمه عامر، وقيل: الحارث (**عن أبيه**) وهو أبو موسى الأشعري.

وقوله: (**وكان كثيراً مما يرفع رأسه**) والظاهر أن (كثيراً) صفة زمان محذوف، و(مما) خبر كان، وكلمة (ما) يعم العقلاء، أي: كان ﷺ ممن يرفع رأسه كثيراً، أو (من) زائدة، وما ذكره الطيبي في توجيهه حيث قال: من بيان لـ(كثيراً) وهو خبر (كان) أي: كان كثيراً رَفْعُ رأسِهِ، و(ما) مصدرية، لا يخلو عن شيء.

وقوله: (**النجوم أمنة**) بفتحات بمعنى الأمن، أي: سبب أمن، أمن كفرح أمناً وأماناً وأمنة، ومنه قوله تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً﴾[الأنفال: ١١]، ويروى: (أمنة) بسكون الميم مرة من الأمن، أو جمع أمين بمعنى الحافظ كسفير وسفَرة، أو

فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومَ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَنَا أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٥٣١].

٦٠٠٩ ـ [٣] وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ فَيَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ، فَيَقُولُونَ(١): هَلْ فِيكُمْ مَنْ صَاحَبَ رَسُولَ اللهِ ﷺ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيُفْتَحُ لَهُمْ، ثُمَّ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ فَيَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ، فَيُقَالُ: هَلْ فِيكُمْ مَنْ صَاحَبَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيُفْتَحُ لَهُمْ، . . . .

جمع آمن كبارٍّ وبررة، ولعل هذا يجعله صيغة النسبة، وعلى كل تقدير لفظ الجمع بالنسبة إلى النبي ﷺ يكون من قبيل ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾[النحل: ١٢٠].

وقوله: (فإذا ذهبت النجوم) ذهاب النجوم تكديرها وانكدارها وإعدامها، وقد جعله الله سبحانه سبب إتيان السماء ما توعد ـ وهو انفطارها وانشقاقها ـ وأمارةً عليه.

ويحتمل أن يكون ذلك من قِبَل أن النجوم نورانية وزينة للسماء، وواسطة في حدوث بعض الحوادث في الأرض مثل الحر والبرد، ونضج الأثمار ونزول الأمطار، يجعل الله إياها أسباباً عادية، والله أعلم.

والمراد بما توعد الأصحاب: الفتنُ والحروبُ وارتدادُ الأعراب، وبما توعد الأمة: البدع والحوادث والفتن وذهاب الخير ومجيء الشر.

٦٠٠٩ ـ [٣] (أبو سعيد الخدري) قوله: (فيغزو فئام) بكسر الفاء والهمزة:

---

(١) في نسخة: «فيقال».

ثُمَّ يَأْتِي عَلَى النَّـاسِ زَمَـانٌ فَيَغْزُو فِئَـامٌ مِنَ النَّاسِ، فَيُقَالُ: هَـلْ فِيكُمْ مَنْ صَاحَبَ مَنْ صَاحَبَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيُفْتَحُ لَهُمْ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ قَالَ: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يُبْعَثُ مِنْهُمُ الْبَعْثُ، فَيَقُولُـونَ: انْظُرُوا هَـلْ تَجِدُونَ فِيكُمْ أَحَـداً مِنْ أَصْحَـابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ فَيُوجَدُ الرَّجُلُ فَيُفْتَحُ لَهُمْ بِهِ، ثُمَّ يُبْعَثُ البَعْثُ الثَّانِي، . . . .

الجماعة من الناس لا واحد له من لفظه، والجمع: فُؤُم ككتب، كذا في (القاموس)[1]، وفي (المشارق)[2]: قال بعضهم: هو بفتح الفاء، حكاه الخليل وهو رواية القابسي، وأدخلـه صاحب (العين) في حرف الياء بغير همزة وغيره بهمزة، وكذا قاله القابسي، وحكى الخطابـي أن بعضهـم رواه (فيّام) بالفتح مشدد الياء وهو غلط، وفي المهموز ذكره الهروي، وكذا قيد عن أبي ذر بالهمزة.

وقوله: (**يبعث**) أي: يرسل فيهم (**البعث**) أي: الجيش، قال في (القاموس)[3]: البعث ويحرك: الجيش، والجمع البعوث.

وقولـه: (**هـل تجـدون فيكم**) بكـاف الخطـاب، وفي قرائنـه: (فيهم) بلفـظ الغائب.

وقوله: (**البعث الثاني**) بالتوصيف وكذا في البعث الثالث، وفي الرابع بالإضافة، كذا وجدنا فـي نسخ (المشكاة) و(المصابيح)، وتأويله: بعث القوم الرابع، ففي هذه

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١٠٣٢).

(٢) «مشارق الأنوار» (٢/ ١٤٤).

(٣) «القاموس المحيط» (ص: ١٥٢).

فيَقُولونَ: هَلْ فِيْهِمْ مَن رَأَى أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ[1] ﷺ؟ فَيُفْتَحُ لَهُمْ بِهِ، ثُمَّ يُبْعَثُ الْبَعْثُ الثَّالِثُ، فَيُقَالُ: انْظُرُوا هَلْ تَرَوْنَ فِيهِمْ مَنْ رَأَى مَنْ رَأَى أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ؟ ثُمَّ يَكُونُ بَعْثُ الرَّابِعِ، فَيُقَالُ: انْظُرُوا هَلْ تَرَوْنَ فِيهِمْ أَحَداً رَأَى مَنْ رَأَى أَحَداً رَأَى أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ؟ فَيُوجَدُ الرَّجُلُ فَيُفْتَحُ لَه»[2]. [خ: ٣٦٤٩، م: ٢٥٣٢].

٦٠١٠ ـ [٤] وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ....

الرواية وقع إلى أربعة مراتب، وهكذا وقع في رواية للبخاري حديث (خير القرون) إلى أربعة.

٦٠١٠، ٦٠١١ ـ [٤، ٥] (عمران بن حصين) قوله: (خير أمتي قرني) القرن أهل زمان واحد متقارب أشركوا في أمر من الأمور المقصودة، وقد يطلق على طائفة من الزمان، واختلفوا في تحديده، وقد ذكرناه من قبل مع الإشارة إلى ما هو الأصح، وقيل: الأصح أنه لا يضبط بمدة، فقرنه ﷺ هم الصحابة، وكانت مدتهم من البعث إلى آخر من مات منهم مئةً وعشرين سنة، وقرن التابعين من سنة مئة إلى نحو سبعين، وقرن أتباع [التابعين] من ثم إلى حدود العشرين ومئتين، وفي هذا الوقت ظهرت البدع ظهوراً فاشياً، وأطلقت المعتزلة ألسنتهم، ورفعت الفلاسفة رؤوسهم، وامتحن أهل العلم ليقولوا بخلق القرآن، وتغيرت الأحوال تغيراً شديداً، ولم يزل الأمر في نقص إلى الآن، وظهر مصداق قوله ﷺ: (يفشو الكذب)، كذا ذكر السيوطي.

---

(١) في نسخة: «النبي».

(٢) في نسخة: «لهم».

ثُمَّ إِنَّ بَعْدَهُمْ قَوْماً يَشْهَدُونَ وَلاَ يُسْتَشْهَدُونَ، . . . .

وقوله: (**يشهدون ولا يستشهدون**) ذم على الشهادة قبل الاستشهاد، وقد ورد: (خير الشهود من يأتي بالشهادة قبل أن يسأل)، فقيل في الجمع بينهما: إن الذم في حق من يعلم كونه شاهداً، فيشهد قبل أن يسألها صاحبها، والمدح فيمن لا يعلم شهادته، فيخبر بها حتى يستشهد عند القاضي، وقيل: هي الأمانة والوديعة وما لا يعلمه غيره، وقيل: هو مثلٌ في سرعة إجابته إذا استشهد عند القاضي، وحديث المدح مخصوص، وحديث الذم عام فيمن يؤدي الشهادة قبل أن يسألها صاحب الحق فلا يقبل، أو معناه: يتحملون الشهادة بدون التحميل.

وقيل: المدح محمول على شهادة الحسبة كالطلاق والعتاق، أو على مبالغة في أدائها بعد طلبها نحو: الجواد يعطي قبل سؤاله، والذم محمول على من ليس بأهل لها أو على شهادة الزور، وقيل: الذم في حقوق الناس، والمدح في حقوق الله تعالى إذا لم ير المصلحة في الستر، وقيل: أراد بالشهادة المذمومة التألي على الله نحو: فلان في الجنة وفلان في النار.

وقال القاضي عياض[1]: وقيل: معناه ههنا: يحلفون كذباً ولا يُستحلفون كما قال في الرواية الأخرى، وجاء في رواية: (تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته)[2]، والحلف يسمى شهادة، قال الله تعالى: ﴿فَشَهَـٰدَةُ أَحَدِهِمْ﴾ الآية [النور: ٦]، انتهى.

قال الكرماني[3]: فإن قلت: تقديم الشهادة على اليمين وعكسه ورد؟ قلت: أراد حرصهم عليها وقلة مبالاة بالدين بحيث تارة يكون هذا وتارة عكسه.

---

(١) «مشارق الأنوار» (٢/ ٢٥٩).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٢٦٥٢).

(٣) انظر: «شرح الكرماني» (١١/ ١٧٣).

وَيَخُونُونَ وَلاَ يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذُرُونَ وَلاَ يَفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ». وَفِي رِوَايَةٍ: «وَيَحْلِفُونَ وَلاَ يُسْتَحْلَفُونَ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٦٥٠، م: ٢٥٣٥].

٦٠١١ ـ [٥] وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: «ثُمَّ يَخْلُفُ قَوْمٌ يُحِبُّونَ السِّمَانَةَ». [م: ٢٥٣٥].

* الْفَصْلُ الثَّانِي:

٦٠١٢ ـ [٦] عَنْ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَكْرِمُوا أَصْحَابِي فَإِنَّهُمْ خِيَارُكُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَظْهَرُ الْكَذِبُ، . .

وقوله: (ويخونون ولا يؤتمنون) أي: يعتادون الخيانة بحيث يكون ظاهره لا يبقى معها ثقة بخلاف من صدر عنه الخيانة مرة واحدة في أمر حقير.

وقوله: (ولا يفون) من الوفاء.

وقوله: (ويظهر فيهم السمن) بكسر السين وفتح الميم، في (القاموس)[1]: سمن كسمع سمانة بالفتح، وسِمَنًا كعنب، فهو سامن وسمين، وقيل: يجيء من باب كرم أيضاً، قيل: كأنه استعار السمن في الأحوال من السمن في الأبدان، فالمراد: يتكبرون بما ليس فيهم، ويدَّعون ما ليس لهم من الشرف والكمال، وقيل: أراد جمعهم المال والغفلة عن الدين، وقيل: يحبون التوسع في المآكل والمشارب، وقيل: محمول على ظاهره وهو كثرة اللحم، والمذموم منه ما يَسْتكسبُه بالتوسع في الأكل لا من فيه ذلك خلقة، وقد ورد: إن الله لا يحب الحبر السمين.

الفصل الثاني

٦٠١٢ ـ [٦] (عمر) قوله: . . . .

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١٠٨٧).

حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَحْلِفُ وَلاَ يُسْتَحْلَفُ، وَيَشْهَدُ وَلاَ يُسْتَشْهَدُ، أَلاَ مَنْ سَرَّهُ بُحْبُوحَةُ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزَمِ الْجَمَاعَةَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْفَذِّ وَهُوَ مِنَ الاثْنَيْنِ أَبْعَدُ، وَلاَ يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ ثَالِثُهُمْ، وَمَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَهُوَ مُؤْمِنٌ». رواه. [حم: ١/ ٢٦، ت: ٢١٦٥].

٦٠١٣ ـ [٧] وَعَنْ جَابِرٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لاَ تَمَسُّ النَّارُ مُسْلِماً رَآنِي أَوْ رَأَى مَنْ رَآنِي». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٨٥٧].

(**بحبوحة الجنة**) بضم الموحدتين وسكون المهملة الأولى وفتح الثانية، أي: وسطها، وبحبوحة الدار وسطها وخيارها، بحبح يبحبح: تمكَّن في المقام، والدار: توسَّطَها.

وقوله: (**فليلزم الجماعة**) أي: ما عليه جماعة الصحابة والتابعين وأتباعهم الذين هم خير القرون، لما ورد: (عليكم بالسواد الأعظم)، و(**الفذ**) بفتح الفاء وتشديد الذال المعجمة: الفرد، والمراد: المستبد برأيه دون رأي الجماعة، و(**الأبعد**) بمعنى أصل الفعل.

وقوله: (**بامرأة**) أي: أجنبية.

وقوله: (**ثالثهم**) الظاهر أن يكون الثالث هنا بمعنى التصغير[1] لكن الإضافة إلى ضمير الجمع تقتضي أن يكون لبيان الحال، فالمراد: ثالث الثلاثة الذين هم الرجل والمرأة والشيطان، فافهم.

وقوله: (**رواه**) في الأصل هنا بياض، وكتب في الهامش: النسائي، وإسناده صحيح ورجاله رجال الصحيح إلا إبراهيم بن الحسن الخثعمي فإنه لم يخرج له الشيخان، وهو ثقة ثبت.

٦٠١٣ ـ [٧] (**جابر**) قوله: (**لا تمس النار مسلماً رآني أو رأى من رآني**) يعني:

---

(١) كذا في الأصول.

٦٠١٤ ـ [٨] وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ مُغَفَّلٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللهَ اللهَ فِي أَصْحَابِي، اللهَ اللهَ فِي أَصْحَابِي، لاَ تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضاً مِنْ بَعْدِي، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ، وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللهَ، وَمَنْ آذَى اللهَ فَيُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. [ت: ٣٨٦٢].

٦٠١٥ ـ [٩] وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَثَلُ أَصْحَابِي فِي أُمَّتِي كَالْمِلْحِ فِي الطَّعَامِ لاَ يَصْلُحُ الطَّعَامُ إِلاَّ بِالْمِلْحِ». قَالَ الْحَسَنُ: فَقَدْ ذَهَبَ مِلْحُنَا فَكَيْفَ نَصْلُحُ؟. رَوَاهُ فِي «شرح السّنة». [شرح السنة: ٣٨٦٣].

ومات على إسلامه، فعلى هذا وجب أن يقال: كل صحابي وتابعي بل كل مسلم في الجنة، لكن الصحابي والتابعي والمسلم في الحقيقة هو الذي مات على الإيمان، وهو إنما يعلم بإخبار المخبر الصادق بموته على الإيمان وبتبشيره بذلك، وبهذا خصَّص جماعة ببشارة الجنة، ويمكن أن يجعل هذا بشارة بالموت على الإيمان لمن رآه أو رأى من رآه كما قيل في قوله ﷺ: (من زار قبري وجبت له الجنة)، وفي رواية: (وجبت له شفاعتي)، لكن دل هذا الحديث على أن هذه الخصوصية تكون للقرنين لا للقرن الثالث وإن شاركوا في الخيرية ممن بعدهم، فتدبر.

٦٠١٤ ـ [٨] **(عبدالله بن مغفل)** قوله: **(الله الله في أصحابي)** بالنصب بتقدير: اتقوا الله في حق أصحابي، أي: لا تذكُروهم إلا بالخير، أو: أنشدكم الله في حقهم، و**(الغرض)** محركة: الهدف يرمى فيه، والإضافة في **(حبي)** و**(بغضي)** إلى المفعول، يعني حبهم يستلزم حبي، وبغضهم بغضي، أعاذنا الله من ذلك.

٦٠١٥ ـ [٩] **(أنس)** قوله: **(لايصلح الطعام إلا بالملح... إلخ)**، صرح بوجه

٦٠١٦ ـ [١٠] وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِي يَمُوتُ بِأَرْضٍ إِلاَّ بُعِثَ قَائِداً وَنُوراً لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. [ت: ٣٨٦٥].

وَذُكِرَ حَدِيثُ ابْنِ مَسْعُودٍ «لاَ يُبَلِّغُنِي أَحَدٌ» فِي «بَابِ حِفْظِ اللِّسَانِ».

* الْفَصْلُ الثَّالِثُ:

٦٠١٧ ـ [١١] عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَسُبُّونَ أَصْحَابِي فَقُولُوا: لَعْنَةُ اللهِ عَلَى شَرِّكُمْ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٨٦٦].

٦٠١٨ ـ [١٢] وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «سَأَلْتُ رَبِّي عَنِ اخْتِلاَفِ أَصْحَابِي مِنْ بَعْدِي، فَأَوْحَى إِلَيَّ: . . .

التشبيه لئلا يتوهم شيء آخر، كما قيل في القول المشهور بين الناس: النحو في الكلام كالملح في الطعام، من كون القليل منه مصلحاً والكثير مفسداً، فمن هذا الحديث أيضاً علم أن وجه التشبيه هنالك هو الصلاح باستعماله والفساد بإهماله.

٦٠١٦ ـ [١٠] (عبدالله بن بريدة) قوله: (يموت بأرض) الظاهر أن المراد دفنه فيها، والله أعلم.

الفصل الثالث

٦٠١٧ ـ [١١] (ابن عمر) قوله: (لعنة الله على شركم) أي: لعنة الله عليكم بناء على شركم، أو هو احتياط باللعن على فعله دون ذاته رعاية للإنصاف وإن كان في الحقيقة راجعاً إلى الفاعل، فافهم.

٦٠١٨ ـ [١٢] (عمر بن الخطاب) قوله: . . . .

يَا مُحَمَّـدُ إِنَّ أَصْحَابَكَ عِنْدِي بِمَنْزِلَـةِ النُّجُومِ فِي السَّمَـاءِ بَعْضُهَا أَقْوَى مِنْ بَعْضٍ، وَلِكُلٍّ نُورٌ، فَمَنْ أَخَذَ بِشَيْءٍ مِمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنِ اخْتِلَافِهِمْ فَهُوَ عِنْدِي عَلَى هُدًى» قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَصْحَابِـي كَالنُّجُومِ فَبِـأَيِّـهِمُ اقْتَدَيْتُمُ اهْتَدَيْتُمْ». رَوَاهُ رَزِينٌ.

❖❖❖



(فهو عندي على هدى) وهذا كقوله ﷺ: (اختلاف أمتي رحمة)، ويدل على أن المراد اختلاف العلماء المجتهدين وإن أجمعوا فذلك أعلى وأتم.

٣ ـ باب مناقب أبي بكر الصديق رضي الله عنه

قد وردت أحاديث كثيرة في فضائله رضي الله عنه من الصحاح والحسان والضعاف، وقد يروى حكـم بعض المحدثين بوضع بعضٍ، منهـا حديث: إن الله يتجلـى يوم القيامة للناس عامة ولأبي بكر خاصة، وحديث: ما صب الله في صدري شيئاً إلا وصببته في صدر أبي بكر، وحديث: كان ﷺ إذا اشتاق إلى الجنة قبل شيبته، وحديث: أنا وأبو بكر كفرسي رهان، وحديث: إن الله لما اختار الأرواح اختار روح أبي بكر، كذا ذكر الشيـخ مجـد الدين الشيرازي في (سفر السعادة)[1]، وقال: بطلانها معلـوم بديهيـة العقل، انتهى. ولعل ذلك لأنـه يلزم منها فضل أبي بكر على سائر الخلق من الأنبياء وغيرهم، ويلـزم مساواتـه لسيد المرسلين ﷺ، ويلزم ما هـو خارج عن دائـرة العقل والعادة، ولا يذهب أنـه إن بُيِّنَ بطلانها بالتكلم في أسانيدها ورجالها فمسلَّم، وإلا

(١) «سفر السعادة» (ص: ١٤٧).

* **الْفَصْلُ الأَوَّلُ:**

٦٠١٩ ـ [١] عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِنْ أَمَنِّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ ـ وَعِنْدَ الْبُخَارِيِّ: أَبَا بَكْرٍ ـ ....

يمكن تأويلها بما يطابق الحق والعقل والعادة، وباب التأويل غير مسدود بعد أن صح الحديث، وحديث: إن الله يتجلى للناس، أورده في (تنزيه الشريعة)[1] عن أنس وقال: رواه الخطيب وأبو نعيم وابن حبان في (الضعفاء) وحكم الذهبي بوضعه، وأثبته أبو نعيم وحسنه بعضهم، وأورده الحاكم في (المستدرك) وذكره الغزالي في (الإحياء)، والله أعلم.

الفصل الأول

٦٠١٩ ـ [١] (**أبو سعيد الخدري**) قوله: (**إن من أمن الناس عليّ**) من المن بمعنى العطاء لا من المنة، أي: من أبذلهم وأسمحهم علي، وليس لأحد أن يمن على رسول الله ﷺ، فلله المنة ولرسوله على كل أحد، وقيل بعد حمله على معنى العطاء أيضاً: على بمعنى أجل، أي: أكثر الناس بذلاً لنفسه وماله لأجلي.

وقوله: (**أبو بكر**) هكذا بالرفع في (صحيح مسلم)، وعند البخاري: (أبا بكر) بالنصب وهو الظاهر، ووجّه الرفع بأن يكون (من) زائدة على مذهب الأخفش، وقيل: (إنَّ) بمعنى نعم فيكون (أبو بكر) مبتدأ و(من أمن الناس) خبره، وقيل: اسم (إن) ضمير الشأن وهو نادر مع إنَّ المكسورة كما عرف في النحو، والأوجه ما ذكره بعضهم أنه محكي على ما هو عليه، وقد ثبت من قول أمير المؤمنين علي فيما أقطعه رسول الله ﷺ تميماً الداري: شهد به أبو بكر بن أبو قحافة وعلي بن أبو طالب ومعاوية

---

(١) «تنزيه الشريعة» (ص: ٣٧٢).

وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً خَلِيلاً لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلاَمِ وَمَوَدَّتُهُ، لاَ تُبْقَيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةٌ إِلاَّ خَوْخَةَ أَبِي بَكْرٍ». وَفِي رِوَايَةٍ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً خَلِيلاً غَيْرَ رَبِّي لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٩٠٤، م: ٢٣٨٢].

ابن أبو سفيان، على ما ذكر في توجيه قول أبي حنيفة ﷺ: لا ولو رماه بأبا قبيس.

وقوله: (ولو كنت متخذاً خليلاً) الظاهر أنه من الخلة بضم الخاء بمعنى الصداقة والمحبة المتخللة في باطن قلب المحب الداعية إلى اطلاع المحبوب على سره، أي: لو جاز لي أن أتخذ صديقاً من الخلق تتخلل محبته في باطن قلبي يكون مطلعاً على سري لاتخذت أبا بكر، ولكن ليس لي محبوب بهذه الصفة إلا الله، وإنما محبتي للخلق على ظاهر قلبي، ولا يطلع على سري إلا هو سبحانه، ويجوز أن يكون من الخلة بالفتح بمعنى الحاجة، أي: لو اتخذت صديقاً أراجع إليه حاجاتي وأعتمد عليه في مهماتي لاتخذت أبا بكر، ولكن اعتمادي في جميع أموري إلى الله وهو ملجئي وملاذي، وهذا المعنى أقرب وأنسب بسياق الحديث، ولكنهم حكموا بأن الأول أوجه، فافهم.

وقيل: الخلة بالفتح بمعنى الخصلة، وهي إشارة بالتخلق بأخلاق الله سبحانه.

وقوله: (ولكن أخوة الإسلام ومودته) خبره محذوف، أي: ثابت، وقيل: الأحسن أن يقدر مثل قولنا: أتم وأكمل من غيره، و(**الخوخة**) بالفتح: كوة تؤدي الضوء إلى البيت، ومخترَقٌ ما بين كل دارين، وكان في البيوت اللاصقة بالمسجد مخترقاً يمرون منه إلى المسجد وينظرون منها إليه، فأمر بسد جملتها سوى خوخة أبي بكر تكريماً له وتفضيلاً على سائر أصحابه.

. . . .

وقيل: كان فيه تعريض باستخلافه، ومنع من أن يتمناها غيره، وسدّ باب مقالته، إذ كان ذلك في آخر خطبة خطبها، وقيل: هذا هو المعنى المتعيِّن إذ لم يصح أن الصديق كان له منزل بجنب مسجده ﷺ، وإنما كان منزله بالسُّنح من عوالي المدينة، ولهذا مهّد هذا المعنى بقوله: (ولو كنت متخذاً خليلاً) أي: صاحباً يعتمد عليه في الأمور.

والتحقيق أنه كان له ﵁ في جوار المسجد الشريف منزل ومنزل آخر في عوالي المدينة فيه مسكنه، وكان له منازل متعددة بتعدد الزوجات، وجاء في بعض الروايات أنه لما أمر ﷺ بسدّ الأبواب والخوخات إلا خوخة أبي بكر تكلم الناس في ذلك، قالوا: أمر بفتح باب صديق وسد أبواب سائر الصحابة، فقال ﷺ: (إني ما فعلت ذلك من عند نفسي وإنما فعلت بأمر الله تعالى)، وروي: أن عمر ﵁ سأل أن يترك في جدار بيته كوة ينظر إلى رسول الله ﷺ حين يخرج للصلاة إلى المسجد فقال رسول الله ﷺ: (لا ولو كان روزنةً مثل سُمِّ الخِيَاط).

ثم اعلم أن الحافظ ابن حجر العسقلاني قال في شرح (صحيح البخاري)[١]: إنه قد جاء في هذا الباب أحاديث بطرق متعددة تخالف بظاهرها الحديث المذكور في باب أبي بكر، منها حديث سعد بن أبي وقاص قال: أمر رسول الله ﷺ بسد الأبواب التي كانت إلى المسجد إلا باب علي، أخرجه أحمد والنسائي وإسناده قوي، وأخرج الطبراني في (الأوسط) بنقل الثقات: أن الصحابة اجتمعوا وقالوا: يا رسول الله! أمرت بسدّ أبواب الأصحاب وفتحت باب علي؟ قال: (لا سددت أنا ولا فتحت بل الله تعالى سدّ

(١) «فتح الباري» (٧/ ١٤).

. . . .

وفتح، وإني أمرت بسدّ الأبواب إلا باب علي)، وكذا أخرج أحمد والنسائي عن ابن عباس وابن عمر نحوه.

قال الشيخ: وكل من هذه الأحاديث يصلح حجة لاسيما وقد تعاضد بعضها ببعض وقويت، وقال: حكم ابن الجوزي على هذا الحديث الذي ورد في شأن علي ﷺ بالوضع وتكلم على بعض طرقه لمخالفته الأحاديث الصحيحة التي وردت في شأن أبي بكر، وقال: وضعته الروافض في معارضتها.

ورد الشيخ ابن حجر على ابن الجوزي في حكمه بوضع هذا الحديث بمجرد توهم معارضته بحديث أبي بكر، قال: لحديث علي طرق كثيرة بلغ بعضها حد الصحة وبعضها مرتبة الحسن، ولا معارضة بينه وبين الحديث الوارد في شأن أبي بكر، ووجه التوفيق: أن الأمر بسد الأبواب وفتح باب علي كان في أول الأمر عند بناء المسجد، وكان لعلي ﷺ باب في جانب المسجد يدخل ويخرج منه، وقد صح أن رسول الله ﷺ قال لعلي ﷺ: لا يدخل هذا المسجد جنباً إلا أنا وأنت، والأمر بسد الخوخات إلا خوخة أبي بكر كان في آخر الأمر في مرضه حين بقي من عمره ثلاثة أيام أو أقل، والدليل على ذلك ما أورده ابن زبالة: أنه لما أمر رسول الله ﷺ بسد الأبواب إلا باب علي جاء حمزة بن عبد المطلب بعد ما توقف في امتثال هذا الأمر أدنى وقفة وعيناه ترمدان ويسيل الماء منهما، وقال: يا رسول الله! أخرجت عمك وأدخلت ابن عمك؟ قال رسول الله ﷺ: (يا عماه! إني أمرت بهذا ولا اختيار لي في ذلك)، فبذكر حمزة في هذه القصة علم أنه كان مقدماً لأن حمزة ﷺ استشهد بأحد، وجاء في رواية: أنه خطب رسول الله ﷺ وقال: (أوحى الله تعالى إلى موسى أن يبني مسجداً مطهراً لا يسكن إلا أنت وهارون وابناه شبر وشبير، كذلك أوحى الله إلي أن أبني مسجداً مطهراً لا يسكن

٦٠٢٠ - [٢] وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً خَلِيلاً لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً، وَلَكِنَّهُ أَخِي وَصَاحِبِي، وَقَدِ اتَّخَذَ اللهُ صَاحِبَكُمْ خَلِيلاً». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٣٨٣].

٦٠٢١ - [٣] وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي مَرَضِهِ: «ادْعِي لِي أَبَا بَكْرٍ أَبَاكِ وَأَخَاكِ حَتَّى أَكْتُبَ كِتَاباً، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَمَنَّى مُتَمَنٍّ، وَيَقُولَ قَائِلٌ: أَنَا وَلاَ، وَيَأْبَى اللهُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلاَّ أَبَا بَكْرٍ» . . . . . .

فيه إلا أنا وعلي وابناه الحسن والحسين)، والكلام في هذا الباب مبسوط ذكرناه في (تاريخ المدينة) والله أعلم.

٦٠٢٠ - [٢] **(عبدالله بن مسعود)** قوله: **(ولكنه أخي)** وزاد أحمد: (في الدين)، و**(صاحبي)** زاد: (في الغار)، كذا ذكر السيوطي.

وقوله: **(وقد اتخذ الله صاحبكم خليلاً)** دل على وجود المخالَّة من الطرفين، وهكذا الشأن لأن المحبة نسبة مشتركة بين المحب والمحبوب، ففعيل ههنا يحتمل كونه بمعنى الفاعل وبمعنى المفعول، ولو جوّز استعمال المشترك في معنييه لكان محمولاً على كلا المعنيين وهو الأنسب الأوفق بالحال، ومنه يعلم أن الخلة حاصلة لنبينا ﷺ بل كانت فيه أتم وأكمل وليست مخصوصة بإبراهيم ﷺ، ولهذا قال الإمام الغزالي: الخلة أكمل من المحبة، وهو ﷺ جامع بين مرتبتي الخلة والمحبة، فافهم وبالله التوفيق.

٦٠٢١ - [٣] **(عائشة)** قوله: **(وأخاك)** عطف على **(أبا بكر)**، قال النووي: وأما طلبه لأخيها فالمراد أنه يكتب الكتاب، والمراد بـ **(أكتب)**: آمر بالكتابة.

وقوله: **(أنا ولا)** أي: أنا أستحق الخلافة ولا يستحقها غيري.

رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَفِي «كِتَابِ الْحميدِي»: «أَنا أولى» بدل «أَنا وَلاَ». [م: ٢٣٨٧].

٦٠٢٢ - [٤] وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ: أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ امْرَأَةٌ فَكَلَّمَتْهُ فِي شَيْءٍ، فَأَمَرَهَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَرَأَيْتَ إِنْ جِئْتُ وَلَمْ أَجِدْكَ؟ كَأَنَّهَا تُرِيدُ الْمَوْتَ. قَالَ: «فَإِنْ لَمْ تَجِدِينِي فَأْتِي أَبَا بَكْرٍ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٦٥٩، م: ٢٣٨٦].

٦٠٢٣ - [٥] وَعَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السَّلاَسِلِ قَالَ: فَأَتَيْتُهُ، ....

وقوله: (وفي كتاب الحميدي: أنا أولى)، ونقل الطيبي عن عياض أنه قال: هذه الرواية أجود.

٦٠٢٢ - [٤] (جبير بن مطعم) قوله: (فأتي أبا بكر) قيل: هو نص في استخلاف أبي بكر بعده ﷺ، وليس بنص في الاستخلاف، وقد اتفق أهل السنة والجماعة أن لا نص في باب الخلافة في أحد من الجانبين، وقد ادعى بعضهم النص على خلافة أبي بكر، وقد ضبط الكلام فيه الشيخ ابن الهمام في كتاب (المسايرة)، ويدعي الشيعة النص على استخلاف علي رضي الله عنه.

٦٠٢٣ - [٥] (عمرو بن العاص) قوله: (على جيش ذات السلاسل) السلاسل رمل ينعقد بعضه ببعض، ولما بعث ذلك الجيش إلى تلك الأرض أضيف إليها كذا قال الطيبي[١]. وقال صاحب (المواهب)[٢]: سميت بذلك لأن المشركين ارتبط بعضهم إلى بعض مخافة أن يفروا، وقيل: لأن بها ماء يقال له: السلسل، وراء ذات القرى، من

---

(١) «شرح الطيبي» (١٢/ ٣٨٤٩).

(٢) «المواهب اللدنية» (١/ ٣٦٥).

فَقُلْتُ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «عَائِشَةُ». قُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ قَالَ: «أَبُوهَا». قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «عُمَرُ». فَعَدَّ رِجَالاً فَسَكَتُّ مَخَافَةَ أَنْ يَجْعَلَنِي فِي آخِرِهِمْ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٤٣٥٨، م: ٢٣٨٤].

٦٠٢٤ ـ [٦] وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي: أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ؟ قَالَ: أَبُو بَكْرٍ. قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: عُمَرُ. وَخَشِيتُ أَنْ يَقُولَ: عُثْمَانُ. قُلْتُ: ثُمَّ أَنْتَ؟ قَالَ: «مَا أَنَا إِلاَّ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٣٦١٧].

المدينة على عشرة أيام، بعثه ﷺ إليها، فعقد له لواء أبيض، وجعل معه راية سوداء في ثلاث مئة من سراة المهاجرين والأنصار، فلما قرب منهم [بلغه أن لهم جمعاً كبيراً، فبعث رافع بن مكيث الجهني إلى رسول الله ﷺ] يستمده، فبعث إليه أبا عبيدة بن الجراح، وعقد له لواء، وبعث معه مئتين من سراة المهاجرين والأنصار وفيهم أبو بكر وعمر، فأمره أن يلحق بعمرو ولا يختلفا، فأراد أبو عبيدة أن يؤم الناس، فقال عمرو: إنما قَدِمتَ عليَّ مدداً وأنا الأمير، فأطاع له بذلك أبو عبيدة، فكان عمرو يصلي بالناس، وسار حتى وصل إلى العدو فحمل عليهم المسلمون فهربوا في البلاد فتفرقوا، كذا في (المواهب اللدنية)، فكان سبب سؤال عمرو **(أيّ الناس أحب إليك؟)** أنه لما أمَّره النبي ﷺ وفيهم أبو بكر وعمر وقع في نفسه أنه مقدم عنده في المنزلة عليهم فأجاب بما قطع طمعه.

٦٠٢٤ ـ [٦] (محمد بن الحنفية) قوله: **(ما أنا إلا رجل من المسلمين)** هذا تواضع منه رضي الله عنه وكرم وجهه مع العلم بأنه حين المسألة خير الناس لأنه بعد قتل عثمان،

٦٠٢٥ ـ [٧] وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: كُنَّا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ لاَ نَعْدِلُ بِأَبِي بَكْرٍ أَحَداً، ثُمَّ عُمَرَ، ثُمَّ عُثْمَانَ، ثُمَّ نَتْرُكُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ لاَ نُفَاضِلُ بَيْنَهُمْ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٣٦٩٧].

وَفِي رِوَايَةٍ لأَبِي دَاوُدَ قَالَ: كُنَّا نَقُولُ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ حَيٌّ: أَفْضَلُ أُمَّةِ النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَهُ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ ثُمَّ عُثْمَانُ ﷺ. [د: ٤٦٢٨].

كذا قال الشيخ ابن حجر[1].

٦٠٢٥ ـ [٧] (ابن عمر) قوله: (لا نفاضل بينهم) قالوا: أراد الشيوخ وذوي الأسنان الذين إذا حزب النبيَّ ﷺ أمرٌ شاورهم، وعليٌّ ﷺ كان في زمنه ﷺ حديث السن، وإلا فأفضليته من ورائهم لا ينكرها أحد، وأيضاً التفاضل ثابت بين الصحابة بلا شبهة كأهل بدر وأهل بيعة الرضوان وعلماء الصحابة.

وأخرج أحمد[2] عن ابن عمر أنه قال: كنا في زمن رسول الله ﷺ نرى خير الناس بعد رسول الله ﷺ أبا بكر ثم عمر، وقال: وأما علي بن أبي طالب فقد أوتي ثلاث خصال لو كان لي واحدةٌ منها كان خيراً من الدنيا وما فيها، زوجَّه رسول الله ﷺ بنته فكان له منه ولد، وسد أبواب الناس إلا بابه، وأعطاه راية يوم خيبر.

وروى النسائي أنه سئل ابن عمر: ما تقول في عثمان وعلي؟ فحدث بهذا الحديث ثم قال: لا تسألوا عن علي ولا تقيسوا أحداً عليه، [فإنه] سد أبوابنا كلها إلا بابه.

---

(١) «فتح الباري» (٧/ ٣٣).

(٢) «مسند أحمد» (٤٧٩٧).

* الْفَصْلُ الثَّانِي:

٦٠٢٦ ـ [٨] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا لأَحَدٍ عِنْدَنَا يَدٌ إِلاَّ وَقَدْ كَافَيْنَاهُ مَا خَلاَ أَبَا بَكْرٍ، فَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا يَداً يُكَافِيهِ اللهُ بِهَا يوم الْقِيَامَةِ، وَمَا نَفَعَنِي مَالُ أَحَدٍ قَطُّ مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً خَلِيلاً لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً، أَلاَ وَإِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ اللهِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

[ت: ٣٦٦١].

٦٠٢٧ ـ [٩] وَعَنْ عُمَرَ قَالَ: أَبُو بَكْرٍ سَيِّدُنَا وَخَيْرُنَا وَأَحَبُّنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٦٥٦].

٦٠٢٨ ـ [١٠] وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ: «أَنْتَ صَاحِبِي فِي الْغَارِ وَصَاحِبِي عَلَى الْحَوْضِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٦٧٠].

الفصل الثاني

٦٠٢٦ ـ [٨] (أبو هريرة) قوله: (إلا وقد كافيناه) في أكثر النسخ هكذا: (كافيناه) بالياء من الكفاية، وفي بعضها: (كافأناه) بالهمزة من كافأه مكافأة وكِفاءً: جازاه، وهذا المعنى أنسب ويرجع الأول أيضاً إليه، وكذا قوله: (يكافيه)، و(ما) في قوله: (وما نفعني مال أحد) نافية، وفي (ما نفعني مال أبي بكر) مصدرية، أي: مثل نفع مال أبي بكر.

٦٠٢٧ ـ [٩] (عمر) قوله: (أبو بكر سيدنا) باعتبار الفضل والرياسة (وخيرنا) من جهة العمل وفعل الخيرات (وأحبنا إلى رسول الله ﷺ) وهذا نتيجةُ سيادته وخيريته، بل هو أكمل وجوه السيادة والخيرية.

٦٠٢٨ ـ [١٠] (عمر) قولـه: (أنت صاحبي في الغار وصاحبي في الحوض)

٦٠٢٩ - [١١] وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لاَ يَنْبَغِي لِقَوْمٍ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ أَنْ يَؤُمَّهُمْ غَيْرُهُ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ.

[ت: ٣٦٧٣].

٦٠٣٠ - [١٢] وَعَن عُمَرَ قَالَ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ نَتَصَدَّقَ وَوَافَقَ ذَلِكَ عِنْدِي مَالاً، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْماً. قَالَ: فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟» فَقُلْتُ: مِثْلَهُ. وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ. فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ؟ مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟». فَقَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللهَ وَرَسُولَهُ. قُلْتُ: لاَ أَسْبِقُهُ إِلَى شَيْءٍ أَبَداً. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ.

[ت: ٣٦٧٥، د: ١٦٧٨].

يعني: صاحبي في الدنيا والآخرة، وكونه صاحباً في الغار فضيلة تفرد بها أبو بكر لم يشاركه فيه أحد.

٦٠٢٩ - [١١] (عائشة) قوله: (لا ينبغي لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمهم غيره) فيه دليل على فضيلته في الدين على جميع الصحابة، فكان تقديمه في الخلافة أيضاً أولى وأفضل، ولهذا قال سيدنا علي المرتضى رضي الله عنه: قدمك رسول الله ﷺ في أمر ديننا فمن الذي يؤخرك في دنيانا؟.

٦٠٣٠ - [١٢] (عمر) قوله: (ووافق ذلك) أي: أمره بالتصدق (عندي مالاً) أي: حصول مال عندي.

وقوله: (إن سبقته يوماً) (إن) نافية، ويجوز أن تكون شرطية، أي: إن أمكن سبقي إياه يوماً فذاك يكون اليوم لوجود سببه.

وقوله: (وأتى أبو بكر بكل ما عنده) ربما يلوح هذا: أنه وإن كان نصف مالي

٦٠٣١ ـ [١٣] وَعَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ أَبَا بَكْرٍ دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «أَنْت عتيقُ اللهِ مِنَ النَّارِ». فَيَوْمئِذٍ سُمِّيَ عَتِيقاً. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٦٧٩].

٦٠٣٢ ـ [١٤] وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ، ثُمَّ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ آتِي أَهْلَ الْبَقِيعِ فَيُحْشَرُونَ مَعِي، ثُمَّ أَنْتَظِرُ أَهْلَ مَكَّةَ حَتَّى أُحْشَرَ بَين الْحَرَمَيْنِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٦٩٢].

٦٠٣٣ ـ [١٥] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَتَانِي جِبْرِيلُ، فَأَخَذَ بِيَدِي، فَأَرَانِي بَابَ الْجَنَّةِ الَّذِي يَدْخُلُ مِنْهُ أُمَّتِي»، . . . .

أكثر من كل ماله ولكن فضله باق إذ أتى بكل ما عنده ولم يبق شيئا لأهله، فقد ورد: (أفضل الصدقة جهد المُقِل)، والله أعلم.

٦٠٣١ ـ [١٣] **(عائشة)** قوله: **(فيومئذٍ سمي عتيقاً)** فعتيق بمعنى المعتق، كحكيم بمعنى المحكم، وقد يقال: سمي عتيقاً لحسنه وجماله ونجابته، والعتق بالكسر: الكرم والجمال والنجابة والحرية.

٦٠٣٢ ـ [١٤] **(ابن عمر)** قوله: **(ثم أبو بكر ثم عمر)** لكونهما معه في حجرته.

وقوله: **(فيحشرون معي)** أي: يجمعون، والحشر في الأصل بمعنى الجمع، ومنه: يوم الحشر، ليوم القيامة، والمحشر مكانُه.

وقوله: **(حتى أحشر بين الحرمين)** أي: لي ولهم اجتماع بين الحرمين، ويحتمل أن يكون معناه: أُجمع بين أهل الحرمين.

٦٠٣٣ ـ [١٥] **(أبو هريرة)** قوله: **(فأراني باب الجنة)** وذلك إما في ليلة المعراج

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللهِ! وَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ مَعَكَ حَتَّى أَنْظُرَ إِلَيْهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَمَا إِنَّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٤٦٥٢].

* الفَصْلُ الثَّالِثُ:

٦٠٣٤ ـ [١٦] عَنْ عُمَرَ ذُكِرَ عِنْدَهُ أَبُو بَكْرٍ فَبَكَى، وَقَالَ: وَدِدْتُ أَنَّ عَمَلِي كُلَّهُ مِثْلُ عَمَلِهِ يَوْماً وَاحِداً مِنْ أَيَّامِهِ وَلَيْلَةً وَاحِدَةً مِنْ لَيَالِيهِ، أَمَّا لَيْلَتُهُ فَلَيْلَةُ سَارَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى الْغَارِ، فَلَمَّا انْتَهَيَا إِلَيْهِ قَالَ: وَاللهِ لاَ تَدْخُلُهُ حَتَّى أَدْخُلَ قَبْلَكَ، فَإِنْ كَانَ فِيهِ شَيْءٌ أَصَابَنِي دُونَكَ، فَدَخَلَ فَكَسَحَهُ، وَوَجَدَ فِي جَانِبِهِ ثُقْباً فَشَقَّ إِزَارَهُ وَسَدَّهَا بِهِ وَبَقِيَ مِنْهَا اثْنَانِ فَأَلْقَمَهُمَا رِجْلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: ادْخُلْ، فَدَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَوَضَعَ رَأْسَهُ فِي حَجْرِهِ وَنَامَ، ....

أو في وقت آخر.

الفصل الثالث

٦٠٣٤ ـ [١٦] (عمر) قوله: (فليلة سار) بالفتح مبنياً، وبالرفع بغير تنوين للإضافة، وقد ينون على الوصف.

وقوله: (فكسحه) أي: كنسه، والريحُ الأرض: قَشَرت عنها التراب، والمكسحة: المكنسة، والكساحة: الكناسة، (ثقباً) بضم المثلثة وفتح القاف كغرفة وغرف، وثُقْب كقفل وثَقْب كفَلْس لغة فيه.

وقوله: (فألقمهما رجليه) أي: أدخل رجليه في الثقبين كاللقمة في الفم.

وقوله: (في حجره) أي: حجر أبي بكر بفتح الحاء وكسرها قبل الجيم.

فَلُدِغَ أَبُو بَكْرٍ فِي رِجْلِهِ مِنَ الْجُحْرِ وَلَمْ يَتَحَرَّكْ مَخَافَةَ أَنْ يَنْتَبِهَ[١] رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَسَقَطَتْ دُمُوعُهُ عَلَى وَجْهِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «مَا لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ؟» قَالَ: لُدِغْتُ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي، فَتَفَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَذَهَبَ مَا يَجِدُهُ، ثُمَّ انْتَقَضَ عَلَيْهِ وَكَانَ سَبَبَ مَوْتِهِ، وَأَمَّا يَوْمُهُ فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ارْتَدَّتِ الْعَرَبُ وَقَالُوا: لاَ نُؤَدِّي زَكَاةً. فَقَالَ: لَوْ مَنَعُونِي عِقَالاً لَجَاهَدْتُهُمْ عَلَيْهِ. فَقُلْتُ: يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ[٢]، تَأَلَّفِ النَّاسَ وَارْفُقْ بِهِمْ. فَقَالَ لِي: ....

وقوله: (من الجحر) بتقديم الجيم المضمومة على الحاء.

وقوله: (ثم انتقض عليه) بالقاف والضاد المعجمة من انتقضت الجراحة، أي: نكست بعد أن اندملت، يعني: رجع أثر السم إليه، قال في (أساس اللغة)[٣]: انتقضت: نكست، كذا نقله الطيبي[٤]، ولم نجده في (الصحاح) و(القاموس) و(النهاية) و(مجمع البحار)، والله أعلم.

وقوله: (لو منعوني عقالاً) بالكسر: الحبل الذي يشد به الإبل من الصدقات، والمراد قيمتها، وفي (القاموس)[٥]: العقال ككتاب: زكاة عامٍ من الإبل والغنم، ومنه قول أبي بكر رضي الله عنه: لو منعوني عقالاً، انتهى. وفي رواية: (عناقا) بالفتح وهي الأنثى من أولاد المعز ما لم يتم له سنة كما مرّ.

---

(١) في نسخة: «أن يَتنبَّهَ».

(٢) سقطت التصلية في نسخة.

(٣) «أساس البلاغة» (٢/ ٢٩٩).

(٤) «شرح الطيبي» (١٢/ ٣٨٥٣).

(٥) «القاموس المحيط» (ص: ٩٣١).

أَجَبَّارٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَخَوَّارٌ فِي الإِسْلَامِ؟ إِنَّهُ قَدِ انْقَطَعَ الْوَحْيُ وَتَمَّ الدِّينُ، أَيَنْقُصُ وَأَنَا حَيٌّ؟. رَوَاهُ رَزِينٌ.



وقوله: (وخوار) بفتح الخاء المعجمة وتشديد الواو بمعنى الضعيف بصيغة المبالغة، والخور بالتحريك: الضعف، أنكر عليه ضعفه ووهنه في أمر الدين في هذه القضية مبالغة، وفي هذا كمال الشجاعة والقوة في الدين للصديق الأكبر رضي الله عنه.

٤ ـ باب مناقب عمر رضي الله عنه

مناقبه كثيرة، ويكفي في ذلك أن الله تعالى أيد به الدين إجابة لدعوة نبيه ﷺ، وأعلى من ذلك كله أنه كان يلهم الصواب، ويُلقى في رُوعِهِ الحق، وكان يطابق رأيه الوحي والكتاب، وهو الشيخ المحدَّث المجاب الناطق بالصدق والصواب، ورأيه دليل حقِّيةِ خلافةِ الصديق كما أن قتل عمار بن ياسر دليل حقانية عليٍّ المرتضى رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

وأخرج ابن مردويه عن مجاهد قال: كان عمر يرى الرأي فينزل به القرآن. وأخرج ابن عساكر عن علي رضي الله عنه قال: إن في القرآن لرأياً من رأي عمر. وأخرج عن ابن عمر مرفوعاً: ما قال الناس في شيء قال فيه عمر إلا جاء القرآن بنحو ما يقول عمر، كذا ذكر السيوطي في (تاريخ الخلفاء)[1].

وذكر أن موافقات عمر قد أوصلها بعضهم إلى أكثر من عشرين، فمنها اتخاذ مقام

---

(١) «تاريخ الخلفاء» (ص: ٩٩ ـ ١٠١).

. . . .

إبراهيم مصلًّى، واحتجاب نساء النبي ﷺ.

وقوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾[التحريم: ٥]، وسيجيء ذكره في أول الفصل الثالث، وإشارته بقتل أسارى بدر، وقصته مذكورة في تفسير قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[الأنفال: ٦٧]، وفي تحريم الخمر حيث قال: اللهم بيِّن لنا في الخمر بياناً شافياً، ولما نزل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ الآية [المؤمنون: ١٢]، قال ﷺ: فتبارك الله أحسن الخالقين، فنزلت: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾[المؤمنون: ١٤]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾[التوبة: ٨٤] في قصة موت عبدالله بن أبيٍّ وصلاته ﷺ، وقوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾[البقرة: ١٨٧]، روي أنهم كانوا قبل نزول هذه الآية إذا صلوا العشاء حرم عليهم الطعام والشراب والجماع، وكان عمر يتمنى أن تحل لهم هذه الأشياء إلى طلوع الفجر، ووقع ليلة على أهله فجاء إلى رسول الله ﷺ يترخص في ذلك، فنزلت، ولما استشار رسول الله ﷺ الصحابة في الخروج إلى بدر أشار عمر بالخروج فنزلت: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ﴾ الآية [الأنفال: ٥]، واستشارهم ﷺ في قصة الإفك قال عمر: من زوجكها يا رسول الله؟ قال: الله، قال: أفتظن أن ربك دلّس عليك فيها؟ سبحانك هذا بهتان عظيم، فنزلت كذلك. وجاء أن يهوديًا لقي عمر فقال: إن جبريل الذي يذكره صاحبكم عدو لنا، لو نزل ميكائيل لآمنا به، فقال عمر: من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو له فنزلت، ولما نزل قوله تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾[الواقعة: ١٣ ـ ١٤] بكى عمر وقال: يا رسول الله! آمنا بالله وبرسوله وصدقنا كلامه وينجو منا قليل؟ فنزل قوله

. . . .

تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾[الواقعة: ٣٩ ـ ٤٠]، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عمر وقال: قد أنزل الله تعالى فيما قلت، وقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ﴾ الآية [النساء: ٦٥]، وقصته أنه اختصم رجلان إلى النبي ﷺ فقضى بينهما، فقال الذي قضى عليه: ردنا إلى عمر بن الخطاب، فأتيا إليه، فقال الرجل: قضى رسول الله ﷺ على هذا، فقال: ردنا إلى عمر، فقال: أكذلك؟ قال: نعم، فقال عمر: مكانكما حتى أخرج إليكما، فخرج إليهما مستلاً عليه سيفه فضرب الذي قال: ردنا إلى عمر، فقتله، فأنزل الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾[النساء: ٦٥]، فأهدر دم الرجل وبرئ عمر من قتله، وكذلك آية الاستئذان في الدخول، وذلك أنه دخل عليه غلامه وكان نائماً، فقال: اللهم حرم الدخول، فنزلت آية الاستئذان، وقوله في اليهود: إنهم قوم بهت، وتلاوة: الشيخ والشيخة إذا زنيا، الآية، وقوله يوم أحد لما قال أبو سفيان: أفي القوم فلان؟: ألا نجيبه؟ فوافقه رسول الله ﷺ فقال: كلهم حاضرون فمن تطلبهم؟ فقال أبو سفيان: لنا العزى ولا عزى لكم، فقال عمر: الله مولانا ولا مولى لكم، فنزل قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾[محمد: ١١].

وروي أن كعب الأحبار قال: ويل لملك الأرض من ملك السماء، فقال عمر: إلا ما حاسب نفسه، فقال كعب: والذي نفسي بيده إنها في التوراة تابِعَتها، فخرّ عمر ساجداً.

وقال السيوطي: رأيت في (الكامل) لابن عدي من طريق عبدالله بن نافع وهو ضعيف عن أبيه عن ابن عمر: أن بلالاً كان يقول إذا أذَّن: أشهد أن لا إله إلا الله،

* الْفَصْلُ الأَوَّلُ:

٦٠٣٥ - [١] عَنْ أَبِـي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ مُحَدَّثُونَ، فَإِنْ يَكُ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ فَإِنَّهُ عُمَرُ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

[خ: ٣٦٨٩، م: ٢٣٩٨].

فقال عمر ﷺ: قل في أثرها: أشهد أن محمدا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: قل كما قال عمر، وروي: أنه أكثر رسول الله ﷺ الاستغفار لقوم فقال عمر ﷺ: سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم، فنزلت كذلك.

فهذه عشرون خصلة، ولو اعتبر آيات الخمر متعددة كما في القرآن يزيد عشرين، والله أعلم.

الفصل الأول

٦٠٣٥ - [١] (أبو هريرة) قوله: (لقد كان فيما قبلكم محدَّثون) في (القاموس)[١]: المحدَّث كمعظم: الصادق، وفي (النهاية)[٢]: المحدث: الملهم، كأنه حدث بشيء فقاله، وفي (مجمع البحار)[٣]: أي: من لقي في نفسه شيئاً فيخبر بـه حدساً وفراسـة يخص بها الله من يشاء، وقيل: مصيبٌ إذا ظن فكأنه حدِّث به، وقيل: تكلمهم الملائكة، وروي: (مكلمون).

وقوله: (فإن يك في أمتي أحد) لم يرد به التردُّد فإن أمته أفضل الأمم، بل التأكيد نحو: إن كنتُ عملتُ لك فوفني حقي، وكقولك: إن يك لي صديق فإنه فلان، تريد

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١٥٣).

(٢) «النهاية» (١/ ٣٥٠).

(٣) «محمع بحار الأنوار» (١/ ٤٦٤).

٦٠٣٦ - [٢] وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: اسْتَأْذَنَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَعِنْدَهُ نِسْوَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُكَلِّمْنَهُ وَيَسْتَكْثِرْنَهُ عَالِيَةً أَصْوَاتُهُنَّ، فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ قُمْنَ فَبَادَرْنَ الْحِجَابَ، فَدَخَلَ عُمَرُ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَضْحَكُ فَقَالَ: أَضْحَكَ اللهُ سِنَّكَ يَا رَسُولَ اللهِ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلَاءِ اللَّاتِي كُنَّ عِنْدِي فَلَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ ابْتَدَرْنَ الْحِجَابَ» قَالَ عُمَرُ: يَا عَدُوَّاتِ أَنْفُسِهِنَّ! أَتَهَبْنَنِي وَلَا تَهَبْنَ رَسُولَ اللهِ ﷺ؟ ....

اختصاصه بكمال الصداقة.

هذا وقيل: يحتمل أن يكون هو على ظاهره؛ لأن الحكمة في وجودهم في بني إسرائيل احتياجهم إلى ذلك حيث لا يكون بينهم نبي، ويطرأ على كتبهم التبديل، فاحتمل عنده ﷺ أن لا تحتاج هذه الأمة إلى ذلك لاستغنائها بالقرآن المأمون تبديله، كذا قال السيوطي[1]، والوجه هو الأول، والله أعلم.

٦٠٣٦ - [٢] **(سعد بن أبي وقاس)** قوله: **(وعنده نسوة من قريش)** يريد أزواجه ﷺ، ولعل التعبير عنهن بهذا العنوان لعزتهن وغلبتهن.

وقوله: **(ويستكثرنه)** أي: يطلبن منه أكثر مما يعطيهن من النفقة وغيرها.

وقوله: **(عالية)** بالرفع على الوصف، وبالنصب على الحال.

وقوله: **(أضحك الله سنك)** كناية عن السرور.

وقوله: **(أتهبنني)** بلفظ المخاطب من هاب يهاب هيبة ومهابة: خافه، والهيبة: المخافة، كذا قال في (القاموس)[2]، وقيل: الهيبة: الإجلال والتوقير.

---

(١) انظر: «مرقاة المفاتيح» (٩/ ٣٨٩٣).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ١٣٣).

فَقُلْنَ: نَعَمْ أَنْتَ أَفَظُّ وَأَغْلَـظُ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِيـهٍ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ! وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ سَالِكاً فَجًّا قَطُّ إِلاَّ سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٦٨٣، م: ٢٣٩٦].

وَقَالَ الْحُمَيْدِيُّ: زَادَ الْبَرْقَانِيُّ بَعْدَ قَوْلِهِ: . . . .

وقولـه: **(أنت أفظ وأغلظ)** منـه، أراد المبالغة والزيادة في فظاظة عمر وغِلَظِه بالنسبة إلى بعضِ مَن عداه لا بالنسبة إلى رسول الله ﷺ، فإنه لم يكن فيه فظاظة وغلظة أصلاً؛ لقوله: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾[آل عمران: ١٥٩]، وقد يراد باسم التفضيل مطلق الزيادة والمبالغة في الفعل، والفظ: الغليظ الجانب، الخشن الكلام، والغلظة مثلثة، والغلاظة بالكسر [و]كعنب ضد الرقة.

وقوله: **(إيه)** بكسر الهمزة وهاء، أي: هات، استزاد منه الحديث توقيراً لجانبه، ولذا عقبه بالمدح، وفـي (القامـوس)[١]: بكسـر الهمزة والهاء، وفتحهـا[٢]، وتنون المكسورة: كلمة استزادة واستنطاق، وفي (المشارق)[٣]: (إيهٍ) مكسورة منونة كلمة استزادة من حديث لا يعرفه، وإيهِ غير منونة استزادة من حديث يعرفه، وقال يعقوب: يقال للرجـل إذا استزدتـه من عمل أو حديث: إيـهِ، فإن وصلت قلت: إيـهٍ حدثنـا، فتنوِّن، قال ثابت: (إيهِ) كلمة استزادة واستنطاق وقد تنون، انتهى.

و**(الفج)** الطريق الواسع في الجبلين كالفجاج بالضم.

و**(البرقاني)** بكسر الموحدة وفتحها وسكون الراء، وبالقاف والنون، نسبة إلى

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١١١٩).

(٢) أي: بكسرِ الهمزة مع فتح الهاء.

(٣) «مشارق الأنوار» (١/ ٥٦).

يَا رَسُولَ اللهِ: «مَا أَضْحَكَكَ».

٦٠٣٧ - [٣] وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ[1] ﷺ: «دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا أَنَا بِالرُّمَيْصَاءِ امْرَأَةِ أَبِي طَلْحَةَ، وَسَمِعْتُ خَشَفَةً فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: هَذَا بِلَالٌ، وَرَأَيْتُ قَصْراً بِفِنَائِهِ جارِيَةٌ فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: لِعُمَرَ ابْنِ الْخَطَّابِ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَهُ فَأَنْظُرَ إِلَيْهِ فَذَكَرْتُ غَيْرَتَكَ» . . . .

برقان قرية من قرى خوارزم، وفي (المغني)[2]: ذكر من رآها أنها بكسر باء، وكثيراً ما يقال بالفتح، وبرقانة بالكسر قرية بخوارزم وقرية بجرجان، كذا في (القاموس)[3]، والنسبة إليه برقاني بالكسر، وكثير ما يقال بالفتح، وقيل: بتثليث الموحدة.

٦٠٣٧ - [٣] **(جابر)** قوله: **(فإذا أنا بالرميصاء)** براء مضمومة وفتح ميم وإهمال صاد: اسم أم سليم أم أنس، والرَّمص محركة: وسخ أبيض يجتمع في الموق، رَمِصت عينه، كفرح، والنعت: أرمص ورمصاء. وكأمير، كذا في (القاموس)[4]، والغمص بالغين المعجمة: ما سال من الرَّمَص، كذا في (القاموس)[5]، وفي (النهاية)[6]: الرمص: الرطب منه، والغمص: اليابس.

و**(الخشف)** والخشفة بسكون الشين وفتحها: الصوت، والحركة، والحس الخفي، و**(فناء)** الدار بالكسر: ما اتسع من أمامها.

---

(١) في نسخة: «النبي».

(٢) «المغني في ضبط أسماء الرجال» (ص: ٤٦).

(٣) «القاموس المحيط» (ص: ٧٨٠).

(٤) المصدر السابق (ص: ٥٥٨).

(٥) المصدر السابق (٥٦١).

(٦) «النهاية» (٢/ ٢٦٣).

فَقَالَ عُمَرُ: بِأَبِـي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ! أَعَلَيْكَ أَغَارُ؟. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٦٧٩، م: ٢٣٩٤].

٦٠٣٨ ـ [٤] وَعَنْ أَبِـي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ النَّـاسَ يُعْرَضُونَ عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ قُمُصٌ، مِنْهَا مَـا يَبْلُـغُ الثُّدِيَّ، وَمِنْهَا مَا دُونَ ذَلِكَ، وَعُرِضَ عَلَيَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَعَلَيْـهِ قَمِيصٌ يَجُرُّهُ» قَالُوا: فَمَـا أَوَّلْتَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «الدِّينَ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٦٩١، م: ٢٣٩٠].

وقوله: (أعليك أغـار؟) من بـاب القلب، والأصل: أعليها أغـار منك؟ وزاد عبد العزيز: وهل رفعني الله إلا بك، وهل هداني الله إلا بك، كذا ذكر السيوطي(١).

٦٠٣٨ ـ [٤] (ابن عمر) قوله: (وعليهم قمص) بضمتين: جمع قميص ويؤنث، ولا يكون إلا من القطن، وأما من الصوف فلا، كذا في (القاموس)(٢).

وقوله: (ما يبلغ الثدي) بضم الثاء وكسر الدال وتشديد الياء جمع ثدي كحلي، وروي بالإفراد، وفي (القاموس)(٣): الثدي بالفتح ويكسر وكالثرى، خاص بالمرأة أو عام.

وقوله: (ومنها ما دون ذلك) أي: لم يبلغ الثدي لقصره، هكذا فسروه.

وقوله: (الدين) بالنصب، أي: أولته الدين، ويروى بالرفع، أي: المؤوَّل هو الدينُ، ولعل قميص أبي بكر يكون أطول منه لكن المقام ذكر مناقب عمر فلم يذكره ولم

---

(١) انظر: «مرقاة المفاتيح» (٩/ ٣٨٩٥).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٥٦٥).

(٣) المصدر السابق (ص: ١١٤٠).

٦٠٣٩ ـ [٥] وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُول: «بَيْنَا أَنَـا نَائِمٌ أُتِيتُ بِقَدَحِ لَبَنٍ، فَشَرِبْتُ حَتَّى إِنِّي لأَرَى الرِّيَّ يَخْرُجُ فِي أَظْفَارِي، ثُمَّ أَعْطَيْتُ فَضْلِي عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ» قَالُوا: فَمَـا أَوَّلْتَهُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «الْعِلْمَ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٦٨١، م: ٢٣٩١].

٦٠٤٠ ـ [٦] وَعَنْ أَبِي هُرَيْـرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُـولُ: «بَيْنَـا أَنَـا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي عَلَى قَلِيبٍ عَلَيْهَا دَلْوٌ، فَنَزَعْتُ مِنْهَـا مَـا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ أَبِـي قُحَافَةَ فَنَزَعَ مِنْهَا ذَنُوباً أَوْ ذَنُوبَيْنِ، . . . .

يكن في المعروضين أبو بكر.

٦٠٣٩ ـ [٥] (ابن عمر) قوله: (أتيت) بلفظ المجهول، و(الري) بالكسر.

وقوله: (العلم) بالنصب والرفع كما عرفت، قالوا: حقيقة العلم في ذلك العالم اللبن، والمناسبة بينهما ظاهرة من وجوه لا تَخفى.

٦٠٤٠ ـ [٦] (أبو هريرة) قوله: (على قليب) القليب بفتح القاف وكسر اللام: بئر قلب ترابها قبل الطي، ويذكَّر ويؤنث، شبه به الدِّين لما فيه من الماء وبه أمر حياتهم الدنياويـه، كذلك الدين يحصل به الحياة الأخروية، ونزعُ الماء منها كنايةٌ عن إشاعة أمره وإجراء أحكامه.

وقوله: (فنزع منهـا ذنوبـاً أو ذنوبين) إشارة إلى قصر مدة خلافته، وهو سنتان وثلاثـة أشهر، وقيل: هذا شك من الراوي، والصحيح رواية ذنوبين، والذنوب بفتح الذال المعجمـة: الدلو العظيم الممتلئ من الماء، كذا نقل من شرح ابن الملك[1]، وقال في (القاموس)[2]: الذنوب: الدلو، أو فيها ماء، أو الملأى، أو دون الملء.

---

(١) «شرح مصابيح السنة» (٦/ ٤١٣).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٨١).

وَفِي نَزْعِـهِ ضَعْفٌ، وَاللهُ يَغْفِرُ لَـهُ ضَعْفَـهُ، ثُمَّ اسْتَحَالَتْ غَرْباً فَأَخَذَهَا ابْنُ الْخَطَّابِ فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا مِنَ النَّاسِ يَنْزِعُ نَزْعَ عُمَرَ. . . . .

وقوله: **(وفي نزعه ضعف)** إشارة إلى ما كان في إمارته من الاضطراب وارتداد بعض العرب وإن ظهر منه ﷺ كمال قوة وشدة في دفعهم والمحاربة معهم، أو إلى ما كان له من الرفق ولين الجانب وقلة السياسة كما كان لعمر ﷺ.

وفي الحقيقة إطلاق الضعف باعتبار قصر مدة الخلافة وقلة الفتوح، وليس في هذا حط منزلته وإثبات فضيلة عمر عليه، وإنما هو إخبار عن مدة الانتهاء، وكثرةِ انتفاع الناس في ولاية عمر وكثر الغنائم لطولها.

وقوله: **(والله يغفر له)** لا يدل على نسبة الذنب والتقصير إليه، بل هو كلمة جارية على ألسنتهم في عرفهم، يقولون: فعل كذا والله غفر له، فافهم.

وقوله: **(ثم استحالت)** أي: صارت الدلو **(غرباً)** بفتح الغين المعجمة وسكون الراء: الدلو العظيمة تتخذ من جلد ثور، وهو بفتح الراء بمعنى الماء السائل بين البئر والحوض، يريد لما أخذ عمر ليسقي عظمت في يده، وانقلبت عن الصغر إلى الكبر، إشارة إلى كثرة حصول الفتوح في زمنه واتساع بلاد الإسلام.

و**(العبقري)** بفتح العين وسكون الموحدة وفتح القاف: الكامل من كل شيء، والسيد، والذي ليس فوقه شيء، والشديد، والعبقر: موضع كثير الجن، وقرية ثيابها في غاية الحسن، كذا في (القاموس)[١]، وقال في (مختصر النهاية)[٢]: عبقري القوم: سيدهم وكبيرهم وقويهم، ويقال: جارية عبقرة، أي: ناصعة اللون، ويجوز أن تكون واحدة العبقر، وهو النرجس تُشَبَّهُ به العينُ، انتهى.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٣٩٣).

(٢) انظر: «النهاية» (٣/ ١٧٣).

حَتَّى ضرب النَّاس بِعَطَن». [خ: ٣٦٦٤، م: ٢٣٩٢].

٦٠٤١ - [٧] وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: «ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ الْخَطَّابِ مِنْ يَدِ أَبِي بَكْرٍ، فَاسْتَحَالَتْ فِي يَدِهِ غَرْباً، فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا يَفْرِي فَرْيَهُ. . . . . .

ونقل في (مجمع البحار)[1]: أصله فيما قيل: أن عبقر قرية يسكنها الجن، فكلما رأوا شيئاً فائقاً غريباً يصعُب عمله أو يَدِق، أو شيئاً عظيماً في نفسه، نسبوه إليها فقالوا: عبقري، ثم اتسع حتى سمي به السيد والكبير.

و(**العطن**) محركة: وطن الإبل ومبركها حول الحوض، ومربض الغنم حول الماء.

٦٠٤١ - [٧] (**ابن عمر**) قوله: (**يفري فريه**) أي: يعمل عمله ويقطع قطعه، و(فريه) بفتح الفاء، ويروى بسكون الراء وتخفيف الياء، وبكسر الراء وتشديد الياء، وأنكره الخليل، وأصل الفري: القطع والاختلاق، ومنه الفرية للكذب المختلق، وفي حديث حسان: (لأفرينهم فري الأديم)[2] أي: أقطعهم بالهجاء كما يقطع الأديم، ويراد به إجادة العمل، وفي (الصحاح)[3]: يقال: فلان يفري الفرِيّ: إذا [كان] يأتي بالعجب في عمله، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾[مريم: ٢٧] أي: مصنوعاً مختلقاً، في (القاموس)[4]: فراه يفريه: شقّه فاسداً أو صالحاً، كَفَرَّاه وأفراه، وفي (المشارق)[5]:

---

(١) «مجمع بحار الأنوار» (٣/ ٥٠٩).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» (٢٤٩٠).

(٣) «الصحاح» (٦/ ٢٤٥٤).

(٤) «القاموس المحيط» (ص: ١١٨٨).

(٥) «مشارق الأنوار» (٢/ ١٥٤).

حَتَّى رَوِيَ النَّاسُ وَضَرَبُوا بعطَنٍ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٧٠١٩، م: ٢٣٩٣].

* الْفَصْلُ الثَّانِي:

٦٠٤٢ ـ [٨] عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٦٨٢].

٦٠٤٣ ـ [٩] وَفِي رِوَايَةِ أَبِي دَاوُدَ عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: إِنَّ اللهَ وَضَعَ الْحَقَّ عَلَى لِسَان عمر يَقُول بِهِ. [د: ٢٩٦٢].

(يفري فريه) بكسر الراء وشدة الياء، ويقال بسكون الراء أيضاً، وبالوجهين ضبطناه على شيوخنا أبي الحسين وغيره، وأنكر الخليل التثقيل وغلَّط قائله، ومعناه: يعمل عمله ويقوي قوته، يقال: فلان يفري الفري، أي: يعمل العمل البالغ، ومنه: ﴿لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾[مريم: ٢٧] أي: عظيماً عجباً، يقال: فريت: إذا قطعت وشققت على جهة الإصلاح، وأفريت: إذا فعلته على جهة الإفساد، ومنه قول حسان: (لأفرينهم فري الأديم) يريد: لأقطِّعن أعراضهم تقطيع الأديم وتشقيقه.

وقوله: (حتى روي الناس) بكسر الواو من سمع، وأما بفتحها من ضرب فهو من الرواية.

الفصل الثاني

٦٠٤٢، ٦٠٤٣ ـ [٨، ٩] (ابن عمر وأبو ذر) قوله: (إن الله جعل الحق على لسان عمر) أي: أجراه على لسانه، وذلك أمر خَلْقي جِبِلِّي له، وفي رواية أخرى: (وضع الحق على لسان عمر) أي: جعله مستقراً وموضعاً للحق.

وقوله: (وقلبه) أي: وفي قلبه، قريباً من: علفته تبناً وماءً، وباعتبار معنى الاستيلاء والاستقرار محمول على ظاهره.

٦٠٤٤ ـ [١٠] وَعَنْ عَلِيٍّ قَالَ: مَا كُنَّا نُبْعِدُ أَنَّ السَّكِينَةَ تَنْطِقُ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ. رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ». [٦/ ٣٦٩].

٦٠٤٥ ـ [١١] وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اللهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلَامَ بِأَبِي جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ» فَأَصْبَحَ عُمَرُ فَغَدَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْلَمَ، ثُمَّ صَلَّى فِي الْمَسْجِدِ ظَاهِراً. رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ. [فضائل الصحابة لأحمد: ٣١١، ت: ٣٦٨٣].

٦٠٤٤ ـ [١٠] **(علي)** قوله: **(ما كنا نبعد)** من الإبعاد.

وقوله: **(أن السكينة تنطق على لسان عمر)** قال التُّورِبِشْتِي[1]: أي ينطق بما يستحق أن تسكن إليه النفوس، وتطمئن به القلوب، وأنه أمر غيبي ألقي على لسانه، ويحتمل أنه أراد بالسكينة المَلَك الذي يلهمه ذلك القول، انتهى.

قيل: أراد بها السكينة التي ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز، ولا يخفى بُعْدُ هذا المعنى لما عرف من تفسير تلك السكينة، وقد ذكرناه فيما سبق في (باب فضائل القرآن وسور منه).

٦٠٤٥ ـ [١١] **(ابن عباس)** قوله: **(اللهم أعز الإسلام)** أي: قوِّه وانصره واجعله غالباً على الكفر.

وقوله: **(فغدا على النبي)** وقال: اللات والعزى تعبد على رؤوس الجبال وفي بطون الأودية، ودين الله ﷻ يعبد سرًّا، والله لا يعبد الله سرًّا بعد يومنا هذا، **(فأسلم)**، وقصة إسلامه ﷺ قصة عجيبة مشهورة، وقد ذكرناها في ترجمته.

وقوله: **(ثم صلى في المسجد ظاهراً)** يدل على أن قبل إسلام عمر [كانوا]

---

(١) «كتاب الميسر» (٤/ ١٣١٨).

٦٠٤٦ ـ [١٢] وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ عُمَرُ لِأَبِي بَكْرٍ: يَا خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَمَا إِنَّكَ إِنْ قُلْتَ ذَلِكَ فَلَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ عَلَى رَجُلٍ خَيْرٍ مِنْ عُمَرَ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. [ت: ٣٦٨٤].

٦٠٤٧ ـ [١٣] وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَوْ كَانَ بَعْدِي نَبِيٌّ لَكَانَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. [ت: ٣٦٨٦].

٦٠٤٨ ـ [١٤] وَعَنْ بُرَيْدَةَ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي بَعْضِ مَغَازِيهِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ جَاءَتْ[١] جَارِيَةٌ سَوْدَاءُ. فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنِّي كُنْتُ نَذَرْتُ إِنْ رَدَّكَ اللهُ صَالِحاً أَنْ أَضْرِبَ بَيْنَ يَدَيْكَ بِالدُّفِّ وَأَتَغَنَّى ....

يصلون في خفية من الناس، نعم كذلك، وكان رسول الله ﷺ مختفياً في دار أرقم.

٦٠٤٦ ـ [١٢] (جابر) قوله: (**على رجل خير من عمر**) وجوه الخيرية مختلفة متعددة، فلا منافاة بين كون كل منهما خيراً مع كون أبي بكر أفضل من جهة كثرة الثواب، فافهم.

٦٠٤٧ ـ [١٣] (**عقبة بن عامر**) قوله: (**لو كان بعدي نبي**) لو للفَرْض والتقدير ويستعمل في المستحيل.

وقوله: (**لكان عمر بن الخطاب**) لعله ﷺ قاله ذلك لأجل كون عمر ملهماً محدَّثاً يلقي المَلَك في رُوعه الحق، وله مناسبة بعالَم الوحي والنبوة، والله أعلم.

٦٠٤٨ ـ [١٤] (**بريدة**) قوله: (**إن ردك الله صالحاً**) أي: سالماً صحيحاً، و(**الدف**)

---

(١) في نسخة: «جاءته».

فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنْ كُنْتِ نَذَرْتِ فَاضْرِبِي وَإِلاَّ فَلاَ»، فَجَعَلَتْ تَضْرِبُ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ وَهِيَ تَضْرِبُ، ثُمَّ دَخَلَ عَلِيٌّ وَهِيَ تَضْرِبُ، ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ وَهِيَ تَضْرِبُ، ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ فَأَلْقَتِ الدُّفَّ تَحْتَ اسْتِهَا، ثُمَّ قَعَدَتْ عَلَيْهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ لَيَخَافُ مِنْكَ يَا عُمَرُ، إِنِّي كُنْتُ جَالِساً وَهِيَ تَضْرِبُ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ وَهِيَ تَضْرِبُ، ثُمَّ دَخَلَ عَلِيٌّ وَهِيَ تَضْرِبُ، ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ وَهِيَ تَضْرِبُ، فَلَمَّا دَخَلْتَ أَنْتَ يَا عُمَرُ أَلْقَتِ الدُّفَّ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ.

[ت: ٣٦٩٠].

بضم الدال وقد يفتح، واختلف فيه فأباحها قوم مطلقاً، وكرهه آخرون مطلقاً، وبعضهم أباحوه في العرائس والأعياد ونحوها، وهو المذهب الصحيح المختار، وقد يفصل بين ما فيه الجلاجل وما ليس فيه، ويقال: الأول مكروه بالاتفاق.

وقوله: **(إن كنت نذرت فاضربي)** أمرها ﷺ بوفاء نذرها؛ لأن الوفاء به واجب، وقد تقرر أن النذر لا يكون إلا ما هو من جنس الطاعة والقربة، وذلك مذهب الأئمة، وعندنا يكفي كونه مباحاً، والنذر عندنا إيجاب المباح، وأما بالمعصية فلا يجوز بالاتفاق، فدل الحديث على إباحة ضرب الدف بل على كونه مستحبًّا وهو هنا كذلك؛ لأن السرور بمقدمه ﷺ وسلامته قربة، ودل أيضاً أن سماع أصوات النساء بالغناء مباح إذا خلا عن فتنة، كذا قالوا.

لكن الإشكال في الحديث من جهة أنه كيف قررها رسول الله ﷺ على فعلها أولاً، بل أمرها بذلك، وكذلك عند دخول أبي بكر وعلي وعثمان، وسماها آخراً شيطاناً؟

٦٠٤٩ ـ [١٥] وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِساً فَسَمِعْنَا لَغطاً وَصَوْتَ صِبْيَانٍ، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَإِذَا حَبَشِيَّةٌ تَزْفِنُ وَالصِّبْيَانُ حَوْلَهَا، فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ تَعَالَيْ فَانْظُرِي»، فَجِئْتُ فَوَضَعْتُ لَحْيَيَّ عَلَى مَنْكِبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهَا مَا بَيْنَ الْمَنْكِبِ إِلَى رَأْسِهِ. فَقَالَ لِي: «أَمَا شَبِعْتِ؟ أَمَا شَبِعْتِ؟» فَجَعَلْتُ أَقُولُ: لاَ، ....

وقالوا في الجواب عن ذلك: إنها لما عدَّت انصراف رسول الله ﷺ سالماً نعمةً من الله موجباً للسرور وهو كذلك في نفس الأمر، أمرها بوفاء نذرها، وخرج من صفة اللهو إلى صفة الحق ومن الكراهة إلى الاستحباب، ولكن ذلك كان يحصل بأدنى الضرب، فلما ازداد عاد إلى حد المكروه وصادف ذلك مجيء عمر، فقال ما قال إشارةً إلى منع الزيادة منه والإكثار، وفعله من غير ضرورة، ولم يمنعها صريحاً لئلا يرجع إلى حد التحريم، وأما ترك الجاريتين اللتين كانتا تدفان أيام منى وعدم تحديدهما إلى نهاية، وهو ظاهر في الاستمرار، فلكونها إيام عيد، فالحالات متفاوتة بعضها يقتضي الاستمرار وبعضها لا يقتضيه، ذكر ذلك التُّوربِشْتِي ونقل عنه الطيبي[١]، فتدبر.

٦٠٤٩ ـ [١٥] **(عائشة)** قوله: **(فسمعنا لغطا)** هو الصوت الذي لا يفهم، و**(تزفن)** بالزاي، أي: ترقص من ضرب، و**(لحيي)** بفتح اللام وسكون الحاء المهملة وتشديد الياء تثنية لَحي، أضيف إلى ياء المتكلم، وهي منبت اللحية ـ بالكسر ـ من الخدين والذقن.

وقوله: **(ما بين المنكب)** بتقديرِ في ظرف لـ **(أنظر)** أو حال كون لحييَّ فيما بين

(١) «كتاب الميسر» (٤/ ١٣١٨)، و«شرح الطيبي» (١٢/ ٣٨٦٢).

لأَنْظُرَ مَنْزِلَتِي عِنْدَهُ، إِذْ طَلَعَ عُمَرُ فَارْفَضَّ النَّاسُ عَنْهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي لأَنْظُرُ إِلَى شَيَاطِينِ الإِنْسِ وَالْجِنِّ قَدْ فَرُّوا مِنْ عُمَرَ»، قَالَتْ: فَرَجَعْتُ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ. [ت: ٣٦٩١].

* الْفَصْلُ الثَّالِثُ:

٦٠٥٠ ـ [١٦] عَنْ أَنَسٍ وَابْنِ عُمَرَ أَنَّ عُمَرَ قَالَ: وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلاَثٍ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! لَوِ اتَّخَذْنَا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى؟ فَنَزَلَتْ ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]. وَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! يَدْخُلُ عَلَى نِسَائِكَ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، فَلَوْ أَمَرْتَهُنَّ يَحْتَجِبْنَ؟ فَنَزَلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ، . .

منكبه ورأسه.

وقوله: (لأنظر منزلتي) أي: مرتبتي عنده في محبته إياي وطلبه رضاي.

وقوله: (فارفض) بوصل الهمزة وتشديد الضاد المعجمة كاحمرّ، أي: تركوها وتفرقوا عنها من هيبة عمر.

وقوله: (إني لأنظر إلى الشياطين) كأنه قال باعتبار كونه في صورة اللهو واللعب، ولابد أن يكون فيه شيء ولكنه ليس بحرام، وإلا كيف رآه النبي ﷺ وأراه عائشة، وتوجيه هذا الحديث أيضاً مثل السابق.

الفصل الثالث

٦٠٥٠، ٦٠٥١ ـ [١٦، ١٧] (أنس، وابن عمر) قوله: (وافقت ربي في ثلاث) إن كان صدور هذا القول منه رضي الله عنه في زمن النبي ﷺ وقت وجود هذه الموافقات الثلاث فقط فلا إشكال، وإن كان بعده ﷺ وبعد زمان حدوث أخواتها فالجواب أن تخصيص الثلاث لا يمنع الزيادة، ولعله وقع تقريب ذكرها في الوقت فقال: . . . والله أعلم.

وَاجْتَمَعَ نِسَاءُ النَّبِـيِّ ﷺ فِي الْغَيْرَةِ فَقُلْتُ: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾[التحريم: ٥]، فَنزلت كَذَلِك.

٦٠٥١ ـ [١٧] وَفِي رِوَايَةٍ لِابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ عُمَرُ: وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلَاثٍ: فِي مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ، وَفِي الْحِجَابِ، وَفِي أُسَارَى بَدْرٍ. مُتَّفَقٌ عَلَيْـهِ.

[خ: ٤٠٢، م: ٢٣٩٩].

٦٠٥٢ ـ [١٨] وَعَن ابْنِ مَسْعُود قَالَ: فَضَلَ النَّاسَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بِأَرْبَعٍ: بِذِكْرِ الأُسَارَى يَوْمَ بَدْرٍ، أَمَرَ بِقَتْلِهِمْ، فَأَنْـزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، وبذكره الْحِجَابَ، أَمَـرَ نِسَاءَ النَّبِـيِّ ﷺ أَنْ يَحْتَجِبْنَ، فَقَالَتْ لَـهُ زَيْنَبُ: وَإِنَّكَ عَلَيْنَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ وَالْوَحْيُ يَنْزِلُ فِي بُيُوتِنَـا؟ فَأَنْـزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾[الأحزاب: ٥٣]، وَبِـدَعْوَةِ النَّبِـيِّ ﷺ: «اللهُمَّ أَيِّـدِ الإِسْلَامَ بِعُمَـرَ»، وَبِـرَأْيِـهِ فِي أَبِـي بَكْرٍ كَانَ أَوَّلَ نَاسٍ بَايَعَهُ. رَوَاهُ أَحْمَدُ. [حم: ١/ ٤٥٦].

وقوله: (وفي الغيرة) وذلك في قصة شرب العسل، والروايات فيه متعددة مذكورة في كتب السير.

٦٠٥٢ ـ [١٨] (ابن مسعود) قوله: (فضل الناس) بنصب الناس.

وقوله: (أمر بقتلهم) بعد ما أشار أبو بكر بأخذ الفدية عنهم، ورضي رسول الله ﷺ برأي أبي بكر ﷺ، والمراد بـ (كتاب الله) حكمه السابق بأن لا يعاقب المجتهد بخطئه أو بأن لا يعذب أهل بدر، وتمام هذه القضية مذكورة في التفسير في (سورة الأنفال).

وقوله: (وإنك علينا) أي: تحكم علينا، قالته بطريق الاستفهام الإنكاري.

وقوله: (برأيـه) أي: برأي عمر في أبـي بكر وبيعته بعد ما اختلف المهاجرون

٦٠٥٣ ـ [١٩] وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ذَاكَ الرَّجُلُ أَرْفَعُ أُمَّتِي دَرَجَةً فِي الْجَنَّةِ». قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: وَاللهِ مَا كُنَّا نُرَى ذَلِكَ الرَّجُلَ إِلاَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ. رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ. [جه: ٤٠٧٧].

٦٠٥٤ ـ [٢٠] وَعَنْ أَسْلَمَ قَالَ: سَأَلَنِي ابْنُ عُمَرَ بَعْضَ شَأْنِهِ ـ يَعْنِي عُمَرَ ـ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَداً قَطُّ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ حِينِ قُبِضَ كَانَ أَجَدَّ وَأَجْوَدَ. . . . .

والأنصار.

٦٠٥٣ ـ [١٩] (أبو سعيد) قوله: (ذاك الرجل أرفع أمتي درجة في الجنة) قالوا: (ذاك) إشارة إلى مبهم، والمقصود منه أن يجتهد كل واحد أن ينال تلك المرتبة، وإنما تنال بالمواظبة وغاية الجد على الطاعات والعبادات، والاتصاف بالأخلاق والكمالات، أو كان قد جرى ذكر من يتصف بهذه الصفات فأشار إليه أن من يتصف بها أرفع درجة، وعلى التقديرين ظنوا أن ذلك الرجل هو عمر بن الخطاب لما شاهدوا فيه من الخيرات والمبرات، مبالغة في شأنه ورفعة مكانه، ولكن لا يلزم منه أن يكون هو أفضل قطعاً من غيره فيها، فلا يلزم كونه أفضل من أبي بكر، هكذا قرروه، فافهم.

وقوله: (حتى مضى لسبيله) كناية عن الموت، والمراد بيان استمراره على تلك الحالة مدة عمره.

٦٠٥٤ ـ [٢٠] (أسلم) قوله: (من حين قبض) يدل على أن المراد بقوله بعد وفاة رسول الله ﷺ، وإن احتمل أن يراد بعده في الخصال المرضية.

وقوله: (أجد) من الجد وهو الاجتهاد، و(أجود) من الجودة، أي: في أعمال الخير.

حَتَّى انْتَهَى مِنْ عُمَرَ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٣٦٨٧].

٦٠٥٥ ـ [٢١] وَعَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ قَالَ: لَمَّا طُعِنَ عُمَرُ جَعَلَ يَأْلَمُ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَكَأَنَّهُ يُجَزِّعُهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَلاَ كُلُّ ذَلِكَ، لَقَدْ صَحِبْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَحْسَنْتَ صُحْبَتَهُ، ثُمَّ فَارَقَكَ وَهُوَ عَنْكَ رَاضٍ، ثُمَّ صَحِبْتَ أَبَا بَكْرٍ فَأَحْسَنْتَ صُحْبَتَهُ، ثُمَّ فَارَقَكَ وَهُوَ عَنْكَ رَاضٍ، ثُمَّ صَحِبْتَ الْمُسْلِمِينَ فَأَحْسَنْتَ صُحْبَتَهُمْ، وَلَئِنْ فَارَقْتَهُمْ لَتُفَارِقَنَّهُمْ وَهُمْ عَنْكَ رَاضُونَ. قَالَ: أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ صُحْبَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَرِضَاهُ فَإِنَّمَا ذَلِكَ مَنٌّ مِنَ اللهِ مَنَّ بِهِ عَلَيَّ، وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ صُحْبَةِ أَبِي بَكْرٍ وَرِضَاهُ فَإِنَّمَا ذَلِكَ مَنٌّ مِنَ اللهِ مَنَّ بِهِ عَلَيَّ. وَأَمَّا مَا تَرَى مِنْ جَزَعِي فَهُوَ مِنْ أَجْلِكَ وَمِنْ أَجْلِ أَصْحَابِكَ، ....

وقوله: (حتى انتهى) أي: إلى آخر عمره، قالوا: هذا محمول على وقت مخصوص وهو مدة خلافته ليخرج أبو بكر من ذلك.

٦٠٥٥ ـ [٢١] (مسور بن مخرمة) قوله: (وعن المسور) بكسر الميم وسكون السين المهملة وفتح الواو (ابن مخرمة) بفتح الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الراء، (يجزعه) بتشديد الزاي، أي: ينسبه إلى الجزع ويلومه عليه، أو يزيل عنه الجزع ويسلبه، كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ [سبأ: ٢٣] أي: أزيل عنهم الفزع.

وقوله: (ولا كل ذلك) أي: لا تبالغ فيما أنت فيه من الجزع.

وقوله: (منّ من الله) أي: عطاء منه.

وقوله: (فهو منه أجلك ومن أجل أصحابك) كأنه ﷺ غلب عليه الحزن لما استشعر من فتن تقع بعده في أصحاب رسول الله ﷺ، ثم أظهر غاية الخوف من غنى الله

وَاللهِ لَـوْ أَنَّ لِي طِلَاعَ الأَرْضِ ذَهَباً لَافْتَدَيْتُ بِهِ مِنْ عَذَابِ اللهِ قَبْلَ أَنْ أَرَاهُ. رَوَاهُ البُخَارِيُّ. [خ: ٣٦٩٢].



* الْفَصْلُ الأَوَّلُ:

٦٠٥٦ ـ [١] عَنْ أَبِـي هُرَيْـرَةَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَـا رَجُـلٌ يَسُوقُ بَقَرَةً إِذْ أَعْيَا فَرَكِبَهَا، فَقَالَتْ: إِنَّـا لَمْ نُخْلَقْ لِهَذَا إِنَّمَـا خُلِقْنَا لِحَرَاثَـةِ الأَرْضِ، فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللهِ بَقَرَةٌ تَكَلَّمُ!»، ....

تعالى بقوله: (لو أن لي طلاع الأرض) بكسر الطاء المهملة، أي: ملأها، وكان رضي الله عنه شديد الخوف والخشية من الله سبحانه.

وقوله: (من عذاب الله) قيل: أي: من العذاب الذي يحتمل وقوعه عند ظهور الفتن.

٥ ـ باب مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما

قـد وقع في الأحاديث فضل أبـي بكر وعمر جميعاً، فعقد باباً آخر لبيانه، وقد كانا رضي الله عنهما مذكورين معاً في كثير من الأحوال، يقولون: أبو بكر وعمر؛ لكونهما وزيري رسول الله ﷺ وقريبيه ومستشاريه في الأمور، وصاحبيه في جميع الأوقات والأحوال.

الفصل الأول

٦٠٥٦ ـ [١] (أبو هريرة) قولـه: (إنا لم نخلق لهذا) فيـه دلالة على أن ركوب

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَإِنِّي أُومِنُ بِهَذَا أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ»، وَمَا هُمَا ثَمَّ، وَقَالَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ فِي غَنَمٍ لَهُ إِذْ عَدَا الذِّئْبُ عَلَى شَاةٍ مِنْهَا فَأَخَذَهَا، فَأَدْرَكَهَا صَاحِبُهَا فَاسْتَنْقَذَهَا، فَقَالَ لَهُ الذِّئْبُ: فَمَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبُعِ . . . .

البقر والحمل عليها غير مرضي، وقال الشيخ[1]: استدل به على أن الدواب لا تستعمل إلا فيما جرت العادة باستعمالها فيه، ويحتمل أن يكون ذلك إشارة إلى الأفضل والأولى من غير أن تكون حقيقةُ الحصر مراداً، فإن من جملة ما خلقت له أن تذبح وتؤكل بالاتفاق.

وقوله: (**فإني أومن به**) أي: بتكلم البقرة بأنه حق ليس من جملة الوهم والخيال أو من إلقاء الشيطان، أو بما تكلَّمُ به من أنها لم تخلق إلا للحراثة.

وقوله: (**وأبو بكر وعمر**) عطف على المستكن في (أومن)، وقد اجتمع ههنا الفصل والتأكيد معاً، وتخصيص أبي بكر وعمر بالذكر للإشارة إلى قوة إيمانهما وكماله، فإن قلت: كيف أخبر ﷺ بإيمان أبي بكر وعمر به مع أنهما لم يعلما به ولم يصدر عنهما الإيمان به؟ قلنا: المراد أنه من شأنه أنهما إن اطلعا عليه آمنا وصدقا به ولا يترددان، وأما ما قيل: إنه محمول على أنه أخبرهما به فصدقاه فينافيه سوق الكلام، كما لا يخفى.

وقوله: (**وما هما ثم**) مبالغة في مدحهما وقدرهما عند رسول الله ﷺ، لأنهما لو كانا حاضرين ثم لأمكن أن يقال: تخصيص ذكرهما اتفاقي تقريباً لحضورهما، ولما مدحهما بذلك غائبين كان أدخل في المقصود، فافهم.

وقوله: (**فمن لها يوم السبع**) روي بسكون الباء وضمها، وتعددت في

---

(١) «فتح الباري» (٦/ ٥١٨).

يَوْمَ لَا رَاعِيَ لَهَا غَيْرِي؟ فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللهِ ذِئْبٌ يتكَلَّمُ!»، فَقَالَ: «أُومِنُ بِهِ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ»، وَمَا هُمَا ثمَّ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٤٧١، م: ٢٣٨٨].

معناه أقاويل.

أما بالسكون، فقيل: هو الموضع الذي يكون إليه المحشر، والمعنى: من لها يوم القيامة.

ويعكر على هذا قول الذئب: (يوم لا راعي لها غيري)، والذئب لا يكون راعياً يوم القيامة. وقيل: السبع: الفزع، والظاهر أن المراد الفزع المشار إليه بقوله: ﴿فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾[النمل: ٨٧]، وقوله: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣]، فيؤول بالمعنى الأول، ويَرِدُ عليه ما يرد على الأول. وقيل: المراد به يوم الفتن حتى يهمل بلا راع نهبة للذئاب والسباع، والسبع: الإهمال، قال الأصمعي: المُسْبعُ المهمل، وأسبع الرجل غلامه إذا تركه يفعل ما يشاء، فجعل الذئب لها راعياً إذ هو متفرد بها، وهو إخبار بما يكون من شدائد وفتن تهمل فيها المواشي فيتمكن منها الذئاب.

وقيل: يوم السبع بالسكون عيد كان لهم في الجاهلية يجتمعون فيه للموسم يلهيهم عن كل شيء، ويهملون مواشيهم فتأكلها السبع، كذا في (المشارق)[1].

وأما بالضم على ما أملاه الحافظ أبو عامر العبدري وكان من العلم والإتقان بمكان، فالمراد هو الحيوان المفترس، ويحتمل بعض المعاني المذكورة في رواية السكون،

---

(١) «مشارق الأنوار» (٢/ ٢٠٥).

٦٠٥٧ - [٢] وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: إِنِّي لَوَاقِفٌ فِي قَوْمٍ فَدَعَوُا اللهَ لِعُمَرَ وَقَدْ وُضِعَ عَلَى سَرِيرِهِ، إِذَا رَجُلٌ مِنْ خَلْفِي قَدْ وَضَعَ مِرْفَقَهُ عَلَى مَنْكِبِي يَقُولُ: يَرْحَمُكَ اللهُ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَكَ اللهُ مَعَ صَاحِبَيْكَ؛ لِأَنِّي كَثِيراً مَا كُنْتُ أَسْمَعُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «كُنْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَفَعَلْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَانْطَلَقْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَدَخَلْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَخَرَجْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ». فَالْتَفَتُّ فَإِذَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

[خ: ٣٦٧٧، م: ٢٣٨٩].

وقيل: يوم العيد أيضاً بالضم.

هذا وقال في (المشارق)[1]: قال بعضهم: إنما هو يوم السيع بالياء باثنتين، أي: يوم الضياع، يقال: أسيعت وأضعت بمعنى.

٦٠٥٧ - [٢] (ابن عباس) قوله: (وقد وضع) أي: عمر رضي الله عنه (على سريره) أي: للغسل بعد موته، والخطاب في (يرحمك الله) لعمر، والمراد بـ (صاحبيك) النبي ﷺ وأبو بكر، وجعله معهما في عالم القدس أو في المدفن.

وقوله: (لأني كثيراً ما) بزيادة (ما) الإبهامية، وقد جاء في بعض الروايات بدونها.

وقوله: (كنت وأبو بكر وعمر، وفعلت وأبو بكر وعمر) دليل على جواز العطف على الضمير المتصل بلا فصل وتأكيد، وقد وقع مثل هذا في غير هذا الموضع أيضاً، وحكم النحويون بخلافه، وهذا حجة عليهم إلا أن يقيد بالأكثر.

---

(١) المصدر السابق (٢/ ٢٠٥).

* الْفَصْلُ الثَّانِي:

٦٠٥٨ - [٣] عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ عِلِّيِّينَ كَمَا تَرَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ فِي أُفُقِ السَّمَاءِ، . .

الفصل الثاني

٦٠٥٨ - [٣] (أبو سعيد الخدري) قوله: (ليتراءون) أي: ينظرون ويرون، ومنه قول ابن عمر رضي الله عنهما: (كنا نترآى الله في ذلك المقام) يريد المطاف. و(عليين) جمع عِلِّيٍّ بكسر العين واللام وتشديد الياء أصله عِلِّيوٌ فأُعِلَّ إعلال الواو والياء أولاهما ساكنة، قال في (القاموس)[1]: هو مقام في السماء السابعة تصعد إليه أرواح المؤمنين، وفي (مجمع البحار)[2]: هو اسم للسماء السابعة، وقيل: اسم لديوان الملائكة الحفظة ترفع إليه أعمال الصالحين من العباد، وقيل: أراد أعلى الأمكنة وأشرف المراتب وأقربها من الله في الآخرة، ويعرب بالحروف والحركات كنحو قنّسرين على أنه جمع أو واحد، انتهى.

وفي (الدر المنثور)[3]: عليون [فوق السماء السابعة عند] قائمة العرش اليمنى، وقد سبق ذكره في حديث: (صلاة في إثر صلاة كتاب في عليين)[4].

و(الكوكب الدري) بضم دال وشدة راء وتحتية بلا همز وبه: الشديد الإنارة كأنه نسب إلى الدر تشبيهاً به لصفائه، [وقال] الفرّاء: هو عند العرب: العظيم المقدار، وقيل:

(١) «القاموس» (ص: ١١٨٣).

(٢) «مجمع بحار الأنوار» (٣/ ٦٦٨).

(٣) «الدر المنثور» (٨/ ٤٤٨).

(٤) أخرجه أبو داود في «سننه» (ح: ٥٥٨).

وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ مِنْهُمْ وَأَنْعَمَا». رَوَاهُ فِي «شَرْحِ السُّنَّةِ»، وَرَوَى نَحْوَهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ. [د: ٣٩٨٧، ت: ٣٦٥٨، جه: ٩٦].

٦٠٥٩ - [٤] وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ سَيِّدَا كُهُولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ إِلاَّ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٦٦٤].

٦٠٦٠ - [٥] وَرَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ عَنْ عَلِيٍّ. [جه: ٩٥].

هو أحد الكواكب الخمسة السيارة.

وقوله: (وإن أبا بكر وعمر منهم) كذا في نسخ الأصول، وفي بعض نسخ (المصابيح): (لمنهم) باللام.

وقوله: (وأنعما) أي: زادا وفضلا، من أحسنت إلي وأنعمت، أي: زدت على الإنعام، أو صارا إلى النعيم، كذا في (النهاية)[1]، وقيل: معناه: زادا وفضلا عن كونهما أهل عليين، وقيل: معناه: تناهيا فيه إلى غايته.

٦٠٥٩، ٦٠٦٠ - [٤، ٥] (أنس، وعلي) قوله: (سيدا كهول) بضم الكاف: جمع كهل.

في (القاموس)[2]: الكهل: من وَخَطَهُ الشيبُ، أو من جاوز الثلاثين أو أربعاً وثلاثين إلى إحدى وخمسين. وفي (مجمع البحار)[3]: الكهل: من انتهى شبابه،

---

(١) «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٥/ ٨٣).

(٢) «القاموس» (ص: ٩٥٠).

(٣) «مجمع بحار الأنوار» (٤/ ٤٤٩).

٦٠٦١ ـ [٦] وَعَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي لاَ أَدْرِي مَا بَقَائِي فِيكُمْ؟ فَاقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي: أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

[ت: ٣٦٦٣].

٦٠٦٢ ـ [٧] وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ لَمْ يَرْفَعْ أَحَدٌ رَأْسَهُ غَيْرُ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ كَانَا يَتَبَسَّمَانِ إِلَيْهِ وَيَتَبَسَّمُ إِلَيْهِمَا. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. [ت: ٣٦٦٨].

٦٠٦٣ ـ [٨] وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ وَدَخَلَ الْمَسْجِدَ، ....

واكتهل النبت: تم طوله، وهو من الرجال من زاد على ثلاثين سنة إلى أربعين، وقيل: من ثلاث وثلاثين إلى الخمسين، واكتهل وكاهل: إذا بلغ الكهولة، ووصفُهما بالكهولة باعتبار ما كانوا في الدنيا وإلا فلا كهل في الجنة، فالمعنى: سيدا من مات كهلاً من المسلمين، وإذا كانا سيدي الكهول فأولى أن يكونا سيدي الشباب، كذا قالوا، وقيل: أراد به ههنا الحليم العاقل، أي: يُدخلهما الله الجنة حلماء وعقلاء.

٦٠٦١ ـ [٦] **(حذيفة)** قوله: **(ما بقائي)** أي: لا أدري كم مدة **(بقائي فيكم؟)**.

٦٠٦٢ ـ [٧] **(أنس)** قوله: **(كانا يتبسّمان إليه ويتبسم إليهما)** وذلك من عادة المحبة وخاصيتها إذا نظر أحدهما إلى الآخر يحصل منهما التبسم بلا اختيار، ولا يدرى سببه، وسبب الضحك التعجب على ما قال أهل الحكمة.

٦٠٦٣ ـ [٨] **(ابن عمر)** قوله: **(خرج)** أي: من حجرته.

وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ أَحَدُهُمَا عَنْ يَمِينِهِ وَالآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ، وَهُوَ آخِذٌ بِأَيْدِيهِمَا. فَقَالَ: «هَكَذَا نُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. [ت: ٣٦٦٩].

٦٠٦٤ ـ [٩] وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ حَنْطَبٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ فَقَالَ: «هَذَانِ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ مُرْسَلاً. [ت: ٣٦٧١].

٦٠٦٥ ـ [١٠] وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلاَّ وَلَهُ وَزِيرَانِ مِنْ أَهْلِ السَّمَاءِ وَوَزِيرَانِ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، فَأَمَّا وَزِيرَايَ مِنْ أَهْلِ السَّمَاءِ فَجِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ، وَأَمَّا وَزِيرَايَ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ فَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٦٨٠].

٦٠٦٤ ـ [٩] **(عبدالله بن حنطب)** قوله: **(عبدالله بن حنطب)** بفتح الحاء المهملة وسكون النون وفتح الطاء المهملة، تابعي كبير.

وقوله: **(هذان السمع والبصر)** قيل: معناه أنهما في المسلمين كالسمع والبصر في الجسد بالنسبة إلى سائر الأعضاء في الشرف والنفاسة، ويقرب منه ما قيل: إن منزلتهما في الدين منزلة السمع والبصر في الجسد، أو هما مني كالسمع والبصر أسمع وأبصر بهما، ويرجع إلى معنى الوزارة والوكالة، أو المراد شدة حرصهما على استماع الحق واتباعه ومشاهدة الآيات في الأنفس والآفاق.

٦٠٦٥ ـ [١٠] **(أبو سعيد الخدري)** قوله: **(إلا وله وزيران)** الوزير من الوِزْر بالكسر بمعنى الثقل لأنه يحتمل عن الملك ويعينه برأيه، وكان رسول الله ﷺ إذا حزبه

٦٠٦٦ ـ [١١] وَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ: أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: رَأَيْتُ كَأَنَّ مِيزَاناً نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ، فَوُزِنْتَ أَنْتَ وَأَبُو بَكْرٍ فَرَجَحْتَ أَنْتَ، وَوُزِنَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فَرَجَحَ أَبُو بَكْرٍ، وَوُزِنَ عُمَرُ وَعُثْمَانُ فَرَجَحَ عُمَرُ، ثُمَّ رُفِعَ الْمِيزَانُ، فَاسْتَاءَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، يَعْنِي فَسَاءَهُ ذَلِكَ. فَقَالَ: «خِلَافَةُ نُبُوَّةٍ ثُمَّ يُؤْتِي اللهُ الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ. [ت: ٢٢٨٧، د: ٤٦٣٤].

أمر شاورهما كالوزير بالنسبة إلى السلطان.

٦٠٦٦ ـ [١١] (أبو بكرة) قوله: (فاستاء لها) صحّح هذا اللفظ بوجهين: أحدهما: أن استاء على وزن افتعل من السوء مطاوع ساء، يقال: ساءه فاستاء، و(لها) جار ومجرور والضمير للرؤية، أي: اغتم رسول الله ﷺ لهذه الرؤية، وثانيهما: (فاستاءلها) على وزن استفعل من الأَوْل، أي: طلب تأويلها بالتأمل والنظر. (فقال: خلافة نبوة) أي: انقضت بأبي بكر وعمر بحيث يكون سالماً عن شوب ملك كما يكون بعدهما، وأما بعد خلافة الأربعة يكون ملكاً عضوضاً، وإنما فهم هذا لأن الموازنة إنما تراعى في أشياء متقاربة، فإذا تباعدت لم يوجد للموازنة معنى، فلهذا رفع الميزان، ودلت هذه الرؤيا على انحطاط أمر الخلافة بعدهما، يعني دلت الرؤيا على أن خلافة الحق بحيث لم يشب فيها من طلب الملك شيء ينتهي بانقضاء خلافة عمر، وكون المرجوحية انتهت إلى عثمان دل على حصول المنازعة فيها، وإنها في زمن علي ﷺ مشوبة بالملك لكنها ليس بعضوض، وبعده يكون ملكاً عضوضاً، هكذا فسروا الحديث، والله أعلم.

* الْفَصْلُ الثَّالِثُ:

٦٠٦٧ - [١٢] عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يَطَّلِعُ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ» فَاطَّلَعَ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ قَالَ: «يَطَّلِعُ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ» فَاطَّلَعَ عُمَرُ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. [ت: ٣٦٩٤].

٦٠٦٨ - [١٣] وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: بَيْنَا رَأْسُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي حَجْرِي فِي لَيْلَةٍ ضَاحِيَةٍ إِذْ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! هَلْ يَكُونُ لِأَحَدٍ مِنَ الْحَسَنَاتِ عَدَدُ...

الفصل الثالث

٦٠٦٧ - [١٢] (ابن مسعود) قوله: (يطلع عليكم رجل من أهل الجنة فاطلع أبو بكر...إلخ)، قد وقعت البشارة لهما ولغيرهما من الصحابة، ولما وقعت في هذا الحديث لهما جمعاً ذكره في هذا الباب.

فإن قلت: فلمَّا وقعت البشارة بالجنة لغيرهما اشترك الكل في هذه الفضيلة؟ قلت: المقصد في الباب ذكر الفضيلة لا الأفضلية.

٦٠٦٨ - [١٣] (عائشة) قوله: (ليلة ضاحية) أي: مُضْحية كضحياء وإِضْحِية بكسر الهمزة والحاء، والمقصد بيان الواقع من وقت السؤال لا كون النجوم في تلك الليلة كثيرة، فلا يتجه أن يقال: إن النجوم تكون في الليلة المضحية قليلة فلا تحصل المبالغة، فالمراد نجوم السماء مطلقاً، فافهم.

وقوله: (عدد) صحح في النسخ بالرفع، والظاهر أن يكون بالنصب، و(يكون)

نُجُومِ السَّمَاءِ؟ قَالَ: «نَعَمْ، عُمَرُ». قُلْتُ: فَأَيْنَ حَسَنَاتُ أَبِي بَكْرٍ؟ قَالَ: «إِنَّمَا جَمِيعُ حَسَنَاتِ عُمَرَ كَحَسَنَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ حَسَنَاتِ أَبِي بَكْرٍ». رَوَاهُ رَزِينٌ.

❖ ❖ ❖



تامة، فافهم.

وقوله: (**كحسنة واحدة من حسنات أبي بكر**) أي: في الكم والكيف، ولو فرض أن حسنات عمر أكثر من حسنات أبي بكر فمع ذلك يكون أبو بكر أفضل لقوة حسناته وعظمها، ويستأنس لهذا المعنى بما يروى من الحديث: (ما فَضَلكم أبو بكر بفضل صوم ولا صلاة، ولكن بشيء وقر في قلبه)، ذكره الغزالي[1]، وقال العراقي[2]: لم أجده مرفوعاً، وهو عند الحكيم الترمذي في (النوادر) من قول بكر بن عبدالله المزني، كذا في (تمييز الطيب من الخبيث) لابن ديبع شيخ شيوخنا في الحديث من أكابر علماء اليمن رحمة الله عليه.

٦ ـ باب مناقب عثمان رضي الله عنه

لم يكثر في الأحاديث ذكر مناقبه رضي الله عنه كثرة مناقب الخلفاء الثلاثة وفيما ذكر كفاية لمن اعتبر واذكر.

(١) «إحياء علوم الدين» (١/ ١٠٠).

(٢) «المغني عن حمل الأسفار في الأسفار» (١/ ١١٨).

* الْفَصْلُ الأَوَّلُ:

٦٠٦٩ ـ [١] عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُضْطَجِعاً فِي بَيْتِهِ كَاشِفاً عَنْ فَخِذَيْهِ ـ أَوْ سَاقَيْهِ ـ فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ فَأَذِنَ لَهُ، وَهُوَ كَذَلِكَ فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَسَوَّى ثِيَابَهُ، فَلَمَّا خَرَجَ قَالَتْ عَائِشَةُ: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ فَجَلَسْتَ وسَوَّيْتَ ثِيَابَكَ فَقَالَ: «أَلاَ أَسْتَحَيِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحْيِي مِنْهُ الْمَلاَئِكَةُ؟» وَفِي رِوَايَةٍ قَالَ: «إِنَّ عُثْمَانَ رَجُلٌ حَيِيٌّ، ....

الفصل الأول

٦٠٦٩ ـ [١] (عائشة) قوله: (على فخذيه أو على ساقيه) شك من الراوي فلا يتم الاستدلال فيه لمن ذهب إلى أن الفخذ ليست بعورة، وقيل: بل يتم لأن شك الراوي يدل على المساواة، والحق أن المحتمل لا يصلح حجة، هذا وقد يؤول كشف الفخذ بكشفه عما عليه من القميص لا المئزر، ويقال: وهو الظاهر من حاله ﷺ.

وقوله: (فلم تهتش) الهشاشة: البشاشة، والاهتشاش: إظهار البشاشة والفرح، وفي (القاموس)[1]: الهشاش والهشاشة: الارتياح، والخفة، والنشاط، والهشيش: من يفرح إذا سئل، ويقال: أنا به هش بش، والمراد باستحياء النبي ﷺ من عثمان توقيره وتعظيمه.

---

(١) «القاموس» (ص: ٥٨٤).

وَإِنِّي خَشِيتُ إِنْ أَذِنْتُ لَهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ أَنْ لاَ يَبْلُغَ إِلَيَّ فِي حَاجَتِهِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٤٠١].

* الْفَصْلُ الثَّانِي:

٦٠٧٠ ـ [٢] عَن طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِاللهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ رَفِيقٌ، وَرَفِيقِي ـ يَعْنِي فِي الْجَنَّةِ ـ عُثْمَانُ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٦٩٨].

٦٠٧١ ـ [٣] وَرَواه ابْنُ مَاجَهْ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ. وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ وَلَيْسَ إِسْنَادُهُ بِالْقَوِيِّ وَهُوَ مُنْقَطِعٌ. [جه: ١٠٩].

٦٠٧٢ ـ [٤] وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خَبَّابٍ قَالَ: شَهِدْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَحُثُّ عَلَى جَيْشِ الْعُسْرَةِ، ....

وقوله: (وإني خشيت إن أذنت له على تلك الحالة أن لا يبلغ إلي في حاجته) أي: إن أذنت له على تلك الحالة أخاف أن يرجع حياءً عندما يراني على تلك الهيئة ولا يَعرض علي حاجته ولم أقضها.

الفصل الثاني

٦٠٧٠، ٦٠٧١ ـ [٢، ٣] (طلحة بن عبيدالله، وأبو هريرة) قوله: (رفيقي) أكثر ما يطلق الرفيق على المصاحب في السفر، وقد يطلق على المصاحب مطلقاً، من الرفق بمعنى اللطف والمبالغة في البر، وهو ضد العنف، ومنه: إن الله يحب الرفق، وهذا المعنى هو المراد هنا.

وقوله: (يعني في الجنة) من كلام الراوي فهمه من القرينة.

٦٠٧٢ ـ [٤] (عبد الرحمن بن خباب) قوله: (يحث على جيش العسرة) يريد

فَقَامَ عُثْمَانُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! عَلَيَّ مِئَةُ بَعِيرٍ بِأَحْلَاسِهَا وَأَقْتَابِهَا فِي سَبِيلِ اللهِ، ثُمَّ حَضَّ عَلَى الْجَيْشِ فَقَامَ عُثْمَانُ فَقَالَ: عَلَيَّ مِئَتَا بَعِيرٍ بِأَحْلَاسِهَا وَأَقْتَابِهَا فِي سَبِيلِ اللهِ، ثُمَّ حَضَّ فَقَامَ عُثْمَانُ فَقَالَ: عَلَيَّ ثَلَاثُ مِئَةِ بَعِيرٍ بِأَحْلَاسِهَا وَأَقْتَابِهَا فِي سَبِيلِ اللهِ، فَأَنَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَنْزِلُ عَنِ الْمِنْبَرِ وَهُوَ يَقُولُ: «مَا عَلَى عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ هَذِهِ، مَا عَلَى عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ هَذِهِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٧٠٠].

٦٠٧٣ ـ [٥] وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: . . . .

به غزوة تبوك لأنها كانت في زمان شدة الحر وجدب البلاد وقلة الماء، وكانوا فيها في عسرة شديدة حتى كانوا ينحرون البعير فيشربون ما في كرشه من الماء، وتعرف أيضاً بالفاضحة لافتضاح المنافقين فيها، وكان في رجب سنة تسع من الهجرة، وهي آخر غزواته ﷺ، والمراد بحثّه عليها الترغيب في الذهاب إليها أو الإمداد للمسلمين فيها، وهذا أنسب بالسياق.

و(**الأحلاس**) جمع حلس بالكسر: كساء على ظهر البعير تحت البردعة ويبسط في البيت تحت حر الثياب. و(**الأقتاب**) [جمع] قتب بفتحتين: الإكاف الصغير على قدم سنام البعير، يريد: بجميع أسبابها وأدواتها، ومجهز جيش العسرة من ألقابه ﷺ يذكر في الخطب.

وقوله: (**ما على عثمان ما عمل بعد هذه**) أي: ليس عليه إثم ما عمل بعد عمله هذه الحسنةَ، أي: هي مكفرة لما يعمله من الخطايا، وهذا كما قال: (لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم).

٦٠٧٣ ـ [٥] (**عبد الرحمن بن سمرة**) قوله: . . . .

جَاءَ عُثْمَانُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِأَلْفِ دِينَارٍ فِي كُمِّهِ حِينَ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ، فَنَثَرَهَا فِي حِجْرِهِ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُقَلِّبُهَا فِي حِجْرِهِ وَيَقُولُ: «مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ» مرَّتَيْنِ. رَوَاهُ أَحْمَدُ. [حم: ٥/ ٦٣].

٦٠٧٤ ـ [٦] وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: لَمَّا أَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِبَيْعَةِ الرِّضْوَانِ كَانَ عُثْمَانُ رَسُولَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى مَكَّةَ، فَبَايَعَ النَّاسَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ عُثْمَانَ فِي حَاجَةِ اللهِ وَحَاجَةِ رَسُولِهِ»، فَضَرَبَ بِإِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى الأُخْرَى، فَكَانَتْ يَدُ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِعُثْمَانَ خَيْراً مِنْ أَيْدِيهِمْ لأَنْفُسِهِمْ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٧٠٢].

(حين جهز) جهاز الميت والعروس والمسافر بالكسر والفتح: ما يحتاجون إليه، وقد جهزه تجهيزاً فتجهز به.

٦٠٧٤ ـ [٦] (أنس) قوله: (ببيعة الرضوان) وهي البيعة التي كانت تحت الشجرة بحديبية، وفيها نزل قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ الآية [الفتح: ١٨]، فلهذا سميت ببيعة الرضوان.

وقوله: (كان عثمان رسول رسول الله ﷺ إلى مكة) بعثه بالكتاب إليهم معه رضي الله عنه بعد ما جاء سهيل بن عمرو منهم إليه ﷺ.

وقوله: (فضرب إحدى يديه على الأخرى) وفي رواية: (فوضع النبي ﷺ شماله في يمينه، وقال: هذه عن عثمان)، وفي (صحيح البخاري): فقال ﷺ بيده اليمنى: (هذه بيعة عثمان) فضرب بها على يده اليسرى، وكان رضي الله عنه يقول: شمال رسول الله ﷺ خير من يميني، وكذلك لما خلَّفه النبي ﷺ على ابنته رقية وضرب له بسهمه يوم بدر ولذلك عدُّوه من أهل بدر.

٦٠٧٥ ـ [٧] وَعَنْ ثُمَامَةَ بْنِ حَزْنٍ الْقُشَيْرِيِّ قَالَ: شَهِدْتُ الدَّارَ حِينَ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ عُثْمَانُ، فَقَالَ: أَنْشُدُكُمُ اللهَ وَالإِسْلاَمَ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدِمَ الْمَدِينَةَ وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ يُسْتَعْذَبُ غَيْرُ بِئْرِ رُومَةَ؟ فَقَالَ: «مَنْ يَشْتَرِي بِئْرَ رُومَةَ يَجْعَلُ دَلْوَهُ مَعَ دِلاَءِ الْمُسْلِمِينَ بِخَيْرٍ لَهُ مِنْهَا فِي الْجَنَّةِ؟» ....

٦٠٧٥ ـ [٧] (ثمامة بن حزن القشيري) قوله: (وعن ثمامة) بضم المثلثة (ابن حزن) بفتح الحاء المهملة وسكون الزاي.

وقوله: (شهدت الدار) أي: دار عثمان التي حاصروه فيها.

وقوله: (حين أشرف) أي: اطَّلع عليهم.

وقوله: (أنشدكم) بفتح الهمزة وضم الشين بلفظ المتكلم، و(الله والإسلام) منصوبان، أي: أسألكم بالله وبالإسلام. و(بئر رومة) بضم الراء وسكون الواو، وقيل: بالهمزة: بئر عظيم شمالي مسجد القبلتين بواد يلي العقيق، ماؤه عذب لطيف في غاية العذوبة واللطافة، يسميها العامة الآن ببئر الجنة لترتب دخول الجنة بعثمان ﷺ على شرائها، وجاء في حديث: (نعم القليب قليب المزني)، والمزني هو رومة الذي كانت هذه البئر له واشترى منه عثمان ﷺ وتصدق، وباقي أحوال هذه البئر ذكرته في (تاريخ المدينة).

وقوله: (يجعل دلوه مع دلاء المسلمين) بكسر الدال عبارة عن جعله وقفاً على المسلمين، أي: يجعل دلوه مساوياً مع دلائهم في الاستقاء، ولا يخصها بنفسه، كناية عن وقفها على المسلمين.

وقوله: (بخير) متعلق بـ(يشتري) أي: يشتري بثمن، ثم يحصل به خير

فَاشْتَرَيْتُهَا مِنْ صُلْبِ مَالِي، وَأَنْتُمُ الْيَوْمَ تَمْنَعُونَنِي أَنْ أَشْرَبَ مِنْهَا حَتَّى أَشْرَبَ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ؟ فَقَالُوا: اللهُمَّ نعَمْ. فَقَالَ: أَنْشُدُكُمُ اللهَ وَالإِسْلاَمَ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الْمَسْجِدَ ضَاقَ بِأَهْلِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ يَشْتَرِي بُقْعَةَ آلِ فُلاَنٍ فَيَزِيدُهَا فِي الْمَسْجِدِ بِخَيْرٍ لَهُ مِنْهَا فِي الْجَنَّةِ؟». فَاشْتَرَيْتُهَا مِنْ صُلْبِ مَالِي فَأَنْتُمُ الْيَوْمَ تَمْنَعُونَنِي أَنْ أُصَلِّيَ فِيهَا رَكْعَتَيْنِ؟ فَقَالُوا: اللهُمَّ نعَمْ. قَالَ: أَنْشُدُكُمُ اللهَ وَالإِسْلاَمَ..............................

في الجنة.

وقوله: **(فاشتريتها من صلب مالي)** أي: من خالصه، وأصله اشتراها بخمسة وثلاثين ألف درهم، وروي (ثمانية آلاف درهم)، والمراد بـ **(ماء البحر)** الماء المالح كماء البحر.

وقوله: **(اللهم نعم)** قد يذكر قبل لا أو نعم تأكيداً ومبالغة في التصديق والإنكار، وقيل: إشارة إلى شذوذه وندرته.

وقوله: **(هل تعلمون أن المسجد ضاق بأهله)** وذلك في وقت بنائه، لا أنه بني المسجد ثم ضاق فزيد، وكان الزيادة بعد البناء أيضاً منه في وقت خلافته، وليس مراداً ههنا.

وقوله: **(من يشتري بقعة آل فلان)** وكان لبعض الأنصار في جوار المسجد، قال له رسول الله ﷺ: هل تبيع هذه البقعة ببيت يكون له في الجنة؟ فقال الأنصاري: أنا فقير ولي عيال يا رسول الله، فاشترى منه عثمان بن عفان تلك البقعة بعشرة آلاف درهم، فزيد في المسجد.

هَلْ تَعْلَمُونَ أَنِّي جَهَّزْتُ جَيْشَ الْعُسْرَةِ مِنْ مَالِي؟ قَالُوا: اللهُمَّ نَعَمْ. قَالَ: أَنْشُدُكُمُ اللهَ وَالإِسْلَامَ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ عَلَى ثَبِيرِ مَكَّةَ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَأَنَا فَتَحَرَّكَ الْجَبَلُ حَتَّى تَسَاقَطَتْ حِجَارَتُهُ بِالْحَضِيضِ، فَرَكَضَهُ بِرِجْلِهِ قَالَ: «اسْكُنْ ثَبِيرُ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ». قَالُوا: اللهُمَّ نَعَمْ. قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ شَهِدُوا وَرَبِّ الْكَعْبَةِ أَنِّي شَهِيدٌ، ثَلَاثاً. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَالدَّارَقُطْنِيُّ. [ت: ٣٧٠٣، ن: ٣٦٠٨، قط: ٤/ ١٩٦].

٦٠٧٦ ـ [٨] وَعَن مرّة بن كَعْب قَالَ: . . . .

وقوله: (أني جهزت جيش العسرة من مالي) لم يقل هنا: من صلب مالي، اكتفاء. و(ثبير) على وزن خبير: جبل بمنى على يسار الذاهب إلى منى مشرف على جبل بمنى وبمكة، وقيل: بمزدلفة، والأول أصح.

وقوله: (حتى تساقطت حجارته بالحضيض) أي: أسفل الجبل، والحضيض: القرار في الأرض عند منقطع الجبل، في (الصراح)[1]: حضيض: پستي زمين دردامن كوه.

وقوله: (فركضه برجله) أي: ضربه، والركض: تحريك الرجل، ومنه: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾[ص: ٤٢].

وقوله: (الله أكبر) تعجب من إقرارهم بكونه على الحق وإصرارهم على خلاف مقتضاه.

٦٠٧٦ ـ [٨] (مرة بن كعب) قوله: (وعن مرة بن كعب) بضم الميم وتشديد الراء.

---

(١) «الصراح» (ص: ٢٧٨).

سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَذَكَرَ الْفِتَنَ فَقَرَّبَهَا، فَمَرَّ رَجُلٌ مُقَنَّعٌ فِي ثَوْبٍ فَقَالَ: «هَذَا يَوْمَئِذٍ عَلَى الْهُدَى»، فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ. قَالَ: فَأَقْبَلْتُ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ. فَقُلْتُ: هَذَا؟ قَالَ: «نعَمْ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. [ت: ٣٧٠٤].

٦٠٧٧ ـ [٩] وَعَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يَا عُثْمَانُ إِنَّهُ لَعَلَّ اللهَ يُقَمِّصُكَ قَمِيصاً، فَإِنْ أَرَادُوكَ عَلَى خَلْعِهِ فَلاَ تَخْلَعْهُ لَهُمْ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: فِي الْحَدِيثِ قِصَّةٌ طَوِيلَةٌ. [ت: ٣٧٠٥].

وقوله: (سمعت من رسول الله ﷺ) مفعوله محذوف مدلول عليه بقوله: (فقال: هذا يومئذ على الهدى).

وقوله: (فقربها) من التقريب، أي: جعلها قريبة أي: ذكر أنها قريبة، و(مقنع) بضم الميم وفتح القاف وكسر النون المشددة، أي: لابس ثوبه على رأسه، وهو التطلس، وقد جاءت أخبار وآثار ذكرناها في (شرح سفر السعادة)، قال: في (القاموس)[1]: المِقْنع والمِقْنعة بكسر ميمهما: ما تقنع به المرأة رأسها، والقناع بالكسر: أوسع منها.

وقوله: (هذا يومئذ) أي: يوم وقوع الفتن.

وقوله: (فأقبلت عليه) أي: على النبي ﷺ بوجه عثمان، (فقلت) بطريق الاستفهام: (هذا؟) أي: هذا هو الرجل الذي يومئذ على الهدى.

٦٠٧٧ ـ [٩] (عائشة) قوله: (يقمصك) بالتشديد، استعار القميص للخلافة، وذكر الخلع ترشيح، أي: سيجعلك الله خليفة، فالناس إن قصدوا عزلك عنها فلا تعزل

---

(١) «القاموس» (ص: ٦٨١).

٦٠٧٨ ـ [١٠] وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِتْنَةً فَقَالَ: «يُقْتَلُ هَذَا فِيهَا مَظْلُوماً» لِعُثْمَانَ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَـذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ إِسْنَاداً. [ت: ٣٧٠٨].

٦٠٧٩ ـ [١١] وَعَنْ أَبِي سَهْلَةَ قَالَ: قَالَ لِي عُثْمَانُ يَوْمَ الدَّارِ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ عَهِدَ إِلَيَّ عَهْداً وَأَنَا صَابِرٌ عَلَيْهِ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. [ت: ٣٧١١].

* الْفَصْلُ الثَّالِثُ:

٦٠٨٠ ـ [١٢] عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَبْدِاللهِ بْنِ مَوْهَبٍ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ يُرِيدُ حَجَّ الْبَيْتِ، فَرَأَى قَوْماً جُلُوساً فَقَالَ: مَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ؟ قَالُوا: هَؤُلَاءِ قُرَيْشٌ. قَالَ فَمَنِ الشَّيْخُ فِيهِمْ؟..................

نفسك عنها لأجلهم، فلذا كان عثمان ما عزل نفسه حين حاصروه يوم الدار.

٦٠٧٩ ـ [١١] (أبو سهلة) قوله: (وعن أبي سهلة) بفتح السين وسكون الهاء.

وقوله: (قد عهد إلي عهداً وأنا صابر) معناه مضمون قوله: فإن أرادوك على خلعه فلا تخلعه، أو: أوصاني بأن أصبر ولا أقاتل، ويؤيده هذا الحديث الآخر الآتي عن أبي سهلة.

الفصل الثالث

٦٠٨٠ ـ [١٢] (عثمان بن عبدالله) قوله: (ابن موهب) بفتح الهاء من الأعلام الشاذة، والقياس الكسر.

قَالُوا: عَبْدُاللهِ بْنُ عُمَرَ. قَالَ: يَا ابْنَ عُمَرَ إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ شَيْءٍ فَحَدِّثْنِي: هَلْ تَعْلَمُ أَنَّ عُثْمَانَ فَرَّ يَوْمَ أُحُدٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: هَلْ تَعْلَمُ أَنَّهُ تَغَيَّبَ عَنْ بَدْرٍ وَلَمْ يَشْهَدْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: هَلْ تَعْلَمُ أَنَّهُ تَغَيَّبَ عَنْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ فَلَمْ يَشْهَدْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ؟ قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ، قَالَ ابْنُ عُمَرَ: تَعَالَ أُبَيِّنْ لَكَ، أَمَّا فِرَارُهُ يَوْمَ أُحُدٍ فَأَشْهَدُ أَنَّ اللهَ عَفَا عَنْهُ، وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَدْرٍ فَإِنَّهُ كَانَتْ تَحْتَهُ رُقَيَّةُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَكَانَتْ مَرِيضَةً فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ لَكَ أَجْرَ رَجُلٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْراً وَسَهْمَهُ». وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ فَلَوْ كَانَ أَحَدٌ أَعَزَّ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ عُثْمَانَ لَبَعَثَهُ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عُثْمَانَ، وَكَانَتْ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ عُثْمَانُ إِلَى مَكَّةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ الْيُمْنَى: «هَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ» فَضَرَبَ بِهَا عَلَى يَدِهِ وَقَالَ: «هَذِهِ لِعُثْمَانَ». ثُمَّ قَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ: اذْهَبْ بِهَا الآنَ مَعَكَ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٣٦٩٨، ٣١٣٠].

وقوله: **(تعال)** بفتح اللام و**(أبين لك)** مجزوم جواباً للأمر.

وقوله: **(فأشهد أن الله عفا عنه)** إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٥].

وقوله: **(وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة)** فإنه رضي الله عنه ذهب إلى أهل مكة، وشاع عندهم أن المشركين تعرضوا لحرب المسلمين، فاستعد المسلمون للقتال فبايعهم النبي ﷺ تحت الشجرة على أن لا يفروا، وقيل: بل جاء الخبر بأن عثمان قُتِلَ.

وقوله: **(اذهب بها الآن معك)** أي: اذهب بمقالتي وتمسك بها بعد ما يثبت لك الحق الصريح لا شك فيه، وانته عن اعتقادك الفاسد في حقه رضي الله عنه.

٦٠٨١ ـ [١٣] وَعَنْ أَبِي سَهْلَةَ مَوْلَى عُثْمَانَ قَالَ: جَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يُسِرُّ إِلَى عُثْمَانَ وَلَوْنُ عُثْمَانَ يَتَغَيَّرُ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الدَّارِ قُلْنَا: أَلَا تُقَاتِلُ؟ قَالَ: لَا، إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَهِدَ إِلَيَّ أَمْراً، فَأَنَا صَابِرٌ نَفسي عَلَيْهِ. [حم: ٦/ ٥٨].

٦٠٨٢ ـ [١٤] وَعَنْ أَبِي حَبِيبَةَ: أَنَّهُ دَخَلَ الدَّارَ وَعُثْمَانُ مَحْصُورٌ فِيهَا، وَأَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَسْتَأْذِنُ عُثْمَانَ فِي الْكَلَامِ فَأَذِنَ لَهُ، فَقَامَ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي فِتْنَةً وَاخْتِلَافاً» ـ أَوْ قَالَ: «اخْتِلَافاً وَفِتْنَةً» ـ فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ مِنَ النَّاسِ: فَمَنْ لَنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ ـ أَوْ: مَا تَأْمُرُنَا بِهِ؟ ـ قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِالأَمِيرِ وَأَصْحَابِهِ»، وَهُوَ يُشِيرُ إِلَى عُثْمَانَ بِذَلِكَ. رَوَاهُمَا الْبَيْهَقِيُّ فِي «دَلَائِلِ النبوَّةِ». [دلائل: ٦/ ٣٩٣].

❖ ❖ ❖

٦٠٨١ ـ [١٣] (أبو سهلة) قوله: (يسر إلى عثمان ولون عثمان يتغير) كأنه ﷺ أخبره بقضية فكان يتغير لونه بسماعه، ثم أظهر في وقته أنه عهد إليه.

وقوله: (فأنا صابر) الصبر: حبس الرجل للقتل، يحبس على القتل حتى يقتل، ومنه القتل صبراً.

٦٠٨٢ ـ [١٤] (أبو حبيبة) قوله: (فمن لنا) أي: فمن نتبعه ويكون اتِّباعاً لنا لا علينا.

وقوله: (وهو) أبو هريرة (يشير إلى عثمان بذلك) أي: بالأمر الذي أمرنا باتباعه.

٧ ـ باب مناقب هؤلاء الثلاثة

* الْفَصْلُ الأَوَّلُ:

٦٠٨٣ ـ [١] عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَعِدَ أُحُداً وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ، فَرَجَفَ بِهِمْ، فَضَرَبَهُ بِرِجْلِهِ فَقَالَ: «اثْبُتْ أُحُدُ، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٣٦٨٦].

٦٠٨٤ ـ [٢] وَعَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ الْمَدِينَةِ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَاسْتَفْتَحَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ»، فَفَتَحْتُ لَهُ فَإِذَا أَبُو بَكْرٍ، فَبَشَّرْتُهُ بِمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَحَمِدَ اللهَ، ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ فَاسْتَفْتَحَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ»، فَفَتَحْتُ لَهُ فَإِذَا هُوَ عُمَرُ، فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، فَحَمِدَ اللهَ، ثُمَّ اسْتَفْتَحَ رَجُلٌ فَقَالَ لِي: «افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تُصِيبُهُ» . . . .

---

٧ ـ باب مناقب هؤلاء الثلاثة

قد وردت أحاديث وقعت فيها مناقب أبي بكر وعمر وعثمان جميعاً، فعقد هذا الباب لذكرها.

الفصل الأول

٦٠٨٣ ـ [١] (أنس) قوله: (فرجف بهم) أي: تحرك واضطرب شديداً.

٦٠٨٤ ـ [٢] (أبو موسى الأشعري) قوله: (فاستفتح) أي: طلب الفتح واستأذن للدخول.

وقوله: (على بلوى تصيبه) على بمعنى مع.

فَإِذَا عُثْمَانُ، فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، فَحَمِدَ اللهَ ثُمَّ قَالَ: اللهُ الْمُسْتَعَانُ. مُتَّفَقٌ عَلَيْه. [خ: ٣٦٩٣، م: ٢٤٠٣].

* الْفَصْلُ الثَّانِي:

٦٠٨٥ ـ [٣] عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: كُنَّا نَقُولُ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ حَيٌّ: أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ ﷺ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٧٠٧].

* الْفَصْلُ الثَّالِثُ:

٦٠٨٦ ـ [٤] عَنْ جَابِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أُرِيَ اللَّيْلَةَ رَجُلٌ صَالِحٌ..

وقوله: (فحمد الله) على ما بشر، (ثم قال: الله المستعان) أي: على مرارة الصبر على تلك البلوى.

الفصل الثاني

٦٠٨٥ ـ [٣] (ابن عمر) قوله: (أبو بكر وعمر وعثمان ﷺ) أي: كنا نذكر هؤلاء الثلاثة بأن الله تعالى رضي عنهم، ويحتمل أن يكون ﷺ دعاء من الرواة كما هو المتعارف عند ذكر الصحابة، فيكون كما جاء في حديث آخر عن ابن عمر: كنا نقول على عهد رسول الله ﷺ: أبو بكر وعمر وعثمان، يعني هؤلاء الثلاثة كانوا مشهورين في الصحابة مذكورين فيهم ممتازين عن سائر الصحابة.

الفصل الثالث

٦٠٨٦ ـ [٤] (جابر) قوله: (أري) بلفظ الماضي المجهول و(الليلة) ظرفه، و(رجل صالح) فاعله، وأراد به ذاته الكريمة، وأصل الكلام: أريت، يعني في المنام

كَأَنَّ أَبَا بَكْرٍ نِيطَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَنِيطَ عُمَرُ بِأَبِي بَكْرٍ، وَنِيطَ عُثْمَانُ بِعُمَرَ» قَالَ جَابِرٌ: فَلَمَّا قُمْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قُلْنَا: أَمَّا الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَرَسُولُ اللهِ، وَأَمَّا نَوْطُ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ فَهُمْ وُلَاةُ الأَمْرِ الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ نَبِيَّهُ ﷺ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٤٦٣٦].

❖ ❖ ❖

٨ ـ باب مناقب علي بن أبي طالب

(كأن أبا بكر نيط) أي: علق وضم بلفظ الماضي المجهول من ناطه نوطاً: عَلِقه، وانتاط: تعلَّق، ومنه: النياط ككتاب للفؤاد، ولِعْرقٍ غليظ نيط به القلب إلى الوتين، وعرقٍ مستبطنِ الصلب تحت المتن.

٨ ـ باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه

مناقبه كثيرة لا تكاد تعد وتحصى، مذكورة في كتب الحديث أكثر مما ذكر لغيره من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وقد تطرق الوضع إلى بعضها كما في مناقب أبي بكر أيضاً، كذا ذكروا، والله أعلم. ونقل عن أحمد والنسائي وغيرهما أنهم قالوا: قد جاء في مناقبه أحاديث بالأسانيد الجياد أكثر مما جاء في غيره من الصحابة، وكان السبب في ذلك أنه متأخر، ووقع الاختلاف في زمانه، وكثر محاربوه والخارجون عليه، وكان ذلك سبباً لانتشار مناقبه لكثرة من كان يرويها من الصحابة ردًّا على من خالفه، وإلا فالثلاثة قبله لهم من المناقب ما يوازيه ويزيد عليه، كذا ذكر السيوطي.

* الْفَصْلُ الأَوَّلُ:

٦٠٨٧ - [١] عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِـي وَقَّاصٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِعَلِيٍّ: «أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَـةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلاَّ أَنَّـهُ لاَ نَبِـيَّ بَعْدِي». مُتَّفَقٌ عَلَيْـهِ.

[خ: ٣٧٠٦، م: ٢٤٠٤].

الفصل الأول

٦٠٨٧ - [١] (سعد بن أبي وقاص) قوله: (أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي) قالـه حين استخلفـه على المدينـة في غزوة تبوك، فقال علي: أتخلِّفني في النساء والصبيان؟ كأنه استنقص تركـه وراءه، فقال: (ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى) يعني حين استخلفـه عند توجهه إلى الطور إذ قال لـه: ﴿ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ﴾[الأعراف: ١٤٢]، وهـذا الحديث مما تعلقت بـه الشيعة في أن الخلافة كانت حقًّا لعلي ﷺ، وأنه وصى بها له، وقال أصحابنا: لا حجة فيه، بل ظاهر الحديث أن عليًّا خليفة عن النبي ﷺ مدة غيبته بتبوك كما كان هارون خليفة عن موسى في قومه مدة غيبته عنهـم للمناجاة، ولم يكن هارون خليفة بعد موسى لأنه توفي قبل وفاة موسى بأربعين سنة، وقد استخلف رسول الله ﷺ ابن أم مكتوم في هذه المدة على إمامة الناس، فكان علي ﷺ يتفقد أهل النبي ﷺ، وابن أم مكتوم يؤم الناس، فلو كان الخلافة مطلقة لكان استخلفه على الإمامـة أيضـاً، بل كان أهمَّ، مـع أن خبر الواحد لا يقاوم الإجماع، وقـد تكلم الآمدي في صحة الحديث، ولكن قال أئمة الحديث: إنه صحيح، والمعول على قولهم، كيف وهو في الصحيحين؟ لكنه من الآحاد.

وقيل: ليس قوله: (إلا أنه لا نبي بعده) في بعض الطرق، ولو كان فلا يدل على حصر الخلافة فيه ﷺ ولا وجودها بعده بلا واسطة.

٦٠٨٨ ـ [٢] وَعَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ: وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ إِنَّهُ لَعَهِدَ النَّبِيُّ الأُمِّيُّ ﷺ إِلَيَّ: أَنْ لاَ يُحِبَّنِي إِلاَّ مؤمِنٌ وَلاَ يُبْغِضَنِي إِلاَّ مُنَافِقٌ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٧٨].

٦٠٨٩ ـ [٣] وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: «لأُعْطِيَنَّ هَـذِهِ الرَّايَةَ غَداً رَجُلاً يَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ». فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا، فَقَالَ: «أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟» فَقَالُوا: . . . .

٦٠٨٨ ـ [٢] (زرّ بن حبيش) قوله: (عن زر) بفتح الزاي[1] متقدمة على الراء المشددة (ابن حبيش) بلفظ التصغير لحبش بلدة السودان.

وقوله: (فلق الحبة) أي: شقها وأخرج منها النبات.

وقوله: (إنه لعهد) من باب علم، والمراد أنه أكد هذا القول فكأنه عهد.

٦٠٨٩ ـ [٣] (سهل بن سعد) قوله: (يوم خيبر) هي مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع على ثمانية برد من المدينة إلى جهة الشام، وكان في سنة سبع.

قوله: (كلهم يرجون أن يعطاها) جمَع نظراً إلى المعنى وأفرد نظراً إلى اللفظ، وإنما اعْتَبرَ المعنى في الأول فجمع، واللفظ في الثاني فأفرد؛ لأن الرجاء شامل للكل والعطاء لواحد.

وقوله: (فقال: أين علي بن أبي طالب؟) وكان قد تخلف عن النبي ﷺ لكونه رمداً.

---

(١) كذا في الأصل، والظاهر بكسر الزاي.

هُـوَ يَـا رَسُولَ اللهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْـهِ. قَـالَ: «فَأَرْسِلُوا إِلَيْـهِ» فَأُتِيَ بِـهِ، فَبَصَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي عَيْنَيْهِ فَبَرَأَ حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللهِ أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ فَقَالَ: «انْفُـذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ، وَأَخْبِـرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ فِيهِ، فَوَاللهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِداً خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٤٢١٠، م: ٢٤٠٦].

وَذكر حَدِيث الْبَراء قَالَ لعَلي: «أَنْـت مني وَأَنا مِنْك» فِي «بَاب بُلُوغ الصَّغِير».

* الْفَصْلُ الثَّانِي:

٦٠٩٠ ـ [٤] عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ أَنَّ النَّبِـيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ عَلِيًّا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ. . . . .

وقوله: (أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟) أي: أحاربهم حتى يكونوا مسلمين.

وقوله: (انفذ) على وزن انصر من النفاذ، أي: امض، (على رسلك) بكسر الراء وسكون السين، أي: على رفقك وتُؤَدتك، و(الساحة) الناحية وفضاءٌ بين دور الحي، والمراد أرضهم.

وقوله: (حمر النعم) بسكون الميم: جمع أحمر، والإبل الحمر أنفس الأموال عند العرب، وقد صارت مثلاً في كل النفيس، وفيه أن تعليم علم يهدى به خير من بذل المال.

الفصل الثاني

٦٠٩٠ ـ [٤] (عمران بن حصين) قوله: (إن عليًّا مني وأنا منه) أي: في النسب

وَهُوَ وَلِيُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٧١٢].

٦٠٩١ ـ [٥] وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ. [حم: ٤/ ٣٦٨، ت: ٣٧١٣].

٦٠٩٢ ـ [٦] وَعَنْ حُبْشِيِّ بْنِ جُنَادَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عَلِيٌّ مِنِّي وَأَنَا مِنْ عَلِيٍّ، وَلَا يُؤَدِّي عَنِّي إِلَّا أَنَا وَعَلِيٌّ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٧١٩].

وَرَوَاهُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي جُنَادَةَ. [حم: ٤/ ١٦٤].

والمصاهرة والمسابقة والمحبة وغير ذلك من المزايا والخصوصيات، لا في محض القرابة، وإلا فجعفر وعقيل شريكان.

وقوله: (وهو ولي كل مؤمن) أي: حبيبه وناصره، وهذا إشارة إلى [أن] قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الآية [المائدة: ٥٥] نزل في علي ﷺ.

٦٠٩١ ـ [٥] (زيد بن أرقم) قوله: (من كنت مولاه فعلي مولاه) أي: ناصره، سيجيء هذا الحديث في (الفصل الثالث) مفصلاً، ونشرحه هناك إن شاء الله تعالى.

٦٠٩٢ ـ [٦] (حبشي بن جنادة) قوله: (وعن حبشي) بضم الحاء المهملة وسكون الموحدة وشين معجمة في آخره ياءٌ مشددة، (ابن جنادة) بضم الجيم وخفة النون.

وقوله: (ولا يؤدي عني إلا أنا وعلي) لما فرض الحج أمر رسول الله ﷺ أبا بكر ﷺ بأن يحج بالناس، ثم بعث بعد خروجه عليًّا لينبذ على المشركين والمنافقين عهدهم، ويقرأ عليهم سورة براءة، وكان من عادة العرب إذا كان بينهم مقاولة في صلح

٦٠٩٣ ـ [٧] وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: آخَى رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ أَصْحَابِهِ فَجَاءَ عَلِيٌّ تَدْمَعُ عَيْنَاهُ، فَقَالَ: آخَيْتَ بَيْنَ أَصْحَابِكَ وَلم تُؤاخِ بَيْنِي وَبَيْنَ أَحَدٍ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنْتَ أَخِي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ. [ت: ٣٧٢٠].

٦٠٩٤ ـ [٨] وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ طَيْرٌ فَقَالَ: «اللهُمَّ ائْتِنِي بِأَحَبِّ خَلْقِكَ إِلَيْكَ يَأْكُلُ مَعِي هَذَا الطَّيْرَ» فَجَاءَهُ عَلِيٌّ فَأَكَلَ مَعَهُ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. [ت: ٣٧٢١].

وعهد ونقض وإبرام لا يؤدي إلا سيد القوم أو من يليه من ذوي قرابته القريبة، ولا يقبلون ممن سواهم، وقال هكذا تكريماً له ﷺ.

٦٠٩٣ ـ [٧] (ابن عمر) قوله: (آخى بين أصحابه) وفي رواية أخرى: (بين المهاجرين والأنصار)، وكانوا تسعين رجلاً من كل طائفة خمسة وأربعون، على الحق والمواساة والتوارث، وكان ذلك إلى أن نزل ببدر قوله تعالى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾ الآية [الأنفال: ٧٥]، وكان ذلك بعد قدومه بخمسة أشهر.

٦٠٩٤ ـ [٨] (أنس) قوله: (كان عند النبي ﷺ طير) أي: مشويٌّ يأكله.

وقوله: (بأحب خلقك) أوله الشارحون بأن المراد: من أحب خلقك، أو أحب خلق الله من بني عمه، أو بأحب خلقك إليه من ذوي القرابة القريبة، أو من هو أولى وأقرب وأحق بإحسان إليه، وهذا الوجه الأخير أقرب وأوفق بالمقام، هكذا قالوا، ولقد أتى الشيخ ابن حجر في (كتاب الصواعق) في الاعتذار عن التأويل لهذا الحديث بكلام مليح فصيح طويل، وقال: نحن وإن كنا لا نجهل بحمد الله فضل علي ﷺ وقدمه وسوابقه في الإسلام، واختصاصه برسول الله ﷺ لقرابته القريبة ومؤاخاته إياه في الدين،

. . . .

ونتمسك من حبه بأقوى وأولى مما يدعيه الغالون فيه، فلسنا نرى أن نضرب عن تقرير أمثال هـذه الأحاديث في نصـابها صفحاً لما يُخشى فيهـا من تحريف الغاليـن وتأويل الجاهلين وانتحال المبطلين، وهذا باب أمرنا بمحافظته وجيء أمرنا بالذب عنه، فحقيق علينا أن ننصر فيه الحق ونقدم فيه الصدق، وهذا حديث يريش به المبتدع سهامه ويوصّل به المنتحل جناحه فيتخذه ذريعة إلى الطعن في خلافة أبي بكر ﷺ التي هي أول حكم أجمع عليه المسلمون في هذه الأمـة، وأقوم عماد أقيم بـه الدين بعد رسول الله ﷺ، فنقول ـ وبالله التوفيق ـ: هذا الحديث لا يقاوم ما أوجب تقديم أبي بكر والقولَ بخيريته من الأخبار الصحاح منضمًّا إليها إجماع الصحابـة لمكان سنده، فإن فيـه لأهل النقل مقالاً، ولا يجوز حمل أمثاله على ما يخالف الإجماع، لا سيما والصحابي الذي يرويه ممن دخل في هذا الإجماع، واستقام عليه مدة عمره، ولم ينقل عنه خلافه، فلو ثبت عنه هـذا الحديث فالسبيل أن يؤول على وجـه لا ينتقض عليه ما اعتقده، ولا يخالف ما هو أصح منه متناً وإسناداً، وهو أن يحمل على أحد الوجوه المذكورة.

قال العبد الضعيف ـ عصمه الله عما يطمه وصانه عما شانه ـ: إن من الظاهر أن الحديث غير محمول على الظاهر؛ لأن النبي ﷺ من جملة خلق الله، وهو أحب الخلق إلى الله من جميع الوجوه والحيثيات، فالمراد أهل زمـان رسول الله ﷺ من الصحابـة وغيرهم، إنما يكون من وجه واحد خاص أو وجوه متعددة مخصوصة، فلا حاجة إلى تخصيص الخلق بل إلى تخصيص الوجه أو الوجوه، فإنه ليس أحب وأفضل من جميع الوجوه سوى سيد المحبوبين وأفضل المخلوقين ﷺ، ثم الكلام في الصحابة إنما هو في الأفضلية من جهة كثرة الثواب والأحبية وغيرها، كما في القول المشهور من بعض

٦٠٩٥ ـ [٩] وَعَنْ عَلِيٍّ قَالَ: كُنْتُ إِذَا سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَعْطَانِي، وَإِذَا سَكَتُّ ابْتَدَأَنِي. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ. [ت: ٣٧٢٢].

٦٠٩٦ ـ [١٠] وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنَا دَارُ الْحِكْمَةِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. وَقَالَ: رَوَى بَعْضُهُمْ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ شَرِيكٍ وَلَمْ يَذْكُرُوا فِيهِ عَنِ الصُّنَابِحِيِّ، وَلاَ نَعْرِفُ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ أَحَدٍ مِنَ الثِّقَاتِ غَيْرَ شَرِيكٍ. [ت: ٣٧٢٣].

العلماء في الفرق بين الأفضلية والأحبية، والمخلِّص في هذه المسألة اعتبار الوجوه والحيثيات، والله أعلم.

٦٠٩٥ ـ [٩] (علي) قوله: (وإذا سكت) أي: لم أسأل (ابتدأني) أي: أعطاني من غير مسألة، يقال: ابتدأني الشيء: فعله ابتداء، وهذا مقام المحبوبية.

٦٠٩٦ ـ [١٠] (وعنه) قوله: (أنا دار الحكمة وعلي بابها) قيل: لا شك أن العلم قد جاء منه ﷺ من قِبَل باقي الصحابة، وليس منحصراً في علي المرتضى ﷺ، فلا بد أن يكونوا أبواب العلم، لكن لا بد للتخصيص من وجه بأن يكون متميزاً من سائر الأبواب بالسعة والفتح والعظمة ونحوها، والله أعلم.

واعلم أن المشهور من لفظ الحديث في هذا المعنى (أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها)، وقد تكلم النقاد فيه، وأصله عن أبي الصلت عبد السلام وكان شيعياً، وقد تكلِّم فيه، وصحح هذا الحديث الحاكم وحسنه الترمذي، وضعفه آخرون، ونسبه إلى الوضع طائفة، ونحن ننقل ما ذكره علماؤنا في ذلك بعباراتهم وإن كانت مشتملةً على التكرار، فنقول:

. . . .

قال الشيخ مجد الدين الشيرازي اللغوي صاحب (القاموس) في (نقد الصحيح): حديث: (أنا مدينة العلم وعلي بابها)، ذكره أبو الفرج ابن الجوزي في (الموضوعات) من عدة طرق وجزم ببطلان الكل، وقال مثل ذلك جماعة، وعندي في ذلك نظر كما سنبينه، والمشهور برواية أبي الصلت عبد السلام بن صلاح الهروي، عن أبي معاوية محمد بن حازم الضرير، عن الأعمش، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وعبد السلام هذا ضعفوه جداً واتهم بالرفض، ومع ذلك فقد روى عباس بن محمد الزوزني في سؤالاته يحيى بنَ معين أنه سأله عن أبي الصلت هذا فوثقه، فقال: أليس قد حدث (أنا مدينة العلم وعلي بابها)، وكذلك روى صالح بن محمد الحافظ الملقب جزرة، وأبو الصلت محمد بن محرز عن يحيى بن معين أيضاً، وفي رواية أبي الصلت بن محرز قال يحيى في هذا الحديث: هو من حديث أبي معاوية أخبرني ابن نمير، قال: حدث به أبو معاوية قديماً ثم كف عنه، وكان أبو الصلت الهروي رجلاً موسراً يطلب هذه الأحاديث ويكرم المشايخ، يعني فخصه أبو معاوية بهذا الحديث، فقد برئ عبد السلام عن عهدة هذا الحديث، وأبو معاوية الضرير حافظ يحتج بأفراده كابن عيينه وغيره، ليس هذا الحديث من الألفاظ المنكرة التي تأباها العقول، بل هو مثل قوله ﷺ في حديث: (أرأف أمتي أبو بكر) الحديث، وقد حسنه الترمذي وصححه غيره، ولم يأت من تكلم على حديث (أنا مدينة العلم) بجواب عن هذه الروايات الثابتة عن يحيى بن معين، والحكم عليه بالوضع باطل قطعاً، إنما سكت أبو معاوية عن روايته شائعاً لغرابته لا لبطلانه، إذ لو كان كذلك لم يحدث به أصلاً مع حفظه وإتقانه، وللحديث طريق أخرى رواها الترمذي في (جامعه)[1] عن إسماعيل بن موسى الفزاري، عن محمد بن عمر بن الرومي،

---

(١) «سنن الترمذي» (٣٧٢٣).

. . . .

عن شـريك بن عبدالله، عن سلمـة بن كهيل، عن سويد بن غفلة، عن أبي عبدالله بن الصنابحي، عن علي ﷺ: أن النبي ﷺ قال: (أنا دار الحكمة وعلي بابها)، وتابعه أبو مسلم الكجي وغيره على روايته عن محمد بن عمر بن الرومي، ومحمد هذا روى عنه البخاري في غير الصحيح، ووثقه ابن حبان وضعفه أبو داود، وقال الترمذي بعد سياق الحديث: هذا حديث غريب، وقد روى بعضهم هذا عن شريك ولم يذكر فيه الصنابحي، ولا يعرف هذا عن أحد من الثقات غير شريك، قلت: فلم يبق الحديث من أفراد محمد الرومي، وشريكٌ احتج به مسلم وعلق له البخاري، ووثقه ابن معين والعجلي، وزاد: حسن الحديث، وقال عيسى بن يونس: ما رأيت أحداً قط أورع في علمه من شريك، فعلى هذا يكون تفرده حسناً، ولا يَرِدُ عليه رواية من أسقط الصنابحي منه؛ لأن سويد ابن غفلة تابعي مخضرم، روى عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ، وسمع، فيكون ذكر الصنابحي فيـه من باب المزيد في متصل الأسانيد، والحاصل أن الحديث ينتهي بمجموع طريقي أبي معاوية وشريك إلى درجة الحسن المحتج به، ولا يكون ضعيفاً فضلاً عن أن يكون موضوعاً، ولم أجد لمن ذكره في الموضوعات طعناً مؤثراً في هذين السندين، وبالله التوفيق[1]، انتهى كلام الشيخ مجد الدين.

وقال السخاوي في (المقاصد الحسنة)[2]: حديث: (أنا مدينة العلم وعلي بابها)، ذكره الحاكم في المناقب من (مستدركه)، والطبراني في (معجمه الكبير)، وأبو الشيخ ابن حبان في (السُّنة) له وغيرهم، كلهم من حديث أبي معاوية الضرير عن الأعمش عن

---

(١) انظر: «النقد الصحيح لما اعترض من أحاديث المصابيح» (ص: ٥٣ ـ ٥٥).

(٢) «المقاصد الحسنة» (ص: ١٦٩).

. . . .

مجاهد عن ابن عباس مرفوعاً به، بزيادة: (فمن أتى العلم فليأت الباب)، ورواه الترمذي في المناقب من (جامعه)، وأبو نعيم في (الحلية)، وغيرهما من حديث علي أن النبي ﷺ قال: (أنا دار الحكمة وعلي بابها).

قال الدارقطني في (العلل) عقب ثانيهما: إنه حديث مضطرب غير ثابت، وقال الترمذي: إنه منكر، وكذا قال شيخه البخاري، وقال: إنه ليس له وجه صحيح، وقال ابن معين فيما حكاه الخطيب في (تاريخ بغداد): إنه كذب لا أصل له، وقال الحاكم عقب أولهما: إنه صحيح الإسناد، وأورده ابن الجوزي من هذين الوجهين في (الموضوعات)، ووافقه الذهبي وغيره على ذلك، وأشار إلى هذا ابن دقيق العيد بقوله: هذا الحديث لم يثبتوه، وقيل: إنه باطل، وهو مشعر بتوقفه فيما ذهبوا إليه من الحكم بكذبه، بل صرح العلائي بالتوقف في الحكم عليه بذلك، فقال: وعندي فيه نظر، ثم بين ما يشهد لكون أبي معاوية راوي حديث ابن عباس حدث به، فزال المحذور ممن هو دونه، قال: وأبو معاوية ثقة حافظ يحتج بأفراده كابن عيينة وغيره، فمن حكم على الحديث مع ذلك بالكذب فقد أخطأ، وقد أخرج الديلمي في (مسنده) بسند ضعيف جداً عن ابن عمر مرفوعاً: (علي بن أبي طالب باب حطة فمن دخل فيه كان مؤمناً، ومن خرج منه كان كافراً)، ومن حديث أبي ذر رفعه: (علي باب علمي ومبينٌ لأمتي ما أرسلْتُ به من بعدي، حبه إيمان، وبغضه نفاق، والنظر إليه عبادة)، ومن حديث ابن عباس رفعه: (أنا ميزان العلم، وعلي كفَّتاه، والحسن والحسين خيوطه)، الحديث، وأورد صاحب (الفردوس) وتبعه ابنه المذكور بلا إسناد عن ابن مسعود رفعه: (أنا مدينة العلم، وأبو بكر أساسها، وعمر حيطانها، وعثمان سقفها، وعلي بابها)، انتهى كلام (المقاصد الحسنة).

. . . .

وفي (فصل الخطاب من كتاب الأنساب) للإمام عبد الكريم بن محمد السمعاني رحمه الله في ترجمة الهروي: أبو الصلت عبد السلام بن صالح بن سليمان الهروي، مولى عبد الرحمن بن سمرة، أدرك حماد بن زيد ومالك بن أنس وسفيان بن عيينه وغيرهم، وكان صاحب قشافة وزهد، قدم مرو أيام المأمون، فلما سمع كلامه جعله من الخاصة من إخوانه، وكان أبو الصلت يرد على أهل الاهواء من المرجئة، والجهمية، والزنادقة، والقدرية، وكان يعرف بالتشيع، وقال أحمد بن سيار المروزي: ناظرته فلم أره يُفْرِط، ورأيته يقدم أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، وكان لا يذكر أصحاب النبي ﷺ إلا بالجميل، وكان يقول: هذا مذهبي الذي أدين الله به. وقال يحيى بن معين: أبو الصلت ثقة صدوق إلا أنه يتشيع. وقال أبو عبد الرحمن النسائي: أبو الصلت ليس بثقة. توفي أبو الصلت في شوال سنة ست وثلاثين ومئتين.

وأيضاً في (الأنساب)[1]: قال أبو حاتم بن حبان: وهو الذي روى عن أبي معاوية عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد المدينة فليأت من قبل الباب)، وهذا شيءٌ لا أصل له، ليس من حديث ابن عباس ولا مجاهد ولا الأعمش ولا أبو معاوية حدث به، وكل من حدث بهذا المتن فإنه سرقه من أبي الصلت هذا، انتهى كلام (فصل الخطاب)، وفيه الطعن في الحديث فقط، لكن الكلام الجامع من مهرة الفن ما ذكرناه قبل، ولعل ذلك هو الصواب، ولكن لا يقتضي ذلك الحصر في هذا الباب، وهذا باب خاص ومخصوص بدخول العلم، فقد جاء: (أقضاكم علي) ولكل من الخيرات والمبرات والأنوار والأسرار

---

(١) (١/ ٥٠٥).

٦٠٩٧ ـ [١١] وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ: دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلِيًّا يَوْمَ الطَّائِفِ فَانْتَجَاهُ، فَقَالَ النَّاسُ: لَقَدْ طَالَ نَجْوَاهُ مَعَ ابْنِ عَمِّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا انْتَجَيْتُهُ وَلَكِنَّ اللهَ انْتَجَاهُ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٧٢٦].

٦٠٩٨ ـ [١٢] وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِعَلِيٍّ: «يَا عَلِيُّ لاَ يَحِلُّ لِأَحَدٍ يُجْنِبُ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ غَيْرِي . . . .

التي أشرقت وظهرت من شمس النبوة لها مظاهر ومحالٌّ متعددة بل لا تعدُّ ولا تحصى، فإنه شمس فضل هم كواكبها، يظهرون أنوارها للناس في الظلم، (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم)، وفي الحقيقة لمسألة الفضيلة وجوه وحيثيات، وهذا هو المخلص والمسلك في هذا الباب، والله أعلم بالحق والصواب، وإليه المرجع والمآب.

٦٠٩٧ ـ [١١] (**جابر**) قوله: (**يوم الطائف**) الظاهر أن المراد: يوم غزوة الطائف.

وقوله: (**فانتجاه**) أي: قال معه نجوى، والمناجاة: المسارَّة، انتجى القوم وتناجوا، أي: تسارُّوا، وانتجيته: إذا خصصته بمناجاتك، والاسم النجوى، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾ [الإسراء: ٤٧] فجعلهم نجوى، وإنما النجوى فعلُهم، كذا في (الصحاح)[١].

وقوله: (**ما انتجيته ولكن الله انتجاه**) أي: ما خصصته بمناجاتي من عند نفسي، ولكن الله أمرني أن أنتجيه فانتجيته امتثالاً لأمر الله تعالى.

٦٠٩٨ ـ [١٢] (**أبو سعيد**) قوله: (**لا يحل لأحد يجنب في هذا المسجد غيري**)

---

(١) «الصحاح» (٦/ ٢٥٠٣).

وَغَيرُكَ»[١]، قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْمُنْذِرِ: فَقُلْتُ لِضِـرَارِ بْنِ صُرَدٍ: مَـا مَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ؟ قَالَ: لاَ يَحِلُّ لِأَحَدٍ يَسْتَطْرِقُهُ جُنُباً غَيْرِي وَغَيْرَكَ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ. [ت: ٣٧٢٧].

٦٠٩٩ ـ [١٣] وَعَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ قَالَتْ: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ جَيْشاً فِيهِمْ عَلِيٌّ قَالَتْ: فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ رَافِعٌ يَدَيْـهِ يَقُولُ: «اللهُمَّ لاَ تُمِتْنِي حَتَّى تُرِيَنِي عَلِيًّا». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٧٣٧].

يحتمل أن يكون (يجنب) بتقدير (أنْ) فاعل (لا يحل)، و(في هـذا المسجد) ظرف (يجنب)، والمراد: أن يمر جنباً فيه، وأن يكون (يجنب) صفة (أحد)، ويقدر قبل قوله: (في هذا المسجد): يمر، وذلك لأنه كان لرسول الله ﷺ ولعلي ﵁ باب وممر في المسجد، ويجوز لمن كان له باب في المسجد مروره منه جنباً، ولهذا قيده بقوله: (هذا المسجد) احترازاً عن سائر المساجد.

وقولـه: (لضرار) بكسر المعجمـة وخفة الراء الأولى، و(صرد) بضم المهملة وفتح الراء.

٦٠٩٩ ـ [١٣] (أم عطيـة) قوله: (لا تمتنـي) لعله كان في آخر أمره ﷺ حيث كمل الدين، وإلا فكان بقاؤه ﷺ إلى كمال أمر الدين حتماً مقضيًّا، أو كان قبل أن يوحى إليه ذلك، أو كان مكثُ علي ﵁ إلى مدة عمره ﷺ محتملاً، وذلك بعيد، فافهم، وفيه الدعاء لمن غاب حبيبه بالرجوع سالماً.

---

(١) قال القاري (٩/ ٣٩٤١): بِالنَّصْبِ عَلَى الِاسْتِثْنَاءِ، وَفِي كَثِيرٍ مِنَ النُّسَخِ بِالرَّفْعِ، وَلاَ يَظْهَرُ لَهُ وَجْهٌ إِلاَّ أَنْ يُقَالَ: خَبَرُ مُبْتَدَإٍ مَحْذُوفٍ، أَيْ: هُوَ غَيْرِي وَغَيْرُكَ.

* الْفَصْلُ الثَّالِثُ:

٦١٠٠ - [١٤] عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لاَ يُحِبُّ عَلِيًّا مُنَافِقٌ وَلاَ يُبْغِضُهُ مُؤْمِنٌ». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ إِسْنَاداً. [ت: ٣٧١٧].

٦١٠١ - [١٥] وَعَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ سَبَّ عَلِيًّا فَقَدْ سَبَّنِي». رَوَاهُ أَحْمَدُ. [حم: ٦/ ٣٢٣].

٦١٠٢ - [١٦] وَعَنْ عَلِيٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ(١): «فِيكَ مَثَلٌ مِنْ عِيسَى، أَبْغَضَتْهُ الْيَهُودُ حَتَّى بَهَتُوا أُمَّهُ، وَأَحَبَّتْهُ النَّصَارَى حَتَّى أَنْزَلُوهُ بِالْمَنْزِلَةِ الَّتِي لَيْسَتْ لَهُ». ثُمَّ قَالَ: يَهْلِكُ فِيَّ رَجُلاَنِ: مُحِبٌّ مُفْرِطٌ يُقَرِّظُنِي بِمَا لَيْسَ فِيَّ، ....

الفصل الثالث

٦١٠٠ - [١٤] (أم سلمة) قوله: (لا يحب عليًّا منافق) وكان المنافقون يبغضونه رضي الله عنه لما كانوا يرون من جماله وكماله وسطوته في الدين، وفيه أن حب علي آية الإيمان، اللهم ثبتنا.

٦١٠١ - [١٥] (وعنها) قوله: (من سب عليًّا فقد سبني) وذلك لِمَا أنه يلزم من سبِّه سبُّه ومن طعنه في نسبه الطعنُ في نسبه؛ للقرابة القريبة بينهما ما لم يكن بين أحد من أصحابه.

٦١٠٢ - [١٦] (علي) قوله: (يقرظني) أي: يمدحني، والتقريظ بالظاء المعجمة:

---

(١) في نسخة: «النبي».

وَمُبْغِضٌ يَحْمِلُهُ شَنَآنِي عَلَى أَنْ يَبْهَتَنِي. رَوَاهُ أَحْمَدُ. [فضائل الصحابة لأحمد: ١٢٢١].

٦١٠٣ ـ [١٧] وَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ وَزَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا نَـزَلَ بِغَدِيرِ خُمٍّ أَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ فَقَالَ: «أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ؟» قَالُوا: بَلَى، ....

مدح الحي ووصفه، وفي (القاموس)[1] موافقاً لما في (الصحاح)[2]: التقريظ: مدح الإنسان وهو حي بحق أو باطل، وهما يتقارظان المدح: يمدح كل صاحبه. و(الشنآن) بفتح النون وبسكونها والمد: العداوة، وقيل: شدة البغض، وفسر البيضاوي قولـه: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ﴾[المائدة: ٢] بشدة بغضهم وعدواتهم.

٦١٠٣ ـ [١٧] (البراء بن عازب وزيـد بن أرقـم) قولـه: (لما نـزل) أي: في مرجعه من حجة الوداع. (بغدير خم) بضم خاء معجمة وتشديد ميم. في (القاموس)[3]: موضع بالجحفة بين الحرمين، أو (خم) اسم غيضة هناك بها غدير ماء.

وقوله: (فقال) بعد أن جمع الصحابة: (ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم) وفي بعض الروايات كرره ثلاثاً، وهم يجيبون بالتصديق والاعتراف، يريد به قوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ الآية [الأحزاب: ٦] أي: في الأمور كلها، فإنه لا يأمرهم ولا يرضى منهم إلا بما فيه صلاحهم ونجاحهم بخلاف النفس فلذلك أطلق، فيجب عليهم أن يكون أحبَّ إليهم من أنفسهم، وأمرُه أنفذَ عليهم من أمرها،

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٥٨٦).

(٢) «الصحاح» (٣/ ١١٧٧).

(٣) «القاموس المحيط» (ص: ٩٩٦).

قَالَ: «أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ؟» قَالُوا: بَلَى، فَقَالَ: «اللهُمَّ مَنْ كُنْتُ مَوْلاَهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاَهُ، اللهُمَّ وَالِ مَنْ وَالاَهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ». فَلَقِيَهُ عُمَرُ بَعْدَ ذَلِكَ فَقَالَ لَهُ: هَنِيئاً يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ أَصْبَحْتَ وَأَمْسَيْتَ مَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ. رَوَاهُ أَحْمَدُ [حم: ٤/ ٢٨١].

وشفقتهم عليه أتمَّ من شفقتهم عليها، روي أنه ﷺ أراد غزوة تبوك فأمر الناس بالخروج، فقال ناس: نستأذن آباءنا وأمهاتنا، فنزلت.

وقرئ: (وهو أب لهم) أي: في الدين، فإن كل نبي أبٌ لأمته من حيث إنه أصل فيما به الحياة الأبدية، ولذلك صار المؤمنون إخوة، كذا في (تفسير البيضاوي)[1].

وقوله: **(أني أولى بكل مؤمن من نفسه)** تأكيد وتكرير يفيد كونه أولى بكل واحد من المؤمنين كما أن الأول يفيده بالنسبة إليهم جميعاً.

وقوله: **(اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه)** وفي رواية: (ثم رفع يد علي وقال).

وقوله: **(وعاد من عاداه)** وزاد في رواية: (وأبغض من أبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأَدِرِ الحق معه حيث دار).

اعلم أن هذا الحديث أقوى ما تمسكت به الشيعة في ادعائهم النص التفصيلي المصرِّح بخلافة علي ﷺ، فإنهم قالوا: المولى بمعنى: الأولى بالولاية، بدليل قوله: (ألست أولى بكم) لا الناصر والمحبوب، وإلا لما احتاج إلى جمعهم لذلك مع الدعاء له لأن ذلك يعرفه كل أحد، قالوا: ولا يكون هذا الدعاء إلا لإمام معصوم مفترَضِ الطاعة، فلعليٍّ عليهم من الولاء ما له ﷺ عليهم منه، فهذا نص صريح على خلافته،

---

(١) «تفسير البيضاوي» (٤/ ٢٢٥).

. . . .

وهذا حديث صحيح لا مرية فيه، وقد أخرجه جماعة كالترمذي والنسائي وأحمد، وطرقه كثيرة جدًّا، رواه ستة عشر صحابياً، وفي رواية لأحمد: أنه سمعه من النبي ﷺ ثلاثون صحابياً، وشهدوا به لعلي ﷺ لما نوزع أيام خلافته، وكثير من أسانيده صحاح وحسان، ولا التفات لمن قدح في صحته، ولا إلى قول بعضهم: إن زيادة: (اللهم وال من والاه)، إلى آخره موضوع، فقد ورد ذلك من طرق صحح الذهبي كثيراً منها، كذا قال الشيخ ابن حجر في (الصواعق المحرقة)[1].

وقال أيضاً: ولكن نقول إلزاماً للشيعة: إنهم اتفقوا على اعتبار التواتر فيما يستدل به على الإمامة، وهو منتفٍ فيه للخلاف في صحته، وإن كان مردوداً، بل الطاعنون في صحته جماعة من أئمة الحديث وعدوله المرجوع إليهم فيه، كأبي داود السجستاني وأبي حاتم الرازي وغيرهم، ولم يروه بعض المتقنين الحافظين الذين طافوا البلاد وساروا الأمصار في طلب الحديث كالإمام البخاري ومسلم والواقدي وغيرهم من أكابر أهل الحديث، وهذا وإن لم يُخلَّ بصحته لكن دعوى التواتر في مثله أعجب من كل عجب، وقد اشترطوا التواتر في أحاديث الإمامة.

هذا وقد رد عليهم أهل السنة والجماعة، وكلامهم في ذلك طويل مذكور في (الصواعق المحرقة) للشيخ ابن حجر المكي، ونحن نقلنا منه ما تيسر اختصاراً، قال: لا نسلم أن معنى المولى ما ذكروه، بل معناه الناصر لأنه مشترك بين معان كالمعتق والعتيق والمتصرف في الأمر والناصر والمحبوب، وتعيين بعض معاني المشترك من غير دليل يقتضيه تحكمٌ لا يعتد به، ونحن وهم متفقون على صحة إرادة الحِب ـ بالكسر ـ

---

(١) «الصواعق المحرقة» (١/ ١٠٦ ـ ١١٩).

. . . .

والناصر، وعلي ﷺ سيدنا وحبيبنا وناصرنا، على أن كون المولى بمعنى الإمام لم يعهد لغة ولا شرعاً، ولم يذكر أحد من أئمة اللغة أن مَفْعلاً يأتي بمعنى أفعل، ويقال: هو أولى من كذا، دون: مولى من كذا، وأولى الرجلين دون مولاهما، فالغرض من التنصيص على موالاته الاجتناب من بغضه؛ لأن التنصيص عليه أوفى بمزيد شرفه، وصدَّره بـ (ألست أولى بكم من أنفسكم) ليكون أثبت على قبولهم إياه، وكذا بالدعاء له لأجل ذلك أيضاً، ويرشد لما ذكرناه حثه ﷺ في هذه الخطبة على أهل بيته عموماً وعلى علي خصوصاً، كما جاء عند الطبراني وغيره بسند صحيح، وأيضاً سبب ذلك كما نقله الحافظ شمس الدين الجزري عن ابن إسحاق: أن علياً تكلم فيه بعض من كان معه في اليمن، فلما قضى النبي ﷺ حجه خطبها تنبيهاً على قدره وردًّا على من تكلم فيه كبريدة، كما ذكر في (صحيح البخاري) أنه كان يبغضه، وذكر الذهبي وصححه[1]: أنه خرج معه إلى اليمن فرأى منه جفوة فنقصه للنبي ﷺ، فجعل يتغير وجهه ويقول: (يا بريدة! ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم) قلت: بلى يا رسول الله، قال: (من كنت مولاه فعلي مولاه)، سلمنا أنه أولى، لكن لانسلِّم أن المراد أنه أولى بالإمامة بل بالاتباع والقرب منه فهو كقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ [آل عمران: ٦٨] ولا قاطع ولا ظاهر على نفي هذا الاحتمال، بل هو الواقع، إذ هو الذي فهمه أبو بكر وعمر، وناهيك بهما في فهم الحديث، فإنهما لما سمعاه قالا له: أمسيت يا ابن أبي طالب مولى كل مؤمن ومؤمنة، أخرجه الدارقطني. وأخرج أيضاً أنه قيل لعمر: إنك تصنع بعلي شيئاً لا تصنعه بأحد من أصحاب النبي ﷺ، فقال: إنه مولاي،

---

(١) انظر: «المستدرك» (٤٥٧٨).

. . . .

سلمنا أولى بالإمامة، فالمراد المآل وإلا لكان هو الإمام مع وجوده ﷺ، ولا تعرض فيه لوقت المآل، فكان المراد حين يوجد عقد البيعة له، فلا ينافي حينئذ تقديم الأئمة الثلاثة عليه؛ لانعقاد الإجماع حتى من عليٍّ فيه، للأخبار المصرِّحة بإمامة أبي بكر بعده ﷺ، وكيف كان نصاً على إمامته ولم يَحتجَّ به ولا العباس ولا غيرهما وقت الحاجة إليه، وإنما احتج به علي في خلافته، فسكوته عن الإفصاح إلى أيام خلافته قاض بأنه علم منه أنه لا نص فيه على خلافته عقب وفاة النبي ﷺ، على أن عليًّا ﷺ صرح بأنه ﷺ لم ينص عليه ولا على غيره، كما جاء في الأخبار الصحيحة.

وفي (صحيح البخاري) وغيره خروج علي والعباس من عند النبي ﷺ، الحديث، ولو كان حديث (من كنت مولاه) نصاً في إمامة علي لم يحتج هو والعباس إلى مراجعته ﷺ، ولما قال العباس: فإن كان هذا الأمر فينا علمناه، مع قرب العهد جداً بيوم الغدير نحو الشهرين، وتجويز النسيان على سائر الصحابة السامعين بخبر يوم الغدير وسترهم لذلك مع وجود العلم مُحالٌ عادي، [يجزم العاقل بأدنى بديهته بأنه لم يقع منهم نسيان ولا تفريط] وأنهم كانوا حال بيعتهم لأبي بكر متذكرين لذلك الحديث عالمين [به وبمعناه]، على أنه ﷺ خطب بعد يوم الغدير وأعلن بحق أبي بكر وعمر، وقال لهما: (لا يتأمر عليكما أحد بعدي)، أخرجه ابن سعد عن بسطام بن أسلم، وقد ثبت أن رسول الله ﷺ إنما حث على مودة أهل بيته ومحبتهم واتباعهم، وشتان ما بينهما وبين مقام الخلافة.

وزعم الشيعة والرافضة بأن الصحابة علموا هذا النص، ولم ينقادوا له عناداً ومكابرة وظلماً، وإنما تركه عليٌّ تقيةً، وهذا كذب وافتراء لأنه كان في منعةٍ من قومه

. . . .

مع كثرتهم وشجاعتهم، وإذا احتج أبو بكر بخبر: (الأئمة من قريش)، فكيف سلَّموا له هذا الاستدلال؟ ولأي شيء لم يقولوا له: ورد النص على إمامة عليٍّ فكيف تحتج بمثل هذا العموم؟

وقد أخرج البيهقي عن أبي حنيفة ﷺ أنه قال: أصل عقيدة الشيعة تضليل الصحابة، والرافضة يقولون بتكفيرهم؛ لأنهم عاندوا بترك النص على إمامة علي ﷺ أجمعين.

وقال القاضي أبو بكر الباقلاني: إن فيما ذهبت إليه الرافضة مما ذكر إبطالاً للإسلام رأساً؛ لأنه إذا أمكن اجتماعهم على كتم النصوص أمكن منهم نقل الكذب والتواطؤ عليه لغرض، فيمكن أن سائر ما فعلوه من الأحاديث زور وباطل.

وأيضاً ما المانع من قوله ﷺ في خطبته السابقة يوم الغدير: هذا الخليفة بعدي، فعدوله إلى ما سبق من قوله: (من كنت مولاه) إلى آخره ظاهر في عدم إرادة ذلك، وقد أخرج أبو نعيم عن الحسن المثنى بن الحسين السبط أنه لما قيل له ذلك ـ أي: خبر (من كنت مولاه) نص في إمامة علي ـ فقال: أما والله لو كان يعني به النبي ﷺ بذلك الإمارة والسلطان لأفصح لهم به، فإن رسول الله ﷺ كان أفصح الناس للمسلمين، ولقال لهم: يا أيها الناس هذا ولي أمري والقائم عليكم بعدي، فاسمعوا له وأطيعوا، فوالله لئن كان الله ورسوله اختارا عليًّا لهذا الأمر، والقيام به للمسلمين من بعده، ثم ترك علي أمر الله ورسوله أن يقوم به أو يُعْذِر فيه إلى المسلمين، إن كان أعظم الناس خطيئةً لعليٌّ، إذ ترك أمر الله ورسوله وحاشاه من ذلك، وقد بينتُ بالدلائل الصحيحة أنه ﷺ لم ينص على خلافة أحد، ثبت ذلك من كلام علي ﷺ، والكلام في هذا المقام

٦١٠٤ ـ [١٨] وَعَنْ بُرَيْدَةَ قَالَ: خَطَبَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فَاطِمَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّهَا صَغِيرَةٌ»، ثُمَّ خَطَبَهَا عليٌّ فَزَوَّجَهَا مِنْهُ. رَوَاهُ النَّسَائِيُّ. [ن: ٣٢٢١].

٦١٠٥ ـ [١٩] وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَمَرَ بِسَدِّ الأَبْوَابِ إِلاَّ بَابَ عَلِيٍّ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. [ت: ٣٧٣٢].

٦١٠٦ ـ [٢٠] وَعَنْ عَلِيٍّ قَالَ: كَانَتْ لِي مَنْزِلَةٌ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَمْ تَكُنْ لِأَحَدٍ مِنَ الْخَلاَئِقِ، آتِيهِ بِأَعْلَى سَحَرٍ، فَأَقُولُ: السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا نَبِيَّ اللهِ، فَإِنْ تَنَحْنَحَ انْصَرَفْتُ إِلَى أَهْلِي وَإِلاَّ دَخَلْتُ عَلَيْهِ. رَوَاهُ النَّسَائِيُّ. [ن: ١٢١٣].

طويل، وهذا القدر يكفي لمن أنصف، ومن تعصب وزاغ فلا كلام معه إلا السكوت، والله أعلم وعلمه أحكم.

٦١٠٤ ـ [١٨] (بريدة) قوله: (ثم خطبها علي) وجاء في بعض الروايات: أنه قالت أم أيمن له ؓ: كيف لا تخطب فاطمة وأنت ابن عم رسول الله ﷺ؟ قال علي: أنا أستحيي رسول الله ﷺ أن أخطبه لذلك، فلما علم ؓ رضاه بذلك خطبه، أو كما جاء.

٦١٠٥ ـ [١٩] (ابن عباس) قوله: (أمر بسد الأبواب إلا باب علي) قد مرّ الكلام عليه في (مناقب أبي بكر) في سد كل خوخة إلا خوخة أبي بكر.

٦١٠٦ ـ [٢٠] (علي) قوله: (لم تكن لأحد من الخلائق) يريد كمالَ قربه وخصوصيته برسول الله ﷺ، وقَدْرَه ومنزلته عنده، وإنما قال: (لأحد من الخلائق)

٦١٠٧ ـ [٢١] وَعَنْهُ قَالَ: كُنْتُ شَاكِياً، فَمَرَّ بِي رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَنَا أَقُولُ: اللهُمَّ إِنْ كَانَ أَجَلِي قَدْ حَضَرَ فَأَرِحْنِي، وَإِن كَانَ متأخِّراً فارفَغْنِي، وَإِنْ كَانَ بَلاَءً فَصَبِّرْنِي. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَيْفَ قُلْتَ؟» فَأَعَادَ عَلَيْهِ مَا قَالَ، فَضَرَبَهُ بِرِجْلِهِ، وَقَالَ: «اللهُمَّ عَافِهِ ـ أَوِ اشْفِهِ ـ» شَكَّ الرَّاوِي، قَالَ: فَمَا اشْتَكَيْتُ وَجَعِي بَعْدُ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. [ت: ٣٥٦٤].



دون: أحد من الصحابة، مبالغة في غاية ابتهاجه وافتخاره بذلك على الخلائق كلهم أجمعين، فافهم.

٦١٠٧ ـ [٢١] (وعنه) قوله: (فارفغني) بغين معجمة، أي: وسع في عيشي، في (القاموس)[1]: الرفغ: السعة والخصب.

وقوله: (فضربه برجله) أي: ضرب رسول الله ﷺ عليًّا برجله، قيل: كأنه ضربه برجله لينتبه عن هذه الشكاية وليصل إليه بركة رجله.

٩ ـ باب مناقب العشرة رضي الله عنهم

وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والزبير وطلحة وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح وسعيد بن زيد، أكابر الصحابة وعظماؤهم،

(١) «القاموس» (ص: ٧٠٤).

* الْفَصْلُ الأَوَّلُ:

٦١٠٨ ـ [١] عَنْ عُمَرَ قَالَ: مَا أَحَدٌ أَحَقَّ بِهَذَا الأَمْرِ مِنْ هَؤُلَاءِ النَّفَرِ الَّذِينَ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ، فَسَمَّى عَلِيًّا وَعُثْمَانَ وَالزُّبَيْرَ وَطَلْحَةَ وَسَعْداً وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٣٧٠٠].

٦١٠٩ ـ [٢] وَعَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ قَالَ: ....

قرشيون لهم من التقدم مناقب ومآثر في الإسلام ما ليس لمن عداهم، وقد اشتهروا بالعشرة المبشرة لبشارة النبي ﷺ لهم بالجنة، وليست البشارة مخصوصة بهم لصحة ورودها لمن عداهم من أهل بيت النبوة وغيره، ولقد فصلنا القول في هذا المعنى في رسالة لنا مسماة بـ (تحقيق الإشارة إلى تعميم البشارة) فلينظر ثمة.

الفصل الأول

٦١٠٨ ـ [١] (عمر) قوله: (ما أحد أحق بهذا الأمر) أي: أمر الخلافة، قال ذلك عند وفاته، وجعل الأمر شورى بينهم، والمراد بالرضا زيادته وكماله الذي به يستحقون الخلافة، وإلا فرسول الله ﷺ كان راضياً عن جميع الصحابة.

وقوله: (فسمى) أي: عدّهم بأسمائهم ولم يذكر أبا عبيدة لأنه مات قبل ذلك، ولا سعيد بن زيد لقرابته منه؛ لأنه ابن عمه وزوج أخته، وقد صح من رواية المدائني بأسانيده أن عمر ﷺ ذكره فيمن توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض إلا أنه لم يذكره في أهل الشورى، كذا قال الشيخ[1].

٦١٠٩ ـ [٢] (قيس) قوله: (وعن قيس بن أبي حازم) بالحاء المهملة والزاي.

---

(١) «فتح الباري» (٧/ ٦٧).

رَأَيْتُ يَدَ طَلْحَةَ شَلَّاءَ وَقَى بِهَا النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٤٠٦٣].

٦١١٠ ـ [٣] وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ يَوْمَ الأَحْزَابِ؟» قَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا وَحَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٢٨٤٦، م: ٢٤١٥].

٦١١١ ـ [٤] وَعَنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ يَأْتِي بَنِي قُرَيْظَةَ فَيَأْتِينِي بِخَبَرِهِمْ؟» فَانْطَلَقْتُ، فَلَمَّا رَجَعْتُ جَمَعَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَبَوَيْهِ فَقَالَ: «فَدَاكَ أَبِي وَأُمِّي». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٧٢٠، م: ٢٤١٦].

وقوله: **(رأيت يد طلحة شلاء)** في (القاموس)[١]: الشلل: اليبس في اليد أو ذهابها، وقال الشيخ[٢]: الشلل نقص في الكف وبطلان لعملها، وليس معناه القطع كما زعم بعضهم.

٦١١٠ ـ [٣] **(جابر)** قوله: **(إن لكل نبي حواريًّا)** بكسر الراء وتشديد الياء، لفظة مفردة بمعنى: الخالص والناصر، من الحَوَر بمعنى البياض، ومنه حُور الجنة، وإذا أضيف إلى ياء المتكلم فقد تحذف الياء ـ وأصله حواريِيِّ ـ اكتفاء بالكسر، وقد تبدل فتحةً للتخفيف، ويروى بالكسر والفتح، وقد سبق تحقيقه في (الفصل الأول) من (باب الاعتصام بالسنة).

٦١١١ ـ [٤] **(الزبير)** قوله: **(جمع لي رسول الله ﷺ أبويه)** أي: في الفداء، والأكثر الاكتفاء بالأب، وفي الفداء تعظيم خصوصاً في الجمع بين الأب والأم.

---

(١) «القاموس» (ص: ٩١٨).

(٢) «فتح الباري» (٧/ ٨٣).

٦١١٢ ـ [٥] وَعَنْ عَلِيٍّ قَالَ: مَا سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ جَمَعَ أَبَوَيْهِ لِأَحَدٍ إِلاَّ لِسَعْدِ بْنِ مَالِكٍ، فَإِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ يَوْمَ أُحُدٍ: «يَا سَعْدُ، ارْمِ فَدَاكَ أَبِي وَأُمِّي». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٤٠٥٩، م: ٢٤١١].

٦١١٣ ـ [٦] وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: إِنِّي لَأَوَّلُ الْعَرَبِ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٧٢٨، م: ٢٩٦٦].

٦١١٤ ـ [٧] وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سَهِرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَقْدَمَهُ الْمَدِينَةَ لَيْلَةً فَقَالَ: ....

٦١١٢ ـ [٥] (علي) قوله: (جمع أبويه لأحد إلا لسعد بن مالك) لا ينافي هذا الحصر جمعه للزبير؛ لأنه يخبر عن سماعه، فلعله لم يسمع جمعه للزبير.

٦١١٣ ـ [٦] (سعد بن أبي وقاص) قوله: (إني لأول العرب) لأنه كان في أول سرية في الإسلام في ستين من المهاجرين أميرهم عبيدة بن الحارث عقد له النبي ﷺ لواء، وهو أول لواء عقده لقتال أبي سفيان بن حرب والمشركين، وكانوا جمعاً كثيراً، فلم يقع قتال بينهم، غير أن سعداً رمى إليهم بسهم، فكان أول سهم رمي في الإسلام، وكان ذلك في السنة الأولى من الهجرة، أول حرب وقعت بين المسلمين والمشركين، كذا قال الشيخ[1].

٦١١٤ ـ [٧] (عائشة) قوله: (سهر) كفرح.

وقوله: (مقدمه المدينة) بفتح الدال من قَدِمَ يَقْدَم كسمع يسمع مصدر ميمي، والوقت مقدر، أي: وقت قدومه المدينة من بعض غزواته، كما في: أتيتك طلوعَ

---

(١) «فتح الباري» (٧/ ٨٤).

«لَيْتَ رَجُلاً صَالِحاً يَحْرُسُنِي»، إِذْ سَمِعْنَا صَوْتَ سِلَاحٍ، فَقَالَ: «مَنْ هَذَا؟» قَالَ: أَنَا سَعْدٌ، قَالَ: «مَا جَاءَ بِكَ؟» قَالَ: وَقَعَ فِي نَفْسِي خَوْفٌ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَجِئْتُ أَحْرُسُهُ، فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثُمَّ نَامَ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٢٨٨٥، م: ٢٤١٠].

٦١١٥ ـ [٨] وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ وَأَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٤٣٨٢، م: ٢٤١٩].

٦١١٦ ـ [٩] وَعَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ: سَمِعْتُ عَائِشَةَ وَسُئِلَتْ: مَنْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُسْتَخْلِفاً لَوِ اسْتَخْلَفَهُ؟ قَالَتْ: أَبُو بَكْرٍ، فَقِيلَ: ثُمَّ مَنْ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ؟ قَالَتْ: عُمَرُ. قِيلَ: مَنْ بَعْدَ عُمَرَ؟ ....

الشمس، وليس بظرفٍ زمان، لأنه لا يعمل النصب[1].

وقوله: (ليت رجلاً صالحاً يحرسني) وذلك قبل نزول قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ [المائدة: ٦٧].

٦١١٥ ـ [٨] (أنس) قوله: (وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح) خصه بالأمانة وإن كانت مشتركة بين الصحابة لكمال هذه الصفة فيه، وقيل: لغلبتها فيه بالنسبة إلى سائر صفاته.

٦١١٦ ـ [٩] (ابن أبي مليكة) قوله: (من كان) مفعول (مستخلفاً) بكسر اللام،

---

(١) أي: ظرف الزمان لا يعمل، أما «مقدمه» فقد عمل في «المدينة»، فليس بظرفٍ، وإنما هو مصدر ميمي.

قَالَتْ: أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٣٨٥].

٦١١٧ ـ [١٠] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ عَلَى حِرَاء هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ، فَتَحَرَّكَتِ الصَّخْرَةُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اهْدَأْ فَمَا عَلَيْكَ إِلاَّ نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ». وَزَادَ بَعْضُهُمْ: وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ وَلَمْ يَذْكُرْ عَلِيًّا. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٤١٧].

أو مبتدأ والضمير محذوف، أي: مستخلفه.

وقوله: (أبو عبيدة بن الجراح) قالته على ظنها بناء على ما سُمع من رسول الله ﷺ أنه أمين.

٦١١٧ ـ [١٠] (أبو هريرة) قوله: (اهدأ) على وزن افتح مهموزاً، أي: اسكن، هَدَأَ هَدْءاً بفتح وسكون وهدوءاً بالضمتين: سكن.

وقوله: (شهيد) أراد به الجنس؛ لأن المذكورين في الحديث بعد الصديق كلُّهم شهيد بمعنى المقتول ظلماً، أما قتل عمر وعثمان وعلي فمشهور، وقتل طلحة في وقعة الجمل، اعتزل الناس تاركاً للقتال فأصابه سهم في حلقه، وقيل: قتله مروان بن الحكم لما كان لـه به عدواة وهو الأشهر، ولا ينافيه رواية إصابة السهم، والله أعلم. وروى ابن عساكر [عن محمد بن عبيدالله الأنصاري عن أبيه] أنه جاء رجل يوم الجمل، فقال: ائذنوا لقاتل طلحة، فسمعت علياً يقول: بشِّره بالنار، كذا في (جمع الجوامع) للسيوطي.

وأما الزبير ﷺ فهو أيضاً قتل يوم الجمل منصرفاً تاركاً للقتال، فقتله عمرو بن جرموز بضم الجيم وسكون الراء وضم الميم في آخره زاي، وهو في الصلاة بسفوان بفتح السين المهملة وفتح الفاء وبالنون، من أرض البصرة، ودفن بوادي السباع، وروي

* الْفَصْلُ الثَّانِي:

٦١١٨ - [١١] عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، .....

أنه جاء بشير بن جرموز إلى علي بن أبي طالب فحياه فقال: هكذا يفعل بأهل البلاء، فقال علي: بفيك الحجر، إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير ممن قال الله: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾[الحجر: ٤٧].

هذا وأما ذكر سعد بن أبي وقاص في هذا الحديث فمشكل، لأنه غير مقتول، فقد ذكر في (جامع الأصول)[١]: أنه مات في قصره بالعقيق قريباً من المدينة، ودفن بالبقيع، اللهم إلا أن يدخل في الصديق، واسم الصديق مما غلب على أبي بكر ﷺ، ولكن معناه غير منحصر فيه، وقد ذكر السيوطي من حديث سلمان وأبي ذر معاً كما رواه الطبراني، ومن حديث حذيفة كما رواه العقيلي في (الضعفاء) وابن عدي في (الكامل)[٢] في مناقب علي: أن النبي ﷺ قال: (هذا أول من آمن وهو أول من يصافحني يوم القيامة، وهذا الصديق الأكبر، وهذا فاروق هذه الأمة يفرق بين الحق والباطل، وهذا يعسوب المسلمين، والمال يعسوب الظالمين)، أو المراد بالشهيد من له ثواب الشهيد كالمبطون وأمثاله، والله أعلم.

الفصل الثاني

٦١١٨، ٦١١٩ - [١١، ١٢] (عبد الرحمن بن عوف، وسعيد بن زيد) قوله: **(أبو بكر في الجنة)** الحديث، قد وقع في هذا الحديث الواحد ذكر العشرة وبشارتهم،

---

(١) «جامع الأصول» (١٢/ ١٢٧).

(٢) «الضعفاء الكبير» (٢/ ٤٧)، و«الكامل» (٥/ ٣٧٩).

وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّـةِ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِـي وَقَّاصٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْـدٍ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٧٤٧].

٦١١٩ ـ [١٢] وَرَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ. [جه: ١٣٣].

٦١٢٠ ـ [١٣] وَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِـيَّ ﷺ قَالَ: «أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُـو بَكْرٍ، وَأَشَدُّهُمْ فِي أَمْرِ اللهِ عُمَرُ، وَأَصْدَقُهُمْ حَيَـاءً عُثْمَانُ، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِـتٍ، وَأَقْرَؤُهُمْ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ وَأَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. [حم: ٣/ ٢٨١، ت: ٣٧٩١].

وَرُوِيَ عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ قَتَادَةَ مُرْسَلاً وَفِيهِ: «وَأَقْضَاهُمْ عَلِيٌّ».

ولعل هـذا هو السبب في شهرتهم بهذه البشارة وإن لم تكن مخصوصة بهم، ثم ذِكْرُ هؤلاء أينما وقع ذكرهم في الأحاديث جميعاً بهذا الترتيب مما يستأنس بـه في مذهب أهل السنة والجماعـة، وأما ظنُّ أنهم ذكروا الترتيب على اعتقادهم وغيَّروا الأحاديث فحاشاهم وكلا.

٦١٢٠ ـ [١٣] (أنـس) قولـه: (وأفرضهـم) أي: أكثرهـم علمـاً بالفرائـض، و(أقرؤهم) أي: أجودهم قراءة أو أكثرهم قراءة.

وقوله: (أعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل).

وقوله: (وأقضـاهم علي) وهذه منقبة عظيمة؛ لأن القضاء بالحق والفصل بينه وبين الباطل يقتضي علماً كثيراً وقوة عظيمة في النفس.

٦١٢١ ـ [١٤] وَعَنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: كَانَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ دِرْعَانِ، فَنَهَضَ إِلَى الصَّخْرَةِ فَلَمْ يَسْتَطِعْ، فَقَعَدَ طَلْحَةُ تَحْتَهُ حَتَّى اسْتَوَى عَلَى الصَّخْرَةِ، فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «أَوْجَبَ طَلْحَةُ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

[ت: ٣٧٣٨].

٦١٢٢ ـ [١٥] وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ: نَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِاللهِ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ يَمْشِي عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ وَقَدْ قَضَى نَحْبَهُ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا». وَفِي رِوَايَةٍ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى شَهِيدٍ يَمْشِي عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِاللهِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

[ت: ٣٧٣٩].

وهذا الحديث صريح في تعدد جهات الخير في الصحابة واختصاص بعضها ببعض، لكنهم حكموا بفضيلة كثرة الثواب عند الله على الترتيب، وذلك شيء آخر.

٦١٢١ ـ [١٤] (الزبير) قوله: (درعان) وذلك لغاية شجاعته وقوة إقدامه على الحرب، فمن كان أشجع كان سلاحه أكثر، وفيه أن ذلك لا ينافي التوكل.

وقوله: (فلم يستطع) الاستواء على الصخرة لثقل درعه، وقد أصاب من التعب والجرح في هذا اليوم ما أصاب.

وقوله: (أوجب طلحة) أي: وجب له الجنة لفعله هذا، وكان طلحة ﷺ جعل نفسه يوم أحد وقايةً للنبي ﷺ حتى جرح في جسده من بين طعن وضرب ورمي بضع وثمانون جراحة حتى في ذكره، وشُلّتْ يده، وكانت الصحابة إذا ذكروا يوم أحد قالوا: ذلك اليوم كله لطلحة.

٦١٢٢ ـ [١٥] (جابر) قوله: (وقد قضى نحبه) النحب بالنون والحاء المهملة

٦١٢٣ ـ [١٦] وَعَنْ عَلِيٍّ قَالَ: سَمِعَتْ أُذُنِي مِنْ فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ جَارَايَ فِي الْجَنَّةِ». . . . .

في آخره باء موحدة يجيء بمعنى النذر والموت، ويقال: قضى نحبه، أي: مات، وقد فسر قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ﴾[الأحزاب: ٢٣] بالمعنيين، فمعنى النذر يكون المراد: منهم مَن وفى نذره فيما عاهد الله عليه من الصدق في مواطن القتال والنصرة لرسوله، وقد كان جماعة من الصحابة كعثمان بن عفان ومصعب بن عمير وطلحة وسعيد وغيرهم نذروا إذا لقوا حرباً ثبتوا حتى يُستشهدوا، ومنهم من ينتظر أن يوفي نذره بذلك، وعلى الثاني: منهم من مات في سبيل الله، ومنهم من ينتظر الموت.

وفي الحديث أيضاً يصح الحمل على المعنيين، أخبر أن طلحة وفى بنذره، أو أنه ممن ذاق الموت وإن كان حياً، كما قيل: موتوا قبل أن تموتوا، وهذا المعنى أوفق بصدر الحديث، وبالرواية الأخرى: من سره أن ينظر إلى شهيد، وبحديث آخر عن أبي سعيد رواه ابن عساكر: كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ فمر طلحة بن عبيدالله فقال: (هذا شهيد يمشي على وجه الأرض)، وهذا يكون بالموت الاختياري الذي يحصل لأهل السلوك وأرباب الفناء، وإن احتمل في نظر أهل علم العربية أن يكون على سبيل المجاز باعتبار تسمية الشيء بما يؤُول إليه، وقيل: معناه: ذاق طعم الموت في الله وهو حي لما ذاق من الشدائد في سبيل الله كأنه مات، وقيل: المراد بالموت الغيبوبة عن عالم الشهادة بالاستغراق في ذكر الله وملكوته والانجذاب إلى جناب قدسه، وهذا يؤُول إلى ما ذكرنا أولاً، فهذا هو نتيجة الموت الاختياري وحاصله.

٦١٢٣ ـ [١٦] (علي) قوله: (جاراي في الجنة) بشارة لهما رضي الله عنهما بالجنة مع زيادة

رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. [ت: ٣٧٤١].

٦١٢٤ ـ [١٧] وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ يَوْمَئِذٍ ـ يَعْنِي يَوْمَ أُحُدٍ ـ: «اللَّهُمَّ اشْدُدْ رَمْيَتَهُ، وَأَجِبْ دَعْوَتَهُ». رَوَاهُ فِي «شَرْحِ السُّنَّةِ». [٣٩٢٢].

٦١٢٥ ـ [١٨] وَعَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ اسْتَجِبْ لِسَعْدٍ إِذَا دَعَاكَ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٧٥١].

فضيلة جواره ﷺ.

٦١٢٤ ـ [١٧] (سعد بن أبي وقاص) قوله: (اللهم اشدد رميته) بالشين المعجمة، كذا في نسخ (المشكاة) و(المصابيح) من الشد بمعنى القوة، واشتداد الْحَب: قوته وصلابته، ويقال: المُشِدُّ الذي دوابُّه شديدة قوية بخلاف المُضْعِف، كذا في (مختصر النهاية)[1]؛ ومنه: (حتى يبلغ أشده) أي: قوته، وهو ما بين ثماني عشرة سنة إلى ثمانين، وقد يرى في بادي النظر أن يكون بالسين المهملة من سداد السهم، وهو إصابته ما قصد به، ومنه حديث: (بالسداد سداد السهم) كما مر في (جامع الدعاء) من حديث علي رضي الله عنه، ولكن الظاهر على هذا المعنى أن يقول: سدِّد رميته، من التسديد.

وقوله: (وأجب دعوته) مناسبته بشد الرمي ظاهر باعتبار الإصابة بالمقصد.

٦١٢٥ ـ [١٨] (وعنه) قوله: (اللهم استجب لسعد) وفي جامع كتاب الترمذي: (لسعد بن أبي وقاص).

---

(١) انظر: «النهاية» (٢/ ٤٥١).

٦١٢٦ ـ [١٩] وَعَنْ عَلِيٍّ قَالَ: مَا جَمَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَبَاهُ وَأُمَّهُ إِلاَّ لِسَعْدٍ، قَالَ لَهُ يَوْمَ أُحُدٍ: «ارْمِ فَدَاكَ أَبِي وَأُمِّي»، وَقَالَ لَهُ: «ارْمِ أَيُّهَا الْغُلَامُ الْحَزَوَّرُ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٧٥٣].

٦١٢٧ ـ [٢٠] وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ: أَقْبَلَ سَعْدٌ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هَذَا خَالِي فَلْيُرِنِي امْرُؤٌ خَالَهُ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: كَانَ سَعْدٌ مِنْ بَنِي زُهْرَةَ وَكَانَتْ أُمُّ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ بَنِي زُهْرَةَ، فَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هَذَا خَالِي». وَفِي «الْمَصَابِيحِ»: «فَلْيُكْرِمَنَّ» بَدَلَ «فَلْيُرِنِي».

٦١٢٦ ـ [١٩] (علي) قوله: (ارم أيها الغلام الحزور) الحزور بحاء مهملة مفتوحة فراء مفتوحة فواو مشددة في آخره راء، ويجيء بسكون الزاي وتخفيف الواو: مَن قارب البلوغ، وفي (القاموس)[1]: الحزوَّر كعملَّس: الغلام القوي، والرجل القوي، والضعيف، ضد، والجمع حزاور، كأنه شبَّه بحَزْورة الأرض على وزن قسورة وهي الرابية الصغيرة، ومنه حزورة موضع بالحرم الشريف، وفي الحديث: (كنا مع النبي ﷺ غلماناً حزاورة).

٦١٢٧ ـ [٢٠] (جابر) قوله: (من بني زهرة) حي من قريش أولاد زهرة بنت كلاب، منه عبد الرحمن بن عوف أحد العشرة.

وقوله: (فليكرمن) أي: ليكرمن امرؤ خاله اقتداء بي في إكرامي خالي، ويجوز أن يريد بامرئ نفسه الكريمة، والله أعلم، وقيل: (فليكرمن) تصحيف.

---

(١) «القاموس» (ص: ٣٣٨).

* الْفَصْلُ الثَّالِثُ:

٦١٢٨ ـ [٢١] عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ قَالَ: سَمِعْتُ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ يَقُولُ: إِنِّي لَأَوَّلُ رَجُلٍ مِنَ الْعَرَبِ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَرَأَيْتُنَا نَغْزُو مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا الْحُبْلَةُ وَوَرَقُ السَّمُرِ، . . . .

الفصل الثالث

٦١٢٨ ـ [٢١] (قيس بن أبي حازم) قوله: (إلا الحبلة وورق السمر) بضم المهملة وسكون الموحدة: الكَرْم، أو أصل من أصوله، ويحرك، وثمر السَّلم والسيال والسَّمُر، أو ثمر العضاه عامة، كذا في (القاموس)[١]، وفيه: والسمر بضم الميم شجر معروف واحدها سَمُرة.

ووقع في رواية: (إلا الحبل أو الحبلة) بفتح حاء وسكون باء في الأول وضمهما في الثاني، وهو ورق السمر وهو شك من الراوي، كذا في (مجمع البحار)[٢]، وفي (مختصر النهاية)[٣]: (إلا الحبلة) بالضم وسكون الباء: ثمر السمر، وقيل: سمر العضاه. والحبلة بفتح الحاء والباء، وقد تسكن: الأصل، والقضيب من شجر الأعناب، ومنه: لما خرج نوح [من السفينة] غرس الحبلة، قلت: عكس ابن الجوزي، وذكر أن سكون بائها أشهر من فتحها، انتهى.

وقال في (المشارق)[٤]: الحبلة بضم الحاء وسكون الباء، كذا هو، قال في كتاب

---

(١) «القاموس» (ص: ٨٨٣).

(٢) «مجمع بحار الأنوار» (١/ ٤٤٠).

(٣) «الدر النثير» (١/ ٢٠٧).

(٤) «مشارق الأنوار» (١/ ١٧٦).

وَإِنْ كَانَ أَحَدُنَا لَيَضَعُ كَمَا تَضَعُ الشَّاةُ، مَا لَـهُ خِلْطٌ، ثُمَّ أَصْبَحَتْ بَنُـو أَسَدٍ تُعَزِّرُنِي عَلَى الإِسْلاَمِ، . . . .

مسلم: (وهو السمر)، كذا [عند عامة الرواة، و] عند التميمي والطبري: (وهذا السمر)، وعند البخاري: (ورق السمر والحبلة)، وقال ابن الأعرابي: هـو ثمر شبه اللوبياء، وقيل: ثمر العضاه، وقيل: ثمر الطلح، والأول المعروف، انتهى.

وقوله: (**كما تضع الشـاة**) أي: يابساً صغيـراً كالبعر، و(**الخلط**) بالكسر: كل مـا خالـط الشيء، أي: لا يختلط بعضـه ببعض ليبسه، أو المراد لا يختلطـه بلغم أو نحوه.

وقوله: (**ثم أصبحت بنو أسد تعزرني على الإسلام**) أي: توقفني عليه، وقيل: توبخنـي على التقصير فيـه، والمراد بالإسلام الصلاة، أي: تؤدبني وتعلمني الصلاة والأحكام، وتعيرني بأنـي لا أحسنها، التعزير يطلق على الإعانة والتوقير والنصر مرة بعد مرة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾[المائدة: ١٢] أي: عظمتوهم ونصرتموهم، وقوله: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾[الفتح: ٩]، وأصله الرد والمنع، والناصر يمنـع عن المنصور أعداءه من أذاه، ومنـه التعزير للتأديب دون الحد، لأنـه يمنع عن معاودة الذنب فكأنه من الأضداد، وفي (القاموس)[1]: العَزْر: اللوم، والتعزير ضرب دون الحد، أو هـو أشد الضرب، والتفخيم، والتعظيم، ضدٌّ، والإعانـة، والتقوية، والنصر، والتوقيف على باب الدِّين والفرائض والأحكام.

وفي (الشفاء)[2]: أصبحت بنو أسد تعزرني على الإسلام، أي: توقفني عليه،

---

(١) «القاموس» (ص: ٣٩٦).

(٢) كذا في الأصل وهو خطأ، والصواب: «المشارق» (٢/ ٨٠).

لَقَـدْ خِبْتُ إِذاً وَضَلَّ عَمَلِي، وَكَانُـوا وَشَوْا بِـهِ إِلَى عُمَرَ وَقَالُوا: لاَ يُحْسِنُ يُصَلِّي. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٧٢٨، م: ٢٩٦٦].

٦١٢٩ ـ [٢٢] وَعَنْ سَعْدٍ قَالَ: رَأَيْتُنِي وَأَنَا ثَالِثُ الإِسْلاَمِ، . . . . . .

قال الهروي: التعزير في كلام العرب: التوقيف على الفرائض والأحكام، وقال الطبري: تقوِّمني وتعلمني، من تعزير السلطان وهو تأديبه وتقويمه، وقال الحربي: العزر اللوم، وقال أبو بكر: العزر المنع، وعزرته: منعته، وتعزير النبي ﷺ، قال الحربي وغيره: تنصروه وتردوا عنه أعداءه، وقال الزجاج: وأصل العزر في اللغة الرد، ونصرة الأنبياء: المدافعة والذب عنهم، وقال الطبري وغيره: معناه: تعظموه وتبجلوه، وتعزير المعاقبات منه لأنه يمنع عن المعاودة، يقال: عَزَرته وعزَّرته مخففاً ومثقلاً.

وقوله: (**لقد خبت إذاً وضلّ عملي**) أي: إذ لم أحسن الصلاة وأفتقر إلى تعليم بني أسد إياي مع سابقتي في الإسلام أكن خاسراً ضالاً.

وقوله: (**وكانوا وشوا به إلى عمر**) أي: نموا وسعوا إليه وعابوه في صلاته، وأصل الوشي: نقش الثوب وحسنه، ووشى كلامه: كذب فيه، وبه إلى السلطان وشياً ووشاية: نمَّ وسعى، والمراد ببني أسد بنو الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد، وقيل: أراد به عمر إذ هو من بني أسد، وهذا ينافي ما جاء في رواية في آخر هذا الحديث: أنه سأله عمر فبيَّن له حقيقة الحال فصدقه عمر وقال: وهذا ظني بك.

٦١٢٩ ـ [٢٢] (سعد) قوله: (**رأيتني**) في (البخاري) بزيادة: (لقد) أي: علمتني وأنا ثالث الإسلام بلفظ اسم الفاعل من الثلاث، هكذا في نسخ (المشكاة)، وفي رواية للبخاري: (وأنا ثلث الإسلام) بلفظ الكسر منه، وعلى التقديرين المراد أهل الإسلام، فإن قلت: إذا كان هو ثالثاً فمن الآخران؟ قيل: هما أبو بكر وخديجة، والصواب أن

وَمَا أَسْلَمَ أَحَدٌ إِلاَّ فِي الْيَوْمِ الَّذِي أَسْلَمْتُ فِيهِ، وَلَقَدْ مَكَثْتُ سَبْعَةَ أَيَّامٍ وَإِنِّي لَثُلُثُ الإِسْلاَمِ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٣٧٢٧].

٦١٣٠ ـ [٢٣] وَعَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ لِنِسَائِهِ: «إِنَّ أَمْرَكُنَّ مِمَّا يَهُمُّنِي مِنْ بَعْدِي، وَلَنْ يَصْبِرَ عَلَيْكُنَّ إِلاَّ الصَّابِرُونَ الصِّدِّيقُونَ» قَالَتْ عَائِشَةُ: . . . .

المراد ثالث الرجال من الرجال الأحرار، وقال في (الاستيعاب)[1]: هو سابع سبعة في الإسلام فهو أعم من الرجال، والمراد سبعة أشخاص، وما قال سعد إنما قال بحسب علمه، وإلا فقد أسلم قبله كثير كأبي بكر وعلي وزيد وغيرهم، كذا قالوا.

وقوله: (**وما أسلم أحد إلا في اليوم الذي أسلمت فيه**) أحد هنا شامل له ولغيره، أي: ما وجد الإسلام من أحد إلا في اليوم الذي أسلمت فيه فإنه وجد فيه مسلم، وهو أنا، وبقيت سبعة أيام على هذه الحال، يعني يوم أسلمت كنت ثالث من أسلم وبقيت على ما كنت عليه سبعة أيام، وبعد ذلك أسلم من أسلم، كذا فسره الطيبي[2].

وقوله: (**وإني لثلث الإسلام**) بضم المثلثة.

٦١٣٠ ـ [٢٣] (عائشة) قوله: (**مما يهمني**) صحّح بفتح الياء وضم الهاء، وبضم الياء وكسر الهاء، في (القاموس)[3]: همه الأمر هماً: حزنه كأهمه.

وقوله: (**ولن يصبر عليكن**) عدِّي بعلى لصعوبة هذا الأمر ووجود المشقة فيه.

---

(١) «الاستيعاب» (٢/ ٦٠٧).

(٢) «شرح الطيبي» (١١/ ٢٨١).

(٣) «القاموس» (ص: ١٠٥٦).

يَعْنِي الْمُتَصَدِّقِينَ، ثُمَّ قَالَتْ عَائِشَةُ لِأَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: سَقَى اللهُ أَبَاكَ مِنْ سَلْسَبِيلِ الْجَنَّةِ، وَكَانَ ابنُ عوفٍ قَدْ تَصَدَّقَ عَلَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِحَدِيقَةٍ بِيعَتْ بِأَرْبَعِينَ أَلْفاً. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٧٤٩].

٦١٣١ ـ [٢٤] وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ لِأَزْوَاجِهِ: «إِنَّ الَّذِي يَحْثُو عَلَيْكُنَّ بَعْدِي هُوَ الصَّادِقُ الْبَارُّ، اللهُمَّ اسْقِ[1] عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ مِنْ سَلْسَبِيلِ الْجَنَّةِ». رَوَاهُ أَحْمَدُ. [حم: ٦/ ١٠٤].

وقوله: (يعني المتصدقين) فسرت عائشة الصابرين الصديقين بالمتصدقين، وهم بعض أفرادهم، لأن الصبر والصدق في التصدق أتم وأكمل، ولأن همه ﷺ إنما كان لأجل نفقاتهن.

وقوله: (من سلسبيل الجنة) هو اسم عين في الجنة، وفي (القاموس)[2]: السلسبيل: الخمر، وعين الجنة، روي: (من سلسل الجنة) وهو الماء البارد، وقيل: السهل في الحلق، يقال: سلسلٌ وسَلسالٌ، ويروى: (من سلسبيل الجنة)، وقيل: هو الشراب البارد، وقيل: الخالص الصافي من القذاء والكدر، ويروى (من سلسال الجنة).

٦١٣١ ـ [٢٤] (أم سلمة) قوله: (يحثو عليكن) أي: يعطيكن بغَرْف أيديه، ويجود وينثر عليكن أموالاً، وفيه مبالغة في الإنفاق، والحثي كالرمي ما رفعت به يدك.

وقوله: (اللهم اسق عبد الرحمن بن عوف من سلسبيل الجنة) قيل: هذا من

---

(١) قال القاري (٩/ ٣٩٦٠): بِوَصْلِ الْهَمْزَةِ وَقَطْعِهَا.

(٢) «القاموس» (ص: ٩١٤).

٦١٣٢ ـ [٢٥] وَعَن حُذَيْفَة قَالَ: جَاءَ أَهْلُ نَجْرَانَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ ابْعَثْ إِلَيْنَا رَجُلاً أَمِيناً. فقَالَ: «لأَبْعَثَنَّ إِلَيْكُمْ رَجُلاً أَمِيناً حَقَّ أَمِينٍ»، فَاسْتَشْرَفَ لَهَا الناسُ قَالَ: فَبَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ. مُتَّفقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٤٣٨٠، م: ٢٤٢٠].

٦١٣٣ ـ [٢٦] وَعَنْ عَلِيٍّ قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ: مَنْ نُؤَمِّرُ بَعْدَكَ؟ قَالَ: «إِنْ تُؤَمِّرُوا أَبَا بَكْرٍ تَجِدُوهُ أَمِيناً زَاهِداً فِي الدُّنْيَا رَاغِباً فِي الآخِرَةِ، وَإِنْ تُؤَمِّرُوا عُمَرَ تَجِدُوهُ قَوِيًّا أَمِيناً لاَ يَخَافُ فِي اللهِ لَوْمَةَ لاَئِمٍ، ....

كلام النبي ﷺ لأنه عرف أنه يحثو عليهن، وفيه معجزة له ﷺ، والظاهر أنه من كلام أم سلمة، كما في حديث عائشة ﵂.

٦١٣٢ ـ [٢٥] (حذيفة) قوله: (أهل نجران) بالنون والجيم: موضع باليمن فتح سنة عشر، سمي بنجران بن زيدان بن سبأ، وموضع بحوران قرب دمشق، كذا في (القاموس)[١]، وفي (النهاية)[٢]: موضع بين الحجاز والشام واليمن، وأثواب نجرانية منسوبة إليه، ومنه: كفن في ثلاثة أثواب نجرانية، وقد يروى في الحديث: ثلاث أثواب بحرانية، بالباء والحاء المهملة منسوبة إلى البحرين.

وقوله: (فاستشرف لها) أي: للإمارة وطمعوا فيها.

٦١٣٣ ـ [٢٦] (علي) قوله: (من نؤمر) من التأمير بالنون، أي: نجعله أميراً علينا بعدك؟ فأجاب بأن ذلك مفوض إليكم، فهذا الحديث يدل على أنه ﷺ لم ينص

---

(١) «القاموس» (ص: ٤٣٢).

(٢) «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٥/ ٢١).

وَإِنْ تُؤَمِّرُوا عَلِيًّا ـ وَلاَ أَرَاكُمْ فَاعِلِينَ ـ تَجِدُوهُ هَادِياً مَهْدِيًّا يَأْخُذُ بِكُمُ الطَّرِيقَ الْمُسْتَقِيمَ». رَوَاهُ أَحْمَدُ. [حم: ١/ ١٠٨].

٦١٣٤ ـ [٢٧] وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «رَحِمَ اللهُ أَبَا بَكْرٍ زَوَّجَنِي ابْنَتَهُ، وَحَمَلَنِي إِلَى دَارِ الْهِجْرَةِ، وَصَحِبَنِي فِي الْغَارِ، وَأَعْتَقَ بِلاَلاً مِنْ مَالِهِ، رَحِمَ اللهُ عُمَرَ يَقُولُ الْحَقَّ وَإِنْ كَانَ مُرًّا، تَرَكَهُ الْحَقُّ وَمَا لَهُ مِنْ صَدِيقٍ، رَحِمَ اللهُ عُثْمَانَ تَسْتَحْيِي مِنْهُ الْمَلاَئِكَةُ، رَحِمَ اللهُ عَلِيًّا اللهُمَّ أَدِرِ الْحَقَّ مَعَهُ حَيْثُ دَارَ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. [ت: ٣٧١٤].



على خلافة أحد وفوض الأمر إليهم، وثبوت ذلك بالإجماع، ولم يذكر في الحديث عثمان، وقيل في قوله: (ولا أراكم فاعلين) أي: بعد عمر، إشارة إلى أنه المتقدم على علي ﷺ، وقيل: ذكره ﷺ ونسي الراوي، والله أعلم.

٦١٣٤ ـ [٢٧] (وعنه) قوله: (وحَمَلَني إلى دار الهجرة) فإنه باع ناقته منه ﷺ وقت الهجرة، وكان له ﷺ ناقتان، علفهما مدة أربعة أشهر وسمنهما ليوم الهجرة، فأتى بإحداهما رسول الله ﷺ ليقبلها هبة، فقال ﷺ: (إلا أن تبيع) فباعها منه بثمانية دراهم، واسمها على القول الصحيح: القصواء، وعلى قول: الجدعاء.

وقوله: (وأعتق بلالاً من ماله) امتن رسول الله ﷺ بإعتاق بلال لما كان يخدمه ويؤذن له، ولقوة إيمانه وحسن إسلامه، فكأنه نعمة واصلة إليه ﷺ، أو ذكره استطراداً لذكر ميراثه وإن لم يكن بالنسبة إليه ﷺ.

وقوله: (تركه الحق وما له من صديق) أي: صيَّره بهذه الصفة، فهو مفعول

١٠ ـ باب مناقب أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم (١)

ثـان، أو خلاّه والحـال كذلك، والمـراد من الصَّديق هنـا من كانت صداقته للمراعاة والمداهنة.

١٠ ـ باب مناقب أهل بيت النبي ﷺ و﵃

اعلم أنـه قد جاء أهل البيت بمعنـى من حَرُم الصدقـة عليهم وهم بنـو هاشم، فيشمل آل العباس وآل علي وآل جعفر وآل عقيـل وآل الحارث، فإن كل هؤلاء يحرم عليهم الصدقة، وقد جاء بمعنى أهله ﷺ شاملاً لأزواجه المطهرات، وإخراجُ نسائه ﷺ من أهل البيت مكابرة ومخالفٌ لسوق الآية الكريمة، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]؛ لأن الخطـاب معهن سياقاً وسباقاً، فإخراجهن مما وقع في البين يخرج الكلام عن الاتساق والانتظام.

قال الإمام فخر الدين الرازي: إنها شاملة لنسائه ﷺ؛ لأن سياق الآية ينادي على ذلك، فإخراجهن عن ذلك وتخصيصه بغيرهن غير صحيح، والوجه في تركه الخطاب في قوله: ﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ﴾ و﴿وَيُطَهِّرَكُمْ﴾ باعتبار لفظ الأهل أو لتغليب الرجال على النساء، ولو أنث الخطاب لكان مخصوصاً بهن، ولابد من القول بالتغليب على كل تقدير، وإلا لخرجت فاطمة سلام الله عليها وهـي داخلة في أهل البيت بالاتفاق، وقد دل بعض الأحاديث أيضاً على ذلك، روي عن زينب بنت أبي سلمة: أن رسول الله ﷺ كان عند أم سلمة، فجعل الحسن من شق والحسين من شق وفاطمة في حجره، فقال: رحمة الله وبركاتـه عليكم أهل البيت إنـه حميد مجيد، وكنت أنا وأم سلمة نائمتين،

(١) سقطت الترضية في نسخة.

. . . .

فبكت أم سلمة، فنظر إليها رسول الله ﷺ فقال: ما يبكيك؟ فقالت: خصصتهم وتركتني وابنتي، فقال: أنت وابنتك من أهل البيت، رواه ابن عساكر في (تاريخه).

وعن أم سلمة: أن رسول الله ﷺ كان عندها فجاءت الخادم، فقالت: علي وفاطمة بالسدة، فقال: تنحي لي عن أهل بيتي، فتنحيت في ناحية البيت، فدخل علي وفاطمة وحسن وحسين فوضعهما في حجره، وأخذ عليًا بإحدى يديه فضمه إليه، وأخذ فاطمة باليد الأخرى فضمها إليه وقبلها، وعطف عليهم خميصة سوداء، ثم قال: اللهم إليك لا إلى النار أنا وأهل بيتي! فناديته فقلت: وأنا يا رسول الله! قال: وأنت، رواه ابن أبي شيبة، وروى الطبراني نحوه، وهذا الحديث يحتمل الوجهين دخول أم سلمة رضي الله عنها في أهل البيت وخروجها عنهم بأن يكون المعنى: وأنت أيضاً إليه لا إلى النار، وإن لم تكن من أهل بيتي، إلا أن يُحْتَمَل المحتمل على النص، وهو الحديث السابق، وكذا الحديث الآخر عن أم سلمة: أن رسول الله ﷺ قال لفاطمة: (ائتيني بزوجك وابنيك)، فجاءت بهم، فألقى عليهم رسول الله ﷺ كساء كان تحتي خيبريًا أصبناه من خيبر، ثم رفع يديه فقال: (اللهم إن هؤلاء آل محمد، فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد كما جعلتها على آل إبراهيم إنك حميد مجيد)، فرفعت الكساء لأدخل معهم، فجذبه رسول الله ﷺ من يدي وقال: إنك على خير، رواه أبو يعلى وابن عساكر في (تاريخه)، وأخرج الترمذي نحوه، وزاد: وأنت على مكانك، فيحتمل أن يكون معناه: أنت على خير وعلى مكانك من كونك من أهل بيتي، ولا حاجة لك في الدخول تحت الكساء، كأنه منعها عن ذلك لمكان علي رضي الله عنه، وأن يكون المعنى: أنت على خير وإن لم تكوني من أهل بيتي.

. . . .

وقال في (فصل الخطاب) نقلاً عن الإمام فخر الدين: الأولى أن يقال: هم ـ يعني أهل البيت ـ أولاده وأزواجه ﷺ والحسن والحسين رضي الله عنهما منهم، وعلي أيضاً من أهل بيته بسبب معاشرته بنت النبي ﷺ وملازمته ﷺ.

وقد جاء إطلاق أهل البيت بحيث يفهم اختصاصه بفاطمة وعلي والحسن والحسين، وعن أنس: أن النبي ﷺ كان يمر ببيت فاطمة ستة أشهر إذا خرج إلى الفجر فيقول: (الصلاة يا أهل البيت، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[الأحزاب: ٣٣]) رواه الترمذي وابن أبي شيبة. وعن أم سلمة قالت: قال: (إن مسجدي هذا حرام على كل حائض من النساء وكل جنب من الرجال إلا على محمد وعلى أهل بيته علي وفاطمة والحسن والحسين)، رواه البيهقي وضعفه، ويأتي في الكتاب من حديث سعد بن أبي وقاص وعائشة ما يدل على ذلك.

وذكروا في التطبيق بين هذه الأقوال: أن البيت بيت النسب وبيت السكنى وبيت الولادة، فبنو هاشم وهم أولاد عبد المطلب أهل بيت النبي ﷺ نسباً، كما يقال لأولاد الجد القريب: بيت فلان، وأزواجه ﷺ أهل بيت السكنى، وإطلاق أهل البيت على هؤلاء أخص وأعرق بحسب العرف من الأول، وأولاده ﷺ أهل بيت الولادة، وقع شمول أهل البيت لكل هؤلاء، قد خص علي وفاطمة والحسن والحسين سلام الله عليهم أجمعين بمزيد الفضل والكرامة ووجوب المحبة وزيادة المودة، بل هم المفهومون بالتبادر من إطلاق أهل البيت.

وقد صح في فضائلهم ومناقبهم من الأحاديث والأخبار ما لا يعد ولا يحصى، وقد ورد في تفسير قوله سبحانه: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[الشورى: ٢٣]،

* الْفَصْلُ الأَوَّلُ:

٦١٣٥ ـ [١] عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَـذِهِ الآيَـةُ ﴿نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ﴾[آل عمران: ٦١]، دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَحَسَناً وَحُسَيْناً فَقَالَ: «اللهُمَّ هَؤُلاَءِ أَهْلُ بَيْتِي». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٤٠٤].

أنه سئل: يا رسول الله! من قرابتك هؤلاء الذين وجب علينا مودتهم؟ فقال ﷺ: (علي وفاطمة وابناهما)، وقال الإمام الرازي: وفيه نصيب عظيم للصحابة ﷺ؛ لأنه تعالى قال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾[الواقعة: ١٠ ـ ١١]، بل كل من أطاع الله سبحانه كان مقرباً عند الله، ودخل في قوله: ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾، فهذه الآية تدل على وجوب حب آل محمد وحب أصحابه، انتهى.

قلت: فعلى هـذا تخصيصه ﷺ بهؤلاء الأربعة لكمالهم في هذا المعنى ومزيد قربهم منه ﷺ وحبه إياهم، مع وجوه أخر ذكرت في تفسير الآية، والله أعلم.

والمؤلف ذكـر في هـذا الباب بعض بنـي هاشم، وذكر عليًّـا وفاطمة والحسن والحسين ﷺ وإبراهيم ابن رسول الله ﷺ من مارية، وذكر زيد بن حارثة وابنه أسامة بن زيـد، إما استطراداً لكمال محبته وعنايتـه ﷺ بهم، أو لإدخالهم في أهل البيت، ولم يذكر أزواجه المطهرات، وعقد لهن باباً على حدة، إما لاستبدادهم بمناقب وفضائل، أو لعدم إدخالهن في أهل البيت على ما هـو المتعارف من إطلاقه على الأربعة، والله أعلم.

الفصل الأول

٦١٣٥ ـ [١] (سعد بن أبي وقاص) قولـه: (لما نزلت هذه الآيـة ﴿نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ﴾) تسمى هذه الآيـة آيـة المباهلة، والبهل: اللعن، والبهلة بالضم والفتح:

٦١٣٦ ـ [٢] وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ غَدَاةً وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مُرَحَّلٌ مِنْ شَعْرٍ أَسْوَدَ، ....

اللعنة، بهله الله: لعنه وأبعده من رحمته، وأصله الترك من قولهم: أبهلت الناقة: إذا تركتها بلا صِرارٍ، وأصل الابتهال هذا، ثم استعمل في كل دعاء مجتهد فيه وإن لم يكن لعاناً، كذا في (الكشاف)[1]، والمباهلة: الملاعنة، وهو أن يجتمع القوم إذا اختلفوا في شيء فيقولوا: لعنة الله على الظالم منا، وقد أُمر رسول الله ﷺ بالمباهلة مع النصارى بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١]، فخرج رسول الله ﷺ محتضناً الحسين وآخذاً بيد الحسن، وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها، وهو يقول: «إذا دعوت فأمِّنوا»، فقال أسقفهم: يا معشر النصارى! إني لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله، فلا تباهلوا فتهلكوا، فأذعنوا وبذلوا الجزية، فقال رسول الله ﷺ: «لو تباهلوا لمسخوا قردة وخنازير، ولاضطرم عليهم الوادي ناراً، ولاستأصلهم حتى الطير على الشجرة»، كذا في (التفسير).

٦١٣٦ ـ [٢] (عائشة) قوله: **(مرط مرحل)** المرط بالكسر: كساء من صوف أو خز يؤتزر به، وربما تلقيه المرأة على رأسها، و(مرحل) بحاء مهملة في أكثر الروايات، وهو الذي نقش فيه من تصاوير الرحال، وقد يروى بجيم وهو ما عليه صورة المراجل، أي: القدور، والأول هو المشهور، وأما ما قيل: (المرجَّل) بالجيم: ما فيه صورة الرجال، فأبعدُ وأبعد، إلا أن يكون ذلك قبل تحريم التصاوير، والله أعلم.

وقوله: **(من شعر)** بسكون العين ويحرك: نبتة الجسم مما ليس بصوف ولا وبر،

(١) «الكشاف» (١/ ٣٦٨).

فَجَاءَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ جَاءَ الْحُسَيْنُ فَدَخَلَ مَعَهُ، ثُمَّ جَاءَتْ فَاطِمَةُ فَأَدْخَلَهَا، ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ قَالَ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٤٢٤].

٦١٣٧ ـ [٣] وَعَنِ الْبَرَاءِ قَالَ: لَمَّا تُوُفِّيَ إِبْرَاهِيمُ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ لَهُ مُرْضِعاً فِي الْجَنَّة». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ١٣٨٢].

و(الرجس) القذر، واستعير للإثم.

٦١٣٧ ـ [٣] (البراء) قوله: (إن له مرضعاً في الجنة) روي بفتح الميم مصدراً أي: رضاعاً، وبضمها، أي: من يرضعه، وكان قد توفي قبل أن يتم رضاعه، ويؤول إتمام الرضاع بإتمام الله تعالى له من لذات الجنة ونعيمها ورَوحها ما يقع منه موقع الرضاع، والله أعلم.

ويرجح رواية المصدر بأنه يدل على وجود الرضاع له بالفعل دون المرضع، فإن قلت: المرضع اسم فاعل من الإرضاع، فيدل على وجود الرضاع لا محالة، فما الفرق؟ قلنا: الفرق أن المرضع بدون التاء بمعنى التي من شأنها الإرضاع، وإن لم تُرضع بالفعل، ولم تلقم ثديها في فم الصبي، والتي تُرضع بالفعل وتلقم ثديها في فيه إنما هي المرضعة بالتاء، وهذا كالحائض والحائضة، فإن الأولى اسم من كان في سن الحيض، وإن لم تحض وترى الدم، والثانية من حاضت بالفعل ورأت الدم، ويقال للأول بمعنى الدوام وللثاني بمعنى الحدوث، وبهذا وجَّه صاحب (الكشاف)[1] قوله

---

(١) «الكشاف» (٣/ ١٤٢).

٦١٣٨ ـ [٤] وَعَنْ عَائِشَةَ: قَالَتْ: كُنَّا ـ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ ـ عِنْدَهُ، فَأَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ مَا تَخْفَى مِشْيَتُهَا مِنْ مِشْيَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا رَآهَا قَالَ: «مَرْحَباً بِابْنَتِي» ثُمَّ أَجْلَسَهَا، ثُمَّ سَارَّهَا فَبَكَتْ بُكَاءً شَدِيداً، فَلَمَّا رَأَى حُزْنَهَا سَارَّهَا الثَّانِيَةَ فَإِذَا هِيَ تَضْحَكُ، فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَأَلْتُهَا عَمَّا سَارَّكِ؟ قَالَتْ: مَا كُنْتُ لأُفْشِيَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ سِرَّهُ، . . . .

تعالى: ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾[الحج: ٢]، وقال: إنما تدل على أن هول زلزلة الساعة إذا فجأ يكون بحيث إذا ألقمت المرضعة ثديها نزعته عن فيه لما يلحقها من الدهشة، نعم لو كانت الرواية: إن له مرضعة، بالتاء، لكانت الروايتان موافقتين، لكن الرواية بدون التاء، كذا قالوا.

٦١٣٨ ـ [٤] (عائشة) قوله: (**كنا أزواج النبي**) بالنصب على المدح بتقدير أعني.

وقوله: (**ما تخفى مشيتها**) بكسر الميم للهيئة، أي: ما تمتاز هيئة مشيتها من مشية الرسول ﷺ، وقد كانت ﵂ مشابهة به ﷺ في المشي والسَّمْت، وجاء في الروايات: أنها كانت لما أتت النبي ﷺ قام لها وأقبل إليها ـ وفي رواية: وقبلها ـ ولما أتاها رسول الله ﷺ قامت له وأقبلت إليه، أو كما جاء.

وقوله: (**ثم سارّها**) بتشديد الراء، أي: كلمها سرًّا.

وقوله: (**عما سارّك؟**) ما استفهامية.

وقولها: (**ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ**) فيه استحباب كتمان أسرار الكبراء والأحباء من الأغيار، وهذا المستند في كتمان المريدين في أسرار مشايخهم، وأما بعد ذهابهم من الدنيا فقد يفشى تأثماً عن كتمان العلم، ولهذا قالت ﵂: (أما الآن فنعم).

فَلَمَّا تُوُفِّيَ قُلْتُ: عَزَمْتُ عَلَيْكِ بِمَا لِيَ عَلَيْكِ مِنَ الْحَقِّ لَمَّا أَخْبَرْتِينِي[1]. قَالَتْ: أَمَّا الآنَ فَنَعَمْ، أَمَّا حِينَ سَارَّنِي فِي الأَمْرِ الأَوَّلِ فَإِنَّهُ أَخْبَرَنِي: «أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُهُ بِالْقُرْآنِ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً، وَإِنَّهُ عَارَضَنِي بِهِ الْعَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلاَ أُرَى الأَجَلَ إِلاَّ قَدِ اقْتَرَبَ، فَاتَّقِي اللهَ وَاصْبِرِي، فَإِنِّي نِعْمَ السَّلَفُ أَنَا لَكِ» فَلَمَّا رَأَى جَزَعِي سَارَّنِي الثَّانِيَةَ قَالَ: «يَا فَاطِمَةُ، ....

و(**عزمت عليك**) أي: أقسمتُ، في (القاموس)[2]: عزم على الرجل: أقسم.

وقوله: (**لما أخبرتني**) لما بمعنى إلا، أي: لا أطلب منك إلا إخبارك، ولما يجيء بمعنى إلا، يقال: سألتك لما فعلت، ومنه قوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: ٤]، ﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس: ٣٢]، كذا قال صاحب (القاموس)[3]، وقال: وإنكار الجوهري كونه بمعنى إلا غير جيد، انتهى.

وقال الجوهري[4]: قول من قال: لما بمعنى إلا فليس يعرف في اللغة.

وقوله: (**يعارض القرآن**) من المعارضة بمعنى المقابلة، يقال: عارض الكتاب: قابله، والمراد ههنا المدارسة وقراءة كل واحد منهما مع الآخر.

و(**لا أرى**) بضم الهمزة، أي: لا أظن، و(**الأجل إلا قد اقترب**) لأن معارضة القرآن مرتين يشعر بالوصية على حفظه وحفظ أحكامه حتى يكمل أمر الدين ويتم.

وقوله: (**فإني نعم السلف أنا لك**) الجملة الإنشائية خبر (إني) بتأويل القول.

(١) كذا في النسخة الهندية بإشباع التاء، وفي نسخة بدونها.

(٢) «القاموس» (ص: ١٠٢٥).

(٣) المصدر السابق (ص: ١٠٤٥).

(٤) «الصحاح» (٥/ ٢٠٣٣).

أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَوْ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ؟». وَفِي رِوَايَةٍ: فَسَارَّنِي فَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ يُقْبَضُ فِي وَجَعِهِ، فَبَكَيْتُ، ثُمَّ سَارَّنِي فَأَخْبَرَنِي أَنِّي أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِهِ أَتْبَعُهُ فَضَحِكْتُ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٦٢٨٥، م: ٢٤٥٠].

٦١٣٩ ـ [٥] وَعَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي، فَمَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي». وَفِي رِوَايَةٍ: «يُرِيبُنِي مَا أَرَابَهَا، وَيُؤْذِينِي مَا آذَاهَا». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٥٢٣٠، م: ٢٤٤٩].

وقوله: (**أتبعه**) بالتخفيف من التبع، وفي بعض النسخ بالتشديد من الاتباع.

٦١٣٩ ـ [٥] (**المسور بن مخرمة**) قوله: (**بضعة مني**) بفتح الباء وسكون الضاد: القطعة، وقد يضم ويكسر، والفتح هو المشهور، وقد مر ذكره في أول الكتاب في حديث (الإيمان بضع وسبعون شعبة).

قوله: (**يريبني ما أرابها**) أي: يسوءني ما أساءها، وأصل الريب الشك، وقيل: الشك مع التهمة، يقال: رابني الشيء وأرابني بمعنى شككني.

وقوله: (**ويؤذيني ما آذاها**) وأول حديث المسور بن مخرمة: قال رسول الله ﷺ: (إن بني هشام بن المغيرة استأذنوني أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب، فلا آذن ثم لا آذن، إلا أن يريد ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم، إنما هي بضعة مني)، الحديث، رواه أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه[1]، ولهذا الحديث طرق كثيرة بألفاظ مختلفة، وفي رواية: (فاطمة بضعة مني، يقبضني ما يقبضها،

---

(١) «مسند أحمد» (١٨٩٢٦)، و«صحيح البخاري» (٥٢٣٠)، و«صحيح مسلم» (٢٤٤٩)، و«سنن أبي داود» (٢٠٧١)، و«سنن الترمذي» (٣٨٦٧)، و«سنن ابن ماجه» (١٩٩٨).

٦١٤٠ ـ [٦] وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْماً فِينَا خَطِيباً بِمَاءٍ يُدْعَى: خُمًّا، بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ. . . .

ويبسطني ما يبسطها، وإن الأنساب يوم القيامة تنقطع غير نسبي وسببي وصهري).

وعن سويد بن غفلة قال: خطب علي ابنة أبي جهل إلى عمها الحارث بن هشام، فاستشار النبي ﷺ، فقال: (أعن حسبها تسألني؟) قال علي: قد أعلم ما حسبها ولكن أتأمرني بها؟ فقال: (لا، فاطمة مضغة مني، ولا أحسب إلا وأنها تحزن أو تجزع)، فقال علي: لا آتي شيئاً تكرهه، رواه أبو يعلى[١]، وروى عبد الرزاق[٢] عن الشعبي نحوه. وفي رواية له عن أبي جعفر قال: خطب علي ابنة أبي جهل، فقام النبي ﷺ على المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: (إن عليًّا خطب العوراء ابنة أبي جهل، ولم يكن ذلك له أن تجتمع بنت رسول الله ﷺ وبنت عدو الله، وإنما فاطمة بضعة مني).

وروي نحوه عن ابن أبي مليكة، وفيه: أن فاطمة قالت لأبيها: يزعم الناس أنك لا تغضب لبناتك، وهذا أبو الحسن قد خطب ابنة أبي جهل، فقام النبي ﷺ خطيباً، وذكر أبا العاص بن الربيع، فأثنى عليه في صهره، ثم قال: (إنما فاطمة بضعة مني، وإني أخشى أن يفتنوها، والله لا تجتمع بنت رسول الله ﷺ وبنت عدو الله تحت رجل)، وفيه: تحريم إيذاء النبي ﷺ وإن كان مما أصله مباح، وكمال محبته لفاطمة وشفقته على علي رضي الله عنهما.

٦١٤٠ ـ [٦] **(زيد بن أرقم)** قوله: **(بماء يدعى خُمًّا)** الخم اسم موضع فيه

---

(١) لم أجده في «مسند أبي يعلى» ولا في «معجمه»، وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤٧٤٩).

(٢) «مصنف عبد الرزاق» (١٣٢٦٨، ١٣٢٦٧، ١٣٢٦٩).

وَوَعَظَ وَذَكَّرَ، ثُمَّ قَالَ: «أمَّا بعدُ ألا أيُّها النَّاس! إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَنِي رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ». فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللهِ وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي»، وَفِي رِوَايَةٍ: «كِتَابُ اللهِ هُوَ حَبْلُ اللهِ، مَنِ اتَّبَعَهُ كَانَ عَلَى الْهُدَى، وَمَنْ تَرَكَهُ كَانَ عَلَى الضَّلَالَةِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٤٠٨].

ماء يسمى غدير خم، كما سبق، وقد يسمى الماء أيضاً خُمًّا.

وقوله: (**وذكر**) بالتشديد من التذكير، والمراد بـ (**رسول ربي**) ملك الموت.

وقوله: (**وإني تارك فيكم الثقلين**) الثقل بكسر المثلثة وفتح القاف ضد الخفة، والثقل بالضم وبفتحتين: متاع المسافر وحشمه، وكل شيء نفيس مصون، ومنه الحديث: (إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي)، كذا في (القاموس)[1]، وقيل: سميا بهما لأن الأخذ بهما والعمل بهما ثقيل، ويقال للجن والإنس: الثقلان؛ لأنهما يسكنان الأرض وتعمر بهما، فكأنهما بالثقلين، وقيل: وجه تسمية الجن والإنس بالثقلين أيضاً باعتبار نفاستهما وقدرهما لفضل تميزهما على سائر الحيوان، فتدبر.

وقوله: (**أذكركم**) من التذكير، أي: أحذركم في شأنهم بأن تحفظوا حقوقهم ولا تؤذوهم.

وقوله: (**كتاب الله هو حبل الله**)، وفي رواية: (كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض)، قيل: أي: نور ممدود، أي: نورُ هُداه، ويشبهون النور بالحبل والخيط،

---

(١) «القاموس» (ص: ٨٧٥).

٦١٤١ ـ [٧] وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا سَلَّمَ عَلَى ابْنِ جَعْفَرٍ قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ ذِي الْجَنَاحَيْنِ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٣٧٠٩].

٦١٤٢ ـ [٨] وَعَنِ الْبَرَاءِ قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَى عَاتِقِهِ يَقُولُ: «اللهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٧٤٩، م: ٢٤٢٢].

نحو ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ﴾[البقرة: ١٨٧] يعني: نورَ الصبح من ظلمة الليل، وسياق الحديث ظاهر في هذا المعنى، وقيل: عهده وأمانه الذي يؤمن من العذاب، والحبل العهد والمثياق، وفي الحديث: (بيننا وبين القوم حبال) أي: عهود ومواثيق، وقيل: أي: وصلة لمزيد الترقي إلى معارج القدس، وفيه تلويح إلى معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾[الأعراف: ١٧٦].

٦١٤١ ـ [٧] (ابن عمر) قوله: (**يا ابن ذي الجناحين**) لقَّبه بهذا اللقب لأنه ﷺ لما استشهد بغزوة موتة رآه ﷺ له جناحان يطير بهما مع الملائكة، وقد ورد بطرق متعددة: (رأيت جعفراً في الجنة يطير في الملائكة)، وفي حديث: قال لعبدالله بن جعفر: (هنيئاً لك أبوك يطير مع الملائكة في السماء).

٦١٤٢ ـ [٨] (البراء) قوله: (**على عاتقه**) العاتق هو من المنكب إلى أصل العنق، هذا قول أبي عبيدة، وقال الأصمعي: هو موضع الرداء من الجانبين، كذا في (المشارق)[١]، وأقول: العاتق هو يثنى ويجمع، أما التثنية فظاهر، وأما الجمع فلعله بإرادة ما فوق الواحد أو لتعدد أجزائهما.

---

(١) «مشارق الأنوار» (٢/ ٤٩).

٦١٤٣ ـ [٩] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي طَائِفَةٍ مِنَ النَّهَارِ حَتَّى أَتَى خِبَاءَ فَاطِمَةَ فَقَالَ: «أَثَمَّ لُكَعُ؟ أَثَمَّ لُكَعُ؟» يَعْنِي حَسَناً، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ جَاءَ يَسْعَى حَتَّى اعْتَنَقَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ وَأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّهُ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.
[خ: ٢١٢٢، م: ٢٤٢١].

٦١٤٤ ـ [١٠] وَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ إِلَى جَنْبِهِ وَهُوَ يُقْبِلُ عَلَى النَّاسِ مَرَّةً وَعَلَيْهِ أُخْرَى وَيَقُولُ: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٢٧٠٤].

٦١٤٣ ـ [٩] (أبو هريرة) قوله: (خباء فاطمة) أراد به البيت، وفي بعض النسخ: (خباب فاطمة)، والظاهر أنه تصحيف وتغيير.

وقوله: (أثم لكع؟) الهمزة للاستفهام و(ثم) بفتح المثلثة اسم إشارة للمكان، كما في قولهم: ومِن ثَم، و(اللُّكَعُ) على وزن صرد يجيء لمعان منها الصغير، وهو المراد هنا.

٦١٤٤ ـ [١٠] (أبو بكرة) قوله: (إن ابني هذا سيد) السيد الذي يفوق قومه في الخير، وقيل: السيد من لا يغلبه غضبه، وقيل: (سيد) أي: حكيم، والسيد يطلق على الرب والمالك والشريف والفاضل والكريم والحليم، ومتحمل أذى قومه، والزوج والرئيس والمقدم.

وقوله: (ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين) إخبار عن تفرق المسلمين فرقتين، فرقة مع الحسن وفرقة مع معاوية، وكان الحسن رضي الله عنه أحق

٦١٤٥ ـ [١١] وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِـي نُعْمٍ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَاللهِ بْنَ عُمَرَ وَسَأَلَهُ رَجُلٌ عَنِ الْمُحْرِمِ ـ قَالَ شُعْبَةُ: أَحْسَبُهُ: يَقْتُلُ الذُّبَابَ ـ قَـالَ: أَهْلُ الْعِرَاقِ يَسْأَلُونِي عَنِ الذُّبَابِ وَقَدْ قَتَلُوا ابْنَ بِنْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ! وَقَـالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هُمَا رَيْحَانَيَّ مِنَ الدُّنْيَا». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٣٧٥٣].

بذلك، وقد بقي ستة أشهر من ثلاثين سنة التي بها يتم ما أخبر النبي ﷺ بقوله: (الخلافة بعدي ثلاثون سنة)، فدعاه شفقته ﷺ على أمة جده إلى ترك المُلك رغبة فيما عند الله، وروي عنه أنه قال: ما أحببت أن لي أمر أمة محمد على أن يهراق في ذلك محجمة دم، ودل الحديث أن كلا الفريقين كانا على ملة الإسلام مع كون إحداهما مصيبة والأخرى مخطئة، وصلح الحسن مع معاوية دليل على صحة إمارته.

٦١٤٥ ـ [١١] قولـه: (**وعن عبد الرحمن بن أبـي نعم**) بضـم النـون وسكون المهملة.

وقوله: (**سمعت عبدالله بن عمر**) مفعوله (**قال**) في قوله: (قال أهل العراق).

وقوله: (**أهل العراق يسألوني**) مبتدأ أو خبر مقول (قال).

وقوله: (**وسأله رجل**) حال من ضمير (قال)، والرجل من قوم قتلوا سيدنا الإمام الحسين سلام الله عليه وعلى آبائه الكرام.

وقوله: (**أحسبه: يقتل الذباب**) تفسير لسؤال الرجل، أي: أحسب الرجل سأله ما حكم قتل المحرم الذباب: هل يبطل إحرامه، وهل يلزمه جزاء؟.

وقوله: (**هما ريحاني**) بلفظ التثنية مضاف إلى ياء المتكلم بإبدال الألف ياء على الشذوذ، أو النصـب على المدح، وروي: (ريحانتاي) و(ريحاناي) و(ريحاني) أي: كل واحد، والريحان يطلق على الرزق والرحمة والراحة، ويطلق على الولد، وورد في

٦١٤٦ ـ [١٢] وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَشْبَهَ بِالنَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، وَقَالَ فِي الْحَسَنِ أَيْضاً: كَانَ أَشْبَهَهُمْ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٣٧٥٢].

٦١٤٧ ـ [١٣] وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: ضَمَّنِي النَّبِيُّ ﷺ إِلَى صَدْرِهِ فَقَالَ: «اللهُمَّ عَلِّمْهُ الْحِكْمَةَ». وَفِي رِوَايَةٍ: «عَلِّمْهُ الْكِتَابَ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٣٧٥٦].

٦١٤٨ ـ [١٤] وَعَنْهُ قَالَ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ الْخَلَاءَ فَوَضَعْتُ لَهُ وَضُوءاً، فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ: «مَنْ وَضَعَ هَذَا؟». . . . .

شأن أولادهم: (مبخلة مجبنة مجهلة، وإنهم لمن ريحان الله)، أي: مع كونهم مظنة أن يحملوا الآباء على البخل والجبن عن الغزو، من ريحان الله، أي: رزقه وعطائه ورحمته، ويجوز أن يطلق بمعنى الريحان المشموم أيضاً، وهو كل نبت مشموم طيب الرائحة لأن الأولاد يشمُّون ويقبَّلون.

٦١٤٦ ـ [١٢] (أنس) قوله: (**وقال في الحسن أيضاً: كان أشبههم**) لا شك أن في إثبات الأشبهية لكل من الإمامين منافاة، إلا أن يراد في الإمام الأول الحقيقي، وفي الثاني الإضافي، أو يخص كل واحد منهما عن الناس، فافهم. وتحقيق التطبيق بينهما بما يأتي في (الفصل الثاني) من حديث علي قال: الحسن أشبه ما بين الصدر إلى الرأس، والحسين ما كان أسفل من ذلك.

٦١٤٧ ـ [١٣] (ابن عباس) قوله: (**اللهم علمه الحكمة**) المراد معرفة حقائق الأشياء والعمل بما ينبغي، وهو المذكور في كتاب الله تعالى.

٦١٤٨ ـ [١٤] (وعنه) قوله: (**دخل الخلاء فوضعت له وضوءاً**) بفتح الواو

فَأُخْبِرَ فَقَالَ: «اللهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ١٤٣، م: ٢٤٧٧].

٦١٤٩ ـ [١٥] وَعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَأْخُذُهُ وَالْحَسَنَ فَيَقُولُ: «اللهُمَّ أَحِبَّهُمَا فَإِنِّي أُحِبُّهُمَا».

وَفِي رِوَايَةٍ: قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَأْخُذُنِي فَيُقْعِدُنِي عَلَى فَخِذِهِ، وَيُقْعِدُ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ عَلَى فَخِذِهِ الأُخْرَى، ثُمَّ يَضُمُّهُمَا، ثُمَّ يَقُولُ: «اللهُمَّ ارْحَمْهُمَا فَإِنِّي أَرْحَمُهُمَا». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٣٧٣٥].

٦١٥٠ ـ [١٦] وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عُمَرَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَ بَعْثاً وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، . . . .

وكان ذلك في ليلة بات في بيت ميمونة خالته ﵂، وتمام الحديث مذكور في (باب قيام الليل)، وكان ابن عباس في حضرته ﷺ، لكنه لما لم يخاطبه، وسأل مَن عنده مِن أهله، أتى بضمير الغائب، فجعلُ الطيبي إياه من الدعاء بظهر الغيب محلُّ نظر، والمراد بالفقه هنا: معرفة النفس ما لها وما عليها، وفي الحديث حصول الفيض والنعمة من خدمة الأكابر ورضائهم ودعائهم.

٦١٤٩ ـ [١٥] **(أسامة بن زيد)** قوله: **(ثم يضمهما)** قال الطيبي[1]: الضمير للحسن وأسامة، ففيه التفات من التكلم إلى الغيبة، ويجوز أن يجعل للفخذين، فافهم.

وقوله: **(أرحمهما)** أي: أحبهما، والرحمة لازمة للمحبة.

٦١٥٠ ـ [١٦] **(عبدالله بن عمر)** قوله: **(بعث بعثاً وأمر عليهم أسامة)** من التأمير،

---

(١) «شرح الطيبي» (١١/ ٢٩٥).

فَطَعَنَ بَعْضُ النَّاسِ فِي إِمَارَتِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنْ كُنْتُمْ تَطْعَنُونَ فِي إِمَارَتِهِ فَقَدْ كُنْتُمْ تَطْعَنُونَ فِي إِمَارَةِ أَبِـيهِ مِنْ قَبْلُ، ....

أي: جعله أميراً، بعثه إلى أُبنى بضم الهمزة وسكون الموحدة في آخره ألف: ناحية بالبلقاء لغزوة الروم مكان قُتِلَ أبـوه زيد، وكان آخر سرية جهزها النبـي ﷺ، وعقد لأسامة ﷺ لواء بيده، وعسكر بالجرف، فحم وصدع رسول الله ﷺ، ولم يبق أحد من وجوه المهاجرين والأنصار إلا انتدب [في تلك الغزوة] فيهم أبو بكر وعمر ﷺ، فتكلم قوم وقالوا: يستعمل هذا الغلام على المهاجرين، فخرج ﷺ وقد عصب رأسه فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: (أما بعد: أيها الناس)، الحديث، فغلبه الوجع، وتوفي ﷺ، فلم يتم الأمر.

وقوله: **(فطعن)** كمنع في العرض والنسب، وبالضم بالرمح واليد، وقيل: هما لغتان، كذا قال الشيخ[١]، وفي (القاموس)[٢]: طعنه بالرمح كمنعه ونصره طعناً: ضربه ووخزه، فهو مطعون وطعين، و[الجمع] طُعْن بالضم، وفيه بالقول [طَعْناً وطَعَناناً].

وقولـه: **(في إمارة أبيـه)** يريد إمارة زيد بن حارثة في غزوة موتة، وفيهم خيار الصحابـة منهم جعفر بن أبي طالب ﷺ، وعند النسائي عن عائشـة [قالت:] ما بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثـة في جيش قط إلا أمَّره عليهم، رواه النسائي، وفيه جواز إمارة المـولى، وتوليـة الصغـار على الكبـار، والمفضـول على الفاضـل، كـذا قـال الشيخ[٣].

(١) انظر: «فتح الباري» (٧/ ٨٧).
(٢) «القاموس» (ص: ١٠٩٣).
(٣) انظر: «فتح الباري» (٧/ ٨٧).

وَأَيْمُ اللهِ إِنْ كَانَ لَخَلِيقاً لِلإِمَارَةِ، وَإِنْ كَانَ لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَإِنَّ هَذَا لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَهُ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٧٣٠، م: ٢٤٢٦].

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ نَحْوُهُ وَفِي آخِره: «أُوصِيكُمْ بِهِ فَإِنَّهُ مِنْ صَالِحِيكُمْ».

٦١٥١ - [١٧] وَعَنْهُ قَالَ: إِنَّ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا كُنَّا نَدْعُوهُ إِلاَّ زَيْدَ بْنَ مُحَمَّدٍ حَتَّى نزل الْقُرْآن: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٥]. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٤٧٨٢، م: ٢٤٢٥].

وَذُكِرَ حَدِيثُ الْبَرَاءِ قَالَ لعليّ: «أَنْتَ مِنِّي» فِي «بَابِ بُلُوغِ الصَّغِيرِ وَحَضَانَتِهِ».

وقوله: (وإن كان) أي: أبوه زيد، والطعن في إمارة الموالي كان من عادة الجاهلية، فلما جاء الله بالإسلام، ورفع قدر من لم يكن له عندهم قدر بالإيمان والهجرة والعلم، ارتفعت الجاهلية وعاداتها، وقد أشار ﷺ إلى فضله بقوله: (وإن كان لمن أحب الناس إليّ) وأيّ فضيلة بعد ثبوت محبته ﷺ، خصوصاً الأحبية.

وقوله: (أوصيكم به فإنه من صالحيكم) وفي رواية: (فاستوصوا به خيراً، فإنه من خياركم).

٦١٥١ - [١٧] (وعنه) قوله: (إلا زيد بن محمد) لأنه قد تبناه، وكانت العرب تَتَبنى مواليهم ويوارثونهم، فلما نزل القرآن ارتفع ذلك.

* الْفَصْلُ الثَّانِي:

٦١٥٢ ـ [١٨] عَنْ جَابِرٍ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي حِجَّتِهِ يَوْمَ عَرَفَةَ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ الْقَصْوَاءِ يَخْطُبُ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا: كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٧٨٦].

٦١٥٣ ـ [١٩] وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي، أَحَدُهُمَا أَعْظَمُ مِنَ الآخَرِ: كِتَابُ اللهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ، ....

الفصل الثاني

٦١٥٢ ـ [١٨] (جابر) قوله: (كتاب الله) بالنصب بدل من (ما)، (وعترتي) عطف عليه، و(أهل بيتي) بيان لـ (عترتي)، عترة الرجل: نسله ورهطه وعشيرته الأدنون ممن مضى وغبر، وبيّنه ﷺ بـ (أهل بيتي) تشريفاً وتكريماً لهم بكونهم أهل بيته ومخالطين ومقتبسين من أنواره فائزين بأسراره، والظاهر أن المراد بأهل البيت ههنا أخص من أولاد الجد القريب وهم بنو هاشم بل أولاده وذريته، والعترة أعم من ذلك، فافهم.

٦١٥٣ ـ [١٩] (زيد بن أرقم) قوله: (كتاب الله حبل ممدود) صحّح (كتاب) هنا بالنصب والرفع، والظاهر أن في الحديث السابق أيضاً يكون كذلك لكنه لم يجعل في النسخ.

وقوله: (حبل ممدود من السماء إلى الأرض) قد عرف معناه في (الفصل الأول)، وإنما كان القرآن أعظم لأنه أسوة للعترة، وهم متمسكون به ومقتدون به، وهو صفة الله تعالى.

وَعِتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ، فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونِي فِيهِمَا». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٧٨٨].

٦١٥٤ ـ [٢٠] وَعَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لِعَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ: «أَنَا حَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَهُمْ، وَسِلْمٌ لِمَنْ سَالَمَهُمْ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٨٧٠].

٦١٥٥ ـ [٢١] وَعَنْ جُمَيْعِ بْنِ عُمَيْرٍ قَالَ: دَخَلْتُ مَعَ عَمَّتِي عَلَى عَائِشَةَ فَسَأَلْتُ: أَيُّ النَّاسِ كَانَ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَتْ: فَاطِمَةُ. فَقِيلَ: مِنَ الرِّجَالِ؟ قَالَتْ: زَوْجُهَا. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٨٧٤].

وقوله: (ولن يتفرقا) أي: يفارقاني في مواطن القيامة ومشاهدها (حتى يردا عليّ) بتشديد الياء، و(الحوض) منصوب مفعول (يردا)، يعني: فيشكرانكم صنيعكم عندي.

وقوله: (فانظروا) أي: تأملوا وتفكروا كيف تكونوا خلفاً لي بعدي عاملين متمسكين بهما.

٦١٥٤ ـ [٢٠] (وعنه) قوله: (أنا حرب) أي: محارب، و(السلم) بالكسر والفتح: الصلح.

٦١٥٥ ـ [٢١] (جميع بن عمير) قوله: (وعن جميع بن عمير) كلاهما على لفظ التصغير.

وقوله: (قالت: زوجها) انظر إلى إنصاف الصديقة وصدقها على زعم من يزعم من الزائغين خلاف ذلك، ولقد استحيت أن تذكر نفسها وأباها، ولا يبعد أن لو سئلت فاطمة عن ذلك لقالت: عائشة وأبوها، وقد ورد كذلك في رواية عن غير فاطمة ﵂،

٦١٥٦ - [٢٢] وَعَنْ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ رَبِيعَةَ: أَنَّ الْعَبَّاسَ دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مُغْضَباً وَأَنَا عِنْدَهُ فَقَالَ: «مَا أَغْضَبَكَ؟» قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَا لَنَا وَلِقُرَيْشٍ إِذَا تَلاَقَوْا بَيْنَهُمْ تَلاَقَوْا بِوُجُوهٍ مُبْشَرَةٍ، وَإِذَا لَقُونَا لَقُونَا بِغَيْرِ ذَلِكَ؟ فَغَضِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى احْمَرَّ وَجْهُهُ ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يَدْخُلُ قَلْبَ رَجُلٍ الإِيمَانُ حَتَّى يُحِبَّكُمْ للهِ وَلِرَسُولِهِ»، ثم قَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ آذَى عَمِّي فَقَدْ آذَانِي، فَإِنَّمَا عَمُّ الرَّجُلِ صِنْوُ أَبِيهِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. وَفِي «الْمَصَابِيحِ» عَنِ الْمُطَّلِبِ. [ت: ٣٧٨٥].

ومن هنا يعلم أن الوجوه مختلفة والحيثيات متعددة، وبهذا تنحلُّ الشبهات ويخلص عن الورطات.

٦١٥٦ - [٢٢] (عبد المطلب) قوله: (وعن عبد المطلب بن ربيعة) اعلم أن ربيعة بن الحارث ابن عم رسول الله ﷺ، والحارث عمه، ولربيعة صحبة، وله ابن يقال له: المطلب بن ربيعة، ويقال: عبد المطلب بن ربيعة، وهو الأكثر، وله أيضاً صحبة.

وقوله: (مغضباً) بفتح الضاد، أغضبه فلان: حمله على الغضب.

وقوله: (بوجوه مبشرة) بضم الميم وسكون الباء وفتح الشين المعجمة، أي: عليها البشر - بالكسر - وهو الطلاقة، وروي (مسفرة) ببناء اسم الفاعل من الإسفار، أي: مضيئة مشرقة. و(الصنو) بكسر الصاد وبضم وسكون النون، أي: مثله، والنخلتان فما زاد في الأصل الواحد، كل منهما صنو، أو عامٌّ في جميع الأشجار، وهما صنوان وصنيان مُثَلَّثان، كذا في (القاموس)[1].

---

(١) «القاموس» (ص: ١١٧٣).

٦١٥٧ ـ [٢٣] وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْعَبَّاسُ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٧٥٩].

٦١٥٨ ـ [٢٤] وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلْعَبَّاسِ: «إِذَا كَانَ غَدَاةَ الاِثْنَيْنِ فَأْتِنِي أَنْتَ وَوَلَدُكَ حَتَّى أَدْعُوَ لَكُمْ بِدَعْوَةٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهَا وَوَلَدَكَ» فَغَدَا وَغَدَوْنَا مَعَهُ وَأَلْبَسَنَا كِسَاءَهُ، ثُمَّ قَالَ: «اللهُمَّ اغْفِرْ لِلْعَبَّاسِ وَوَلَدِهِ مَغْفِرَةً ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً لاَ تُغَادِرُ ذَنْباً، اللهُمَّ احْفَظْهُ فِي وَلَدِهِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَزَادَ رَزِينٌ: «وَاجْعَلِ الْخِلاَفَةَ بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ». وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. [ت: ٣٧٦٢].

٦١٥٩ ـ [٢٥] وَعَنْهُ أَنَّهُ رَأَى جِبْرِيلَ مَرَّتَيْنِ ....

٦١٥٧ ـ [٢٣] (ابن عباس) قوله: (العباس مني وأنا منه) رسول الله ﷺ أصل باعتبار الشرف والفضل والنبوة، وعباس أصل من جهة النسب والعمومة، فافهم.

٦١٥٨ ـ [٢٤] (وعنه) قوله: (وولدك) الظاهر أن المراد جنس الولد لا عبدالله ابن عباس وحده، فافهم.

وقوله: (أدعو لكم) وفي بعض الروايات: (لهم).

وقوله: (وألبسنا كساءه) وفي رواية: (فشملنا بملاءته ثم قال: اللهم هذا عمي وصنو أبي فاستره وولده من النار كستري إياهم بملاءتي هذه).

وقوله: (اللهم احفظه في ولده) أي: أكرمه وراع أمره لئلا يضيع في شأن ولده، يقال: حفظه نفسه: لم يُضَيِّعْه ولم يتبذله فيما لا يعنيه، ومنه: (احفظوا أيمانكم).

٦١٥٩ ـ [٢٥] (وعنه) قوله: (أنه رأى جبرئيل مرتين) ذكر السيوطي في (جمع

. . . .

الجوامع)[١]: عن ميمون بن مهران عن ابن عباس قال: مررت بالنبي ﷺ وقد انصرف من صلاة الظهر وعَلَيَّ ثياب بيض، وهو يناجي دحية الكلبي فيما ظننت، وكان جبريلَ ولا أدري، فقال جبريل للنبي ﷺ: يا رسول الله! هذا ابن عباس، أما إنه لو سلَّم علينا لرددنا عليه، أما إنه شديد وضح الثياب، ولتلبسنَّ ذريته من بعده السواد، فلما عرج جبريل وانصرف النبي ﷺ قال: (ما منعك أن تسلم إذ مررت آنفا؟) قلت: يا رسول الله! مررت بك وأنت تناجي دحية الكلبي فكرهت أن أقطع نجواكما بردكما علي السلام، قال: ([لقد أثبتَّ النظر] ذلك جبريل)، الحديث، ورواه ابن عساكر، وذكر الترمذي أنه رأى جبرئيل مرتين، كذا في (جامع الأصول)[٢].

وأقول: كان جبرئيل يأتي النبي ﷺ في صورة دحية، وكان أصحابه يرونه يحسبون أنه دحية، فما وجه تخصيص ابن عباس بذلك؟ فلعله رآه في عالم الملكوت متمثلاً بصورة دحية جالساً عند النبي ﷺ مناجياً إياه، ورؤية الصحابة كان في عالم الناسوت، فهذا وجه تخصيص ابن عباس برؤية جبرئيل دون غيره من الصحابة، ويدل عليه ما جاء في رواية ابن النجار عن ابن عباس قال: دخلت أنا وأبي على النبي ﷺ، فلما خرجنا من عنده قلت لأبي: ما رأيتَ الرجل الذي كان مع النبي ﷺ؟ ما رأيتُ رجلاً أحسن وجهاً منه، فقال لي: هو كان أحسن وجهاً أم النبي ﷺ؟ قلت: هو، وما جاء في آخر حديث ميمون بن مهران المذكور أنه قال رسول الله ﷺ: (ذلك جبرئيل، وليس أحد رآه غير نبي إلا ذهب بصره، وبصرك ذاهب، وهو مردود عليك يوم وفاتك)، فلما

---

(١) انظر: «جامع الأحاديث» (٣٩١٢٩)، و«كنز العمال» (٣٧١٩٠).

(٢) «جامع الأصول» (٩/ ٦٣).

وَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ مرَّتَيْنِ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٨٢٢].

٦١٦٠ ـ [٢٦] وَعَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: دَعَا لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يُؤْتِيَنِي اللهُ الْحِكْمَةَ مرَّتَيْنِ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٨٢٣].

٦١٦١ ـ [٢٧] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كَانَ جَعْفَرٌ يُحِبُّ الْمَسَاكِينَ وَيَجْلِسُ إِلَيْهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ وَيُحَدِّثُونَهُ، ....

مات ابن عباس وأدرج في أكفانه انقض طائر أبيض فأتى بين أكفانه وطلب فلم يوجد، فقال عكرمة مولى ابن عباس: أحمقى أنتم؟ هذا بصره الذي وعده رسول الله ﷺ أن يرد عليه يوم وفاته، فلما أتوا به القبر ووضع في لحده تُلُقِّيَ بكلمة سمعها من كان على شفير القبر: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ الآية [الفجر: ٢٧ ـ ٢٨].

وقوله: (**دعا له مرتين**) أحدهما ما مرّ من حديثه: ضمني النبي ﷺ إلى صدره فقال: (اللهم علمه الحكمة، أو علمه الكتاب)، وثانيهما أيضاً حديثه: أن النبي ﷺ دخل الخلاء فوضعت له وضوءاً، فلما خرج قال: (من وضع هذا الماء؟) فأخبره، فقال: (اللهم فقِّهه في الدين)، وكلا الحديثين مرّ في (الفصل الأول)، ويحتمل أن يكون إحدى المرتين حين بات في بيت ميمونة فقام بالليل، وثانيهما ما دعا له لولد العباس في الحديث المذكور آنفاً، والحديثان السابقان كلاهما يكون مرة واحدة في بيتوتته بتعدد الروايتين، والله أعلم.

٦١٦٠ ـ [٢٦] (**وعنه**) قوله: (**أن يؤتيني الله الحكمة مرتين**) هذا الحديث ظاهر في أن المراد بالدعاء مرتين هو ما ذكر في الحديثين السابقين؛ لأن في دعاء ولد العباس ليس ذكر الحكمة والفقه صريحاً.

٦١٦١ ـ [٢٧] (**أبو هريرة**) قوله: (**يحب المساكين ويجلس إليهم**) فيه دلالة

وَكَانَ[١] رَسُولُ اللهِ ﷺ يُكَنِّيهِ بِأَبِي الْمَسَاكِينِ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٧٦٦].

٦١٦٢ ـ [٢٨] وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «رَأَيْتُ جَعْفَراً يَطِيرُ فِي الْجَنَّةِ مَعَ الْمَلَائِكَةِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. [ت: ٣٧٦٣].

٦١٦٣ ـ [٢٩] وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٧٦٨].

على أن حب الكبراء وأربابِ الشرف المساكينَ وتواضعَهم لهم يزيد في فضلهم، ويعدُّ ذلك من مناقبهم.

٦١٦٢ ـ [٢٨] (وعنه) قوله: (يطير في الجنة مع الملائكة) ولهذا سمي رضي الله عنه بجعفر الطيار وبذي الجناحين، كما مرّ في (الفصل الأول).

٦١٦٣ ـ [٢٩] (أبو سعيد) قوله: (سيدا شباب أهل الجنة) هو جمع شاب وهو من بلغ إلى ثلاثين، ولا يجمع فاعل على فَعَال غيره، يجمع على شببة، والشبان أيضاً، قيل: يعني: أفضل ممن مات شاباً في سبيل الله من أصحاب الجنة، كذا نقل الطيبي[٢]، وفيه نظر؛ لأنه لا وجه لتخصيص فضلهما على من مات شاباً بل هما أفضل من كثير ممن مات شيخاً، فالأولى ما قيل: إن المراد: هما سيدا أهل الجنة؛ لأن أهل الجنة كلهم شباب، لكن يخص بما سوى الأنبياء والخلفاء الراشدين.

وقيل: أراد بالشباب الفتيان من الفتوة بمعنى الكرم، كما يقال: فلان فتى، وإن كان شيخاً مشيراً إلى فتوته ومروءته، فتدبر.

---

(١) في نسخة: «فكان».

(٢) «شرح الطيبي» (١٢/ ٣٠٢).

٦١٦٤ ـ [٣٠] وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ هُمَا رَيْحَانَيَّ مِنَ الدُّنْيَا». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَدْ سَبَقَ فِي الْفَصْلِ الأَوَّلِ. [ت: ٣٨١٣].

٦١٦٥ ـ [٣١] وَعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زيدٍ قَالَ: طَرَقْتُ النَّبِيَّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي بَعْضِ الْحَاجَةِ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَى شَيْءٍ، وَلاَ أَدْرِي مَا هُوَ، فَلَمَّا فَرَغْتُ مِنْ حَاجَتِي قُلْتُ: مَا هَذَا الَّذِي أَنْتَ مُشْتَمِلٌ عَلَيْهِ؟ فَكَشَفَهُ فَإِذَا الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عَلَى وَرِكَيْهِ. فَقَالَ: «هَذَانِ ابْنَايَ وَابْنَا ابْنَتِي، اللهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُمَا فَأَحِبَّهُمَا وَأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّهُمَا». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٧٦٩].

ويجوز أن يكون سماهما شباباً مع كونهما كهلين تحبباً وتعطفاً كما يسمي الوالد ولده صغيراً ووليداً وإن كان شابًّا مسنًّا، والله أعلم.

٦١٦٤ ـ [٣٠] (ابن عمر) قوله: (وقد سبق في الفصل الأول) كأنه تعريض على صاحب (المصابيح) في ذكره مكرراً من غير أن يكون بينهما اختلاف يعتد به.

٦١٦٥ ـ [٣١] (أسامة بن زيد) قوله: (طرقت) أي: أتيت، والطرق والطروق: الإتيان بالليل (على وركيه) بالفتح والكسر وككتف: ما فوق الفخذ، كالكتفين فوق العضدين.

وقوله: (ابناي) دل على أن ابن البنت ابن كابن الابن، وفيه ثبوت شرف النسب من جهة الأم ردًّا على من أنكره، والحجة على ذلك قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾[آل عمران: ٣٤].

٦١٦٦ ـ [٣٢] وَعَنْ سَلْمَى قَالَتْ: دَخَلْتُ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ وَهِيَ تَبْكِي، فَقُلْتُ: مَا يُبْكِيكِ؟ قَالَتْ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ـ تَعْنِي فِي الْمَنَامِ ـ وَعَلَى رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ التُّرَابُ، فَقُلْتُ: مَا لَكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «شَهِدْتُ قَتْلَ الْحُسَيْنِ آنِفاً». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. [ت: ٣٧٧١].

٦١٦٧ ـ [٣٣] وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَيُّ أَهْلِ بَيْتِكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ»، وَكَانَ يَقُولُ لِفَاطِمَةَ: «ادْعِي لِي ابْنَيَّ» فَيَشُمُّهُمَا وَيَضُمُّهُمَا إِلَيْهِ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. [ت: ٣٧٧٢].

٦١٦٨ ـ [٣٤] وَعَنْ بُرَيْدَةَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَخْطُبُنَا إِذْ جَاءَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عَلَيْهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ، ....

٦١٦٦ ـ [٣٢] (سلمى) قوله: (دخلت على أم سلمة) ماتت رضي الله عنها سنة تسع وخمسين، وقيل: سنة اثنين وستين، والأول أصح، وكانت شهادة سيدنا الحسين سنة إحدى وستين، فتدبر.

٦١٦٧ ـ [٣٣] (أنس) قوله: (فيشمهما) بضم الشين وفتحها من علم ونصر، في (القاموس)[1]: شممته بالكسر والفتح أشمه بالفتح والضم.

٦١٦٨ ـ [٣٤] (بريدة) قوله: (ويعثران) أي: يسقطان على الأرض لصغر سنهما كضرب ونصر وعلم وكرم، كذا في (القاموس)[2].

---

(١) «القاموس» (ص: ١٠١٦).

(٢) المصدر السابق (ص: ٣٩٣).

فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْمِنْبَرِ فَحَمَلَهُمَا وَوَضَعَهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «صَدَقَ اللهُ ﴿أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾[الأنفال: ٢٨] نَظَرْتُ إِلَى هَذَيْنِ الصَّبِيَّيْنِ يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ، فَلَمْ أَصْبِرْ حَتَّى قَطَعْتُ حَدِيثِي وَرَفَعْتُهُمَا». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ. [ت: ٣٧٧٤، د: ١١٠٩، ن: ١٤١٣].

٦١٦٩ ـ [٣٥] وَعَنْ يَعْلَى بْنِ مُرَّةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «حُسَيْنٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْ حُسَيْنٍ، أَحَبَّ اللهُ مَنْ أَحَبَّ حُسَيْناً، حُسَيْنٌ سِبْطٌ مِنَ الأَسْبَاطِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٧٧٥].

٦١٧٠ ـ [٣٦] وَعَنْ عَلِيٍّ قَالَ: الْحَسَنُ أَشْبَهَ رَسُولَ اللهِ ﷺ......

وقوله: (فلم أصبر) وذلك لغاية تأثير الرقة والرحمة والشفقة في قلبه الشريف.

٦١٦٩ ـ [٣٥] (يعلى بن مرة) قوله: (وعن يعلى بن مرة) بضم الميم وتشديد الراء.

وقوله: (سبط من الأسباط) بكسر السين: ولد الولد، مأخوذ من السبط وهو الشجر له أغصان كثيرة وأصله واحد، ويطلق على القبيلة، إشارة إلى أن نسله يكون أكثر وأبقى، وفي (القاموس)[1]: هو بالكسر ولد الولد، والقبيلة من اليهود، والجمع أسباط، و(حسين سبط من الأسباط) أمة من الأمم.

٦١٧٠ ـ [٣٦] (علي) قوله: (أشبه رسول الله ﷺ) في (القاموس)[2]: أشبهه: ماثله.

---

(١) المصدر السابق (ص: ٦٠٢).

(٢) المصدر السابق (ص: ١١٢٣).

مَا بَيْنَ الصَّدْرِ إِلَى الرَّأْسِ، وَالْحُسَيْنُ أَشْبَهَ النَّبِيَّ ﷺ مَا كَانَ أَسْفَلَ مِنْ ذَلِكَ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٧٧٩].

٦١٧١ ـ [٣٧] وَعَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: قُلْتُ لأُمِّي: دَعِينِي آتِي النَّبِيَّ ﷺ فَأُصَلِّي مَعَهُ الْمَغْرِبَ وَأَسْأَلُهُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لِي وَلَكِ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَصَلَّيْتُ مَعَهُ الْمَغْرِبَ فَصَلَّى حَتَّى صَلَّى الْعِشَاءَ، ثُمَّ انْفَتَلَ فَتَبِعْتُهُ فَسَمِعَ صَوْتِي فَقَالَ: «مَنْ هَذَا؟ حُذَيْفَةُ؟» قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: «مَا حَاجَتُكَ؟ غَفَرَ اللهُ لَكَ وَلأُمِّكِ، إِنَّ هَذَا مَلَكٌ لَمْ يَنْزِلِ الأَرْضَ قَطُّ قَبْلَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ، اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ أَنْ يُسَلِّمَ عَلَيَّ وَيُبَشِّرَنِي بِأَنَّ فَاطِمَةَ سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَأَنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. [ت: ٣٧٨١].

٦١٧٢ ـ [٣٨] وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: ....

وقوله: (ما بين الصدر إلى الرأس) متعلق بـ (أشبه) بتقدير في، قال الطيبي[1]: هو بدل من الفاعل [المضمر في أشبه] أو [من] المفعولِ بدلَ البعض.

٦١٧١ ـ [٣٧] (حذيفة) قوله: (فصلى) أي: النوافل (حتى صلى العشاء) وفيه شغل بين العشائين بصلاة النافلة.

وقوله: (من هذا؟) استفهم ثم عرف فقال: (حذيفة؟) أي: هذا حذيفة، أو أنت حذيفة.

٦١٧٢ ـ [٣٨] (ابن عباس) قوله: ....

---

(١) «شرح الطيبي» (١٢/ ٣٠٤).

كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَامِلاً الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ عَلَى عَاتِقِهِ فَقَالَ رَجُلٌ: نِعْمَ الْمَرْكَبُ رَكِبْتَ يَا غُلَامُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَنِعْمَ الرَّاكِبُ هُوَ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٧٨٤].

٦١٧٣ ـ [٣٩] وَعَنْ عُمَرَ: أَنَّهُ فَرَضَ لأُسَامَةَ فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ وَخَمْسِ مِئَةٍ، وَفَرَضَ لِعَبْدِاللهِ بْنِ عُمَرَ فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ. فَقَالَ عَبْدُاللهِ بْنُ عُمَرَ لأَبِيهِ: لِمَ فَضَّلْتَ أُسَامَةَ عَلَيَّ؟ فَوَاللهِ مَا سَبَقَنِي إِلَى مَشْهَدٍ. قَالَ: لأَنَّ زَيْداً كَانَ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ أَبِيكَ، وَكَانَ أُسَامَةُ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْكَ، فَآثَرْتُ حِبَّ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَى حِبِّي. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٨١٣].

٦١٧٤ ـ [٤٠] وَعَنْ جَبَلَةَ بْنِ حَارِثَةَ قَالَ: قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! ابْعَثْ مَعِي أَخِي زَيْداً. قَالَ: «هُوَ ذَا فَإِنِ انْطَلَقَ مَعَكَ لَمْ أَمْنَعْهُ». قَالَ زَيْدٌ: يَا رَسُولَ اللهِ! وَاللهِ لَا أَخْتَارُ عَلَيْكَ أَحَداً. قَالَ: فَرَأَيْتُ رَأْيَ أَخِي أَفْضَلَ مِنْ رَأْيِي. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٨١٥].

(ونعم الراكب هو) بالواو، وهذا كالواو في قوله: (وعليك السلام).

٦١٧٣ ـ [٣٩] (عمر) قوله: (فرض لأسامة) أي: قدَّر من بيت المال رزقاً له، و(الحب) بكسر الحاء: المحبوب.

٦١٧٤ ـ [٤٠] (جبلة) قوله: (وعن جبلة بن حارثة) بفتح الجيم والموحدة واللام، أخو زيد بن حارثة الكبير.

وقوله: (ابعث معي أخي زيداً) يعني يكون معي مفارقاً لخدمتك.

وقوله: (قال) أي: جبلة.

٦١٧٥ ـ [٤١] وَعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: لَمَّا ثَقُلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هَبَطْتُ وَهَبَطَ النَّاسُ الْمَدِينَةَ، فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَدْ أُصْمِتَ فَلَمْ يَتَكَلَّمْ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَضَعُ يَدَيْهِ عَلَيَّ وَيَرْفَعُهُمَا، فَأَعْرِفُ أَنَّهُ يَدْعُو لِي. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. [ت: ٣٨١٧].

٦١٧٦ ـ [٤٢] وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: أَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُنَحِّي مُخَاطَ أُسَامَةَ. قَالَتْ عَائِشَةُ: دَعْنِي حَتَّى أَنَا الَّذِي أَفْعَلُ. قَالَ: «يَا عَائِشَةُ أَحِبِّيهِ فَإِنِّي أُحِبُّهُ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٨١٨].

٦١٧٥ ـ [٤١] **(أسامة بن زيد)** قوله: **(هبطت وهبط الناس)** وذلك حين جهز جيشه ونزل بالجرف موضع خارج المدينة، وعرض لرسول الله ﷺ الحمى والصداع فتوفي بعد أيام، وإنما قال: هبط لأن الجرف في علو المدينة كعرفات من مكة، والعرب إذا جاؤوا من عرفات بمكة يقولون: هبطنا إلى مكة، وإذا ذهبوا إلى عرفات قالوا: صعدنا إلى عرفات، بل يقولون في المسجد إذا ذهبوا إلى باب السلام: صعدنا إلى باب السلام.

وقوله: **(وقد أصمت)** بلفظ المجهول من الإصمات، أي: أسكت واعتقل لسانه.

٦١٧٦ ـ [٤٢] **(عائشة)** قوله: **(أن ينحي مخاط)** أي: يزيل ما كان يخرج من أنفه من الماء، والمخاط بضم الميم: ما يسيل من الأنف، وقول عائشة رضي الله عنها: **(دعني حتى أنا الذي أفعل)** كأنها كرهت بتنحيه ﷺ مخاطه.

وقوله: **(أنا الذي أفعل)** من باب: أنا الذي سمتني أمي.

٦١٧٧ ـ [٤٣] وَعَنْ أُسَامَةَ قَالَ: كُنْتُ جَالِساً إِذْ جَاءَ عَلِيٌّ وَالْعَبَّاسُ يَسْتَأْذِنَانِ فَقَالاَ لأُسَامَةَ: اسْتَأْذِنْ لَنَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ عَلِيٌّ وَالْعَبَّاسُ يَسْتَأْذِنَانِ. فَقَالَ: «أَتَدْرِي مَا جَاءَ بِهِمَا؟» قُلْتُ: لاَ. قَالَ: «لَكِنِّي أَدْرِي ائْذَنْ لَهُمَا» فَدَخَلاَ فَقَالاَ: يَا رَسُولَ اللهِ جِئْنَاكَ نَسْأَلُكَ أَيُّ أَهْلِكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ»، قَالاَ: مَا جِئْنَاكَ نَسْأَلُكَ عَنْ أَهْلِكَ، قَالَ: «أَحَبُّ أَهْلِي إِلَيَّ مَنْ قَدْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتُ عَلَيْهِ، أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ» قَالاَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ»، فَقَالَ الْعَبَّاسُ: يَا رَسُولَ اللهِ! جَعَلْتَ عَمَّكَ آخِرَهُمْ؟ قَالَ: «إِنَّ عَلِيًّا سَبَقَكَ بِالْهِجْرَةِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٨١٩].

٦١٧٧ ـ [٤٣] (أسامة) قوله: (فاطمة بنت محمد) في هذا الوصف تفخيم وتعظيم لها، وبيان لعلة الحكم.

وقوله: (عن أهلك) أي: عن أولادك وأزواجك.

وقوله: (من النساء) ليس في (جامع الترمذي) ولا في (جامع الأصول) ويوجد في نسخ (المصابيح).

وقوله: (أسامة بن زيد) لا شك أن المنصوص عليه بإنعام الله ورسوله هو زيد ابن حارثة أبو أسامة؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾، أي: بالهداية والكرامة، ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾[الأحزاب: ٣٧] أي: بالإعتاق والتبني، ولكن التربية والإنعام على الوالد إنعام على ولده، كما ذكروا في قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ الآية [البقرة: ٤٠]. وبهذا الاعتبار قال: (أسامة بن زيد) كأنه يقول: زيد وابنه أسامة.

وَذُكِرَ أَنَّ عَمَّ الرَّجُلِ صِنْوُ أَبِـيهِ فِي «كِتَابِ الزَّكَاةِ».

* الْفَصْلُ الثَّالِثُ:

٦١٧٨ ـ [٤٤] عَنْ عُقْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ قَالَ: صَلَّى أَبُـو بَكْـرٍ الْعَـصْرَ، ثُمَّ خَرَجَ يَمْشِي وَمَعَهُ عَلِيٌّ فَرَأَى الْحَسَنَ يَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ، فَحَمَلَهُ عَلَـى عَاتِقِهِ. وَقَالَ: بِأَبِـي شَبِـيهٌ بِالنَّبِـيِّ، لَيْسَ شَبِـيهاً بِعَلِي، وَعَلِيٌّ يَـضْحَكُ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٣٥٤٢].

٦١٧٩ ـ [٤٥] وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: أُتِيَ عُبَيْدُاللهِ بْنُ زِيَادٍ بِرَأْسِ الْحُسَيْنِ، فَجُعِلَ فِي طَسْتٍ، فَجَعَلَ يَنْكُتُ وَقَالَ فِي حُسْنِهِ شَيْئاً، قَالَ أَنَسٌ: فَقُلْتُ: وَاللهِ إِنَّـهُ كَـانَ أَشْـبَهَهُمْ بِرَسُـولِ اللهِ ﷺ وَكَـانَ مَخْـضُوباً بِالْوَسْـمَةِ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٣٧٤٨].

الفصل الثالث

٦١٧٨ ـ [٤٤] (عقبة بن الحارث) قوله: (بأبي) أي: مفديٌّ بأبي، وليس قَسَماً، فـإن الحلف بغير الله لا يجـوز، وقـد يقال: عدم الجواز إنما هو على قصد التعظيم، فيكون بطريق يمين اللغو، فتدبر.

٦١٧٩ ـ [٤٥] (أنس) قولـه: (وقال فـي حسنه شيئاً) قـد سبق إلـى الذهن أنه طعن ونَـقَصَ حسنه مكابرةً وعناداً، فرد عليه أنس قوله، ولكن يظهر من رواية الترمذي أنه حسَّنه ووصفه بالحسن البالغ، وكان ذلك أيضاً بطريق الاستهزاء والسخرية وتبهجاً وسروراً حصل له بقتله.

و(الوسمة) بفتح الواو ـ وأخطأ من ضمها ـ وسكون المهملة، ويجوز فتحها:

وَفِي رِوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ زِيَادٍ، فَجِيءَ بِرَأْسِ الْحُسَيْنِ، فَجَعَلَ يَضْرِبُ بِقَضِيبٍ فِي أَنْفِهِ وَيَقُولُ: مَا رَأَيْتُ مِثْلَ هَذَا حُسْناً. فَقُلْتُ: أَمَا إِنَّهُ كَانَ مِنْ أَشْبَهِهِمْ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ. وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ. [ت: ٣٧٧٨].

٦١٨٠ ـ [٤٦] وَعَنْ أُمِّ الْفَضْلِ بِنْتِ الْحَارِثِ أَنَّهَا دَخَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي رَأَيْتُ حُلْماً مُنْكَراً اللَّيْلَةَ. قَالَ: «وَمَا هُوَ؟» قَالَتْ: إِنَّهُ شَدِيدٌ، قَالَ: «وَمَا هُوَ؟» قَالَتْ: رَأَيْتُ كَأَنَّ قِطْعَةً مِنْ جَسَدِكَ قُطِعَتْ وَوُضِعَتْ فِي حِجْرِي. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «رَأَيْتِ خَيْراً تَلِدُ فَاطِمَةُ إِنْ شَاءَ اللهُ غُلَاماً يَكُونُ فِي حِجْرِكِ». فَوَلَدَتْ فَاطِمَةُ الْحُسَيْنَ فَكَانَ فِي حِجْرِي كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، . . . .

نبت يخضب به يميل إلى السواد، وفي (الحواشي): الوسمة بكسر السين في لغة الحجاز أفصح من السكون، وأنكر الرازي السكون، وقال: كلام العرب بالكسر، وفي (مجمع البحار)[1]: بكسر سين، وقد تسكَّن: نبت، وقيل: شجر باليمن يخضب بورقه الشعر، أسودُ، وقيل: بالضم: ورقُ نبتٍ يجعل منه النيل، وفي (القاموس)[2]: الوسمة بالفتح، وقيل بالضم: ورق النيل أو نبات يخضب بورقه.

٦١٨٠ ـ [٤٦] **(أم الفضل بنت الحارث)** قوله: **(إني رأيت حلماً)** الحلم بضمتين وبضم فسكون: ما يراه النائم، و**(الحجر)** بفتح الحاء وكسرها: حضن الإنسان

---

(١) «مجمع بحار الأنوار» (٥/ ٥٤).

(٢) «القاموس» (ص: ١٠٥٢).

فَدَخَلْتُ يَوْماً عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَوَضَعْتُهُ فِي حِجْرِهِ، ثُمَّ كَانَتْ مِنِّي الْتِفَاتَةٌ، فَإِذَا عَيْنَا رَسُولِ اللهِ ﷺ تُهْرِيقَانِ الدُّمُوعَ قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا نبيَّ اللهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي مَالَكَ؟ قَالَ: «أَتَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ أُمَّتِي سَتَقْتُلُ ابْنِي هَذَا، فَقُلْتُ: هَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، وَأَتَانِي بِتُرْبَةٍ مِنْ تُرْبَتِهِ حَمْرَاءَ».

٦١٨١ ـ [٤٧] وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ ذَاتَ يَوْمٍ بِنِصْفِ النَّهَارِ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، بِيَدِهِ قَارُورَةٌ فِيهَا دَمٌ، فَقُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي مَا هَذَا؟ قَالَ: «هَذَا دَمُ الْحُسَيْنِ وَأَصْحَابِهِ، وَلَمْ أَزَلْ أَلْتَقِطُهُ مُنْذُ الْيَوْمِ»، فَأُحْصِي ذَلِكَ الْوَقْتَ فَأَجِدُ قُتِلَ ذَلِكَ الْوَقْتَ. رَوَاهُمَا الْبَيْهَقِيُّ فِي «دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ» وَأَحْمَدُ الأَخِيرَ. [دلائل: ٦/ ٤٦٩، ٦/ ٤٧١، حم: ١/ ٢٤٢].

٦١٨٢ ـ [٤٨] وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَحِبُّوا اللهَ لِمَا يَغْذُوكُمْ ....

بالضاد المعجمة.

وقوله: (فوضعته في حجره) وفي بعض النسخ: (في حجري).

وقوله: (فقلت: هذا؟) أي: هذا الابن؟ أشارت إليه تعجباً وتحيراً.

وقوله: (وأتاني) أي: جبرئيل (بتربة) أي: تربة الموضع الذي يقتل فيه.

٦١٨١ ـ [٤٧] (ابن عباس) قوله: (فأحصي) بلفظ المتكلم من الإحصاء من كلام ابن عباس.

٦١٨٢ ـ [٤٨] (وعنه) قوله: (لما يغذوكم) أي: يطعمكم، والغذاء بكسر

مِنْ نِعَمَةٍ، وَأَحِبُّونِي[1] لِحُبِّ اللهِ، وَأَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِي لِحُبِّي». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

[ت: ٣٧٨٩].

٦١٨٣ ـ [٤٩] وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ أَنَّهُ قَالَ وَهُوَ آخِذٌ بِبَابِ الْكَعْبَةِ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «أَلَا إِنَّ مِثْلَ أَهْلِ بَيْتِي فِيكُمْ مِثْلُ سَفِينَةِ نُوحٍ، مَنْ رَكِبَهَا نَجَا وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا هَلَكَ». رَوَاهُ أَحْمَدُ. [فضائل الصحابة: ١٤٠٢].



الغين المعجمة وبالذال المعجمة: ما به نماء الجسم وقوامه، غذاه غذواً فاغتذى وتغذى.

وقوله: (من نعمة) بالتاء بلفظ المفرد، وفي بعض النسخ: (من نعمه) بهاء الضمير بلفظ الجمع.

٦١٨٣ ـ [٤٩] (أبو ذر) قوله: (وهو آخذ بباب الكعبة) وزاد في رواية: (وهو ـ أي: أبو ذر ـ يقول: من عرفني فأنا من قد عرفني، ومن أنكرني فأنا أبو ذر) أي: المشهور بصدق اللهجة تلميحاً إلى قوله: (ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء على أصدق لهجة من أبي ذر)، قالوا: علامة السعادة وطريق القرب إلى الله والوصول إلى مرضاته شيئان: تعظيم صحابة الرسول رضي الله عنهم ومحبة أهل بيت النبوة سلام الله عليهم بحيث لا يخلُّ أحدهما بالآخر، ولا يجتمعان إلا في قلب مؤمن تقي صحيح الإيمان، رزقنا الله.

---

(١) في نسخة: «فَأَحِبُّونِي».

١١ ـ باب مناقب أزواج النبي صلى الله عليه وسلم (١)

١١ ـ باب مناقب أزواج النبي ﷺ ورضي الله عنهن

اعلم أن أزواجه ﷺ كانت في وقتٍ تسعاً، وفي وقتٍ آخر إحدى عشر، وفي آخر أكثر منها، وفي آخر أقل، قال في (جامع الأصول): قد اختلف العلماء في عِدَّة أزواج النبي ﷺ وفي ترتيبهن، وعِدَّةِ من مات منهن قبله ومن مات بعده ﷺ، ومن دخل بها ومن لم يدخل بها، ومن خطبها ولم ينكحها، ومن عرضت نفسها عليه، قال: ونحن نذكر أشهر ما نقل، ثم ذكر أسماءهن وأحوالهن، ونحن نذكر في هذا الباب أسماءهن وتاريخ نكاحهن ووفاتهن، ونذكر إن شاء الله أحوالهن فيما قصدنا من ذكر رجال هذا الكتاب في جزء على حدة.

فأولهن: خديجة بنت خويلد تزوجها ﷺ وهو ابن خمس وعشرين، ماتت قبل الهجرة بثلاث سنين على القول الصحيح.

ثم سودة بنت زمعة رضي الله عنها ماتت سنة أربع وخمسين.

ثم عائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما تزوجها بمكة وهي بنت ستة وبنى عليها وهي بنت تسع، وماتت سنة خمس(٢) أو ثمان وخمسين.

ثم حفصة بنت عمر بن الخطاب تزوجها سنة اثنين أو ثلاث، وماتت سنة خمس وأربعين أو إحدى وأربعين.

ثم زينب بنت خزيمة تزوجها سنة ثلاث، وماتت سنة أربع.

---

(١) زاد في نسخة: «ورضي الله عنهن».

(٢) كذا في الأصل، والظاهر: «سبع» كما في «جامع الأصول» (١٢/ ٩٧).

. . . .

ثـم أم سلمة هنـد بنت أمية المخزومية تزوجها سنة أربع أو ثلاث، وماتت سنة تسع وخمسين، وقيل: سنة اثنين وستين، والأول أصح.

ثـم زينـب بنت جحش تزوجهـا سنـة خمس، وماتـت سنة عشريـن أو إحدى وعشرين، وهي أول من ماتت من أزواجه ﷺ بعده.

ثم أم حبيبة بنت أبي سفيان، واختلـف في وقت تزوجها، فقيـل: سنـة ست، زوجه ﷺ منها النجاشي ـ وهي بحبشة كانت تحت عبدالله بن جحش فتنصر ومات هناك سنة ست ـ بأربع مئة درهم، وقيل: بالمدينة، والأول أصح وأشهر. [وماتت بالمدينة سنة أربع وأربعين، وقيل: سنة اثنتين وأربعين].

ثم جويرية بنت الحارث، سباها النبي ﷺ في غزوة مريسيع سنة ست، ثم أعتقها وتزوجها، ماتت سنة ست وخمسين.

ثـم ميمونة بنت الحارث تزوجها سنة سبع، ماتت سنة إحدى وستين أو إحدى وخمسين.

ثم صفية بنت حيي بن أخطب تزوجها سنة سبع في غزوة خيبر، سباها ثم أعتقها وتزوجها، وماتت سنة اثنين وخمسين.

ثـم ريحانة بنـت زيد، كانت يهوديـة، سباها ثم تزوجها سنة ست، ماتت بعد عوده من حجة الوداع، وقيل: سنة ست عشرة، والأول أصح.

هذه المذكورات تزوجهن رسول الله ﷺ ودخل بهن، وجماعة من النساء عشرون أو أكثر تزوجهن وفارقهن قبل الدخول بهن، ومنهن من خطبهن ولم يتزوجهن، ومنهن من فارقها عند تخيير النساء بقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ

* **الْفَصْلُ الأَوَّلُ:**

٦١٨٤ ـ [١] عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

[خ: ٣٤٣٢، م: ٢٤٣٠].

ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ﴾ الآية [الأحزاب: ٢٨ ـ ٢٩]، فاختارت الدنيا، وتفاصيلها في (جامع الأصول)[١] فلينظر ثمة.

وأما سراريه فقيل: إنهن أربعٌ؛ أشهرها مارية القبطية بنت شمعون أم إبراهيم ابن رسول الله ﷺ، ماتت سنة ست عشرة، وريحانة بنت شمعون، وقيل: بنت زيد، وقد تقدم ذكرها في جملة أزواجه، ويقال: إنه لم يعتقها، وإنما وطئها بملك اليمين، وأخرى وهبتها له زينب بنت جحش، وأخرى أصابها في بعض السبي، والله أعلم.

الفصل الأول

٦١٨٤ ـ [١] (علي) قوله: **(خير نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة)** قال الشيخ[٢]: قال القرطبي: الضمير عائد إلى غير مذكور لكنه يفسره الحال والمشاهدة، يعني به الدنيا، وقال الطيبي: الضمير الأول للأمة التي كانت مريم فيها، والثاني إلى هذه الأمة. والذي يظهر لي أن قوله: (خير نسائها) خبر مقدم والضمير لمريم، فكأنه قال: مريم خير نساء زمانها، انتهى كلام الشيخ.

---

(١) «جامع الأصول» (١٢/ ٩٥ ـ ١٠٦).

(٢) «فتح الباري» (٧/ ١٣٥).

وَفِي رِوَايَةٍ قَالَ أَبُو كُرَيْبٍ: وَأَشَارَ وَكِيعٌ إِلَى السَّمَاءِ وَالأَرْضِ.

لا يخفى أن الوجه الأول ـ وهو عود الضمير إلى الدنيا ـ لا يظهر منه وجه وجيه للتكرار، كما في الوجهين الأخيرين.

وقوله: (**وأشار وكيع إلى السماء والأرض**) قيل: أراد بإشارته إلى السماء والأرض أنها خير ممن هو فوق الأرض وتحت السماء لا تفسيراً للضمير لأنه مفرد، وقيل: أراد تفسير الضمير بتأويل جملة طبقات السماء وأقطار الأرض، أو بتأويل الدنيا، فإنه قد يعبر بالسماء والأرض عن العالم كله، كقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾[سبأ: ١]، وقوله: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[النور: ٣٥]، فافهم.

ثم إنه قد ظهر من الحديث كون مريم وخديجة خير نساء أمتهما، أما النسبة بينهما بالفضل فلم تعلم، ونقل عن التفسير للنسفي: أن خديجة وعائشة أفضل من مريم رضي الله عنهن، وهذا إذا قلنا بالأصح أنها ليست بنبية، وقد تقرر أن هذه الأمة أفضل من غيرها، ثم اختلفوا في فضل عائشة على خديجة، وكذا في فضل فاطمة على عائشة أو العكس، ونقل عن مالك أنه قال: فاطمة بضعة من النبي ﷺ، ولا أفضِّل [أحداً] على بضعة من رسول الله ﷺ، وسئل الإمام السبكي[١] عن ذلك فقال: الذي نختاره وندين الله به أن فاطمة أفضل، ثم أمها خديجة ثم عائشة، وقال السيوطي في (الفتاوى) في فاطمة وعائشة أيتهما أفضل؟: فيه ثلاث مذاهب أصحها: أن فاطمة أفضل، ومال بعضهم إلى الوقف، والله أعلم.

---

(١) انظر: «أسنى المطالب في شرح روضة الطالب» (١/ ١٠٣).

٦١٨٥ ـ [٢] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «يَا رسولَ اللهِ! هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ وَطَعَامٌ، فَإِذَا أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ. . . .

٦١٨٥ ـ [٢] (أبو هريرة) قوله: (هذه خديجة قد أتت) قيل: أتته من مكة وهو ﷺ بحراء، أتته بطعام يقتات ﷺ في خلوته، ولا يذهب عليك أن المشهور أن خلوة رسول الله ﷺ بحراء كان قبل نزول جبريل، ولعله ﷺ أقام بها بعد نزوله أيضاً مدة، وإتيان خديجة بطعام كان في تلك المدة، والله أعلم.

وقوله: (فاقرأ) بهمزة الوصل من القراءة، وإنما تكون هذه اللفظة بهمزة القطع من الإقراء إذا كان متعدياً بنفسه، نحو: أقرئ فلاناً السلام، وفلان يقرئك السلام، كما يأتي في الحديث الآتي.

وقوله: (من ربها) قيل: فيه فضل خديجة على عائشة لما يأتي فيها من الاكتفاء بسلام جبرئيل.

وقوله: (قصب) محركة: لؤلؤ مجوف واسع كالقصر، والقصب من الجواهر ما استطال منه في تجويف، وقال في (المشارق)[1]: قد ذكر ابن وهب في روايته تفسيره في الحديث نفسه، قالت: يا رسول الله! ما بيت من قصب؟ قال: (هو بيت من لؤلؤة مجبَّأة)، قال ابن وهب: أي: مجوفة، ويروى (مجوبة) بمعناه، قالوا: القصب هو اللؤلؤ المجوف الواسع كالقصر المنيف، وقال الخليل: القصب ما كان من الجوهر مستطيلاً أجوف، ويؤيد تفسيرهم قوله في الحديث الآخر: (قباب اللؤلؤ)، وفي الآخر: (قصر من درة مجوفة)، هذا وما قيل: فيه إشارة إلى قصب سبقها في الإسلام، ولهذا

---

(١) «مشارق الأنوار» (٢/ ١٨٧).

لاَ صَخَبَ فِيهِ وَلاَ نَصَبَ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٨٢٠، م: ٢٤٣٢].

٦١٨٦ - [٣] وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: مَا غِرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ وَمَا رَأَيْتُهَا وَلَكِنْ كَانَ يُكْثِرُ ذِكْرَهَا، وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعْضَاءً، ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ، فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ: كَأَنَّهُ لَمْ تَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إِلاَّ خَدِيجَةَ، فَيَقُول: «إِنَّهَا كَانَتْ وَكَانَتْ، وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٨١٨، م: ٢٤٣٥].

لم يقل: من لؤلؤة، لا يخلو عن خفاء، فافهم.

وقوله: (**لا صخب فيه ولا نصب**) الصخب بفتحتين: شدة الصوت، وقيل: الصوت المختلط، والنصب التعب، كما يكون في بيوت الدنيا، يكون الصخب في من يسكنها، والتعب في بنائها، أو كلاهما في البناء فإنه لا يتسبَّب إلا لصخب ونصب، وليس ذلك في بيوت الجنة، قيل: وذلك لأنها ﵂ أسلمت أولاً طوعاً بلا رفع صوت ولا منازعة ولا تعب.

٦١٨٦ - [٣] (**عائشة**) قوله: (**ما غرت**) بكسر الغين من غار يغار غيرة وغيراً، و(ما) نافية، وفي قوله: (**ما غرت**) مصدرية، أي: ما غرت على أحد من نساء النبي ﷺ مثل غيرتي على خديجة.

وقوله: (**ثم يقطعها**) بالتشديد، و(**صدائق**) جمع صديقة.

وقوله: (**كانت وكانت**) المراد عدّ فضائلها وخصالها وتكريرها.

وقوله: (**وكان لي ولد**) أي: أولاد، وكل أولاده ﷺ من خديجة إلا إبراهيم من مارية، وأيّ ولد مثل فاطمة سيدة نساء العالمين أم الحسن والحسين سلام الله عليهم أجمعين.

٦١٨٧ ـ [٤] وَعَنْ أَبِي سَلَمَةَ أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا عَائِشُ هَذَا جِبْرِيلُ يُقْرِئُكِ السَّلاَمَ». قَالَتْ: وَعَلَيْهِ السَّلاَمُ وَرَحْمَةُ اللهِ. قَالَتْ: وَهُوَ يَرَى مَا لاَ أَرَى. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٧٦٨، م: ٢٤٣٨].

٦١٨٨ ـ [٥] وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أُرِيتُكِ فِي الْمَنَامِ ثَلاَثَ لَيَالٍ، يَجِيءُ بِكِ الْمَلَكُ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ، فَقَالَ لِي: . . . .

٦١٨٧ ـ [٤] (أبو سلمة) قوله: (يا عائش) ترخيم عائشة بفتح الشين وضمها، و(يقرئك) بضم الياء من الإقراء، كما قلنا، ووجهه أن المسلِّم يجعل المسلَّم عليه قارئاً للسلام ومتكلماً به برده.

وقوله: (قالت) أي: عائشة: (وهو) أي: النبي ﷺ (يرى ما لا أرى) وهو جبرئيل.

٦١٨٨ ـ [٥] (عائشة) قوله: (في سرقة) بفتحات، أي: قطعة من جيِّد الحرير، جمعها سَرَقٌ بدون التاء، وفي (القاموس)[١]: السرق محركة: شُقَقُ الحرير الأبيض، أو الحريرُ عامة، الواحدة بهاء، وفي (مختصر النهاية)[٢] للسيوطي: قال أبو عبيد: إنها الشقق إلا أنها البيض خاصة، وهي فارسية أصلها سَرَه، وهو الجيِّد.

وفي (المشارق)[٣]: قال أبو عبيد: وأحسب الكلمة فارسية، قال ابن دريد: أصله سره، أي: جيد. قال الشيخ[٤]: والجمع بينه وبين قولها: نزل جبرئيل بصورتي

---

(١) «القاموس» (ص: ٨٠٤).

(٢) انظر: «النهاية» (٢/ ٣٦٢).

(٣) «مشارق الأنوار» (٢/ ٢١٣).

(٤) «فتح الباري» (٩/ ١٨١).

هَذِهِ امْرَأَتُكَ فَكَشَفْتُ عَنْ وَجْهِكِ الثَّوْبَ، فَإِذَا أَنْتِ هِيَ، فَقُلْتُ: إِنْ يَكُنْ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ يُمْضِهِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٨٩٥، م: ٢٤٣٨].

في راحته حين أمر رسول الله ﷺ أن يتزوجني، بأن المراد أن صورتها كانت في الخرقة، والخرقة في راحته، ويحتمل أن يكون نزل بالكيفيتين، لقولها في نفس الخبر: نزل مرتين، انتهى.

قلت: قد وقع في هذا الحديث (**ثلاث ليال**)، فلا بد من وجه الجمع، أو حمل مرتين على معنى التكرار، والله أعلم.

ثم الظاهر أنها كانت في السرقة، والتصاوير إنما حرمت بعد النبوة بل بعد القدوم بالمدينة، وأيضاً حرمتُها إنما كانت في هذا العالم لا في ذلك العالم، كما ورد في حديث شقِّ قلبه ﷺ وغسله في طست من ذهب.

وقوله: (**فكشفت عن وجهك الثوب**) يحمل على معنيين: أحدهما: عن وجه صورتك التي في السرقة فإذا أنت الآن تلك الصورة، وثانيهما: عن وجهك عند مشاهدتك فإذا أنت مثل الصورة التي رأيتها في المنام، وهذا تشبيه حذفت أداته للمبالغة.

وقوله: (**إن يكن هذا من عند الله يمضه**) قيل: هذا الشرط لتقرير الوقوع بقوله المتحقق بثبوت الأمر وصحته، كقول السلطان لمن تحت يده: إن أكن سلطاناً انتقمت منك، ونقل الطيبي[1] عن القاضي عياض: إن كانت هذه الرؤيا قبل النبوة فلا إشكال في الشك، وإن كان بعدها فالشك في أن: هل هذه الرؤيا محمولة على ظاهرها أو لها تعبيرٌ يصرفها عن ظاهرها؟ والمراد زوجته في الدنيا أو في الآخرة؟ أو ما ذكره من

---

(١) «شرح الطيبي» (١٢/ ٣١٤).

٦١٨٩ ـ [٦] وَعَنْهَا قَالَتْ: إِنَّ النَّاسَ كَانُوا يَتَحَرَّوْنَ بِهَدَايَاهُمْ يَوْمَ عَائِشَةَ، يَبْتَغُونَ بِذَلِكَ مَرْضَاةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ. وَقَالَتْ: إِنَّ نِسَاءَ رَسُولِ اللهِ ﷺ كُنَّ حِزْبَيْنِ: فَحِزْبٌ فِيهِ عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ وَصَفِيَّةُ وَسَوْدَةُ، وَالْحِزْبُ الآخَرُ أُمُّ سَلَمَةَ وَسَائِرُ نِسَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَكَلَّمَ حِزْبُ أُمِّ سَلَمَةَ فَقُلْنَ لَهَا: كَلِّمِي رَسُولَ اللهِ ﷺ يُكَلِّمِ النَّاسَ فَيَقُولُ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يُهْدِيَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَلْيُهْدِهِ إِلَيْهِ حَيْثُ كَانَ. فَكَلَّمَتْهُ فَقَالَ لَهَا: «لاَ تُؤْذِينِي فِي عَائِشَةَ فَإِنَّ الْوَحْيَ لَمْ يَأْتِنِي وَأَنَا فِي ثَوْبِ امْرَأَةٍ.............................

المعنى، انتهى ملخصاً.

والظاهر أن هذه الرؤية بعد موت خديجة فيكون في أيام النبوة، والله أعلم. فإن قلت: مجيء الملك بها هل يقطع احتمال كونه قبل النبوة؟ قلت: لا، إذ ملاقاة الملك لا يتوقف على النبوة نوماً أو يقظة، كذا في (مجمع البحار)[١].

قلت: يريد أنه يمكن أن يكون ذلك في مبادئ النبوة أو قبلها مطلقاً، وهو الظاهر، فإن رؤية الملك لا تختص بالنبي، وإنما المخصوص به إتيان الملك بالوحي من الله سبحانه.

٦١٨٩ ـ [٦] (وعنها) قوله: **(يتحرون)** أي: يقصدون، والتحري: القصد والاجتهاد في الطلب، ومنه: تحري القبلة، وتحري ليلة القدر، وفي (القاموس)[٢]: تحراه: تعمَّده وطلب ما هو أحرى بالاستعمال.

وقوله: **(يكلم الناس)** بالجزم جواباً للأمر وكسرت الميم لالتقاء الساكنين،

---

(١) «مجمع بحار الأنوار» (٣/ ٦٤).

(٢) «القاموس» (ص: ١١٤٦).

إلاَّ عَائِشَةَ». قَالَتْ: أَتُوبُ إِلَى اللهِ مِنْ أَذَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ، ثُمَّ إِنَّهُنَّ دَعَوْنَ فَاطِمَةَ فَأَرْسَلْنَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَكَلَّمَتْهُ فَقَالَ: «يَا بُنَيَّةُ، أَلَا تُحِبِّينَ مَا أُحِبُّ؟» قَالَتْ: بَلَى. قَالَ: «فَأَحِبِّي هَذِهِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٢٥٨١، م: ٢٤٤١].

وَذُكِرَ حَدِيثُ أَنَسٍ «فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ» فِي «بَابِ بَدْءِ الْخَلْقِ» بِرِوَايَةِ أَبِي مُوسَى.

* الْفَصْلُ الثَّانِي:

٦١٩٠ ـ [٧] عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «حَسْبُكَ مِنْ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ مَرْيَمُ.................................

ويجوز فيه الرفع، كذا قال الشيخ[1]، قلت: يؤيد الرفع قوله: (فيقول) وضبط في بعض النسخ المصححة بالرفع لا غير.

وقوله: (إلا عائشة) أي: غيرها، صفة (امرأة).

وقوله: (ألا تحبين ما أحب) بإرادة الصفة، أي: شيئاً أحب، يفيد التعميم.

وقوله: (هذه) أي: عائشة، وفي التعبير بلفظ الإشارة من المبالغة والاعتناء ما لا يخفى.

الفصل الثاني

٦١٩٠ ـ [٧] (أنس) قوله: (حسبك) مبتدأ، و(من نساء) متعلق به، و(مريم) خبره، أي: كافيك معرفتك فضلهن وذكرك محاسنهن ومناقبهن من معرفة سائر النساء

---

(١) «فتح الباري» (٥/ ٢٠٧).

بِنْتُ عِمْرَانَ وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ وَفَاطِمَةُ بِنْتُ محمَّدٍ وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْن». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٨٧٨].

٦١٩١ ـ [٨] وَعَن عَائِشَةَ: أَنَّ جِبْرِيلَ جَاءَ بِصُورَتِهَا فِي خِرْقَةِ حَرِيرٍ خَضْرَاءَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «هَذِهِ زَوْجَتُكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٨٨٠].

٦١٩٢ ـ [٩] وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: بَلَغَ صَفِيَّةَ أَنَّ حَفْصَةَ قَالَتْ: بِنْتُ يَهُودِيٍّ، فَبَكَتْ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ وَهِيَ تَبْكِي فَقَالَ: «مَا يُبْكِيكِ؟» فَقَالَتْ: قَالَتْ لِي حَفْصَةُ: إِنِّي ابْنَةُ يَهُودِيٍّ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّكِ ابْنَةُ نَبِيٍّ، وَإِنَّ عَمَّكِ لَنَبِيٌّ، وَإِنَّكِ لَتَحْتَ نَبِيٍّ، ....

وذكر محاسنها، والخطاب عام أو خاص بأنسٍ.

وقوله: (مريم بنت عمران) إلى آخرها يدل بظاهره على تساويهن في الفضل، وعلى التوقف في القول بتفضيل بعضها على بعض، ولم يذكر عائشة فيهن اكتفاءً بذكر فضلها وامتيازها في أحاديث أخر خصوصاً: (فضل عائشة على سائر النساء كفضل الثريد على سائر الطعام)، والله أعلم.

٦١٩١ ـ [٨] (عائشة) قوله: (في خرقة حرير خضراء) يدل ـ بناء على ما قالوا: إن السرقة تكون من حرير أبيض ـ أن القضية متعددة، أو يكون من اشتباه الراوي، والله أعلم. وفي قوله: (والآخرة) بشارة لها ﵂ بالجنة وكل نساء النبي من أهل الجنة وليست البشارة مخصوصة بالعشرة من الأصحاب، كما بينا.

٦١٩٢ ـ [٩] (أنس) قوله: (إنك لابنة نبي) وكانت صفية بن حيي بن أخطب اليهودي من سبط هارون وعمها موسى عليهما السلام.

فَفِيمَ تَفْخَرُ عَلَيْكِ؟» ثُمَّ قَالَ: «اتَّقِي اللهَ يَا حَفْصَةُ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ.

[ت: ٣٨٩٤، ن في الكبرى: ٨٨٧٠].

٦١٩٣ ـ [١٠] وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَعَا فَاطِمَةَ عَامَ الْفَتْحِ فَنَاجَاهَا فَبَكَتْ، ثُمَّ حَدَّثَهَا فَضَحِكَتْ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَأَلْتُهَا عَنْ بُكَائِهَا وَضَحِكِهَا. قَالَتْ[1]: أَخْبَرَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنَّهُ يَمُوتُ فَبَكَيْتُ، ثُمَّ أَخْبَرَنِي أَنِّي سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلاَّ مَرْيَمَ بِنْتَ عِمْرَانَ فَضَحِكْتُ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٨٧٣].

وقوله: (ففيم تفخر؟) بفتح الخاء من باب منع، والفخر والافتخار: التمدح بالخصال والتفضل بها على الغير.

فإن قلت: أليست حفصة ابنة بني إسماعيل لأنها قرشية، وعمُّها نبي وهو إسحاق، وتحت نبي، وهو النبي ﷺ؟ قلت: المراد هذه الصفات مشتركة بين نسائه ﷺ اللاتي من قريش، وصفية أيضاً مشاركة لهن فيها؛ لأن موسى وهارون من أولاد يعقوب بن إسحاق عليهم السلام، أو المقصود دفع المنقصة عن صفية بأنها أيضاً تجمع صفات الفضل والكرم.

٦١٩٣ ـ [١٠] (أم سلمة) قوله: (أنه يموت) أي: في هذا العام، أو عن قريب.

وقوله: (إلا مريم بنت عمران) الاستثناء يحتمل التساوي، ويحتمل العكس في الفضل، وقيل: لعله ورد قبل أن يوحى إليه ﷺ بفضل فاطمة على نساء العالمين،

---

(١) في نسخة: «فَقَالَتْ».

* الْفَصْلُ الثَّالِثُ:

٦١٩٤ ـ [١١] عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: مَا اسْتَشْكَلَ عَلَيْنَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَدِيثٌ قَطُّ فَسَأَلْنَا عَائِشَةَ إِلاَّ وَجَدْنَا عِنْدَهَا مِنْهُ عِلْماً. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ. [ت: ٣٨٨٣].

٦١٩٥ ـ [١٢] وَعَنْ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَداً أَفْصَحَ مِنْ عَائِشَةَ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ. [ت: ٣٨٨٤].



والله أعلم، فبعد هذا الوحي ظهر أن ما ورد في فضل مريم كان مخصوصاً بغير فاطمة قيد به، وذكر هذا الحديث في هذا الباب استطراداً، وقيل: ذكره لبيان فضل مريم لأنها زوجة نبينا ﷺ في الجنة.

الفصل الثالث

٦١٩٤ ـ [١١] (أبو موسى) قوله: (ما استشكل) وفي بعض النسخ: (ما أشكل).

وقوله: (أصحاب رسول الله) بالنصب بتقدير أعني.

٦١٩٥ ـ [١٢] (موسى بن طلحة) قوله: (ما رأيت أحداً أفصح من عائشة) وكيف لا يكون كذلك، وهي جليسته وحبيبته ﷺ، وقد ابتلع لسانها[1]، وكفى به

---

(١) انظر ما سلف برقم (٢٠٠٥)، من حديث عائشة: أن النبي ﷺ كان يقبِّلها وهو صائم ويمص لسانها.

١٢ ـ باب جامع المناقب

* الْفَصْلُ الأَوَّلُ:

٦١٩٦ ـ [١] عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ فِي يَدِي سَرَقَةً مِنْ حَرِيرٍ، لاَ أَهْوِي بِهَا إِلَى مَكَانٍ فِي الْجَنَّةِ إِلاَّ طَارَتْ بِي إِلَيْهِ، فَقَصَصْتُهَا عَلَى حَفْصَةَ، فَقَصَّتْهَا حَفْصَةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: . . . .

فضلاً وكرامة وسبباً لفصاحتها.

١٢ ـ باب جامع المناقب

ذكر فيه مناقب بعض الصحابة من غير تخصيص بطائفة منهم مخصوصة مترجمة بترجمة مخصوصة كالعشرة وأهل البيت والمهاجرين والأنصار.

الفصل الأول

٦١٩٦ ـ [١] (عبدالله بن عمر) قوله: (سرقة) أي: قطعة، وسبق معناه في الباب السابق.

وقوله: (لا أهوي بها إلى مكان) بكسر الواو هوى يهوي من ضرب هَوِيًّا بالفتح مشدداً: إذا هبط، وهُوياً بالضم: إذا صعد، ولم يفرق بينهما صاحب (العين)، وجعلهما لغتين، ويجيء بمعنى الإسراع، هوت الناقة: أسرعت، ومنه: ﴿تَهْوِي بِهِ ٱلرِّيحُ﴾[الحج: ٣١] أي: تمر به في سرعة، وبمعنى السقوط، هوى الشيء: سقط، والعقاب: انقضت على صيد أو غيره.

والباء في (إلا طارت بي) للتعدية، والمعنى: لا أقصد ولا أريد الهبوط والصعود إلى مكان في الجنة إلا كانت تلك السرقة مطيرة بي ومبلّغة إياي إلى ذلك المكان،

«إِنَّ أَخَاكِ رَجُلٌ صَالِحٌ» أَوْ: «إِنَّ عَبْدَاللهِ رَجُلٌ صَالِح». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٧٠١٥، ٢٤٧٨].

٦١٩٧ ـ [٢] وَعَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: إِنَّ أَشْبَهَ النَّاسِ دَلاًّ وَسَمْتاً وَهَدْياً بِرَسُولِ اللهِ ﷺ..............................

فكأنها صارت مثل جناح الطير.

وقوله: (**إن أخاك رجل صالح**) أي: يبلغ صلاحه إلى ما يريد الوصول إلى المنازل الشريفة، ويصلح ويستعد للبلوغ إلى الكمالات والمقامات في الجنة.

٦١٩٧ ـ [٢] (**حذيفة**) قوله: (**دلاًّ وسمتاً وهدياً**) الدل بفتح دال وشدة لام، والسمت بفتح السين وسكون الميم، والهدي بفتح الهاء وسكون الدال، ومنه: (رأيت امرأة أعجبني دلُّها) أي: حسن هيئتها، وقيل: حسن حديثها، كأنه مأخوذ مما يدل ظاهر حاله على حسن سريرته، وفي (القاموس)[1]: الدل كالهدي: وهما من السكينة والوقار وحسن المنظر، وفي (مجمع البحار)[2]: الدل: الشكل والشمائل، والسمت: الطريق القصد، ويستعار لطريق أهل الخير، وفي الحديث: (ويتسمت في ملاءته)، أي: يلزم طريقة أهل الخير في اشتمال الملحفة، وفي (القاموس)[3]: السمت: الطريق وهيئة أهل الخير، والهدي: الطريقة والسيرة والهيئة.

وفي الحديث: (الهدي الصالح والسمت الصالح جزء من خمسة وعشرين من النبوة)، يعني أن هذه الخلال من شمائل الأنبياء، وجزء معلوم من أجزاء أفعالهم،

---

(١) «القاموس» (ص: ٩٠٠).

(٢) «مجمع بحار الأنوار» (٢/ ١٩٩، و٣/ ١١٥).

(٣) «القاموس» (ص: ١٤٢، ١٢١٠).

لِابْنُ أُمِّ عَبْدٍ مِنْ حِينِ يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ إِلَى أَنْ يَرْجِعَ إِلَيْهِ، لاَ نَدْرِي مَا يَصْنَعُ فِي أَهْلِهِ إِذَا خَلاَ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٦٠٩٧].

٦١٩٨ ـ [٣] وَعَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَدِمْتُ أَنَا وَأَخِي مِنَ الْيَمَنِ، فَمَكَثْنَا حِيناً مَا نَرَى إِلاَّ أَنَّ عَبْدَاللهِ بْنَ مَسْعُودٍ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ لِمَا نَرَى مِنْ دُخُولِهِ وَدُخُولِ أُمِّهِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ. . . . .

ولا يريد أن النبوة تتجزى، وتخصيص هذا العدد مما يستأثر النبي ﷺ بمعرفته.

وبالجملة الثلاثة المذكورة عبارة عن حالة الإنسان من السكينة والوقار، وحسن السيرة والطريق، واستقامة الهيئة، و(**ابن أم عبد**) هو عبدالله بن مسعود، كانت أمه تكنى بأم عبد.

وقوله: (**لا ندري ما يصنع في أهله إذا خلا**) جملة مستأنفة يريد: أنا نشهد له ما يستبين لنا من ظاهر حاله، ولا ندري ما بطن له، قال ذلك من غاية استغراب طريقته وحاله وحسنه وكماله، وأن هذه الطريقة والحال هل يستمر في أهله في الخلوة لأن الإنسان قد يتكلف في الظاهر عند الناس ولا يستقيم له ذلك في الباطن والخلوة بالأهل، وفي هذا غاية المبالغة في حسن حاله وطريقته بأن الاستقامة على مثل هذه الحال مما يصعب ويتعذر في الخلوة والملأ، مع ما كان عند حذيفة ﷺ من خوف التكلف والتصنع والنفاق، وعنده علم المنافقين، وقد كان عمر ﷺ يسأله: يا حذيفة هل تجد فينا من علامات النفاق، فافهم.

٦١٩٨ ـ [٣] (**أبو موسى الأشعري**) قوله: (**ما نرى**) بضم النون، أي: نظن، وهو حال من فاعل (مكثنا).

وقوله: (**لما نرى من دخوله**) بفتح النون، وكان رسول الله ﷺ أذن له أن يدخل

مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٧٦٣، م: ٢٤٦٠].

٦١٩٩ ـ [٤] وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «اسْتَقْرِؤُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ: مِنْ عَبْدِاللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَسَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ، وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٧٦٠، م: ٢٤٦٤].

٦٢٠٠ ـ [٥] وَعَنْ عَلْقَمَةَ قَالَ: قَدِمْتُ الشَّامَ فَصَلَّيْتُ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قُلْتُ: اللهُمَّ يَسِّرْ لِي جَلِيساً صَالِحاً، فَأَتَيْتُ قَوْماً فَجَلَسْتُ إِلَيْهِمْ، فَإِذَا شَيْخٌ قَدْ جَاءَ حَتَّى جَلَسَ إِلَى جَنْبِي، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: أَبُو الدَّرْدَاءِ. قُلْتُ: إِنِّي دَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُيَسِّرَ لِي جَلِيساً صَالِحاً فَيَسَّرَكَ لِي، فَقَالَ: مَنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ: مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ. قَالَ: أَوَ لَيْسَ عِنْدَكُمُ ابْنُ أُمِّ عَبْدٍ صَاحِبُ النَّعْلَيْنِ وَالْوِسَادَةِ وَالْمِطْهَرَةِ، . . . .

عليه إذا رأى واحداً أو اثنين عنده.

٦١٩٩ ـ [٤] **(عبدالله بن عمرو)** قوله: **(استقرؤوا)** أي: اطلبوا قراءة القرآن وتعلموه منهم.

٦٢٠٠ ـ [٥] **(علقمة)** قوله: **(من أنت؟)** قيل: صوابه: مِن أين أنت؟ لقوله في الجواب: **(من أهل الكوفة)**، ولعل لفظ أين سقطت من القلم أو من بعض الرواة، أو صحّف أين بـ (أنت)، ومن الجارة بـ (مَن) الاستفهامية، انتهى.

ويحتمل ـ والله أعلم ـ أنه أسقط نفسه من مرتبة التعيين حتى يقول: أنا فلان، بل قال: أنا رجل من الكوفة.

وقوله: **(صاحب النعلين والوسادة والمطهرة)** بكسر الميم وسكون الطاء، يعني

وَفِيكُمُ الَّذِي أَجَارَهُ اللهُ مِنَ الشَّيْطَانِ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ؟ يَعْنِي عَمَّاراً، أَوَ لَيْسَ فِيكُمْ صَاحِبُ السِّرِّ الَّذِي لاَ يَعْلَمُهُ غَيْرُهُ؟ يَعْنِي حُذَيْفَةَ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٣٧٤٢].

٦٢٠١ ـ [٦] وَعَنْ جَابِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أُرِيتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ امْرَأَةَ أَبِي طَلْحَةَ، وَسَمِعْتُ خَشْخَشَةً أَمَامِي فَإِذَا بِلاَلٌ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٤٥٧].

كانت هذه الأشياء عنده كما يكون عند الخدام، والمقصود كونه خادماً وملازماً لرسول الله ﷺ في الحالات كلها في المجالس والخلوات.

وقوله: (أجاره الله من الشيطان على لسان نبيه) فإنه ﷺ سماه طيِّباً مطيَّباً، وبشره بالجنة، ودعا له حين حرقه المشركون بقوله: (يا نار كوني برداً وسلاماً على عمار كما كنت على إبراهيم)، ولا يَبعد أن يكون قوله ﷺ: (يقتلك الفئة الباغية، تدعوهم إلى الجنة ويدعونك إلى النار) أيضاً في معنى إجارة الله إياه من الشيطان باتباعه سبيل الهدى واستقامته على طريق الحق، ولم نجد الآن ما يدل على صريح ما يدل بلفظه على ذلك، والله أعلم.

وقوله: (يعني حذيفة) وكان رضي الله عنه صاحب سر رسول الله ﷺ وعنده علم المنافقين.

٦٢٠١ ـ [٦] (جابر) قوله: (وسمعت خشخشة) في (القاموس)[1]: الخشخشة: صوت السلاح، وكل شيء يابس إذا حُكَّ بعضُه ببعض.

---

(١) «القاموس» (ص: ٥٣٣).

٦٢٠٢ ـ [٧] وَعَنْ سَعْدٍ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ سِتَّةَ نَفَرٍ فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: اطْرُدْ هَؤُلَاءِ لَا يَجْتَرِئُونَ عَلَيْنَا. قَالَ: وَكُنْتُ أَنَا وَابْنُ مَسْعُودٍ وَرَجُلٌ مِنْ هُذَيْلٍ وَبِلَالٌ وَرَجُلَانِ لَسْتُ أُسَمِّيهِمَا، فَوَقَعَ فِي نَفْسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقَعَ، فَحَدَّثَ نَفْسَهُ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾[الأنعام: ٥٢]. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٤١٣].

٦٢٠٣ ـ [٨] وَعَنْ أَبِي مُوسَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ: «يَا أَبَا مُوسَى! لَقَدْ أُعْطِيْتَ مِزْمَاراً مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٥٠٤٨، م: ٧٩٣].

٦٢٠٢ ـ [٧] (سعد) قوله: (اطرد هؤلاء) أي: ادفعهم وبعِّدهم وأقمهم عن مجلسك نحادثك.

وقوله: (ورجلان) قيل: هما خباب وعمار، وإنما قال: (لست أسميهما) لمصلحة في ذلك عند الرواية، وقيل: للنسيان، والأول أظهر من العبارة، كذا نقل عن (الأزهار).

وقوله: (فحدث نفسه) يعني: أراد أن يطردهم طمعاً في إيمان المشركين واستمالة لقلوبهم، وورد أنه ﷺ قال: (ما أنا بطارد الذين آمنوا)، ثم رأى أن ينحيهم إذا جاؤوا فنزلت.

٦٢٠٣ ـ [٨] (أبو موسى) قوله: (لقد أعطيت مزماراً من مزامير آل داود) والمزمار بالكسر: آلة الزمر، وهو التغني، في (القاموس)[1]: زمر يزمُر ويزمِر زَمْراً

---

(١) «القاموس» (ص: ٣٦١).

٦٢٠٤ ـ [٩] وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: جَمَعَ الْقُرْآنَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَرْبَعَةٌ: أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَأَبُو زَيْدٍ، قِيلَ لأَنَسٍ: مَنْ أَبُو زَيْدٍ؟ قَالَ: أَحَدُ عُمُومَتِي. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٨١٠، م: ٢٤٦٥].

وزَمِيراً: غنى في القصب، أطلق هنا على الصوت الحسن، ولفظ (آل) مقحمة؛ لأن الذي اشتهر بحسن الصوت هو داود عليه السلام نفسه لا آله، وقيل: (آل) هنا بمعنى الشخص، وعده في (القاموس)(١) من معنى الآل.

٦٢٠٤ ـ [٩] (أنس) قوله: (**جمع القرآن أربعة**) أي: من الأنصار، بل من بين الخزرج منهم، وهم رهط أنس، قاله لما افتخرت الأوس بأربعة، منهم حنظلة الذي هو غسيل الملائكة، وعاصم بن ثابت الذي حمته الدَّبْر، وخزيمة بن ثابت ذي الشهادتين، وسعد بن معاذ الذي اهتز له العرش، فقالوا: منا أربعة الذين هم جمعوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ، كذا قال الشيخ التُّورِبِشْتِي(٢)، ولو عمم فليس فيه تصريح بأن غير الأربعة لم يجمعه؛ لأن مفهوم العدد غير معتبر كما قيل، وقد ثبت حفظ كثير من الصحابة منهم السبعون الذين قتلوا يوم اليمامة وغيرهم، وتمام الكلام فيه في (الإتقان)(٣) للسيوطي.

وقوله: (**وأبو زيد**) الأنصاري، اختلف في اسمه، فقيل: سعد بن عمرو، وقيل: قيس بن السكن، والعمومة جمع العم كالأعمام والأَعُمِّ، كذا في (القاموس)(٤).

---

(١) المصدر السابق (ص: ٨٦٧).

(٢) «كتاب الميسر» (٤/ ١٣٤٥).

(٣) «الإتقان في علوم القرآن» (١/ ٢٠٢).

(٤) «القاموس» (ص: ١٠٣٩).

٦٢٠٥ - [١٠] وَعَنْ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ قَالَ: هَاجَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ نَبْتَغِي وَجْهَ اللهِ تَعَالَى، فَوَقَعَ أَجْرُنَا عَلَى اللهِ، فَمِنَّا مَنْ مَضَى لَمْ يَأْكُلْ مِنْ أَجْرِهِ شَيْئاً مِنْهُمْ: مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ، فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مَا يُكَفَّنُ فِيهِ إِلاَّ نَمِرَةٌ، فَكُنَّا إِذَا غَطَّيْنَا رَأْسَهُ خَرَجَتْ رِجْلاَهُ، وَإِذَا غَطَّيْنَا رِجْلَيْهِ خَرَجَ رَأْسُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «غَطُّوا بِهَا رَأْسَهُ وَاجْعَلُوا عَلَى رِجْلَيْهِ مِنَ الإِذْخِرِ». وَمِنَّا مَنْ أَيْنَعَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ..............................

٦٢٠٥ - [١٠] **(خباب بن الأرت)** قوله: **(عن خباب)** بفتح المعجمة وتشديد الموحدة الأولى **(ابن الأرت)** بفتح الهمزة وتشديد المثناة الفوقية.

وقوله: **(لم يأكل من أجره شيئاً)** كناية عن الغنائم التي تناولها من أدرك زمن الفتوح، أي: عُجِّل إليه بعض ثوابه وأجره. و**(النمرة)** بفتح النون وكسر الميم: شملة فيها خطوط بيض وسوداء، وبردة من صوف يلبسها الأعراب، والنُّمْرة بالضم: النكتة من أيّ لون كان، وبه سمي السبع المعروف، وفي (مختصر النهاية)[1]: كل شملة من مآزر الأعراب، وفي (المشارق)[2]: هي شملة مخططة من صوف، وقيل: فيها أمثال الأهلة، وقيل: المرافق.

وقوله: **(من أينعت له ثمرته)** أي: أدركت وطابت، أينع الثمر يونع ويَنَع يَيْنع فهو مونعٌ ويانعٌ: إذا أدرك ونضج، كذا في (مجمع البحار)[3]، وفي (القاموس)[4]:

---

(١) انظر: «النهاية» (٥/ ١١٨).

(٢) «مشارق الأنوار» (٢/ ١٣).

(٣) «مجمع بحار الأنوار» (٥/ ٢٠٦).

(٤) «القاموس» (ص: ٧٠٠).

فَهُوَ يَهْدِبُهَا. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ١٢٧٦، ٣٨٩٨، م: ٩٤٠].

٦٢٠٦ - [١١] وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «اهْتَزَّ الْعَرْشُ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ». وَفِي رِوَايَةٍ[1]: «اهْتَزَّ عَرْشُ الرَّحْمَنِ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٨٠٣، م: ٢٤٦٦].

٦٢٠٧ - [١٢] وَعَنِ الْبَرَاءِ قَالَ: أُهْدِيَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ حُلَّةُ حَرِيرٍ، فَجَعَلَ أَصْحَابُهُ يَمَسُّونَهَا وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْ لِينِهَا، ....

ينع الثمر كمنع وضرب يَنْعاً ويُنوعاً: حان قطافه، كأينع، واليانع: الثمر الناضج.

وقوله: (**يهدبها**) بالدال المهملة المسكورة، كذا في (الصحاح)[2]، وضبطه النووي بضم الدال، وحكى ابن التين تثليثها، أي: يجتنيها، هدب الثمرة: اجتناها.

٦٢٠٦ - [١١] (**جابر**) قوله: (**اهتز العرش لموت سعد**) قيل: اهتزازه كناية عن فرحه ونشاطه بقدوم روحه إليه، وذلك إما حقيقة أو مجاز، والأول هو الصواب، فقد جعل الله تعالى في الجمادات علماً وتمييزاً، كما في قوله: (أحد جبل يحبنا ونحبه) إن جعل ذلك أيضاً حقيقة، وقيل: المراد فرح أهله، وقيل: جعل حركته علامة للملائكة على موته، وقيل: اهتزازه كناية عن عظم شأن وفاته، كما يقال: قامت القيامة بموت فلان، وقيل: اهتزازه لفقده ومصيبته كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ﴾[الدخان: ٢٩]، وقد سبق الكلام فيه في أوائل الكتاب في (الفصل الثالث) من (باب إثبات عذاب القبر).

٦٢٠٧ - [١٢] (**البراء**) قوله: (**ويتعجبون من لينها**) وجاء في رواية: (وكانوا

---

(١) زاد بعده في نسخة: «قال».

(٢) «الصحاح» (١/ ٢٣٧).

فَقَالَ: «أَتَعْجَبُونَ مِنْ لِينِ هَذِهِ؟ لَمَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الجنَّةِ خيرٌ مِنْهَا وَأَلْيَنُ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٨٠٢، ٢٤٦٨].

٦٢٠٨ ـ [١٣] وَعَنْ أُمِّ سُلَيْمٍ أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَنَسٌ خَادِمُكَ ادْعُ اللهَ لَهُ، قَالَ: «اللهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ وَبَارِكْ لَهُ فِيمَا أَعْطَيْتَهُ» قَالَ أَنَسٌ: فَوَاللهِ إِنَّ مَالِي لَكَثِيرٌ، وَإِنَّ وَلَدِي وَوَلَدَ وَلَدِي لَيَتَعَادُّونَ عَلَى نَحْوِ الْمِئَةِ الْيَوْمَ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ١٩٨٢، م: ٢٤٨٠].

٦٢٠٩ ـ [١٤] وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: مَا سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ لأَحَدٍ يَمْشِي عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ: «إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ» إِلاَّ لِعَبْدِاللهِ بْنِ سَلاَمٍ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٨١٢، م: ٢٤٨٣].

يقولون: أنزلت عليه من السماء) لغاية تعجبهم وعدم رؤيتهم مثل ذلك قط.

وقوله: (لمناديل) هو جمع منديل بكسر الميم وفتحها وكمنبر: الذي تندل به اليد، أي: تمسح، وتمندل: تمسَّح، وأصله من الندل، وهو الوسخ، ندلت يده كفرح، وفي ذكر المناديل دون سائر الثياب مبالغة لا تخفى.

٦٢٠٨ ـ [١٣] (أم سليم) قوله: (إن مالي لكثير) وفي رواية: (وإن أرضي لتثمر في السنة مرتين).

وقوله: (ولدي وولد ولدي) وفي رواية: أنه قال: رزقت من صلبي سوى ولد ولدي مئة وخمسة وعشرين، وقالت بنته: دفنت من أولاده الصلبية نحو مئة، وتمامه في ترجمته.

٦٢٠٩ ـ [١٤] (سعد بن أبي وقاص) قوله: (ما سمعت النبي ﷺ يقول لأحد)

٦٢١٠ ـ [١٥] وَعَنْ قَيْسِ بْنِ عُبَادٍ قَالَ: كُنْتُ جَالِساً فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ، فَدَخَلَ رَجُلٌ عَلَى وَجْهِهِ أَثَرُ الْخُشُوعِ، فَقَالُوا: هَذَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ تَجَوَّزَ فِيهِمَا، ثُمَّ خَرَجَ وَتَبِعْتُهُ فَقُلْتُ: إِنَّكَ حِينَ دَخَلْتَ الْمَسْجِدَ قَالُوا: هَذَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ. قَالَ: وَاللهِ مَا يَنْبَغِي لأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ مَا لاَ يَعْلَمُ، ....

الحديث، نفي سماعه لا يدل على نفي البشارة لغيره، فقد ثبت للعشرة ولغيرهم، كما ذكرنا، وقيل: قال سعد هذا القول بعد موت المبشَّرين، وكان عبدالله بن سلام حينئذ باقياً ولم يكن إذ ذاك إلا سعد وسعيد، ولم يذكر نفسه لنفي التزكية، ولم يسمع لسعيد خبر في ذلك، وأنه أراد هذا القائل بـ (أحد يمشي في الأرض) مَن كان حياً في هذا الوقت وماشياً فيه، والظاهر أنه للعموم والتأكيد، كقوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾[هود: ٦]، ووقع عند الدارقطني[1]: (ما سمعت النبي ﷺ يقول لحي يمشي: إنه من أهل الجنة)، فتدبر.

٦٢١٠ ـ [١٥] **(قيس بن عباد)** قوله: **(وعن قيس بن عباد)** بضم العين وتخفيف الموحدة.

وقوله: **(تجوز فيهما)** أي: خفَّفهما، في (القاموس)[2]: تجوز في الصلاة: خفف، وفي الكلام: تكلم بالمجاز.

وقوله: **(والله ما ينبغي لأحد أن يقول ما لا يعلم)** الظاهر أن المراد تصديقه إياهم فيما قالوا، يعني أنهم لما قالوا ذلك لابد أن يكون لهم علم بذلك، وأنا أيضاً

---

(١) لم أجده في «سنن الدارقطني»، وأخرجه أبو يعلى في «مسنده» (٧٧٦).

(٢) «القاموس» (ص: ٤٥٦).

فَسَأُحَدِّثُكَ لِمَ ذَاكَ؟ رَأَيْتُ رُؤْيَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَصَصْتُهَا عَلَيْهِ، وَرَأَيْتُ كَأَنِّي فِي رَوْضَةٍ - ذَكَرَ مِنْ سَعَتِهَا وَخُضْرَتِهَا - وَسْطَهَا عَمُودٌ مِنْ حَدِيدٍ، أَسْفَلُهُ فِي الأَرْضِ وَأَعْلاَهُ فِي السَّمَاءِ، فِي أَعْلاَهُ عُرْوَةٌ فَقِيلَ لِيَ: ارْقَهْ، فَقُلْتُ: لاَ أَسْتَطِيعُ، فَأَتَانِي مِنْصَفٌ فَرَفَعَ ثِيَابِي مِنْ خَلْفِي فرقِيتُ حَتَّى كُنْتُ فِي أَعْلاَهُ، فَأَخَذْتُ بِالْعُرْوَةِ فَقِيلَ: اسْتَمْسِكْ، فَاسْتَيْقَظْتُ وَإِنَّهَا لَفِي يَدِي، فَقَصَصْتُهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «تِلْكَ الرَّوْضَةُ الإِسْلاَمُ، وَذَلِكَ الْعَمُودُ عَمُودُ الإِسْلاَمِ، ....

أعلم شيئاً من ذلك، وهو أني (رأيت رؤيا)، الحديث، فهؤلاء إما علموا ذلك من هذه الرؤيا التي قصصتها على رسول الله ﷺ، وهم سمعوها أو علموا من طريق آخر، وهذا مبني على أنه لم يسمع حديث سعد وهم سمعوه، ويحتمل أنه كره الثناء عليه تواضعاً وكراهة أن يشار إليه بالأصابع، فتوقف في خبرهم مع شيء من الإنكار، ويكون المقصد من قوله: (**فسأحدثك لم ذاك؟**) أن الذي وقع من ذلك هو هذه الرؤيا، وهو ليس بدليل قطعي، وهذا أيضاً تواضع وهضم للنفس وإلا فلا محل للشك والإنكار بعد ما قال رسول الله ﷺ: (فأنت على الإسلام حتى تموت).

وقيل: الأولى أن يقال: إنما أنكر لأنهم لم يسمعوا ذلك صريحاً بل قالوه استدلالاً واجتهاداً، فهو في مشيئة الله تعالى، فتدبر.

وقوله: (**وسطها**) بسكون السين منصوب على الظرفية.

وقوله: (**في أعلاه عروة**) العروة في الأصل للدلو والكوز: مقبضهما، ويستعار لما يوثق به ويعول عليه، وهو المراد هنا. و(**ارقه**) أمر من رَقِيَ يرقى كسمع يسمع، والهاء للسكت أو ضمير عائد إلى العمود. و(**المنصف**) بكسر الميم وفتح الصاد المهملة،

وَتِلْكَ العُرْوَةُ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى، فَأَنْتَ عَلَى الإِسْلَامِ حَتَّى تَمُوتَ»، وَذَاكَ الرَّجُلُ عَبْدُاللهِ بْنُ سَلَامٍ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٨١٣، م: ٢٤٨٤].

٦٢١١ - [١٦] وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ خَطِيبَ الأَنْصَارِ، فَلَمَّا نَزَلَتْ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢] إِلَى آخِرِ الآيَةِ، جَلَسَ ثَابِتٌ فِي بَيْتِهِ وَاحْتَبَسَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَسَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ فَقَالَ: «مَا شَأْنُ ثَابِتٍ أَيَشْتَكِي؟» فَأَتَاهُ سَعْدٌ فَذَكَرَ لَهُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ ثَابِتٌ: . . . .

ويقال: بفتح الميم، والكسر أشهر بمعنى الخادم، من نَصَفْتُه: إذا خدمته، والنَّصْف كالضرب: الخدمة، وفي حديث داود عليه السلام: (دخل المحراب وأقعد على الباب مِنْصفاً).

وقوله: (**تلك العروة العروة الوثقى**) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وجاء في رواية أخرى: (يموت عبدالله وهو آخذ بالعروة الوثقى)[١].

وقوله: (**وذلك الرجل عبدالله بن سلام**) الظاهر أنه من قول قيس بن عباد، وقيل: هو قول عبدالله بن سلام، ولا مانع من أن يخبر به عن نفسه، ولكن هذا لا يلائم سَوق الحديث.

٦٢١١ - [١٦] (**أنس**) قوله: (**ابن شماس**) بفتح الشين وتشديد الميم في آخره مهملة.

---

(١) «صحيح البخاري» (٧٠١٠).

أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي مِنْ أَرْفَعِكُمْ صَوْتاً عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَذَكَرَ ذَلِكَ سَعْدٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بَلْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ١١٩].

٦٢١٢ ـ [١٧] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كُنَّا جُلُوساً عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ نَزَلَتْ سُورَةُ الْجُمُعَةِ، فَلَمَّا نَزَلَتْ ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ﴾ [الجمعة: ٣] قَالُوا: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: وَفِينَا سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ قَالَ: فَوَضَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ عَلَى سَلْمَانَ، ثُمَّ قَالَ: «لَوْ كَانَ الإِيمَانُ عِنْدَ الثُّرَيَّا لَنَالَهُ رِجَالٌ مِنْ هَؤُلَاءِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٤٨٩٧، م: ٢٥٤٦].

وقوله: (**فأنا من أهل النار**) رتب في نص القرآن حَبْط العمل على رفع الصوت على صوت النبي ﷺ، وهو من خواص الردة وأهل النار.

وقوله: (**بل هو من أهل الجنة**) وجاء في رواية أخرى: (أما ترضى يا ثابت أن تعيش حميداً فتقتل شهيداً وتدخل الجنة)، ووقع مصداق ذلك أنه قتل باليمامة شهيداً، وقال أنس ﷺ: لما كان يوم قتال مسيلمة الكذاب تحنط ولبس كفنه، فقاتل حتى قتل في كفنه.

٦٢١٢ ـ [١٧] (**أبو هريرة**) قوله: (**قال**) أي: الراوي.

وقوله: (**لو كان الإيمان عند الثريا . . . إلخ**)، وفي رواية: (لو كان الدين معلقاً بالثريا لناله رجل أو رجال من فارس) على شك الراوي، فإن كانت الرواية (**رجل**) فالمراد سلمان، وإن كانت (**رجال**) فالمراد هو وأضرابه من أهل فارس أو من العجم مطلقاً، والمقصد أن المراد بالذين لم يلحقوا بهم أهل العجم من التابعين لحقوا بالصحابة، وأكثر التابعين من أهل العجم، والصحابة من العرب، ولقد ظهر بسطة

٦٢١٣ ـ [١٨] وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللهُمَّ حَبِّبْ عُبَيْدَكَ هَذَا» يَعْنِي أَبَا هُرَيْرَةَ «وَأُمَّهُ إِلَى عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ، وَحَبِّبْ إِلَيْهِمِ الْمُؤْمِنِينَ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٤٩١].

٦٢١٤ ـ [١٩] وَعَنْ عَائِذِ بْنِ عَمْرٍو: أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ أَتَى عَلَى سَلْمَانَ وَصُهَيْبٍ وَبِلَالٍ فِي نَفَرٍ فَقَالُوا: مَا أَخَذَتْ سُيُوفُ اللهِ مِنْ عُنُقِ عَدُوِّ اللهِ مَأْخَذَهَا. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: ....

العلم والاجتهاد في التابعين ما لم يظهر في غيرهم.

٦٢١٣ ـ [١٨] (وعنه) قوله: (اللهم حبب) أمر من التفعيل، أي: اجعله محبوباً.

وقوله: (وحبب إليهم المؤمنين) هكذا بضمير الجمع في نسخ (المشكاة) و(صحيح مسلم)، وذلك إما باعتبار أن أقل الجمع اثنان، أو المراد أهلهما وأولادهما من ينسب إليهما، أو تنزيلاً لهما منزلة الجماعة كتنزيل إبراهيم منزلة الأمة، وقد جعل في نسخة مصححة: (إليهما) بضمير التثنية بعد ما كان في أصل النسخة: (إليهم) بضمير الجمع، ولعله من تصرف الناسخ من غير مراجعة إلى الأصول، والله أعلم.

٦٢١٤ ـ [١٩] (عائذ بن عمرو) قوله: (وعن عائذ) بالذال المعجمة بلفظ اسم الفاعل من العوذ.

وقوله: (إن أبا سفيان أتى) هذا الإتيان كان من أبي سفيان وهو كافر بعد صلح الحديبية لما نقض المشركون العهد، فأتى أبو سفيان المدينة ليجدد العهد، فأعرض عنه رسول الله ﷺ ولم يقبل ذلك، فرجع إلى مكة خائباً خاسراً، فجاء رسول الله ﷺ لفتح مكة.

أَتَقُولُونَ هَذَا لِشَيْخِ قُرَيْشٍ وَسَيِّدِهِمْ؟ فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُمْ، لَئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ» فَأَتَاهُمْ فَقَالَ: يَا إِخْوَتَاهْ أَغْضَبْتُكُمْ؟ قَالُوا: لاَ، يَغْفِرُ اللهُ لَكَ يَا أَخِي. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٥٠٤].

٦٢١٥ ـ [٢٠] وَعَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٧٨٤، م: ٧٤].

وقوله: (**أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟**) لعله قال ذلك دفعاً لإثارة الشر وتأليفاً لقلبه.

وقوله: (**فأتى**) أي: أبو بكر، (**فقال: يا أبا بكر لعلك أغضبتهم... إلخ**)، وفي رواية: (أدرك يا أبا بكر فإنك إن آذيتهم فقد آذيت رب العرش)، أو كما قال.

(**قالوا: لا**) نفي لإغضابه إياهم، و(**يغفر الله لك**) دعاء له، وفيه شائبة توهم من ذلك، يعني وإن كان شيء من ذلك غفر الله لك وتجاوز عنك. و(**يا أخي**) يروى مصغراً ومكبراً، والظاهر: يا أخانا، ولعله حكاية قول كل أحد، أو قال ذلك واحد منهم، ونسبة القول إلى الكل على وتيرة قولهم: قتله بنو فلان، وفيه من تعظيم شأن الفقر والفقراء واستغنائهم وسطوتهم ما لا يخفى، وإن الصحابة كلهم كانوا سواء في أخوة الإسلام.

٦٢١٥ ـ [٢٠] (**أنس**) قوله: (**آية الإيمان حب الأنصار**) جمع ناصر أو نصير، واللام للعهد، والمراد أنصار رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج، وقد صار علماً لهم، وأطلق على أولادهم وحلفائهم ومواليهم، وكان نصرتهم وإيواؤهم النبي ﷺ موجباً لمعاداة كفار العرب والعجم إياهم، فلذا جاء التحذير عن بغضهم، والترغيب

٦٢١٦ ـ [٢١] وَعَنِ الْبَرَاءِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «الأَنْصَارُ لاَ يُحِبُّهُمْ إِلاَّ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يُبْغِضُهُمْ إِلاَّ مُنَافِقٌ، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللهُ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللهُ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٧٨٤، م: ٧٥].

٦٢١٧ ـ [٢٢] وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: إِنَّ نَاساً مِنَ الأَنْصَارِ قَالُوا حِينَ أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ مِنْ أَمْوَالِ هَوَازِنَ مَا أَفَاءَ فَطَفِقَ يُعْطِي رِجَالاً مِنْ قُرَيْشٍ الْمِئَةَ مِنَ الإِبِلِ، فَقَالُوا: يَغْفِرُ اللهُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ؛ يُعْطِي قُرَيْشاً وَيَدَعُنَا وَسُيُوفُنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ، ....

في حبهم.

٦٢١٦ ـ [٢١] (البراء) قوله: (لا يحبهم إلا مؤمن) حصر محبتهم في المؤمنين، فلذلك صارت علامة للإيمان، وكذا بغضهم.

٦٢١٧ ـ [٢٢] (أنس) قوله: (ما أفاء) في هذا الإبهام تفخيم وتكثير لما أفاء، فإن الفيء الحاصل منهم كان عظيماً كثيراً مما لا يعدُّ ولا يحصى، وجاء في الروايات: ستة آلاف من السبي، وأربع وعشرون [ألفاً من] الإبل، وأربعة آلاف أوقية من الفضة، وأكثر من أربعين ألف شاة، وفي رواية: كان كثرة الشياه على حد يفوته الحصر.

وقوله: (يعطي رجالاً من قريش) وهم أهل مكة من مُسلمة الفتح المؤلفة القلوب، أي: يعطي كل واحد منهم المئة من الإبل أكثر وأكثر من ذلك، كما جاء في الأخبار.

وقوله: (وسيوفنا تقطر من دمائهم) من باب القلب، وفيه من المبالغة

فَحُدِّثَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ بِمَقَالَتِهِمْ، فَأَرْسَلَ إِلَى الأَنْصَارِ فَجَمَعَهُمْ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ، وَلَمْ يَدْعُ مَعَهُمْ أَحَداً غَيْرَهُمْ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا جَاءَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «مَا حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكُمْ؟»، فَقَالَ فُقَهَاؤُهُمْ: أَمَّا ذَوُو رَأْيِنَا يَا رَسُولَ اللهِ فَلَمْ يَقُولُوا شَيْئاً، وَأَمَّا أُنَاسٌ مِنَّا حَدِيثَةٌ أَسْنَانُهُمْ قَالُوا: يَغْفِرُ اللهُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ يُعْطِي قُرَيْشاً وَيَدَعُ الأَنْصَارَ وَسُيُوفُنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي أُعْطِي رِجَالاً حَدِيثِي عَهْدٍ بِكُفْرٍ أَتَأَلَّفُهُمْ، أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالأَمْوَالِ وَتَرْجِعُونَ إِلَى رِحَالِكُمْ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ». قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَدْ رَضِينَا. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣١٤٧، م: ١٠٥٩].

ما لا يخفى، كقوله:

كما طيَّنْتَ بالفَدَنِ السِّيَاعا[1]

ويجوز أن يكون التقدير: تقطر منها، ويكون (من دمائهم) فاعل (تقطر)، و(من) زائدة أو تبعيضيه، فلا يكون قلباً.

وقوله: (من أدم) بفتحتين: الجلد، وكذا الأديم، أو هو أحمره أو مدبوغه، والأدم اسم للجمع، كذا في (القاموس)[2].

وقوله: (ولم يدع) بفتح الدال وجزم العين، أو سكون الدال ورفع العين.

---

(١) الفدن: القصر، والسياع: الطين، والبيت للقطامي يصف ناقة، وصدره:

فلما أن جرى سِمَنٌ عليها

انظر: «مغني اللبيب» (ص: ٩١٣).

(٢) «القاموس» (ص: ٩٦٩).

٦٢١٨ ـ [٢٣] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَوْلاَ الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَءاً مِنَ الأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِياً وَسَلَكَتِ الأَنْصَارُ وَادِياً أَوْ شِعْباً لَسَلَكْتُ وَادِيَ الأَنْصَارِ وَشِعْبَهَا، الأَنْصَارُ شِعَارٌ وَالنَّاسُ دِثَارٌ، ....

٦٢١٨ ـ [٢٣] (أبو هريرة) قوله: (لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار) أي: لولا فضيلة الهجرة وشرافة نسبتها لانتسبت إلى الأنصار وديارهم ولانتقلت عن اسم المهاجرين إلى الأنصار.

وفيه بيان إكرام الأنصار، وفضل نسبة النصرة، ومع ذلك فيه إشارة إلى أفضلية الهجرة وجلالة رتبة المهاجرين، لأنهم هجروا الأوطان وتركوا الأموال والأهل والأولاد نصرة لله ورسوله، والنصرة والإيثار والإيواء فضيلة كاملة، لكنهم ساكنون في أوطانهم وأحبائهم، فلا فضل بعد الهجرة إلا للنصرة، ولا بعد المهاجرين إلا للأنصار.

وقيل: المراد: إني إنما أمتاز عنهم بالهجرة، ولولا الهجرة لكنت داخلاً فيهم ومساوياً لهم ومثلهم، وفيه تواضع عظيم ورفع لمنزلتهم.

وقوله: (ولو سلك الناس وادياً) الحديث، الوادي: مفرج بين جبال أو تلال أو آكام، والجمع أوداء وأودية، و(الشعب) بكسر الشين: الطريق في الجبل ومسيل الماء في بطن [أرضٍ]، أو ما انفرج بين الجبلين، وقد يقال: أراد بالوادي والطريق الرأي والمذهب، يريد حسن موافقتهم لما شهد منهم من حسن الوفاء وحسن الجوار، لا اتِّباعه لهم لأنه المتبوع المطلق، والناس كلهم أتباع له، و(الشعار) ما يلي الجسد من الثياب لِلُصوقهِ بالشعر، شبه الأنصار به لاتصالهم به، وقربتهم إليه ﷺ، و(الدثار) ما فوقه كالرداء، تدثر بالثوب: اشتمل به.

إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٤٣٣٠].

٦٢١٩ ـ [٢٤] وَعَنْهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ الْفَتْحِ فَقَالَ: «مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَلْقَى السِّلَاحَ فَهُوَ آمِنٌ». فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ: أَمَّا الرَّجُلُ فَقَدْ أَخَذَتْهُ رَأْفَةٌ بِعَشِيرَتِهِ وَرَغْبَةٌ فِي قَرْيَتِهِ. . . . .

وقوله: (**إنكم سترون بعدي أثرة**) بفتح الهمزة والمثلثة، وبضم الهمزة وسكون المثلثة، وقد تفتح، اسم من آثر يؤثر بمعنى الاستئثار والاختيار، أي: يُستأثر عليكم في أمور الدنيا ويفضَّل عليكم غيركم، أي: أمراؤكم يفضلون عليكم في الإمارة من هو أدنى منكم، وقد وقع ذلك بعده ﷺ خصوصاً في زمن عثمان رضي الله عنه ومن بعده.

وقوله: (**فاصبروا**) على هذه الشدة والابتلاء ولا تخالفوهم، روي أنه قد جاء بعض الأنصار إلى معاوية شاكياً من بعض المهاجرين فلم يُشْكِه، فقال الأنصاري: صدق رسول الله ﷺ: (إنكم سترون بعدي أثرة)، فقال معاوية: فبماذا أمركم؟ قال: بالصبر، قال: فافعلوا ما أمرتم به واصبروا.

وقوله: (**حتى تلقوني على الحوض**) بشارة لهم بالجنة جزاءً لصبرهم.

٦٢١٩ ـ [٢٤] (**عنه**) قوله: (**من دخل دار أبي سفيان فهو آمن**) قاله يوم الفتح حين أسلم أبو سفيان، قال العباس: إنه رجل يحب الفخر فاجعل له شيئاً، فقال: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، وقيل: إن أبا سفيان قد آمن رسولَ الله ﷺ يوماً في داره في أيام موادعة قريش فكان ذلك مكافأة له منه ﷺ.

وقوله: (**فقالت الأنصار**) القائل بذلك أناس منهم حديثة أسنانهم، والمراد ما عليه جَبِلة البشرية من الميل إلى العشيرة والأقارب، فنزل الوحي بما تقاولوا،

وَنزَلَ الْوَحْيُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «قُلْتُمْ: أَمَّا الرَّجُلُ فَقَدْ أَخَذَتْهُ رَأْفَةٌ بِعَشِيرَتِهِ وَرَغْبَةٌ فِي قَرْيَتِهِ، كَلاَّ إِنِّي عَبْدُاللهِ وَرَسُولُهُ، هَاجَرْتُ إِلَى اللهِ وَإِلَيْكُمْ، الْمَحْيَا مَحْيَاكُمْ وَالْمَمَاتُ مَمَاتُكُمْ» قَالُوا: وَاللهِ مَا قُلْنَا إِلاَّ ضِنًّا بِاللهِ وَرَسُولِهِ. قَالَ: «فَإِنَّ اللهَ وَرَسُولَهُ يُصَدِّقَانِكُمْ وَيُعْذِرَانِكُمْ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

[م: ١٧٨٠].

٦٢٢٠ ـ [٢٥] وَعَنْ أَنَسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى صِبْيَاناً وَنِسَاءً مُقْبِلِينَ مِنْ عُرْسٍ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: ....

فقال رسول الله ﷺ: (كلا) أي: ليس الأمر كما توهمتم من العمل بمقتضى البشرية، وأشار بقوله: (إني عبدالله ورسوله) أن هاتين الصفتين تقتضيان أن لا أفعل إلا ما أمرني الله به، ثم قال تسلية لهم: (هاجرت إلى الله) أي: إلى ثوابه، (وإليكم) أي: إلى دياركم، (المحيا محياكم والممات مماتكم) أي: لا أفارقكم في الحياة والممات.

وقوله: (إلا ضنًّا بالله ورسوله) الضِّنُّ والضِّنَّة بالكسر: البخل، من ضَنَّ يضن بالكسر والفتح.

وقوله: (بالله) أي: بنعمته وفضله علينا، (وبرسوله) أي: بشرف جوارك وصحبتك خشية على ذلك بميلك إلى بلدك وأقاربك.

وقوله: (يعذرانكم) بضم الياء وسكون العين من أعذره: إذا قبل اعتذاره، يعني: أن الله تعالى قبل اعتذاركم وصدقكم فيما تقولون من دعوى الضنية.

٦٢٢٠ ـ [٢٥] (أنس) قوله: (صبياناً ونساء) من الأنصار.

«اللهُمَّ أَنْـتُمْ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، اللهُمَّ أَنْـتُمْ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ» يَعْنِي الأَنْصَارَ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٧٨٥، م: ٢٥٠٨].

٦٢٢١ ـ [٢٦] وَعَنْهُ قَالَ: مَرَّ أَبُو بَكْرٍ وَالْعَبَّاسُ بِمَجْلِسٍ من مجَالِس الأَنْصَار وهم يَبْكُونَ، فَقَالَ: مَا يُبْكِيكُمْ؟ فَقَالُوا: ذَكَرْنَا مَجْلِسَ النَّبِـيِّ ﷺ مِنَّا، فَدَخَلَ أَحَدُهُمَا عَلَى النَّبِـيِّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ، فَخَرَجَ النَّبِـيُّ ﷺ وَقَـدْ عَصَّبَ عَلَى رَأْسِهِ حَاشِيَةَ بُرْدٍ فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ وَلَمْ يَصْعَدْ بَعْـدَ ذَلِـكَ الْيَـوْمِ. فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: «أُوصِيكُمْ بِالأَنْصَارِ فَإِنَّهُمْ كَرِشِي وَعَيْبَتِي، . . .

وقوله: (اللهم) أي: أنت تعلم صدقي فيما أقول في حق الأنصار، ثم خاطبهم بقوله: (أنتم).

٦٢٢١ ـ [٢٦] (أنس) قوله: (فقالوا: ذكرنا مجلس النبيّ) كان ذلك في مرضه ﷺ.

وقوله: (فإنهم كرشي وعيبتي) الكرش بفتح الكاف وكسر الراء لكل مجتر: بمنزلة المعدة للإنسان، والعيبة بفتح العين المهملة وسكون المثناة وفتح الموحدة: ما يجعل فيه الثياب، وفي (القاموس)[1]: زبيل من أدم، ومن الرجل: موضع سره، والمراد أنهم بطانته وموضع سره ومعتمده، واستعار الكرش والعيبة لذلك لأن المجتر يجمع علفه في كرشه، والرجل يضع ثيابه في عيبته، والعرب قد تكني عن القلب والصدر بالعيبة.

وقيل: أراد أنهم جماعتي وصحابتي، يقال: كرش الناس لجماعة منهم، ومن

---

(١) «القاموس» (ص: ١١٠).

وَقَدْ قَضَوُا الَّذِي عَلَيْهِمْ، وَبَقِيَ الَّذِي لَهُمْ، فَاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٣٧٩٩].

٦٢٢٢ ـ [٢٧] وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، حَتَّى جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ! فَإِنَّ النَّاسَ يَكْثُرُونَ وَيَقِلُّ الأَنْصَارُ، حَتَّى يَكُونُوا فِي النَّاسِ بِمَنْزِلَةِ الْمِلْحِ فِي الطَّعَامِ، فَمَنْ وَلِيَ مِنْكُمْ شَيْئاً يَضُرُّ فِيهِ قَوْماً وَيَنْفَعُ فِيهِ آخَرِينَ، فَلْيَقْبَلْ مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَلْيَتَجَاوَزْ عَنْ مُسِيئِهِمْ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٣٦٢٨].

معاني الكرش: عيال الرجل وصغار ولده.

وقوله: (**وقد قضوا الذي عليهم**) إشارة إلى ما عاهدوا رسول الله ﷺ في بيعة العقبة من النصرة، وبذل المهج والأموال بأن لهم الجنة، وهو المراد من قوله: (**وبقي الذي لهم**).

٦٢٢٢ ـ [٢٧] (**ابن عباس**) قوله: (**ويقل الأنصار**) لأنه لا بدل لهم لأنهم الذين آووا رسول الله ﷺ ونصروه، وهذا أمر قد انقضى زمانه، كذا قال التُّورِبِشْتِي[١]، وقال الطيبي[٢]: هذا المعنى قائم في حق المهاجرين الذين هاجروا من مكة إلى المدينة، فالظاهر أنه إخبار من رسول الله ﷺ بكثرة المهاجرين وأولادهم، وتبسطهم في البلاد وتملكهم إياها بخلاف الأنصار، فإنه يقل وجودهم بموتهم وعدم بقاء أولادهم، وقد وقع ما أخبر، هذا تقرير الطيبي، ومع قطع النظر عن الأولاد يمكن أن يكون المراد كثرة وجود المهاجرين وبقاؤهم دون الأنصار، والله أعلم.

---

(١) «كتاب الميسر» (٤/ ١٣٤٩).

(٢) «شرح الطيبي» (١٢/ ٣٣٥).

٦٢٢٣ ـ [٢٨] وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللهُمَّ اغْفِرْ لِلأَنْصَارِ وَلِأَبْنَاءِ الأَنْصَارِ وَأَبْنَاءِ أَبْنَاءِ الأَنْصَارِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٥٠٦].

٦٢٢٤ ـ [٢٩] وَعَنْ أَبِي أُسَيْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «خَيْرُ دُورِ الأَنْصَارِ بَنُو النَّجَّارِ، ثُمَّ بَنُو عَبْدِ الأَشْهَلِ، ثُمَّ بَنُو الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، ثُمَّ بَنُو سَاعِدَةَ، وَفِي كُلِّ دُورِ الأَنْصَارِ خَيْرٌ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٧٨٩، م: ٢٥١١].

٦٢٢٥ ـ [٣٠] وَعَنْ عَلِيٍّ قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنَا . . . .

٦٢٢٣ ـ [٢٨] (زيد بن أرقم) قوله: (ولأبناء أبناء الأنصار) ظاهره تخصيص طلب المغفرة إلى مرتبتين: الأبناء وأبناء الأبناء، ولو حمل على آخر مراتب الأبناء بالغاً ما بلغ إلى مدة بقائهم لم يبعد، بل لو حمل الأبناء على معنى الأولاد كان له وجه.

٦٢٢٤ ـ [٢٩] (أبو أسيد) قوله: (أبي أسيد) بصيغة التصغير، وقيل: بفتح همزة فمكسورة.

وقوله: (وفي كل دور الأنصار) أي: قبائلهم، (خير) بمعنى أن الفضل حاصل في جميع قبائلهم وإن تفاوتت مراتبهم، فالخير في الأول بمعنى التفضيل، وفي الآخر بمعنى أصل الخيرية، في (الصراح)[1]: خير نيكو ونيكوئي ونيكوتر.

٦٢٢٥ ـ [٣٠] (علي) قوله: (أنا) من استعارة الضمير المرفوع للمنصوب،

---

(١) «الصراح» (ص: ١٧٥).

وَالزُّبَيْرَ وَالْمِقْدَادَ ـ وَفِي رِوَايَة: أَبَا مَرْثَدٍ بَدَلَ الْمِقْدَادِ ـ فَقَالَ: «انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً مَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوا مِنْهَا»، فَانْطَلَقْنَا تَتَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا حَتَّى أَتَيْنَا الرَّوْضَة، فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ قُلْنَا لَهَا: أَخْرِجِي الْكِتَابَ، قَالَتْ: مَا مَعِي مِنْ كِتَابٍ. فَقُلْنَا: لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ، فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا، فَأَتَيْنَا بِهِ النَّبِيَّ ﷺ فَإِذَا فِيهِ: مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ. . . . .

و(**أبا مرثد**) بفتح الميم وسكون الراء وفتح المثلثة. و(**خاخ**) بخائين معجمتين: موضع بقرب المدينة من جهة مكة، وخاخ يصرف ويمنع. و(**الظعينة**) المرأة في الهودج.

وقوله: (**تتعادى**) أي: تسارع من العدو.

وقوله: (**لتخرجن**) بكسر الجيم بلفظ المخاطبة من الإخراج، (**أو لنلقين الثياب**) بالنون بلفظ المتكلم من الإلقاء، كذا في نسخ (البخاري)، ويؤيده ما فيه في (باب من شهد بدراً) بلفظ: (لتخرجن الكتاب أو لنجردنك)، وفي بعض النسخ: (لتلقين) بالتاء وكسر الياء وفتحها، أما الكسر فظاهر كما في (لتخرجن)، وأما الفتح فبلفظ الغائبة على طريقة الالتفات من الخطاب إلى الغيبة، كذا في الحواشي، وفي بعضها: (لتلقن) بحذف الياء.

وقوله: (**من عقاصها**) بكسر العين جمع عقيصة وهي الضفيرة، وفي رواية: (من حجزتها) بضم المهملة وسكون الجيم وبالزاي، وهو معقد الإزار، وقد يجمع بينهما بأن عقاصها كانت طويلة بحيث تصل إلى حجزتها.

وقوله: (**من حاطب**) بالحاء المهملة وكسر الطاء (**ابن أبي بلتعة**) بفتح الموحدة وسكون اللام وفتح المثناة.

إِلَى نَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.
فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا حَاطِبُ مَا هَذَا؟» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! لاَ تَعْجَلْ عَلَيَّ إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقاً فِي قُرَيْشٍ وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَكَانَ مَنْ مَعَك من الْمُهَاجِرين لَهُمْ قَرَابَةٌ يحْمُونَ بهَا أَمْوَالَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ بِمَكَّةَ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ أَنْ أَتَّخِذَ فِيهِمْ يَداً يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي، وَمَا فَعَلْتُ كُفْراً وَلاَ ارْتِدَاداً عَنْ دِينِي وَلاَ رِضًى بِالْكُفْرِ بَعْدَ الإِسْلاَمِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكُمْ»، فَقَالَ عُمَرُ: دَعْنِي يَا رَسُولَ اللهِ أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ....

وقوله: (**فإذا فيه: من حاطب**) أي: مكتوب منه، وليست هذه العبارة كتبت في أول المكتوب، فافهم.

وقوله: (**إلى ناس من المشركين**) الظاهر أنه من كلام الراوي، وضعه موضع إلى فلان وفلان؛ لأن حاطباً كتب تطييباً لقلوبهم واستمالةً لها، فكيف يكتب إلى ناس من المشركين!.

وقوله: (**يخبرهم**) حال منه، تقديره: كتب حاطب هذا حال كونه مخبراً إياهم (**ببعض أمر رسول الله ﷺ**) وهو توجهه إلى أهل مكة للفتح، ولم يعلم به أحداً وكتمه.

وقوله: (**ملصقاً في قريش**) أي: كنت حليفاً لهم، وقيل: كان عبداً لهم.

وقوله: (**أن أتخذ**) مفعول (**أحببت**)، والمراد باليد [يد] إنعام أو قدرة.

وقوله: (**فقال عمر: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق**) لعل في بيان القصة تقديماً وتأخيراً، لأن قول عمر هذا بعد تصديق رسول الله ﷺ لحاطب فيما اعتذر به بعيد.

«إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْراً وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمُ الْجَنَّةُ». وَفِي رِوَايَةٍ: «فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ» فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾[الممتحنة: ١]. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٦٢٥٩، م: ٢٤٩٤].

٦٢٢٦ ـ [٣١] وَعَنْ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ قَالَ: جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ؟». قَالَ: «مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ» أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا، قَالَ: «وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْراً مِنَ الْمَلَائِكَةِ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٣٩٩٢].

٦٢٢٧ ـ [٣٢] وَعَنْ حَفْصَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ لَا يَدْخُلَ النَّارَ إِنْ شَاءَ اللهُ أَحَدٌ شَهِدَ بَدْراً وَالْحُدَيْبِيَةَ». . . . .

وقوله: (**وما يدريك لعل الله اطلع**) أي: أيّ شيء يعلمك أنه مستحق للقتل، لعل الله اطلع على أهل بدر، أي: نظر إليهم بنظر الرحمة والمغفرة، وأما الترجي فقيل: هو راجع إلى عمر؛ لأن وقوع هذا الأمر محقق عند رسول الله ﷺ، وقيل: إن ذلك لئلا يتكل من شهد بدراً على ذلك وينقطع عن العمل، والمراد بقوله: (**اعملوا ما شئتم**) إظهار العناية والترخص لهم في كل فعل، لا حقيقة الأمر بكل ما شاؤوا وإن كان حراماً ومعصية.

٦٢٢٦ ـ [٣١] (**رفاعة بن رافع**) قوله: (**وعن رفاعة**) بكسر الراء.

وقوله: (**ما تعدون**) أي: ممن تَعدون، ليطابق قوله: (**من أفضل المسلمين، قال: وكذلك من شهد بدراً من الملائكة**) أي: نعدّهم من أفضل الملائكة.

٦٢٢٧ ـ [٣٢] (**حفصة**) قوله: (**إن شاء الله**) للترغيب والتفويض إلى مشيئة

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]؟ قَالَ: «فَلَمْ تَسْمَعِيهِ يَقُولُ: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا﴾[مريم: ٧٢]». وَفِي رِوَايَةٍ: «لاَ يَدْخُلُ النَّارَ إِنْ شَاءَ اللهُ مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ الَّذِينَ بَايَعُوا تحتها». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٤٩٦].

٦٢٢٨ ـ [٣٣] وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ: كُنَّا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ أَلْفاً وَأَرْبَعَ مِئَةٍ. قَالَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ: «أَنْتُمُ الْيَوْمَ خَيْرُ أَهْلِ الأَرْضِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٤١٥٤، م: ١٨٥٦].

الله تعالى تأدباً لا للشك، والله أعلم.

وقوله: (﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا﴾) فتكون برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم، ويمرون عليها كالبرق الخاطف والريح العاصفة، وهذا هو المراد بنفي الدخول، ويكون للأتقياء، وأهل بدر والحديبية منهم.

وقوله: (**الذين بايعوا تحتها**) بيان لـ (**أصحاب الشجرة**) أو بدل عنها.

٦٢٢٨ ـ [٣٣] (**جابر**) قوله: (**ألفاً وأربع مئة**) ويقال: ألفاً وخمس مئة، وقيل: ألف وثلاث مئة، والجمع بين هذا الاختلاف أنهم كانوا أكثر من ألف وأربع مئة، فمن قال: ألفاً وخمس مئة جبر الكسر، ومن قال: ألفاً وأربع مئة ألقاه، ويؤيده رواية البراء: ألف وأربع مئة أو أكثر، وأما رواية: ألف وثلاث مئة فيمكن حملها على ما اطلع هو عليه، واطلع غيره على زيادة مئتين لم يطلع هو عليه، والزيادة من الثقة مقبولة، وأما قول ابن إسحاق: كانوا سبع مئة، فلم يوافقه أحد عليه، وجاء في رواية: ألف وست مئة وفي أخرى: ألف وسبع مئة، والله أعلم.

٦٢٢٩ ـ [٣٤] وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ يَصْعَدِ الثَّنِيَّةَ ثَنِيَّةَ الْمُرَارِ فَإِنَّهُ يُحَطُّ عَنْهُ مَا حُطَّ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ». فَكَانَ[1] أَوَّلَ مَنْ صَعِدَهَا خَيْلُنَا خَيْلُ بَنِي الْخَزْرَجِ، ثُمَّ تَتَامَّ النَّاسُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كُلُّكُمْ مَغْفُورٌ لَهُ إِلاَّ صَاحِبَ الْجَمَلِ الأَحْمَرِ». فَأَتَيْنَاهُ فَقُلْنَا: تَعَالَ يَسْتَغْفِرْ لَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَ: لأَنْ أَجِدَ ضَالَّتِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لِي صَاحِبُكُمْ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٨٨٠].

٦٢٢٩ ـ [٣٤] (جابر) قوله: (ثنية المرار) بضم الميم، وقد يكسر ويفتح والضم هو الأشهر، قال في (القاموس)[2]: ثنية المرار بالضم: مهبط الحديبية، وصلوا إليها ليلاً عام الحديبية فرغبهم في صعودها، والله أعلم بالحكمة فيه، وقال: من يصعدها (**فإنه يحط عنه ما حط**) أي: مثل ما حط (**عن بني إسرائيل**) يريد قوله تعالى: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾[البقرة: ٥٨]، فإن بني إسرائيل أمروا بعد أن أخرجوا من التيه، وظلل عليهم الغمام، وأنزل عليهم المن والسلوى، بدخول قرية من الشام اسمها أريحا ودخول بابها سجداً، وبالدعاء وبطلب حطة الذنوب عنهم ليغفر عنهم خطاياهم، لكنهم بدلوا بما أمروا به من التوبة والاستغفار طلب ما يشتهون من أعراض الدنيا، فأنزل عليهم العذاب.

وقوله: (**فكان أول من صعدها**) منصوب على أنه خبر كان، و(**خيلنا**) بالرفع اسمه، أي: كان خيلنا أولَ خيلِ مَن صعدها، والمراد بالخيل الرجال مجازاً.

وقوله: (**تتام**) بلفظ الماضي تفاعل من التمام على وزن تماد، أي: جاؤوه

---

(١) في نسخة: «وكان».

(٢) «القاموس» (ص: ٤٢٨).

وَذَكَرَ حَدِيثَ أَنَسٍ قَالَ لأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ: «إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ» فِي «بَاب» بعدَ فَضَائِلِ الْقُرْآنِ.

* الْفَصْلُ الثَّانِي:

٦٢٣٠ - [٣٥] عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي مِنْ أَصْحَابِي: أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَاهْتَدُوا بِهَدْيِ عمّارٍ، وَتَمَسَّكُوا بِعَهْدِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ». وَفِي رِوَايَةِ حُذَيْفَةَ: «مَا حَدَّثَكُمُ ابْنُ مَسْعُودٍ فَصَدِّقُوهُ» بَدَلَ «وَتَمَسَّكُوا بِعَهْدِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٦٦٣].

٦٢٣١ - [٣٦] وَعَنْ عَلِيٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَوْ كُنْتُ مُؤَمِّراً مِنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ لأَمَّرْتُ عَلَيْهِمُ ابْنَ أُمِّ عَبْدٍ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ.

[ت: ٣٨٠٨، جه: ١٣٧].

كلهم متوافرة متتابعة، يقال: تتاموا، أي: جاؤوا كلهم.

الفصل الثاني

٦٢٣٠ - [٣٥] (ابن مسعود) قوله: (اقتدوا) بضم الدال، وكذلك (اهتدوا).

وقوله: (بهدي عمار) أي: سيرته، والهدي: السيرة الحسنة، وقد مر، والمراد بابن أم عبد: عبدالله بن مسعود، وبعهده: ما يوصيهم به من أمور الدين وأحكامه، وقالوا: ومن جملة ما أوصاهم به استخلاف أبي بكر وصحته بقوله: لا نؤخر من قدمه رسول الله ﷺ، ألا نرضى لدنيانا من ارتضاه لديننا، وبهذا يحصل المناسبة بين أول الحديث وآخره، ومثل هذا يروى عن سيدنا علي ﷺ.

٦٢٣١ - [٣٦] (علي) قوله: (لأمرت عليهم ابن أم عبد) يريد تأميره على

٦٢٣٢ ـ [٣٧] وَعَنْ خَيْثَمَةَ بْنِ أَبِي سَبْرَةَ قَالَ: أَتَيْتُ الْمَدِينَةَ، فَسَأَلْتُ اللهَ أَنْ يُيَسِّرَ لِي جَلِيساً صَالِحاً، فَيَسَّرَ لِي أَبَا هُرَيْرَةَ، فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ: إِنِّي سَأَلْتُ اللهَ أَنْ يُيَسِّرَ لِي جَلِيساً صَالِحاً فَوُفِقْتَ لِي، فَقَالَ: مِنْ أَيْنَ أَنْتَ؟ قُلْتُ: مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ جِئْتُ أَلْتَمِسُ الْخَيْرَ وَأَطْلُبُهُ. فَقَالَ: أَلَيْسَ فِيكُمْ سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ مُجَابُ الدَّعْوَةِ، وَابْنُ مَسْعُودٍ صَاحِبُ طَهُورِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَنَعْلَيْهِ، وَحُذَيْفَةُ صَاحِبُ سِرِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَعَمَّارٌ الَّذِي أَجَارَهُ اللهُ مِنَ الشَّيْطَانِ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ، وَسَلْمَانُ صَاحِبُ الْكِتَابَيْنِ؟ يَعْنِي الإِنْجِيلَ وَالْقُرْآنَ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٨١١].

٦٢٣٣ ـ [٣٨] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «نِعْمَ الرَّجُلُ أَبُو بَكْرٍ، نِعْمَ الرَّجُلُ عُمَرُ، نِعْمَ الرَّجُلُ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، . . .

جيش بعينه، أو استخلافه في أمر من أموره حال حياته، لا الخلافة، لأن الأئمة من قريش.

٦٢٣٢ ـ [٣٧] (خيثمة بن أبي سبرة) قوله: (وعن خيثمة) بفتح المعجمة وسكون التحتانية وفتح المثلثة (ابن أبي سبرة) بفتح السين وسكون الموحدة.

وقوله: (**فوفقت**) بلفظ المجهول من الوفق بتقديم الفاء على القاف، و(**سعد ابن مالك**) هو سعد بن أبي وقاص.

وقوله: (**يعني الإنجيل والقرآن**) فإنه آمن بالإنجيل قبل نزول القرآن، ثم آمن به أيضاً، ويقال: إنه أدرك عيسى عليه السلام.

٦٢٣٣ ـ [٣٨] (أبو هريرة) قوله: (**نعم الرجل أبو بكر**) الحديث، كأنه اجتمع

نِعْمَ الرَّجُلُ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ، نِعْمَ الرَّجُلُ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ، نِعْمَ الرَّجُلُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، نِعْمَ الرَّجُلُ مُعَاذُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْجَمُوحِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. [ت: ٣٧٩٥].

٦٢٣٤ ـ [٣٩] وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الْجَنَّةَ تَشْتَاقُ إِلَى ثَلَاثَةٍ: عَلِيٍّ وَعَمَّارٍ وَسَلْمَانَ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٧٩٧].

٦٢٣٥ ـ [٤٠] وَعَنْ عَلِيٍّ قَالَ: اسْتَأْذَنَ عَمَّارٌ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «ائْذَنُوا لَهُ، مَرْحَباً بِالطَّيِّبِ الْمُطَيَّبِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٧٩٨].

٦٢٣٦ ـ [٤١] وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا خُيِّرَ عَمَّارٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَشَدَّهُمَا». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٧٩٩].

هؤلاء الكبار من المهاجرين والأنصار في مجلس فخصصهم وشرَّفهم بذلك، والله أعلم.

٦٢٣٤ ـ [٣٩] (أنس) قوله: (إن الجنة تشتاق إلى ثلاثة) المقصود أنهم من أهل الجنة، فبالغ فيه بتخييل أن الجنة تشتاق إليهم، وسائر الناس يشتاقون إلى الجنة، وقيل: لأنهم قد شغلهم عنها مشاهدة الحق أو التجليات الإلهية فلم يلتفتوا إليها، فهي تشتاق إليهم، وقيل: المراد اشتياق أهل الجنة من الحور والغلمان والملائكة، والله أعلم بحقيقة المراد.

٦٢٣٥ ـ [٤٠] (علي) قوله: (بالطيب) لعله إشارة إلى أن جوهر ذاته طاهر طيب، ثم طيَّبه وهذَّبه الشرائعُ والعمل بها فصار نوراً على نور.

٦٢٣٦ ـ [٤١] (عائشة) قوله: (إلا اختار أشدهما) أي: على نفسه، أي: أحوطهما وأفضلهما، وفي رواية: (أرشدهما) أي: أصوبهما.

٦٢٣٧ ـ [٤٢] وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: لَمَّا حُمِلَتْ جِنَازَةُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ قَالَ الْمُنَافِقُونَ: مَا أَخَفَّ جِنَازَتَهُ، وَذَلِكَ لِحُكْمِهِ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّ الْمَلاَئِكَةَ كَانَتْ تَحْمِلُهُ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٨٤٩].

٦٢٣٨ ـ [٤٣] وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا أَظَلَّتِ الْخَضْرَاءُ وَلاَ أَقَلَّتِ الْغَبْرَاءُ.................

٦٢٣٧ ـ [٤٢] (أنس) قوله: (ما أخف جنازته) قالوه ازدراء به وطعناً فيه، وليس فيه محل طعن وعيب، فإن خفة الجنازة لا تدل على عيب ونقصان في الميت، بل هي خارق للعادة ربما يدل على فضله وكماله، ولكن المنافقين لا يفقهون ويتفوهون بما لا معنى له، ويطلبون للقدح والطعن في المؤمنين مجالاً بأي وجه كان، من غير أن يكون له مساغ.

وقوله: (وذلك لحكمه في بني قريظة) أي: طعنهم في سعد لحكمه، وعلى هذا هو قول الراوي، والظاهر أنه أيضاً مقول المنافقين، يريدون بذلك حكمه فيهم حين نزلوا على حكمه بأن يقتل رجالهم وتسبى نساؤهم وذريتهم، فضربت أعناقهم وكانوا ما بين ست مئة إلى سبع مئة، وقيل: بل أكثر، والقصة مذكورة في كتب السير في آخر غزوة الأحزاب، ولقد صوّب رسول الله ﷺ حكمه فيهم، وقال: لقد حكمت فيهم بحكم الله الذي حكم به من فوق سبع سماوات، وفي رواية: (لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة)، والرقيع: السماء، سميت بذلك لأنها رُقعت بالنجوم.

٦٢٣٨ ـ [٤٣] (عبدالله بن عمرو) قوله: (ما أظلت الخضراء) أي: السماء، (ولا أقلت) أي: حملت ورفعت، من أقلّه وقلّه واستقلّه: حمله ورفعه، (الغبراء)

أَصْدَقَ مِنْ أَبِـي ذَرٍّ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٨٠١].

٦٢٣٩ ـ [٤٤] وَعَنْ أَبِـي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَـا أَظَلَّـتِ الْخَضْرَاءُ وَلاَ أَقَلَّتِ الْغَبْرَاءُ مِنْ ذِي لَهْجَةٍ أَصْدَقَ وَلاَ أَوْفَى مِنْ أَبِـي ذَرٍّ شِبْهِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ» يَعْنِي فِي الزُّهْدِ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٨٠٢].

٦٢٤٠ ـ [٤٥] وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ لَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ قَالَ: الْتَمِسُوا الْعِلْمَ عِنْدَ أَرْبَعَةٍ: عِنْدَ عُوَيْمِرٍ أَبِـي الـدَّرْدَاءِ، وَعِنْـدَ سَـلْمَانَ، وَعِنْـدَ ابْـنِ مَسْعُودٍ، وَعِنْدَ عَبْدِاللهِ بْنِ سَلاَمٍ الَّذِي كَانَ يَهُودِيًّا فَأَسْـلَمَ، فَـإِنِّي سَـمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: ....

أي: الأرض. و(أصـدق) مفعول علـى سبيل التنازع، وهـذا عـلى سبيـل المبالغـة، أو مخصوص بغير الأنبياء، ومن هو أفضل منه من الأصحاب.

٦٢٣٩ ـ [٤٤] (أبو ذر) قوله: (من ذي لهجة) من زائدة، واللهجة بسكون الهاء ويحـرك: اللسان، وقيل: المراد أنـه لا يذهب إلى التوريـة والمعاريض في الكلام، ولا يواري مع الناس، ولا يسامحهم في الحق، ويقول الحق وإن كان مرًّا، كما يحكى من أحواله رضي الله عنه.

وقوله: (ولا أوفـى) يعني: أداءً لحـق الله ورسوله، وقيـل: معناه: يوفي حق الكلام إيفاءً لا يغادر شيئاً كما يناسبه السباق.

وقوله: (يعني في الزهد) تفسير من الراوي، وليس في (المصابيح)، وكان رضي الله عنه لا يقول بالادخار وإن أدى حق الله، وكان أزهد الناس في زمانه.

٦٢٤٠ ـ [٤٥] (معاذ بـن جبل) قوله: (عند عويمر) بضم المهملة وفتح الواو وكسر الميم في آخره راء.

«إِنَّهُ عَاشِرُ عَشَرَةٍ فِي الْجَنَّةِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٨٠٤].

٦٢٤١ ـ [٤٦] وَعَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! لَوِ اسْتَخْلَفْتَ؟ قَالَ: «إِنِ اسْتَخْلَفْتُ عَلَيْكُمْ فَعَصَيْتُمُوهُ عُذِّبْتُمْ وَلَكِنْ مَا حَدَّثَكُمْ حُذَيْفَةُ فَصَدِّقُوهُ وَمَا أَقْرَأَكُمْ عَبْدُاللهِ فَاقْرَؤُوهُ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٨١٢].

وقوله: (**عاشر عشرة في الجنة**) أي: مثل عاشر عشرة في الجنة، إذ ليس هو من العشرة المبشرة، كذا قال الطيبي[1]، ويفهم منه أنه جعل (في الجنة) صفة (عشرة)، والظاهر من العبارة أن يكون معناه أنه يكون عاشراً في دخول الجنة وما يسبقه إلا تسعة، ويحتمل أن تكون الجماعة التي يدخل هو معهم الجنة عاشِرةَ الجماعات، والله أعلم.

٦٢٤١ ـ [٤٦] (**حذيفة**) قوله: (**لو استخلفت**) لو للتمني أو للشرط.

وقوله: (**ولكن ما حدثكم حذيفة . . . إلخ**)، قالوا: هذا من الأسلوب الحكيم، كأنه قيل: لا يهمكم السؤال عن استخلافي لأنه يحصل بإجماعكم على من يستأهل ذلك مع ما في التنصيص من المانع، ولكن الذي يهمكم العمل بالكتاب والسنة والتمسك بهما، وخص حذيفة وابن مسعود بالذكر دلالة على فضلهما ومزيتهما في العلم بالفتن، وما يهم الاجتناب عنه من النفاق، وهو عند حذيفة لكونه صاحب سر رسول الله ﷺ، وعنده علم المنافقين، وبما يجب العمل به من الأحكام، وهو عند ابن مسعود لقوله ﷺ: (رضيت لأمتي ما رضي به ابن أم عبد)، وقوله: (تمسكوا بعهد ابن أم عبد).

وقالوا: إن في هذا الحديث دليلاً على استخلاف أبي بكر، لأن في الحديث

---

(١) «شرح الطيبي» (١٢/ ٣٤٥).

٦٢٤٢ ـ [٤٧] وَعَنْهُ قَالَ: مَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ تُدْرِكُهُ الْفِتْنَةُ إِلاَّ أَنَا أَخَافُهَا عَلَيْهِ إِلاَّ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لاَ تَضُرُّكَ الْفِتْنَةُ». رَوَاهُ أَبو داود. [د: ٤٦٦٣].

٦٢٤٣ ـ [٤٨] وَعَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى فِي بَيْتِ الزُّبَيْرِ مِصْبَاحاً فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ مَا أُرَى أَسْمَاءَ إِلاَّ قَدْ نُفِسَتْ وَلاَ تُسَمُّوهُ حَتَّى أُسَمِّيَهُ»، فَسَمَّاهُ عَبْدَاللهِ وَحَنَّكَهُ بِتَمْرَةٍ بِيَدِهِ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٨٢٦].

الأول من الفضل عن حذيفة استدل ابن مسعود على خلافته بقوله: لا نؤخر من قدمه رسول الله، كما مر، فيكون قوله ﷺ: (ولكن ما حدثكم حذيفة فصدقوه، وما أقرأكم عبدالله فاقرؤوه)، بياناً للاستخلاف، ولا حاجة إلى جعله من الأسلوب الحكيم، فافهم.

٦٢٤٢ ـ [٤٧] **(وعنه)** قوله: **(إلا محمد بن مسلمة)** الأنصاري الأوسي الحارثي الأشهلي، كان من فضلاء الصحابة، وفي هذا المقام بياض في كتاب (المشكاة)، وكتب الجزري في حاشيته: رواه أبو داود، وسكت عنه، وأقره عبد العظيم، وهو المنذري.

٦٢٤٣ ـ [٤٨] **(عائشة)** قوله: **(إلا قد نفست)** بضم النون بلفظ المجهول وفتحها بلفظ المعلوم، أي: ولدت وصارت ذات نفاس، وفي (الصراح)[١]: نفاس بكسر زچگى زن وزنان زچه، والنعت منه نفساء، ونسوة نفاس، وليس في الكلام فعلاء يجمع على فعال غير هذا وعشار جمع عشراء، ويجمع أيضاً على نفساوات.

وقوله: **(وحنكه)** التحنيك: أن يمضغ تمراً وغيره ثم يدلك بحنك الصبي.

---

(١) «الصراح» (ص: ٢٥٢).

٦٢٤٤ ـ [٤٩] وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَمِيرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لِمُعَاوِيَةَ: «اللهُمَّ اجْعَلْهُ هَادِياً مَهْدِيًّا وَاهْدِ بِهِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٨٤٢].

٦٢٤٤ ـ [٤٩] (عبد الرحمن بن أبي عميرة) قوله: (ابن أبي عميرة) بفتح المهملة وكسر الميم وسكون التحتانية.

وقوله: (اللهم اجعله هادياً مهدياً واهد به) قالوا: إن الهداية التي تنسب إلى ما سوى الله تكون بمعنى الدلالة، فيكون قوله: (مهديًّا) قيداً مخصِّصاً، لأن الهداية بهذا المعنى لا تستلزم الاهتداء.

وقوله: (واهد به) تأكيد.

واعلم أن المحدثين قالوا: لم يصح في فضائل معاوية حديث، كذا في (سفر السعادة)، وكذا قال السيوطي.

وقال في (جامع الأصول)[1]: والذي ثبت كتابته لرسول الله ﷺ، ولم يثبت كتابة الوحي، وقد ورد في شأنه الحديث الذي رواه أحمد في (مسنده)[2] عن عرباض ابن سارية قال: سمعت رسول الله ﷺ قال: (اللهم علِّم معاوية الكتاب والحساب وقه العذاب)، وله طرق، وزِيدَ في بعضها: (ومكن له في البلاد)، وهذا الحديث: (يا معاوية إذا ملكت فأسْجِحْ)، وفي رواية: (فأحسن)، وفوق ذلك كله هذا الحديث رواه الترمذي عن عبد الرحمن بن أبي عميرة، وروي أن عمر بن الخطاب عزل عمير ابن سعد عن إمارة حمص ونصب معاوية، فتعجب الناس، وقالوا: واعجباً! يعزل

---

(١) «جامع الأصول» (١٢/ ٨٥٦).

(٢) «مسند أحمد» (١٧١٥٢).

٦٢٤٥ ـ [٥٠] وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَسْلَمَ النَّاسُ وَآمَنَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ وَلَيْسَ إِسْنَادُهُ بِالْقَوِيِّ. [ت: ٣٨٤٤].

٦٢٤٦ ـ [٥١] وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ: لَقِيَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «يَا جَابِرُ مَا لِي أَرَاكَ مُنْكَسِراً» قُلْتُ: اسْتُشْهِدَ أَبِي، وَتَرَكَ عِيَالاً وَدَيْناً، قَالَ: «أَفَلاَ أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ اللهُ بِهِ أَبَاكَ»، قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ: «مَا كَلَّمَ اللهُ أَحَداً قَطُّ إِلاَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَأَحْيَا أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِفَاحاً، ....

عميراً وينصب معاوية، فقال عمير بن سعد: لا تقولوا لمعاوية شرًّا، سمعت من رسول الله ﷺ يقول لمعاوية: (اللهم اهد به)، وقالوا: لم يصح شيء من الأحاديث، والله أعلم.

هذا والكلام في إجابة دعوات الأنبياء كلها مذكور في موضعه.

٦٢٤٥ ـ [٥٠] (عقبة بن عامر) قوله: (أسلم الناس وآمن عمرو بن العاص) إنما خصه بالإيمان لأنه آمن رغبة، لأنه وقع الإسلام في قلبه في الحبشة حين اعترف النجاشي بنبوته، فأقبل إلى رسول الله مؤمناً من غير أن يدعوه أحد إليه، فجاء إلى المدينة ساعياً فآمن، وكان قبل إسلامه مبالغاً في عداوة النبي ﷺ، والمراد بالناس من أسلم يوم الفتح من مكة، فإنهم أسلموا جبراً وقهراً، ثم حسن إسلام من شاء الله منهم، وهو آمن طائعاً راغباً مهاجراً فلذلك خصه منهم بالإيمان.

٦٢٤٦ ـ [٥١] (جابر) قوله: (أفلا أبشرك) يعني: لا تهتم بأمر دنياه وعياله فإن الله يسهل ذلك، ولكن أبشر بما هو فيه من القرب والكرامة.

وقوله: **(وأحيا أباك)** استشكل بأن الشهداء أحياء فما معنى إحيائه؟ وأجيب

قَالَ: يَا عَبْدِي تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ، قَالَ: يَا رَبِّ تُحْيِينِي فَأُقْتَلُ فِيكَ ثَانِيَةً، قَالَ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ»، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا﴾ الآيَة [آل عمران: ١٦٩]. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٠١٠].

٦٢٤٧ ـ [٥٢] وَعَنْهُ قَالَ: اسْتَغْفَرَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ خَمْساً وَعِشْرِينَ مَرَّةً. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٨٥٢].

بأن الله تعالى جعل أرواحهم في جوف طير خضر، فقد أحيا ذلك الطير بتلك الأرواح فصح الإحياء، وقيل: أراد بالإحياء إعطاء زيادة قوة لروحه، فشاهَدَ الحقَّ بتلك القوة وكلمه كفاحاً، وهـذا الجواب أحسن وإن كان فيه مجاز لأن الأول يعم الشهداء كلهم فما وجه التخصيص؟

وأقول: إن الشهـداء أحياء بالحيـاة المعنوية، فلعلـه أُحْيي بحيـاة حسية دنيوية تكريماً لـه كما للأنبياء، ثم أبقي علـى تلك الحياة، أو أميـت بعد ذلك، لكن الكلام يبقى في قوله تعالى: ﴿أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾[غافر: ١١]، وقد علم في أوائل الكتاب في (باب إثبات عذاب القبر)، والمراد بقوله: (**تحييني**): ترسلني وترجعني إلى الدنيا، كما يدل قوله: (أنهم لا يرجعون).

وقوله: (**كفاحـاً**) كافح فلاناً: واجهه، كفحه يكفحه: كشف عنه غطاءه، أي: كلمه ليس بينهما حجاب ولا رسول، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ﴾ الآية [الشورى: ٥١] مخصوص بهذا العالـم.

٦٢٤٧ ـ [٥٢] (وعنـه) قولـه: (**خمساً وعشرين مـرة**) لا يعرف أن هذا العدد كان في مجلس واحد أو كان في أوقات متعددة، وهذا هو الأظهر.

٦٢٤٨ ـ [٥٣] وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَمْ مِنْ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ لاَ يُوبَهُ لَهُ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ، مِنْهُمُ الْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ». رواه التِّرْمِذِيُّ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «دَلاَئِلِ النُّبُوَّةِ». [ت: ٣٨٥٤، دلائل: ٦/ ٣٦٨].

٦٢٤٩ ـ [٥٤] وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَلاَ إِنَّ عَيْبَتِيَ الَّتِي آوِي إِلَيْهَا أَهْلُ بَيْتِي، وَإِنَّ كَرِشِيَ الأَنْصَارُ، فَاعْفُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ، وَاقْبَلُوا عَنْ مُحْسِنِهِمْ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ. [ت: ٣٩٠٤].

٦٢٤٨ ـ [٥٣] (أنس) قوله: **(ذي طمرين)** في (القاموس)[1]: الطمر بالكسر: الثوب الخلق، أو الكساء البالي من غير الصوف.

وقوله: **(لا يوبه له)** أي: لا يُحتفل ولا يبالى به لحقارته، وأصل الواو الهمزة قلبت بها لضمة ما قبلها، وفي (القاموس)[2]: أَبَهَ له، وبه، كمنع وفرح، أَبْهاً، ويحرك: فطن، أو نسيه ثم تفطن له، وهو لا يؤبه له، والأُبَّهَة: العظمة، والبهجة، والكبر، وتَأَبَّهَ: تكبر، وعن كذا: تنزه.

٦٢٤٩ ـ [٥٤] (أبو سعيد) قوله: **(إن عيبتي التي آوي إليها أهل بيتي)** قد ورد العيبة في شأن الأنصار، ولا ينافي ورودها في شأن غيرهم، فقد تكون متعددة، ويمكن أن يكون التقييد بـ (التي آوي إليها) ـ أي: أرجع إليها كثيراً دائماً ـ لتخصيص أهل البيت بزيادة الشرف والفضيلة وكثرة الرجوع إليهم.

وقوله: **(فاعفوا عن مسيئهم)** الظاهر أن الضمير للأنصار، كما صرح به في حديث أنس في (الفصل الأول)، وإن كان لفظ هذا الحديث يحتمل رجوعه إلى الكل

---

(١) «القاموس» (ص: ٣٨٩).

(٢) «القاموس» (ص: ١١١٩).

٦٢٥٠ ـ [٥٥] وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لاَ يُبْغِضُ الأَنْصَارَ أَحَدٌ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. [ت: ٣٩٠٦].

٦٢٥١ ـ [٥٦] وَعَنْ أَنَسٍ وَأَبِي طَلْحَةَ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَقْرِئْ قَوْمَكَ السَّلاَمَ فَإِنَّهُمْ مَا عَلِمْتُ أَعِفَّةٌ صُبُرٌ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٩٠٣].

٦٢٥٢ ـ [٥٧] وَعَنْ جَابِرٍ: أَنَّ عَبْداً لِحَاطِبٍ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَشْكُو حَاطِباً إِلَيْهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! . . . .

من أهل البيت والأنصار كما يقولون: الصالحون لله والطالحون لي، ومر معنى الكرش في (الفصل الأول).

٦٢٥٠ ـ [٥٥] (ابن عباس) قوله: (**لا يبغض الأنصار أحد يؤمن**) وكيف يبغضهم المؤمن وهم ناصرو النبي ﷺ وأولياؤه في تقوية الدين وتكميله؟ وكان المنافقون يبغضونهم حسداً على رسول الله ﷺ وعلى أهل دينه.

٦٢٥١ ـ [٥٦] (أنس) قوله: (**أقرئ**) بفتح الهمزة وكسر الراء.

وقوله: (**ما علمت**) ما مصدرية أو موصولة، والتقدير: فإنهم في علمي بهم، أو فيما علمت، (**أعفة**) جمع عفيف، والعفة: الكف عما لا يحل ولا يحمل، و(**صبر**) بضمتين مع خفة الباء جمع صبور، وصحح أيضاً بضم الصاد وتشديد الباء المفتوحة جمع صابر، أي: صابرون على الفقر والفاقة، أو في القتال، أو عند الغضب، والأول أوفق بقوله: (**أعفة**).

٦٢٥٢ ـ [٥٧] (جابر) قوله: (**يشكو حاطباً**) لعل شكايته كانت لأجل وقعة

لَيَدْخُلَنَّ حَاطِبٌ النَّار، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَذَبْتَ، لاَ يَدْخُلُهَا فَإِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْراً وَالْحُدَيْبِيَةَ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢١٩٥].

٦٢٥٣ ـ [٥٨] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ تَلاَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَـٰلَكُم﴾ [محمد: ٣٨] قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! مَنْ هَؤُلاَءِ الَّذِينَ ذَكَرَ اللهُ إِنْ تَوَلَّيْنَا اسْتُبْدِلُوا بِنَا ثُمَّ لاَ يَكُونُوا أَمْثَالَنَا؟ فَضَرَبَ عَلَى فَخِذِ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ ثُمَّ قَالَ: «هَذَا وَقَوْمُهُ، وَلَوْ كَانَ الدِّينُ عِنْدَ الثُّرَيَّا لَتَنَاوَلَهُ رِجَالٌ مِنَ الْفُرْسِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٢٦١].

٦٢٥٤ ـ [٥٩] وَعَنْهُ قَالَ: ذُكِرَتِ الأَعَاجِمُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لأَنَا بِهِمْ أَوْ بِبَعْضِهِمْ أَوْثَقُ مِنِّي بِكُمْ أَوْ بِبَعْضِكُمْ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٩٣٢].

كتابته إلى مشركي مكة، وقد يستأنس فيه بقوله: (ليدخلن حاطب النار)، ويحتمل أن يكون لأجل شيء آخر، والله أعلم.

٦٢٥٣ ـ [٥٨] (أبو هريرة) قوله: (ثم قال: هذا وقومه) وفي تفسير القاضي[1]: أو الأنصار وأهل اليمن.

٦٢٥٤ ـ [٥٩] (وعنه) قوله: (لأنا بهم أو ببعضهم أوثق مني بكم أو ببعضكم) قال الطيبي[2]: المخاطبون قوم مخصوص دُعوا إلى الإنفاق في سبيل الله فتقاعدوا، يدل عليه قوله تعالى في الحديث السابق: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨]،

---

(١) «تفسير البيضاوي» (٥/ ١٢٥).

(٢) «شرح الطيبي» (١٢/ ٣٤٧).

* الْفَصْلُ الثَّالِثُ:

٦٢٥٥ - [٦٠] عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ سَبْعَةَ نُجَبَاءَ رُقَبَاءَ، وَأُعْطِيتُ أَنَا أَرْبَعَةَ عَشَرَ»، قُلْنَا: مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «أَنَا وَابْنَايَ وَجَعْفَرٌ وَحَمْزَةُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَمُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَبِلَالٌ وَسَلْمَانُ وَعَمَّارٌ وَعَبْدُاللهِ بْنُ مَسْعُودٍ وَأَبُو ذَرٍّ وَالْمِقْدَادُ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٧٨٥].

٦٢٥٦ - [٦١] وَعَنْ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ قَالَ: كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ كَلَامٌ، فَأَغْلَظْتُ لَهُ فِي الْقَوْلِ، فَانْطَلَقَ عَمَّارٌ يَشْكُونِي إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَجَاءَ خَالِدٌ وَهُوَ يَشْكُوهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: فَجَعَلَ يُغْلِظُ لَهُ.........

فإنه جاء عقيب قوله تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ﴾ [محمد: ٣٨]، فهو تحريض وبعث لهم على الإنفاق، فلا يلزم منه التفضيل.

الفصل الثالث

٦٢٥٥ - [٦٠] (علي) قوله: (نجباء) جمع نجيب، في (القاموس)[1]: هو الرجل الكريم الحسيب، وقد نجب ككرم نجابة، والمنتجب: المختار، و(رقباء) جمع رقيب وهو الحافظ والحارس.

وقوله: (قلنا) أي: لعلي.

وقوله: (قال) أي: علي رضي الله عنه.

٦٢٥٦ - [٦١] (خالد بن الوليد) قوله: (فجاء خالد) كلام الراوي.

وقوله: (فجعل) أي: خالد (يغلظ له) أي: لعمار.

---

(١) «القاموس» (ص: ١٢٥).

وَلاَ يَزِيدُهُ إِلاَّ غِلْظَةً وَالنَّبِيُّ ﷺ سَاكِتٌ لاَ يَتَكَلَّمُ، فَبَكَى عَمَّارٌ وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَلاَ تَرَاهُ؟ فَرَفَعَ النَّبِيُّ ﷺ رَأْسَهُ وَقَالَ: «مَنْ عَادَى عَمَّاراً عَادَاهُ اللهُ، وَمَنْ أَبْغَضَ عَمَّاراً أَبْغَضَهُ اللهُ» قَالَ خَالِدٌ: فَخَرَجْتُ فَمَا كَانَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رِضَى عَمَّارٍ فَلَقِيتُهُ بِمَا رَضِيَ فَرَضِيَ.

٦٢٥٧ ـ [٦٢] وَعَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «خَالِدٌ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ ﷻ، وَنِعْمَ فَتَى الْعَشِيرَةِ». رَوَاهُمَا أَحْمَدُ.

[حم: ٤/ ٨٩، ٩٠].

وقوله: (من أبغض) البغض والعداوة بمعنى، في (الصراح)[1]: إبغاض: دشمن داشتن، فهذا تأكيد، أو يجعل (عادى) من العدوان بمعنى الظلم، و(عاداه الله) من قبيل المشاكلة، أو المراد بـ (عادى) فَعَل فعلاً يفضي إلى العداوة، وبالإبغاض: العداوة بالفعل، أو المراد بـ (عادى): جعل نفسه عدوًّا له، وبالإبغاض: عَدَّه عدوًّا لنفسه، فافهم.

٦٢٥٧ ـ [٦٢] (أبو عبيدة) قوله: (أبي عبيدة) بضم المهملة وفتح الموحدة بعدها تحتية وآخرها تاء.

وقوله: (خالد سيف من سيوف الله) وقد احتج به ﷺ في قتله مالك بن نويرة عند قوله عن النبي: (صاحبكم) حين مؤاخذة عمر إياه: كيف قتلته؟ فقال: أما سمعت رسول الله ﷺ قال: خالد سيف من سيوف الله، وهل يجري سيف الله إلا على الحق؟ والقصة طويلة مذكورة في موضعها.

وقوله: (ونعم فتى العشيرة) المخصوص محذوف، أي: خالدٌ.

---

(١) «الصراح» (ص: ٢٧٧).

٦٢٥٨ ـ [٦٣] وَعَنْ بُرَيْدَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَمرنِي بِحُبِّ أَرْبَعَةٍ وَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ يُحِبُّهُمْ». قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ! سَمِّهِمْ لَنَا، قَالَ: «عَلِيٌّ مِنْهُمْ» يَقُولُ ذَلِكَ ثَلَاثاً، «وَأَبُو ذَرٍّ وَالْمِقْدَادُ وَسَلْمَانُ أَمَرَنِي بِحُبِّهِمْ وَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ يُحِبُّهُمْ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ. [ت: ٣٧١٨].

٦٢٥٩ ـ [٦٤] وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ: كَانَ عُمَرُ يَقُولُ: أَبُو بَكْرٍ سَيِّدُنَا وَأَعْتَقَ سَيِّدَنَا، يَعْنِي بِلَالاً. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٣٧٥٤].

٦٢٦٠ ـ [٦٥] وَعَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ أَنَّ بِلَالاً قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ: إِنْ كُنْتَ إِنَّمَا اشْتَرَيْتَنِي لِنَفْسِكَ فَأَمْسِكْنِي، وَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا اشْتَرَيْتَنِي للهِ فَدَعْنِي وَعَمَلَ اللهِ. . . . .

٦٢٥٨ ـ [٦٣] (بريدة) قوله: (يقول ذلك ثلاثاً) إنما قال ثلاثاً تأكيداً؛ لأن بريدة كان فيه شيء من علي لمَّا رأى منه ﷺ في قضية إمارة اليمن ما يسوؤه، كما سبق [في] (باب في فضائل علي) في قصة غدير خم.

٦٢٥٩ ـ [٦٤] (جابر) قوله: (وأعتق سيدنا) يعني بلالاً، قاله تواضعاً فإن عمر ﷺ أفضل منه، وأيضاً السيادة لا تُثبت الأفضلية، كذا قالوا، أقول: ضمير المتكلم مع الغير لا يجب أن يكون شاملاً للكل ويكفي الأكثر، والضمير كناية عن الصحابة.

٦٢٦٠ ـ [٦٥] (قيس بن أبي حازم) قوله: (إن بلالاً قال لأبي بكر) قاله حين استدعى أبو بكر أن يؤذن له كما كان يؤذن لرسول الله، فأبى وذهب إلى الشام.

وقوله: (وعمل الله) بالنصب مفعول معه.

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٣٥٤٥].

٦٢٦١ ـ [٦٦] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي مَجْهُودٌ، فَأَرْسَلَ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ، فَقَالَتْ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا عِنْدِي إِلاَّ مَاءٌ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُخْرَى فَقَالَتْ مِثْلَ ذَلِكَ، وَقُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ يُضَيِّفُهُ؟ يَرْحَمُهُ اللهُ»، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ: أَبُو طَلْحَةَ، فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ فَقَالَ لاِمْرَأَتِهِ: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ قَالَتْ: لاَ، إِلاَّ قُوتُ صِبْيَانِي، قَالَ: فَعَلِّلِيهِمْ بِشَيْءٍ وَنَوِّمِيهِمْ، فَإِذَا دَخَلَ ضَيْفُنَا فَأَرِيهِ أَنَّا نَأْكُلُ، فَإِذَا أَهْوَى لِيَأْكُلَ فَقُومِي إِلَى السِّرَاجِ كَيْ تُصْلِحِيهِ فَأَطْفِئِيهِ، فَفَعَلَتْ فَقَعَدُوا وَأَكَلَ الضَّيْفُ، وَبَاتَا طَاوِيَيْنِ، ....

٦٢٦١ ـ [٦٦] (أبو هريرة) قوله: (من يضيفه) بالتشديد استفهام. و(يرحمه الله) استئناف، وصحح في بعض النسخ بالجزم جملة شرطية.

وقوله: (فعلليهم) علله به، أي: لهَّاه به، وتعليل الصبي: وعده وتسويفه وشغله عما يراد صرفه عنه، قالوا: وهذا محمول على [أن] الصبيان لم يكونوا محتاجين إلى الطعام، وإنما كان طلبهم على عادة الصبيان من غير جوع وإلا وجب تقديمهم، وكيف يتركان واجباً وقد أثنى الله عليهما؟

وقوله: (فأريه) بلفظ أمرٍ للمخاطبة من الإراءة، (فإذا أهوى) أي: الضيف (بيده) أي: أمال يده وقصد.

وقوله: (طاويين) أي: جائعين.

فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى[1] رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَقَدْ عَجِبَ اللهُ ـ أَوْ: ضَحِكَ اللهُ ـ مِنْ فُلَانٍ وَفُلَانَةٍ».

وَفِي رِوَايَةٍ مِثْلُهُ، وَلَمْ يُسَمِّ أَبَا طَلْحَةَ، وَفِي آخِرِهَا: فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[الحشر: ٩]. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٧٩٨، م: ٢٠٥٤].

٦٢٦٢ ـ [٦٧] وَعَنْهُ قَالَ: نَزَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَنْزِلاً، فَجَعَلَ النَّاسُ يَمُرُّونَ فَيَقُولُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ هَذَا يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟» فَأَقُولُ: فُلَانٌ، فَيَقُولُ: «نِعْمَ عَبْدُاللهِ هَذَا»، وَيَقُولُ: «مَنْ هَذَا؟» فَأَقُولُ: فُلَانٌ، فَيَقُولُ: «بِئْسَ عَبْدُاللهِ هَذَا»، حَتَّى مَرَّ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فَقَالَ: «مَنْ هَذَا؟» فَقُلْتُ: خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ. فَقَالَ: «نِعْمَ عَبْدُاللهِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٨٤٦].

وقوله: (غدا إلى رسول الله) وفي بعض النسخ: (على)، أي: أقبل عليه غادياً.

و(الخصاصة) الفقر والحاجة.

٦٢٦٢ ـ [٦٧] (وعنه) قوله: (فيقول: بئس عبدالله هذا) لعله كان يقول هذا لمن علمه من المنافقين؛ لأنه يبعد ولم يعهد أن يقول رسول الله ﷺ هذا لمن كان من المؤمنين وإن كان على طريق سوء، وقلَّ من كان من المؤمنين في ذلك الزمان عليه، والله أعلم.

---

(١) في نسخة: «إلى».

٦٢٦٣ ـ [٦٨] وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ: قَالَتِ الأَنْصَارُ: يَا نَبِيَّ اللهِ! لِكُلِّ نَبِيٍّ أَتْبَاعٌ وَإِنَّا قَدِ اتَّبَعْنَاكَ فَادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَ أَتْبَاعَنَا مِنَّا، فَدَعَا بِهِ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٣٧٨٨].

٦٢٦٤ ـ [٦٩] وَعَنْ قَتَادَةَ قَالَ: مَا نَعْلَمُ حَيًّا مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ أَكْثَرَ شَهِيداً أَعَزَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الأَنْصَارِ. قَالَ: وَقَالَ أَنَسٌ: قُتِلَ مِنْهُمْ يَوْمَ أُحُدٍ سَبْعُونَ. . . . .

٦٢٦٣ ـ [٦٨] (زيد بن أرقم) قوله: (أن يجعل أتباعنا منا) وقال الشيخ ابن حجر[١]: أتباع الأنصار: الحلفاء والموالي، (منا) أي: اجعلهم أن يقال لهم الأنصار حتى تتناولهم الوصية بهم بالإحسان إليهم ونحو ذلك، كما قال ﷺ: (أوصيكم بالأنصار)، وقال: (فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم)، وقال الطيبي[٢]: اجعلهم مقتفين آثارنا وعلى سيرتنا وطريقتنا تابعين لنا بإحسان، وهذا المعنى أظهر، فافهم.

٦٢٦٤ ـ [٦٩] (قتادة) قوله: (أكثر شهيداً أعزّ يوم القيامة) يحتمل أن يكون (أكثر) مفعولاً ثانياً لـ (نعلم) و(أعز) بدلاً منه، وأن يكون (أكثر) صفة لـ (حيًّا) و(أعز) مفعولاً ثانياً، أو يكون كل منهما صفة بدون العطف، وأن يكون الأول صفة والثاني حالاً إن كان العلم بمعنى المعرفة.

وقوله: (قتل منهم يوم أحد سبعون) قال الشيخ[٣]: روى ابن منده من حديث أبيٍّ: قتل من الأنصار يوم أحد أربعة وستون، ومن المهاجرين ستة منهم حمزة ومصعب

---

(١) «فتح الباري» (٧/ ١١٤).

(٢) «شرح الطيبي» (١٢/ ٣٥٣).

(٣) «فتح الباري» (٧/ ١١٤).

وَيَوْمَ بِئْرِ مَعُونَةَ سَبْعُونَ، وَيَوْمَ الْيَمَامَةِ عَلَى عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ سَبْعُونَ، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٤٠٧٨].

٦٢٦٥ ـ [٧٠] وَعَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ قَالَ: كَانَ عَطَاءُ الْبَدْرِيِّينَ خَمْسَةَ آلاَفٍ خَمْسَةَ آلاَفٍ. وَقَالَ عُمَرُ: لأُفَضِّلَنَّهُمْ عَلَى مَنْ بَعْدَهُمْ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٣٧٨٧].



* تَسْمِيَةُ مَنْ سُمِّيَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ فِي «الْجَامِعِ» لِلْبُخَارِيِّ:

ابن عمير، وصححه ابن حبان من هذا الوجه، انتهى، والله أعلم.

وقوله: (ويوم بئر معونة سبعون) وهو وقعة القرَّاء.

٦٢٦٥ ـ [٧٠] (قيس بن أبي حازم) قوله: (عطاء البدريين) أي: من بيت المال على عهد عمر في ديوانه.

* تسمية من سمي من أهل البدر في (جامع البخاري):

وفي نسخة: (في الجامع للبخاري)، قد صح أن أهل بدر كانوا ثلاث مئة، وكان خمسة أو ثمانية منهم لم يحضروها، ولكن ضرب رسول الله ﷺ بأسهمهم وأجورهم، والبخاري سمى في (جامعه) في باب على حدة جماعة منهم، قالوا: المقصود منه تسمية من علم وذكر في هذا الكتاب أنه من أهل بدر على الخصوص، فكأنه فذلكة وإجمال لما تقدم مفصلاً لا تسمية المذكورين منهم مطلقاً، إذ لم يذكر[1]

---

(١) «إذ لم يذكر» كذا في الأصل، والظاهر «إذ كثير» كما في «الكواكب» (١٥/ ١٩٨)، و«عمدة القاري» (١٢/ ٦٥).

١ ـ النَّبِـيُّ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِاللهِ الْهَاشِمِيُّ ﷺ.

٢ ـ عَبْدُاللهِ بْنُ عُثْمَانَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ الْقُرَشِيُّ.

٣ ـ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ الْعَدَوِيُّ.

٤ ـ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ الْقُرَشِيُّ خَلَّفَهُ النَّبِـيُّ ﷺ عَلَى ابْنَتِهِ رُقَيَّةَ. . . . . .

ممن لم يختلف في شهوده بدراً كأبي عبيدة بن الجراح ﷺ لم يذكره ههنا، ولا تسمية من روى حديثاً منهم، فإن كثيراً من المذكورين ههنا لم يرو حديثاً منهم نحو حارثة وغيره، وقد رتب من ذكره هنا على حروف المعجم إلا رسول الله ﷺ والخلفاء الأربعة فقدمهم لشرفهم، وفي بعضها قدم رسول الله ﷺ فقط، وذكر الباقين على الترتيب.

وقال في (الكواكب الدراري)[1]: وفائدة ذكرهم معرفة فضيلة السبق وترجيحهم على غيرهم والدعاء لهم بالرضوان على التعيين، وقيل: الدعاء عند ذكرهم في البخاري مستجاب، وهذه أسماؤهم فأولهم وإمامهم وسيدهم وسيد العالمين كلهم أجمعين:

١ ـ (**محمد بن عبدالله**) بن عبد المطلب بن هاشم (**الهاشمي** ﷺ)، وذكره للتبرك وإلا فكونه ممن شهد بدراً مقطوع به.

٢ ـ (**عبدالله بن عثمان أبو بكر الصديق القرشي**) وعبدالله اسم أبي بكر الصديق، وعثمان اسم أبيه المُكْنى بأبي قحافة.

٣ ـ (**عمر بن الخطاب العدوي**) منسوب إلى جده عدي بن كعب.

٤ ـ (**عثمان بن عفان القرشي خلفه النبي ﷺ على ابنته رقية**) وكانت مريضة

---

(١) «شرح الكرماني» (١٥/ ٢٠٢).

وَضَرَبَ لَهُ بِسَهْمِهِ.

٥ ـ عَلِيُّ بْنُ أَبِـي طَالِبٍ الْهَاشِمِيُّ.

٦ ـ إِيَاسُ بْنُ بُكَيْرٍ.

٧ ـ بِلاَلُ بْنُ رَبَاحٍ مَوْلَى أَبِـي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ.

٨ ـ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ الْهَاشِمِيُّ.

٩ ـ حَاطِبُ بْنُ أَبِـي بَلْتَعَةَ حَلِيفٌ لِقُرَيْشٍ.

(وضرب له بسهمه) أي: أجره فكان كمن شهد، كما سبق في مناقبه، ووصف عثمان بالقرشي [دون الأموي] مع أنه أخص منه فكأنهم لم يرضوا بوصفه بالأموي لئلا يشتبه بأمراء بني أمية.

٥ ـ **(علي بن أبي طالب الهاشمي)** ابن عم الرسول وزوج فاطمة الزهراء البتول.

٦ ـ **(إياس بن بكير)** وفي بعضها: (البكير) معرفاً باللام، بكسر الهمزة وفتحها وتخفيف التحتية، وبكير بضم الموحدة وفتح الكاف مصغراً، ولأبي ذر عن الكشميهني: (البكير) بكسر الموحدة والكاف المشددة، الليثي.

٧ ـ **(بلال بن رباح)** بفتح الراء والموحدة المخففة، المؤذن، الحبشي، **(مولى أبي بكر الصديق)**.

٨ ـ **(حمزة بن عبد المطلب الهاشمي)** سيد الشهداء الذي قتل بأحد.

٩ ـ **(حاطب بن أبي بلتعة حليف لقريش)** قد سبق ذكره في (باب جامع المناقب).

١٠ ـ أَبُو حُذَيْفَةَ بْنُ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ الْقُرَشِيُّ.

١١ ـ حَارِثَةُ بْنُ الرُّبَيِّعِ الأَنْصَارِيُّ، قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ، وَهُوَ حَارِثَةُ بْنُ سُرَاقَةَ كَانَ فِي النَّظَّارَةِ.

١٢ ـ خُبَيْبُ بْنُ عَدِيٍّ الأَنْصَارِيُّ.

---

١٠ ـ (**أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة**) بن عبد شمس (**القرشي**) اسمه هشام على الأكثر.

١١ ـ (**حارثة بن الربيع الأنصاري**) بفتح الراء والتخفيف، كذا في اليونينية وفرعها، وقال في (أسد الغابة)[1]: كذا ذكره عبدان وابن أبي علي، وفي بعض الأصول: الربيع بالضم والتشديد مصغراً وهو الصواب، وبه جزم في (أسد الغابة) و(فتح الباري) و(العمدة) و(الكواكب) وغيرها، وهو اسم أمه، (**وهو حارثة بن سراقة**) بضم السين وتخفيف الراء، وهو اسم أبيه، (**كان في النظارة**) بفتح النون وتشديد الظاء المعجمة، وهم القوم الذين ينظرون إلى المقاتلين، ولم يخرجوا لقتال، وقيل: الذين طلعوا مكاناً مرتفعاً ينظرون إلى العدو ويخبرون بحالهم، وكان غلاماً خرج نظاراً فجاءه سهم غرب، فوقع في ثغرة نحره، وسهم غرب الذي لم يعلم راميه، يضاف ولا يضاف، فجاءت أمه الربيع فقالت: يا رسول الله! قد علمت مكان حارثة مني فإن يكن في الجنة فأصبر وإلا فسيرى الله ما أصنع، وفي رواية: وإن كان في النار اجتهدت عليه في البكاء، فقال رسول الله ﷺ: (يا أم حارثة إنها ليست بجنة واحدة، ولكنها جنان كثيرة، وهو في الفردوس الأعلى) قالت: سأصبر.

١٢ ـ (**خبيب بن عدي الأنصاري**) الأوسي، بالخاء المعجمة المضمومة

---

(١) «أسد الغابة» (١/ ٦٤٩)، وانظر: «إرشاد الساري» (٦/ ٢٧٦).

١٣ ـ خُنَيْسُ بْنُ حُذَافَةَ السَّهْمِيُّ.

١٤ ـ رِفَاعَةُ بْنُ رَافِعٍ الأَنْصَارِيُّ.

١٥ ـ رِفَاعَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُنْذِرِ أَبُو لُبَابَةَ الأَنْصَارِيُّ.

١٦ ـ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ الْقُرَشِيُّ.

١٧ ـ زَيْدُ بْنُ سَهْلٍ أَبُو طَلْحَةَ الأَنْصَارِيُّ.

وموحدتين بلفظ التصغير.

١٣ ـ (**خنيس بن حذافة السهمي**) بضم الخاء المعجمة وفتح النون آخره سين مهملة مصغراً، وحذافة بضم الحاء المهملة وخفة الذال المعجمة والفاء، السهمي القرشي.

١٤ ـ (**رفاعة بن رافع الأنصاري**) بكسر الراء، الزرقي بزاي مضمومة وراء مفتوحة وقاف.

١٥ ـ (**رفاعة بن عبد المنذر**) بضم الميم وكسر الذال المعجمة، (**أبو لبابة**) بضم اللام والموحدتين بينهما ألف مخففاً (**الأنصاري**)، وقال الأكثرون: إنما هو أخو أبي لبابة واسم أبي لبابة بشير، وليس رفاعة بأبي لبابة، وقال الزركشي: خرج بشير بن عبد المنذر مع رسول الله ﷺ إلى بدر، ثم رده، وضرب له بسهمه مع أصحاب بدر، وشهد أخواه رفاعة ومبشر بدراً، وقتل يومئذ مبشر.

١٦ ـ (**الزبير بن العوام القرشي**) بتشديد الواو، أحد العشرة ابن عمة رسول الله ﷺ صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنهما.

١٧ ـ (**زيد بن سهل**) بفتح السين المهملة وسكون الهاء، (**أبو طلحة الأنصاري**) النَّجاري، وقد اشتهر بكنيته زوج أم أنس بن مالك.

١٨ ـ أَبُو زَيْدٍ الأَنْصَارِيُّ.

١٩ ـ سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ الزُّهْرِيُّ.

٢٠ ـ سَعْدُ بْنُ خَوْلَةَ الْقُرَشِيُّ.

٢١ ـ سَعِيدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ الْقُرَشِيُّ.

٢٢ ـ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ الأَنْصَارِيُّ.

---

١٨ ـ **(أبو زيد الأنصاري)**.

١٩ ـ **(سعد بن مالك الزهري)** القرشي، وهو سعد بن أبي وقاص، قال القسطلاني[١]: قال في (الفتح): لم يتقدم له في هذه القصة ذكر لكن هو منهم بالاتفاق، وسقط ذكره هنا من بعض الأصول.

٢٠ ـ **(سعد بن خولة القرشي)** بفتح المعجمة وسكون الواو.

٢١ ـ **(سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل القرشي)** أحد العشرة، زوج أخت عمر ابن الخطاب، ونفيل: بضم النون وفتح الفاء مصغراً، قال القسطلاني: قال في (عيون الأثر)[٢]: قدم من الشام بعد ما قدم رسول الله من بدر، فكلمه، فضرب له بسهمه وأجره.

٢٢ ـ **(سهل بن حنيف الأنصاري)** بفتح السين في الأول وضم المهملة في الثاني وبنون في الثاني مصغراً، شهد بدراً والمشاهد كلها، مات بالكوفة وصلى عليه علي ابن أبي طالب، وكبر خمساً، وقال: إنه بدري، وكان يكبر على البدريين خمساً وعلى

---

(١) «إرشاد الساري» (٦/ ٢٧٧).

(٢) «عيون الأثر» (١/ ٣١٩).

٢٣ ـ ظُهَيْرُ بْنُ رَافِعٍ الأَنْصَارِيُّ.

٢٤ ـ وَأَخُوهُ.

٢٥ ـ عَبْدُاللهِ بْنُ مَسْعُودٍ الْهُذَلِيُّ.

غيرهم أربعاً.

٢٣، ٢٤ ـ **(ظهير بن رافع الأنصاري)** الأوسي **(وأخوه)** بضم الظاء المعجمة وفتح الهاء مصغراً، وأخوه اسمه مظهر بضم الميم وفتح المعجمة وكسر الهاء مشددة، ولم يسمه البخاري، وذكر أنهما شهدا بدراً، لكن قال أبو عمر: إن ظهيراً لم يشهدها وشهد أحداً وما بعدها، وكذا قيل: لم يشهدها مظهر، وسقطت الواو من قوله: (وأخوه) لأبي ذر.

٢٥ ـ **(عبدالله بن مسعود الهذلي)** بضم الهاء وفتح المعجمة، قال القسطلاني[1]: وسقط لأبي ذر: (عبدالله بن مسعود الهذلي) وهو بدري بالاتفاق، ذكره في أول المغازي بلفظ: قال رسول الله ﷺ يوم بدر: (من ينظر ما فعل أبو جهل؟)، فانطلق ابن مسعود الحديث، وقد ثبت بعده لأبي ذر: (عتبة بن مسعود الهذلي) بضم العين وسكون الفوقية، أخو عبدالله بن مسعود، لم يتقدم له ذكر في البخاري، ولا ذكره أحد ممن صنف في المغازي في البدريين، وقد رقم عليه علامة السقوط، قال في (الفتح): وهو ساقط عند النسفي، ولم يذكره الإسماعيلي ولا أبو نعيم في (مستخرجيهما) وهو المعتمد، قلت: وكذلك هو ساقط من نسخ (المشكاة)، وثابت في بعض نسخ البخاري.

---

(١) «إرشاد الساري» (٦/ ٢٧٧).

٢٦ ـ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ الزُّهْرِيُّ.

٢٧ ـ عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ الْقُرَشِيُّ.

٢٨ ـ عبادةُ بْنُ الصَّامِتِ الأَنْصَارِيُّ.

٢٩ ـ عَمْرُو بْنُ عَوْفٍ حَلِيفُ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ.

٣٠ ـ عُقْبَةُ بْنُ عَمْرٍو الأَنْصَارِيُّ.

٣١ ـ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ الْعَنَزِيُّ.

---

٢٦ ـ **(عبد الرحمن بن عوف الزهري)** من بني زهرة، المشهور من العشرة.

٢٧ ـ **(عبيدة بن الحارث القرشي)** بضم العين وفتح الباء مصغراً، والحارث ابن عبد المطلب.

٢٨ ـ **(عبادة بن الصامت الأنصاري)** بضم العين وتخفيف الموحدة.

٢٩ ـ **(عمرو بن عوف)** بفتح العين فيهما وبالفاء في الثاني **(حليف بني عامر بن لؤي)** بضم اللام وفتح الهمزة، وقيل: بلا همز، والأول أشهر، وتشديد التحتية، قال القسطلاني: قال ابن الأثير: لا يصح شهوده بدراً، وإنما سكنها.

٣٠ ـ **(عقبة بن عمرو الأنصاري)**.

٣١ ـ **(عامر بن ربيعة العنزي)** بالنون والزاي مفتوحتين، وقيل: بسكون النون منسوب إلى عنزة بن أسد، وقيل: من بني عنز بن وائل، وفي (المغني)[1]: العنزي بفتح النون كثيرة، وبسكونها عامر بن ربيعة، ولأبي ذر عن الكشميهني: (العدوي) بالدال

---

(١) «المغني في ضبط أسماء الرجال» (ص: ١٨٧).

٣٢ ـ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ الأَنْصَارِيُّ.

٣٣ ـ عُوَيْمُ بْنُ سَاعِدَةَ الأَنْصَارِيُّ.

٣٤ ـ عِتْبَانُ بْنُ مَالِكٍ الأَنْصَارِيُّ.

٣٥ ـ قُدَامَةُ بْنُ مَظْعُونٍ.

٣٦ ـ قَتَادَةُ بْنُ النُّعْمَانِ الأَنْصَارِيُّ.

٣٧ ـ مُعَاذُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْجَمُوحِ.

بعد العين المهملتين، قال في (الفتح)[1]: وكلاهما صواب لأنه عنزي الأصل عدوي الحلف.

٣٢ ـ **(عاصم بن ثابت)** بالمثلثة **(الأنصاري)**.

٣٣ ـ **(عويم بن ساعدة الأنصاري)** بضم العين وفتح الواو آخره ميم مصغراً.

٣٤ ـ **(عتبان بن مالك الأنصاري)** بكسر العين وسكون الفوقية وبالموحدة.

٣٥ ـ **(قدامة بن مظعون)** بضم القاف وتخفيف الدال المهملة في الأول وفتح الميم وسكون الظاء المعجمة في الثاني.

٣٦ ـ **(قتادة بن النعمان الأنصاري)** بفتح القاف وضم النون.

٣٧ ـ **(معاذ بن عمرو بن الجموح)** بضم الميم وبالذال المعجمة وبفتح العين المهملة، والجموح بفتح الجيم وضم الميم آخره حاء مهملة.

---

(١) «فتح الباري» (٧/ ٣٢٨).

٣٨ ـ مُعَوِّذُ بْنُ عَفْرَاءَ.

٣٩ ـ وَأَخُوهُ.

٤٠ ـ مَالِكُ بْنُ رَبِيعَةَ أَبُو أُسَيْدٍ الأَنْصَارِيُّ.

٤١ ـ مِسْطَحُ بْنُ أُثَاثَةَ بْنِ عَبَّادِ بْنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ.

٤٢ ـ مُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ الأَنْصَارِيُّ.

٤٣ ـ مَعْنُ بْنُ عَدِيٍّ الأَنْصَارِيُّ.

٣٨، ٣٩ ـ **(معوذ بن عفراء) (وأخوه)** بضم الميم وبفتح العين المهملة وتشديد الواو المكسورة، وعفراء بفتح العين وسكون الفاء ممدوداً اسم أمه، وأخوه معاذ بن عفراء، وكان الأخ الثالث عوف وهو أيضاً شهد بدراً، كذا قال الكرماني[1].

٤٠ ـ **(مالك بن ربيعة أبو أسيد الأنصاري)** بضم الهمزة وفتح السين المهملة، كنية مالك بن ربيعة وهو مشهور به.

٤١ ـ **(مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف)** بكسر الميم وسكون السين وفتح الطاء بعدها حاء مهملة، وأثاثة: بضم الهمزة ومثلثتين بينهما ألف آخره هاء تأنيث، وابن عباد: بفتح العين وتشديد الموحدة، ومسطح صاحب قضية إفك عائشة رضي الله عنها.

٤٢ ـ **(مرارة بن الربيع الأنصاري)** بضم الميم وتخفيف الراء، والربيع: بفتح الراء وكسر الموحدة، وكذا في جميع نسخ مسلم.

٤٣ ـ **(معن بن عدي الأنصاري)** بفتح الميم وسكون العين، وعدي: بفتح العين

---

(١) «شرح الكرماني» (١٥/ ٢٠١).

٤٤ ـ مِقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو الْكِنْدِيُّ حَلِيفُ بَنِي زُهْرَةَ.

٤٥ ـ هِلاَلُ بْنُ أُمَيَّةَ الأَنْصَارِيّ رَضِـيَ اللهُ عَنْهُـمْ أَجْمَعِينَ.

❖ ❖ ❖



وكسر الـدال وتشديـد الياء، ونوزع في كونه أنصاريًّا، إنما هو بلوي، نعم هو حليف للأنصار.

٤٤ ـ **(مقـداد بن عمرو الكندي حليف بني زهرة)** بكسر الميم وسكون القاف وبدالين مهملتين بينهما ألف، وعمرو: بفتح العين، وللكشميهني: مقدام بميم في آخره بدل الدال، وهو غلط، والكندي بكسر الكاف، وزهرة: بضم الزاي وسكون الهاء.

٤٥ ـ **(هلال بن أمية الأنصاري)** أحد الثلاثة الذين خلفوا، ثم تاب الله عليهم، رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

١٣ ـ باب ذكر اليمن والشام وذكر أويس القرني

فـي (القاموس)[١]: واليمـن محركة: ما عـن يمين القبلة من بلاد الغور، وهو يمنيٌّ ويمانيٌّ ويمانٍ، ويمَّن تيميناً وأَيْمَنَ ويامَنَ: أتاها، وتيمَّن: انتسب إليها، والشام بلاد عـن مشأمة القبلة، سميـت بذلك لأن قومـاً من بنـي كنعان تشاءمـوا إليها، أي: تياسروا، أو سمي بسام بن نوح، فإنه بالشين بالسريانية، أو لأن أرضها شامات بيض وحمر وسود، انتهى. أشأم وشاءم: إذا أتى الشام كأيمن ويامن في اليمن، والجانب

(١) «القاموس» (ص: ١١١٨، ١٠١٤).

* الْفَصْلُ الأَوَّلُ:

٦٢٦٦ ـ [١] عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ رَجُلاً يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَنِ يُقَالُ لَهُ: أُوَيْسٌ لاَ يَدَعُ بِالْيَمَنِ غَيْرَ أُمٍّ لَهُ، قَدْ كَانَ بِهِ بَيَاضٌ، فَدَعَا اللهَ فَأَذْهَبَهُ إِلاَّ مَوْضِعَ الدِّينَارِ أَوِ الدِّرْهَمِ، فَمَنْ لَقِيَهُ مِنْكُمْ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ».

وَفِي رِوَايَةٍ: قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ خَيْرَ التَّابِعِينَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: أُوَيْسٌ، وَلَهُ والدةٌ وَكَانَ بِهِ بَيَاضٌ فَمُرُوهُ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٥٤٢].

الأشأم جانب الشمال. والقرني: بفتح القاف والراء من بلاد اليمن، وأما القرن الذي هو ميقات أهل نجد عند الطائف فهو بسكون الراء، وغلط الجوهري في تحريكه وفي نسبه بأويس القرني إليه، لأنه منسوب إلى القرن بن رومان بن ناجية بن مراد أحد أجداده.

الفصل الأول

٦٢٦٦ ـ [١] (عمر بن الخطاب) قوله: (قد كان به بياض) أي: برص.

وقوله: (فليستغفر لكم) أي: التمسوا منه أن يستغفر لكم كما في الرواية الآتية: (فمروه فليستغفر لكم)، وفيه طلب الدعاء من أهل الخير والصلاح، وإن كان الطالب أفضل، وقيل: قال ذلك تطييباً لقلبه، ودفع توهم من يتوهم أنه تخلف عن صحبة رسول الله ﷺ، لأنه إنما منعه بره بأمه، وفي الحديث دلالة على أن أويساً خير التابعين، وفيه منقبة ظاهرة عظيمة، ونقل عن أحمد بن حنبل: أن أفضل التابعين سعيد بن المسيب، وذلك في معرفة العلوم والأحكام، ولكنه لا ينافي خيرية أويس باعتبار كثرة الثواب

. . . .

عند الله، وقـال فـي (القاموس)[١]: أويس بـن عامر من سادات التابعين، ولعل لفظ الحديث محمول على ذلك، والله أعلم.

واعلم أنـه قـد جاءت أخبار وآثـار في شأن أويس القرني ﷺ، ذكـر شيئاً منها السيوطي في (جمع الجوامع)[٢]، ونريد أن ننقل منها شيئاً وإن أفضى إلى التطويل، فإن عند ذكر أولياء الله تتنزل الرحمة، قال: عن أسير بن جابر قال: كان عمر بن الخطاب ﷺ إذا أتـى عليه أمداد أهـل اليمن سألهم: أفيكـم أويس بن عامر؟ حتى أتى على أويس فقال: أنت أويس بن عامر؟ قال: نعم، قال: من مراد؟ ثم من قرن؟ قال: نعم، قال: فكان بك برص، فبـرأت منه إلا موضع درهـم؟ قال: نعـم، قال: لـك والدة؟ قال: نعـم، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن مـن مراد، ثم مـن قرن، كان به برص، فبرأ منه إلا موضع درهم، له والدة هو بها بـر، لو أقسم علـى الله لأبره، فإن استطعت أن يستغفـر لك فافعل)، فاستغفر لي فاستغفر له، فقال له: أين تريد؟ قال: الكوفة، قال: ألا أكتب لك إلى عاملها؟ قال: أكون في غبر الناس أحب إلي، فلما كان من العام المقبل حج رجل من أشرافهم فوافق عمر فسأله عن أويس كيف تركته؟ فقال: تركته رث البيت قليل المتاع، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يأتي عليكم أويس بن عامر)، الحديث المذكور، ثم أتى الرجل أويساً فقـال: استغفر لـي، قـال: أنت أحدث عهداً بسفر صالـح فاستغفر لي، قال: استغفر لي، قال: لقيت عمر؟ قال: نعم، فاستغفر له، ففطن له الناس، فانطلق على

---

(١) «القاموس» (ص: ٤٧٨).

(٢) انظر: «جامع الأحاديث» (٣٠٧٥١)، و«كنز العمال» (٣٧٨٢٣).

. . . .

وجهه، أخرجه ابن سعد، ومسلم في (الطبقات)، وأبو عوانة والروياني، ورواه أبو نعيم في (الحلية) والبيهقي في (الدلائل).

وعن أسير بن جابر[1] قال: كان محدث بالكوفة يحدثنا، فإذا فرغ من حديثه تفرقوا ويبقى رهط فيهم رجل يتكلم بكلام لا أسمع أحداً يتكلم كلامه، فأحببته، ففقدته، فقلت لأصحابي: هل تعرفون رجلاً كان يجالسنا كذا وكذا؟ فقال رجل من القوم: نعم أنا أعرفه، ذاك أويس القرني، قلت: فتعلم منزله؟ قال: نعم، فانطلقت معه حتى ضربت حجرته فخرج إلي، قلت: يا أخي! ما حبسك عنا؟ قال: العري، وكان أصحابي يسخرون به ويؤذونه، قلت: خذ هذا البرد فالبسه، قال: لا تفعل؛ فإنهم إذاً يؤذونني إن رأوه علي، فلم أزل به حتى لبسه فخرج عليهم، فقالوا: من ترون خدع عن برده هذا؟ فجاء فوضعه وقال: ألا ترى! فأتيت المجلس فقلت: ما تريدون من هذا الرجل؟ قد آذيتموه، الرجل يعرى مرة ويكتسي مرة، فأخذتهم بلساني أخذاً شديداً، فقضي أن أهل الكوفة وفدوا إلى عمر فوفد رجل ممن كان يسخر به، فقال عمر: هل ههنا أحد من القرنيين؟ فجاء ذلك الرجل، فقال: إن رسول الله ﷺ قد قال: (إن رجلاً يأتيكم من اليمن يقال له: أويس، لا يدع باليمن غير أم له، وقد كان به بياض، فدعا الله فأذهبه عنه إلا مثل موضع الدرهم)، فحدث عمر مثل الحديث الذي سبق، وقال في آخره: فقلت: استغفر لي، قال: أويستغفر مثلي لمثلك يا أمير المؤمنين! قال: فاستغفر له، قلت له: أنت أخي لا تفارقني، فاملس مني، فأنبئت أنه قدم عليكم الكوفة، قال: فجعل ذلك الرجل الذي كان يسخر به ويحقره يقول: ما هذا فينا

(١) انظر: «جامع الأحاديث» (٣٠٨٧٠)، و«كنز العمال» (٣٧٨٢٤).

. . . .

وما نعرفه، فقال عمر: بلى إنه رجل كذا وكذا، كأنه يضع من شأنه، قال: فينا يا أمير المؤمنين! رجل يقال لـه: أويس نسخر بـه، قال: أدرك ولا أراك تدرك، فأقبل ذلك الرجل حتى دخل عليه قبل أن يأتي أهله، فقال له أويس: ما هذه بعادتك! فما بدا لك؟ قال: سمعت عمـر يقول فيك كـذا وكـذا، فاستغفر لي يا أويس! قال: لا أفعل حتى تجعل لي عليك أن لا تسخر بي فيما بعد، ولا تذكر الذي سمعتـه من عمر إلى أحـد فاستغفر له، قال أسير: فما لبثت أن فشا أمره في الكوفة فأتيته فدخلت عليه فقلت له: يا أخي ألا أراك العجب ونحن لا نشعر؟ قال: مـا كـان في هذا ما أتبلغ بـه في الناس وما يجزى كل عبد إلا بعمله، ثم املس منهم فذهب، رواه ابن سعد في (الطبقات)، ورواه أبو نعيم في (الحلية) والبيهقي وابن عساكر في (تاريخه).

وعـن صعصعة بـن معاوية[١] قال: كان أويس بن عامر من التابعين، رجل من قرن، وإن عمر بن الخطاب قال: أخبرنا رسول الله ﷺ (أنه سيكون في التابعين رجل من قرن يقال له: أويس بن عامر، يخرج به وضح فيدعو الله أن يذهبه. فيقول: اللهم دع لي فـي جسدي منه ما أذكر بـه نعمتك علـي، فيدع له في جسده ما يذكر به نعمته عليـه، فمن أدرك منكـم فاستطاع أن يستغفر له فليستغفر له)، رواه الحسن بن سفيان وأبو نعيم في (المعرفة) والبيهقي في (الدلائل)، وابن عساكر في (تاريخه).

وعـن يحيى بن سعيد[٢] عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب قال: قال لي رسول الله ﷺ ذات يوم: (يا عمر!)، فقلت: لبيك وسعديك يا رسول الله! فظننت

---

(١) انظر: «جامع الأحاديث» (٣٠٦٨٨)، و«كنز العمال» (٣٧٨٢٦).

(٢) انظر: «جامع الأحاديث» (٣٠٥٣٨)، و«كنز العمال» (٣٧٨٢٧).

. . . .

أنه يبعثني في حاجة، قال: (يا عمر! يكون في أمتي في آخر الزمان رجل يقال له أويس القرني، يصيبه بلاء في جسده، فيدعو الله فيذهب به إلا لمعة في جنبه إذا رآها ذكر الله ﷻ، فإذا لقيته فأقرئه مني السلام وأمره أن يدعو لك، فإنه كريم على ربه، بار بوالدته، لو يقسم على الله لأبره، يشفع لمثل ربيعة ومضر)، فطلبته حياة رسول الله ﷺ فلم أقدر عليه، وطلبته خلافة أبي بكر فلم أقدر عليه، وطلبته شطراً من إمارتي فبينا أنا أستقرئ الرفاق وأقول: فيكم أحد من مراد؟ فيكم أحد من قرن؟ فيكم أويس القرني؟ فقال شيخ من القوم: هو ابن أخي، إنك تسأل عن رجل وضيع الشأن، ليس مثلك يسأل عنه يا أمير المؤمنين! قلت: أراك فيه من الهالكين، فرد الكلام الأول، فبينا أنا كذلك إذ رفعت لي راحلة رثة الحال عليها رجل رث الحال، فوقع في خلدي أنه أويس، قلت: يا عبدالله أنت أويس القرني؟ قال: نعم، قلت: فإن رسول الله ﷺ يقرأ عليك السلام، فقال: على رسول الله السلام وعليك يا أمير المؤمنين! قلت: ويأمرك أن تدعو لي، فكنت ألقاه في كل عام فأخبره بذات نفسي ويخبرني بذات نفسه، رواه أبو القاسم عبد العزيز بن جعفر الخرقي في (فوائده) والخطيب وابن عساكر، وقال: هذا حديث غريب جداً.

وعن الحسن[1] قال: قال رسول الله ﷺ: (يدخل بشفاعة رجل من أمتي الجنة أكثر من ربيعة ومضر، أما أسمي لكم ذلك الرجل؟) قالوا: بلى، قال: (ذاك أويس القرني)، ثم قال: (يا عمر إن أدركته فاقرئه مني السلام وقل له حتى يدعو لك، وأعلم أنه كان به وضح فدعا الله فرفع عنه، ثم دعاه فرد عليه بعضه)، فلما كان في خلافة

---

(١) انظر: «جامع الأحاديث» (٣١٦٣٨)، و«كنز العمال» (٣٧٨٢٨).

. . . .

عمر قال عمر وهو بالموسم: ليجلس كل رجل منكم إلا من كان من قرن، فجلسوا إلا رجلاً، فدعاه فقال له: هل تعرف فيكم رجلاً اسمه أويس؟ قال: وما تريد منه؟ فإنه رجل لا يعرف يأوي الخربات لا يخالط الناس، فقال: اقرئه مني السلام، وقل له حتى يلقاني، فأبلغه الرجل رسالة عمر، فقدم عليه، فقال له عمر: أنت أويس؟ فقال: نعم يا أمير المؤمنين! فقال: صدق الله ورسوله، هل كان بك وضح فدعوت الله فرفعه عنك ثم دعوته فرد عليك بعضه؟ فقال: نعم، من أخبرك به؟ فوالله ما اطلع عليه غير الله، قال: أخبرني به رسول الله ﷺ، وأمرني أن أسألك حتى تدعو لي، وقال: يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من ربيعة ومضر، ثم سماك، فدعا لعمر، ثم قال له: حاجتي إليك يا أمير المؤمنين أن تكتمها علي وتأذن لي في الانصراف، ففعل، فلم يزل مستخفياً من الناس حتى قتل يوم نهاوند فيمن استشهد، رواه ابن عساكر.

وعن سعيد بن المسيب[1] قال: نادى عمر بن الخطاب وهو على المنبر بمنى يا أهل قرن! فقام مشايخ فقالوا: نحن يا أمير المؤمنين! قال: أفي قرن من اسمه أويس؟ فقال شيخ: يا أمير المؤمنين! ليس فينا من اسمه أويس إلا مجنون يسكن القفار والرمال ولا يألف ولا يؤلف، فقال: ذاك الذي أعنيه، إذا عدتم إلى قرن فاطلبوه وبلغوه سلامي، وقولوا له: إن رسول الله ﷺ بشرني بك وأمرني أن أقرأ عليك سلامه، فعادوا إلى قرن فطلبوه فوجدوه في الرمال، فأبلغوه سلام عمر وسلام رسول الله ﷺ، فقال: أعرفني أمير المؤمنين وشهر باسمي؟ السلام على رسول الله، اللهم صل عليه وعلى آله، وهام على وجهه، فلم يوقف له بعد ذلك على أثر دهراً، ثم عاد في أيام علي فقاتل

---

(١) انظر: «جامع الأحاديث» (٣١٥٤١)، و«كنز العمال» (٣٧٨٢٩).

. . . .

بين يديه، فاستشهد في صفين، رواه ابن عساكر.

وعن صعصعة بن معاوية[1] قال: كان عمر بن الخطاب يسأل وفد أهل الكوفة إذا قدموا عليه: تعرفون أويس بن عامر القرني؟ فيقولون: لا، وكان أويس رجلاً يلزم المسجد بالكوفة فلا يكاد يفارقه، وله ابن عم يغشى السلطان ويؤذي أويساً، فوفد ابن عمه إلى عمر فيمن وفد من أهل الكوفة، فقال عمر: أتعرفون أويس بن عامر القرني؟ فقال ابن عمه: يا أمير المؤمنين! إن أويساً لم يبلغ أن تعرفه أنت، إنما هو إنسان دون وهو ابن عمي، فقال له عمر: ويلك هلكت، إن رسول الله ﷺ حدثنا أنه سيكون في التابعين رجل يقال له: أويس بن عامر القرني، فمن أدركه منكم فاستطاع أن يستغفر له فليفعل، فإذا رأيته فأقرئه مني السلام، ومره أن يفد إلي، فوفد إليه، فلما دخل عليه قال: أنت أويس بن عامر القرني؟ أنت الذي خرج بك وضح من برص فدعوت الله أن يذهبه؟ . . . الحديث، وفي آخره: فقال الناس: استغفر لنا يا أويس فراغ، فما رئي حتى الساعة، رواه ابن يعلى وابن منده وابن عساكر.

وعن نهشل بن سعيد[2] عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس قال: مكث عمر يسأل عن أويس القرني عشر سنين، فذكر أنه قال: يا أهل اليمن! من كان من مراد فليقم، فقام من كان من مراد وقعد آخرون، فقال: أفيكم أويس؟ فقال رجل: يا أمير المؤمنين لا نعرف أويساً، ولكن ابن أخ لي يقال له: أويس، هو أضعف وأَمْهَنُ من أن يسأل مثلك عن مثله، قال له: أبحر منا هو؟ قال: نعم هو بالأراك بعرفة يرعى إبل

---

(١) انظر: «جامع الأحاديث» (٣٠٧٨٩)، و«كنز العمال» (٣٧٨٣٠).

(٢) انظر: «جامع الأحاديث» (٣١٤٦١)، و«كنز العمال» (٣٧٨٣١).

٦٢٦٧ ـ [٢] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً وَأَلْيَنُ قُلُوباً. . . . .

القوم، فركب عمر وعلي رضي الله عنهما حمارين، ثم انطلقا حتى أتيا الأراك، فإذا هو قائم يصلي يضرب ببصره نحو مسجده، وقد دخل بعضه في بعض، فلما رأياه قال أحدهما لصاحبه: إن يك أحد الذي نطلبه فهذا هو، فلما سمع حسهما خفف وانصرف فسلما عليه فرد عليهما: وعليكما السلام ورحمة الله وبركاته، فقالا له: ما اسمك رحمك الله؟ قال: أنا راعي هذه الإبل، قالا: أخبرنا باسمك؟ قال: أنا أجير القوم، قالا: ما اسمك؟ قال: أنا عبدالله، فقال له علي: قد علمنا أن من في السماوات والأرض عبدالله، فأنشدك برب هذه الكعبة ورب هذا الحرم ما اسمك الذي سمتك به أمك؟ قال: وما تريدان من ذلك؟ أنا أويس بن عامر، فقالا له: اكشف لنا عن شقك الأيسر، فكشف لهما؛ فإذا لمعة بيضاء قدر الدرهم من غير سوء، فابتدرا يقبلان الموضع ثم قالا له: إن رسول الله ﷺ أمرنا أن نقرئك السلام، وأن نسألك أن تدعو لنا، فقال: إن دعائي في شرق الأرض وغربها لجميع المؤمنين والمؤمنات، فقالا: ادع لنا فدعا لهما وللمؤمنين والمؤمنات، فقال له عمر: أعطيك شيئاً من رزقي أو من عطائي تستعين به، فقال: ثوباي جديدان، ونعلاي مخصوفتان، ومعي أربعة دراهم، ولي فضلة عند القوم، فمتى أفني هذا، إنه من أمل جمعة أمل شهراً، ومن أمل شهراً أمل سنة، ثم رد على القوم إبلهم، ثم فارقهم، فلم ير بعد ذلك، رواه ابن عساكر في (تاريخه)[1]، والله أعلم.

٦٢٦٧ ـ [٢] (أبو هريرة) قوله: **(هم أرق أفئدة وألين قلوباً)** الأفئدة جمع فؤاد بضم الفاء وبالهمزة، والفؤاد بفتح الفاء والواو غريب، وقد قرئ به. وفي

---

(١) «تاريخ دمشق» (٩/ ٤٢٢).

. . . .

(القاموس)[١]: فأد الخبز كمنع: جعله في الْمَلَّةِ، واللحم في النار: شَوَاهُ، وافتأدوا: أوقدوا ناراً، والتفؤد: التحرق، ومنه الفؤاد للقلب، وقال في باب الباء: قلبه يقلبه: حوله عن وجهه كأقلبه، والقلب: الفؤاد، أو أخص منه، والعقل، ومحض كل شيء، انتهى. ولعل أخصية القلب من الفؤاد يأخذ معنى القلب واعتباره فيه، فالقلب هو الفؤاد باعتبار كونه متقلباً حالاً فحالاً بسبب ما تعتريه من الأحوال، كما في الحديث: (مثل القلب كريشة في فلاة تقلبها الرياح)[٢]، ويشعر به قوله ﷺ: (اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على الإيمان).

قال في (المشارق)[٣]: أضعف قلوباً، ويروى: ألين قلوباً، وأرق أفئدة، وقال: الفؤاد والقلب لفظان بمعنى كرر لفظهما لاختلافه تأكيداً، وقيل: الفؤاد عبارة عن باطن القلب، وقيل: الفؤاد عين القلب، وقيل: غشاء القلب، والقلب جثته، ومعنى الضعف والرقة واللين هنا كناية عن سرعة الإجابة وضد القسوة التي وصف بها غيرهم، انتهى كلام المشارق. ويشير إلى اتحادهما في المعنى، وهو صحيح باعتبار ما أريد هنا، ولهذا قال في حديث: (أفئدتهم مثل أفئدة الطير) حيث قال: يريد في الرقة واللين، وفي اللغة الرقة ضد الغلظة، واللين ضد الصلابة، فالزجاج مثلاً رقيق وليس بلين، فالقلب إذا لم يتأثر عن الآيات والنذر يوصف بالغلظة والصلابة، وإذا كان بعكس ذلك يوصف بالرقة واللين، وقيل: بناء على القول بأن الفؤاد غشاء القلب أنه إذ رق

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٢٧٦، ١١٧).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٩٧٥٧).

(٣) «مشارق الأنوار» (٢/ ١٤٤).

الإِيمَانُ يَمَانٍ وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ، . . . .

الفؤاد نفذ القول فيه، ووصل إلى ما وراء القلب، وإذا غلظ تعذر وصوله إلى داخله، وقال الطيبي[1]: يحتمل أن يكون المراد بالرقة جودة الفهم، وباللين قبول الحق، فتدبر.

وقوله: **(الإيمان يمان)** أصله يمني حذف إحدى اليائين وعوض عنها الألف، وقيل: قدم إحداها وقلبت ألفاً فصار كقاضٍ، وبالجملة كانت صيغة النسبة بمعنى يمني.

وقوله: **(والحكمة يمانية)** بخفة الياء على الأصح المشهور، وحكي تشديدها، وفيه جمع بين العوض والمعوض عنه، قال في (المشارق)[2]: قوله: يمانية خفف الياء ولم يشددها لأن الألف عوض من ياء النسبة، فلا تجتمعان عند أكثر النحاة، وحكي عن سيبويه جواز تشديد الياء.

ثم اختلفوا في أن نسبة الإيمان والحكمة إلى اليمن، فقيل: لأن الدين بدأ من مكة وهي تهامة، وتهامة من أرض اليمن، ولذا يقال: الكعبة يمانية، وقيل: قال ﷺ هذا القول وهو بتبوك، ومكة والمدينة بينه وبين اليمن فأشار إلى ناحية اليمن وهو يريد الحرمين، وابتداء الإيمان من مكة وظهوره من المدينة، وقيل: أراد به الأنصار وهم من عرب اليمن في الأصل وهم نصروا الإيمان والمؤمنين، وآووهم، فنسب الإيمان إليهم، وعليه حمل بعضهم قوله ﷺ: (إني لأجد نَفَسَ الرحمن من جانب اليمن)، يريد تنفيسه وتفريجه من الكرب الذي لحقه في تتميم الإيمان وتبليغ الأحكام.

---

(١) «شرح الطيبي» (١٢/ ٣٦١).

(٢) «مشارق الأنوار» (٢/ ٣٠٤).

وَالْفَخْرُ وَالْخُيَلاَءُ فِي أَصْحَابِ الإِبِلِ، وَالسَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٤٣٨٨، م: ٨٥].

ونقل عن النووي: أنه قال: لا مانع من حمله على الحقيقة لأن من قوي في شيء نسب إليه، وهكذا كان حال الوافدين منهم لقوله: (جاءكم أهل اليمن وهم أرق أفئدة . . .إلخ)، مع أنه لا ينفي الإيمان عن غيرهم، ولا ينبغي كونه حجازيًّا، وإنما ينبئ عن استعداد اليمن لقبول ذلك واستقرار أمرهم عليه، ثم المراد الموجودون منهم حينئذ، لا كلهم في كل زمان، ثم في قوله ﷺ: (والإيمان يمان والحكمة يمانية) إشارة إلى ما جاء في الأحاديث الصحيحة أنه لما جاء أهل اليمن، ووفد منهم أبو موسى الأشعري في جماعة من رفقاء، فقالوا: يا رسول الله ﷺ أتيناك للتفقه في الدين ونسألك عن أول هذا الأمر كيف كان؟ قال رسول الله ﷺ: (كان الله ولم يكن معه شيء، وكان عرشه على الماء، ثم كتب في الذكر كل شيء، ثم خلق السماوات والأرض)، فسألوا عن أصول الدين الذي عليه مدار الإيمان، وهو يشمل على معرفة حقائق الأشياء التي هي معنى الحكمة، وسبق شرح الحديث في (باب بدء الخلق)، والتفصيل هناك أكثر، ولقد تكرر بعض المعاني والفوائد في مواضع متفرقة من هذا الشرح، ولا بأس، فإن الحوالة بالرجوع إلى ما ذكر ووجدانه بالفحص عن تلك المواضع عسير جدًّا، ولقد فعل بعض الشارحين كذلك خصوصاً الكرماني فاتبعناهم، وهو أسهل وأقرب.

وقوله: (**والفخر والخيلاء في أصحاب الإبل . . .إلخ**) الفخر: المباهاة والمنافسة، قال في (القاموس)[١]: الفخر والفخار بفتحهما: التمدح بالخصال، والخيلاء بضم المعجمة وفتح التحتانية ممدوداً: الكبر الناشئ عن تخيل الإنسان

(١) «القاموس» (ص: ٢٤٢).

٦٢٦٨ ـ [٣] وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «رَأْسُ الْكُفْرِ نَحْوَ الْمَشْرِقِ.......................................

فضيلة من نفسه والعجب به، فإذا أظهره على الغير واستحقره سمي تكبراً، ومنه سمي الفرس خيلاً لأن أكثر من ركبه يقع في هذا الخيال، ووجد في نفسه شيئاً من ذلك، والحديث دل على أن مخالطة الحيوانات مما تؤثر في نفس الآدمي وتُعَدِّي إليها هيئاتٍ تناسب طباعها، فالراعي خلقه يناسب ما يرعاه، فلما كان في طبيعة الإبل قساوة وفظاظة، وفي الغنم لين وسكينة تعديا إلى راعيها، كذا قالوا، وقيل: لا بد لأصحاب الغنم من مقاربة العمرانات والاختلاط بأهلها، فإن الغنم لا تصبر عن الماء، ولا تحتمل البرد، فذلك يؤدي إلى عدم خروجهم عن طاعة الإمام، وأما أصحاب الإبل فإن بعدهم عن العمرانات، وكونهم في البوادي والصحاري، وقلة اختلاطهم بالخلق يحملهم على الطغيان والخروج عن الطاعة، هذا والظاهر أن المالية في الإبل كثيرة فيفضي إلى الفخر والتكبر بخلاف الغنم، وإن لفظ الأصحاب ليس أظهر في الرعاة منها في ملاكها، بل لا يبعد أن يكون في ملاكهم أظهر من الرعاة، والله أعلم.

٦٢٦٨ ـ [٣] **(وعنه)** قوله: **(رأس الكفر نحو المشرق)** أي: منه يظهر الكفر والفتن كالدجال ويأجوج ومأجوج وكفرة الترك، قال السيوطي: قال الباجي: يحتمل أن يريد فارس وأن يريد أهل نجد، وقال في (المشارق)[1]: هذا كناية عن معظمه أو إشارة إلى معين مخصوص كالدجال ويأجوج ومأجوج أو غيره من رؤساء الضلال، أو يكون إشارة إلى إبليس لأن الشمس تطلع بين قرني الشيطان على أحد التأويلات، انتهى. أقول: وإليه ينظر الحديث الآتي في آخر الفصل، لكن على هذا ينبغي أن يحمل

(١) «مشارق الأنوار» (١/ ٢٧٦).

وَالْفَخْرُ وَالْخُيَلَاءُ فِي أَهْلِ الْخَيْلِ وَالإِبِلِ وَالْفَدَّادِينَ. . . . .

على المجموع.

وقوله: (في أهل الخيل) كون الفخر والخيلاء في أهل الخيل ظاهر كما عرفت في شرح الحديث السابق، ولا حاجة إلى القول باكتساب الإنسان الأخلاق من الحيوانات، ويقرب الذهاب إلى الوجه الذي ذكرنا في كون الفخر والخيلاء في أصحاب الإبل، وإلى حمل الأصحاب على الملاك دون الرعاة، فليتأمل.

وقوله: (والفدادين) في (القاموس)[1]: الفديد الصوت أو شدته، والفداد: الصَّيِّتُ الجافي الكلام، والمتكبر، وقال في (المشارق)[2]: (فدد) الجفاء والقسوة [في الفدادين]، الرواية في هذا الحرف بتشديد الدال الأولى عند أهل الحديث وجمهور أهل اللغة والمعرفة، وكذا قاله الأصمعي مشدداً، وقال: هم الذين تعلو أصواتهم في حروثهم ومواشيهم وأموالهم، يقال منه: فد الرجل يفد بكسر الفاء فديداً: إذا اشتد صوته، وقال أبو عبيد: هم المكثرون من الإبل، وهم جفاة أهل خيلاء، وقال المبرد: هم الرعيان والجمالون والبقارون، وقال مالك: الفدادون أهل الجفاء، وقيل: الأعراب، وقال أبو عمرو بن العلاء: هم الفدادون مخففة واحدها فدان مشدداً، وهي البقرة التي تحرث بها، وأهلها أهل جفاء لبعدهم عن الأمصار، قال أبو بكر: أراد أصحاب الفدادين فحذف مضاف، وقال: ولا يحتاج في هذا إلى حذف مضاف، وإنما يكون على هذا الفدادون بالشد صاحب الفدادين بالتخفيف، كما يقال: بغال لصاحب البغال، وجمال لصاحب الجمال، انتهى كلام القاضي في (المشارق).

---

(١) «القاموس» (ص: ٢٧٦).

(٢) «مشارق الأنوار» (٢/ ١٤٨).

أَهْلِ الْوَبَرِ وَالسَّكِينَةُ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٣٠١، م: ٨٥].

٦٢٦٩ ـ [٤] وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مِنْ هَهُنَا جَاءَتِ الْفِتَنُ ـ نَحْوَ الْمَشْرِقِ ـ، وَالْجَفَاءُ وَغِلَظُ الْقُلُوبِ فِي الْفَدَّادِينَ أَهْلِ الْوَبَرِ عِنْدَ أُصُولِ أَذْنَابِ الإِبِلِ وَالْبَقَرِ. . . . .

وقال التُّورِبِشْتِي[1]: الفدادون يروى من وجهين بالتشديد، وهم الذين تعلو أصواتهم في أموالهم ومواشيهم، وبالتخفيف وهي البقر التي تحرث بها، واحدها فدان بالتشديد، تقديره: في أهل الفدادين، وأرى أصوب الروايتين بالتشديد، لما في حديث أبي مسعود الذي يتلو هذا الحديث، والتخفيف في هذه الرواية غير مستقيم، وتقدير الحذف مستبعد، فرددنا المختلف فيه إلى المتفق عليه، وقد صح عن النبي ﷺ أنه رأى سكة أو شيئاً من آلة الحرث، فقال: «ما دخل هذا دار قوم إلا دخل عليهم الذل»، وأن إيقاع الفخر والجفاء في موقع الذل، انتهى، فتدبر.

وقوله: (**أهل الوبر**) بيان للفدادين، وهم سكان البوادي يسكنونها في الخيام، وربما يؤيد هذا أن لا يكون المراد أهل الحراثة بل أهل المواشي وسكان البادية، كما اختاره التُّورِبِشْتِي.

٦٢٦٩ ـ [٤] (**أبو مسعود**) قوله: (**نحو المشرق**) بالنصب، أي: حال كونه مشيراً نحوه.

وقوله: (**والجفاء وغلظ القلوب**) وفي رواية: (والجفاء والقسوة).

وقوله: (**عند أصول أذناب الإبل**) ظرف للفدادين، أي: لهم صياح عند سوقهم لها، ويجوز أن يكون ظرفاً مستقراً، أي: كائنين عندها.

---

(١) «كتاب الميسر» (٤/ ١٣٥٦).

فِي رَبِيعَةَ وَمُضَرَ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٤٩٨، م: ٨١].

٦٢٧٠ ـ [٥] وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «غِلَظُ الْقُلُوبِ وَالْجَفَاءُ فِي الْمَشْرِقِ، وَالإِيمَانُ فِي أَهْلِ الْحِجَازِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٩٢].

٦٢٧١ ـ [٦] وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اللهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا، اللهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمَنِنَا». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَفِي نَجْدِنَا؟ قَالَ: «اللهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا، اللهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمَنِنَا». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَفِي نَجْدِنَا؟ فَأَظُنُّهُ قَالَ فِي الثَّالِثَةِ: «هُنَاكَ الزَّلَازِلُ وَالْفِتَنُ، وَبِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٧٠٩٤].

وقوله: (في ربيعة ومضر) بدل من الفدادين.

٦٢٧٠ ـ [٥] (جابر) قوله: (غلظ القلوب والجفاء في المشرق) لكونه محل الكفر والفتن.

٦٢٧١ ـ [٦] (ابن عمر) قوله: (اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا) قيل: إنما خص الشام واليمن بالدعاء، لأن مكة مولده، وهي من اليمن، والمدينة مسكنه ومدفنه، وهي من الشام[1]، والنجد: اسم لما ارتفع من الأرض، وهو اسم خاص لما دون الحجاز مما يلي العراق: ضد الغور، وهي تهامة.

وقوله: (وبها يطلع قرن الشيطان) أي: حزبه وأعوانه.

---

(١) انظر: «مرقاة المفاتيح» (٩/ ٤٠٣٨).

* الْفَصْلُ الثَّانِي:

٦٢٧٢ ـ [٧] عَنْ أَنَسٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَظَرَ قِبَلَ الْيَمَنِ فَقَالَ: «اللهُمَّ أَقْبِلْ بِقُلُوبِهِمْ، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا ومُدِّنَا». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٩٣٤].

٦٢٧٣ ـ [٨] وَعَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «طُوبَى لِلشَّامِ»، قُلْنَا: لِأَيٍّ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «لِأَنَّ مَلَائِكَةَ الرَّحْمَنِ بَاسِطَةٌ أَجْنِحَتَهَا عَلَيْهَا». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ. [حم: ٥/ ١٨٤، ت: ٣٩٥٤].

الفصل الثاني

٦٢٧٢ ـ [٧] (أنس) قوله: (**اللهم أقبل بقلوبهم**) أي: اجعل قلوبهم مقبلة إلينا، ووجه مناسبة الدعاء بالبركة في الصاع والمد لأن أهل المدينة كانوا في ضيق عيش لا يقوم [بهم]، فلما دعا بإقبال قلوب اليمن إليها، وهم جم غفير فقراء دعا بالبركة في طعام أهلها ليتسع على المقيمين والقادمين.

٦٢٧٣ ـ [٨] (**زيد بن ثابت**) قوله: (**طوبى**) فعلى من الطيب أصله طيبي، أبدلت ياؤه واواً لسكونها وانضمام ما قبلها.

وقوله: (**لأي ذلك**) بالتنوين بدلاً عن المضاف إليه المحذوف، أي: لأي سبب ذلك، قال الطيبي[١]: وقد أثبت في بعض نسخ (المصابيح) لفظ (شيء).

وقوله: (**لأن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليها**) قد أثبت الأجنحة للملائكة في الكتاب والسنة، قالوا: ليس ذلك كما يتوهم من أجنحة الطير، ولكنها عبارة عن

---

(١) «شرح الطيبي» (١٢/ ٣٦٣).

٦٢٧٤ ـ [٩] وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «سَتَخْرُجُ نَارٌ مِنْ نَحْوِ حَضْرَمَوْتَ أَوْ مِنْ حَضْرَمَوْتَ تَحْشُرُ النَّاسَ»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِالشَّامِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢٢١٧].

صفات الملائكة وقواهم، ولا يعرف إلا بالمعاينة، وليس طائر له ثلاثة أجنحة ولا أربعة، فكيف بست مئة مثلاً، وبالجملة لا بد من إثبات الأجنحة للملائكة والكف عن كيفيتها، وإضافة الملائكة إلى الرحمن إشارة إلى شمول الرحمة والرأفة على أهل الشام، ولعل المراد بهم الأبدال الذين يكونون بالشام أو يعم الكل، والله أعلم.

٦٢٧٤ ـ [٩] (عبدالله بن عمر) قوله: **(من نحو حضرموت)** بفتح الحاء المهملة وسكون الضاد المعجمة وفتح الراء والميم، غير منصرف، من بلاد اليمن مشهورة، وقد يضم الميم، وجاء بالتصغير حضيرموت، كذا في (القاموس)[1]، وقال في (المشارق)[2]: وهذيل تقول: حضرموت بضم الميم، وقال التُّوربِشْتِي[3]: يحتمل أن يكون رأى عين وهو الأصل، ويحتمل أنها فتنة عبر عنها بالنار، وقد مر ذكر نار تطرد الناس إلى محشرهم في أمارات الساعة، ويظهر أن تلك النار تسوقهم إلى الشام بلا اختيارهم، وهذا الحديث يدل على أمرهم باختيار السفر إلى الشام، فلعل الظاهر أن المراد فتنة عبر عنها بالنار.

---

(١) «القاموس» (ص: ٣٤٠).

(٢) «مشارق الأنوار» (١/ ٢٢١).

(٣) «كتاب الميسر» (٤/ ١٣٥٧).

٦٢٧٥ ـ [١٠] وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْـنِ عَمْرِو بْـنِ الْعَـاصِ قَـالَ: سَمِعْـتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُـولُ: «إِنَّهَـا سَتَكُونُ هِجْرَةٌ بَعْـدَ هِجْرَةٍ، فَخِيَارُ النَّاسِ إِلَى مُهَاجَرِ إِبْرَاهِيمَ». وَفِي رِوَايَةٍ: «فَخِيَارُ أَهْلِ الأَرْضِ أَلْزَمُهُمْ مُهَاجَرَ إِبْرَاهِيمَ، وَيَبْقَى فِي الأَرْضِ شِرَارُ أَهْلِهَا، تَلْفِظُهُمْ أَرَضُوهُمْ، تَقْذِرُهُمْ نَفْسُ اللهِ، . . .

٦٢٧٥ ـ [١٠] **(عبدالله بن عمرو)** قوله: **(إنها ستكون هجرة بعد هجرة)** قيل: أي ستكون هجرة إلى الشام بعد هجرةٍ كانت إلى المدينة، وعلى هذا المعنى كان الظاهر أن يقال: هجرة بعد الهجرة، لكن روعي المناسبة مع الأولى في التنكير، وقيل: المراد التكرير، وهـو الأظهر من سياق الحديث، وذلك حين تكثر الفتن في البلاد ويستولي الكفـرة، ويقل فيها القائمون بأمر الله في دار الإسلام، وتبقى البلاد الشامية محروسة تسوسها العساكر الإسلامية ظاهرين على الحق حتى يقاتلوا الدجال، فمن أراد المحافظة على دينه هاجر إليها، قال التُّورِبِشْتِي: إنما أتى بها منكرة لتساوي الأولى في الصيغة.

وقوله: **(فخيار الناس)** تفصيل للمجمل المذكور، أي: هجرتهم، أو يهاجرون **(إلى مُهَاجَر إبراهيم)** بضم الميم وفتح الجيم موضع المهاجرة وهو الشام.

وقولـه: **(فخيار أهـل الأرض)** مبتـدأ، و**(ألزمهم)** بصيغة اسم التفضيل خبر، و(مهاجر) نصب على الظرف لألزمهم لا مفعول به؛ لأن اسم التفضيل لا يعمل في الظاهر إلا في الفاعل في مسألة الكحل.

وقوله: **(تلفظهم)** أي: ترميهم وتقذفهم **(أرضوهم)** بفتح الراء جمع أرض بالواو والنون كأنها تستنكف عنهم.

وقوله: **(تقذرهم)** بكسر الذال، أي: تكرههم **(نفس الله)** أي: ذاته تعالى من باب التمثيل المركب، أي: تبعدهم من مظان رحمته ومحل كرامته، وقد جاء إطلاق النفس

تَحْشُرهُمْ النَّارُ مَعَ الْقِرَدَةِ وَالْخَنَازِيرِ، تَبِيتُ مَعَهُمْ إِذَا بَاتُوا وَتَقِيلُ مَعَهُمْ إِذَا قَالُوا». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٢٤٨٢].

٦٢٧٦ ـ [١١] وَعَنِ ابْنِ حَوَالَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «سَيَصِيرُ الأَمْرُ إِلَى أَنْ تَكُونُوا جُنُوداً مُجَنَّدَةً: جُنْدٌ بِالشَّامِ، وَجُنْدٌ بِالْيَمَنِ، وَجُنْدٌ بِالْعِرَاقِ». فَقَالَ ابْنُ حَوَالَةَ: خِرْ لِي يَا رَسُولَ اللهِ! إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ، . . . .

على ذات الله كقوله: ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ﴾[المائدة: ١١٦]، وقالوا فيه: إنه من باب المشاكلة، وليس في الحديث المشاكلة.

وقوله: (**تحشرهم**) أي: تجمعهم (**النار**) أي: نار الفتنة التي هي نتيجة أفعالهم القبيحة (**مع القردة والخنازير**)، والمراد إما حقيقتها أو معنى كونهم معهم كونهم متخلقين بأخلاقهم، أو المراد ناس سوء والكفرة الذين هم كالقردة والخنازير.

وقوله: (**تبيت**) أي: نار الفتنة (**معهم إذا باتوا، وتقيل**) من القيلولة وهو النوم في نصف النهار، والمراد ملازمة الفتنة إياهم ليلاً ونهاراً، يعني أنهم وإن انتقلوا من أرض إلى أرض خوفاً من الفتنة، لكن الفتنة لا تفارقهم لشمولها البلاد سوى البلاد الشامية، فمن هاجر إليها أسلم منها وحفظ دينه، فقوله: (تلفظهم) (تقذرهم) (تحشرهم) ثلاث جمل مستأنفة جاءت بغير عطف، قال الطيبي[1]: ولعل الحديث إشارة إلى العصر الذي نحن فيه، أقول: فما حال عصرنا! نسأل السلامة والعافية.

٦٢٧٦ ـ [١١] (**ابن حوالة**) قوله: (**وعن ابن حوالة**) بفتح الحاء المهملة مخففاً.

وقوله: (**جنوداً مجندة**) بضم الميم وفتح الجيم وتشديد النون، أي: مختلفة،

---

(١) «شرح الطيبي» (١٢/ ٣٦٥).

فَقَالَ: «عَلَيْكَ بِالشَّامِ فَإِنَّهَا خِيرَةُ اللهِ مِنْ أَرْضِهِ، يَجْتَبِي إِلَيْهَا خِيرَتَهُ مِنْ عِبَادِهِ، فَأَمَّا إِنْ أَبَيْتُمْ فَعَلَيْكُمْ بِيَمَنِكُمْ، وَاسْقُوا مِنْ غُدَرِكُمْ، فَإِنَّ اللهَ ﷻ تَوَكَّلَ لِي بِالشَّامِ وَأَهْلِهِ». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ. [حم: ٤/ ١١٠، د: ٢٤٨٣].

وقيل: مجتمعة، كما في حديث: (الأرواح جنود مجندة)، و(**الخيرة**) بكسر الخاء وفتح الياء وقد تسكن، في (القاموس)[١]: خار الشيء: انتقاه كتخيره، والاسم الخيرة بالكسر وكعنبة، وخار الله في الأمر: جعل لك فيه الخير، وإذا أردت التفضيل، قلت: فلان خيرة الناس بالهاء.

وقوله: (**فأما إن أبيتم**) أي: امتنعتم ما اختاره الله لكم من القصد إلى الشام، واخترتم بلادكم مسقط رأسكم، وأضاف اليمن إليهم لأن المخاطبين عرب واليمن من أرضهم، وهذا وقع معترضاً بين (**عليك بالشام**) وقوله: (**واسقوا من غدركم**) لأنه راجع إلى قوله: (عليك بالشام)، أي: لِيَسْبق كل من غديره الذي اختص به، فلا يزاحم غيره لا سيما أهل الثغور، لئلا يكون ذلك سبباً للاختلاف وتهييج الفتن، كذا قالوا، وأقول: أي دليل على تخصيص تعلقه بالشام؟ وظاهر العبارة أن يتعلق لقوله: (فعليكم بيمنكم) أو بالكل، وهذا حكم يشترك فيه الكل لاشتراك العلة، والله أعلم. و(**الغدر**) بضمتين جمع غدير، وهو ما اجتمع من الماء يغادره السيل.

وقوله: (**فإن الله ﷻ توكل لي بالشام**) قيل: هكذا في سائر نسخ (المصابيح)، والصواب: قد تكفل لي، وهذا إن كان من حيث الرواية فلا كلام، وإلا فالتوكل قد يراد به التكفل، فإن من توكل في شيء فقد تكفل القيام به، والمعنى أنه تعالى ضمن لي حفظها وحفظ أهلها من بأس الكفرة واستيلائهم.

---

(١) «القاموس» (ص: ٣٥١).

* **الْفَصْلُ الثَّالِثُ:**

٦٢٧٧ ـ [١٢] عَنْ شُرَيْحِ بْنِ عُبَيْدٍ قَالَ: ذُكِرَ أَهْلُ الشَّام عِنْدِ عَلِيٍّ، وَقِيلَ: الْعَنْهُمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: لاَ، أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «الأَبْدَالُ يَكُونُونَ بِالشَّامِ، وَهُمْ أَرْبَعُونَ رَجُلاً، كُلَّمَا مَاتَ رَجُلٌ أَبْدَلَ اللهُ مَكَانَهُ رَجُلاً، يُسْقَى بِهِمُ الْغَيْثُ، وَيُنْتَصَرُ بِهِمْ عَلَى الأَعْدَاءِ، وَيُصْرَفُ عَنِ أَهْلِ الشَّامِ بِهِمُ الْعَذَابُ».

الفصل الثالث

٦٢٧٧ ـ [١٢] (شريح بن عبيد) قوله: (ذكر أهل الشام) المراد به معاوية ومن معه من مخالفي علي ويكونون بالشام.

وقوله: (الأبدال يكونون بالشام) يعني فلا يجوز لعن أهلها لئلا يتناولهم، وهذا رد ودفع منه ﷺ للعن أهل الشام بالفعل دفعاً للمشاغبة، ولا يلزم منه جواز لعن الباقين من سواهم، كما قد يتبادر إلى الفهم، كيف وقد روي عن علي ﷺ: إخواننا بغوا علينا، وغير ذلك مما يدل على إسلامهم، ولهذا الحديث طرق من الأحاديث والآثار.

وعن صفوان[1] بن عبدالله بن صفوان قال: قال رجل يوم صفين: اللهم العن أهل الشام، فقال علي ﷺ: لا تسبوا أهل الشام جمًّا غفيراً، فإن بها الأبدال، فإن بها الأبدال، فإن بها الأبدال ثلاثاً، رواه ابن راهوية والذهبي والبيهقي في (الدلائل)، قال ابن حجر: وله شاهد من حديث ابن أبي زرير الغافقي عن علي موقوفاً، وأيضاً رواه ابن يونس في (تاريخ مصر).

---

(١) انظر: «جامع الأحاديث» (٣٣٨٩١)، و«كنز العمال» (٣٧٩١٧).

٦٢٧٨ ـ [١٣] وَعَنْ رَجُلٍ مِنَ الصَّحَابَةِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «سَتُفْتَحُ الشَّامُ فإذا خُيِّـرْتم المنازلَ فِيهَا فَعَلَيْكُم بِمَدِينَة يُقَال لَهُ دِمَشْقُ، فَإِنَّهَا مَعْقِلُ الْمُسْلِمِينَ. . . . .

وعن ابن عمر[1] عن النبي ﷺ قال: خيار أمتي خمس مئة والأبدال أربعون فلا الخمس مئة ينقصون، ولا الأربعون ينقصون، كلما مات بدل أبدل الله من الخمس مئة مكانه، وأدخل في الأربعين مكانهم، فلا الخمس مئة ينقصون ولا الأربعون ينقصون، فقالوا: يا رسول الله! دلنا على أعمال هؤلاء، فقال: هؤلاء يعفون عمن ظلمهم، ويحسنون إلى من أساء إليهم، ويواسون مما آتاهم الله، وتصديق ذلك في كتاب الله: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

وعن رجاء بن حيوة[2] عن علي أنه قال: يا أهل العراق لا تسبوا أهل الشام، فإن فيهم الأبدال، لا يموت رجل منهم إلا أبدل الله مكانه آخر، وجاء عن الحارث ابن حرمل مثله، ذكر ذلك كله السيوطي في (جمع الجوامع).

٦٢٧٨ ـ [١٣] **(رجل من الصحابة)** قوله: **(فإذا خيرتم)** بلفظ المجهول، و **(دمشق)** بكسر الدال وفتح الميم على الأشهر الأفصح.

وقوله: **(فإنها معقل المسلمين)** أي: ملجؤهم يلتجئون إليها، ويتحصنون بها، والعقل: الحصن والملجأ، والمعقل كمنزل: الملجأ، كذا في (القاموس)[3]، ويطلق على معقل الأروية بالجبل، كما في حديث: (ليعقلن الدين من الحجاز معقلَ الأُرْوِيَّةِ

---

(١) انظر: «جامع الأحاديث» (٣٩٦٥١)، و«كنز العمال» (٣٧٩١٨).

(٢) انظر: «جامع الأحاديث» (٣٢٨٥٩)، و«كنز العمال» (٣٧٩١٩، ٣٧٩٢٠).

(٣) «القاموس» (ص: ٩٣١).

مِنَ الْمَلاَحِمِ، وَفُسْطَاطُهَا مِنْهَا أَرْضٌ يُقَالُ لَهَا: الْغُوطَةُ». رَوَاهُمَا أَحْمَدُ.

[حم: ٨٩٦، ١٧٤٧٠].

٦٢٧٩ ـ [١٤] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْخِلاَفَةُ بِالْمَدِينَةِ وَالْمُلْكُ بِالشَّامِ».

من رأس الجبل)[١]، وليس مفهوم المعقل مخصوصاً بذلك حتى يعتبر في هذا الحديث مجاز في قوله: (معقل المسلمين) لتحصنهم والتجائهم مثل التجاء الوعل إلى رأس الجبل، كما ذكره الشارحون، فافهم. و(**الملاحم**) جمع الملحمة وهي الحرب، من التحمت الحرب: إذا اشتدت، والتحم الجرح: اشتد، والمادة للقوة والاشتداد، و(**الفسطاط**) مجتمع أهل الكورة، وعلم مصر العتيقة التي بناها عمرو بن العاص، والسرادق من الأبنية، والمراد هنا البلدة الجامعة، و(**الغوطة**) بضم الغين المعجمة: مدينة دمشق أو كورتها، وقال الطيبي[٢]: الغوطة اسم بساتين ومياه حول دمشق، وهي غوطتها، كذا في (النهاية)[٣]، وقيل: الغوطة بالضم: بلد قريب من دمشق.

٦٢٧٩ ـ [١٤] (أبو هريرة) قوله: (**الخلافة بالمدينة والملك**) لعله إشارة إلى خلافة علي وملك معاوية كما يدل عليه حديث: (الخلافة بعدي ثلاثون سنة، ثم يصير ملكاً عضوضاً)، وأما الملك الواقع في حديث صفة النبي ﷺ (وملكه بالشام) فالمراد به النبوة والدين، فإن ذلك يكون بالشام أغلب وإلا فملكه بجميع الآفاق، وقيل: معناه الغزو والجهاد ثمة، فإنه لا ينقطع الجهاد في بلاد الشام أصلاً، وأمر

---

(١) أخرجه الترمذي في «سننه» (٢٦٣٠).

(٢) «شرح الطيبي» (١٢/ ٣٦٨).

(٣) «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٣/ ٣٩٦).

٦٢٨٠ ـ [١٥] وَعَنْ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «رَأَيْتُ عَمُوداً مِنْ نُورٍ خَرَجَ مِنْ تَحْتِ رَأْسِي سَاطِعاً حَتَّى اسْتَقَرَّ بِالشَّامِ». رَوَاهُمَا الْبَيْهَقِيُّ فِي «دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ». [٦/ ٤٤٧].

٦٢٨١ ـ [١٦] وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ فُسْطَاطَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ الْمَلْحَمَةِ بِالْغُوطَةِ إِلَى جَانِبِ مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا: دِمَشْقُ مِنْ خَيْرِ مَدَائِنِ الشَّامِ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٤٢٩٨].

٦٢٨٢ ـ [١٧] وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سُلَيْمَانَ قَالَ: سَيَأْتِي مَلِكٌ مِنْ مُلُوكِ الْعَجَمِ فَيَظْهَرُ عَلَى الْمَدَائِنِ كُلِّهَا إِلَّا دِمَشْقَ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٤٦٣٩].



بالمسافرة إليها لإدراك فضل الجهاد والرباط.

٦٢٨٠ ـ [١٥] **(عمر)** قوله: **(حتى استقر بالشام)** يدل على ثبات الدين وتمكنه واستقراره وغلبته بالشام، ومن هذا القبيل خروج النور من بطن أمه ﷺ عند الولادة، وإضاءة بيوت الشام.

٦٢٨١ ـ [١٦] **(أبو الدرداء)** قوله: **(إن فسطاط المسلمن يوم الملحمة)** ومنازل المسلمين ومحل اجتماعهم الغوطة، ولما كانت الغوطة قرية من دمشق ومن مضافاتها، لم يكن بين هذا الحديث والحديث السابق خلاف، والملحمة حرب الدجال.

٦٢٨٢ ـ [١٧] **(عبد الرحمن بن سليمان)** قوله: **(سيأتي ملك من ملوك العجم)** لم يذكر الشارحون من هو، والله أعلم.

١٤ ـ باب ثواب هذه الأمة

* **الْفَصْلُ الأَوَّلُ:**

٦٢٨٣ ـ [١] عَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّمَا أَجَلُكُمْ فِي أَجَلِ مَنْ خَلاَ مِنَ الأُمَمِ مَا بَيْنَ صَلاَةِ الْعَصْرِ إِلَى مَغْرِبِ الشَّمْسِ، . . . . . .

تنبيه: علم أنه قد جاءت أحاديث في فضل الشام وبيت المقدس وصخر وعسقلان وغيرها من قزوين وأندلس ودمشق، وحكم المحدثون على أكثرها بالضعف، وذكرها السيوطي في (جمع الجوامع)، وقال: لم أذكر في هذا الكتاب موسوماً بالوضع، والله أعلم.

١٤ ـ باب ثواب هذه الأمة

فضل هذه الأمة المرحومة وكثرة ثوابها خارج عن حد الحصر، ولا يضبطه البيان، وكفى في ذلك قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[آل عمران: ١١٠]، وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[البقرة: ١٤٣]، وأنها أمة محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين وصفوة الخلائق أجمعين، الذي تمنى الأنبياء والرسل عليهم السلام أن يجعلوا من أمته، وما لهذه الأمة من الفضل والكمال، وما وجد فيه من الأولياء والعلماء والفضلاء وكراماتهم وكمالاتهم وفضائلهم، لم يوجد في أمة من الأمم السالفة، اللهم اجعلنا من أمته وارزقنا محبته، وتوفنا على ملته برحمتك يا أرحم الراحمين.

الفصل الأول

٦٢٨٣ ـ [١] (ابن عمر) قوله: (إنما أجلكم في أجل من خلا من الأمم) الأجل:

وَإِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى كَرَجُلٍ اسْتَعْمَلَ عُمَّالاً فَقَالَ: مَنْ يَعْمَلُ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتِ الْيَهُودُ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى صَلاَةِ الْعَصْرِ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتِ النَّصَارَى مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى صَلاَةِ الْعَصْرِ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ صَلاَةِ الْعَصْرِ إِلَى مَغْرِبِ الشَّمْسِ عَلَى قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ؟ أَلاَ فَأَنْتُمُ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ مِنْ صَلاَةِ الْعَصْرِ إِلَى مَغْرِبِ الشَّمْسِ، أَلاَ لَكُمُ الأَجْرُ مَرَّتَيْنِ، ....

المدة المضروبة للشيء، وهي جملة مدة العمر، وقد يطلق على الموت بإرادة الجزء الأخير منها، فيقول: مدة عمركم في جنب مجموع أعمار الأمم السابقة، كالمدة التي بين صلاة العصر إلى المغرب في جنب أول النهار إلى العصر، ومع ذلك أنتم أكثر ثواباً منهم، أي: من مجموعهم، ثم بين النسبة بين هذه الأمة وبين اليهود والنصارى، فروى بقوله: (**وإنما مثلكم ومثل اليهود**)، وفي بعض الأصول: (إنما مثلكم واليهود)، والعطف على الضمير المجرور بدون إعادة الجار سواء كان حرفاً أو اسماً ممتنع عند الجمهور، وجائز عند البعض لوقوعه في سعة الكلام وهو أرجح، وكفى به حجة قراءة حمزة في قوله تعالى: ﴿تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١] بالجر والتأويل خلاف الظاهر.

وقوله: (**على قيراط قيراط**) كرر ليدل على أن لكل واحد قيراطاً لا لمجموع العمال.

وقوله: (**مرتين**) أي: ضعفين فضلاً من الله تعالى، أو المراد مرة بتصديق نبيكم وأخرى بتصديق الأنبياء الماضية.

فَغَضِبَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى فَقَالُوا: نَحْنُ أَكْثَرُ عَمَلاً وَأَقَلُّ عَطَاءً، قَالَ اللهُ تَعَالَى: فَهَلْ ظَلَمْتُكُمْ مِنْ حَقِّكُمْ شَيْئاً؟ قَالُوا: لاَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: فَإِنَّهُ فَضْلِي أُعْطِيهِ مَنْ شِئْتُ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٣٤٥٩].

٦٢٨٤ ـ [٢] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِنْ أَشَدِّ أُمَّتِي لِي حُبًّا نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِي........................

وقوله: (فغضبت اليهود والنصارى) اكتفى بذكر حال المشبه عن حال المشبه به اختصاراً، ثم الظاهر أن هذا تخييل وتصوير لا أن ثمة مقاولة ومغاضبة حقيقة، وحملها على حصولها عند إخراج الذر أو وقوعه يوم القيامة، والتعبير بالماضي لتحقق الوقوع تكلف مستغنى عنه، والله أعلم.

وقوله: (فإنه فضلي) أي: العطاء الكثير المدلول عليه بالسياق أو الأجر مرتين.

٦٢٨٤ ـ [٢] (أبو هريرة) قوله: (إن من أشد أمتي لي حبًّا ناس) يعني يكون منه ناس أشد حبًّا لي من بعض هو زماني من أصحابي، أو المراد ـ والله أعلم ـ أنهم وإن لم يكن حبهم أشد لكن لما كانوا بعدي من غير رؤيتي كان أشدّ حكماً، والمعنى الأول أظهر بالنظر إلى السياق، وفي هذا الحديث وما يأتي من الأحاديث دلالة على أنه قد يأتي بعد الصحابة من يكون مساوياً لهم أو أفضل، وقد ذهب إليه ابن عبد البر تمسكاً بهذه الأحاديث، ذكره في (الصواعق)[1]، مع أنهم أجمعوا على أن الصحابة أفضل الأمة، وحملوا الأحاديث في إثبات جهة من الخيرية، والفضل الكلي الذي

---

(١) «الصواعق» (٢/ ٦١١).

يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَآنِي بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٨٣٢].

٦٢٨٥ ـ [٣] وَعَنْ مُعَاوِيَةَ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لاَ يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللهِ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلاَ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٦٤١، م: ١٠٣٧].

وَذُكِرَ حَدِيثُ أَنَسٍ: «إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللهِ» فِي «كِتَابِ الْقِصَاصِ».

هو عبارة عن أكثرية الثواب ثابت، وقيل: ذلك ثابت للصحابي بالمعنى الأخص، وهو من طالت صحبته وأخذه، وأما بالمعنى الأعم، وهو من رأى ولو مرة، فمحل نظر، والمسألة مذكورة محررة في موضعه، وقد ذكرنا نبذة منها في ترجمة (باب مناقب الصحابة)، والله أعلم.

وقوله: (**يود أحدهم لو رآني بأهله وماله**) أي: يتمنى أحدهم أن أكون مفديًّا بأهله وماله لو اتفق رؤيته إياي ووصوله إلي، وهذا وإن لم يكن ممكناً، لكن التمني لا يشترط فيه الإمكان، ويجوز أن يكون المراد ـ والله أعلم ـ رؤيته ﷺ بالكشف يقظة، كما يكون للكمل من الأولياء، ومناماً أيضاً كما يكون لسائر المؤمنين، فإن من المشتاقين من يتمنى ذلك، ويرى أن لو كان حصل له ذلك بفداء أهله وماله بل روحه وجميع ماله لكان فيه سعادته في الدنيا والآخرة.

٦٢٨٥ ـ [٣] (معاوية) قوله: (**بأمر الله**) أي: شريعته ودينه وترويج سنته، وهم أصحاب الحديث، أو بالجهاد مع الكفار وهم الغزاة، وقالوا: المراد بهم المرابطون بثغور الشام في آخر الزمان، كما يشعر به قوله: (**حتى يأتي أمر الله**)، وقد وقع في بعض الروايات: (وهم بالشام)، وفي بعضها: (حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال).

وقوله: (**من خذلهم**) أي: لم ينصرهم ولم يعاونهم.

* الْفَصْلُ الثَّانِي :

٦٢٨٦ ـ [٤] عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَثَلُ أُمَّتِي مَثَلُ الْمَطَرِ لاَ يُدْرَى أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢٨٦٩].

الفصل الثاني

٦٢٨٦ ـ [٤] (أنس) قوله: (مثل أمتي مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره) الضمير في أوله وآخره للمطر المشبه بـه، ويعلم منـه حال الأمـة المشبه به، ومدلول ظاهر الحديث الشك وعدم العلم بأن أول الأمة خير أم آخرها، وهذا ليس بمقصود، فهو كناية عن كون الأمة كلهم خيـراً كالمطر كلـه خير ونافـع، فحينئذ لا يكون (خير) اسم تفضيل، فيفهم أن الكل سواء في الخيرية والمنفعة في الدين، فالسابقون صحبوا الرسول واتبعوه وبلغوا دعوته وأسسوا قواعد الدين وعزروه ونصروه ﷺ، واللاحقون حفظوهـا وقرروهـا وأتمـوا بناءهـا وشيـدوا أركانهـا ورفعوا منارهـا وأشاعوا أنوارها وأظهروا آثارهـا، ولو حمل على معنى التفضيل أيضاً، واعتبر تعدد وجوه الخيرية لم يبعد.

وبالجملة هذا الحديث ينظر إلى التساوي أو التفاضل بالوجوه المختلفة، والمقرر عند الجمهور أن الفضل الكلي ثابت للصحابة، ولا ينافي ذلك ثبوت الفضل بالوجوه الجزئية لمن بعدهم، وأرادوا بالفضل الكلي أكثرية الثواب عند الله.

وقوله: **(رواه الترمذي)** وقال: هذا حديث حسن غريب، قيل: ورواه أحمد عن عمار بـن ياسر، وابن حبان في (صحيحه) عن سليمان، وقال الشيخ: حديث: **(مثل** أمتي مثل المطر) حديث حسن له طرق يرتقي بها إلى الصحة، والله أعلم.

* الْفَصْلُ الثَّالِثُ:

٦٢٨٧ - [٥] عَنْ جَعْفَرٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَبْشِرُوا وَ أَبْشِرُوا، إِنَّمَا مَثَلُ أُمَّتِي مَثَلُ الْغَيْثِ لاَ يُدْرَى آخِرُهُ خَيْرٌ أَمْ أَوَّلُهُ؟ أَوْ كَحَدِيقَةٍ أُطْعِمَ مِنْهَا فَوْجٌ عَاماً، ثُمَّ أُطْعِمَ مِنْهَا فَوْجٌ عَاماً، لَعَلَّ آخِرَهَا فَوْجاً أَنْ يَكُونَ أَعْرَضَهَا عَرْضاً وَأَعْمَقَهَا عُمْقاً وَأَحْسَنَهَا حُسْناً، ....

الفصل الثالث

٦٢٨٧ - [٥] (جعفر) قوله: (أو كحديقة) (أو) هنا ليس للتردد بل يفيد التساوي في التشبيه، أي: بأيهما شئت أصبت، كما في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ١٩]، والحديقة: الروضة ذات الشجر، والبستان من النخيل والشجر، أو كل ما أحاط به البناء، والقطعة منه النخل، كذا في (القاموس)[1]، شبهت الأمة في التمثيل الأول بالغيث في نفعهم الناس بالعلم والهدى، وفي الثاني بالحديقة في انتفاعهم بها، و(الفوج): الجماعة، والجمع فُوُوج وأفواج، وجمع الجمع أفاويج وأفاوج، وكذا الفيج، وأصل الفيج بالتشديد ككيّس وهيّن وميّت، ثم تخفف ككَيْس وهَيْن ومَيْت.

وقوله: (ولعل آخرها فوجاً) تمييز. وقوله: (أن يكون) خبر لعل أدخلت فيه (أن) تشبيهاً بعسى، والضمير فيه عائد إلى (آخرها)، و(أعرضها) خبر (يكون)، ووصف الأمة بالعرض، و(العمق) باعتبار ملابستها بالحديقة، ولم يذكر الطول اكتفاء، لأنه البعد المفروض أولاً.

وقوله: (وأحسنها حسناً) مع قرينته من قبيل جد جده.

---

(١) «القاموس» (ص: ٧٨٥).

كَيْفَ تَهْلِكُ أُمَّةٌ أَنَا أَوَّلُهَا، وَالْمَهْدِيُّ وَسَطُهَا، وَالْمَسِيحُ آخِرُهَا، وَلَكِنْ بَيْنَ ذَلِكَ فَيْجٌ أَعْوَجُ لَيْسُوا مِنِّي وَلاَ أَنَا مِنْهُم». رَوَاهُ رَزِينٌ.

٦٢٨٨ ـ [٦] وَعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَيُّ الْخَلْقِ أَعْجَبُ إِلَيْكُمْ إِيمَاناً؟» قَالُوا: الْمَلاَئِكَةُ. قَالَ: «وَمَا لَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ وَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ؟» قَالُوا: فَالنَّبِيُّونَ. قَالَ: «وَمَا لَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ وَالْوَحْيُ يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ؟» قَالُوا: فَنَحْنُ. قَالَ: «وَمَا لَكُمْ لاَ تُؤْمِنُونَ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟» قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ أَعْجَبَ الْخَلْقِ إِلَيَّ إِيمَاناً لَقَوْمٌ يَكُونُونَ مِنْ بَعْدِي يَجِدُونَ صُحُفاً فِيهَا كِتَابٌ يُؤْمِنُونَ بِمَا فِيهَا».

وقوله: (أعوج ليسوا مني) كلاهما وصف للفيج، أفرد الأول باعتبار اللفظ، وجمع الثاني باعتبار المعنى.

٦٢٨٨ ـ [٦] (عمرو بن شعيب) قوله: (أي الخلق أعجب إليكم إيماناً؟) أي: أعظم لأن من تعجب من شيء عظم، وهذا مجاز، كذا قالوا، ويجوز حمله على الحقيقة.

وقوله: (فالنبيون) لا يلزم منه فضل الملائكة على الأنبيا لأنه بمعنى كثرة الثواب، كما تقرر.

وقوله: (والوحي ينزل) بلفظ المعلوم والمجهول.

وقوله: (يكونون من بعدي) وهو المراد بقوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾[البقرة: ٣] على وجه، أي: ملتبسين بالغيب غائبين عن المؤمن به.

٦٢٨٩ - [٧] وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْعَلَاءِ الْحَضْرَمِيِّ قَالَ: حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي آخِرِ هَذِهِ الأُمَّةِ قَوْمٌ لَهُمْ مِثْلُ أَجْرِ أَوَّلِهِمْ، يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَيُقَاتِلُونَ أَهْلَ الْفِتَنِ». رَوَاهُمَا الْبَيْهَقِيُّ فِي «دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ». [٦/ ٥٣٨، ٦/ ٥١٣].

٦٢٩٠ - [٨] وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «طُوبَى لِمَنْ رَآنِي وَطُوبَى سَبْعَ مَرَّاتٍ لِمَنْ لَمْ يَرَنِي وَآمَنَ بِي». رَوَاهُ أَحْمَدُ. [حم: ٥/ ٢٤٨].

٦٢٩١ - [٩] وَعَنِ ابْنِ مُحَيْرِيزٍ قَالَ: ....

٦٢٨٩ - [٧] (عبد الرحمن) قوله: (الحضرمي) بفتح الحاء المهملة وسكون الضاد المعجمة، نسبة إلى حضرموت.

وقوله: (لهم مثل أجر أولهم) ظاهره يدل على المساواة في الثواب، وفي حديث آخر: (سيأتي زمان يكون للعامل فيه أجر خمسين) قيل: خمسين منهم أو منا يا رسول الله؟ قال: (بل خمسين منكم)، أو كما قال، وهذا يوجب الأفضلية وتأويله ما ذكرنا.

٦٢٩٠ - [٨] (أبو أمامة) قوله: (وطوبى سبع مرات) قيل: (سبع مرات) قول الراوي وظرف لـ (قال) مقدر، أي: ذكر رسول الله ﷺ قوله: (طوبى لمن لم يرني) سبع مرات، وقيل: هو لفظ الحديث ومقول قول رسول الله ﷺ، تعيين العدد علمه موكول إليه ﷺ، أو المراد التكثير، والظاهر من العبارة هو المعنى الثاني، وإلا فالظاهر في أمثاله قاله أو ذكره سبع مرات، وأيضاً الظاهر على الوجه الأول تأخيره عن قوله: (وآمن بي)، والله أعلم.

٦٢٩١ - [٩] (أبو محيريز) قوله: (وعن أبي محيريز) بضم الميم وفتح الحاء

قُلْتُ لِأَبِي جُمُعَةَ ـ رَجُلٍ مِنَ الصَّحَابَةِ ـ: حَدِّثْنَا حَدِيثاً سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ. قَالَ: نَعَمْ أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثاً جَيِّداً: تَغَدَّيْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمَعَنَا أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَحَدٌ خَيْرٌ مِنَّا، أَسْلَمْنَا وَجَاهَدْنَا مَعَكَ؟ قَالَ: «نَعَمْ قَوْمٌ يَكُونُونَ مِنْ بَعْدِكُمْ يُؤْمِنُونَ بِي وَلَمْ يَرَوْنِي». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالدَّارِمِيُّ، وَرَوَى رَزِينٌ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ مِنْ قَوْلِهِ: قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَحَدٌ خَيْرٌ مِنَّا إِلَى آخِرِهِ. [حم: ٤/ ١٠٦، دي: ٢٧٨٦].

٦٢٩٢ ـ [١٠] وَعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا فَسَدَ أَهْلُ الشَّامِ فَلَا خَيْرَ فِيكُمْ، وَلَا يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي مَنْصُورِينَ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»، قَالَ ابْنُ الْمَدِينِيِّ: هُمْ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. [ت: ٢١٩٢].

المهملة وسكون يائين وكسر راء بينهما في آخره زاي، من أعيان التابعين.

وقوله: (**لأبي جمعة**) بضم الجيم كما هو الأفصح في اسم اليوم المبارك المشهور، و(رجل) بدل من (أبي جمعة) أو خبر مبتدأ محذوف.

٦٢٩٢ ـ [١٠] (**معاوية بن قرة**) قوله: (**إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم**) يريد ـ والله أعلم ـ أن أهل الشام الذين يقومون بأمر الله في آخر الزمان، فإذا فسدوا وهو حين تقوم القيامة، ولم يبق أحد يقول: لا إله إلا الله كما ورد: (لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس) (**فلا خير فيكم**) إذ لم يبق من هو أهل الخير.

وقوله: (**هم أصحاب الحديث**) على قول، والغزاة على قول آخر، كما أشرنا إليه في الحديث المذكور في آخر الفصل الأول من الباب.

٦٢٩٣ ـ [١١] وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ». رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ وَالْبَيْهَقِيُّ.

[جه: ٢٠٤٣، هق: ١١٤٥٤].

٦٢٩٣ ـ [١١] (ابن عباس) قوله: (إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان) والخطأ ضد الصواب، والخطيئة: الذنب، أو ما تُعُمِّدَ منه، كذا في (القاموس)[١]، وقيل: خطأ: إذا تعمد، وأخطأ: إذا لم يتعمد، ويقال لمن أراد شيئاً ففعل غيره أو فعل غير الصواب: أخطأ، وبهذا المعنى يقع مقابلاً للعمد، كما إذا أراد أن يرمي إلى صيد، فأصاب رجلاً فقتله خطأ، أو قصد المضمضة فابتلع الماء خطأ.

والنسيان ضد الحفظ، والسهو بمعنى النسيان في (القاموس)[٢]: سها في الأمر: نسيه وغفل عنه، وذهب قلبه إلى غيره، وقد يفرق بينهما، وذكرناه في (باب السهو في الصلاة)، ولعل المراد بالتجاوز عن الخطأ والنسيان عدم الإثم فيهما لا عدم المؤاخذة عليهما مطلقاً، فإنه تثبت الدية والكفارة في قتل الخطأ، ويجب قضاء الصوم عند الإفطار خطأ، وإنما لم يجب في النسيان لأنه مِنْ قِبَلِ من له الحق، كما قال: (تِمَّ على صومك، فإنما أطعمك الله وسقاك). والإكراه كذلك تترتب عليه الأحكام كما في الإكراه على هلاك النفس أو تلف المال، وتفصيله في علم الفقه، ومع ذلك الإثم مرفوع في الكل، وهو المراد بالتجاوز، والله أعلم.

وأقول: لعله ذكر المؤلف هذا الحديث في آخر الكتاب اعتذاراً عمَّا وقع في هذا الكتاب من الخطأ والنسيان الذي لا يفارق الإنسان، ثم ختم بحديث خيرية هذه

---

(١) «القاموس» (ص: ٣٨).

(٢) «القاموس» (ص: ١١٦٨).

٦٢٩٤ ـ [١٢] وَعَنْ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. قَالَ: «أَنْتُمْ تُتِمُّونَ سَبْعِينَ أُمَّةً، أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللهِ تَعَالَى». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ وَالدَّارِمِيُّ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ. [ت: ٣٠٠١، جه: ٤٢٨٨، دي: ٢٨٠٢].

الأمة المرحومة إشارة إلا أن العاقبة بالخير، وفيه من حسن المختم ما لا يخفى.

٦٢٩٤ ـ [١٢] (بهز بن حكيم) قوله: (وعن بهز) بفتح الباء وسكون الهاء آخره زاي.

وقوله: (كنتم خير أمة) أي: كنتم كذلك ثابتين في علم الله مكتوبين في اللوح المحفوظ مذكورين في الأمم المتقدمة، والمراد جميع المؤمنين من هذه الأمة، فإن وجوه الخيرية التي يمتازون بها عمن عداهم من الأمم ثابت لكل منهم من حسن الاعتقاد وثبات القدم في الإيمان بينهم، والمحبة المتزائدة يوماً فيوماً به ﷺ، وعدم الارتداد والخروج عن ربقة الإسلام، ونحو ذلك، بخلاف أمة موسى وعيسى وغيرهما، وقيل: خاص بالمهاجرين، وقيل: بالشهداء والصالحين، والمراد الخيرية المخصوصة التامة الكاملة، كما ينبئ عن سوق الآية الكريمة ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ الآية [آل عمران: ١١٠].

وقوله: (قال) أي: في بيان الخير: (أنتم تتمون) من الإتمام (سبعين أمة) قالوا: المراد به التكثير لا التحديد، وقد يجيء هذا العدد بهذا المعنى كثيراً، ولعله يكون ـ والله أعلم ـ معظم الأمم السابقة وجمهورها ومشاهيرها بالغة هذا العدد، والمراد بالإتمام الختم، يعني: كما أن نبيكم خاتم الأنبياء وسيد المرسلين كذلك أنتم خواتم الأمم

قَالَ مُؤَلِّفُ الْكِتَابِ شَكَرَ اللهُ سَعْيَهُ وَأَتَمَّ عَلَيْهِ نِعْمَتَهُ: قَدْ وَقَعَ الْفَرَاغُ مِنْ جَمْعِ الأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ ﷺ آخِرَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ مِنْ رَمَضَانَ عِنْدَ رُؤْيَةِ هِلَالِ شَوَّالٍ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِ مِئَةٍ، بِحَمْدِ اللهِ، وَحُسْنِ تَوْفِيقِهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.

وأكرمهم وأتمهم، وقد قال رسول الله ﷺ: (علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل)، وقد ختم الكتاب بهذا الحديث المشتمل على هذا الخطاب، الشامل للخير والرحمة في كل باب، والله أعلم فهو يلهم الصواب.

قال المؤلف الفقير إلى الله القوي الغني الباري عبد الحق بن سيف الدين الدهلوي البخاري القادري الحنفي رحم الله على أسلافه وبارك في أخلافه: تم تسويد هذا الشرح عصر يوم الأربعاء الرابع والعشرين من شهر ربيع الأول، خصنا الله فيه بالفيض الباطن والظاهر، سنة ألف وخمس وعشرين من هجرة سيد المرسلين خاتم النبيين صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه أجمعين، وكان ابتداؤه في الثالث عشر من ذي الحجة سنة ألف وتسعة عشر، وقد وقع من مشاغل أخر في البين ما يبلغ مجموعه أكثر من سنتين.

وقد انضم معه في هذه المدة من الشرح الفارسي على أكثر من نصف (المشكاة)، وشرح (فتوح الغيب) في جزء كبير، ورسائل أخر ما يشغل سنة كاملة في مجاري العادات، وقد ختم في الخانقاه القادرية ببلدة دهلي الذي هذا المملوك يكنسه ويخدمه ويوقد سراجه في مكان ابتدأ فيه كأنه تم في مجلس واحد، والمقصود بيان توفيق الله سبحانه وإعطائه الاستقامة وتخصيصه عبده المسكين بالعافية والسلامة، فالحمد لله

. . . .

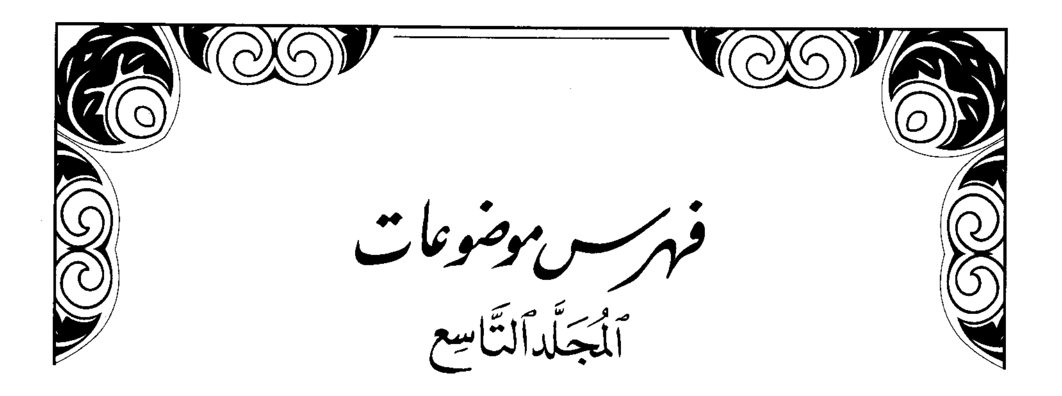
والشكر على إتمام النعمة ونعمة التمام حمداً يكافئ نعمه ويوافي مزيد كرمه، أحمده بجميع محامده ما علمت منها وما لا أعلم على جميع نعمه ما علمت منها وما لا أعلم عدد جميع خلقه ما علمت منهم وما لم أعلم، وصلى الله على سيد الأولين والآخرين الذي اصطفاه الله على جميع خلقه، وأرسله رحمة للعالمين محمد وآله وأصحابه وأزواجه وأتباعه أجمعين هداة طريق الحق ومحيي علوم الدين، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

بحمد الله وتوفيقه تمّ المجلد التاسع من «لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح»، وبذلك ينتهي الكتاب.

ويتلوه إن شاء الله تعالى المجلد العاشر، وهو يحتوي على «رسالة أجوبة الحافظ عن أحاديث المصابيح» و«الإكمال في أسماء الرجال» للتبريزي والفهارس الفنية للكتاب.

وصلى الله تعالى على خير خلقه سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وبارك وسلم تسليماً كثيراً.

❒❒❒



الموضوع	الصفحة

